كتاب

تاريخ سورية

لسيادة الحبر العلامة المفضال المطران يوسف الدبس
رئيس اساقفة بيروت الماروني

الجزء الاول

في تاريخ شعوب سورية القدماء

المجلد الثاني

يحوي مقالة في العبرانيين

طبع في بيروت في المطبعة العمومية الكاثوليكية

سنة ١٨٩٥



مقالة
في العبرانيين

قد تكلمنا في مقالتنا الافتتاحية على خلق العالم والانسان الاوّل وعلى الآباء الاولين حتى نوح وابنائه الثلثة سام وحام ويافت وعلى اعقابهم والمواطن التي حلوا فيها بعد تفرق القبائل في الآفاق متبعين في ذلك مساق كلام الكتاب في الفصول العشرة الاول وبعض آي الفصل الحادي عشر من سفر التكوين حتى مولد ابرهيم الخليل ثم اعقبنا ذلك بمقالتين في الحثيين والفونيقيين اشهر القبائل التي توطنت في شمالي سورية ووسطها فبقي علينا ان نتكلم في اشهر القبائل التي توطنت في جنوبيها وهي قبيلة العبرانيين اي بني اسرائيل مستضيئين بنبراس اصح تاريخ واقدسه واقدمه واكمله وهو اسفار العهد القديم المقدسة فان جل الغرض من كلامها من الفصل الحادي عشر من سفر التكوين فصاعدًا بيان تاريخ بني اسرائيل وما افترضه الله عليهم وارشدهم اليه بمناجاته ولسان انبيائه ونستمين لادراك شأونا بما اكتشف من الآثار القديمة وما استودع في حطام قدماء المؤرخين وما جاء في كتب ثقاة من العلماء والمفسرين ولما كان ابرهيم الخليل اصل هذه القبيلة وقد ظعن باسرته من بلاد الكلدان الى سورية تعين علينا ان نستهل كلامنا بذكره

الفصل الاول

(في ابرهيم الخليل)

﴿ عد ١٥١ ﴾

في نسب ابرهيم وعصره

قد مرَّ بك في عد ٣٨ ان ساماً ولد ارفكشاد وارفكشاد ولد شالح وشالح ولد عابر فعبر الفرات واليه ينسب العبرانيون وهو ولد فالج (او فالغ) ويقطان جد العرب الذي ذكرنا ولده في العدد المشار اليه آنفاً واما فالج فولد ارعو وارعو ولد سروج وسروج ولد ناحور وناحور ولد تارح وتارح ولد ابرام (الذي سماه الله ابرهيم) وناحور باسم جده وهاران الذي ولد لوطاً وتوفاه الله قبل ابيه تارح في ارض مولده في اور الكلدانيين (تك ف ١١ من عد ١١ فصاعدًا) ويرجح ان ابرهيم كان اصغر اخوته وقدمه الكتاب بالذكر تعظيماً له لانه ابو المؤمنين (فيكورو في معجم الكتاب في كلمة ابرهيم) وقد ذكر الكتاب سني موالد هولاء الاباء فيظهر منه ما مر من السنين من بعد الطوفان الى مولد ابرهيم على ان بين النص العبراني والترجمة اليونانية السبعينية اختلافاً في حساب هذه السنين فزادت السبعينية مئة سنة على سني ولادة اكثر الآباء الآنف ذكرهم واتبعت النسخة اللاتينية المعروفة بالعامية واكثر نسخ الكتاب النص العبراني . واليك جدولاً يتبين منه هذا الاختلاف

سني مولد الآباء بعد الطوفان	بحسب النص العبراني	سنوهم بحسب الترجمة السبعينية
سام ولد ارفكشاد بعد الطوفان	٢	٢
ارفكشاد ولد شالح وله من العمر	٣٥	١٣٥
شالح ولد عابر » » »	٣٠	١٣٠
عابر ولد فالغ » » »	٣٤	١٣٤
فالغ ولد ارعو » » »	٣٠	١٣٠
ارعو ولد سروج » » »	٣٢	١٣٢
سروج ولد ناحور » » »	٣٠	١٣٠
ناحور ولد تارح » » »	٢٩	٧٩
تارح ولد ابرهيم » » »	٧٠	٧٠
	٢٩٢	٩٤٢
وقد زادت السبعينية ابًا اخر على هولاء وهو قينان		
وذكرت ان ارفكشار ولده وعمره		١٣٥
		١٠٧٧

وان قينان ولد شالح وهلمَّ جرًّا الى ابرهيم كما مر وعليه فيكون ما بين الطوفان ومولد ابرهيم مئتان واثنان وتسعون عامًا بحسب النص العبراني والف وسبعة وسبعون عامًا بحسب الترجمة السبعينية وذكرت الترجمة السريانية قينـان بن ارفكشاد كالسبعينية في الفصل الثالث من بشارة لوقا وقد اتبع ابن خلدون في تاريخه حساب الاصل العبراني في موالد هولاء الاباء ولكن اعتمد ابو الفدا فيه حساب الترجمة السبعينية وجعل المدة من الطوفان الى مولد ابرهيم الفًا واحدى وثمانين سنة

واذا اضفنا الى ٢٩٢ عامًا من الطوفان الى مولد ابرهيم ١٦٥٦ سنـة من

بخلق ادم الى الطوفان بحسب الاصل العبراني كما في الجدول الذي وضعناه في عد ٢٣ والحقنا به ٧٥ سنة عمر ابرهيم عند ارتحاله من حاران ليمضي الى ارض كنعان كما في سفر التكوين (فصل ١٢ عد ٤ و ٥) كان مجموع الاعوام التي مرت من ادم الى بلوغ ابرهيم سورية ٢٠٢٣ واما بحسب السبعينية فالمجموع ٣٣٩٤ سنة مؤلفة من ٢٢٤٢ سنة قبل الطوفان ومن ١٠٧٧ سنة من الطوفان الى مولد ابرهيم ومن ٧٥ سنة من مولد ابرهيم الى ان ارتحل الى سورية وكان الفرق بين الحسابين ١٣٧١ عاماً واما في اية سنة قبل مولد المخلص شخص ابرهيم الى سورية فذلك يختلف فيه اختلاف المذاهب في تعيين سنة المولد من سني الخليقة فعلى مذهب من قال ان مولد المخلص كان في سنة ٤٠٠٠ لخلق الانسان يكون بلوغ ابرهيم الى فلسطين سنة ١٩٧٧ وعلى مذهب من قال ان المولد كان في سنة ٤٠٥١ يكون بلوغ ابرهيم سنة ٢٠٢٨ قال الاب فيكورو جعل اوساريوس مولد ابرهيم لسنة ١٩٩٢ ق م وجعل كليتون وفاته سنة ١٩٥٥ واقامته في ارض كنعان من سنة ٢٠٥٥ الى سنة ١٩٥٥ وقال بلمر Palmer انه بلغ ارض كنعان سنة ٢٠٨٤ وتوفاه الله سنة ١٩٨٤ ق م والحاصل ان المسئلة يختلف فيها حتى الان وعلى كل الاقوال انه بلغ بلاد الكنعانيين لنحو من الفي سنة قبل الميلاد ولعله يكتشف اثر يزيل الخلاف مثل ان يتجد قطعة اجرّ او اثر اخر في بلاد الكلدان تنبئ بشيء من تاريخ كدرلاعومر الذي حاربه ابرهيم فينجلي تاريخ ابرهيم بالحصر او التقريب (فيكورو في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ١ صفحة ٣٦٦)

وقد طالعنا في هذه الايام في المجلة الموسومة بالعلم الكاثوليكي مجلة المباحث الدينية فصلين علقهما فيها الاب مور الشهير في عدديها الصادرين في ١٥ آب وفي ١٥ أيلول سنة ٩٣ اثبت فيهما ان ابرهيم شخص الى فلسطين سنة

٢١٤٥ ق م ففي الفصل الاول منهما اجهد نفسه ليثبت ان خروج بني اسرائيل من مصر كان لسنة ١٥٠٠ ق م مستمسكًا بآثار اشورية يظهر منها ان سرغون دمر السامرة وقرض مملكة اسرائيل سنة ٧٢١ ق م ووضع جدولاً لملوك اسرائيل ويهوذا يتبين منه ان سليمان اخذ ببناء الهيكل سنة ١٠٢٠ ق م واستشهد بقول الكتاب (ملوك ٣ فصل ٦) بان هذا البناء كان بعد ٤٨٠ سنة من خروج بني اسرائيل من مصر فكان الحاصل على قوله ان الخروج كان سنة ١٥٠٠ ق م ثم اضاف سني العبودية ٤٣٠ سنة الى ذلك العدد فكان المجموع ١٩٣٠ سنة وضم الى ذلك ٢١٥ سنة حصلت من ان يعقوب نزل الى مصر وله من العمر ١٣٠ سنة وان اسحق ولده وعمره ٦٠ سنة وان ابرهيم ولد اسحق بعد ٢٥ سنة من اتيانه فلسطين (وكل هذا بين في سفر التكوين) ونتج ان ابرهيم شخص الى فلسطين سنة ٢١٤٥ ق م ثم ايد قوله في الفصل الثاني بوجه اخر مستندًا الى اثر لاشور بانيبال ملك اشور قال فيه « ان كودر ناهوندا ملك عيلام سطا على هياكل اكَّد (بابل) واخذ تمثال الآلهة نانا فاستمر هذا التمثال في بلاد عيلام سنة ١٦٣٥ (وفي نسخة ١٥٣٥) وان اشور بانيبال ظفر بملك عيلام وارجع هذا التمثال الى محله » ومن البين ان هذا الملك الاشوري انتصر على ملك عيلام سنة ٦٦٠ ق م فان اضفنا هذه السنين الى ما قبلها كان المجموع ٢٢٩٥ سنة وقد رأى الاب مور ان غزوة العيلاميين لبابل كانت الداعي لمهاجرة الحثيين من سورية الى مصر ولمهاجرة تارح ابي ابرهيم من اور الكلدانيين الى حاران وان كودرلاعومر الذي حاربه ابرهيم بعدًا هو من دولة العيلاميين هذه وان دولة اخرى حليفة بها تعرف بالسيسكو كان منها ملك يسمى كركال وان هذا ليس هو الا تدعال ملك الامم حليف كودرلاعومر وباقي الملوك الذين حاربهم ابرهيم (تك ف ١٤) وبناء على ما مر وضع مور جدولاً يتبين منه ان تارح

ولد سنة ٢٣٥٠ وعاش ٢٠٥ سنين وانه هاجر بلاد الكلدان لما مر اذ كان عمر ابرهيم ٣٥ سنة وعاش ابرهيم مع ابيه هناك ٤٠ سنة فان اسقطنا ٢٠٥ سنين من ٢٣٥٠ كان الباقي ٢١٤٥ هي سنة شخوص ابرهيم الى فلسطين انتهى ملخصاً والله اعلم

قد انبأنا الكتاب (تك ف ١١ عد ٢٩) ان قد « اتخذ ابرام وناحور لهما امرأتين اسم امرأة ابرام ساراي واسم امرأة ناحور ملكة بنت هاران ابي ملكة وابي يسكة » قال يوسيفوس (ك ١ في تاريخ اليهود ف ٦) ان ناحور « توفي في اور الكلدانيين ويشاهد هناك مدفنه الى اليوم وخلف ابناً يسمى لوطاً وابنتين تسمى احداهما سارة والاخرى ملكة فتزوج ابرهيم بسارة وناحور بملكة » فسارة اذاً بنت اخي ابرهيم على هذا القول وسيجيء فيه كلام في عد ١٥٤ وهي المسماة يسكة ايضاً واخوهما لوط ارتحل مع ابرهيم الى ارض الكنعانين ومن عوائدهم ان لا يتزوج الاخ البكر بابنة اخيه الذي هو اصغر منه ويباح الاخ الاصغر ان يتزوج بابنة اخيه البكر وهذا يرجح ما مر من ان ابرهيم لم يكن بكر تارح بل اصغر ابنائه وهذا أعون على حل الاشكال الحاصل من قول الكتاب (في اعمال الرسل ف ٧ عد ٤) ان ابرهيم لم يرتحل الى ارض الكنعانيين الا بعد وفاة ابيه وان اباه عاش مئتين وخمس سنين وولد ابرهيم وعمره سبعون سنة وان ابرهيم ارتحل الى ارض كنعان وله من العمر خمس وسبعون سنة (كما في سفر التكوين ف ١١ و ١٢) فيحصل من ذلك ان عمر تارح لم يتجاوز حين ارتحال ابرهيم المائة والخمس والاربعين سنة ويلزم منه ان يكون قد عاش ستين سنة بعد ارتحال ابنه فاذا قلنا ان هاران انما هو الذي ولده وعمره سبعون سنة انفسح لنا القول انه ولد ابرهيم بعد ستين سنة لانه اصغر ولده فيزول الاشكال ورأى بعضهم ان عدد المئتين والخمس سنين من غلط النساخ لا من حقائق الكتاب (ملخص عن الموجز الكتابي لفيكورو عد ٣٤٢) ولذلك

قال كلمت (في معجم الكتاب في كلمة تارح) ان تارح ولد ابرهيم وعمره مئة وثلاثون سنة

﴿ عد ١٥٢ ﴾

في منشأ ابرهيم اي في اور وحاران

ولد ابرهيم ونشأ في اور الكلدان ولكن اين موقع اور هذه فقد توفرت فيه الاقوال وتضاربت وسماها الكتاب في النص العبراني اور كسديم ولم ينبئ بموقعها ولذلك جعله بعضهم في بلاد الكلدان وبعضهم في الجزيرة وبعضهم في سورية ومن التقليدات المستمرة حتى الان في المشرق وقد اخذ بذلك القديس افرام السرياني وتابعه كثير من مفسري الكتاب ان مولد ابرهيم كان في ارفه وهي الرها ومن ادلتهم على ذلك تسميتها في السريانية ܐܘܪܗܝ (اورهي) وان اهلها متشبثون حتى الان بهذا التقليد وقد دافع ستانلاي عن صحة هذا القول واعتمده وقال بوخرت ان موقع اور بين نصيبين ودجلة ووافقه على قوله كثير من مشاهير العلماء على ان العالم اوبر وُفِّق الى تعيين موقعها واورد بينات اثباته في ٢٢ نيسان سنة ١٨٦٩ لتلامذته والجم الغفير في مدرسة افرنسة حيث كان يدرس التاريخ وهو في المحل المعروف الان بالمقاُر وسماه بعض الجغرافيين ام قير وهو في وسط الطريق بين بابل ومصب نهر الفرات في خليج العجم حيث تشاهد اكمة عليها اخربة عديدة وسمي هذا المحل المقاُر لكثرة ما يوجد فيه من كسر الاجر مطلية بالقار وقد اكتشف هناك قطع عديدة من الاجر يتبين منها اسماء هذه المدينة وبعض ملوكها وظهر من اثار عديدة انها كانت مدينة علوم وصنائع وكثر فيها عداد العلماء والفلكيين الذين يرصدون الكواكب والشعراء والكتبة وقد بقي لنا بعض ما كتبوه على الاجر في مكتبة نينوى السالف ذكرها وكان ملوكها يسمون انفسهم ملوك اور كما كان يسمى

ملوك بابل وملوك شومير وملوك أكد فهي من اقدم مدن بلاد الكلدان فان بعض الاثار التي وجدت فيها تعسر قرأتها وفهمها لتناهي قدمها ومنها فلذة اجر كتب عليها « ان ليك باغاس ملك اور بنى هذا الهيكل تجلةً للاله سين » وكتب على فلذة اخرى « اقام ليك باغاس ملك اور هيكلاً تكرمة لسيده الاله سين وبنى اسوار مدينة اور » وليك باغاس هذا كان قبل مولد ابرهيم والاله سين هو القمر الذي كان اعظم معبودات اور فهذه المدينة ولد فيها ابرهيم ولا يبعد ان كان ابوه تارح يعبد الاله سين كثيره من اهلها في الهيكل الذي بناه ليك باغاس

وجاء في سفر التكوين (ف ١١ عد ٣١) « واخذ تارح ابرام ابنه ولوط بن هاران ابن ابنه وساراي كنته امرأة ابرام فخرج بهم من اور الكلدانيين ليذهبوا الى ارض كنعان فجأوا الى حاران واقاموا هناك » وحاران هي المعروفة الان بحران وموقعها في الجنوب من ارفه على بعد ثمان ساعات وهي الان خربة وفيها معبد ينسبونه الى ابراهيم وسماها اليونان واللاتينيون حارّه وهي مشهورة في التاريخ العالمي بانتصار البرتيين فيها على كراسوس الروماني وفي التاريخ المقدس بسكن ابرهيم فيها ويظهر انها كانت من اعمال مملكة ابجر ملك الرها المشهور برسالته للمخلص وجوابه له عليها . وورد اسمها مكررًا في الاثار الاشورية محسوبة في عداد المدن الارامية وجاء ذكرها مع بعلبك في الخطوط القديمة التي وجدت في قصر خرشباد ونقش اسمها على مسلة سلمناصر في عداد المدن التي فتحها في شمالي ما بين النهرين وكان اهلها يعبدون القمر كسكان اور . وترى فيها الى الان البئر التي التقى بعد ذلك اليعازر رسول ابرهيم برفقا عندها فخطبها لاسحق كما سيجيء وحكى بعض الجوالة ان رعاة الماشية يجتمعون حتى اليوم حول هذا البئر ليسقوا ماشيتهم . والنساء يبكرن

بالورود اليها لاستقاء الماء ولا بد ان يكون ابرهيم قد ورد هذه البئر مراراً كما صنع بعده حفيده يعقوب اذ كان يرعى غنم حميه لابان . قال بعضهم ان ابرهيم اقام في حاران خمس عشرة سنة وجعل غيرهم مدة اقامته فيها ست سنين او خمساً (ملخص عن الكتاب والاكتشافات الحديثة لفيكورو مجلد ١ في الكلام على ابرهيم)

﴿ عد١٥٣ ﴾

في ارتحال ابرهيم الى ارض الكنعانيين وما قيل في ولايته في دمشق

اتفقت تقليدات اليهود والعرب على ان ابرهيم اضطر الى مزائلة بلاد الكلدان فراراً من الخطر الملم به من قبل قومه اذ فشت بينهم عبادة الاوثان وكان يبكتهم عليها ويناصبهم في انتشارها فثاروا عليه يتطلبون قتله فامره الله بالخروج من بينهم والارتحال الى ارض كنعان ولهذه التقليدات مسند في الكتاب ايضاً فاننا نرى يشوع بن نون يقول « لجميع الشعب هكذا قال الرب اله اسرائيل في عبر النهر سكن اباؤكم منذ الدهر تارح ابو ابرهيم وابو ناحور وعبدوا الهة اخرى فاخذت اباكم ابرهيم من عبر النهر وسيرته في جميع ارض كنعان » (يشوع فصل ٢٤ عد ٢) بل روى بعض المؤرخين العرب ومنهم ابو الفدا (في مجلد ١ من تاريخه) « ان تارح ابا ابرهيم كان يصنع الاصنام ويعطيها ابرهيم ليبيعها وكان ابرهيم يقول من يشتري ما يضره ولا ينفعه » وقد تأول علماء التلمود كلمة اور من قوله اور الكلدانيين بمعنى نار ولذلك كان من تقليداتهم ان الكلدانيين القوا ابرهيم في اتون نار متقدة لانه ابى السجود لالهتهم فانجاه الله منه بمعجزة على ان القديس ايرونيموس ترجم اية سفر نحميا (فصل ٩ عد ٧) وهي « انت الرب الاله الذي اصطفيت ابرام واخرجته من اور الكلدانيين »

فكتب بدلاً من اور الكلدانيين من نار الكلدانيين كما في النسخة اللاتينية المعروفة بالعامية لكنه قال ان تقليد علماء التلمود في هذا الشان انما هو حكاية لا يعتد بصحتها . وعن ابن العبري في تاريخ الدول « ان ابرهيم احرق هيكل الاصنام بقرية الكلدانيين ودخل هاران اخوه ليطفئ النار فاحترق ولذلك فرّ ابرهيم » لكن هذا مما لا يمكن اثباته

ولما امر الله ابرهيم ان انطلق من ارضك اي حاران الى الارض التي اريك اي ارض الكنعانيين نهض بامرأته سارة وابن اخيه لوط وحاشيته وخدمه ومواشيه وخلف اخاه ناحور في حاران وكان ابوه قد توفي فعبر الفرات وروى يوسيفوس (ك ١ فصل ٧ من تاريخ اليهود) نقلاً عن نيقلاوس الدمشقي (الذي كان في القرن الاول قبل الميلاد) ان ابرهيم بلغ دمشق اولاً وولي امرها واليك كلام الدمشقي الذي رواه يوسيفوس « خرج ابرهيم بجحفل كبير من بلاد الكلدان ... فلك في دمشق ثم زايلها بعد مدة مع شعبه كله واقام في ارض كنعان التي تسمى الان اليهودية فكثرت ذريته كثرة لا تقدر وسلجئ على ذكر ذلك في محل اخر وما برح اسم ابرهيم الى الان موقرًا ومشتهرًا جدًا في بلاد دمشق وهناك قرية تسمى باسمه ويقال انها كانت مسكنه » وعدَّ يوستينوس ملوك دمشق فقال « ومن بعد دمسقوس ملك حزال ثم ادوراس ثم ابرهيم واسرائيل » ورأى كثير من العلماء ان هذه التقليدات لا تخالف الصواب ولا اقل من ان تكون دليلاً على اقامة ابرهيم مدة في دمشق بمنزلة امير ثريّ واليعازر قيم بيته كان من دمشق (تك ف ١٥ عد ٢) وقد جاء ذكر هذا التقليد في كتب علماء مسيحيين ومسلمين

واول محطة احتلها ابرهيم في اليهودية هي شكيم المسماة في الانجيل سوخار والمعروفة الان بنابلس وتجلى الرب هناك لابراهيم ووعده بان تكون

تلك الارض لنسله فاقام ثم مذبحاً تكرمة للرب الذي تجلى له ثم ظعن من هناك وضرب خيامه في الجبل بين بيت ايل غرباً والعاي شرقاً (تك ف ١٢ عد ٨) فهذا الجبل يلزم ان يكون الاكمة التي عليها المحل المسمى خربة البرج وبيت ايل هي المسماة الان بيت اين في شمالي البيري واورشليم واما العاي فكانت في محل الكديرة الان في جانب دير ديوان بين رمان في الشمال ومخماس في الجنوب وكل ذلك في الشمال الشرقي من اورشليم (كاران مجلد ٣ في اليهودية صفحة ١٤ و ٥٩) وكانت بيت ايل تسمى قديماً لوزا وفيها تجلى الرب ليعقوب عند فراره من وجه اخيه عيسو واراه سلماً يتصل رأسها بالسماء وملائكة الله تصعد وتنزل عليها فنصب هناك مذبحاً وقال عن الموضع انه بيت الله وسماه بيت ايل (تك ف ٢٨ عد ١٢ وما يليه) والعاي وتسمى عاي دون ال وغاي هي المدينة التي بعث اليها يشوع بن نون بعد افتتاحه اريحا ثلثة الاف رجل فهزمهم اهل المدينة ثم انتصر عليهم يشوع واحرق مدينتهم وصلب ملكها ورجمه (يشوع فصل ٧ و ٨) كما سيجيء في محله . ولم يستمر ابرهيم هناك بل امعن في ارض الكنعانيين نحو الجنوب مرتحلاً ارتحالاً متوالياً

﴿ عد ١٥٤ ﴾

في انحدار ابرهيم الى مصر

نبأنا الكتاب (تك ف ١٢) ان حصلت مجاعة في ارض كنعان دعت ابرهيم ان ينحدر الى مصر مع سارة امرأته ولما كانت بديعة الجمال وهو يعلم فساد المصريين لقنها ان تقول انها اخته لئلا يقتله المصريون ويأخذوها فقالت كما علمها واخبر فرعون عظماؤه بجمالها فهام بها وادخلت بيته فضرب الرب فرعون واهله ضربات عظيمة بسببها فاستدعى ابرهيم ورد عليه امرأته معتذراً بانه حسبها اخته فاخذها لتكون له امرأة واحسن الى ابرهيم بسببها فصار له

غنم وبقر وحمير وعبيد واماء واتن وجمال وامر فرعون قوماً يشيعونه هو وامرأته وكل ماله

زعم بعض النقادين ان ما اجراه فرعون الى ابرهيم من الاكرام والاحسان يخالف الصواب ولا يصدق خاصة ان صح ان فرعون هذا كان مصريًا اصلاً والصحيح ان زعمهم هذا يخالف الصواب لان اكرام فرعون لابرهيم واخذه سارة ينطبقان كل الانطباق على عادات المصريين واطوارهم وقد وجدت اثار عديدة تثبت ذلك منها صورة نقشت على احد المدافن في تربة بني حسن على ضفة النيل الشرقية على عهد ازورتسان الثاني احد ملوك الدولة الثانية عشرة تمثل رئيس عشيرة من الرحل اتى مصحوبًا باسرته وخدمه يحيي حاكم البلاد احد اقارب الملك ويلتمس منه الحماية ويسمي الاثر هولاء الغرباء عمو وقد مر ان المصريين يعبرون بهذا الاسم عن الرعاة الرحل الذين يأتون من بلاد العرب وفلسطين ويصف رئيس هذه الاسرة بهاك اي امير او رئيس العشيرة ويسميه ابشاه اي ابي الرمل وتأويل هذا الاسم قريب من معنى ابرهيم الذي هو ابو الكثيرين ولهذا الامير واسرته وحاشيته كل السمات المميزة الساميين من حيث الهيئة الطبيعية والملابس ويظهر من الصورة ان حاكم البلاد يتلطف بمقابلتهم كاناس ذوي حسب ونسب فيقدمهم احد الكتاب ووراء الحاكم يافع يحمل حذاءه ولم تكن العادة بخلعه الا في المقابلات الرسمية ومن جملة ما يقوله الكاتب عند تقديمهم ان المجاعة حملتهم على الاتيان الى مصر ويعدد احسانات الحاكم ومكرماته فان لم تكن هذه الصورة صورة ابرهيم ولوط واسرتهما فلا اقل من ان تبين بطلان زعم النقادين

وهم بوهلن Bohlen الالماني انه وجد بينة على التكذيب بصحة آيات الكتاب بتسمية الحيوانات التي اعطيها موسى في مصر ولم يكن منها في وادي



صورة مهاجرين من سورية الى مصر نقلا عن مدافن بني حسن في مصر صفحة ١٢

النيل في ذلك العصر او كانت نادرة فان الغنم كان نادرًا كالجمال والحمير كانت مكروهة بسبب لونها ولم يذكر موسى الخيل على كثرتها في وادي النيل فرد الاب فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ١ صفحة ٤٣٩) زعم بوهلن هذا واثبت بالاثار والخطوط والصور القديمة وفرة الغنم والبقر والحمير في مصر منذ ايام الدولة الثانية عشرة واما في الجمال فقال وان ندرت صورها في الاثار فلم يندر وجودها ويظهر انه كان لهم قواعد تحظر عليهم تصوير بعض الحيوانات كالدجاج والهر والجمال ولا يمكن ان تكون الجمال منقطعة الوجود في مصر مع كثرتها عند جيرانهم العرب من اقدم الايام ونقلها اليهم كثيرًا من حاصلات بلاد العرب وغيرها وفي بعض الخطوط المصرية انهم كانوا يعلمون الجمال الرقص وقد جاء في سفر الخروج (فصل ٩ عد ٣) ذكر هذه الحيوانات كلها في مصر اذ قال موسى لفرعون « ها يد الرب على مواشيك التي في الصحراء الخيل والحمير والجمال والبقر والغنم بوباء شديد » واما اهمال ذكر الخيل في عداد ما اعطيه موسى فهو بيّنة على صحة الكتاب لان اول من ادخل الخيل الى مصر انما هم الملوك الرعاة وابرهيم كان قبلهم او في اوائل ولايتهم على مصر كما سيجيء وكانت ارض مصر في ايام موسى موعبة بالخيل فلم يذكرها موسى بين الهدايا لابرهيم مع ذكره لها مرارًا في آيات اخرى فكان ذلك دليلاً وضاحًا على انه تلقى ما كتبه عن تقليد صحيح ثابت وكان المصريون يسمون الخيل ساس وفي العبرانية سوس وفي السريانية ܣܘܣܝܐ (سوسيو) وكانوا يستعملون الخيل لجر مركبات الحرب في ايام الدولة الثامنة عشرة ويسمون المركبة مركابوتا وهي في اللغات السامية مركبة و ܡܪܟܒܬܐ (مركبتو) فكل ذلك يصرح بان المصريين اخذوا الخيل والمركبات عن سكان اسيا الذين يتكلمون باللغات السامية

واما من كان فرعون الذي اتحف ابرهيم بهذه الهدايا فقال فيكورو (في كتابه السالف ذكره صفحة ٤٤٩) انه كان احد ملوك الدولة الثانية عشرة قبل ولاية الملوك الرعاة في مصر سندًا الى انه لم يهدِ ابرهيم خيلاً لانها لم تكن في مصر قبل ان يليها الملوك الرعاة على ان ما رويناه في عد ٩٣ نقلاً عن الاب دي كارا وغيره يظهر منه ان فرعون هذا كان من الملوك الرعاة في دولتهم الاولى ويستلمح ذلك من اعزاز فرعون لابرهيم لانه من ابناء وطنه القديم

وكيف استباح ابرهيم الكذب بتلقينه سارة ان تقول انه اخوها وهو زوجها فقد اجمع الاباء والعلماء ان سارة اخت ابرهيم حقيقة على ان لهم في اثبات هذه الاخوة بينهما قولين فاثبتها بعضهم بان العبرانيين كانوا يسمون الاقارب الادنين كاولاد الاخوة والاعمام اخوة وقالوا ان سارة بنت هاران اخي ابرهيم فصدق بتسميتها اخته جريًا على عادتهم وممن قالوا بهذا يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ١ ف ٦) والقديس ايرونيموس (في المباحث العبرانية في التكوين ف ٢٠) وابو الفدا في تاريخه واسندوا قولهم الى اية التكوين (ف ١١ عد ٢٩) وهي « اتخذ ابرام وناحور لهما امرأتين اسم امرأة ابرام ساراي واسم امرأة ناحور ملكة بنت هاران ابي ملكة وابي يسكة » وما يسكة عندهم الا اسم اخر لساراي كما مر في عد ١٥١ ورجح كلمت في معجم الكتاب هذا القول واعتمده كرنيلوس الحجري (في تفسيره سفر التكوين) مستمسكًا بنهي سنة الطبيعة عن الزواج بين الاخوة والاخوات وان لأمينٍ على ان غير هولاء من الاباء والعلماء ذهبوا الى ان سارة اخت ابرهيم لابيه لا لامه وقالوا ان تارح تزوج بامرأتين اسم الاولى يونا وهي ام ابرهيم واسم الثانية ثاريلا وهي ام سارة فتزوج ابرهيم باخته لابيه وان هذا لم يكن محظورًا في ايامهم واسندوا قولهم هذا الى آية صريحة في سفر التكوين (ف ٢٠ عد ١٢) حيث قال ابرهيم

نفسه لا يملك ملك جرار عن سارة «وعلى الحقيقة هي اختي ابنة ابي غير انها ليست ابنة امي» وقد رجح فيكورو (في معجم الكتاب في كلمة ابرهيم) هذا القول لصراحة الاية به والاحتياج الى التأويل في الاية الاخرى وعلى كلا القولين فسارة اخت ابرهيم وهي زوجته فهاتان حقيقتان لقن ابرهيم سارة ان تكشف عن احداهما وتسكت عن الاخرى وليس من الزام على احد ان يقول كل ما يعلم

ولكن كيف عرض ابرهيم زوجه لخطر الاثم الذى حف بها فعلاً فقد برأ القديس اغوسطينوس ابرهيم من الكذب كما مر ومن تعريضه امرأته للاثم فقال ان ابرهيم كان معرضًا لشرين قتله واختطاف امرأته ولا مفر له من كليهما ان قال ان سارة امرأته وينجو من القتل ان قال انها اخته فاختار من الشرين اصغرهما موكلاً الى عناية الله حفظ طهارة سارة مع تيقنه بعفافها فلا حرج عليه لا سيما انه لو قال هي امرأته لم تنجُ من هذا التعرض ايضًا وكان موقنًا فساد اداب المصريين وعناية الله به وبأمرأته وبرّ العمل يقينه اذ خطفت سارة بفساد المصريين وانجاه الله من شرهم وحصن سارة من الاثم

روى يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ١ ف ٨) «ان فرعون دفع الى ابرهيم مقدارًا من الفضة عدا هداياه السالف ذكرها وسمح له ان يباحث حكماء مملكته فكشفت هذه المباحثة عن فضيلته وحكمته واكسبته اسمى اعتبار وكان حكماء المصريين متشعبي الارآء وادّى بهم هذا الخلاف الى انقسام كبير فجاءهم ابرهيم بجلي البرهان على ان الفريقين عن الحق بمراحل فدهش الفريقان بذكائه وسمو مداركه وعلمهم فن الحساب وعلم الفلك وكانوا لهما جاهلين فهو الذي اوصل هذه العلوم من بلاد الكلدان الى المصريين وعن هولاء اخذها اليونان» وهذا رواه كثير من القدماء منهم نيقولاوس الدمشقي

وابو لام وارتيان وغيرهم ذكرهم اوسابيوس (في كتابه الموسوم بالاستمداد الانجيلي ك ٩ ف ١٩)

وبعد ان اقام ابرهيم في مصر نحو سنة على الاظهر عاد منها ومعه لوط ابن اخيه وقومه غنيًا بالماشية والذهب والفضة وقد احرزها بهدايا فرعون ونتاج قطعانه فحل في منزله الاول بين بيت ايل والعاي اشبه بقبائل الرحل في هذه الايام وتوفرت قطعان لوط ايضًا فوقع نزاع بين رعاته ورعاة ابرهيم عمه افضى الى ان يخير ابرهيم لوطًا في الجهة التي يريد الانطلاق اليها بقطعانه ورعاته فاختار لوط السهول التي على ضفات الاردن والبحر الميت التي كانت تسقى قبل ان ينزل الله رزاه بسدوم وعمورة فتوطن سدوم قصبة المدن الخمس المتعاهدة وهي سدوم وعمورة وادمة وصبوائم وصوعر وبعد ان انتزح لوط عن ابرهيم تجلى الله له مجددًا ووعده بان تكون له ذرية تشذ عن العدّ وتملك هذه البلاد وارتحل ابرهيم من محله وضرب خيامه في وطأ ممرا حذآء حبرون وابتنى هناك مذبحًا للرب على عادته حيثما حل وحبرون هي المعروفة الان بالخليل اي مدينة ابرهيم الخليل وهي على مسافة نحو من سبع ساعات في الجنوب من اورشليم وجاء في سفر العدد (ف ١٣ عد ٢٣) « وكانت حبرون قد بنيت قبل صوعن مصر بسبع سنين » وصوعن هي تانيس المعروفة الان بسان بجهة مصر الشرقية . وقيل في سفر يشوع بن نون (ف ١٤ عد ١٥) « وكان اسم حبرون قبلاً قرية اربع وهو اعظم رجل في العناقين » ومنه يظهر ان اربع احد جبابرة بني عناق هو اول من اختط اسس الخليل وسماها قرية اربع اي مدينته نسبة اليه

﴿ عد ١٥٥ ﴾

محاربة ابرهيم لكدرلاعومر واحلافه

ان ملخص ما جاء في الفصل الرابع عشر من سفر التكوين هو ان كدرلاعومر ملك عيلام كان اخضع لسلطته سكان وادي الاردن فاستمروا على الطاعة له اثنتي عشرة سنة وفي الثالثة عشرة عصوه فجيش عليهم في السنة الرابعة عشرة وغشا بلادهم يصحبه امرافل ملك شنعار واريوك ملك الاسار وتدعال ملك الامم وكان هولاء الملوك الثلثة احلافًا او اقيالاً لكدرلاعومر فضرب هولاء الملوك في مسيرهم قبيلة الرافائين في عشتروت قرنيم وعشيرة الزوزيين في هام والايميين في شوى قريتائيم . ثم الحوريين في جبلهم سعير الى سهل فاران الذي عند البرية • ثم جآوا الى عين مشفاط وهي قادس فضربوا كل ارض العمالقة والاموريين المقيمين في حصاصون تامار • فخرج اليهم ملوك المدن الخمس السالف ذكرها وهم بارع ملك سدوم وبرشاع ملك عمورة وشنآب ملك ادمة وشمبئير ملك صبوئيم وملك بالع وهي صوعر . فصافوهم للحرب في غور السديم فانهزم ملكا سدوم وعمورة فسقطا في آبار حُمر هناك والمراد انهما دُحرا وسقط بعض جنودهما في هذه الآبار لانه قيل في عد ١٧ ان ملك سدوم التقى ابرهيم بعد عوده وفر الباقون الى الجبل فغنمت عساكر كدرلاعومر جميع اموال سدوم وعمورة واخذوا بين اسراهم لوطًا ابن اخي ابرهيم وما له وافلت من اخبر ابرهيم بالنازلة فجرد حشمه المولودين في بيته ثلاثمائة وثمانية عشر وصحبه عانر واشكول وممرا حلفاؤه الاموريون وجد في أثر الغزاة الى وان وتفرق عليهم ليلاً هو وعبيده فكسرهم واتبعهم الى حوبة التي عن يسار دمشق فاسترجع جميع المال ولوطًا ابن اخيه (وسماه الكتاب هنا اخاه على حد تسميته سارة اخته) والنساء وسائر القوم

فهذه خلاصة ما جاء في الكتاب وكلفنا بتوفر الفائدة وزيادة البيان تقول لا يخفى ان عيلام هو ابن سام بن نوح وابو قبيلة العيلاميين التي استحوذت نحو سنة ٢٣٠٠ ق م على الممالك التي نشأت من تقسيم مملكة نمرود ولا جرم ان كدرلاعومر ملك عيلام هو احد ملوكها فان الجزء الاول من اسم كدرلاعومر وهو كدر قد ابانت الاكتشافات الحديثة انه سمي به كثير من ملوك العيلاميين منهم كدرنكودى وكدرمابوق وهذا حمل العالم اوبر على ان يسمي ملوك دولة العيلاميين هذه بالكدريين والجزء الثاني من هذا الاسم لاعومر هو اسم احد الالهة عند العيلاميين فجاء في احدى صفائح اشور بانيبال ذكر صنم لاعومر بين الاصنام التي اخذها هذا الملك من سوس بعد ان فتحها ومعنى كدر خادم او عبد ومعنى لاعومر الباقي او القيوم فيكون تأويل اسم هذا الملك خادم الاله القيوم او الباقي . وجعل سميت كدرلاعومر وكدرمابوق ملك الكلدان واحدًا سندًا الى وجدان قطعة من الآجر في اور الكلدانيين (ام قير) خط عليها « لاله اور من ملكها كدرمابوق المستحوذ على ارض المغرب » ويراد بارض المغرب على رأيه ارض الكنعانيين واذا لم يثبت رأي سميت هذا فلا اقل من ان يثبت بهذا الاثر ان احد ملوك الكدريين تسلط على بلاد كنعان ووجد اثر آخر كتب عليه ان « كدرمابوق اقام هيكلاً للاله سين اي القمر اله اور » ويسمي نفسه في بعض آثاره سيد سورية ويمات بعل اي بلاد عيلام وكل هذا ناطق بان ملوك هذه الدولة غزوا ارض كنعان كما فعل كدرلاعومر سواء كان هو كدرمابوق ام غيره . (فيكورو في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ١ صفحة ٤٥٩)

والظاهر من الآثار ان الملوك الثلثة الباقين كانوا احلافًا او اقيالاً خاضعين لكدرلاعومر فان صفائح اشور بانيبال تثبت ان دولة الكدريين العيلاميين

تولت بلاد بابل مدة طويلة لانه كتب انه افتتح مدينة سوس عاصمة العيلاميين واسترد تمثال الالهة نانا الذي كان قد اخذه كدرنكوندر او كودرناهونتا (كما مر عد ١٥١) ملك عيلام منذ الف وستمائة وخمس وثلاثين سنة وبقي عند العيلاميين وعليه فهذا الملك العيلامي كان يلي بلاد الكلدان نحو سنة ٢٢٨٠ ق م وقد مر ان كدرمابوق احد ملوك هذه الدولة سمى نفسه ملك اور الكلدانيين وبنى فيها هيكلاً ووجد في ضواحي بغداد تمثال من نحاس لاحدى الآلهات عليه اسم كدرمابوق وهو الان في متحف اللوفر في بريس وعلى رأي بعضهم ان ولاية العيلاميين في ما بين النهرين استمرت ٢٢٤ سنة بدؤها سنة ٢٢٨٧ ق م وكل هذا يبيّن لنا بياناً علمياً ايضاً صحة رواية سفر التكوين ان ملك عيلام كان اذ ذاك يلي بلاد الكلدان حتى كان بعميته في غزوته امرافل ملك شنعار التي هي بابل وقال الاب فيكورو (في المحل المذكور) ان اسم امرافل بابلي برمته مؤلف من كلمة امير ومعناه السيد او الامير كما في العربية ومن كلمة فال او بال او هابال ومعناها الابن فتحرير معنى الكلمة إبن الامير او الابن هو امير

واما اريوك ملك الاسار فكان للعلماء ومفسري الكتاب فيه اقوال متعددة متضاربة بل لم يكن لاحد ان يقطع بمن هو واين كان مالكاً الى ان جاءت الاكتشافات الحديثة مصرحة بمن هو وابن من هو واين كانت مملكته وناطقة بصحة رواية الكتاب ومخجلة بعض البرهانيين الذين زعموا ان هذه الحرب وانتصار ابرهيم فيها حكاية او رواية وهمية. فقال لانرمان (في كتابه في اللغة الاولى في بلاد الكلدان صفحة ٣٧٤) ان اريوك هو من تعبر عنه الخطوط المسمارية باريكو وان تأويل اسمه خادم الاله القمر وانه كان ملك لارسا واقامه ابوه كدرمابوق ملكاً فيها. فقد وجد اثر في ام قير (اور الكلدانيين) كتب عليه «كدرمابوق وابنه ارياكو . . . حاكم بلاد اور وملك لارسا

وسومير واكّد ، فقال سكردر (Schrder في تاريخ العهد القديم الصفحة ١٣٥) ، لا اشك البتة في ان اريوك ملك الاسار هو اريكو ملك لارسا نفسه وكان ابن كدرمابوق ملك اور وملك سومير واكّد كما يدلّ على ذاك اسم ابيـه كدرمابوق واسم جده سمتي سلهك وكان من ملوك الدولة العيلامية البابلية حليفة كدرلاعومر ، واما الاسار مدينته فلا ذكر لها في الاسفار المقدسة في غير هذه الاية واكثر الباحثين في الآثار الاشورية على انها لارسا مدينة بابل في شرقي ارك في الشمال الغربي من اور الكلدانيين وتعرف الان بسنقرة واقعة في وسط الطريق بين الفرات ودجلة وكان فيهـا هيكل الاله شمش (الشمس) فجعلها شهيرة بهذه العبادة من اقدم الايام (فيكورو في المجلد المذكور صفحة ٤٦٣)

واما الملك الاخير من حلفاء كدرلاعومر فيسمى في النص العبراني تدعال كما روينا لكنه يسمى في الترجمة السبعينية ترغال وكذا سماه يوسيفوس وفسر رولينسون (في معجم الكتاب لسميت) ولانرمان (في كتابه في اللغة الاولى في بلاد الكلدان صفحة ٣٧٧) هذه الكلمة بمعنى الرئيس الاعظم والشعب الذي كان يلي امره يسمى بالعبرانية كويم ولما كان معنى الكلمة في العبرانيـة الامم فجاءت في الترجمات مفسرة بها فوصفوه بملك الامم واكثر مفسري الكتاب على انه يراد بهم العشائر الرحل التي لا مقر لها وقال كلمت (في معجم الكتاب) ان المراد ملك جليل الامم في عبر الاردن . وقال الاب فيكورو (في المحل السالف ذكره) يحق لنا ان نظن ان كويم اسمٌ للبلاد التي نجد ذكرها مكررًا في الخطوط المسمارية مسماة كوتي ويراد بها على رأي رولينسون الصحراء الكائنة بين الفرات وسورية حيث تقيم عشائر الرحل واما سميت فقال اولاً انه يراد بهذه البلاد العربية ثم قال يراد بها بلاد اشور

وبقي ان ننظر في القبائل التي ضربها كدرلاعومر وحلفاؤه فقال اولاً انهم ضربوا قبيلة الرافائيين في عشتروت قرنائيم فالمراد بالرافائيين او الرافائيم الجبابرة القدماء الذين كانت مساكنهم في ما وراء الاردن وظن بعضهم انهم من ذرية رجل يسمى رافا فنسبوا اليه وقال غيرهم ان معنى كلمة رافائيم الجبابرة بلغة هولاء القوم القدماء وبقي من هذه القبيلة بقايا في عهد موسى اذ جاء في سفر يشوع بن نون (فصل ١٣ عد ١٢) « كل مملكة عوج في باشان الذي كان مالكاً في عشتروت وادرعي وهو من بقية الجبابرة الذين ضربهم موسى وطردهم » ولعل جليات الجبار الذي صرعه داود (ملوك ١ فصل ١٧) وغيره من الجبابرة كانوا من هولاء الرافائيين . وقد اطلنا الكلام في الجبابرة في عد ٢٤ فطالعه واما عشتروت قرنائيم مدينة هولاء فموقعها في عبر الاردن قال كامت (في معجم الكتاب في كلمة عشتروت قرنائيم) هي مدينة واقعة في ارض باشان او البثنية (كما سماها ابو الفدا) في نصيب نصف سبط منسا تبعد ستة اميال عن اذرع التي يسميها العرب اذرعات وقال بعضهم انها بصرى وسميت بهذا الاسم تكرمة لعشتروت معبودة الكنعانيين والرافائيين وكانوا يصورونها وعلى رأسها قرنان او نصف هلال فمعنى قرنائيم القرون

ثانياً قد ضرب كدرلاعومر وحلفاؤه عشيرة الزوزيين او الزوزيم في هام وهذه ايضاً من عشائر الجبابرة الذين كانت مواطنهم في عبر الاردن حيث سكن بعدهم العمونيون ويظن انهم الزمزميون الذين جاء ذكرهم في سفر تثنية الاشتراع (فصل ٢ عد ٢٠) حيث قيل « فاذا دانيت جهة بني عمون فلا تعادهم ولا تناصبهم فاني لست معطيك من ارض بني عمون ميراثاً لاني لبني لوط وهبتها ميراثاً » وهي ايضاً تحسب من ارض الجبابرة لان الجبابرة اقاموا بها قبلاً والعمونيون يسمونهم زمزميين وهم شعب عظيم كثير طويل القامات

كالعناقين ، واما هام فهي مدينة في بلاد العمونيين جنوبي البلقاء لم يتحقق الى اليوم موقعها وفي الترجمتين السبعينية واللاتينية العامية ان كدرلاعومر ضرب الزوزيين مع الرافائيين في عشتروت

ثالثا ضرب الغزاة عشيرة الايميين في شوى قريتائيم وهولاء عشيرة قديمة كانت مساكنها في عبر الاردن في جنوبي بلاد العشيرة السالف ذكرها وشرقي البحر الميت وتخلف لهم بسكناها الموابيون قال موسى في سفر التثنية (فصل ٢ عد ٩ الى ١١) « قال لي الرب لا تعادِ الموابيين ولا تناصبهم حربًا فاني لست معطيكم من ارضهم ميراثًا اذ لبني لوط وهبت عاد ميراثًا وكان الايميون قد اقاموا بها قبلاً وهم شعب كثير طويل القامات كالعناقيين . . . والموابيون يسمونهم ايميين » واما مدينتهم قريتائيم فكان موقعها في عبر الاردن على عشرة اميال عن ميدبا نحو الغرب على ما روى اوسابيوس وشوى بمعنى وادٍ او سهل وقد ورد ذكر قريتائيم في سفر العدد (فصل ٣٢ ع ٣٧) وفي سفر يشوع بن نون (ف ١٣ ع ١٩) بين المدن الواقعة في نصيب سبط رويين وقد استردّها الموآبيون منهم بعد مدة

رابعًا ضرب هولاء الملوك الحوريين او الحوريم في جبل سعير وقد سمي الجبل وهذه القبيلة التي كانت تسكنه باسم سعير الحورى الذي ذكره وذريته الكتاب في سفر التكوين (ف ٣٦ ع ٢٠ وما يليه) وهذا الجبل يمتد الى الشرق والجنوب من البحر الميت وقد ظعن اليه عيسو بعد ان افترق عن اخيه يعقوب اذ لم تسعهما ارض غربتهما لكثرة مواشيهما كما في الفصل السالف ذكره من سفر التكوين واقام ثمه الحوريون والادوميون ولد ادوم الذي هو عيسو وقال بعضهم انه سمي ادوم نسبة الى احتلاله عن هذه البلاد التي كانت تسمى ادوم قبله على ما يظهر من بعض الآثار المصرية وقد ذكر موسى جبل سعير والادوميين

في سفر تثنية الاشتراع (ف ٢ ع ١) حيث قال « درنا حول جبل سعير اياماً كثيرة ثم كلمني الرب قائلاً حسبكم ان تدوروا حول هذا الجبل فخذوا الى الشمال ومر الشعب وقل لهم انكم جائزون في تخوم اخوتكم بني عيسو المقيمين في سعير فسيخافونكم فتحرزوا جدًّا لا تناصبوهم فاني لست معطيكم من ارضهم شيئًا ولو موطئ قدم لان جبل سعير قد وهبته لعيسو ميراثًا ».

خامسًا ضربوا العمالقة والاموريين بعد ان رجعوا الى عين مشفاط وهي قادس وكانت مدينة الاموريين حصاصون تامار اما العمالقة فذهب بعضهم الى انهم من ذرية عماليق بن اليفاز من ذرية تمناع (تك ف ٣٦ ع ١٢) واليفاز هو ابن عيسو ولما كان عماليق هذا لم يولد الا مدة مديدة بعد ابرهيم فتأول هولاء اية الكتاب بمعنى ان كدرلاعومر ضرب سكان البلاد التي سميت بعد ذلك بلاد العمالقة نسبة الى عماليق بن اليفاز بن عيسو على ان المحققين صححوا ما رواه علماء العرب فقال بعض هولاء ان عماليق هو ابن حام بن نوح وانه ولد عادًا وعاد ولد شدادًا وشديدًا وقال ابن خلدون « قال ابن اسحق وكان للاوذ (وهو لود بن سام) اربعة من الولد وهم طسم وعمليق وجرجان وفارس » وقال ابو الفداء « وولد لسام عدة اولاد منهم لاوذ بن سام وولد للاوذ فارس وجرجان وطسم وعمليق الذي هو ابو العماليق ومنهم كان الجبابرة بالشام والفراعنة (اي الملوك الرعاة) في مصر » وقد نقل ابو الفداء قوله هذا برمته عن ابن الاثير في الكامل . وعليه فالاظهر والاقرب لنص الكتاب ان العمالقة الذين ضربهم كدرلاعومر ينتسبون الى عماليق آخر غير ابن اليفاز لا يتحقق أمن ولد حام هو ام من ولد سام لان الكتاب لم يذكر ولدًا للود بن سام ولم يذكر لحام ابنًا يسميه عماليق فقد يكون من احفادهم وقال لانرمان انه يظهر من اقدم التقليدات العربية ان اصل العمالقة من ذرية ارام ولوديم (او لوذ)

بن مصرائيم فهم من اصلين حامي وسامي ومهما يكن فهم اقــدم من عماليق حفيد عيسو . ويقوي هذا ما جاء في سفر العدد (ف ٢٤ ع ٢٠) حيث قيل في بلعام لما استدعاه بالق ملك الموآبيين ليلعن شعب اسرائيل انه « رأى عماليق فضرب مثله وقال اول الشعوب عماليق وعاقبته الى الهلاك » فوصفه عماليق بانه اول الشعوب لا يصدق على العمالقة لو كانوا من ولد اليفاز بن عيسو اذ لا يكون تعاقب عليهم حينئذٍ الا ثلثة او اربعة قرون . وايضـاً لو كان هولاء العمالقة من ذرية عيسو لونبهم موسى على تنكيلهم باخوتهم بني اسرائيل ولا أثر لهذا التونيب في اسفار موسى

واما عين مشفاط اي قادش فالاظهر ان موقعهـا على تخوم بلاد ادوم واطراف بلاد الكنعانيين وانه هناك كان خصام بني اسرائيل لموسى لقـلة الماء واخراج موسى الماء لهم من الصخرة الذي سمي ماء الخصومة (سفر العدد ف ٢٠) واسم مشفاط مشعر بشيء من ذلك لان معناه الخصومة او القضآء ويؤيده ما ورد في الفصل المذكور (عد ١٤) وهو ان موسى بعد معجزة اخراج الماء من الصخرة « انفذ رسلاً من قادش الى ملك ادوم » فاذًا قادش هذه كانت في جوار بلاد الادوميـين وقال هيرودت (ك ٣ ف ٥) « ان بلاد السوريين الذين يسمون فلسطينيين تمتد من فونيقي الى جبال قادش وما قادش على ما أري اقل اعتبارًا من سرد » مدينة اليونان

واما الاموريون فهم ولد الاموري الرابع من ابناء كنعان وكانت مساكنهم الجبال الواقعة في غربي البحر الميت وكانت لهم مواطن في شرقيه ايضًا وقد اخذ موسى هذه البلاد من ملكيهم سيحون ملك الاموريين وعوج ملك باشان كما سيجيء واما مدينتهم حصاصون تامار فيظن انهـا عين جدي المعروفة الان بهذا الاسم في غربي البحر الميت غير بعيدة عن اريحـا وتأويل حصاصون تامار

مدينة النخيل لكثرة اشجاره فيها (كلمث في معجم الكتاب)

واما دان التي وثب فيها ابرهيم وغلمانه على جيش الملوك الاربعة فشتت شملهم واسترد لوطاً وما غنموا من سدوم فوقعها في سفح لبنان الغربي وليست في محل بانياس بل على مقربة منه في محل تل القاضي وصوبا التي استمر ابرهيم يطارد اعداءه اليها موقعها في محل قرية المزة على مقربة من دمشق على ما رأى بوجولا (في مراسلات المشرق) الذي تجول في هذه المحال وتروى في البحث عنها . وغور السديم الذي تصافت فيه عساكر المتحاربين كان قريباً من سدوم وعمورة

عد ١٥٦

في ملكيصادق الذي التقى ابرهيم عند عوده من حرب الملوك

جاء في سفر التكوين (ف ١٤ ع ١٨) ان ملكيصادق ملك شليم خرج للقاء ابرهيم عند عوده من حرب الملوك وقدم خبزاً وخمراً لانه كان كاهناً لله العلي وبارك ابرهيم ودعا له ورفع ابرهيم اليه العشر من كل ما كان معه من المال . وقد توفرت الاقوال في اصل ملكيصادق هذا فروى القديس ايرونيموس ان اليهود يزعمون ان ملكيصادق انما هو سام بن نوح والقديس ابيفانيوس ان السامريين ايضاً يزعمون كذلك وقال ابو الفرج ابن العبري في تاريخ الدول ان ملكيصادق هو ابن عابر او احد احفاد سام وزعم بعضهم انه من ذرية حام وقال غيرهم انه ابن صيدون بن كنعان والاظهر والاشبه بالصواب ان ملكيصادق من ذرية سام وان عشيرته كانت احدى العشائر القليلة التي استمرت على الاعتقاد بوحدانية الله على ما رواه لانرمان (في مجلد ٦ صفحة ١٤٥) ولما كان الرسول قال في ملكيصادق (عبرانية فصل ٧ عد ٣) انه لم يذكر له اب ولا ام ولا بدء ايامه ولا منتهى حياته فتوهم بعض القدماء انه ملك او

خليقة سموية مع انه ليس المراد من كلام الرسول الا ان سفر التكوين اتى بذكره بغتة ولم يمهد له بذكر ابيه او نسبه ولم ينبئ بمولده ولا بمماته وقد شبه الرسول المسيح به من حيث الحبرية وفضله عليه بان حبريته تدوم الى الابد (عبرانية فصل ٧) وذكر المرتل ملكيصادق متنبئاً على المسيح بقوله « اقسم الرب ولم يندم انك انت كاهن الى الابد على رتبة ملكيصادق » (مزمور ١٠٩ عد ٤) وقال بعض الاباء منهم اكليمنضوس الاسكندري وكبريانوس ان الخبز والخمر لم يقدمهما ملكيصادق لابرهيم بل قدمهما محرقة لله شكراً له على نصره ابرهيم فكانت ذبيحته خبزاً وخمراً كذبيحة المخلص غير الدموية وتأويل ملكيصادق ملك البر ويسمى ملك شاليم اي ملك السلام كما فسر الرسول (عبرانية فصل ٧) والاكثرون على ان شليم يراد بها اورشليم وان ملكيصادق كان ملكاً على هذه المدينة وحبراً لله فيها ولكن ظن القديس ايرونيموس ان مدينة ملكيصادق هي مدينة سالم وكان موقعها بجانب نابلس وقال بعضهم انها ساليم التي ورد ذكرها في بشارة يوحنا (فصل ٣ عد ٢٣) حيث قيل « وكان يوحنا يعمد في عين نون بقرب ساليم لكثرة الماء هناك » والمعتمد عليه القول الاول بانها اورشليم

﴿ عد ١٥٧ ﴾

﴿ تجديد الله مواعده لابرهيم وولادة اسماعيل ﴾

شكر ابرهيم لله لنصره على الملوك وسائر الائه فتجلى له الرب في الرؤيا مشجعاً له ومجدداً وعوده فناجاه ابرهيم قائلاً ربي ما تعطيني وانا منصرف عقيماً وقيم بيتي اليعازر الدمشقي هو يرثني فقال له الرب لا يرثك هذا بل يخرج من صلبك من يرثك وتكون ذريتك كعدد نجوم السماء فصنع ابرهيم اذ ذاك بامر الله الحفلة الرمزية الدالة على توطيد العهد بين الله وبينه فذبح

بعض الحيوانات وشطرها انصافًا فرأى الرب مجتازًا بين ذبائحه بهيئة غمام ولهيب نار ليدل على تقبله ذبائحه وابرامه العهد معه وكان من عوائدهم في تلك الايام انهم اذا شأوا ابرام عهد ذبحوا ذبائح وشطروها ومر المتعاقدون بينها كانهم يقولون بلسان حالهم فليشطرنا الله كهذه الذبائح اذا لم تقم بوعدنا ونبرّ أيماننا وروى القديس افرام السرياني (في تفسيره سفر التكوين) ان هذه العادة استمرت عند الكلدان حتى ايامه . ثم انذر الله ابرهيم . بان نسله سيكونون غرباء في ارض ليست لهم (اي في ارض مصر) ويستعبدون لهم ويعذبونهم اربع مئة سنة ، وانه سوف يعاقب معذبيهم ويخرجهم بمال جزيل من بلاد مضطهديهم بعد القرن الرابع ويردهم الى ارض موعدهم

وبعد ان اقام ابرهيم عشر سنين في ارض كنعان ويئست سارة من ان تلد له ولدًا سألته ان يتزوج بهاجر المصرية امتها التي يظن انها كانت من جملة هدايا فرعون لابرهيم رغبًا في ان يكون له منها وارث ففعل ابرهيم وعلقت هاجر منه فهانت مولاتها في عينيها وشكت سارة امرها الى ابرهيم فقال لها هي امتك اصنعي بها ما يحسن لكِ فاذلتها سارة فهربت من وجهها وظهر لها ملك الرب وقال لها ارجعي الى مولاتكِ واتضعي لها ونبأها بان الابن الذي يولد لها تسميه اسمعيل ويكثر نسله وتكون يده على الكل ويد الكل عليه فعادت الى مولاتها وولدت اسمعيل وكان عمر ابرهيم اذ ذاك ستًا وثمانين سنة وتأويل اسمعيل سمع الله او استجاب

ولما صار ابرهيم ابن تسع وتسعين سنة وكان عمر اسمعيل ثلث عشرة سنة تجلى الله ايضًا لابرهيم ووعده بتكثير نسله واثبت عهده معه وغير اسمه ابرام الذي تأويله اب سام وجعله ابرهيم بدلالة على الجمع فيؤوّل بابي الجماعة او الاب العام وغير اسم ساراي الذي تأويله سيدتي او اميرتي بالاضافة الى

ضمير المتكلم وجعله سارة اي سيدة او اميرة وصرح لابرهيم بانه يعطيه منها ابنًا فضحك وقال في نفسه أ لابن مئة سنة يولد أم سارة وهي ابنة تسعين سنة تلد وسأل الله ان يحيي له اسمعيل فحقق الله له ان سارة تلد له ابنًا يسميه اسحق وانه يبارك اسمعيل وينميه ويلد اثنى عشر رئيسًا لكنه يقيم عهده مع اسحق لا مع اسمعيل (تك ف ١٥ و ١٦ و ١٧)

عد ١٥٨

في امر الله لابرهيم بالختان

جاء في سفر التكوين (فصل ١٧) ان الله امر ابرهيم ان يختتن كل ذكر منهم في اليوم الثامن بعد مولده علامة لعهده بينه وبينهم فاختتن ابرهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وختن ابنه اسمعيل وجميع مواليد بيته وسائر المشترين بفضته كل ذكر من اهل منزله • قال بعضهم كان الختان عند المصريين وغيرهم من الشرقيين قبل ابرهيم وليس من يقيم نكيرًا على اعتياد المصريين الختان قبل عهده وقد عرفه مدة اقامته بين اظهرهم وروى هيرودت (ك ٢ ف ١٠٤) ان الكلشيديين (الذين يعتبر هيرودت اصلهم من مصر) والمصريين والاحباش هم اقدم الناس في استعمال الختان وان الفونيقيين وسريان فلسطين يقرون بانهم اخذوا هذه العادة عن المصريين على ان قوله في اعتياد الفونيقيين الختان غير صحيح اذ جاء في نبوة اشعيا (فصل ٣٢ عد ٣٠) « هناك امراء الشمال كلهم وجميع الصيدونيين الذين هبطوا مع القتلى ... وهم غلف » اي غير مختونين واما قوله في المصريين فثابت بالنقول والآثار قال شباس (في مجلة الآثار القديمة مجلد ٣ صفحة ٢٩٨) انه اكتشف في الكرنك صورة تمثل اولادًا يجري عليهم الختان وعمرهم من ست سنين الى عشر وحقق فيلكنسون (Wilkinson) ان هذه الصورة من عهد الدولة الرابعة في مصر اي نحو سنة

٢٤٠٠ قبل الميلاد ويرجح ان المصريين استعملوا للختان موسى من حجر كما استعملت في عهد موسى ويشوع بن نون (خروج ف ٤ عد ٢٥) ويشوع (ف ٥ عد ٢) ولا موجب حينئذٍ لوضع الحجر موضع آلة الحديد او الفولاذ الا تقليد القدماء وهذا يحملنا على القول بان الختان كان منذ عصر الحجر اي قبل استعمال آلات القطع من نحاس او حديد او فولاذ

ان الله لم يقتصر في وحيه الى الآباء على ما كانوا يجهلون بل ارشدهم احيانًا ان يتخذوا طرائق يعرفونها من قبل ويبارك تلك الطريقة ويجعلها مقدسة فالذبائح مثلاً كانت معروفة من اقدم الايام قبل ان يوحي الى موسى كيفية تقدمتها وطريقة التعميد كانت معروفةً قبل ان يرفعها المخلص الى مقام السر ويؤيده تعميد يوحنا فكذا امر الله ابرهيم بالختان وكان عرفه في مدة اقامته في مصر الا انه كان عند المصريين وغيرهم امرًا صحيًّا تقصد به النظافة فجعله الله علامة لميثاقه مع ابرهيم وذريته وعليه فكان عند اليهود مأمورًا ولازمًا وكان عند المصريين وغيرهم اختياريًا ومستحبًا . وكان المصريون يختنون اولادهم في السادسة الى الرابعة عشرة من عمرهم ذكورًا واناثًا واما اليهود فيختتنون بحسب امر الله ابناءهم الذكور فقط في اليوم الثامن بعد مولدهم وكانت اكثر قبائل العرب قبل الاسلام ايضًا تستعمل الختان متصلاً اليها من اسمعيل وكان لوط اوصل استعماله الى العمونيين والموآبيين وعيسو الى الادوميين وقد حفظ الاحباش والقبط المسيحون عادة الختان بمنزلة تقليد لا علاقة له بالدين

﴿ عد ١٥٩ ﴾

ظهور الملائكة الثلاثة لابرهيم وسارة وانطلاقهم الى سدوم وتدميرها

انبأنا الكتاب في الفصلين الثامن عشر والتاسع عشر من سفر التكوين انه

بينما كان ابرهيم جالساً بباب خبائه عند بلوط ممرا نظر ثلاثة رجال وقوفاً امامه فبادر للقائهم وسجد لهم والحّ عليهم ان يضيفوه في خبائه فاولم لهم وظهر انهم من ملائكة الله وقالوا انهم سيعودون في السنة المقبلة ولسارة ابن فسمعت سارة وهي في الخباء فضحكت فلامها الملائكة لامترائها في ان الله على كل شيء قدير . وقام الملائكة من هناك واستقبلوا جهة سدوم ومضى ابرهيم معهم ليشيعهم فدخل اثنان منهم سدوم وبقي ابرهيم مع ثالثهم فاعلمه ما يحل بسدوم لتناهي اهلها في الفواحش فطفق ابرهيم يتوسل اليه الا يهلك البار مع الاثيم ولما لم يوجد هناك خمسون باراً ولا خمسة واربعون ولا اربعون ولا ثلاثون ولا عشرون ولا عشرة وكان الملاكان الاخران شهدا فحش اهل سدوم عياناً ولم ينجوا منهم الا بضربهما لهم بالعمى فاخرجا لوطاً وبنتيه وامرأته من سدوم وامطر الرب عليها وعلى ما جاورها من المدن كبريتاً وناراً فدمرها واباد سكانها ونجا لوط وبنتاه بفراره الى مدينة صغيرة سأل الملكين العفو عن تدميرها لانها صغيرة فسميت صوعر او زوعر (اي الصغير او الصغيرة) وكان اسمها قبلاً بالع والتفتت امرأة لوط الى ما ورائها خلافاً لامر الملكين فصارت نصب ملح وصعد لوط من صوعر فاقام في مغارة في الجبل وتوهمت بنتاه ان العالم باد كله بطوفان نارٍ ولم يبقَ فيه رجل الا ابوهما وانه يحل لهما مضاجعة ابيهما حفظاً للنوع وجرياً على ما كان بين ولد آدم ففعلت الكبرى بعد ما اسكرت اباها وضارعتها اختها في فعلتها فحملتا وولدت الكبرى ابناً سمته مواب ومعناه من ابي وهو ابو الموابين وولدت الصغرى ابناً سمته عمون ومعناه ابن شعبي وهو ابو العمونيين .

ذهب بعضهم ان مطر الكبريت والنار كوّنه الله في الجوّ بمعجزة وانزله على هذه المدن فاحرقها وذهب غيرهم وهو الاظهر ان ذلك كان انفجاراً

بركانياً عجل الله فيه حركة القواعل الطبيعية وقواها فكان هذا الانفجار الذي هو معجزة حقة عاقب الله بها اهل هذه المدن الاربع وهي سدوم وعمورة وادمة وصبوئيم لتناهيهم في الفواحش فاهلكهم ودمّر مدنهم وترى ثمه آثار هذا الانتقام الى الان ويرجح هذا المذهب ما قاله الكتاب (ف ١٩ عد ٢٧) وهو « فبكّر ابرهيم في الغد الى الموضع الذي وقف فيه امام الرب فتطلع الى جهة سدوم وعاموره وسائر ارض البقعة ونظر فاذا دخان الارض صاعد كدخان الاتون » وقد اثبت كثير من العلماء القدماء احراق سدوم وما جاورها منهم استرابون (في ك ١٦ من الجغرافية) وتاشيتوس (في ك ٥ من تاريخه) وقد ضارع كاتب السفر المنزل بوصفه سهول سدوم بالخصب وكثرة السكان وتدمير مدنها بنار من السماء ومنهم ايضاً سولين بوليستر (في ف٣٨ في اليهودية) وبلينيوس (في ك ٣ من التاريخ الطبيعي) ويوسيفوس (في ك ١ ف ١١ من تاريخ اليهود وك ٤ ف ٢٧ من تاريخ حربهم) وغيرهم . واخذ شعراء اليونان عن هذا التاريخ عدة روايات منها الرواية الشهيرة الموسومة برواية أُرفا واوريديس وقد اثبتها كثير من القدماء منهم ديودورس الصقلي (ك ٤ من مكتبته) واوفيد (ك ١٠ و ١١) وفرجيل (في اخر ك ٤ من اشعاره) وغيرهم . ثم رواية الشاعر سيمونيد ورواية فيلامون وبوشيس التي اثبتها اوفيد وملخصها ان المشتري وعطارد تنكرا فبلغا محلاً في جانب بحيرة كانت قبلاً ارضاً مأهولة فقرعا ابواباً فلم يُؤوِهما احد الى ان لقيا شيخاً اسمه فيلامون وامرأته واسمها بوشيس اكرما مثواهما واصلحا لهما مأكلاً وغسلا ارجلهما واعدّا لهما مرقداً وبعد ان تعشى الضيفان كشفا للشيخ وزوجه حقيقة حالهما وانهما سيدمران المدينة وما جاورها لفحش سكانها وينجيان مضيفهما وامرأته فقط وان يخرجا من البيت عاجلاً ويتبعاهما الى الجبل فبلغا سفحه فاذا البلاد تغرقت واصبحت بحيرة الا بيتهما

الصغير فتولاهما الغم لهلاك قومهما والمسرة لنجاتهما ولا اشكال ولا مرية ان هذا الكلام متحل عن الكتاب منيرًا فيه اسم الملكين باسمي المشتري وعطارد واسمي لوط وامرأته باسمي فيلامون وبوشيس (انتهى ملخصاً عن كلمت في معجم الكتاب في كلمة لوط)

قال بعضهم ان سدوم وما جاورها من المدن لم تدمرها النار فقط بل غطى ايضًا ارضها الماء الذي تكونت منه بحيرة لوط وعليه فكان موقعها محل البحيرة الان حتى عيّن بعضهم موقع سدوم تحت مياه الجانب الغربي من البحيرة واسند هذا القول ذووه الى ما جاء في نبوة ارميا (ف ٤٩ عد ١٨ وف ٥٠ عد ٣٨) وهو « كما قلب الله سدوم وعمورة وما جاورهما . . . فلا يسكن هناك انسان ولا يتغرب فيها ابن البشر » وفي نبوة عاموس (ف ٤ عد١١) « فقلبتكم كما قلب الله سدوم وعمورة فكنتم كشعلة منتشلة من الحريق » وفي نبوة صفنيا (ف ٢ عد ٦) « ليكوننّ مواب كسدوم وبنو عمون كعمورة ملكًا للقرّاص وحفرة للملح وخرابًا الى الابد » وقال اخرون ان موقع هذه المدن كان على شاطي البحيرة وانه جدد في ما بعد بناؤها ومن جملة ما استشهدوا به لقولهم توقيع ساويروس اسقف سدوم بين تواقيع الاساقفة على المجمع النيقوي الاول الذي عقد سنة ٣٢٥ للميلاد ولا يبعد ان بنيت هناك مدينة حديثة وسميت باسم القديمة وقد تكشف لنا اكتشافات هذا العصر العديدة عن وجه الحقيقة فقد روت بعض الجرائد ان لجنة علمية انكليزية تعنى بهذا الكشف وقال الاب فيكورو (في الموجز الكتابي عد ٣٥١ في الحاشية) « يظهر من الاكتشافات الحديثة ان بلاد سدوم كانت ممتدة من طرف بحر الميت الجنوبي الى شاطي الاردن الغربي . . . والاظهر ان موقع سدوم كان في جانب جبل اسدوم في الجنوب الغربي من البحر الميت ولم تغرق بالماء كما ظن

كثيرون فكانت حيث يرى الان كثير من قطع الملح المتبلور وقد اهتدى لينش الامريكي في هذا المحل الى عمود ملح منفرد فلعله تمثال امرأة لوط الذي ذكره يوسيفوس (كما سيأتي) وباقي المدن كان في سفح الجبل في الغور وصوعر كانت في مصب وادي الصافية او وادي الذراع ٠

واما قول الكتاب بان امرأة لوط صارت نصب ملح فذهب بعضهم الى ان مفهومه على ظاهره فقال يوسيفوس (في تاريخ اليهود في ك ١ ف ١١) ان هذا النصب او العمود كان يشاهد هناك الى ايامه وقال كلمت (في تاريخ العهد القديم) حقق بعض القدماء ان امرأة لوط صارت عمود ملح حقيقة لا تؤثر به التغيرات الجوية فاستمر يمثل امرأة وان في كتب بعض الجوالة ان سكان تلك البلاد دلوهم على هذا التمثال عن بعد ولكن ظهر لدى تفحص اقوالهم انها لا تخلو من مناقضات وحكايات ٠ وقال بعضهم ان موسى لم يشأ ان يقول الا امرأة لوط لابطائها في سيرها وتتالي التفاتاتها الى ما ورائها خلافاً لامر الملكين ادركها مطر الكبريت والنار فصارت كموميا مصر موعبة من القار والكبريت وزعم بعضهم ان المراد انه اقيم نصب من حجر ملحي على قبرها وزعم اخرون ان قول الكتاب رمزي يراد به ان امرأة لوط صارت نصب ملح رمزي يصلح فساد الناس عند تبصرهم بما حل بها لمخالفتها

❊ عد ١٦٠ ❊

ارتحال ابرهيم الى جرار ومولد اسحق

غادر ابرهيم ممرا في جانب الخليل وانتجع جرار في جنوب غزة وشرقي خان يونس وهي المعروفة الان باسم ام الجرار وكان ملكها حينئذٍ يسمى ابيملك ولقن ابرهيم سارة ان تقول انها اخته كما فعل عند انحدارها الى مصر وهام ابيملك بها فأخذت الى داره لكن الله ابتلاه بمرض منعه الدنو منها وقيل له في

الحلم انك هالك بسبب المرأة التي اخذتها فانها ذات بعل فاعتذر بجهله انها امرأة واستدعى ابرهيم فلامه على قوله انها اخته فقال ابرهيم « على الحقيقة هي اختي ابنة ابي غير انها ليست ابنة امي » وقد مر الكلام في هذا الشان في عد ١٥٤ فطالعه . فاعطى ابيملك ابرهيم غنماً وبقراً وعبيدًا واماء وردَّ عليه سارة امرأته وقال لسارة اعطيت اخاكِ الفًا من الفضة تكون لكِ حجاب عين حيثما ذهبتِ واذكري انكِ أخذتِ فكأنه يقول لتشتري حجابًا تغطين به وجهكِ حيثما ذهبتِ لئلا تؤخذي مرةً اخرى . وغصب عبيد ابيملك بئر ماء كان احتفرها رعاة ابرهيم فكان لذلك نزاع ادَّى الى معاهدة بين ابيملك وابرهيم واقام ابرهيم سبع نعاج من الغنم وحدها وقال لابيملك هذه سبع نعاج تأخذها من يدي لتكون شهادة لي باني حفرت هذه البئر ولذلك سمي ذلك المكان بئر سبع وما برح هذا اسمه الى الان فهناك حلف ابرهيم وابيملك وفيكول رئيس جيشه ابرامًا للعهد بينهم (تك ف ٢٠ و ٢١)

وولدت هناك سارة لابرهيم ابنًا سمته اسحق وهو لفظ عبراني معناه ضحك يشار به الى ضحك سارة عندما بُشِّرت بانها تلد ابنًا في شيخوختها وكان ابرهيم ابن مئة سنة وسارة بنت تسعين سنة حين ولد لهما اسحق وخُتن اسحق في اليوم الثامن من مولده بحسب امر الرب لابيه قال يوسيفوس (ك ١ ف ١١ من تاريخ اليهود) « ما برحت عادة الختان في اليوم الثامن يجري عليها اليهود على ان العرب لا يختنون ابناءهم الا في الثالثة عشرة من عمرهم تمسكًا بان اسمعيل جدهم لم يُختن الا في هذا العمر » وصنع ابرهيم مأدبة عظيمة في يوم فطام اسحق قال كلمت في تاريخ العهد القديم قال بعض اليهود القدماء لم يكن الاطفال يفطمون في ذلك العصر الا لاسنة الثانية عشرة بعد مولدهم وقال اخرون بل كانوا يفطمون في الخامسة من عمرهم والذي اراه انهم لم يكونوا

يرضعونهم الا سنتين او ثلثاً فاننا نرى ام المكابيين تقول لاحد ابنائها (مكابيين ٢ ف ٧ عد ٢٧) « قد ارضعتك ثلث سنين » وأفتى فقهاء اليهود بانه يلزم الام ان ترضع ولدها سنتين . ولا يتيسر ارضاع ولدين او ثلثة معاً اذا ولدت الام اولاداً في خمس سنين او اكثر

﴿ عد ١٦١ ﴾

خروج اسمعيل من بيت ابيه ابرهيم وزواجه وولده

كانت سارة تحب اسمعيل قبل ان تلد اسحق ولكن بعد ان ولدته خشيت ان يزاحم اخاه في ميراث ابيهما ورأته ذات يوم ساخراً فقالت لابرهيم اطرد هذه الامة وابنها من بيتك فسآء سؤالها ابرهيم ونكـده فقال الله له كل ما تقوله لك سارة فاسمع لقولها ولا يسؤك امر اسمعيل وامتك فانه سيكون من اسمعيل امةٌ لانه نسلك فدفع ابرهيم في الغداة خبزاً وقربة ماء الى هاجر فمضت مع ابنها تائهة في برية بئر سبع ونفد الماء من القربة وكادا يموتان عطشاً فهدى ملك الله هاجر الى بئر ماء فملأت القربة وسقته فشب اسمعيل في برية فاران وكان رامياً بالقوس واتخذت له امه امرأة من ارض مصر لان هـاجر مصرية وقد وهبها فرعون لسارة عند انحدارها مع ابرهيم الى مصر كما مر . وعن ابن خلدون في تاريخه « ان اسمعيل شبَّ بين قبيلة جرهم وتعلم اللغـة العربية منهم واعجبهم وزوجوه امرأة منهم وماتت امه هاجر فدفنها في الحجر » ولعل امرأته الجرهمية غير المصرية التي ازوجته بها امه كما قال الكتاب . وروى ابن الاثير في الكامل وابو الفدا وغيرهما زواج اسمعيل بامرأة من بني جرهم وقالوا ان الماء الذي اهتـدت اليه هاجر انما هو بئر زمزم نبعت من دحض اسمعيل الارض بقدميه وقال ابن خلدون عن السدي ان جبرائيل هو الذي همز له الماء بعقبه . ومما قالوه ان ابرهيم كان يزور اسمعيل وانه وجد له امرأة

فظة غليظة فاوصاها لاسمعيل بان يحول عتبة بابه واراد به ان يطلقها فطلقها وتزوج اخرى ولما زاره ابوه في غيبته احسنت تحيته ومثواه فاوصاها ان تقول لاسمعيل بانه رضي عتبة بابه ففهم منه انه يريد امساكها فامسكها (ابن خلدون في تاريخه) وان الله امره ببناء الكعبة وهي البيت الحرام وان يعينه اسمعيل عليه وان هذا البيت استمر على ما بناه ابرهيم الى ان هدمته قريش بعيد ظهور الاسلام (ملخص عن ابي الفدا في التاريخ)

وذكر الكتاب اسماء بني اسمعيل (تك ف ٢٥ عد ١٣) فقال « نبايوت بكر اسمعيل وقيدار وادبئيل ومبسام ومشماع ودومة ومسا وحدار ويتما ويطور ونافيش وقدمة . . . اثنا عشر زعيماً لقبائلهم » وولد له بنت اسمها بسمة تزوجها عيسو ابن عمها اسحق (تك ف ٣٦ عد ٣) والذي ذكره ابن الاثير في الكامل ان السيدة بنت مضاض الجرهمي « ولدت لاسمعيل اثنى عشر رجلاً نابت وقيدار وازبل وميشا ومسمع ودما وماش وآزر وقطورا وقاقس وطميا وقيدمان ومن نابت وقيدار ابني اسمعيل نشر الله العرب » اي العرب المستعربة واكثرهم على ان اسمعيل هو جد هذه الطبقة من العرب قال ابو الفدا (في تاريخه) « وقيل لهم العرب المستعربة لان اسمعيل لم تكن لغته عربية بل عبرانية ثم دخل في العربية فلذلك سمى ولده العرب المستعربة » واختلط هؤلاء بالعرب العاربة الذين هم من ذرية يقطان او قحطان بن عابر ابن شالح بن ارفخشاد بن سام بن نوح

﴿ عد ١٦٢ ﴾

امتحان ابرهيم بذبح ابنه اسحق

لم ينبئنا الكتاب شيئاً عن ابرهيم بعد مولد اسحق الى امتحان الله له بذبحه وكان عمر اسحق اذ ذاك خمساً وعشرين سنة على ما روى يوسيفوس (في

تاريخ اليهود ك ١ ف ١٣) وقال بعضهم كان عمره اكثر من ذلك وقد مكث ابرهيم في كل هذه المدة في جرار وبرية بئر سبع خلافاً لمن زعموا ان ابرهيم كان قد عاد الى حبرون عند امتحانه بذبح ابنه تمسكاً بآية الكتاب (تك ف ١ عد ٣٤) « ونزل ابرهيم ارض فلسطين اياماً كثيرة » مع ان بئر سبع وما جاورها من ارض فلسطين ايضاً ومضيه لذبح ابنه من جرار لا من حبرون ظاهر من قول الكتاب انه لم يبلغ جبل مورية الذي هو في اورشليم الا في اليوم الثالث بعد سفره ولو كان مضى من حبرون التي هي الخليل لبلغ في يوم واحد ولا اكثر من يومين ويظهر ذلك ايضاً من قول الكتاب (تك ف ٢٢ ع ١٩) « ثم رجع ابرهيم الى غلاميه (من جبل مورية) فقاموا ومضوا معاً الى بئر سبع واقام ابرهيم ببئر سبع » فاذاً من بئر سبع بكّر ابرهيم واكف حماره واخذ معه غلامين واسحق ومضى الى الموضع الذي اشار له الله اليه وهو ارض مورية وفي اليوم الثالث رفع ابرهيم طرفه فابصر الموضع من بعيد وترك الخادمين مع الحمار في سفح الجبل واخذ اسحق وجعل حطب المحرقة عليه فقال له اسحق هذه النار والحطب فاين الحمل للمحرقة فقال له الله يرى له الحمل لها ولما افضيا الى الموضع المعين بنى ابرهيم المذبح ونضد الحطب واوثق اسحق والقاه على المذبح واخذ السكين ليذبح ابنه فناداه ملاك الرب ان لا تمدد يدك الى الغلام ورفع طرفه فاذا بكبش وراءه معتقل بقرنيه فاخذه واصعده محرقة بدل ابنه ونادى ملاك الرب ابرهيم ثانيةً قائلاً بنفسي اقسمت يقول الرب بما انك لم تذخر ابنك وحيدك لاباركنَّك واكثرنَّ نسلك كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطي البحر ويتبارك بنسلك جميع امم الارض ورجع ابرهيم الى بئر سبع كما مر . واما جبل مورية فقال بعضهم هو المحل الذي بني فيه بعدُ هيكل سليمان وقال آخرون هو جبل الجلجلة وزعم السامريون انه جبل غريزيم حيث

بني بعدُ هيكلهم

﴿ عد ١٦٣ ﴾

في موت سارة ودفنها في المغارة المضاعفة

عاد ابرهيم من بلاد جرار فاقام في حبرون (الخليل) حيث كان اولاً وادركت المنية سارة وعمرها مئة وسبع وعشرون سنة قبل زواج اسحق ابنها فاقبل ابرهيم يبكيها وسأل بني حث وهم فصيلة من الحثيين كما مر ان يملكوه ارض قبر ليدفنها ويتبين منه انه استمر الى يومئذ من الرحل لا يملك ارضاً فاجابوه انما انت زعيم الله في ما بيننا في خيار قبورنا ادفن ميتك فقال اسألوا لي عفرون بن صوحر ان يعطيني مغارة المكفيلة (المضاعفة من كَفَل او كِبِل العبرانية بمعنى ضاعف) التي له في طرف حقله بثمن كامل وكان عفرون جالساً بين القوم فقال لابرهيم الحقل قد وهبته لك والمغارة التي فيه ايضاً هبةً لك مني على مشهد بني قومي فتبصر ما اقدم هذه المجاملات في بلادنا وما برحت تجري فيه فان عفرون ذكر بعدًا ان ارضه تساوي اربع مئة مثقال فضة فوزن له ابرهيم الفضة التي ذكرها مما هو رائج بين التجار فصار هذا الحقل ملكاً لابرهيم دفن فيه امرأته سارة في المغارة المضاعفة ودُفن بعدها هناك ابرهيم واسحق ولية ويعقوب بعد نقل جثته من مصر واما راحيل فدفنت على مقربة من بيت لحم ورفقة لم يذكر الكتاب مدفنها ولكن روى يوسيفوس (ك ١ ف ١٩) انها ايضًا دُفنت في هذه المغارة

روى الاب فيكورو (في كتابه الموسوم بالكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ١ صفحة ٤٨٦) ان موقع المغارة المضاعفة معروف بعينه فهي في جامع الخليل المعروف بجامع ابرهيم ويحدق به سور رفيع من ابدع اثار فلسطين وقد حمل على العجب جميع الجوالة الاوربيين من سائح بردو الذي طاف هذه البلاد

سنة ٣٣٣ للميلاد الى العالِم دي فوكوا الذي تعهدها منذ بضع سنين وقد سمح الباب العالي للامير دي غال ولي عهد انكلترا سنة ١٨٦١ ان يزور هذا المقام لكنه رأى مدخل المغارة ولم يدخلها . ثم اجاز ذلك للمركيز دي بوت الانكليزي سنة ١٨٦٦ ولوليّ عهد المانيا فريدريك الثاني سنة ١٨٦٩ فلم يتمكنا من ان يطرفانا بنبأٍ مهم عن داخل المغارة . على ان بياروتي المهندس الايطالي احد مستخدمي الدولة العلية وفّق لان يدخل جامع ابرهيم ثلث مرات في ٨ ت ٢ سنة ١٨٥٦ ثم في ٧ ك ٢ و ٢٥ آب سنة ١٨٥٩ على ان ما اتحفنا به قليل الاهمية منه اكتشافه ان المغارة مضاعفة حقيقة لانقسامها الى طبقتين عليا وسفلى ومنه رؤيته بعض المدافن عن بعدٍ . بيد انه قد تلي في جمعية الكتابات القديمة في ٢٦ ك ٢ سنة ١٨٨٣ خطاب حوى فقرة تاريخية من كتاب مجهول مؤلفه وقد خط في القرن الثاني عشر اذ كان الصليبيون في فلسطين وملخص تلك الفقرة ان راهبًا اسمه ارنول كان يسكن دير حبرون اهتدى في سنة ١١٢٠ الى عظام الآباء في المغارة المضاعفة اذ امره رئيسه ان يبحث في ارضها فبحث فوجد اولاً عظام يعقوب ثم وجد في القرب من موضع رأسه مغارة اخرى لقي فيها بقايا ابرهيم واسحق ولدن كشفه هذا الكنز اسرع يبشر الرئيس واخوانه به فشملهم السرور واقاموا الصلوة والشكر لله واقفل الرئيس باب المغارة كيلا يدخلها احد دون اذنه وبعد ان اتم الاب فيكورو رواية هذه الفقرة قال لو بينت انا هذه الشهادة بمَ عرف الراهب ارنول ان العظام التي وجدها هي بقايا اولئك الاباء لحسبناها قاطعة فترك هذا البيان يجعل الشهادة قاصرة مشكوكًا فيها ولاسيما ان الكتاب اثبت ان جثة يعقوب حنطت تحنيط المصريين موتاهم فلمَ لم يجد ارنول الا عظامه وبمَ عرفها

وهل يراد بالاربع مئة المثقال من الفضة التي دفعها ابرهيم فضة مسكوكة

او وزن منها ففي ذلك نظر فمادة وزن الفضة جرى عليها الكلدان والكنعانيون وكلمة شقال العبرانية المستعملة في هذه الآية معناها الوزن ويراد بها احيانًا نوع من المسكوكات ولا نجد اسم المثقال في التوراة قبل هذه الآية وقد عبر الكتاب عما دفعه ابيملك الى سارة بالف من الفضة دون ذكر المثقال ومهما يكُ من الامر فلا نجد في الكتاب ذكرًا للنقود المسكوكة الا بعد السبي البابلي واول من بدأ بسك الدراهم عند اليهود انما هو سمعان المكابي وكان عند المصريين في عهد ابرهيم خواتم من ذهب وفضة ترى صورها على اثارهم وكانت متساوية وزنًا فيتعاملون بها تعاملنا بالنقود ولا يعلم ماكانت قيمة الفضة حينئذٍ في فلسطين فلا يعلم قدر ما دفعه ابرهيم الى عفرون ولكن اذا عُدّل ان المثقال كان يساوي فرنكين واربعة وثمانين سنتيماً كما كان في ايام المخلص كان الثمن الذي دفعه ابرهيم الف ومائة وستة وثلاثين فرنكاً (ملخص عن كتاب فيكورو في المحل الانف الذكر)

عد ١٦٤

زواج اسحق

لما طعن ابرهيم في سنه استدعى اليعازر الدمشقي قيّم بيته وقال له ان ضع يدك تحت فخذي وهذه اشارة لليمين استعملها ابرهيم ويعقوب حفيده مرادًا بالفخذ فيها على ما فسر الحجري الولادة والحياة فكأن الحالف يقول اعدمني الله الحياة ان لم ابرّ في يميني واستحلف ابرهيم اليعازر ان لا يزوج ابنه اسحق بنت من الكنعانيين بل يذهب الى ما بين النهرين ويختار له زوجة من عشيرته وحذّره من ان يرد ابنه الى هناك فاخذ اليعازر عشرة جمال من جمال مولاه وحلياً وهدايا وبلغ حاران مساءً واناخ الجمال عند بئر الماء وصلى الى الله ان يجعل الفتاة التي يسألها ان تسقيه وتقول له اشرب وانا اسقي جمالك ايضاً

تكون من اعدها الله زوجة لعبده اسحق وقبل فراغه من صلاته وفدت رفقة بنت بتوئيل بن ناحور اخي ابرهيم فسألها ان تسقيه فاسرعت وانزلت جرتها على يدها وسقته وقالت استقي لجمالك ايضاً فتيقن انها من اعدّها الرب امرأة لابن مولاه واخذ خرصاً من ذهب وزنه نصف مثقال وسوارين ليديها وزنهما عشرة مثاقيل ذهب فدفع ذلك اليها ويستدل من هذا على قدم عادة التحلي بالخرص والسوار وهل كان الخرص يعلق بالانف او الاذنين فالظاهر انه كان حلية للانف وتلك عادة قديمة حفظها العرب وغيرهم من الشرقيين الى الان ودليله صغر الخرص وكونه فردًا ولو كان للاذنين لكان زوجًا ووزنه اكثر من نصف مثقال ويؤكده قول الكتاب بعد ذلك « جعلت الخرص في انفها » (تك ف ٢٤ ع ٤٧) واسرعت رفقة فاخبرت اخاها لابان واتى الى البئر يدعو اليعازر للضيافة فاتى ولم يشأ ان يذوق طعامًا قبل ان يصرح بمقصده فقضوا سؤاله وارتضت رفقة ان تمضي معه في اليوم التالي فسار بها تصحبها جواريها وكان اسحق يوم وصلوا خرج الى الصحرآء فرأى الجمال مقبلة ورفعت رفقة طرفها واذ عرفت انه اسحق نزلت عن الجمل واخذت النقاب فاستترت به وهذا دليل على قدم العادة في استتار النساء في المشرق ولاسيما عند اللقاء بمن يخطبهنّ فادخلها اسحق خباء سارة امه وصارت له زوجة فاحبها وتعزى بها عن امه (تك ف ٢٤)

﴿ عد ١٦٥ ﴾

زواج ابرهيم بقطورة وولده منها وموته

قال الكتاب (تك ف ٢٥ ع ١) « عاد ابرهيم فاخذ زوجةً اسمها قطورة فولدت له زمران ويقشان ومدان ومدين ويشباق وشوحًا » قال علماء اليهود ليست قطورة الا هاجر نفسها استردها ابرهيم بعد وفاة سارة . وظن بعضهم ان

قطورة كنعانية اصلاً وقال ابن خلدون انها بنت يقطان من الكنعـانيين وروى عن السهيلي انه كان لابرهيم اولاد اخرون خمسة من امرأة اسمها حجين او حجون بنت اهيب وان الطبري سمى هذه المرأة الاخرى رعوة وفي قولهم هذا نظر ولا أُراهُ يضاد الكتاب بل في الكتاب اشارة اليـه بقوله (عد ٥) « واعطى ابرهيم جميع ماله لاسحق ولبني السراري التي لابرهيم وهب ابرهيم هبات وصرفهم عن اسحق ابنه في حياته شرقًا الى ارض المشرق» ومن الغريب ان يتزوج ابرهيم بقطورة وعمره مائة واربعون سنة وان يولد له ستة اولاد ، فقال بعضهم منهم القديس اغوسطينوس (في لك ٣ ردًا على يوليانوس) ان الله حفظ فيه قوته على كبر سنه تكثيرًا لنسله وقال آخرون انه تزوج بقطورة قبل وفاة سارة فكانت سرية جعلها امرأة بيته بعد موت سارة وفي الاية الانف ذكرها اشارة الى هذا. وقال كلمت ان الاصل العبراني يحتمل ان يترجم « وكان ابرهيم اخذ زوجة اسمها قطورة » الى آخر الاية

وكان ابناء ابرهيم اصولاً لبطون وفصـائل من العرب ومن مدان ومدين المدينيون الذين كانت مواطنهم في شرقي البحر الميت وجنوبي بلاد مواب وكانت عاصمة بلادهم تسمى مدين ايضًا وهم الذين ضربهم موسى واثخن في ارضهم وقتل فنحاس بامره ملوكهم الخمسة وسبى نساءهم واطفالهم عقاباً لاغراء بناتهم بني اسرائيل بالفحشاء وعبادة بعل فغور كما في سفر العدد (ف ٢٢ و ٢٥ و ٣١) وهم الذين كسرهم هدد بن بدد ملك ادوم كما جاء في سفر التكوين (ف ٣٦ عد ٣٥) وقد ضايقوا بني اسرائيل في عهد القضاة فكسرهم جدعون وبدد شملهم (قضاة ف ٦ و ٧) وكان مدينيون آخرون يسكنون في الجانب الشرقي على البحر الاحمر والى بلادهم فرَّ موسى من وجه فرعون وتزوج منهم بصفورة بنت يترو كاهن مدين الذي يسميه المؤرخون العرب شعيبـاً ولاهل العلم في

اصل هولاء قولان فمن قائل ان اصل كل المدينيين واحد وهو مدين بن ابرهيم من قطورة وبه قال كثير من المؤرخين العرب منهم ابن الاثير في الكامل حيث روى عند ذكر اولاد ابرهيم ان « اهل مدين قوم شعيب من ولد مدين » وهو الظاهر من كلام العلامة لانرمان (في كلامه على بني اسرائيل) اذ جعل المدينيين قبيلة واحدة مواطنها بين البحر الميت وخليج البحر الاحمر ومن قائل ان اصل المدينين سكان شواطي البحر الاحمر من ولد كوش بن حام وقد استدل بان الكتاب وصف (سفر العدد ف ١٢ ع ١) صفورة امرأة موسى المدينية بكوشية او حبشية ويظهر من قول حبقوق النبي (ف ٣ ع ٧) « رأيت اخبية كوش تحت البلاء وشقق ارض مدين رجفت » ان اسمي كوش ومدين مترادفان ولا اقل من ان بلاد احدهما تتاخم بلاد الاخر وقد ذكر المؤرخون العرب هذا الخلاف منهم ابو الفدا حيث قال في تاريخه « وقد اختلف في نسب شعيب (حمي موسى المديني) فقيل انه من ولد ابرهيم الخليل وقيل من ولد بعض الذين امنوا بابرهيم » وكذا في الكامل لابن الاثير عند ذكره شعيب .

وقد توفى الله ابرهيم وله من العمر مئة وخمس وسبعون سنة ودفنه ابناه اسحق واسمعيل في المغارة المضاعفة للسنة الخامسة او السادسة بعد ان ولد اسحق عيسو ويعقوب . (تك ف ٢٥ ع ٧)

الفصل الثاني

(في اسحق وابنيه يعقوب وعيسو)

﴿ عد ١٦٦ ﴾

﴿ في اسحق ﴾

ذكرنا في تاريخ اسحق خبر مولده وزواجه وجل ما بقي من اخباره انه تزوج وعمره اربعون سنة واستمر تسع عشرة سنة لم يرزق ولدًا فصلى واستجاب الرب سؤله فحملت رفقة امرأته فولدت توأمين فخرج الاول اكلف اللون كله كفروة شعر فسموه عيسو ثم خرج اخوه ويده قابضة على عقب عيسو فدعي يعقوب اي المعقب (وهو من يجيء بعقب الاخر) واحب اسحق عيسو واحبت رفقة يعقوب وكان عيسو صيادًا ويعقوب رجلاً سليماً مقيماً بالخيام فطبخ يعقوب عدساً واتى عيسو من الصحراء وهو قد اعيا فرغب الى اخيه ان يطعمه من طبخه فابى الا ان يبيعه بكريته فحلف له على بيعه اياها منه فاكل واستخف بالبكرية . وحدث جوع غير الذي كان في ايام ابرهم فمضى اسحق الى جرار وكان ملكها اسمه ابيملك والاظهر انه غير ابيملك الذي كان في ايام ابيه على ما في معجم الكتاب لفيكورو (في كلمة ابيملك) وسأله اهل الموضع عن رفقة فقال هي اختي خشية ان يقتلوه شغفًا بجمالها كما قال ابوه عن سارة امه وبالمعنى نفسه اي انها من ادنى اقربائه اليه واطلع ابيملك على انها امرأته فعتبه على مواراته الحقيقة . وزرع اسحق في تلك الارض فاصاب في تلك السنة مئة ضعف وهذه اول آية في الكتاب انبأتنا بان ابناء ابرهيم باشروا الزراعة . وعظم شأن اسحق وتوفرت ثروته فحسده اهل جرار واخذوا يردمون الابار

التي حُفرت في ايام ابيه او حفرها رعاة ماشيته فقال ابيملك لاسحق اخرج من عندنا لانك اصبحت اقوى منا جدًا فمضى واقام في وادٍ في اطراف جرار ثم شخص الى بئر سبع فتجلى له الرب مجددًا وعده بتكثير نسله فذهب اليه ابيملك وبعض حاشيته راغبًا في محالفته فاولم لهم اسحق وحلف كل منهما لصاحبه واخبره عبيده انهم وجدوا ماء . فدعاها الشبع ولذلك اسم المدينة بئر سبع الى اليوم . وقد مر (في عد ١٦٠ اعتمادًا على ١٠ في التكوين ف ٢١ ع ٣١) ان هذا المكان دُعي بئر سبع نسبة الى النعاج السبع التي اقامها ابرهيم توثيقًا لعهده مع ابيملك فلا خلاف بين الآيتين فيظهر ان اهل جرار كانوا قد ردموا بئر سبع كما ردموا غيرها من الآبار فحفرها عبيد اسحق ثانية وسماها الشبع فلكلمة سبع او شبع في لغتهم معنيان السبعة اسم العدد والشبع فسميت البئر في ايام ابرهيم بئر سبع نسبة الى النعاج السبع وسميت في ايام اسحق بئر سبع اي بئر الشبع من الماء حيث بنيت مدينة سميت بهذا الاسم كما قال موسى (تك ف ٢٦ ع ٣٣)

ولما شاخ اسحق وكلّت عيناه عن النظر رغب الى ابنه عيسو ان يأتيه بشيء من صيده ويصحله له طعامًا ليأكل منه ويباركه فعرفت رفقة فاصلحت له ما يحب من الوان المأكل وقدمته له مع يعقوب بعد ان كست يديه وملاسة عنقه بجلد المعز وقال لابيه انه ابنه عيسو فخُدع اسحق بلمسه فنال يعقوب بالمكر بركة ابيه ولما اتى عيسو احتدم غيظًا على اخيه لمخادعته اباه وسبق يعقوب له الى بركته . قد توفرت اقوال الاباء ومفسري الكتاب في ما اذا كان أثم عيسو ببيع بكريته واثم يعقوب بمشتراها وبقوله لابيه انه عيسو بكره الى سائر ما صنعه لينال البركة التي كان اسحق وعد عيسو بها واظهر الاقوال في هذه المباحث ان عيسو أثم بشراهته واستخفافه ببكريته ولم يأثم يعقوب بمشترها

لانهما توأمان فلهما الحق سويًا لا سيما لانه لا بد ان اعلمته رفقة امه بما قال لها ملاك الرب وهي حبلى « ان في جوفك امتين ومن احشائك يتفرع شعبان شعب يقوى على شعب وكبير يستعبد لصغير » (تك ف ٢٥ ع ٢٣) ومفاده ان حق التقدم والبكرية له بامر الله فلا حرج عليه ان توسل الى حقه بطريقة ظاهرة وهي الشراء واما قوله لابيه انه عيسو بكره فلا يبرأ من الكذب لكنه عرضي لعدم مضرته باخيه فهو الاولى ببركة ابيه بحسب تدبير الله ويظهر ان اسحق كان موقنًا بذلك فلم يباركه بعد انجلاء الحقيقة له بركة يعقوب مع لجاجته في التماسها بل اثبت البركة ليعقوب وبهذا المعنى قال الرسول (رومة ف ٩ ع ١١) « فانه قبل ان يولد الولدان ويعملا خيرًا او شرًا . . . قيل لها (لرفقة) ان الكبير يستعبد للصغير كما كتب اني احببت يعقوب وابغضت عيسو » (ملخص عن معجم اللاهوت لبرجيا وعن تفسير الحجري لسفر التكوين)

فحقد عيسو على يعقوب واضمر في نفسه قتله وعرفت رفقة بما كنه فاستدعت يعقوب واوعزت اليه ان يهرب الى لابان اخيها خاله في حاران وزينته الى اسحق بان قالت له « قد سئمت حياتي من اجل ابنتي حث (اللتين تزوج بهما عيسو) فان تزوج يعقوب بامرأة من بنات حث مثل هاتين او من بنات سائر هذه الارض فما لي والحياة » فاستدعى اسحق يعقوب وباركه واوصاه ان لا يأخذ امرأة من بنات كنعان بل ان يمضي الى حاران ويتزوج بامرأة من بنات خاله لابان فمضى يعقوب الى حاران هربًا من وجه اخيه ورغبًا في ان يتزوج بامرأة من بنات خاله واما عيسو فلما رأى ان زواجه بامرأتين حثيتين ينكد والديه مضى الى اسمعيل عمه في بلاد العرب فتزوج بنته محله (كذا في التكوين ف ٢٨ ع ٩ لكنها سميت بسمه في ف ٣٦ ع ٣ ولعله كان لها اسمان) واما اسحق فاستمر حيًا الى ان عاد يعقوب من حاران بعد ان اقام ثمة عشرين سنة

وتوفاه الله وله من العمر مائة وثمانون سنة ودفنه عيسو ويعقوب ابنـاه في مدفن ابيه ابرهيم في المغارة المضاعفة

عد ١٦٧

ارتحال يعقوب الى حاران وزواجه فيها وولده

قد قص الكتاب اخبار رحلة يعقوب الى حاران في الفصل الثامن والعشرين من سفر التكوين الى الفصل السادس والثلاثين منه فكان ملخصها ٠ خرج يعقوب من بئر سبع وبات في موضع قفر فرأى حلماً كان سلماً منتصبـة على الارض وراسها الى السماء وملائكة الله تصعد وتنزل عليهـا والرب في اعلاها يعده بكثرة النسل وبتمليكه وذريته تلك الارض وبرده اليها غانماً موفقاً فاستيقظ يعقوب مرتعشاً وقال ما هذا الأ بيت الله واخذ الحجر الذي كان وضعه تحت راسه واقامه نصباً وسمى ذلك الموضع بيت ايل اي بيت الله وهو المحـل المعروف الان ببيت ابن في شمالي البيري (طالع عد ١٥٣) قريباً من رام الله وسار يعقوب الى ان بلغ البئر التي منها تسقي ماشية حاران فسأل الرعاة هل يعرفون لابان او سالم هو فقالوا هو سالم وهذه راحيل ابنته آتية مع غنم ابيهـا وكان على فم البئر حجر عظيم يجتمع الرعاة لدحرجته فلما اقبلت راحيل دحرج يعقوب الحجر وسقى غنم خاله واخبر راحيل انه ابن عمتهـا رفقة فاسرعت واخبرت اباها فاتى للقائه وعانقه ومضى به الى منزله واحب يعقوب راحيـل وخدم اباها سبع سنين يرعى ماشيته الى ان زف اليه لية اختها الكبرى خدعة بحجة ان العادة في بلادهم ان لا تزوج الصغرى قبـل الكبرى ووهب لابان زلفة امته امة للية ابنته ثم خدمه سبع سنين اخرى براحيل فازوجه اياها ووهبها بلهة امته امة لها ٠ ثم خدمه ست سنين ليستوفي اجرته واتفقـا ان يعزل من الضان والمعز كل ارقط وابلق وادهس ويسلم الى بني لابان مفروزاً وان تستمر

بقية الغنم والمعز يرعاها يعقوب وما كان من نتاجها ارقط او ابلق او ادهس كان اجرة له وما كان من النتاج ابيض او اسود فهو للابان فاخذ يعقوب عصي لبنى رطبة ولوز ودلب وقشر فيها خطوطاً بيضاء وجعلها تجاه الغنم في مساقي الماء فكانت توحم الضان والمعز على العصي المقشرة فتلد بهاماً مخططة ورقطاء وبلقاء وكان يضع ذلك في الربيع ويتركه في الخريف ليكون قسم من النتاج له وقسم لخاله وقد حقق الاباء اللاتينيون وكثير من العلماء ان الوسيلة التي استعملها يعقوب لا شيء من المعجزة فيها بل هي امر طبيعي اثبته العلماء بذكر اختبارات عديدة فان انثى كل نوع من الحيوان اذا تأثرت بشيء عند الوحام ظهر له غالباً اثر في صغارها . ولا حرج على يعقوب بهذه الحيلة لاستيفاء اجرته بالعدل ولا سيما لانه يظهر ان الله الهمه هذه الوسيلة

فولدت لية ليعقوب راؤبين وقالت نظر الرب الى مذلتي انه الان يحبني بعلي فتأويل الكلمة العبرانية راى البنين مركبة من رأ بمعنى راى ومن بن بمعنى ابن ثم ولدت له شمعون وقالت سمع الرب دعائي فشمعون بمعنى سمعني ثم ولدت لاوي وقالت هذه المرة ينعطف اليَّ زوجي لاني ولدت له ثلاثة بنين فتأويل الكلمة المتعطف او الملتوي ثم ولدت يهوذا وقالت هذه المرة احمد الرب فالكلمة معناها احمد الله مركبة من يه بمعنى الله ويدا او جدا بمعنى مدح او حمد وولدت له بلهة امة راحيل داناً وقالت راحيل قد حكم الله لي وسمع صوتي فدان بمعنى الديان او الحاكم . ثم ولدت بلهة نفتالي وقالت راحيل قد صارعت اختي وغلبت فالكلمة بمعنى المصارع او المحارب وولدت له زلفة امة لية جاداً وقالت لية بجدى فتأويل الكلمة الجد او الجودة والحظ وولدت زلفة ايضاً اشير وقالت لية تغبطني النساء فتأويل الكلمة السعيد او المغبوط وولدت لية ابناً خامساً ليعقوب سمته يساكر وقالت اعطاني الله اجري لاني اعطيت امتي

لرجلي فالكلمة بمعنى الاجر وولدت له ايضاً ابناً سادساً وسمته زبولون وقالت امهرني الله مهرًا حسناً فالان يساكنني بعلي اذ ولدت له ستة بنين فزبد بالعبرانية بمعنى وهب وامهر وزبل بمعنى سكن وولدت لية ابنة سمتها دينة وذكر الله راحيل وفتح رحمها فولدت ابناً سمته يوسف وقالت يزيدني الرب ابناً آخر فاسف واوسف العبرانية كالسريانية بمعنى زاد فسمته به تفاؤلاً ليزيدها الرب ابناً آخر كما قالت وولدت راحيل عند موتها ابناً آخر ليعقوب سمته ابن الي لانها ماتت بعيد ولادته وسماه ابوه بنيامين اي ابن يميني كناية عن المحبة له فابناء يعقوب اثنا عشر رأوبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون ولدتهم له لية ويوسف وبنيامين ولدتهما راحيل ودان ونفتالي ولدتهما بلهة امة راحيل وجاد واشير ولدتهما زلفة امة لية (اخذنا تفسير الكلمات عن ذيل معجم الكتاب لكلمت)

وقد ايسر يعقوب جدًا وصارت له غنم كثيرة واماء وعبيد وجمال وحمير وداخل الحسد بني لابان وقالوا انه انشأ ثروته من مالهم ورأى يعقوب تغير وجه خاله عليه فقام بقومه وماشيته وعبر نهر الفرات واستقبل جبل جلعاد (جبل السلط) ولم يعلم لابان مزايلته ارض حاران الا في اليوم الثالث فمضى باخوته يتعقبه سبعة ايام حتى ادركه في جبل جلعاد فعتبه لهربه خفية ومخاتلته له بان لا يدعه يودّع بنتيه ولسرقته الهته وكانت راحيل قد سرقت اصنام ابيها اما لاعتقادها بها قوة ما واما لتستغني بها عن مهرها اذ يظهر ان هذه الاصنام كانت من ذهب ونرى لية وراحيل تقولان ليعقوب « هل بقي لنا نصيب وميراث في بيت ابينا » ولم يكن يعقوب يعلم سرقة راحيل فاعتذر لخاله بانه خشي ان يغتصب بنتيه منه ويمنعه العود الى ابيه وانكر السرقة وسأله ان يبحث عن هذه الاصنام في اخبيتهم ومن وجدت معه فلا يحيا ففتش في كل اخبيتهم فلم

يجدها لان راحيل كانت اخذتها وجعلتها في رحل الجمل وجلست فوقها فونبه يعقوب على اتهامه له ولبنتيه بالسرقة ويظهر من ذلك ان ابناء تارح واحفاده استمروا يعبدون الاوثان او يجمعون بين عبادة الله والاوثان ثم تسالما وقطعا عهدًا بينهما وجمعا مع ذويهما حجارة وجعلوها كومة واكلوا فوقها طعامًا وسماها لابان يجوسهدوتا اي كومة الشهادة وسماها يعقوب جلعاد والمعنى واحد وانصرف لابان عائدًا الى مكانه وسار يعقوب في طريقه

واوفد يعقوب رسلاً الى اخيه عيسو في جبل سعير وافرز له هدية مئتي عنز وعشرين تيسًا ومئتي نعجة وعشرين كبشًا وثلاثين ناقة مرضعًا مع اولادها واربعين بقرة وعشرة ثيران وعشرين اتانًا وعشرة جحاش ودفعها الى عبيده ليتقدموه بها الى اخيه آملاً ان يسترضيه عن نفسه وآله وعرف عيسو قدوم اخيه فهبَّ لالقائه ومعه اربعمائة رجل ولما رآه يعقوب خاف وتقدم نساءه واولاده وسجد الى الارض سبع مرات حتى دنا من اخيه فتلقاه عيسو وعانقه وبكيا وتقدمت اسرة يعقوب فسجدت لعيسو فعمت المسرة جميعهم وابى عيسو قبول هدية اخيه تلطفاً فالحَّ يعقوب عليه فقبلها ورجع عيسو في طريقه الى سعير واتى يعقوب بعد ذلك الى شليم مدينة اهل شكيم (نابلس) وابتاع قطعة حقل بمئة نعجة فضرب ثمه خباءه . وكان قبل لقاء عيسو ان ظهر ملاك الرب ليعقوب فامسكه وصارعه ليباركه فمس حق وركه فصار يظلع منه وسماه الملاك لذلك اسرائيل فالكلمة مركبة من إسر بمعنى ضبط او ربط ومن ايل وهو لفظ الجلالة فالمعنى من امسك او صارع ملاك الله وقال الكتاب (تك فصل ٣٢ عد ٣٢) « ولذلك لا ياكل بنو اسرائيل عرق النسا الذي مع حق الورك الى هذا اليوم لانه لمس حق ورك يعقوب على عرق النسا »

﴿ عد ١٦٨ ﴾

في مقتل شمعون ولاوي ابني يعقوب اهل شكيم وتتمة اخبار رحلة يعقوب

خرجت دنية بنت يعقوب لتنظر بنات شكيم فرآها شكيم بن حمور الحوي رئيس البلد فاخذها واذلها وتعلقت نفسه بها وسأل اباه ان يأخذها له زوجة فخرج حمور الى يعقوب يقول ابني علقت نفسه بابنتكم فصاهرونا واعطونا بناتكم وخذوا بناتنا وهذه الارض بين ايديكم اقيموا بها واتجروا وتملكوا وما تقترحوه عليَّ اودِه لكم اكثروا عليَّ المهر فاعطيكم كما ترسمون لي واعطوني الفتاة زوجة لابني فقال بنو يعقوب لا نستطيع ان نعطي اختنا لرجل اغلف فنوافقكم بان يختن كل ذكر منكم فنعطيكم بناتنا ونأخذ بناتكم فحسن كلامهم عند حمور وشكيم ابنه وسمع لهما اهل المدينة واختتن كل ذكر منهم وبينما هم متألمون في اليوم الثالث اخذ شمعون ولاوي كل منهما سيفه ولا بد ان يكون صحبهما بعض خدمهما ودخلا المدينة آمنين فقتلا حمور وشكيم ابنه وكل ذكر في المدينة ثم دخل بنو يعقوب على القتلى وغنموا كل ما في المدينة من اجل تدنيس اختهم فساء ذلك يعقوب وقال لشمعون ولاوي قد اشقيتماني واخبثتما ريحي عند اهل هذه الارض وانا في نفر معدود فيجتمعون علينا ويقتلوننا فقالا أكزانية يتخذ اختنا . واكثر الاباء والمفسرين على ان بني يعقوب اقترفوا بذلك اثمًا كبيرًا وزعم بعض علماء اليهود ان دينة تزوجت بايوب بعد ذلك ولا مستمسك لهم بهذا ولا دليل عليه فلا يعتد به

فقام يعقوب من شكيم واقام في بيت ايل (بيت اين) وهو المحل الذي بات فيه عند مضيه الى حاران حيث رأى السلم فبنى ثمه مذبحًا ثم ارتحلوا من بيت ايل وبينما هم على نحو ميل من افراتا (بيت لحم) وقد دنا وقت ولاد

راحيل فعسر ولادها حتى ماتت بعيد ان ولدت بنيامين فدفنت في طريق بيت لحم ونصب يعقوب نصبًا على قبرها وقال الكتاب « هو نصب قبر راحيل الى اليوم » قال العالِم كاران (ك ١ في اليهودية صفحة ٢٢٥) اجمعت تقليدات اليهود والمسلمين والنصارى على ان مدفن راحيل هو المحل المعروف الآن بقبر راحيل على الطريق بين اورشليم وبيت لحم واثبت ذلك بشهادة كثير من المؤلفين من القرن الرابع بعد الميلاد الى هذه الاعصر وان كان البناء القائم الآن هناك حديثًا . وقدم يعقوب من هناك على اسحق ابيه في ممرا بجانب حبرون وهي الخليل فسر به اسحق وبابنائه وباركهم واستمر معهم حيًا مدةً بعد عود يعقوب اليه واما رفقة فروى يوسيفوس (ك ١ ف ١٩ من تاريخ اليهود) انها ماتت قبل ان عاد يعقوب الى فلسطين ولم يذكر سفر التكوين موتها وقد ذكر المؤرخون الوثنيون تاريخ يعقوب كما رووا تاريخ ابرهيم وغيره من مشاهير العهد القديم ومنهم ديمتريوس على ما روى اوسابيوس (في كتابه الموسوم بالاستعداد الانجيلي ك ٩ ف ٢١) ورأى كثير من علماء هذا العصر ان رواية لاميدون التي انشأها اوميروس في اشعاره منتحلة عن قصة يعقوب ولابان وقال بعضهم ان اسمي لابان ولاميدون بمعنى واحد وهو اللبن او مادة البناء وان اسمي هيزيون بنت لاميدون وراحيل بنت لابان بمعنى واحد وهو النعجة

عد ١٦٩

في عيسو وولده

قد مر ان عيسو تزوج بثلث نساء يهوديت او عادة بنت ايلون الحثي واهليبامه بنت عانة بنت صبعون الحوي (الحثي) وبسمه او محله بنت عمه اسمعيل واختلاف الرواية في اسماء بعض هولاء النساء وبعض ابائهن يخرَّج

الى انه من غلط النساخ او انه كان لكل من هولاء اسمان فولدت عادة لاسمعيل اليفاز وبسمة رعوائيل واهليبامه يعوش ويعلام وقورح وكان عيسو اقام اولاً في جبل سعير وبعد عود يعقوب اخيه ارتحل منه الى فلسطين مجاورًا لاخيه ولكن لما اصبحت مواشيهما اكثر من ان يقيما معًا فعاد عيسو الى جبل سعير وهو في الجنوب الشرقي من البحر الميت ممتدًا نحو البحر الاحمر وسمي هذا الجبل بهذا الاسم نسبة الى سعير الحورى الذي كان يسكنه قبل عيسو وتسمى هذه البلاد ادوم وظن اكثر القدماء انها انما سميت بذلك نسبة الى ادوم وهو عيسو ولكن اثبت بعض علماء هذا العصر ومنهم لانرمان (مجلد ٦ من تاريخه الشرقي لـ ٩ في العرب ف ٣) ان اسم ادوم وادوميين اقدم من عهد عيسو وان عيسو نفسه سمي ادوم لسكناه في ادوم بين الادوميين واستمسك بان بعض البابيرات المصرية منذ عصر الدولة الثانية عشرة ورد فيها ذكر بلاد ادوم قبل عيسو بقرونٍ ومهما يكن من هذا فقد توطن عيسو وذريته هذه البلاد وتقووا على الحوريين سكانها قبلهم وكان منهم ملوك فيها كما كان قبلهم ملوك متعددون من الحوريين قال فيهم الكتاب (تك ف ٢٦ عد ٣١) « وهولاء الملوك الذين ملكوا في ارض ادوم قبل ان يملك ملك في بني اسرائيل » فتذرع الجاحدون بهذه الاية لينددوا بالكتاب قائلين كيف امكن موسى ان يكتب هذه الاية ولم يكن ملك في اسرائيل الا بعد قرون وقد فند العلماء والمفسرون الكاثوليكيون زعمهم بطريقتين فقال بعضهم ومنهم الحجري في تفسير هذه الاية ان هذه الكلمات ادخلها كاتب متأخر العهد على كلام موسى فلا يعاب كتاب بدخول كلمة شرح عليه وقال اخرون منهم الاب فيكورو (في الموجز الكتابي ع ٢٥٩) لا يستغرب ان يكتب موسى الكلمات الانفة الذكر فهو كتب في الفصل السابق من التكوين (ف ٣٥ ع ١١) ان

الله قال ليعقوب « انا الله القدير انمِ واكثر امة وجماعة امم تكون منك وملوك من صلبك يخرجون » فاي الغرابة ان يقول موسى بعد ذلك انه كان في ادوم ملوك قبل ان يملك ملك في اسرائيل كما وعد الله يعقوب بان يكون ملوك من صلبه

لم يذكر الكتاب وفاة عيسو ولكن جاء في كتاب قديم جدًا موسوم بوصية الاباء الاثني عشر ان عيسو اتى لمحاربة اخيه يعقوب فقتل في الحرب ودفن في جبل سعير وقد ذكر الكتاب (تك ف ٣٦) اسماء الملوك او الولاة الذين تولوا بلاد ادوم من الحوريين وبني عيسو فقال جاحدو الوحي ان عدد هولاء الملوك وافر يتصل الى ايام سليمان فلا يمكن ان يكون موسى كتبه والصحيح الظاهر ان زمان هولاء الملوك لا يتجاوز زمان الخروج ولا تزيد مدتهم على المدة التي من ايام يعقوب الى ان كتب موسى وهي نحو من خمسة قرون وذكر اسم هدد بن بدد بينهم مع انه كان ملك يسمى بهذا الاسم في ايام سليمان لا يثبت شيئًا فما اكثر اسماء الملوك المترادفة في كل عصر وعند كل القبائل (فيكورو في الوجيز الكتابي ع ٢٥٩)

الفصل الثالث

(في يوسف)

عد ١٧٠

في محبة يعقوب ليوسف وحسد اخوته له وما كان منه

قد احب يعقوب يوسف على اخوته لحسن منظره وسجاياه ولتذكره به راحيل امه التي قضت في غض صباها والبسه قميصًا موشى ملونًا وكان الساميون

يلبسون اولادهم خاصة اثوابًا ملونة ويرى على مدافن بني حسن في مصر صور اناس ترددوا باردية تنوعت الوانها فاوغر ذلك صدور اخوته وزادهم ايغارًا رؤيته احلامًا منبئة بسؤدده عليهم وقصه لها على ابيه واخوته كحلمه كأنه واخوته يشدون حزمًا فانتصبت حزمته وسجدت لها حزمهم وكأن الشمس والقمر واحد عشر كوكبًا ساجدة له فزجره ابوه قائلاً اترانا نجيء انا وامك واخوتك فنسجد لك واضمر ليوسف اخوته السؤ وارسله ابوه يفتقدهم وهم يرعون ماشيتهم في ناحية شكيم (نابلس) وكانوا ارتحلوا الى دوتائين فصادفه رجل هداه الى منتجعهم فلما رأوه مقبلاً ائتمروا على اهلاكه فعارضهم راوبين اكبرهم وصرف افكارهم الى طرحه في بئر لا ماء فيها لكي يخلصه من ايديهم ويرده الى ابيه ونزعوا عنه قميصه الموشى والقوه في بير جافة في دوتائين وكان يظن قبلاً ان دوتائين في جنوبي صفد وفي شمالي بحيرة طبرية حيث خان يسمى خان جب يوسف على ان روبينسون كشف عن موقع دوتائين وهو في المحل المعروف الان بتل دوتان في الطريق المؤدية من دمشق الى مصر في الجنوب الغربي من جنين وفي شمالي السامرة على بعد اثني عشر ميلاً على ما حقق كاران (مجلد ٢ في السامرة صفحة ٢٢٠) وفيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ٨) ودوتائين معناه البئران او الابار وهناك آبار عديدة وبينما كان يوسف يتوقع الهلاك جوعًا اذا بقافلة من الاسمعيليين مقبلة نازلة الى مصر فحمل يهوذا اخوته ان يبيعوا يوسف لهولاء التجار الذين سماهم الكتاب (تك ف ٣٧) تارةً اسمعيليين وطورًا مدينيين فقال بعضهم ان القافلة كانت من الشعبين وقال غيرهم ان الاسمعيليين كانوا يسكنون بلاد مدين فسماهم الكتاب مدينيين نسبة الى البلاد واسمعيليين نسبة الى الاصل فاصعد يوسف اخوته من البئر وباعوه بثمن بخس بعشرين من الفضة واخذوا قميصه وغمسوه في دم تيس

وبعثوا به الى ابيه قائلين أقميص ابنك هو ام لا فاثبته وقال وحش ضارٍ افترس يوسف وظل يبكيه وقد ابى ان يتعزى فاخذ التجار يوسف الى مصر اذ لم يكونوا يتجرون بالبلسان واللاذن فقط بل بالرقيق ايضاً والآثار الدالة على هذه التجارة في مصر من اقدم الايام كثيرة فيشاهد على ابنيتهم كثير من صور الارقاء بيضاً وسوداً وجاء ذكرهم مكرراً في الخطوط القديمة وخاصةً في عهدة الصلح بين رعمسيس والحثيين حيث نص انه اذا ابقَ رقيق من مصر الى سورية لزم رده على مولاه (طالع عد ٦٦) وقد اطال واجاد الاب فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ١٣ وما يليها) في بيان احتياج المصريين الى النكعة وهي نوع من الطيب يؤخذ من زهر نبات يسمى نكعة والبلسان واللاذن وغيرها من الطيوب واستجلابهم لها من بلاد العرب في طريق سورية مثبتاً ذلك بكثير من آثارهم وخطوطهم وروى صديقنا الاب روار الاراسي معلم اللغة العبرانية في كلية ليل (في مقالته مصر في عهد يوسف) ان العالم ابار اكتشف في ادفو اثرًا يظهر منه دخول النكعة والبلسان في تركيب نوع من البخور سماه المصريون كوفني

﴿ عد ١٧١ ﴾

بيع يوسف لفوطيفار ومراودة امرأته له وسجنه

قال الكتاب (تك ف ٣٧ ع ٣٦) ان يوسف « باعه المدينيون في مصر لفوطيفار خصي فرعون رئيس الشرط » كثيرًا ما ورد اسم فوطيفار في الآثار المصرية فقد سمي به كثيرون وقد كتب في العلامات الهيروكليفية باطيفرا وتأويله المكرس للشمس او المختص بالشمس معبودهم وسماه المؤرخون العرب العزيز ويثبت وصف الكتاب له بخصي فرعون كثرة ذكر الخصيان في الآثار المصرية وتشاهد صورهم على مدافن مقبرة بني حسن مدلولاً عليهم بخلو

اذقانهم من الشعر واتساع صدورهم وبلون بشرتهم الترابي وقد اثبت كثير من آثار الكلدان ايضاً وجود الخصيان في قصور ملوكهم على ان لفظة الخصي لم تبقَ دالة على ما وضعت له حقيقة فان فوطيفار كان متزوجاً بل صارت وصفاً لمن كانت له مرتبة رفيعة عند الملوك وقد اعتاد الملوك في كل عصر وبلاد ان يمنحوا رجالاً القاب شرف لا يعملون شيئاً مما تشير اليه كاسطبل عامرة على ان بعض الجوالة في المشرق اثبتوا ان بعض الخصيان في هذه الايام يتخذون نساء وروى مثل ذلك بعض المؤرخين القدماء عن الخصيان في ايامهم ولنا بينة على ذلك في رواية الاخوين الآتي ذكرها التي وجدت مكتوبة في بابير منذ عهد موسى فان بيتو احد الاخوين كان خصياً ووهبه الاله نوم امرأة كل هذا يفند مزاعم جاحدي صحة الوحي الذين قالوا ان كان فوطيفار خصياً فكيف كانت له امرأة ووصف فوطيفار برئيس الشرط وقد بينت آثار مصر كثرة القاب عمال ملوكها والمقربين اليهم ومنها ما جاء في الكتاب عن رئيس السقاة ورئيس الخبازين اللذين وصفا بخصيين ايضاً (تك ف ٤٠ عد ٢) وتشاهد صور ملوكهم محفوفة بالحرس وكبراء العمال

ونال يوسف حظوة في عيني مولاه واقامه على بيته وجميع ما كان له جعله في يده ولم يكن يعرف معه شيئاً الا الخبز الذي كان يأكله (تك ف ٣٩ ع ٤ و ٦) ولنا في الآثار المصرية صور تمثل من كان كيوسف قيم بيت مولاه وبيده عصا او صفيحة يكتب عليها وعلى اذنه قلم ومن ذلك الصور التي على مدفن في المحل المعروف بكوم الاحمر وفي مقبرة بني حسن وذكر الكتاب قيماً لبيت يوسف بعد ان استوزره فرعون وتسمي هذه الآثار بعض هولاء مِربا اي رئيس البيت فكذا كان يوسف في بيت مولاه وكان حسن الهيئة جميل المنظر فطمحت عين مولاته اليه وراودته عن نفسها فابى اتقاء لله وتحصناً من الخيانة لمولاه

واتفق ان دخل البيت ولم يكن فيه احد من اهله فامسكت بثوبه فترك رداءه بيدها وفرّ هاربًا الى الخارج فاتهمته بانه راودها عن نفسها وشكته الى مولاه فاستشاط غضبًا واودعه السجن . زعم بعض الجاحدين لصحة الوحي ان قصة يوسف هذه ليست الا رواية وهمية سندًا الى ان النساء المصريات كنّ متحجبات محصنات لا يخالطنَ من الرجال الا الخصيان فجأت الاكتشافات الحديثة مبطلة دعواهم مبينة غرورهم اذ لم تكن نساء مصر في تلك الايام متحجبات كنساء المسلمين في ايامنا بل كنّ يخرجنَ سافرات الوجوه ويشهدنَ الملاعب والملاهي قائمات بين الرجال ويستقبلنهم في بيوتهم بل كانت المرأة سيدة المنزل حتى كان لهنّ من الحرية اكثر مما لنساء الافرنج في هذاالعصر وقد شهدت لذلك آثار تشذّ عن العدّ فانك ترى صورهنّ على كثير من الآثار سافرات الوجوه شاهدات المحافل والاجتماعات مزدانات بالحلي والمطارف الثمينة وقد روى هيرودت (ك ٢ فصل ٣٥) ان المصريات كنّ يقمنَ في الحوانيت متعاطيات التجارة والكسب ويظل رجالهنّ في البيوت يحيكون الانسجة ونرى بعض الصور تمثل النساء ايضاً حايكات وبعضها يمثلهنّ صارفات حيناً متطاولاً في زينتهنّ وقد شهدت النصوص والآثار والصور والتقليد بما كان من الخلاعة والتهتك في مصر ومثلت بعض الصور نساء بعض اشراف القوم في حالة السكر وعلى جدار مدينة ابو ما يأنف القلم ان يخط الاشارة اليه

وقد اكتشف في صدر هذا القرن بابير خُطّت عليه رواية موسومة برواية الاخوين كتبها كاتب يسمى إنانا في القرن الخامس عشر قبل الميلاد على عهد منفتاح فرعون الخروج ابن رعمسيس الثاني لتكون فكاهة لوليّ العهد وهذا البابير هو الذي كان يطالعه هذا الامير نفسه وقد اشترته اولاً السيدة دي اوربيناي من ايطاليا وبعد وفاتها اشترته سنة ١٨٥٧ ادارة المتحف البريطاني ونشرت

مثالاً له سنة ١٨٦٨ وكان العالم دي روجه اول من عني بترجمته فكان ما حواه اشبه بما كان ليوسف مع امرأة فوطيفار بل يظهر ان هذه الرواية منتحلة عن تاريخ يوسف وقد اثبتها الاب فيكورو (في كتابه الموسوم بالكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ٤٣ وما يليها) واثبت ملخصها الاب روار صديقنا الآنف الذكر في مقالته (مصر في عهد يوسف) وعنه نلخص فحواها «كان اخوان يسمى اكبرهما انابو واصغرهما باتو عائشين باعظم ائتلاف في بيت واحد وكان انابو متزوجاً وباتو لا امرأة له ويعاون اخاه في الحراثة وشغل الحقل فاتى باتو ذات يوم الى البيت يلتمس بذراً ليزرعه فانتهزت امرأة اخيه فرصة غياب زوجها فراودته عن نفسه دون حياء فونبها وفرّ من بين يديها وعاد الى اخيه في الحقل ولم يفه ببنت شفة عن قحة امرأة اخيه اما هي فلما عاد زوجها من الحقل تمارضت وتظاهرت بالغضب وشكت باتو بانه راودها عن نفسها فحنق اخوه واستل سيفاً وازمع ان يفتك بباتو فعني الاله الشمس بنجاة البري وانطق بقرة فنبهته للفرار من اخيه وفصل بين الاخوين بنهرٍ موعب بالتماسيح وما بقي من الرواية مبين ماكان من حسن المجازاة لباتو البري حتى جعله الملك وليّاً لعهده وعهد اليه تدبير المملكة وملك مصر عشرين سنة وبعد وفاته خلفه اخوه الاكبر» وجاء في الكتاب (تك فصل ٣٩ ع ٤٠) ان يوسف «رزق حظوة في عيني رئيس الحصن» فيظهر ان السجن كان في حصن وانه كان في هذا الحصن محل اقامة فوطيفار اذ جاء في الكتاب (فصل ٤٠ ع ٣) عن رئيس السقاة ورئيس الخبازين ان فرعون «جعلهما في حبس بيت رئيس الشرط في الحصن حيث كان يوسف مسجوناً» وقد وصف فوطيفار قبلاً برئيس الشرط «فجعل رئيس الحصن في يد يوسف جميع السجناء» وكان ان رئيس السقاة ورئيس الخبازين اجرما الى فرعون فسخط عليهما والقاهما في السجن وكان

يوسف يهتم بهما. فرأيا كلاهما حلماً في ليلة واحدة وقلقا اذ لم يكن من يعبر لكل حلمه فسألهما يوسف ان يقصّا عليه حلميهما فقال رئيس السقاة رايت كان جفنة كرم بين يدي فيها ثلاثة قضبان افرعت ونضجت عناقيدها فاخذت العنب وعصرته في كاس فرعون وناولته فقال له يوسف هذا تعبيره القضبان الثلاثة هي ثلاثة ايام فبعدها يردك فرعون الى منزلتك وتناوله الكأس كالعادة . فاذكرني عند فرعون . وقال رئيس الخبازين رايت كأن ثلاث سلال حوارّى (دقيق ابيض) على رأسي وفي العليا منها جميع طعام فرعون مما يصنعه الخباز والطير تأكله من السلة فقال يوسف هذا تعبير حلمك الثلاث السلال هي ثلاثة ايام بعدها ينزع فرعون راسك فتأكل الطير لحمانك وكان في اليوم الثالث يوم مولد فرعون فردّ رئيس السقاة الى سقايته وامات رئيس الخبازين على حسب تعبير يوسف (تك فصل ٤٠)

وقد جأت الآثار المصرية معاونة على بيان صحة كلام الكتاب بياناً علمياً قد كثر فيها ذكر الحصون التي كانت مقاماً لروساء الجند ومخفرًا للسجناء وقرأ إبار الكلمة المصرية الدالة على الحصن بيتاسوحار اي بيت الحصن وهي في النص العبراني بِت حص سوحر فتأمل بهذه المقاربة . ثم ليس من يجهل اعتبار الاحلام عند المصريين واجلال معبريها وقد جعلت العناية الربانية احلام رئيس السقاة ورئيس الخبازين ثم فرعون نبوية لتكون ذريعة لرفعة يوسف ونجاة مصر واهله من المجاعة ومما جاء في الآثار المصرية عن الاحلام ما خُطّ على جدار الكرنك وهو ان تمثال الاله فتاح ظهر في الحلم لمنفتاح وانتصب امامه يمنعه ان يتقدم بعساكره الى ما كان امامه فامتنع وان فرعون نوات مايامون رأى حلماً بينة ارتقائه الى عرش مصر والحبشة معاً كأن حيتين قامت احداهما عن يمينه والاخرى عن يساره وعبّر الكهنة له حلمه بانه يملك على مصر والحبشة

وقد خُط هذا الحلم وتعبيره على الصفيحة المعروفة بصفيحة الحلم التي ذكرها مسبرو وقد جاء في كثير من البابيرات ذكر الاحلام وتعبيرها وبما يتذرع للحصول عليها ولتعبيرها ومن شاء زيادة بيان فعليه بمراجعة ما كتبه الاب فيكورو (الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ٥٨ وما يليها)

زعم بعض الملحدين تنديدًا بالكتاب انه لم يكن في مصر جفن الكرم واستمسكوا باحد اقوال هيرودت (ك ٢ فصل ٧٧) « انه لم يكن كرم في مصر » ويقول بلوترخوس ان المصريين كانوا يأنفون من شرب الخمر وقالوا ان جفن الكرم لم تغرس في مصر الا في عهد الدولة السادسة والعشرين فيها والصحيح ان جفن الكرم كانت عديدة في مصر منذ اقدم اعصارها وصورها على مدافن الاهرام ومقبرة بني حسن ناطقة بتكذيب الملحدين وقد روى ويلكنسون (في كتابه في قدماء مصر) نقلاً عن الآثار المصرية طريقة غرس الكرم واستثماره وعصر العنب في المعاصر وتصفية العصير في الآنية بعد اختماره وقال الاب روار في مقالتــه (مصر في عهد يوسف) « قد ساعدني الحظ في سفري عن قرب الى مصر ان اكون من اول الداخلين الى المدفن الذي كُشف عنه من امد قريب في دير البحارى وهو بلا مراء اقدم من عهد الدولة السادسة عشرة (التي كان فيها يوسف) وكنت اظنني في وسط كرم حقيقة فجدر المدفن وسقفه مغطات بجفن الكرم مزدانة بورقها وثمارها » وقال الاب فيكورو (في المحل السالف ذكره) انما الصحيح ان المصريين لم يشربوا الخمر في كل عصر فقط بل كانوا ايضاً يقدمونه لالهتهم فقد جاء في البابير المعروف بهاريس ذكر كثير من تقادم الخمر لهياكل الالهة وان رعمسيس الثالث (احد ملوك الدولة العشرين) « قدم الف وثلث مئة وسبعة وسبعين اناء من الخمر ... وانه وهب هيكل طيبة (ثاب) خبة خمر » اي كرماً ولم يكن المصريون يكتفون

بخمر مصر بل كانوا يستجلبون انواعاً منه من سورية وغيرهـا وكان مشتهراً عندهم خمرعون وهي بلدة في غربي حلب وفي متاحف اوربا كثير من الآنية التي كان خمرمصر يوضع فيها ويزيد هذا اثباتاً الصورة الممثلة كوباً من الخمر مقدمة للالهة او سكارى وهذه الصور عديدة ومنها صورة وجدت في طيبة ترى فيها صور رجال متماسكين بحبل ربط في شجرة يدوسون العنب في المعصرة باقدامهم وهم حفاة مترنمون واما قول هيرودت الذي استمسكوا به فلا عبرة له لا سيما لانه مخالف لكثير من اقوال هيرودت نفســه حيث نص ان المصريين كانوا يشربون الخمر في بعض الاعياد والحفلات اكثر مما يشربونه في سائر الايام وان ابن البنّا الذي سرق بيت مال الملك اسكر الحراس بالخمر وانه كان لكل من جنود الحرس الملكي اربعة اقداح خمر في كل يوم وكل ذلك ظاهر في كتبه ومثله في كلام بلوترخوس وقد صرح ديودر الصقلي واسترابون وبلين بما يخالف قول هيرودت الاول فقد صدق الكتاب وكذب الملحدون

عد ١٧٢

في تعبير يوسف حلم فرعون واستيزار الملك له

قال الكتاب (تك فصل ٤١) « وكان بعد مضي سنتين من الزمان » الذي عبّر فيه يوسف حلمي السجينين معه ان رأى فرعون حلمـاً كأنه واقف على شاطئ النهر اي النيل فاذا بسبع بقرات صاعدة منه وهي حسان وسمان وارتعت في المرج وكأن سبع بقرات أخر صاعدة وراءها من النهر وهي قباح وعجاف فاكلت البقرات القباح العجاف السبع البقرات الحسان السمان وقد كان عدد البقرات السبع عند المصريين من الرموز الدينية فانهم كانوا يعتقدون ان للثور المتأله المعروف عندهم باوسيريس سبع بقرات بمنزلة سبع زوجات له واستيقظ فرعون ثم نام فحلم كأن سبع سنابل قد نبتت في ساق واحدة وهي سمان جياد

وكأن سبع سنابل دقاق قد لفحتها الريح الشرقية نبتت وراءها فابتلعت السنابل الدقاق السبع السنابل السمينة الممتلئة وما برحت الريح الشرقية تثور في مصر الى الان وهي المعروفة عندهم بالخمسين فتلفح الزروع وازعج الحلمان فرعون فاستدعى جميع سحرة مصر وجميع حكمائها قال الاب فيكورو (في المحل الانف ذكره صفحة ١١٤) يحق لنا ان نقول ان آية الكتاب هذه مترجمة من المصرية الى العبرانية فقد ورد مثلها في صفيحة رعمسيس الثاني حيث كتب ان امير بقطان بعد ان رأى حلماً « انزعجت نفسه واستدعى جميع السحرة » ولم يكن بين سحرة فرعون من يعبر له حلمه فتذكر رئيس السقاة يوسف وقص على فرعون ما جرى له وتعبير يوسف حلمه وحلم رئيس الخبازين فدعا فرعون يوسف فاحتلق وابدل ثيابه روى هيرودت (ك ٢ فصل ٣٦) ان من عادات المصريين المخصوصة بهم ان يحلقوا شعورهم الا في مدة الحداد وقد اثبتت آثار مصر مقال ابي التاريخ فترى اكثر الصور فيها محتلقة الذقن والراس بعكس ما كان يصنع العبرانيون من اطلاق لحاهم حتى كان الجلح نفسه عاراً عندهم كما يظهر من تعيير صبيان بيت ايل لاليشاع اذ قالوا له اصعد يا اجلح اصعد يا اجلح (ملوك ٤ ع ٢٣) ولما دخل يوسف على فرعون قص عليه حلمه فقال له يوسف ان الله مكاشف فرعون بما هو صانعه السبع البقرات الجياد هي سبع سنين والسبع السنابل الحسان هي سبع سنين فالحلم واحد ومثلها السبع البقرات الدقاق والسبع السنابل الفارغة ستأتيكم سبع سنين فيها شبع عظيم في جميع ارض مصر وتأتيكم بعدها سبع سنين جوع ينسى الشبع الذي كان فلينظر فرعون رجلاً فهيماً حكيماً يقيمه على ارض مصر يختزن الخمس من برّ سني الخصب ذخيرة لسبع سني الجوع

•

« فحسن كلام يوسف عند فرعون وقال له بعد ما عرفك الله هذا كله

فليس فهيم حكيم مثلك انت تكون على بيتي والى كلمتك ينقاد كل شعبي ولا اكون اعظم منك الا بالعرش . انظر قد اقمتك على جميع ارض مصر » ان الآثار المصرية مفعمة بمثل هذه العبارات الدالة على ترقية الفراعنة من راموا اعزازه الى المناصب الرفيعة وعلى مواهبهم له ومن هـذه الاثار ما نقش على مدفن احمس بن ابانا امير البحارة وقد مرّ لنا ذكره في ع ٩٨ وقد اكتشفت صفيحة هي الان في متحف تورين في ايطاليا وللرجل المحكى عنه فيها مناقب وصفات اشبه بما كان عليه يوسف فيسمى باكا وتأويله الرقيق او المسبي ويقال فيها انه احسن اتمام فروضه لاهله ولم يذكرهم لانهم كانوا غرباء في مصر وان فرعون اعزه وغمره بآلائه واهمل الكاتب ذكر اسم الملك كانه لانه من الملوك الرعاة الذين يبغضهم المصريون وان فرعون جعله قيماً على مخازن البر العامة او المختصة بالحكومة ولم يؤتَ في الصحيفة بذكر احد معبودات مصر خلافاً لما جاء في غيرها من الاثار وقد تليت ترجمة هذه الصفيحة في مجلس عقدته جمعية الاثار القديمة الكتابية في لندرة سنة ١٨٧٧ وقيل حينئذٍ ما احرى هـذه الصفيحة ان تكون وضعت على مدفن يوسف ثم ان الاية « والى كلمتك ينقاد كل شعبي » اذا ترجمت بحرفها كانت « كل شعبي يقبل فمك » قال العالِم شباس (في كتاب مباحثه في الدولة التاسعة عشرة) ان هذه العبـارة مصرية محضة فمن اسمى المراتب عند المصريين مرتبة الفم الاعلى وقد اعلمنا بها اثر للدولة الثامنة عشرة اذاعه العالِم بروغش مع غيره من الاثار تبين منه ان تانونا احد كبار عمال مصر عهد اليه فرعون بتدبير المملكة فلقب « الفم الاعلى في البلاد كلها » فكان المراد الآمر الاعلى وكذا لما اراد فرعون آخر ان يشرك في ملكـه رعمسيس الثالث رقاه هذه المرتبة الفم الاعلى في البلاد كلها

ثم قال الكتاب « ونزع فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف »

واعلمتنا الآثار المصرية ان كل مصري وجيه كان له خاتم يختم به وقد اكتُشف كثير من هذه الخواتم في المدافن وترى منها في متحف اللوفر في بريس عددًا عديدًا والبس فرعون يوسف ثياب بزٍ وهي الكتان وفي اثارهم وفي كتب بعض القدماء منهم هيرودت (ك ٢ فصل ٨١) ان كهنة المصريين كان متحتماً عليهم ان تكون ملابسهم من الكتان النقي دلالة على تقاوتهم وترى الموميا عندهم ملتفة بنسيج من كتان وامر موسى ان لا يستعمل في خباء المحضر الا الكتان واتبعت الكنيسة هذا التقليد وامرت الا يستعمل على المذابح سواه . ثم جعل فرعون في عنق يوسف طوقاً من ذهب . وترى في اثار مصر صور عظمائها ووجهائها وفي عنق كل منهم قلادة او طوق وقد وجد كثير من هذه العقود في المدافن المصرية . واركب فرعون يوسف مركبته الثانية للدلالة على انه الثاني بعد الملك ونادوا امامه اركعوا وفي العبرانية ابرك وقال الحجري (في تفسير هذه الاية) ان هذه الكلمة مصرية لا عبرانية فان المنادي مصري ينادي المصريين بلغتهم قائلاً ابرك اي اجثوا . وقال فيكورو (في المحل السالف ذكره) ان كلمة ابرك التي حفظت في سفر التكوين مصرية وقد ترجمت من في كثير من الترجمات القديمة بمعنى احنوا ركبكم اي اركعوا وصحيح ترجمتها الحرفية احنوا رؤسكم كما قال كثيرون وقال آخرون ان ابرك تأويلها رئيس الحكماء . وسمى فرعون يوسف مخلص العالم وفي العبرانية سفنت بعنه وقال القديس ايرونيموس ان الكلمة مصرية لا عبرانية اذ لا وجه للملك المصري ان يلقب يوسف بلقب عبراني لا مصري وتأويله مخلص العالم وقال اهل العلم في الآثار المصرية ان الكلمة تأويلها مقيت العالم او مخلص الحياة . وزوج فرعون يوسف اسنات بنت فوطيفار كاهن اون وتأويل اسنات في المصرية مقر الآلهة نات وفوطيفار ابوها غير فوطيفار مولى يوسف لان هذا كان رئيس كهنة

وذاك رئيس شرط ومدينة اون هي التي سميت بعد ذلك هليوبوليس اي مدينة الشمس وتعرف الان بالمطرية ولا يخفى ما كان لكهنة مصر من نفوذ الكلمة والسطوة في بلادهم وعليه فكان تزويج يوسف بابنة رئيس كهنة من جملة الآلاء التي عظم بها فرعون قدر يوسف ومن المطابقة بين كلام موسى في يوسف والاثار المصرية التي اكتفينا اختصارًا بايراد بعضها يتبين بطلان مزاعم الجاحدين بان تاريخ يوسف رواية وهمية او انه كتب بعد موسى او في غير مصر

قال شمبوليون فاتح الكنوز الهيروكليفية ان اعلم علماء اليونان مجمعون على ان فرعون الذي استوزر يوسف انما هو ابوفيس او ابابي احد الملوك الرعاة وان ذلك كان للسنة السابعة عشرة من ملكه وقد اطلنا الكلام في هذا الشان في ع ٩٤ من مقالة الحثيين وافردنا الفصل الثامن من هذه المقالة للكلام في الملوك الرعاة . قال العالم مسبرو (في كتابه تاريخ المشرق) كثر المهاجرون من سورية الى مصر في عهد الملوك الرعاة لانهم سوريون اصلاً فكان المهاجرون يجدون في مصر قومًا من طينتهم لم ينسوا ذكر اصلهم ولغتهم وكثيرًا ما فتحت قصور مصر في تلك الاعصر لعمال سوريين وكانت كل حرب او مجاعة في سورية تحمل افرادًا بل جاليات وعشائر برمتها على المهاجرة الى مصر فيتلقاهم الملوك الرعاة وحواشيهم بالمعزة والترحاب ولا يخلو استيزار ابابي ليوسف من ان يشف عن شيء من هذا القبيل فلما كان فرعون هذا اجنبيًا لم يكن ليأنف من سيادة اجنبي في مصر كما لو كان مصريًا اصلاً

عد ١٧٣

في تدبير يوسف شؤون مصر والمجاعة فيها

قال الكتاب (تك ف ٤١ ع ٤٦ وما يليه) وكان يوسف ابن ثلاثين سنة حين مثل بين يدي فرعون وخرج وجال في جميع ارض مصر وجات سنو

الشبع فكان يجمع في كل مدينة غلال ما حولها من الحقول مدة السنين السبع فخزن كثيرًا جدًا من البر في مخازن مصر وكان من مهامه نظارة المخازن الملكية وكشفت لنا الآثار المصرية عن اسماء كثيرين من عمال مصر يلقبون بنظار المخازن ففي متحف ميرامار قصر مكسيمليان عاهل المكسيك على مقربة من تريستي تمثال صغير كتب عليه اسم شمنشت ناظر المخازن الملكية.وفي المتحف البريطاني صفيحة كتب عليها اسم متوهبت ناظر مخازن الحكومة الى غير ذلك مما كتب على بعض المدافن في مصر وقد بينت لنا هذه الآثار كل ما يتعلق بالغلال من زرعها الى حصادها وجمعها اكداسًا اكداسًا كما قال الكتاب والى وضعها في المخازن التي هي اهرآء وسيعة مبنية على هيئة مخروطية الشكل في اعلاها فتحة لانزال الغلال وفي اسفلها نافذة لاخراجها ولقلة الرطوبة في هذا القطر تصان الغلال فيه سنين عديدة من التعفن والفساد ففي متحف اللوفر في بريس غلال وجدت في مدافن حفظت فيها منذ من اربعين قرناً وحسبك هذا ردًا لمزاعم من قال لا يمكن صيانة غلال يوسف سبع سنين من الفساد

كذَّب بعض الجاحدين بحصول مجاعة في مصر مدة سبع سنين متتالية وتمحلوا لتكذيبهم وجهين اولهما ان فيضان النيل سبع سنين ونقصه سبع سنين متتالية مخالف لسنن الطبيعة وتوفر الغلة في مصر او قلتها متوقفان على زيادة امواه النيل وانتقاصها . والثاني ان هذه المجاعة لم يرد ذكرها في احد كتب القدماء ولا ترى لها اثرًا في الآثار المصرية ولذلك جنح بعض المؤرخين في هذا العصر الى ان عدد السبع السنين هنا لا يراد به حصر السنين بسبع بل يراد به مدة متطاولة على انه لا حاجة الى هذا التكلف والتأويل اذ جاء في كتب القدماء والحدثآء ذكر مجاعاة كالتي كانت في عصر يوسف وانبأتنا الآثار بحصول مجاعات ويرجح كثيرًا ان احداها المجاعة التي استدرك يوسف مضارها وهاك

البيان . فقد ذكر اوفيد (في الكتاب الاول من اشعاره في صناعة الحب) وهو شاعر لاتيني كان في عهد اغوسطوس قيصر « انه حصلت مجاعة في مصر دامت تسع سنين » وقال بلينيوس (في كتابه التاريخ الطبيعي) قوله المشهور « اذا لم يبلغ ارتفاع امواه النيل حين فيضانه اثنى عشر ذراعاً كانت في مصر مجاعة . واذا بلغ ثلثة عشر ذراعاً فالجوع ايضاً وكانت المسرة اذا بلغت اربعة عشر والطمأنينة اذا بلغ خمسة عشر والرغد اذا بلغ ستة عشر ذراعاً » وقد كتب عالم يسمى عبد اللطيف (كان في عصر الخلفآء العباسين في مصر) مقالة في مصر ترجمها العالم دي ساسي الى الافرنسية ومما قاله فيها « اذا نقص فيضان النيل عن ستة عشر ذراعاً كان في مصر عوز الى القوت كثيرًا او قليلاً بحسب انتقاص الميــاه » وذكر كثيرًا من المجاعات بسبب انتقاص امواه النيل واحداها استمرت كمجاعة يوسف سبع سنين من سنة ١٠٦٤ الى سنة ١٠٧١ على عهد المستنصر بالله وانه في سنة ٥٩٦ للهجرة (الموافقة لسنة ١١٩٩ للميــلاد) لم يرتفع النيل الا اثنى عشر ذراعاً وواحد وعشرين قيراطاً وهو امر نادر لم يكن له مثيل منذ تاريخ الهجرة الا في سنة ٣٥٦ واطال الكلام في مضار المجاعة التي كانت في سنــة ٥٦٧ للهجرة حتى اكل الناس الكلاب وسائر الدواب والحشرات وجثث الموتى بل اتصلوا الى ان يأكل بعضهم بعضاً والجئت الحكومة ان تحرق في القاهرة في بضعة ايام ثلاثين امرأة اقرت كل منهنّ باكلها لحم صغارها وغيرهم

ثم انبأتنا الاثار المصرية القديمة حصول مجاعات عديدة في مصر فقــد كتب في مقبرة بني حسن على مدفن والٍ اسمه اماني توفي في السنة الـ ٤٣ للملك اوزرتسن الاول احد ملوك الدولة الثانية عشر قبل يوسف بقرونٍ ما نصه « لم تكن مجاعة في ايامي ولم يهلك الجوع احدًا في عهد ولايتي اذ حصلت سنو المجاعة لاني جعلت الناس يحرثون كل الحقول الواقعة في عمل ساه (اسم

موضع) جنوباً وشمالاً وأقتّ السكان على اخرهم موزعاً عليهم حاصلات تلك الحقول حتى لم يمت احد جوعاً ، وذكر مسبرو (في كتاب تاريخه القديم لشعوب المشرق) وصية يقال ان امنا مهت الاول عهد بها الى اوزرتسن الاول الآنف ذكره ومما حوته هذه الوصية قوله « جعلت القوم يحرثون ارض البلاد حتى ابو (في جنوبي مصر) فشملت المسرة جميعهم حتى ادهو (مصر السفلى) فكنت موجداً ثلثة اصناف من الغلال وانا صديق نبرات (اله الغلة) وجاد النيل علينا بفيضانه على كل الحقول فلم تكن مجاعة في مدة ملكي

واكتشف العلامة بروغش اثراً مصرياً منبئاً بحصول مجاعة ورأى انها المجاعة التي حاقت بمصر على عهد يوسف وهذا الاثر هو خطوط هيروكايفية وجدت منقوشة على مدفن رجل يسمى بابا في قرية الكاب ويتبين منها انه حصلت مجاعة في مصر دامت سنين عديدة وتهيأ لهذا الرجل ان يُقيت اسرته العديدة وسائر سكان المدينة التي كان فيها وهاك ترجمة هذا الاثر كما رواها بروغش (في كتابه في تاريخ مصر مجلد ١ صفحة ١٧٦ طبعة ٢) وكما عربها احمد افندي كمال مترجم الانتيقه خان المصرية وناظر مدرستها في كتابه الموسوم بالعقد الثمين في محاسن اخبار وبدائع آثار الاقدمين من المصريين قال « كنت ذا قلب رأوف لا آلف الغضب ولذا اكرمتني المعبودات بالخير الجزيل في دار الدنيا وكان اهل بلدي وهي الكاب يتمنون لي الصحة وطول العمر وكنت اقتص من المسيئين ورزقت من الاولاد مدة حياتي اثنين وخمسين ولداً صغيراً وكبيراً وكان لكلٍ منهم سرير وكرسي ومائدة وكانوا ياكلون كل يوم مئة وعشرين مدّاً من القمح والحبوب وكان لهم ثلث بقرات حلوبات واثنتان وخمسون ماعزة وثمانية حمير وكانوا يحرقون من البخور ما ينيف على الهين (مكيال لقدماء المصريين) ويصرفون من الزيت ملوء زجاجتين . . . وكنت

هيأتُ كل ذلك في بيتي وكنت اعطي الابن الراثب في قدر والسمن في قدر طويلة ضيقة الراس تعرف بالدلق بمقدار يزيد على الهين وجمعت قمحًا كثيرًا محبة للمعبود الصالح (وفسره احمد افندي بمعنى الملك) وكنت حريصًا على الزراعة في سني الخصب ولما حصلت المجاعة مدة كثير من السنين كنت اعطي القمح لاهل المدينة في كل مجاعة ، ولم يُذكر تاريخ لهذه الخطوط وقدَّر بروغش سندًا الى نقش المدفن ونوع الكتابة عليه والى مجاورته لمدفن العامل المصري المسمى احمس (الذي روينا ما كتب على مدفنه في ع ٩٨) ان هذه المجاعة هي التي ذكرها الكتاب في عصر يوسف وقد روت المجلة المسماة التمدن الكاثوليكي هذا الاكتشاف في ع ٩٣٨ في تاريخ ٢٠ تموز سنة ١٨٨٩ واثبتت ما نحن مثبتون وانه لا يحفل بالفرق بين ما كتب في الاثر وهو مدة كثير من السنين (او سنين عديدة) وما كتب في الكتاب وهو سبع سنين . فالمعنى متقارب وكانه مرادف . وجاء في الجريدة الافرنسية الاونيفر (المسكونة) في احد اعدادها في شهر آب سنة ١٨٩٠ ان العالم بروغش اكتشف ايضًا في محل قريب من القصر صفيحة تبين منها انه انتقص فيضان النيل فنجم عن ذلك حصول مجاعة دامت سبع سنين وان بروغش جدَّ في التنقيب عن تاريخها فادَّاه جدّه الى انها كانت لنحو سنة ١٩٠٠ قبل الميلاد اي في نحو الزمان الذي كان فيه يوسف وزيرًا لفرعون على اننا نظن ان كلام الاونيفر انما هو في الاثر الذي وجد في مدفن بابا السالف ذكره لا في اثر آخر

عد ١٧٤

في ما يعزى الى يوسف في مصر

قال الكتاب (تك ف ٤٧ ع ١٤ وما يليه) «وجمع يوسف جميع الفضة التي في ارض مصر وفي ارض كنعان بالميرة التي كانوا يبتاعونها وادخلها بيت فرعون»

لم يكتفِ يوسف بان يتلافى مضار المجاعة بل عنيَ كرجل خبير بالسياسة ان يقوّي سلطة مولاه ويزيد غنى دولته بادخال فضة الاهلين خزائن فرعون ثم بتمليكه ماشيتهم اذ قال يوسف للمصريين طالبي الطعام « اذا كانت فضتكم قد نفدت فهاتوا ماشيتكم ابعكم بها فجاؤا يوسف بماشيتهم فاعطاهم طعامًا بالخيل وبالماشية من الغنم والبقر والحمير » وهذه اول مرة أُتي بها بذكر الخيل في مصر فيرجح ان الملوك الرعاة ادخلوها فيها قال شباس كان عامة الناس في مصر يربون الخيل ويستخدمونها فلا سبيل الى نقض شهادة الكتاب المصرحة بان المصريين اتوا يوسف حين مجاعتهم بخيلهم وغنمهم وبقرهم يستبدلونها بغلة . وجاء في البابير المعروف بساليار الاول وفي البابير انسطاسي الثالث انه كان لصغار العمال خيل لاستحضار المون اللازمة لبيوتهم من القرى وكان كبارهم ووجهاؤهم يركبون الخيل وعملتهم يستخدمونها لجر العجال كما في اثار عديدة

قال الكتاب ان المصريين عادوا في السنة التالية الى يوسف يشكون اليه سوء مصيرهم لانه لم يبق بين يديه الا ابدانهم واراضيهم ويسالونه ان يشتريهم واراضيهم لفرعون فاشترى يوسف جميع اراضي المصريين لفرعون لانهم باعوا كل واحد حقله فصارت الارض لفرعون الا ان ارض كهنتهم لم يشترها لانها كانت للكهنة وظائف اي ارزاقٌ من قبل فرعون يأكلونها ولذلك لم يبيعوا اراضيهم وقال لهم يوسف خذوا لكم بذرًا تزرعونه في الارض فاذا خرجت الغلال تعطون منها الخمس لفرعون والاربعة الاخماس تكون بذرًا للحقول وميرة لكم وجعل يوسف تأدية الخمس للملك رسمًا على ارض مصر الى اليوم فقال له المصريون قد احييتنا ودعوا له (تك ف ٤٧ ع ١٨ وما يليه) قال الاب فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ١٨٠) ما ملخصه ان الاثار المصرية مثبتة انتقال ملك الارض في مصر الى الفراعنة وانّ لم تصرح باسم

من صنع ذلك فانا نرى ارض مصر في ايام ملوكها الاقدمين والمتوسطين يملكها بعض سادة مصر وكبراؤها ويسلمونها الى مزارعين وتنتقل الى غيرهم بطريق البيع او الارث او الزواج واما في ايام ملوكها بعد الرعاة فلا نجد اثرًا مشعرًا بملك احد ارضًا الا الملك فيوسف نقل ملك ارض البلاد كلها الى فرعون ولا يستثنى من ذلك الا ارض الكهنة . وقد جاء في البابير المعروف بهاريس ان رعمسيس الثالث كان مالكًا ارض مصر كلها اذ قال . انا غرست في البلاد باسرها اشجارًا كبيرة وصغيرة وسمحت للناس ان تستظل بفيئها ... انا كفيت البلاد كلها رزقًا ... انا منت البلاد بعد ان نفدت مؤنها . فامتلأت البلاد شبعًا في عهد ملكي ... فاشتغلوا له (اي لابنه رعمسيس الرابع) كأن لكم يدًا واحدة بكل نوع من العمل ... فتجزون بقوته لكم كل يوم . وهذا الكلام ينطق صراحة بان ارض مصر كانت ملك فرعون وهو يمون حارثيها وسائر شعبه ولا يمكن اعزاء ذلك الا الى تمليك يوسف فرعون ارض مصر اذ كان قبله مالكون ولا نجد بعده مالكًا الا الملك والكهنة الذين ترك يوسف لهم ارضيهم وقال هيرودت (ك ٢ ف ١٠٩) . رووا ان الملك سيزوستريس (رعمسيس الثاني) قسم ارض مصر على جميع المصريين فاعطى كلاً منهم نصيبًا سويًا وفرض على كل منهم جزية سنوية على نصيبه من الارض . وهذا تصرف مالك بلا مراء ورعمسيس كان بعد يوسف في عهد موسى . واثبت هيرودت (في ك ٢ ف ٣٧) ان ارض الكهنة كانت معفاة من الضرائب والجزية طبق ما جاء في التكوين كما رأيت على ان يوسف لم ينتزع الارضين من يد حارثيها بل ابقاها في يدهم ووضع نظامًا حديثًا للمال الاميري

ويعزى الى يوسف انشاء بعض مجارٍ للنيل في ارض مصر وقال فيكورو (صفحة ١٨٣ من المجلد الانف الذكر) ان هذا التقليد غير بعيد عن الصحة

ويعزى اليه انشاء بعض اهرآء لغلال الحكومة في مصر القديمة وتسميها العامة خزائن او مخازن يوسف ولكن قال بعض الجوالة ان تلك الاهرآء محال فسيحة يحيطها سور ارتفاعه عشرون قدماً ولا سقف لها وهي منقسمة اقساما عديدة تجمع الحكومة فيها الغلال التي تجبيها من مصر العليا وهيئة بنائها تقضي بانها ليست قديمة وروى كثيرون ان يوسف علّم المصريين مساحة الارض ووضع المكاييل واقام عموداً في مياه النيل لمعرفة درجات فيضانه وقال المرتل فيه (مزمور ١٠٤ عد ٢١ و ٢٢) « اقامه (فرعون) سيداً على بيته وسلطاناً على جميع مقتناه حتى انه جعل عظماءه تحت حكمه فهو علّم شيوخه الحكمة »

﴿ عد ١٧٥ ﴾

في انحدار اخوة يوسف الى مصر وتعرفه اليهم

قد عمت المجاعة ارض فلسطين فانحدر بنو يعقوب الى مصر ليمتاروا لهم طعاماً فعرفهم يوسف اخوهم وتنكر لهم وقلق لانه لم يرَ بينهم شقيقه بنيامين فاستدعاهم وتظاهر بانه يحسبهم جواسيس ليستطلعهم اخبار اخيه وابيه فاجابوه بسذاجة ولم يكاتموه الا سرّ بيعهم له وصرّحوا بان صغيرهم باقٍ عند ابيهم فسكن قلقه من جرائه لكنه واصل تعنيفه لهم بانهم جواسيس حالفاً بحياة فرعون قال شباس يظهر من الآثار ان هذا الحلف كان متواتراً عند المصريين وانهم كانوا يخشون حقيقة هجوم بعض القبائل على بلادهم لا سيما بسبب المجاعة وانه يظهر من البابير المحفوظ في برلين انهم بنوا اسواراً تمتد من خليج السويس الى بحيرة المنزلة تحصناً من مثل هذه المهاجمات وان رعمسيس الثاني لم يبنِ هذا السور بل رممه على ما روى ديودورس الصقلي (ك ١ فصل ٥٧) ولم يؤذن يوسف بانصراف اخوته الى بلادهم الا بشرط ان يعودوا اليه واخوهم الصغير معهم وان يبقى شمعون احدهم رهينة عنده على ذلك وامر

ان تملأ اوعيتهم براً وترد فضة كل واحد في جوالقه وان يعطوا زاداً للطريق فصنع لهم ذلك وبينما هم يفرغون اوعيتهم اذا بصرة فضة كل منهم في جوالقه فبلغوا واغتم ابوهم لما قصوا عليه ما نالهم وكيف استبقى المتسلط على مصر شمعون رهينة عنده الى ان يأتوه ببنيامين تصديقاً لقولهم انهم ليسوا هم جواسيس وحاول ان لا ينحدر بنيامين لكنهم فرغوا من اكل الميرة التي اتوا بها واشتد الجوع فالجئ يعقوب ان يسمح لهم بالعود الى مصر وبنيامين معهم وقال استصحبوا هدية الى الرجل « شيئاً من البلسان وشيئاً من الدبس ونكعة ولاذناً وفستقاً ولوزاً » فالبلسان والنكعة واللاذن هي من اصناف التجارة التي كانت قافلة الاسمعليين تقلها الى مصر عند مشتراهم يوسف والدبس لا يراد به عسل النحل كما وهم بعضهم بل الدبس حقيقة المصطنع من عصير العنب وهو في الاصل العبراني « دباش »

ولما بلغ بنو يعقوب مصر امر يوسف قيم بيته ان يدخلهم داره ويعدّ لهم مأدبة فوهموا انه يريد القاءهم في السجن بسبب الفضة التي وجدت في جوالقهم وباحوا الى القيم بسر وهمهم فأمّنهم واطمأنوا « ولما قدم يوسف الى البيت ادخلوا له الهدية التي في ايديهم وسجدوا له الى الارض » فكان بذلك اتمام ما رآه في احلام صباه وفي المتحف البريطاني صورة اخذت من طيبة (تاب) ويظهر ان هذه الصورة نقشت في عصر الدولة الثامنة عشرة وهي تمثل رجالاً من الروتانو (وهم سكان سورية او الساميون) يقدمون هدايا لفرعون او احد كبراء دولته وبعضهم ساجد له بوجهه الى الارض وبعضهم رافع يديه يدعو له ويتوسل اليه وبينهم صبيّ ويلقون تقادمهم عند رجلي الملك او احد كبار عماله وكل منهم الا الصبي مرتدٍ بثوب طويل ابيض معلم وسمات وجوههم وعيونهم اشبه بسمات اليهود او العرب ولحاهم مطلقة نظيرهم حتى



صورة اخذت عن جدران تاب الى المتحف البريطاني تمثل روثانو اي سوريين
يقدمون هدياهم لمتسلط في مصر صفحة ٧٤

يخال الناظر ان الصورة رسم لما جاء في الكتاب عن تقدمة اخوة يوسف هداياهم له وسجودهم امامه ولا اختلاف الا في الاسماء وعدد الاشخاص

وسألهم يوسف عن سلامة ابيهم فقالوا انه في سلامٍ ولا يزال حيًّا وخروا وسجدوا ونظر الى بنيامين فقال اهذا هو اخوكم الصغير الذي ذكرتموه لي وقال يرأف الله بكَ يابنيَّ وتحرك فؤاده اليه فدخل المخدع وبكى ثم غسل وجهه وتجلد وقال قدموا الطعام وقدموا له وحده ولهم وحدهم وللمصريين الاكلين عنده وحدهم لان المصريين لم يكونوا يأكلون مع العبرانيين لانه رجس عندهم وفي المتحف البريطاني صور اخذت من مصر تمثل لنا هيئة الموائد عند المصريين فترى كلاًّ من المدعوين جالسًا بجانب مائدة مخصوصة متشحًا بافخر ملابسه والارقا يقدمون لهم المشرب وبجانبهم راقصات يرقصنَ واربعة ارقاء يضربون بآلات الطرب وكان لحم الخنزير محظورًا اكله على المصريين فيأكلون لحوم البقر والماعز والغنم مطبوخة ومشوية قال هيرودت (ك٢ف٤١) ان المصريين كانوا يفضلون البقرات (اجلالاً لايسيس) على جميع الحيوانات ولا يستعملون سكينًا او اناءً استعمله يوناني ولا يذوقون لحم البقر نفسه ولو نقيًا اذا مسه سكين يوناني . وكانوا يعتبرون الاجانب ارجاساً فلا يواكلوهم واكل يوسف وحده رعاية لمقامه لكنه رفع حصصاً من بين يديه الى اخوته فكانت حصة بنيامين اكثر من حصة خمسة منهم

وشاء يوسف ان يمتحن اخوته ليرى ما يكنُّون من جهة اخيه بنيامين فامر قيم بيته ان يملأ جوالقهم طعاماً ويجعل فضة كل منهم في فم جوالقه ويضع جام الفضة الذي يشرب يوسف به في فم جوالق بنيامين مع فضة ميرته فصنع القيم كما امر يوسف وانصرف اخوته صباحاً فقال للقيم قم فاسع في اثر القوم فاذا ادركتهم فقل لهم لِمَ كافأتم الخير بالشر اليس هذا هو (الجام) الذي

يشرب به مولاي ويتفأّل به فلحقهم وقال لهم ذلك الكلام فاستغربوه واستأوا منه واوردوا لتبرئتهم ما صنعوه بردهم الفضة التي وجدت اولاً في جوالقهم وقالوا من وجد الجام معه يقتل ويكون الباقون عبيدًا لسيده فحطوا الجوالق ففتشها فاذا الجام في جوالق بنيامين فمزقوا ثيابهم وحمّل كلٌّ حماره وعادوا الى المدينة ووقعوا بين يدي يوسف فقال لهم ما هذا الصنيع اما علمتم ان رجلاً مثلي يتفأّل فقال يهوذا بماذا نتكلم وبماذا نتبرأ ها نحن ومن وُجد الجام في يده عبيد لسيدي فقال يوسف حاشىَ لي ان اصنع هذا بل الرجل الذي وجد الجام في يده هو يكون لي عبدًا وانتم تصعدون بسلام فبسط اليه يهوذا ما كان لهم معه اولاً وكم شق على ابيه ان يسمح لبنيامين ان ينحدر معهم الى مصر لتعلق نفسه به وما يتولاه من الكآبة ان لم يعد معهم فيموت وتنحدر شيبته بحسرة الى الجحيم (تك ف ٤٤)

وقد انبأتنا الآثار المصرية ان قصور المصريين كانت ملأى بالاثاث والآنية النفيسة وكانت الجامات والكؤوس لا سيما التي يستعملها رب البيت ثمينة المادة بديعة الصناعة فقد وجد في المدافن كثير من هذه الاجوُم وازدهت متاحف اوربا بكثير منها وبعضها من ذهب وبعضها من فضة او نحاس او زجاج ففي متحف بريس جام من ذهب نقش عليه اسم توتميس الثالث احد فراعنة الدولة الثامنة عشرة وهو بديع الصناعة وهناك ايضًا جام اخر من فضة كان لاحد كبار عمال مصر فلا بدع ان كان ليوسف جام من فضة . وقد ندد جاحدو الوحي بالكتاب قائلين لم نجد اثرًا ولا ذكرًا للتفأل بالجامات في مصر او غيرها من الاصقاع وكيف اعتقد يوسف الفال او تفأل على انه قد حقق كثير من الجوالة ان المصريين كانوا يستعملون التفأل بالاجوام وما برح بعضهم يستعمله الى الان وفي كتاب صيني كتب سنة ١٧٩٢ ان من جملة انواع التفأل التي

يستعملها اهل هذه البلاد انهم يصبون ماء في اناء ويبصرون ما يظهر لهم في الماء وكان الجام عند الفرس آلة للتفأل وقد لهج شعراؤهم بجام توصل من بلادهم الى سليمان واسكندر فكان سببًا لنجاحهما ومجدهما وذكر احد هولاء الشعراء يوسف في عداد من توصل هذا الجام اليهم وقال القديس افرام السرياني (في كتبه المطبوعة في رومة بالسريانية واللاتينية مجلد ١ صفحة ١٠٠) انه كان البعض يتفألون بالجام فينقرونه ويصغون لصوت رنته فيستدلون به على ما يستقبل من الامور واما كيف اعتقد يوسف الفأل او تفأل فقال القديس توما (في الخلاصة اللاهوتية مجلد ٢ مبحث ١٩٥) ان قول يوسف اما علمتم ان رجل مثلي يتفأل قاله هزلاً لا جدًّا على ما رأى اغوسطينوس ولعله اشار بذلك الى ما تعتقده العامة به بعد تعبيره الاحلام (اي انه ساحر ككهنتهم) وكذا قل في كلام قيم بيته ٠

قال الكتاب (تك ف ٤٥) لم يستطع يوسف ان يضبط نفسه فنادى اخرجوا كل احد من بين يديَّ فخرجوا وتعرف يوسف الى اخوته قائلاً انا يوسف اخوكم أحي ابي بعد فارتاع اخوته فقال لهم تقدموا اليَّ فتقدموا واطلق صوته بالبكاء والقى نفسه على عنق بنيامين اخيه فبكى وبكى بنيامين على عنقه وقبَّل سائر اخوته وبكى معهم وقال لا تأسفوا ولا يشقّ عليكم انكم بعتموني الى هنا فان الله قد بعثني امامكم لاحييكم وصيرني ابًا لفرعون وسيدًا لجميع اهله ومتسلطاً على ارض مصر كلها وقد مضت سنتا جوع في الارض وبقي خمس سنين ليس فيها حرث ولا حصاد فبادروا واشخصوا الى ابي وقولوا له كذا قال ابنك يوسف هلمَّ اليَّ ولا تقف فتكون قريباً مني انت وبنوك وبنو بنيك وكل ما هو لك لئلا تفنى انت واهلك ونما الخبر الى بيت فرعون ان قد جاء اخوة يوسف فقال له فرعون قل لاخوتك حملوا دوابكم وانطلقوا وخذوا

اباكم وبيوتكم وتعالوا اليَّ فاعطيكم خير ارض مصر وخذوا لكم عجلات لاطفالكم ونسائكم ولا تحزن نفوسكم على اثاثكم ان خير مصر هو لكم واعطاهم يوسف عجلات بامر فرعون وزادًا للطريق واعطى كلاً منهم حلل ثياب وبنيامين ثلث مئة من الفضة وخمس حلل ثياب وبعث الى ابيه بمثل ذلك وبعشرة حمير محملة من خير مصر وعشر اتُن محملة برًّا وخبزًا وزادًا لابيه للطريق وصرفهم واوصاهم ان لا يتخاصموا في الطريق

﴿ عد ١٧٦ ﴾

في انحدار يعقوب الى مصر باسرته وفي محلهم فيها

ارتحل اسرائيل بجميع ماله حتى جاء بئر سبع فقدَّم لله ذبائح فظهر الله له في الحلم قائلاً لا تخف ان تهبط الى مصر فاني ساجعلك ثمة امة عظيمة فقام يعقوب من بئر سبع وحمل ابناؤه اباهم واطفالهم ونساءهم على العجلات التي ارسلها فرعون واخذوا ماشيتهم وسرحهم فكان جملة الداخلين الى مصر مع ابني يوسف منسى وافرائيم سبعون نفساً وشدَّ يوسف على مركبته وصعد ليلاقي اباه في جاسان فلما ظهر له القى بنفسه على عنقه وبكى طويلاً وقال له دعني اموت الان بعد ان رأيت وجهك وقال يوسف لابيه واخوته انا صاعد الى فرعون لاخبره بقدومكم فاذا استدعاكم وقال لكم ما حرفتكم فقولوا كنا نحن وآباؤنا الى الان ذوي ماشية لكي تقيموا بارض جاسان لان كل راعي غنم هو عند المصريين رجس (تكوين فصل ٤٦)

انما قصد يوسف بهذا ان يستمر اهله على حالة رعاية الماشية وان ينكبهم كثرة المخالطة مع المصريين وان يحلهم في اجود الارض وقد تعددت اقوال المفسرين في اعتبار المصريين كل راعي غنم رجساً فقال الحجري في تفسير هذه الاية انما ذلك لان الرعاة يذبحون ويأكلون لحوم غنمهم وبقرهم التي

كان المصريون يعبدونها واستشهد لرايه بقول الكتاب في سفر الخروج (ف ٨ عد ٢٦) ان موسى قال لفرعون « ليس من الصواب ان تصنع (اي ان نذبح في ارض مصر) لاننا انما نذبح للرب الهنا ما هو رجس عند المصريين فهل نذبح بحضرتهم ما هو رجس عندهم ولا يرجموننا » وقال الاب فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ١٦٤) ما ملخصه قال بعضهم « ان المصريين كانوا يعتدُّون الرعاة ارجاسًا لتوقف نجاح بلادهم على الزراعة ولان اسم الرعاة يشير الى الخساسة والوغادة والهمجية وقالوا ان الاثار تمثل الرعاة بهيئة ضعفاء شنيعي المنظر وان هيرودت اشار (في ك ٢ فصل ١٦٤) الى ان المصريين كانوا يمقتون جميع الرعاة لان رعاة الخنازير منهم ولا تستقيم النتيجة لان مقت المصريين رعاة الخنازير انما كان لرجاسة هذا الحيوان عندهم فلا يتعدى الى سائر الرعاة وبعض الاثار المصرية يمثل الرعاة بهيئة الارقاء وبعضها يمثلهم بشيء من التعظيم لكثرة ماشيتهم او ما كان الاولى لحل هذا المشكل ان نقول ان المصريين كانوا يمقتون الرعاة لان الملوك الرعاة اذلوهم واستحوذوا على بلادهم واباني احدهم احسن قبول العبرانيين لانهم من اهل وطنه القديم وقرظ الاب فيكورو كلمت لانه اهتدى (في تفسيره سفر التكوين) الى هذا الوجه لتفسير هذه الاية قبل ان ينجلي تاريخ الملوك الرعاة كما انجلى الان فلم يكن الرعاة الوطنيون ارجاسًا بل كانوا يعتبرون الرعاة الاجانب ارجاسًا من جرى الملوك الرعاة

واخذ يوسف اولاً خمسة من اخوته فمثلهم بين يدي فرعون فتلطف بهم وقال ليوسف ان كنت تعلم ان فيهم ذوي حذقٍ فاقمهم على ماشيتي ثم ادخل يوسف يعقوب اباه ومثله بين يدي فرعون فرحَّب به وسأله عن عمره فقال سنو غربتي مئة وثلاثون سنة ولم تبلغ سني حياة ابآئي وعاش يعقوب بعد ذلك

في مصر سبع عشرة سنة واحلَّ يوسف اخوته في اجود موضع من مصر وهو ارض جاسان التي سماها الكتاب ارض رعمسيس ايضاً واقام بعض اخوته وكلاءَ على ماشية فرعون وكان للفراعنة ماشية كثيرة ويكفي لاثبات ذلك ما ذكروه من تقادمهم للهياكل فجاءَ في البابير المعروف بهاديس ان رعمسيس الثالث قدم لهيكل طيبة (تاب) قطيع ماشية عدده ستة وثمانون الف راس ولهيكل هيلوبوليس (المطرية الان اوتل الحصن) قطيعاً عدده خمسة واربعون الفاً وخمس مئة واربعة واربعون راساً

قد كان للعلماء ومفسري الكتاب قبل الاكتشافات الحديثة اقوال عديدة متضاربة في موقع ارض جاسان التي احتلها بنو اسرائيل فان الجهل بجغرافية مصر اوقع امرهم في اغلاط بينة من ذلك جعل العلامة كرنيلوس الحجري موقع مدينة رعمسيس وارض جاسان في الصعيد في جنوبي مصر حيث توفر عدد السائحين في صدر النصرانية ولم يسعد الحظ كلمت الشهير ان يحترز من التهور في مثل هذا الغلط على ان احتفار قناة السويس وابحاث العالم ادوار نافيل في هذه الارض سنة ١٨٨٥ على نفقة الجمعية الانكليزية المعروفة بلجنة البحث في مصر كشفت لنا عن حقيقة موقع جاسان وارض رعمسيس فهي في الجهة الشمالية الشرقية من مصر حيث الان المديرية المعروفة بالشرقية فقد وجد نافيل هناك تمثال رعمسيس الثاني نفسه مكتوباً عليه اسمه ست مرات واكتُشف في المحل المعروف الان هناك بسفط الحنة على اثر يتبين منه ان هذا المحل كان يسمى كاسام وكان هذا الاسم يطلق على العمل كله وليس كاسام الا جاسان مبدلاً فيه حرفان بما يقاربهما كما جرى في كثير من هذه الاسماء وهو في الجنوب الشرقي من الزقازيق وفي الشرق من تل المسقوطة وهناك سفط وتل الكبير وقد جاء في سفر الخروج (ف ١ ع ١١) ان بني اسرائيل « بنوا لفرعون

مدينتي خزن وهما فيتوم ورعمسيس ، وحققت ابحاث نافيل ان اخربة تل المسقوطة انما هي فيتوم القديمة حقيقة فيتوم او يتوم كلمة مركبة من بي ومعناه بيت كما في السريانية ومن توم اسم احد معبودات مصر فكانت هذه المدينة مفردة لهذا الاله وتحت حمايته وجميع الآثار التي وجدت هناك تجد عليها اسم الاله توم وهناك وجد تمثال رعمسيس الذي سميت المدينة الثانية باسمه ومن جملة هذه الآثار تمثال صغير من حجر احمر كتب عليه اسم الاله توم ثلث مرات ووجدت صورة هذا الاله ايضاً وكثير من اللبن مصنوعاً من اوحال النيل يخالطها التبن وذلك من بقايا سور المدينة وهذا اللبن هو الذي كان الفراعنة يسخرون بني اسرائيل بصنعه فاذاً قد كان تل المسقوطة جزءًا من ارض جاسان او ارض رعمسيس ولا يخالف ذلك ان هذه الارض لا ترى الآن خصبة جيدة التربة لان ارمال البرية الحارة غطتها بعد ان كانت في ايام بني اسرائيل تسقى بمياه النيل وتشهد لذلك آثار القناة الباقية الى الآن ولم يشهد الكتاب وحده بجودة ارض جاسان بل شهدت لها الآثار ايضاً فقد جاء في البابير المحفوظ الآن في لوندرة وقد خطَّ في مدة اقامة بني اسرائيل في مصر ان ارض رعمسيس كانت على غاية من العمران من حيث كثرة السكان وغزارة ماء سقائها وكثرة غلاتها قال الاب فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ٢٢٤) ، ان ارض جاسان يعود اليها خصبها اذا احياها ماء النيل وقد دلنا احد سكان تل المسقوطة عند زيارتنا لها في شهر اذار سنة ١٨٨٨ على ارض فسيحة تبلغ الى ثمان مئة فدان (كما يقولون) اشتراها سنة ١٨٨٥ وسقاها بقناة صغيرة من ماء الاسمعيلية فاصبحت نضرة خصبة متوفرة الغلة ، فهناك اذاً اقام يعقوب وهناك نمى نسله كما سترى

﴿ عد ١٧٧ ﴾

في وفاة يعقوب ثم يوسف في مصر

لما دنا اجل يعقوب دعا يوسف واستحلفه ان لا يدفنه في مصر بل في مدفن آبائه في حبرون واتاه يوسف بابنيه منسى وافرائيم فباركهما مقدمًا اصغرهما افرائيم على اكبرهما منسى ثم جمع بنيه وباركهم وتنبأ على ما يكون لذرية كل منهم وخصَّ يهوذا بارث المواعد الالهية وبان المخلص يولد من نسله وقدمه على اخوته رأوبين وشمعون ولاوي مع انهم اكبر منه سنًا لجعلهم انفسهم غير اهل للتقدم لما اقترفوا من الجرائم ولاسيما اثخانهم في ارض شكيم عند افتضاض اختهم دينا ولما فرغ من وصيته لبنيه ضم رجليه على السرير فيظهر انه كان يوصي جالساً ورجلاه ممتدتان ولما فرغ ضم رجليه وفاضت روحه فما اهنأ موت الابرار . فبكاه يوسف وامر الاطباء ان يحنطوا جثته فحنطوها وقد اعتاد المصريون تحنيط جثث الموتى من اقدم الايام . ذلك دليل على ثيقنهم حياة اخرى وقيامة الموتى . وكان لهم في التحنيط اساليب متنوعة يجرون منها على ما شاءه اهل الميت من النفقة واقل انواعه نفقة اخراج الاحشاء والدماغ ووضعها في قار مغلي وحفظها في آنية من خزف او غيره وتجفيف سائر الجسم بوضعه في النترون مدة متطاولة نحوًا من اربعين او سبعين يومًا ثم لف الجسم بعصائب من كتان نقي وكثيرًا ما توجد مكتوبًا عليها اسماء الالهة وآيات من السفر المعروف عندهم بسفر الموتى وكانوا يضمون ايدي النساء على صدورهنَّ وايدي الرجال على جانبي جثتهم او يضعون اليد اليسرى على كتف اليمنى وكانت الخنافس رمزًا عندهم الى عدم الموت فكانوا يضعون مثالها موضع القلب ويعتبرون القلب مقر الضمير فيكتبون على لفافته فقرة من الفصل الثلاثين من كتاب طريقة دفن الموتى هي يا قلب يا قلب قد اتخذتك من امي وكنت قلبي ما حييت

على الارض فلا تكن شاهدًا عليَّ ولا تشكوني الى رئيسي الالهي ولا تحمل عليَّ امام الاله الاعظم » (رواه مسبرو في تاريخ شعوب المشرق صفحة ٤١) ذلك دليل على اعتقادهم الدينونة

وبعد اتمام التحنيط صعد يوسف ليدفن اباه وصحبه آله الا اطفالهم وجم غفير من عبيد فرعون وشيوخ ارض مصر ومراكب وفرسان فكان الموكب عظيمًا جدًا فافضوا الى بيدر اطاد في عبر الاردن وقال القديس ايرونيموس ان موقع هذا البيدر في عبر الاردن الشرقي ثم قال انه في عبره الغربي يبعد ثلثة اميال عن اريحا وميلين عن الاردن نحو الغرب ولعل القول الاول حرّفه النساخ او ذكره هذا العلامة تبعاً لنص الكتاب انه في عبر الاردن للقادم من مصر اذ يكون قدومه من شرقي الاردن وعبره في مغربه ولا سيما لانه جعل موقع بيدر اطاد في محل عين حجلة الان (كاران مجلد ١ في السامرة صفحة ٥٣) وهو تجاه مخاضة حجلة في شمالي الخليل فهناك اقام يوسف مع صحبه مناحة لابيه ولذلك سمي هذا المحل وقتئذٍ مناحة المصريين ثم رفعوا جثة يعقوب الى حبرون (الخليل) ودفنوه في المغارة المضاعفة مع ابرهيم وسارة واسحق ورفقا ولية (راجع عد ١٦٣)

وخاف اخوة يوسف ان يتذكر اخوهم بعد وفاة ابيهم مساءتهم اليه فيجزيهم عليها شرًّا فارسلوا يقولون له ان اباه اوصى ان يغفر لاخوته فبكى يوسف حين قيل له هذا الكلام فجاء اخوته ووقعوا بين يديه فقال لا تخافوا هذه مشيئة الله ولاطفهم وعاش يوسف بعد وفاة ابيه نحوًا من اربع وخمسين سنة لان فرعون استوزره وعمره ثلاثون سنة ومرت سبع سني الشبع وسنتان من المجاعة الى انحدار يعقوب الى مصر وعاش يعقوب في مصر سبع عشرة سنة فمجموع هذه السنين ست وخمسين سنة وانبأنا الكتاب ان يوسف مات وله من العمر

مئة وعشر سنين فيكون الباقي منها اربع وخمسون سنة وقبل موته استحلف آله ان ينقلوا عظامه الى ارض الموعد متى افتقدهم الله واخرجهم من مصر فحنطت جثته على عادة المصريين ووضعت في تابوت حملوه معهم عند ارتحالهم من مصر الى ارض كنعان وجاء في سفر يشوع بن نون (ف ٢٤ ع ٣٢) ان « عظام يوسف التي اصعدها بنو اسرائيل من مصر دفنوها في شكيم (نابلس) في قطعة الحقل الذي اشتراه يعقوب من بني حمور ابي شكيم بمئة نعجة (تك ف ٣٣ ع ١٩) وصار لبني يوسف ملكاً » وقال القديس ايرونيموس (في المباحث العبرانية في التكوين) ان مدفن يوسف كان يشاهد الى ايامه في فلسطين » وقال العالم رونلدسون انه زار في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٨٦٨ مدفنا في نابلس اجمع السامريون واليهود والمسلمون والنصارى على انه مدفن يوسف وتلا هذا الجوالة الانكليزي خطبة في هذا الشان بحضرة اعضاء جمعية الاثار الكتابية في لوندرة في ٧ ك ٢ سنة ١٨٧٣ روى ذلك الاب فيكورو (الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ١٩٦) وقال « يحتمل ان يكون يوسف دفن في هذا المحل ولكن في حجرة والاثر الذي يشاهد الان حديث وقد زرته في ٢٨ اذار سنة ١٨٨٨ وعليه كتابة انكليزية ناطقة بان العالم روجه عني بمرمته »

وقد كانت المدة التي انقضت من اتيان ابرهيم الى ارض كنعان الى انحدار يعقوب الى مصر مئتين وخمس عشرة سنة لان ابرهيم شخص الى ارض كنعان وله من العمر خمس وسبعون سنة وولد اسحق وعمرة مئة سنة اي لسنة ٢٥ من اتيانه الى فلسطين واسحق ولد يعقوب وعمره ستون سنة ويعقوب انحدر الى مصر وعمره مئة وثلاثون سنة كما رأيت فيكون المجموع ٢١٥ سنة

الفصل الرابع

(في اخبار بني اسرائيل في مصر)

﴿ عد ١٧٨ ﴾

حالة بني اسرائيل اولاً في مصر واشتراكهم مع المصريين في بعض غزواتهم

نما بنو اسرائيل كثيرًا في ارض جاسان الخصبة ولم يبرحوا ممتازين عن المصريين في دينهم وادبهم ولغتهم ولم يكن المصريون يهوون التقرب اليهم لانهم رعاة ورحل وقد رأيت ان الرعاة كانوا يحسبون في مصر ارجاساً وتلك عناية صمدانية ندرك من غاياتها محافظة بني اسرائيل على اعتقادهم وحدانية الله وعلى التقليدات التي تلقوها من ابرهيم واسحق ويعقوب ويوسف ووقايتهم من سريان عدوى عقائد المصريين اليهم . على انه وان كان للفراعنة الولاية العليا عليهم فكان لهم شيوخ يلون امرهم فكان كل سبط ينقسم الى اسرات ولكل اسرة شيخ ولشيوخ كل سبط رئيس يسميه المصريون هاك (والياً او رئيساً) وبرأس هولاء عمال يسميهم المصريون سكوتريم (كتبة) تختارهم الحكومة من بني اسرائيل وهم المواخذون امام الحكومة بتنفيذ اوامرها واداء التكاليف المفروضة على بني اسرائيل فكان لاقامة بني اسرائيل في مصر وجهان نافعٌ وضار فالنافع قربهم من شعب فاقهم حضارة وتمدناً فاقتبسوا منه بعض الصنائع واخذوا عنه عيشة الحضارة بدلاً من البدو والضار تشوش بعض تقليداتهم وادابهم وبعض الخلل في عبادة الاله الحق ولذلك شاء الله اخراجهم من مصر

قد حصلت ثورات عديدة في مدة اقامة بني اسرائيل في مصر منها طرد الملوك الرعاة وعود البلاد الى استقلالها ومجدها كما رأيت في تاريخ الحثيين ويظهر ان الملوك الوطنيين بعد الرعاة رفقوا ببني اسرائيل ولم يعتوهم وان رجال هولاء كانوا من جنود الفراعنة في حملاتهم على اسيا وحاولوا منذ ذلك العصر الاقامة في ارض موعدهم فلم تتيسر لهم وجاء في سفر اخبار الايام الاول (ف ٧ ع ٢٠) ان ابناء افرائيم بن يوسف نزلوا الى جت (مدينة الفلسطينيين) ذكرين الان ليأخذوا ماشيتهم فقتلهم رجال جت. وذكروا ان ابنة من ذرية افرائيم بنت مدنًا في بلاد كنعان وان بعض بني سيلا بن يهوذا استحوذوا على بعض مدن الموآبيين هذا ملخص ما رواه لانرمان (مجلد ٦ من تاريخه الشرقي صفحة ١٩٥) وقد طالعت في هذه الايام مقالة اثبتها الاب دي مور l'Abbé de Moor في المجلة الكتابية Revue Biblique في عددها الثالث الصادر في تموز سنة ١٨٩٢ معنونة « العبرانيون في فلسطين قبل الخروج » وموضوعها الكلام في صفائح مسمارية كشف عنها سنة ١٨٨٧ في تل الامرنا بما بين النهرين ذكرت فيها اسماء اورشليم واليهود بين اسماء الشعوب سكان فلسطين الذين انتصر عليهم امانوفيس الرابع احد فراعنة الدولة الثامنة عشرة بعد طرد الرعاة من مصر وقبل خروج بني اسرائيل منها بزهاء مئة وخمسين سنة فارتبك العلماء في مغزى هذه الصفائح وفي التوفيق بين ما كتب فيها وآيات الكتاب وآثار اخرى فبذل الاب دي مور قصارى جده ليثبت ان هولاء اليهود الذين ابان الاثر الجديد اقامتهم في فلسطين قبل الخروج قد رافقوا الملوك الرعاة عندما طردهم المصريون فاقاموا في فلسطين واورشليم خاصة وملكوا فيها وايد قوله هذا بحجج منها قول مانيتون ابي التاريخ المصري ان الرعاة بنوا اورشليم اي رفقاء الرعاة ومنهـا اقوال اخرى لمانيتون ايضًا سمى بها الرعاة اورشليميين او اراد العبرانيين الاورشليميين . ومنها انه

وجد في جريدة اسماء الشعوب الذين قهرهم توتمس الثالث اسماء يعقوبال ويوسفال اي بني يعقوب وبني يوسف وهذه الجريدة منقوشة على جدار الكرنك يعدد بها توتمس الشعوب الذين قهرهم بعد موقعة مجدو (راجع عد ٦٢) ومن حججه ايضاً ما كتب على صفائح تل الامرنا المبحوث فيها واقوى حججه آية سفر اخبار الايام الاول (ف ٧ ع ٢٠ وما يليه) « وبنو افرائيم شوتالح ... وعاز والعاد فقتلهم رجال جت المولودون في الارض لانهم نزلوا ليأخذوا ماشيتهم فناح افرائيم ابوهم اياماً كثيرة واقبل اخوته ليعزوه » ولا مرية ان افرائيم هو ابن يوسف وجت هي مدينة فلسطين المشهورة وخروج بني اسرائيل من مصر كان لسنين متطاولة بعد وفاة افرائيم بن يوسف فلا مخرج لهذه الاية التي اعيا العلماء تفسيرها الا بان يقال ان بعض العبرانيين حاربوا مع الرعاة لقربهم منهم موطناً في سورية وفلسطين وخرجوا معهم عند خروجهم من مصر فاقاموا في اليهودية . هذا خلاصة ما جاء به الاب دي مور في مقالته

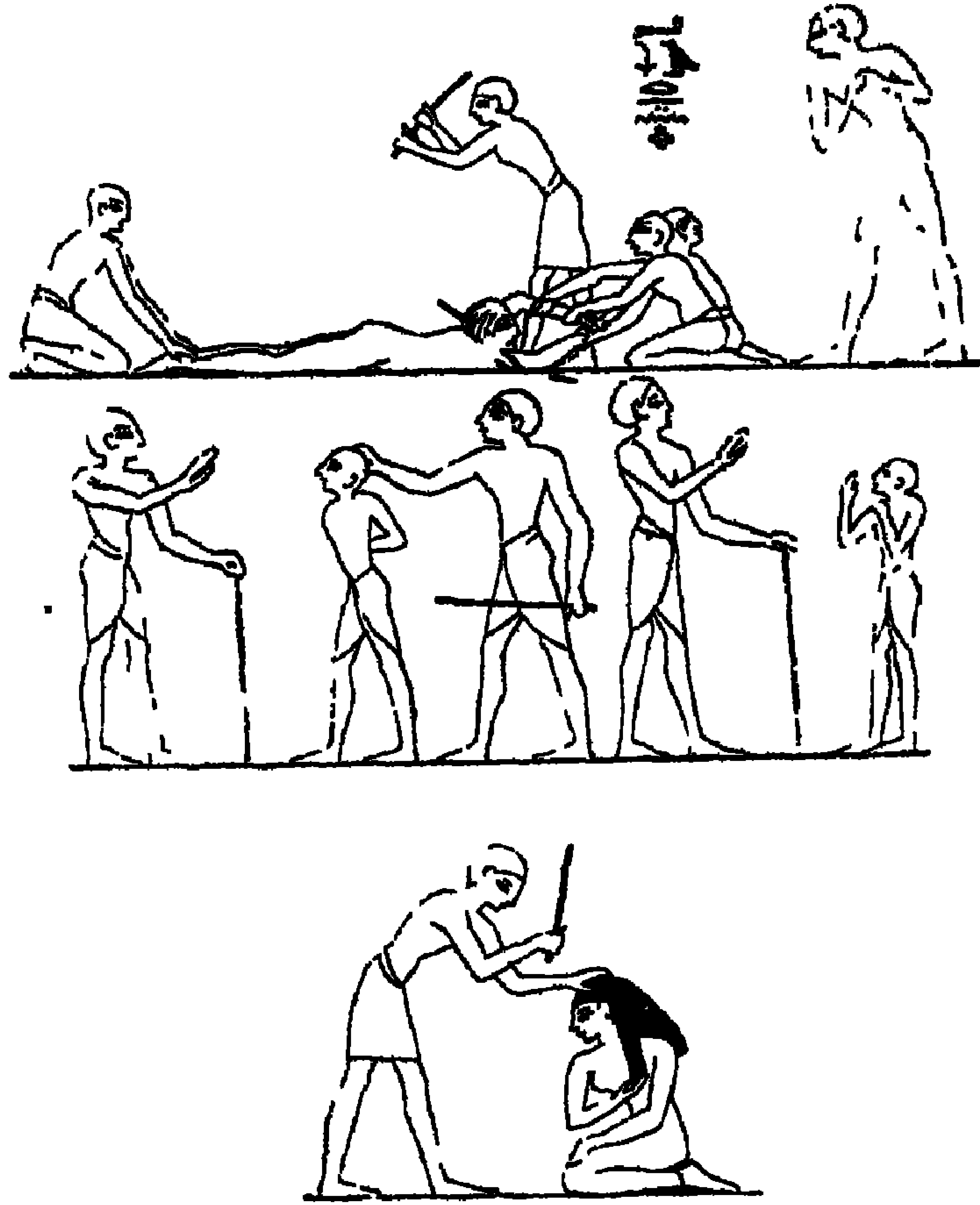
عد ۱۷۹

في بدء اضطهاد بني اسرائيل في مصر

قال الكتاب (في الفصل الاول من سفر الخروج عد٦ وما يليه) « ومات يوسف وجميع اخوته وسائر ذلك الجيل ونمى بنو اسرائيل وتوالدوا وكثروا وعظموا جداً جداً وامتلأت الارض منهم وقام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه ان شعب بني اسرائيل اكثر واعظم منا تعالوا نحتال عليهم كيلا يكثروا فيكون انهم اذا وقعت حرب ينضمون الى اعدائنا ويحاربوننا ويخرجون من الارض فاقاموا عليهم وكلاء تسخير لكي يعنتوهم باثقالهم فبنوا لفرعون مدينتي خزن وهما فيتوم ورعمسيس غير انهم كانوا كلما اذلوهم ينمون

ويمتدون حتى تخوفوا من قبل بني اسرائيل فاستخدم المصريون بني اسرائيل بقسوة وتغصوا حياتهم بخدمة شاقة بالطين واللبن وسائر اعمال الارض »

وقد جاءت الآثار المصرية مصداقاً لآي الكتاب هذه فقد وجدت على مدافن مصرية صور عديدة تمثل اسرى ساميين يعملون بالطين واللبن ويبنون الاسوار تحت امرة عمال مصريين بيد كل منهم سوط او عصا طويلة حتى ان الناظر الى تلك الصور يقضي لاول وهلة ان ما تلك الصور الا ممثلة لما رواه الكتاب من استعباد المصريين لبني اسرائيل وسنذكر احدى هذه الصور في العدد ١٨٢ . اجمع اهل العلم بالآثار المصرية ان خروج بني اسرائيل من مصر كان في عهد الدولة التاسعة عشرة وقال بعضهم ومنهم مسبرو (في تاريخ شعوب المشرق) انهم خرجوا في عهد ساتي الثاني احد فراعنة هذه الدولة . وقال لبسيوس ودي روجه وشباس ولانرمان وسايس وبروغش وإبار وتابعهم في قولهم اكثر اهل العلم بهذا الفن في افرنسة وانكلترا والمانيا ان خروج بني اسرائيل كان في عهد منفتاح الاول ابن رعمسيس الثاني وعليه فرعمسيس هذا هو الذي شرع يضطهد بني اسرائيل واثقلهم ببناء المدينتين اللتين سميت احداهما رعمسيس باسمه كما سميت الاسكندرية باسم اسكندر وقسطنطينية باسم قسطنطين وانبأتنا الخطوط الهيروكليفية ان رعمسيس الثاني انما هو باني هذه المدينة وقد حققته خاصة اكتشافات ادوار نافيل في فيتوم مدينة رعمسيس الاخرى حيث كشف عن اثار عديدة لا تدع محلاً للامتراء في ان المدينتين بنيتا بامر رعمسيس لان اسم رعمسيس على كثير من هذه الآثار ومن جملتها تمثال رعمسيس نفسه مكتوباً عليه اسمه ست مرات وهو الان في جنة الاسمعيلية ثم انك تجد على مقربة من تل المسقوطة (حيث كان موقع فيتوم) صخراً كبيراً من الحجر المحبب (كرانيت) رسمت عليه صورة ملك جالس بين الهين فهذا الملك هو رعمسيس



صورة عن مدافن بني حسن في مصر تمثل هيئة الضرب بالعصا صفحة ٨٨

الثاني وقد نقش اسمه مكرراً على هذا الصخر والالمان بجانبه هما توم ورع وقد مر (في عد ١٧٦) ان فيتوم او بيتوم تأويلها بيت الاله توم او معبده مركبة من بَي او بَي بيت وتوم اسم الاله ويراد به عندهم الشمس عند غروبها ورع او امون رع يريدون به الشمس وقت خفائها وحول هذا الصخر اخربة كثيرة وكبيرة وهي بقايا لبن مصنوع من وحول النيل يخالطها التبن وكانت اسوار مدينة بيتوم مبنية بها حتى يمكن ان يثبت ان بعض بقايا هذا اللبن هي من عمل بني اسرائيل (طالع العدد ١٨٢)

قد وجد في منف بابير خُطَّ في عهد رعمسيس الثاني وهو الآن في متحف لايد (في هولاندا) ترجمه العالم شباس فاذا به بينتان قاطعتان لصحة ما جاء في الكتاب من اعنات بني اسرائيل وتسخيرهم بابنية رعمسيس واليك البينة الاولى فمن مآل هذا البابير انَّ للكاتب كويسر يجيب رئيسه الكاتب (كان العمال يسمون كتبة) بكنفتاح عن شيء امره به فيقول « استرضاء لسيدي اتممت امره الذي انفذه اليَّ قائلاً اعطِ الجنود قوتهم واعطِ ايضاً العبريو (العبرانيين) الذين ينقلون الحجار لبناء البكهان (المخازن او الحصون العسكرية) الكبيرة للملك رعمسيس مريامان خليل العدل (العبرانيين) الذين وكل امرهم الى رئيس المدجايو (رجال الشحنة والضابطة) عنيمان فانا اجريت عليهم رزقهم في كل شهر بمقتضى الاوامر السامية التي انفذها سيدي اليَّ »

والبينة الثانية هي رسالة اخرى كتبها الكاتب كنيامن الى رئيسه كجاناهوي من المقربين الى رعمسيس الثاني فقال « اطعت ما امرني به سيدي قائلاً اعطِ الجنود ارزاقهم والعبريو ايضاً الذين ينقلون الحجارة لشمس الشمس (اي هيكل الشمس) الذي انصرفت اليه عناية رعمسيس مريمان في جنوب منف » فالبينتان قاطعتان خاصة اذا راعينا ان بني اسرائيل كانوا يعرفون في مصر

باسم عبرانيين ونرى فرعون نفسه يسميهم بهذا الاسم لانه قال للقابلتين « اذا استولدتما العبرانيات » وموسى نفسه قال « وكلم ملك مصر قابلتي العبرانيات» (خروج ف ١ ع ١٥ و١٦)

ولما رأى رعمسيس ان اعنات العبرانيين واثقالهم بالاشغال الشاقة لا ينوله مأربه من انقاص عددهم عمد الى ذريعة اخرى بان امر قابلتي العبرانيات ان تقتلا كل ذكر يولد لهنّ فاتقت القابلتان الله ولم تفعلا واحتجتا بان العبرانيات قويات يلدنَ قبل ان تدخل القابلة عليهنَّ فبارك الله القابلتين وعمر بيوتهما فاستشاط رعمسيس غضباً فامر جميع شعبه امرًا فظيعاً ان يطرحوا في النهر كل ذكر يولد للعبرانيين ولم يكن الفراعنة يقدرون حياة الانسان حق قدرها تنبئنا بذلك الوف الرجال الذين كانوا يهلكونهم في بناء آثارهم وغيرها على ان امر فرعون هذا لم ينفذ الا في مدة وجيزة لاننا نرى عدد بني اسرائيل بعده بثمانين سنة قد اتصل الى ستماية الف مقاتل عند خروجهم من مصر وقد مر في كلامنا على الحثيين ان رعمسيس هذا غشي سورية بعساكره مرتين لمحاربة الحثيين والكنعانيين ونقش صورته ظافرًا على صخر في جانب نهر الكلب

عد ١٨٠

مولد موسى ومنشأه في بيت فرعون وفراره من مصر

وكان ان رجلاً من سبط لاوي يسمى عمران او عمرام تزوج بابنة من قرائبه اللاويات اسمها يوكابد وسماها يوسيفوس (في تاريخ اليهود) يوكابل وابن الاثير يوحانذ فولدت له اولاً بنتًا سمتها مريم ثم ابنًا سمته هرون ثم ابنًا اخر رأته حسنًا وخافت عليه نفوذ امر فرعون به فاخفته ثلاثة اشهر ولما لم تستطع ان تخفيه بعد اخذت له سفطاً من بردي وطلته بالحمر والزفت وجعلت الولد فيه ووضعته بين الخيزران على حافة النهر ووقفت اخته من بعيد لتنظر ما

يقع له فنزلت ابنة فرعون الى النهر لتغتسل وكانت جواريها سائرات على شاطئ النهر فرأت السفط بين الخيزران فارسلت آمتها فاخذته ولما فتحته رأت فيه صبيًا يبكي فرقت له وقالت هذا من اولاد العبرانيين وروى يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ٢ ف ٥) ان ابنة فرعون هذه كان اسمها ترموتيس وذكرت الآثار المصرية لرعمسيس امرأة سمتها ترنموت او ترموت وتأويل هذا الاسم « محبوبة الالهة موت » وروى يوسيفوس ثمة ايضًا ان ابنة فرعون استدعت كثيرًا من المرضعات فلم يأخذ الطفل ثدي احداهنَّ فقالت حينئذٍ مريم اخته لابنة فرعون لا يأخذ الطفل ثدي ظئرٍ من غير امه فان امرتِ اتيتك بمرضع عبرانية فقالت اليَّ بها فاسرعت الفتاة فدعت ام الصبي فقالت لها ابنة فرعون خذي هذا الصبي وارضعيه وانا اعطيكِ اجرتك فاخذته وارضعته مع الحليب حب الاله الحق والغيرة على بني قبيلته وحفظ التقليدات العبرانية ولما كبر جاءت به ابنة فرعون فاتخذته ابنًا لها وسمته موسى وقالت لاني انتشلته من الماء فمعنى الكلمة النشيل لان لفظة مو في المصرية معناها الماء وايزاس او ساس معناها نشل

لم ينبئنا الكتاب شيئًا مما كان لموسى في بيت فرعون على ان التقليدات اليهودية التي رواها يوسيفوس (في الفصل الآنف ذكره) تؤذن بان ابنة فرعون اقامت عليه اساتذة من الكهنة يفقهونه علوم المصريين وعنت بان تنكبه حسد الكهنة والمنجمين الذين كانوا يتوسمون فيه ذكاءً ساميًا ويخشون ما يكون في مقبل امره ويجعلون الملك واجسًا منه . ومن اقاصيصهم ان موسى سلمت اليه قيادة الجيوش في حملة على الحبشة ولهم في ظفره فيها وفي تزوجه بتربيس بنت ملك الحبشة حكايات لا تصدق فنضرب عنها

ان رفاه عيش موسى وعزازته في بيت فرعون لم ينسياه الضيق الملم بشعبه فكان يكثر التراداد بين اظهرهم معزيًا ومشجعًا لهم وخرج يومًا الى اخوته فاذا

نمصريٌّ يضرب عبرانياً فلم يتمالك موسى عن ان يثب على المصري ويقتله ويطمره في الرمل وخرج في اليوم التالي فاذا بعبرانيين يتضاربان فقال للمعتدي لِمَ تضرب قريبك فقال من اقامك رئيساً وحاكماً علينا أتريد ان تقتلني كما قتلت المصري فخاف موسى وعلم ان الخبر قد ذاع وان فرعون يريد قتله مدفوعاً الى ذلك بحسد المصريين له فهرب موسى من وجه فرعون

عد ١٨١

اقامة موسى في بلاد مدين وزواجه فيها وعوده الى مصر

قد فرّ موسى الى ارض مدين وهي من بلاد العرب في شرقي البحر الاحمر وقد مر بك عند كلامنا في ولد ابرهيم من قطورة ان هولاء المدينيين الذين لجأ موسى اليهم هم كوشيون اصلاً وغير المدينيين ولد مدين ابن ابرهيم من قطورة الذين كانت مساكنهم في شرقي البحر الميت وان بعض العلماء يرى ان للشعبين اصلاً واحدًا وانبأنا الكتاب (خروج ف ٢) ان موسى قعد عند بئر في ارض مدين فجاءت بنات رعوئيل كاهن مدين الذي يسميه الكتاب يترو او يترون ايضاً ويسميه العلماء العرب شعيب فاستقينَ وملأنَ المساقي ليسقينَ غنم ابيهنَّ فطردهنَّ الرعاة فانتصر لهنَّ موسى وسقى غنم ابيهنَّ فاخبرنَ اباهنَّ بما فعله الرجل اليهنَّ فاستدعاه وشكر له واكرم مثواه ورغب اليه ان يقيم عنده فارتضى موسى ووكل اليه يترون العناية بماشيته وزوجه صفّورة ابنته فولدت لموسى ابنًا سماه جرشوم وقال كنت نزيلاً في ارض غريبة فتأويله الغريب او النزيل ثم ولدت له ابناً ثانياً سماه اليعازر وقال ان اله ابي ناصري انقذني من يد فرعون فتأويله عون الرب او انجاده

ان موسى اقام في ارض مدين اربعين سنة وكان عمره اذ هرب اليها اربعين سنة وقام على قيادة بني اسرائيل اربعين سنة فجملة سني عمره مئة

وعشرون سنة كما جاء في الفصل الاخير من سفر التثنية وعليه فما جاء في الفصل الثالث من سفر الخروج من تجلي ملاك الرب له في جبل حوريب بلهيب نار في وسط العليقة كان في السنة الثمانين من عمره والاخيرة من سني اقامتـه في ارض مدين لان موسى همّ بالعود الى مصر بعد هذه الرؤيا التي افتتح الله بها رسالته الى فرعون ليطلق الشعب اذ جاء في الكتـاب ان موسى مال لينظر ما بال العليقة تتوقد بالنار ولا تحترق فناداه ملاك الرب من وسط العليقة قائلاً اخلع نعليك من رجليك فان الموضع الذي انت قائم فيه ارض مقدسة وكان خلع النعلين في المشرق خاصةً دليلاً على الاحترام والتهيب وناجاه الرب قائلاً انا اله ابائك ابرهيم واسحق ويعقوب وقد نظرت الى مذلة شعبي في مصر فالان تعال ابعثك الى فرعون واخرج شعبي من مصر فقـال له موسى من انا حتى امضي الى فرعون واخرج بني اسرائيل من مصر فقال له الرب انا اكون معك فقال له موسى ها انا سائر اليهم وقائل لهم ان اله ابائكم بعثني اليكم فان قالوا لي ما اسمه فماذا اقول لهم فقال له الرب انا هو الذي هو انا الكائن اي انا القيوم انا هو الازلي والابدي انا هو الذي لا يتغير بل هو دائماً هو فقـال موسى لا يكفيهم هذا بل يقولون لي لم يتجلَّ لك الرب وكانه يطلب من الرب اية فقال له الرب ما تلك التي بيدك قال عصا قال القها على الارض فالقاهـا فصارت حية فهرب موسى من وجهها فقال له الرب امدد يدك وامسك بذنبهـا ففعل فعادت عصا في يده . ثم قال له ادخل يدك في جيبك فادخلها واخرجها فاذا يده برصاء كالثلج فقال له ارددها الى جيبك فردها واخرجهـا فعادت كسائر بدنه فصدق موسى قوة الله واستمر متردداً بقوة نفسه فقال رحماك يارب اني بطيء النطق وثقيل اللسان فقال له الرب من الذي خلق للانسـان فماً ومن الذي يخلق الاخرس والاصم والبصـير والاعمى اليس اياي انا الرب

والان فامضِ فاني اكون مع فيك واعلمك ما تتكلم به فقال رحماك يارب ابعث من انت باعثه فاتقد غضب الرب على موسى واسمعه ان اخاه هرون يكون معه وهو يخاطب الشعب عنه وأمره ان يأخذ بيده العصا التي صارت حية فمضى موسى ورجع الى يترو حميه واعلمه بانطلاقه الى اخوته فشيعه بالسلام فأخذ موسى امرأته وولديه واركبهم الحمير كعادة المصريين الى اليوم ولما كان في الطريق في المبيت التقاه ملاك الرب واراد قتله فاخذت صفورة صوانة فقطعت قلفة ابنها ومست رجليه وقالت انت لي عروس دم فكف عنه عندما قالت عروس دم من اجل الختان . لا تخلو آيات الكتاب هذه من غموض وكثرت الاقوال في تفسيرها واظهرها ان الملاك اراد قتل موسى لمخالفته السنّة بترك ختان ابنه اليعازر لان ابنه الاكبر جرشوم كان اختتن وعرفت صفورة امرأة موسى علة ارادة الملاك اهلاكه فاخذت الصوانة وختنت ابنها والضمير في رجليه من قوله مست رجليه عائد الى موسى على الاظهر لا الى ابنها فمست رجلي موسى وقالت انت لي عروس دم كانها تقول ان الملاك كان يريد قتلك فاستحييتك بختان ابنك فكانك لي عروس جديد بالدم الذي وقيتك به الملكة وكف الملك عنه بعد الختان فظهر ان ترك الختان كان علة لطلبه اغتياله . والتقى هرون موسى في البرية فقص موسى عليه جميع كلام الرب الذي بعثه به واخبره بالايات التي امره بها ومضيا الى مصر فجمعا شيوخ بني اسرائيل كلهم وخاطبهم هرون بما كلم الرب به موسى وصنع الايات على عيون الشعب فخروا وسجدوا شاكرين لان الرب افتقدهم

عد ١٨٢

مخاطبة موسى وهرون فرعون ليطلق بني اسرائيل وما كان من قسوته

قد مرَّ بك ان فرعون الذي كان يلي مصر لدن عود موسى من مدين انما هو منفتاح ثالث عشر ابناء رعمسيس الثاني فقد كتب على جدار هيكل صيوا انه كان لرعمسيس مئة واحد عشر ولدًا فمات في ايامه الاثنا عشر الاولون وخلفه منفتاح والبابيرات الكائنة الان في متاحف لندرة وبولنية وتورينو وقد خطت في عهد منفتاح هذا انبأتنا انه كان يقيم في مصر السفلى اي في منف وهليبولي(المعروفة اليوم بالمطريه) ورعمسيس مدينة ابيه (تل المسقوطة) وتانيس (صان في قرب الزقازيق) وهذه المدن مجاورة ارض جاسان او واقعة فيها وفي الاخيرة منها اي في تانيس كان يحاول مقاومة ارادة الله باطلاق شعبه وما في هذه البابيرات يطابق ما رواه موسى مكانًا وزمانًا ويتبين منها ان منفتاح كان قاسيًا فظًا يعتمد على السحرة كما جاء في سفر الخروج وكان الليبيون وثبوا على تخوم مصر الغربية في عهد رعمسيس الثاني فانتصر عليهم وبدد شملهم فتألبوا بعد موته مع سكان جزر البحر المتوسط وبعض اسيا الصغرى ويظهر ان بعض السوريين شايعوهم فوثبوا على شمالي مصر بحرًا وبرًّا فروعوا المصريين ولكن استظهر عليهم منفتاح واخذ منهم ٩٣٧٦ اسيرًا وفصلت ذلك خطوط نقشت على جدار مدينة ابو وهيكل الكرنك ونبهت هذه الاحداث منفتاح الى زيادة الحذر من الاجانب ولاسيما من توطنوا في شمالي مصر الشرقي اي العبرانيين خشية ان ينشئوا شغبًا في مملكته او يضافروا من غزاها وقد كتب هذا الملك على هيكل الكرنك ما يشير الى ذلك وهو « ان هذه الاماكن او احدها لم تكن تحرث بل تركت

مرعى للماشية من جرى البرابرة (الاثر محطم فلم تكن وسيلة لتعيين المحـل)
وقد تواتر السطو في هذا المكان منذ عهد السلف لما كان ملوك مصر العليـا
رقدًا في ظلال اثارهم وكان ملوك مصر السفلى ينعمون في مدنهم تحدق بهم
مواطن العثوّ والفساد ولم يكن لجنودهم من منجد لبكت اولئك ، زوى ذلك
شباس (في كتابه الموسوم بدرس القدم التاريخي صفحة ٢٠٤) وقال ان هذا
الكلام مؤذن بارتباك منفتاح من جرى تزايد عدد العبرانيين في عمل من بلاده
كثر فيه من اقدم الايام السطو والعثوّ حتى لم تكن ارضه تحرث لعدم الامن
على استغلالها من مهاجمات العرب وغيرهم فكيف ان عظم فيه عداد اجنبيين
واشتد ساعدهم فلا منجاة منهم الا باذلالهم وتقليل عديدهم ما امكن . فرأف
الله بشعبه وبعث موسى وهرون الى هذا الملك ليطلبا اطلاق بني اسرائيل

قال الكتاب (خروج ف ٥ ع ١ وما يليه) « دخل موسى وهرون وقالا
لفرعون كذا قال الرب اله اسرائيل اطلق شعبي لكي يعيدوا لي في البرية فقال
فرعون من هو الرب فاسمع لقوله واطلق اسرائيل ... وامر فرعون في ذلك
اليوم مسخري الشعب ومدبريهم قائلا لا تعطوا الشعب تبنًا بعد ليصنعوا اللبن
مثل امس فما قبل بل ليذهبوا هم ويجمعوا لهم تبنًا ومقـدار اللبن الذي كانوا
يصنعونه امس فما قبلُ افرضوه عليهم ولا تنقصوا منه شيئًا ... ليثقل العمل
على الشعب فيشتغلوا به ولا يلتفتوا الى كلام الكذب. فخرج مسخرو الشعب
ومدبروهم وخاطبوا الشعب قائلين كما قال فرعون . فتفرق الشعب في جميع
ارض مصر ليجمعوا جذامة عوض التبن والمسخرون يلحون عليهم قائلين اكملوا
اعمالكم فريضة كل يوم في يومها كما كان وقت اعطاء التبن وضُرِب مدبرو بني
اسرائيل الذين ولاهم عليهم مسخرو فرعون » ان الجذامـة من الزرع هي ما
بقي بعد الحصاد كما في كتب اللغة والكلمة في العبرانية قش وفي النسخـة

السريانية ܥܘܒܐ وܗܫܝܫܐ وقد ارتبك العلماء في تفسيرها فقد ترجمها بعضهم بالجذامة كما روينا عن نسخة الاباء اليسوعيين المطبوعة في بيروت ويظهر انه اعتاص على القديس ايرونيموس لدى ترجمته سفر الخروج من العبرانية فهم المقصود بكلمة قش فلم يترجم الاية كلمة فكلمة بل اقتصر على قوله « تفرق الشعب في ارض مصر كلها ليجمع التبن » والتوى على كلمت ايضاً تفسير الآية فقال « تفرق الشعب لجمع العصيفة اي التبن الدقيق المهمل في الحقل بدلاً من التبن الذي كانوا يعطونه قبلاً » وقرائن كلام الكتاب تقضي بان يكون ما جمعه بنو اسرائيل غير التبن المعتاد على ان الاكتشافات المصرية ابانت لنا ان كلمة قش التي ذكرها موسى في هذه الاية انما هي مصرية يراد بها نبات يكثر وجوده على شواطي النيل والاقنية المتفرعة عنه ويترجح انه البردى الذي تعمل منه الحصر او ما تسميه عامتنا السعد فقد وجد العالم نافيل صاحب اكتشافات تل المسقوطة في ارض جاسان ما لا يقدر من هذا اللبن وحلل كثيراً منه فوجد بعضه يخالطه عصيفة من البردى وبعضه مخلوطاً بالتبن وبعضه مصنوعاً من وحول النيل ليس الا واليك قوله في خطبته التي قدمها سنة ١٨٨٣ في المجتمع الاول العام في شان الاكتشافات المصرية « ان قسماً من هذا اللبن يخالطه التبن او افلاذ من البردى (او القصب المراد به كل نبات اصله انابيب) وآثارها بينة وقسماً اخر منه مصطنع من وحول النيل وحدها لا يرى اثراً للتبن فيه » وقد لاحظ الدقتور لبسيوس ان اللبن الذي وجد في تل المسقوطة وقد كان مبنياً فيه سور مدينة رعمسيس القديمة يخالطه تبن مجذم ونقل بعضه الى متحف برلين وقاسه فكان طول كل لبنة منه ٤٤ وعرضها ٢٤ سنتيمتراً وثخانتها ١٢ سنتيمتراً . وقد اكتشفت شركة قناة السويس هناك طبقة من التراب المعد لاصطناع اللبن واصطنعت منها اجراً جديداً كما ذكر فرديند دي

لاسبس في خطبته في نانت التي طبعت في بريس سنة ١٨٦٧ حيث قال « ان يعقوب اقام في الوادي حيث كشفنا عن القناة القديمة المتفرعة من النيل وهناك وجدت اخربة رعمسيس (المسقوطة) المدينة التي ذكرها الكتاب وحيث كان العبرانيون يصنعون اللبن الشهير فشركة القناة البحرية وجدت عند حفرها في رعمسيس طبقات من التراب الذي كان العبرانيون يعملون منه لبنهم فصنعت منه الشركة لبناً بنت به الاسماعلية »

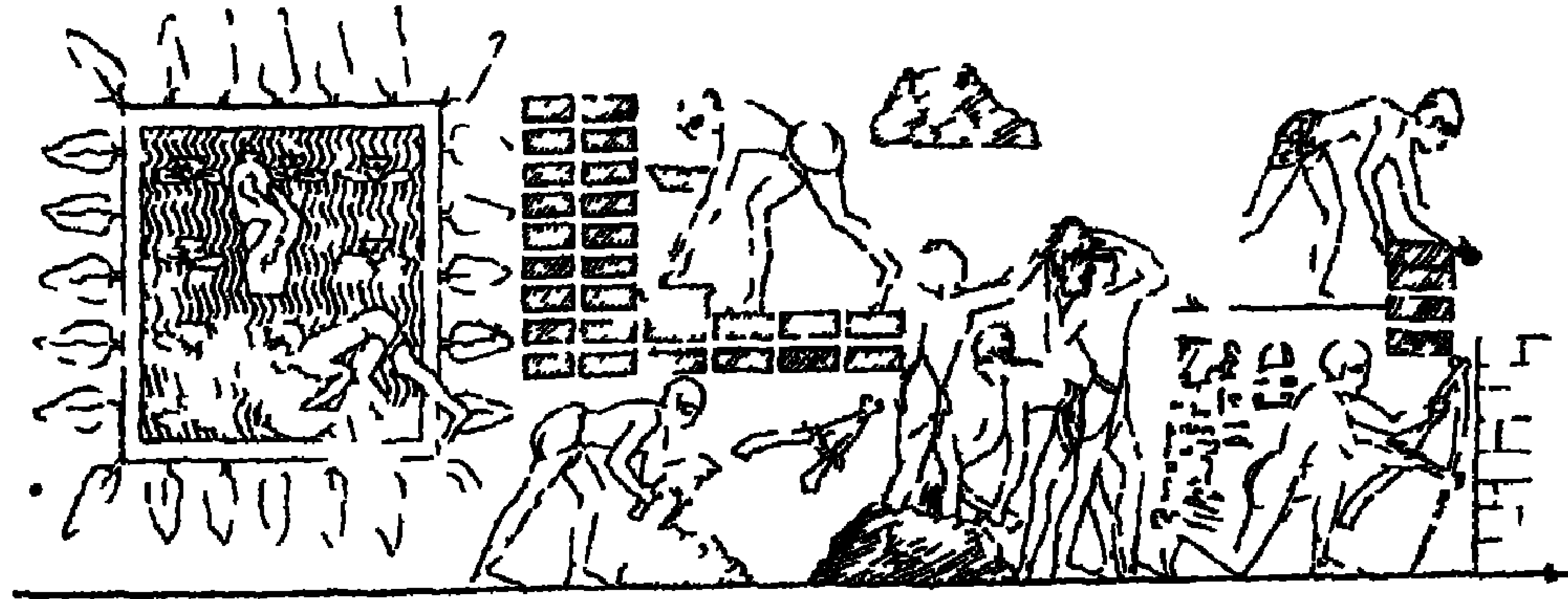
وقد وجدت صورة في القرنة بجانب تاب (طيبة) على مدفن رجل يسمى رخمارا احد عمال توتمس الثالث تمثل اكمل تمثيل ما جاء في سفر الخروج عن التسخير بصنع اللبن فترى في هذه الصورة هيئة رجال غير مصريين يميزهم لونهم عن الوطنيين والتقليد موضح بانهم اسرى اخذهم الملك لبناء هيكل ابيه عمون وترى من هولاء الاجانب من يحفر التراب بالمعاول ومن يدلي الماء وغيرهم يعجن الطين وغيرهم ينقله قبل اصطناعه وبعضهم يضغطه بملزم من خشب وبعض الاسرى يحملون اللبن على عواتقهم وبعضهم ينقلونه الى محل بناء الهيكل وبيد بعض المصريين عصي وهم يعنتون العملة بقسوة لاتمام ما فرض عليهم وقد رأى كثير من اهل العلم بالآثار المصرية منهم روزاليني (في كتابه في آثار مصر والنوبة مجلد ٢ صفحة ٢٥٤) ان هذه الصورة تمثل بني اسرائيل مسخرين بعمل اللبن . واليك مثالا من هذه الصورة

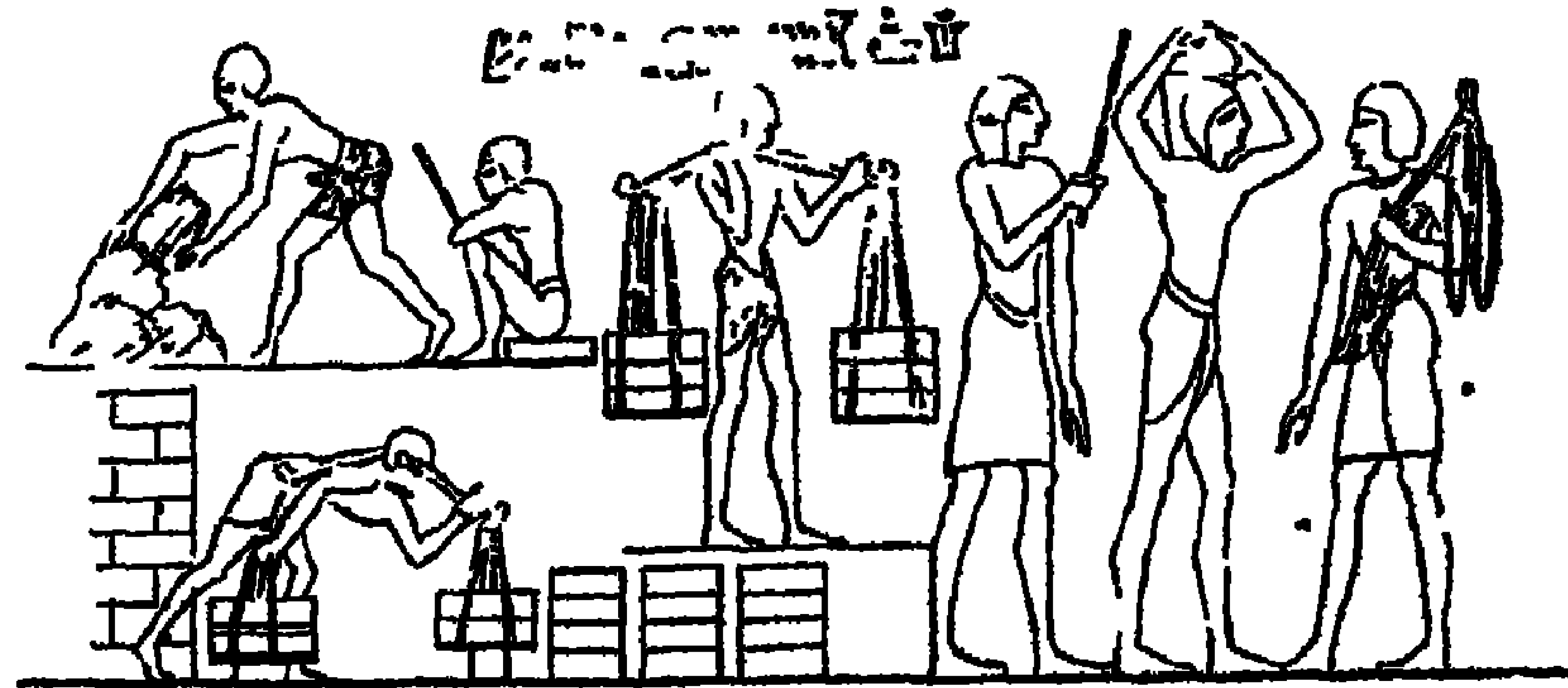
﴿ عد ١٨٣ ﴾

في ضربات مصر (١) وهي آيات الله فيها على يد موسى وهرون

قد امر الله موسى وهرون ان يعودا الى فرعون فعادا ومعهما العصا التي صارت ثعبانًا في حوريب فدخلا على فرعون فلم يعجب لحمل هرون عصا اذ

(١) سماها ابن خلدون الجوائح جمع جائحة وهي الشدة والنازله العظيمة





صورة عن مدفن رخمارا احد عمال توتمس الثالث في القرنه بجانب تاب

تمثل اسرى في مصر بصنعون اللبن صفحة ٩٨

كانت عادة الكهنة والاعيان في مصر ان يحملوا في يدهم عصا وكثيرًا ما ترى صورًا لكهنة واعيان وبيدهم عصي وقد توفر في متاحف اوربا عدد هذه العصي القديمة من اخشاب متنوعة واكثرها من الاكاسيا فطلب فرعون منهما آية يثبتان بها قوة الاله الذي ارسلهما ، فالقى هرون عصاه بين يدي فرعون وعبيده فصارت ثعباناً فدعا فرعون ايضاً الحكماء والعرافين فصنع سحرة مصر كذلك بسحرهم القى كل واحد عصاه فصارت العصي ثعابين . فابتلعت عصا هرون عصيهم » (خروج ف ٧) بياناً لعظمة اله اسرائيل . وقد حفظ التقليد اسمي ساحرين من سحرة فرعون هولاء ذكرهما بولس الرسول (في رسالته الـ ٢ الى تيموثاوس ف ٣ ع ٨) وهما « ياناس ويمبراس » وعسى الاكتشافات تأتينا يومًا باسمهما . وقد اشتهرت مصر في كل عصر بسحرتها وعرافيها وكان من عادة الفراعنة ان يستدعوهم اليهم في كل امر خطير كما نرى فرعون في عصر يوسف استقدمهم لتعبير احلامه . وقد رأى اكثر القدماء من مفسري الكتاب ان صيرورة عصي سحرة فرعون ثعابين كانت تخيلاً لا حقيقة ونسبوا ذلك الى قوة ابليس اذ جعل اعين الناظرين ترى عصي السحرة بهيئة حيات واما الان فاكثر المفسرين على اعزاء ذلك الى صناعة الرقية التي كانت معروفة من اقدم الايام في مصر ولا نحتاج في بلادنا الى شرحها اذ قل بيننا من لم يتفق له ان يرى احدًا من هولاء الراقين يحملون الحيات على اعناقهم وايديهم ويلعبون بها كيف شأوا ويستخرجونها من خباياها بالصفير والتلفظ ببعض كلمات وقد جاء ذكر الرقية مكررًا في الكتاب منه (في مزمور ٥٧ ع ٥) « لهم سم كسم الحية الافعى الصماء التي تسد اذنها فلا تسمع صوت الحواة ولا رُقى راقٍ ماهر » ومنه (في نبوة ارميا ف ٨ ع ١٧) « هآنذا ابعث فيكم حيات اراقم لا تُرقى فتلدغكم يقول الرب » وذكر الرقية من القدماء استرابون

(ف ١٧) وبلين (في التاريخ الطبيعي ف ٧) وغيرهما فعلى رأي القدماء انه خيل الى الناظرين بفعل ابليس ان عصيهم تسعى وجاء في القرآن « فاذا حبالهم وعصيهم يخيَّل اليه من سحرهم انها تسعى » وعلى رأي المتأخرين ان السحرة كانوا حواة اعدوا حيات وارسلوها بدل عصيهم في مجلس فرعون فسمت لكن ابتلعتها عصا هرون بيانًا لعظمة اله اسرائيل . ومع ذلك تقسى قلب فرعون ولم يسمع لموسى وهرون

فامر الله موسى ان يمضي بالغداة الى فرعون على شاطي النهر وبيده العصا التي انقلبت حية وان يضرب بها ماء النهر فينقلب دماً فصنع كذلك موسى وهرون « رفع العصا وضرب الماء الذي في النهر على مشهد فرعون وجميع عبيده فانقلب جميع الماء الذي في النهر دماً والسمك الذي في النهر مات وانتن النهر فلم يستطع المصريون ان يشربوا من ماء النهر وصار الدم في جميع ارض مصر . . . وحفر جميع المصريين حوالي النهر ليشربوا ماء » (خروج ف ٧ ع ٢٠ وما يليه) وهذه الضربة الاولى من الضربات العشر الاتي ذكرها ومما نلاحظه فيها انها اذا اعتبرت بنفسها مجردة عن ظروفها وقرائن حدثها كانت طبيعية واذا اعتبرت بظروف مكانها وزمانها وانزالها بكلمة وانقضائها بكلمة الى غير ذلك من القرائن الملازمة لها كانت آيات ومعجزات حقة فاحمرار ماء النيل مثلاً يحصل في كل سنة في شهر تموز عند بدء فيضان مائه لما يمازجه من الوحول لكن انقلابه دماً في غير وقت فيضانه (لان الظاهر من الكتاب ان تلك النقمة كانت في اواسط شباط) وبضربة عصا وموت السمك فيه ونتانة النهر وامتداد ذلك الى احواض المصريين وآنية استقائهم وعدم سريان ذلك الى جاسان حيث مساكن العبرانيين ذلك كله آية لا يقدر عليها الا من هو على كل شيء قدير . وكذا قل في آيات الضفادع والجراد

والبرد الى غيرها فتلك المصائب يكثر نزولها في مصر على ان نزولها بمجرد كلمة يتلفظ بها موسى وفي غير حينها المعتاد ووفرتها الخارقة العادة وانكفافها من فور امر موسى إن ذلك الا آية معجزة . وكثيرًا ما تستند عناية الله في صنع المعجزات الى القواعل الطبيعية معظمة قواها ومبرزة افعالها في غير حينها وهذا لا يخرجها من حيز المعجزات

الضربة الثانية بالضفادع فقد جاء في سفر الخروج (ف ٨) ان الرب امر موسى ان يدخل على فرعون طالبًا اطلاق الشعب واذا ابى ضرب تخوم مصر كلها بالضفادع فتقسى قلب فرعون فمد هرون يده على مياه مصر فصعدت الضفادع وغطت ارض مصر وانتشرت في البيوت والمخادع وعلى الاسرة والناس وفي التنانير والمعاجن فدعا فرعون موسى وهرون وقال اشفعا الى الرب ان يرفع الضفادع عني وعن شعبي حتى اطلق الشعب فقال له موسى اقترح عليَّ متى تشاء ان اشفع فيك فتقطع الضفادع قال غدًا قال موسى سيكون كما قلت لتعلم ان ليس للرب الهنا نظير وفعل الرب كما قال موسى وماتت الضفادع من البيوت والاقنية والحقول فجمعوها كومًا كومًا وانتنت الارض منها . وكان المصريون يعبدون من اقدم الايام اي من عهد الدولة الخامسة الهًا يقيهم ازعاج الضفادع وغيرها من الدبيب والذباب وترى في آثارهم صور آلهة وعلى رأسها ضفدع منها في متحف بولاق تمثال اله وعلى رأسه ضفدع وفي دندرة صورة كتب عليها « وجهك اشبه بوجه ضفدع » وكانوا يحسبون النيل الهًا ويعبدونه فاراد الله باياته ان يذلّ النيل بالضربة الاولى محولاً ماءه دمًا وان يذري بالهة الضفادع بالضربة الثانية ليظهر للمصريين عجز هذه الالهة عن وقاية عبادها بل اتيانها بنفسها عليهم بالمضرة

« ولما رأى فرعون انه قد حصل الفرج صلّب قلبه ولم يسمع لهما » اي

لموسى وهرون فابلاه الله بالضربة الثالثة فان هرون مدَّ يده بعصاه بحسب امر الرب فضرب تراب الارض فكان البعوض على الناس والبهائم حتى خيِّل ان كل تراب الارض صار بعوضاً في جميع ارض مصر . ان كلمة البعوض في العبرانية قنيم وقال اوريجانوس (في خطبته الـ ٤ في الخروج) في وصفه البعوض « هو حيوان صغير يحمله الهواء وهو دقيق حتى لا تراه الاعين من يحدّق اليه ويؤلم الجسم بنخسه الحادّ » ووصفه هيرودت (في ك ٢ من تاريخه) بانه يزعج الناس ويقلقهم وهم جلوس على موائدهم ويحرمهم النوم ويمتص الدم ويكسي الجسم لذعات أليمة وعليه فهو ما تسميه عامتنا الناموس او السكيت وهذا البعوض يكثر في مصر ولذلك يظهر من الآثار المصرية ان ستائر الاسرة (وهي الناموسيات بلغة عامتنا) تقادم عهد استعمالها في وادي النيل وترى بين هذه الآثار صوراً تمثل اشخاصاً بيدهم مراوح يراوحون بها وقاية لاعيانٍ من لذع هذا البعوض على ان البعوض الذي ابتلى الله به المصريين كان خارقاً العادة وشرائع الطبيعة حتى خيل ان تراب مصر كله صار بعوضاً وانمحق بكلمة من موسى

ان سحرة فرعون صنعوا ما صنعه موسى وهرون في الجائحتين السالف ذكرهما فانهم حولوا الماء الى هيئة دم واوجدوا ضفادع في حضرة فرعون وكان لهم في ذلك وجهان الاول انهم حمروا الماء بصبغ القوه فيه بخفة لا تدركها عيون الحاضرين ونقلوا بعض الضفادع بصنعة كذلك من مستنقع الى حضرة فرعون واعوانه . والثاني انهم عملوا ذلك بحيلة شيطانية سمح الله بها لمقاصد عنايته التي تعلو المدارك البشرية ولتقسية قلب فرعون ليفرغ الله نقمه به وبشعبه على انهم حاولوا في الضربة الثالثة اخراج البعوض فلم يكن لهم اليه سبيل فقالوا لفرعون « هذه اصبع الله » ومع هذا ظل قلبه متقسياً . قال برجيا (في معجم اللاهوت

الاعتقادي في كلمة سحر وسحرة) ما ملخصه « ليس ما يحملنا على ان نفترض ان سحرة مصر اتوا بشيء خارق لشرائع الطبيعة والكتاب يبين لنا عكس ذلك فكان للسحرة وقت يعدون به ما شأوا فان فرعون استقدمهم وحولوا عصيهم حيات ورقية الحيات وانتزاع قوتها على اللدغ امر مستفاض في مصر والهند بل في بعض اقاليم اوربا ايضاً حيث يتجر بالحشرات فشيء من الذكاء وخفة الحركة كان كافياً للسحرة ليخيلوا ان عصيهم استحالت حيات . على ان تحويل ماء النيل دماً وفساده بضربة عصا آية تفوق الطبيعة واما صبغ ماء في حوض او اناء بلون الدم فلا شيء من المعجز فيه وكذا مد يد هرون الى النيل واخراجه منه ضفادع تغطي ارض مصر ثم اماتتها من فور امر موسى آيتان حقتان واما ايجاد بعض الضفادع بحيلة ما امام فرعون فلا معجزة فيه »

لم تنجع الجوائح الثلث في فرعون ولا قرار سحرته بان هـذه اصبع الله فضربه الله بالضربة الرابعة وهي انه ارسل عليه وعلى عبيده وشعبـه وبيوته الذبان حتى امتلأت منها بيوت المصريين والارض التي هم عليها وميز ارض جاسان المقيم فيها شعب الرب فلم يكن ثم ذبان (خروج ف ٨ ع ٢١ وما يليه) ان كلمة الذبان في هذه الاية بالعبرانيـة عَرب ومدلولها الخلط والامتزاج فيمكن ان يكون المراد كل صنف من الذباب دون تعيين صنف على ان الذبان في مصر من آفاتها المنكدة العيش وما اعظم تنكيدها وقد ارسل الله على المصريين منها ما فسدت الارض من قبله كما صرح الكتاب فكانت هذه الضربة قاسية حتى نرى فرعون اخذ يتساهل اذ قال لموسى وهرون « امضوا اذبحوا لالهـكم في الارض فقال موسى ليس من الصواب ان نصنع ذلك لاننا انما نذبح للرب الهنا ما هو رجس عند المصريين أفنذبح بحضرتهم ما هو رجس عنـدهم ولا يرجمونا » قال كلمت في تاريخ العهد القديم ان المصريين كانوا يعبـدون بعض

الحيوان فلا يطيقون ذبح العبرانيين له وقال روهربخر (في تاريخه البيعي) ما ملخصه ان حكماء المصريين كانوا يجعلون بعض الحيوان ممثلاً للاله فيجعلون كبش الغنم او تيس الماعز قائد القطيع مثالاً للرب مدبر الكون والحيوان الكثير النتاج مثالاً للاله الخالق والنسر الحادّ البصر مثالاً للاله الذي يرى كل شيء وكان للثور والبقرة في عرفهم وفي لغتهم السرية والهيروكليفية رموز ودلائل على امور مقدسة ولم تكن عامتهم تدرك هذه الاسرار فكانت تسجد وتعبد هذه الحيوانات لا بما انها ممثلة للاله فقط بل لاعتقادهم فيها شيئاً من الالوهية ولا اقل من اجلالها كاشياء مفردة لله ، فيستاؤن من العبرانيين اذا ذبحوها لالههم . فقال فرعون انا اطلقكم لتذبحوا للرب الهكم في البرية ولكن لا تبعدا في المسير واشفعا فيَّ وخرج موسى من عند فرعون فشفع الى الرب فرفع الذبان عن فرعون وعن عبيده وشعبه ولم يبقَ واحدة

لكن فرعون صلّب قلبه هذه المرة ايضاً ولم يطلق الشعب فضربه الرب بالضربة الخامسة وهي وباء شديد اصاب الخيل والحمير والجمال والبقر والغنم فماتت مواشي المصريين ولم يمت شيء من جميع ما هو لبني اسرائيل وارسل فرعون فاذا مواشي اسرائيل لم يمت منها واحد (خروج فصل ٩) ومثل هذا الوباء يصيب احياناً المواشي في مصر فيلجأ اهلها الى شراء البقر من سورية وجزائر البحر المتوسط لكنه لا يشتد اشتداده في ضربة موسى ولا تمتاز به مواشي مصري عن مواشي عبراني . وقد قسا قلب فرعون هذه المرة ايضاً ولم تلينه ضربة الماشية فضربه الله وشعبه في اجسادهم بالجائحة السادسة وهي القروح فان موسى وهرون اخذا بحسب امر الرب ملء راحتيهما من رماد الاتون وذراه موسى الى السما على مشهد فرعون فصار غباراً في جميع ارض مصر وصير في الناس والبهائم قروحاً وبثوراً منتفخة ولم يستطع السحرة ان يقفوا

بين يدي موسى من اجل القروح ولا يمكن تعيين هذا المرض الا انه من الامراض الوبائية وقد اصاب كل طبقةٍ من الناس كما اشار اليه الكتاب بذكره السحرة ومع ذلك قسا قلب فرعون ايضاً فضربه الرب الضربة السابعة بالبرد اذ مد موسى عصاه نحو السماء فارسل الرب بروقاً ورعوداً وبرداً على ارض مصر لم يكن مثله منذ يوم اسست مصر فامات الناس والبهائم وايبس العشب وكسَّر جميع الشجر ولم يكن شيء من البرد في ارض جاسان التي فيها بنو اسرائيل وكان موسى انذرهم بانه اي انسان او بهيمة وجد في الصحرآء ولم يأوِ الى المنازل ينزل عليه البرد فيموت فمن خاف كلام الرب من عبيد فرعون هرب بعبيده وماشيته الى البيوت ومن لم يوجه قلبه الى كلام الرب ترك عبيده وماشيته في الصحرآء فمات وقد عين الكتاب وقت انزال هذه الضربة بقوله « اذ كان الشعير مسبلاً والكتان مبزرًا » ويكون ذلك في مصر في شهر اذار واما الحنطة والقطاني فلم تتلف لانها كانت متأخرة » على انها اتلفها بعد ذلك الجراد كما سيجيء وذكر الكتاب نارًا مع البرد والارجح ان المراد بها البروق المتتالية ولما عظمت الجائحة « استدعى فرعون موسى وهرون وقال لهما قد خطئت هذه المرة ايضًا الرب عادل وانا وشعبي منافقون فاشفعا الى الرب فحسبنا ما نالنا من اصوات الرعود والبرد فاطلقكم ولا تعودوا تمكثون ... فخرج موسى وبسط يديه الى الرب فكفت الرعود والبرد ولم يعد المطر يهطل على الارض » (خروج فصل ٩)

وقد عاد فرعون الى معصيته واخلف موسى ما وعده ولم يؤذن الا في انطلاق الرجال من بني اسرائيل واخيرًا طرد موسى وهرون من بين يديه فعاقبه الله بجائحة الجراد وهي الثامنة فانه امر موسى ان يمد عصاه على ارض مصر فساق ريحًا شرقية على الارض طول ذلك اليوم وطول الليل فحملت

الريح الجراد على جميع ارض مصر واستقر عليها كثيرًا جدًّا لم يكن قبله جراد مثله ولا يكون بعده كذلك فغطى وجه الارض حتى اظلمت واكل جميع عشبها وجميع ما تركه البرد وثمر الشجر حتى لم يبقَ شيء من الخضرة فبادر فرعون واستدعى موسى وهرون وقال قد خطئت الى الرب الهكما واليكما والان فاصفحا عن ذنبي هذه المرة واشفعا الى الرب الهكما ان يرفع عني هذه التهلكة فخرجا من عند فرعون وشفع موسى الى الرب فردَّ ريحًا غربية شديدة جدًّا فحملت الجراد وطرحته في بحر القلزم ولم يبق جرادة واحدة في ناحية من نواحي مصر ولكن قسى الرب قلب فرعون فلم يطلق بني اسرائيل فابتلاه الله بالضربة التاسعة وهي ان موسي مد يده نحو السماء فكان ظلام مدلهم في جميع ارض مصر ثلاثة ايام لم يكن الواحد يبصر اخاه ولم يقم احد من مكانه ولجميع بني اسرائيل كان نور في مساكنهم (خروج ف ١٠)وقد وصف كاتب سفر الحكمة (ف ١٧ و ف١٨) شدة هذه الجائحة فمما قاله « لم يكن في قوة النار مهما اشتدت ان تأتي بضياء ولا في بريق النجوم ان ينير ذلك الليل المدلهم ... حينئذٍ بطلت صناعة السحر وشعوذته وبرز على افتخارهم بالحكمة حجة مخزية ... اما اولئك فكان جديرًا بهم ان يفقدوا النور ويحبسوا في الظلمة لانهم حبسوا بنيك الذين بهم سيمنح الدهر نور شريعتك الغير الفاني » والاظهر ان النقمة لم تكن بمجرد الظلام المدلهم خاصة لانه جاء في سفر الحكمة ذكر اصوات قاصفة تدوي من حولهم واشباح مكفهرة تترآى امام وجوههم ومرور وحوش وفحيح افاعي وقعقعة حجارة متدحرجة وزئير وحوش ضارية الى غير ذلك وقد رأى الاب فيكورو (مجلد ٢ صفحة ٣٣٦) ان الظلام حصل بامر الله ان يشتد السموم المعروف في مصر بالخمسين اشتدادًا خارقًا العادة واستشهد لذلك بان آية سفر الخروج المنبئة بذلك انما هي في الترجمة السبعينية مؤذنة بهذا

المعنى وبان اوريجانوس قال (في تفسير بشارة متى) « ان الظلام المدلهم كان في مصر ثلاثة ايام لا من قبل انتقاص نور الشمس ولا من قبل تكاثف السحب المظلمة ولا من قبل كثافة الهواء » وقد كانت هذه الضربة موجعة اذ نراها جعلت فرعون يستدعي موسى ويؤذن في انطلاق الشعب واطفالهم بشرط ان يتركوا غنمهم وبقرهم فقال له موسى تعطينا ذبائح ومحرقات نقربها للرب الهنا فمواشينا ايضاً تمضي معنا لا يبقى منها ظلف فقال له فرعون امضِ عني واحذر ان تعود النظر الى وجهي فانك يوم تنظر وجهي تقتل فقال موسى نعماً قلت لا اعاود ارى وجهك ايضاً

وقال الرب لموسى قد بقيت ضربة واحدة انزلها على فرعون والمصريين وبعد ذلك يطلقكم من ههنا جملةً بل يطردكم طردًا فكلِّم الشعب ان يطلب الرجل من صاحبه والمرأة من صاحبتها امتعة من فضة وذهب وانا آتيهم حظوة في عيون المصريين فيعطونهم ما يسألون ومضى بنو اسرائيل فصنعوا كما امر الرب ، ولما كان نصف الليل ضرب الرب كل بكرٍ في جميع ارض مصر من بكر فرعون الجالس على عرشه الى بكر الاسير الذي في السجن وجميع ابكار البهائم وكان صراخٌ عظيم في مصر حيث لم يكن بيت الا وفيه ميت ، (خروج ف ١١ و ١٢) وهذه هي الجائحة العاشرة والاخيرة وقال فيها صاحب سفر الحكمة (ف ١٨ ع ١٢) « وكان لكلهم اجمعين اموات لا يحصون قد ماتوا ميتة واحدة حتى ان الاحياء لم يكفوا لدفن الموتى ، واما بنو اسرائيل فذبحوا في ذلك المساء خروف الفصح بحسب ما امر الرب موسى ورشوا من دمه على ابوابهم فعبر ملاك الرب عن بيوتهم بضربته فلم يمسهم ضرٌّ فدعا فرعون موسى وهرون ليلاً وقال قوما فاخرجا من بين شعبي انتما وبنو اسرائيل بغنمكم وبقركم وامضوا اعبدوا الرب وباركوني ايضاً والحّ المصريون على الشعب

ليمجلوا اطلاقهم لانهم قالوا قد متنا باجمعنا فحمل الشعب عجينهم قبل ان يختمر واخذوا ما اعارهم المصريون من امتعة فضة وذهب وثيابًا وكان ذلك يحق لهم مكافاةً عن اتعابهم في بناء مدن واقنية . وقد يمكن ان يكون الملاك المهلك اباد الابكار بوباء او بوسيلة اخرى تنفذ امر الرب على انه لا يمكن ان تكون هذه التهلكة بوباء طبيعي كما ادَّعى بعض منكري الوحي لا سيما لشمول الموت الابكار وحدهم ولا وجه طبيعي لذلك

لا عجب من اننا لا نجد اثرًا مصريًا ينبئنا بهذه الجوائح لانها مصائب نزلت بهم لعصيانهم وهي مخزية لهم وحاطة من شأنهم وقد لاحظ اهل العلم بالآثار المصرية ان المصريين لم يتركوا اثرًا لكل ما كان خافضًا من شأنهم الا اذا استعادوا شرفهم وهو بديهي فمن يرغب في تقليد ذكر خزيه وذله ومع هذا قد وجد اثرٌ دالٌّ على الضربة الاخيرة وهي موت الابكار قال شباس (في تاريخ الدولة الـ ١٩) « انا نجد في اثر مصري كائن في متحف برلين اشار اليه بروغش (في تاريخ مصر) ذكرًا لابنٍ لمنفتاح الاول مات قبل ابيه كابن فرعون الوارد ذكره في سفر الخروج » حيث قال من بكر فرعون الجالس على عرشه » كما مر آنفاً وقد اتحفنا العالم لوت بايضاحاتٍ اكثر دقةً في هذا الشان قال « ان فرعون الذي كان يلي مصر لدى عود موسى من مدين لا يمكن ان يكون الا منفتاح واذا تقرر ذلك لزمنا ان نحول بصرنا الى تمثالٍ كبير لمنفتاح كائن الان في متحف برلين يمثل ابن منفتاح البكر مشاركاً لابيه في الملك كما يدل على ذلك التاج الذي على رأسه ووصفه بالابن الذي يحبه ابوه والذي يعطف اليه قلب من ولَدَه ويسمى منفتاح باسم ابيه وقد صُوّر ساجدًا لسوتخ الاله العظيم رب السماء فلا يلزم ان يكون الانسان شديد التشبّث بايمانه ليوقن ان هذا الامير الذي مات قبل ابيه منفتاح وترك الخلافة في الملك لساتي اخيه

الاصفر انما هو بكر منفتاح الذي تهدده الرب بقوله • قلت لك اطلق ابني ليعبدني وان ابيت ان تطلقه فهآنذا قاتلٌ ابنك البكر • (خروج ف ٤ ع ٢٣) وقد اتمّ الرب ما هدّد به كما جاء في سفر الخروج (ف ١١ ع ٥ و ف ١٢ ع ٢٩) • ضرب الرب كل بكرٍ في جميع ارض مصر من بكر فرعون الجالس على عرشه الى بكر الاسير • فالجالس وصفٌ للبكر وقد كُرّر ذلك في آياتٍ ثلاث من الخروج فالبرهان واضح روى ذلك فيكورو في مؤلفه الكتاب والاكتشافات الحديثة (مجلد ٢ صفحة ٣٤١)

الفصل الخامس

(في اخبار خروج بني اسرائيل من مصر الى البرية)

عد ١٨٤

في مدة اقامة بني اسرائيل في مصر

قد مر في عد ٩٤ ذكر الخلاف الحاصل في تعيين سني العبودية التي قضاها بنو اسرائيل في مصر وابنّا ان منشأه الاختلاف بين النص العبراني وغيره من الترجمات التي صرحت بان مقام بني اسرائيل في مصر كان اربع مئة وثلاثين سنة وبين الترجمتين السبعينية والسامرية اللتين يتبين منهما ان الاربع والثلاثين سنة كانت من خروج ابرهيم من اور الكلدانيين الى خروج بني اسرائيل من مصر وان يوسيفوس وغيره من القدماء والحدثاء اعتمدوا على ما جاء في الترجمة السبعينية لكن الاكثرين من العلماء والمفسرين عولوا على ما جاء صريحًا في النص العبراني في سفر التكوين (ف ١٥ ع ١٣) حيث قال الله

لابرهيم « ان نسلك سيكونون غرباء في ارض ليست لهم ويستعبدونهم ويعذبونهم اربع مئة سنة ، ثم في سفر الخروج (ف ٢ ع ٤٠) « وكان مقام بني اسرائيل الذي اقاموه بمصر اربع مئة وثلاثين سنة ، وقد اثبتنا هناك ان كثيرًا من الآثار المصرية يُستخلص منه ان المدة التي انقضت من عهد ابابي الذي استوزر يوسف في سنة ١٧ للملكه الى عهد منفتاح فرعون الخروج انما هي نحو من اربع مئة وثلاثين سنة لا مئتان وخمس عشرة سنة وعليه فالاظهر ان مدة اقامة بني اسرائيل في مصر اربع مئة وثلاثون سنة ويؤيده النص العبراني الصريح واقوال كثير من الاباء والعلماء منهم من مشاهير الحدثاء لانرمان في التاريخ القديم لشعوب المشرق وفيكورو في محال عديدة من كتبه والاب مود في مقالته في سلسلة تواريخ الكتاب وتوفيقها مع الاثار المثبتة في مجلة المباحث الدينية في عددها المؤرخ في ١٥ ايلول سنة ١٨٩٣ وغيرهم كثيرون بل ان يوسيفوس نفسه الذي قال (في ك ٢ ف ٦ من تاريخ اليهود) « ان العبرانيين خرجوا من مصر لسنة ٤٣٠ من بلوغ ابينا ابرهيم الى ارض كنعان ولسنة ٢١٥ من انحدار يعقوب الى مصر ، كان قال قبلاً (ف ٥ من الكتاب الثاني المذكور) « وانقضت اربع مئة سنة على هذا النحو كان المصريون فيها يجدون في ابادة امتنا وبنو اسرائيل يجهدون في توطئة هذه المصاعب ، وقال العالم فلاّس (من مقالته في الشعوب القدماء المطبوعة في امستردام سنة ١٧٦٩) ان ذرية الاصل الواحد في مدة ٤٣٣ سنة واربعة اشهر يبلغ عديدها الى ٢٤٥٧٦ شخصاً فاذا فرضنا ان السبعة والستين ذكرًا الذين انحدروا الى مصر مع يعقوب اقاموا فيها ٤٣٠ سنة كان عددهم عند خروجهم منها ١٦٤٦٥٩٢ نفساً فاذا اسقطنا النساء نصف هذا العدد كان الباقي ٨٢٣٢٩٦ ذكرًا واذا اسقطنا ربع هذا العدد اطفالاً وشيوخًا كان الرجال المقتدرون على حمل السلاح ٦١٧٤٧٢ رجلاً وفي الكتاب ان

عددهم عند خروجهم « نحو ست مئة الف ماشٍ من الرجال خلا الاطفال » (خر ف ١٢ ع ٣٧)

﴿ عدد ١٨٥ ﴾

في المحل الذي ارتحل منه بنو اسرائيل وفي طريق خروجهم

ان لتعيين المحل الذي ارتحل منه بنو اسرائيل لدى خروجهم من مصر اهمية اذ يتعلق به مبحث آخر توفرت الاقوال فيه وهو تعيين معبرهم في البحر الاحمر فاذا عُلم محل بدء سفرهم سهل العلم بطريقهم وبالمحل الذي انتهوا اليه عند البحر الاحمر فقال يوسيفوس (في ك ٢ ر س ٥ من تاريخ اليهود) « ان العبرانيين ارتحلوا من مصر والمصريون يذرفون الدموع اسفاً على سوء معاملتهم لهم وكان طريقهم في ليتوبولي وكانت حينئذٍ صحراء فبنيت بعد ذلك هنالك مدينة سميت بابل عندما استحوذ كمبيس على مصر » وقال في محل اخر ان بابل هذه كانت في محل القاهرة الان . وقال اسطفان البيزنطي (في كلامه على المدن) « ان ليتوسبولي مدينة في مصر وهي حي من منف وتجاهها الاهرام » وعليه فرأي يوسيفوس ان بني اسرائيل رحلوا من منف او القاهرة وهذا غير ثابت ولم يكن يوسيفوس يعرف المحال التي تكلم فيها ولعله اسند رأيه الى تقليد اليهود الذين اقاموا في مصر بعد ان دمَّر بختنصر اورشليم ولم يكن لتقليد هولاء اسٌّ راهن ومع هذا اعتمد عليه وعلى رواية يوسيفوس بعض العلماء المسيحيين في صدر النصرانية وبعده دون ان يسبروا اساسه . ولما جاء عصر الدقيق والتنقيب كان الاب سيكار P. Sicard اليسوعي (١) اول من عني بالتنقيب عن طريق الاسرائليين عند خروجهم من مصر الا انه لم يبلغ من الحقيقة شاواً لانه ظن ان منفتاح ملك مصر وقتئذٍ كان يسكن مدينة منف

(١) ولد في اوبين في افرنسة سنة ١٦٧٧ ومات في مصر سنة ١٧٢٦

على مقربة من القاهرة لا مدينة تانيس (صان) كما حققت الآثار القديمة الان وان رعمسيس المدينة التي صرّح الكتاب بان بني اسرائيل هاجروا منها انما هي في القرب من منف في جنوب القاهرة على نحو ثلث ساعات منها في المحل المسمى الان البساتين فلم يكن لهم والحالة هذه الا طريقان من منف الى البحر الاحمر الاول في الوادي الذي بين جبل طورا وبين جبل ديوشى والثاني في الصحراء التي بين القاهرة والسويس التي سماها القدماء ارسينيا وقطع بان بني اسرائيل سلكوا الطريق الاول وقد تابع الاب سيكار في قوله كثير من علماء عصره ولاسيما في افرنسة على ان الاكتشافات الحديثة محقت كل اشكال واتت بالعلم اليقين ان منفتاح كان عند انزال الجوائح بمصر ولدى اطلاق بني اسرائيل في تانيس المعروفة الان بصان والواقعة في الشمال الغربي من البحر الاحمر وفي جوار ارض جاسان التي كان يسكنها بنو اسرائيل . وقد حققت هذه الاثار ايضاً ان رعمسيس المدينة لم تكن في القرب من منف والقاهرة بل من ارض جاسان وتانيس في مصر السفلى (راجع ع ١٧٦) وعليه فما لا يشوبه ريب ان بني اسرائيل ارتحلوا من رعمسيس المدينة التي بناها رعمسيس الثاني في مصر السفلى الى سكوت ثم ارتحلوا من سكوت ونزلوا بايتام في طرف البرية كما صرح بذلك سفر الخروج (ف ١٢ ع ٣٧ و ف ١٣ ع ٢٠) . ولم يسيرهم الرب في طريق ارض فلسطين مع انه قريب لان الله قال لعل الشعب يندمون اذا رأوا حرباً فيرجعون الى مصر ، (خروج ف ١٣ ع ١٧) اذ كان الاقرب مسافة ان يسيروا على شاطي البحر المتوسط ويجتازوا من العريش الى غزة على ان هذا الطريق كانت تحدق به حصون غاصة بالجنود المصرية فتمنع مسيرهم ويتـ نى لفرعون ان يدركهم ولم يشاء الله ان يعرض بني اسرائيل (وهم منهوكون بالعبودية وغير ممرنين على حمل السلاح) للحرب مع الكنعانيين

المحنكين بالحرب واللائذين بملك مصر فينجدهم لا محالة على الاسرائيليين
وقد اخرج بنو اسرائيل معهم عظام يوسف كما كان اوصاهم ومن تقليد
اليهود الذي اثبته القديس اسطفانوس في اعمال الرسل (ف ٧ ع ١٥ و ١٦)
والقديس ايرونيموس ان العبرانيين اخذوا معهم عظام اخوة يوسف الاحد عشر

﴿ عد ١٨٦ ﴾

اقوال العلماء في طريق بني اسرائيل ومعبرهم في البحر الاحمر

قدمنا قول الكتاب ان بني اسرائيل ارتحلوا من رعمسيس الى سكوت
وارتحلوا من سكوت ونزلوا بايتام ثم امر الرب موسى « ان يرجعوا وينزلوا
امام فم الحيروت بين مجدول والبحر امام بعل صفون » (خروج ف ١٤ ع ٢)
فاين سكوت وايتام وفم الحيروت ومجدول وبعل صفون فهذه مسألة معضلة
مهمة يتعلق على العلم بها العلم بطريق العبرانيين الى البحر الاحمر وبمعبرهم فيه
وقد توفرت فيها الاقوال وتضاربت وقد اورد الاب فيكورو (في الكتاب
والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ٣٦٢) منها قولين خاصة قول بروغش
العلامة الالماني وقول مهندسي ترعة السويس الافرنسيين وعقّبهما بذكر رأيه
فنجتزئ بتلخيص هذه الاقوال فالحاصل من قول بروغش (في كتابه الخروج
والاثار المصرية صفحة ٢٥ وما يليها) ان للمسافر من رعمسيس (وهي تانيس
على رأيه) الى فلسطين طريقين احدهما نحو الشمال الشرقي من رعمسيس الى
بالوز (وهي الان طينة او فرما) مارًّا بفيتوم الى سكوت على ان الاثار انبأتنا
ان هذا الطريق تكثر به الوحول فلم يكن مطروقًا ولا يسافر به جمٌّ غفير بعدد
وذخائر وماشية والطريق الثاني هو الطريق الذي كان الفراعنة يسيرون به
جنودهم وخيولهم ومركباتهم ويسميه المصريون السكة السلطانية وهو مسافة
اربع مراحل اي رعمسيس واسوار سكوت وايتام ومجدول واثبت بروغش

استطراق هذه الطريق بأثر عُثر عليه اتفاقًا والاولى ان يقال بعناية ربانية (كما قال) في المتحف البريطاني خط هذا الاثر منذ ثلاثين قرنًا كاتب مصري قص فيه اخبار سفره لينشد خادمين فرّا فقال « مضيت من القصر الملكي في تانيس في مساء اليوم التاسع من الشهر الثالث من الصيف اتطلب الخادمين فبلغت اسوار سكوت في اليوم العاشر من ذلك الشهر فخبرت ثمة ان الفارين ذهبا نحو الجنوب فبلغت في الثاني عشر الى ڤيتام فقيل لي هنالك انهما توجها الى شمال مجدول » وهذا الاثر هو البابير المعروف بانستازى الخامس وقال بروغش بعد ذلك ضع موسى وقومه موضع الفارين وهذا الكاتب موضع فرعون تجد طريق العبرانيين

وقد تعقب فيكورو قول بروغش هذا لاوجه منها ان تانيس التي سافر منها الكاتب غير رعمسيس التي سافر منها العبرانيون وان سكوت التي جعل بروغش موقعها في شرقي تانيس قد حققت اكتشافات العالم نافيل انها في جنوبيها في محل المسقوطة الان . ومنها ان ايتام التي حل فيها بنو اسرائيل غير ڤيتام التي بلغ الكاتب المصري اليها . ومنها ان الفارين توجها الى شمال مجدول والكتاب ينبئنا ان بني اسرائيل مضوا من ايتام نحو الجنوب فاذًا قد كان طريق العبرانيين غير طريق الفارّين والكاتب المصري . وندّد فيكورو بهذا القول خاصة لانه يؤدي الى ان بني اسرائيل لم يتوجهوا من جهة البحر الاحمر بل من جهة البحر المتوسط ولم يجتازوا في البحر بل عبروا في مضيق من الارض يفصل بين البحر المتوسط وبحيرة سربونيس المسماة الان بحيرة بردويل وان جنود فرعون لم تغرق في بحرٍ بل في بحيرة او آجامها وكل ذلك يخالف كلام الكتاب في سفر الخروج وغيره

واما اكثر المهندسين الموظفين في حفر خليج السويس ففرضوا ان البحر

الاحمر في ايام عبور المصريين من مصر الى برية سينا كان متصلاً بالبحيرات المرة الواقعة في شمالي السويس وفي جنوب بحيرة التمساح وزعم بعضهم انهم عبروا في هذه البحيرات . واليك ما قاله فرديند دي لاسبس في خطبته التي القاها في نانت في ٨ كانون الاول سنة ١٨٦٦ : جاء في الكتاب المقدس الذي تيقنت صدقه باكتشافاتي واسفاري كلها ان موسى لما اخرج بني اسرائيل من مصر سار بهم من رعمسيس المدينة حيث يُرى الى الآن صخر يمثل احد فراعنة مصر ويسمى رعمسيس والمحطة الثانية التي حلوا فيها سماها الكتاب سكوت وتأويل الكلمة في العبرانية مظلة وخيمة والعرب يسمون هذا المحل ام الخيم وقام موسى بقومه من سكوت الى محلة سماها الكتاب ايتام وهناك محل تنجعه عشيرة من رعاة الماشيــة تسمى ايتاميس ومن عادة قبائل العرب ان تسمي الارض التي تحل فيها باسمهـا . ولما عرف موسى ان جنود فرعون يتتبعون اثرهم عاد الى الوراء بشعبه بحسب امر الله له واحتلوا بحيروت او فم الحيروت وتأويل الكلمة محل القصب والعرب تسمي هذا المحــل وادي بيت البوز اي وادي القصب وكان هناك حينئذٍ مستنقعات من امواه البحر الاحمر وقد اكتشفنا ثمة طبقات من الملح البحري متجمعة من بخار ماء البحر في مدة قرون وعثرنا ايضاً على اصداف البحر الاحمر . ولم يكن القدماء يحسبون طول الخليج الا خمسة عشر فرسخاً ولا امترى البتة ان مجتمع امواه البحيرات المرة انما هو الخليج المسمى خليج هيروبوليس . واما بحيروت او فم الحيروت فكان موقعها على ما يتلخص من الكتاب بين البحر جنوباً ومجدول شمالاً وبعل صفون شرقاً وبيتوم غرباً وكان البحر متصلاً بالبحيرات المرة واما مجدول فكانت حصناً سماه الرومانيون مكدول او مكدلون وترى اطلالهـا في جانب الطريق المؤدي الى سورية . وبعــل صفون كانت هيكلاً مقاماً على

ارفع اكمة هناك تذكرة لحرب اثارها او سيريس على تيفون (بحسب حكاياتهم) وهي آخر ما يسقى بمياه النيل . وبيتوم كانت على مدخل الوادي الذي يسمى الى اليوم وادي توم ... ولما احتل بنو اسرائيل فم الحيروت ظهرت لهم طلائع الجيش المصري فارتعدوا لكنَّ الله اثار عند المساء الريح الشديدة التي وصفها الكتاب فامسك المصريين عن الوثوب عليهم الى صباح اليوم التالي وقد كنت شاهدًا لمثل هذه الريح العاصفة اذ حللت في المحل نفسه عند اول ما اخذت في اكتشاف الخليج سنة ١٨٥٤ فلم اتمكن انا ورفقاءي من توثيق اطناب مظلتنا التي قلبتها العاصفة وكانت الحصى تدمي وجوهنا وايدينا فشدة الريح العاصفة في ايام موسى قذفت الامواه من حيث لم تكن عميقة فاغتنم موسى العون الرباني الذي امده الله به وسير العبرانيين في البحر طريقًا يبسًا وعند سكون الريح عاد الماء الى محله فغمر المصريين الذين كانوا دخلوا في اثر بني اسرائيل وحيث ان ارتفاع الماء هناك من متر وثلاثين سنتيمترًا الى متر وثمانين سنتيمترًا فامسك جيش فرعون او غرقه »

ومن هولاء المهندسين العالم لاكوانتر وقد حقق ان البحيرات المرة كانت متصلة بالبحر الاحمر وان ارتفاع البرزخ المسمى الشالوف فصل بينهما وان مياه البحيرات اشد ملوحة من مياه البحر وذلك دليل على ان هذا الاتصال كان متقطعًا فتكون الامواه تارة متصلة وطورًا منفصلة وعليه قال ان موسى اذ ارتحل من ايتام سير قومه على شاطي البحيرات المرة الغربي قاصدًا ان يدخل الصحراء الواقعة في شرقي خليج السويس فقطع الطريق عليهم جيش فرعون الآتي من منف في الجنوب الغربي وامسى بنو اسرائيل محصورين بين العسكر المصري جنوبًا والبحيرات شرقًا وجبل جنفًا (المسمى الان جبل احمد تاشر على ما روى فيكورو) غربًا فخلص الله شعبه بآية فاتحًا له في

وسط البحيرات طريقاً يبساً وغرق اعداءهم في هذه الامواه المتصلة بالبحر الاحمر فصدق قول الكتاب ان بني اسرائيل عبروه والمصريين غرقوا فيه . وقد ابان لاكوانتر شديد التشبث بقوله حتى سأل ان يستقصى الكشف في محال يعينها في هذه البحيرات فيأمل وجدان اثر لمركبات فرعون

قد ندّد الاب فيكورو (الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ٣٨٧) باقوال هولاء المهندسين ولاسيا لاكوانتر مبيناً ان برزخ الشالوف الفاصل بين خليج السويس والبحيرات المرة هو اقدم من موسى بقرون واثبت ذلك من طبقات ارضه التي لا يمكن تكونها في عهد موسى ولا بعده بل قد تقدمته كثيراً . وقال ان الاثار المصرية لم تأتنا باشارة الى اتصال البحر الاحمر بالبحيرات المرة بل انبأتنا بما يخالف ذلك وهو احتفار قناة توصل بينهما فقد اكتشف بوكرد في القرن الماضي خط هذه القناة واستتبع روبل مجراها مسافة ساعة ونصف بل ذكرها هيرودت من ايامه وعزاها الى رعمسيس الثاني ابي منفتاح الذي خرج بنو اسرائيل من مصر في عهده . وآثار هذه القناة باقية الى يومنا هذا وعليه فلم يكن البحر الاحمر في ايام موسى متصلاً بالبحيرات المرة ولا في وقت الانواء الشديدة ولا حاجة الى العدول عن ظاهر آيات الكتاب الصريحة بان العبرانيين عبروا البحر الاحمر او بحر سوف او بحر القلزم والمعنى واحد ولا داعي الى هجر اقوال الاباء والعلماء القدماء وكثير من الحدثاء الذين اثبتوا ان المراد بآيات الكتاب المتعددة البحر الاحمر

وبعد ان فنّد الاب فيكورو هذه الاقوال عاد الى ايراد ما يراه الامثل والاظهر والاقرب الى الصواب في هذا الباب فقال ان بني اسرائيل ارتحلوا من جاسان في وادي توميلات في جنوبي المديرية المسماة الان الشرقية حيث قناة الماء التي كشف عنها حديثاً وقد رأيت اثارها في جوار بيتوم وانبأتنا

الآثار ان ساقي الاول جد منفتاح انما هو الذي احتفرها وكان مسير بني اسرائيل في القرب من الماء ضربة لازب لاستقائهم واستقاء ماشيتهم وكانت مرحلتهم الاولى قصيرة فجم غفير نظيرهم لا يتسنى له ان يسير مسافة طويلة خاصة في اليوم الاول من سفرهم فحلوا في سكوت وهي على رأيه حصن من حصون بيتوم وفي اليوم التالي بلغوا اطراف البرية وحلوا في ايثام والارجح عنده ان المراد بايثام احد الحصون التي بناها الفراعنة وقاية من غزوات العرب الرحل وذكر ديودورس الصقلي هذه القلاع واثبتت الآثار المصرية وجودها ويتبين من بابير محفوظ في متحف برلين انها بنيت منذ عهد اقدم ملوكهم وكانت تسمى باللغة المصرية إتام وفي القبطية تام او توم ولا تخفى المقاربة بين هذا الاسم وبين اسم ايثام الذي ذكره الكتاب وهذا الطريق كان يؤديهم الى غزة ولكن مسيرهم به هربًا من فرعون كان يوقعهم في يد حلفائه ملوك فلسطين والبابير المعروف بانستازي الثالث ناطق بوجود هذه المحالفة يومئذٍ ولذلك امر الرب موسى ان يرجع فيسير ببني اسرائيل نحو الجنوب اي نحو البحر الاحمر وجبل سينا فساروا الى ان حلوا امام البحر ولم يصرّح الكتاب كم كانت مدة انتقالهم من ايثام الى امام البحر أيومًا ام اكثر وبعد المسافة مؤذن بانهم قضوا اكثر من يوم وكان مسيرهم على شاطي البحيرات المرة الغربي قضى عليهم بذلك احتياجهم الى الماء والكلاء لماشيتهم وكانت تلك القطعة تروى بماء النيل وفم الحيروت (١) يتعذر تعيين موقعها لتعذر تعيين موقع مجدول وبعل صفون اللتين عرف موسى بهما فم الحيروت ولكن لا يعدو ان يكون موقع هذه في شمالي خليج السويس عند اخره لان موسى اتى من جهة الشمال ميممًا

(١) ويروى حيروت وبيحيروت مركبة من كلمة بي ومعناها في المصرية كالسريانية محل وبيت ومن حيروت وفي نسختنا السريانية [illegible] فم الحيروت كما في النص العبراني

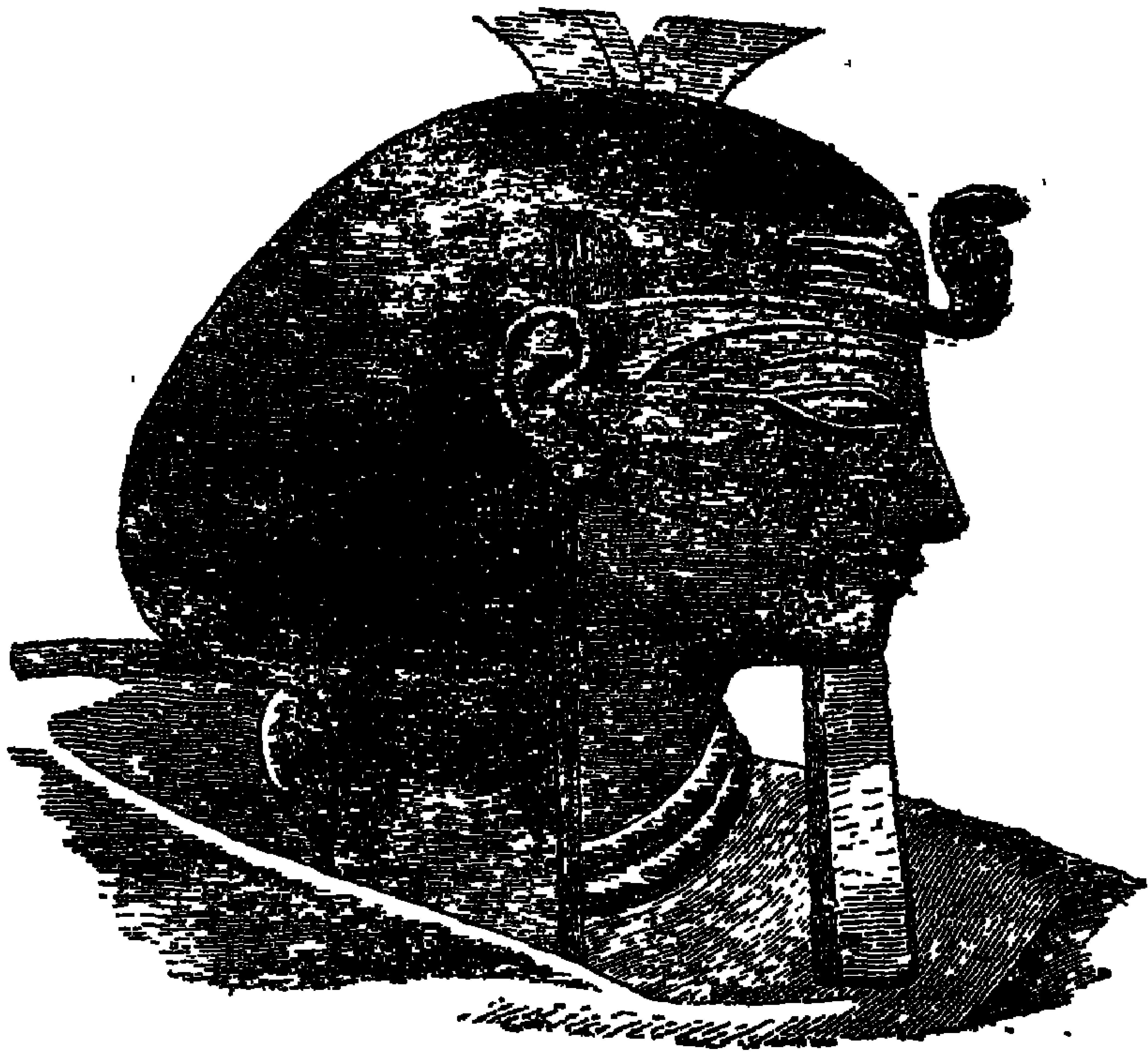
المشرق فلا وجه لعوده نحو المغرب بل ان يحل عند الطرف الشمالي من الخليج وقد عثر ادوار نافيل في اخربة تل المسقوطة على صفيحـة من عهد بتولمايس فيلادلفوس كتب عليها اسم بيكارت او بيحارت مرتين ولكن لم يبين موقعها ولعلها بيحيروت التي ذكرها سفر الخروج وقال كثير من المحققين الحدثاء ان بيحيروت هي المسماة الان اجرود وهي واقعة بين البحيرات المرة والسويس على بعد اربع ساعات من السويس ولا يبعد هـذا عن الصواب وان تعسر القطع به . وكذا لا يمكن القطع بتعيين محل مجدول وقد وجد اسمها مكتوباً في الاثار المصرية مَكتل او مكدل ومعناه القلعـة او الحصن كمعنى مجدل او مجدول وهذا مؤذن بان موقعها كان على التخوم بين مصر والبرية وكان ثمة حصن . وفي اثر لساقي الاول ان هذا الملك مر بمدينة اسمها مجدل عند ايابه من سورية الى مصر (ذكر ذلك بروغش وشباس وغيرهما) واما بعل صفون فيرجح انه الجبل المسمى الان جبـل الطاقة (?) الواقع فى الجنوب الغربي من السويس ويظهر ان هذا الاسم ساميّ دال على معبد لاله وقال بعضهم ان بعل صفون معناه اله الشمال او اله الريح الشمالية وان واضع هذا الاسم لهذا الجبل انما هم البحارة الفونيقيون الذين كانوا يسيرون سفنهم من هناك نحو الجنوب ويقدمون محرقات لبعل اله هذا الجبل . انتهى ملخصاً

﴿ عد ١٨٧ ﴾

نجاة بني اسرائيل وغرق جنود فرعون في البحر الاحمر

قال الكتاب (خروج ف ١٤ ع ٥ وما يليه) « فلما أُخبر ملك مصر ان الشعب قد هربوا تغير قلبه وقلوب عبيده عليهم وقالوا ماذا صنعنا فاطلقنا اسرائيل من خدمتنا فشدَّ مركبته واخذ قومه معه واخذ ست مئة مركبة مختارة وجميع مراكب مصر ... فاتبعهم المصريون فادركوهم وهم نازلون عند البحر ، قد

كان المصريون حراصاً على امساك اسراهم وعبيدهم لتواصل النفع بعملهم كما تبين من كثير من اثارهم فلا مرية ان كان غمهم شديدًا اذ رأوا شعبًا كبيرًا هاجر بلادهم واعدمهم الانتفاع باعماله لا الى زمن ليقدموا الذبائح لالهمم كما كان يظن فرعون بل الى ما لانهاية له . ولذلك ركب فرعون بنفسه في مقدمة قومه واخذ ست مئة مركبة من مركباته وجيشاً كبيرًا واسرع في لحاق بني اسرائيل وقد كتب منفتاح نفسه في احد اثاره انه صنع كذلك عند محاربته غزاة اجنبيين انتصر عليهم في مبادئ ملكه اذ قال « ان الفرسان الراكبين خيول عظمته جدُّوا في تتبع اثارهم » فسار الجيش المصري من تانيس حيث كان الملك حينئذٍ كما مرَّ فادركوا بني اسرائيل عند خليج السويس وقطعوا عليهم الطريق من جهة الشمال والشمال الشرقي وكان في الغرب والجنوب جبل الطاقة وعر يستعصي عليهم المسير به وفي الشرق البحر فضاقت بهم المسالك وسدت عليهم الطرق ولذلك ارتاع بنو اسرائيل ارتياعًا شديدًا وقالوا لموسى « أمن عدم القبور في مصر اخرجتنا لنموت في البرية ... فقال لهم موسى قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يجريه اليوم لكم ... ومدَّ موسى يده على البحر فارسل الرب ريحًا شرقية شديدة طول الليل حتى جعل في البحر جفافًا وقد انشق الماء ودخل بنو اسرائيل في وسط البحر على اليبس والماء لهم سور عن يمينهم وعن يسارهم وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم جميع خيل فرعون ومراكبه وفرسانه الى وسط البحر ... وقال الرب لموسى مد يدك على البحر فيرتد الماء على المصريين ... فمد موسى يده ورجعت المياه فغطت مراكب وفرسان جميع جيش فرعون الداخلين وراءهم في البحر ولم يبقَ منهم احد » ولا يعلم حق العلم كم كانت المسافة التي اجتاز بها بنو اسرائيل في البحر ويظهر انها لم تكن طويلة لانهم عبروا في ليلة واحدة فيقدر انها مسافة ست الى ثماني ساعات على كونهم مليونين من



صورة منفتاح فرعون الخروج نقلاً عن الاثار المصرية صفحة ١٢٠

من النفوس ومنهم نساء واطفال ومعهم ماشية . ويرجح ان معبرهم كان من شاطي الخليج الغربي بخط منحرف الى شاطيه الجنوبي الشرقي • ان فرعون لم يغرق كما غرق عسكره لان الكتاب لم يشر الى ذلك والتاريخ والآثار المصرية يظهر منها انه مات حتف انفه وعلى فراشه ودفن في المحل الذي يسمونه بيبسان الملوك في مدفن أُعدَّ له على ان الآثار لم تنبئنا بشيء من الاحداث في عهده بعد السنة الثامنة من ملكه وان قال بعضهم انه ولي مصر عشرين سنة دون ان يقيموا على مدعاهم دليلاً . ولا عجب من اننا لا نجد ذكرًا لجائحة البحر الاحمر في الآثار المصرية كما لم نجد ذكرًا للضربات العشر لما مر من ان المصريين وغيرهم لم يشأوا تخليد انخذالهم وخزيهم وهو طبيعي وبديهي ومع هذا قد روى العلامة شباس ترجمة اعلام اخذه عن البابير المعروف بانستازى الخامس قد نسخ في عهد ساقي الثاني ولكن يمكن ان يكون كتب لاول مرة في ايام منفتاح الاول وقد انفذه احد قادة الجيش الى بعض مأموريه وهذه ترجمته « اعلام متى وصلت اليكم رسالتي هذه اهتموا سريعًا بان تحضروا اليَّ بالمدجيو (مر معنا ان المراد بهذه الكلمة رجال الشحنة الموكولة اليهم المحافظة على العبرانيين بعمل اللبن) الذين يَلون السافكى (لا يعلم معنى هذا اللفظ) الاجانب العازمين على الصعود (اي من مصر نحو بلاد العرب وهذا التعبير كان المصريون والعبرانيون يستعملونه للدلالة على الانطلاق من مصر) ولا تحضروا جميع الرجال الذين عينت لكم اسماؤهم في درج واحرصوا على نفسكم وان لا يتردد الرجال في طاعة آمريهم وايتوني بهم الى تقهو (هو حصن من حصون المحافظة على التخوم الشرقية) فانا ادخلكم واياهم » وقال شباس لو عين العبرانيون في هذه الرسالة باسمهم لما كان لاحد ان يمتري في دلالتها على خروجهم من مصر ولكن سموا سافكي ولعل هذا اللفظ دال

على حالتهم او شغلهم في مصر وعليه فلا يمكن القطع بان المراد به العبرانيون وان اوجبت ذلك القرائن فيبقى الامر في حيّز الاحتمال

زعم بعض ناكري الوحي ان العبرانيين انتهزوا فرصة الجزر في البحر الاحمر فعبروه على اليبس الحاصل من قهقرة ماء البحر ولما تتبع المصريون اثرهم استولى المدّ في البحر فغرقهم وممن تمحلوا لذلك العالم دوبوا إمه الذي كان يصحب القائد بونابرت (نابوليون الاول) في غزوته الى مصر وتابعه اكثر مفسري الكتاب من العقليين وسلفادور اليهودي • على ان آي الكتاب ناطقة بما يخالف زعمهم نطقًا جليًا وقد دقق ونقب كثير من الجوابين والعلماء وصرحوا بانه يستحيل حقيقة على مليونين من النفوس ان يعبروا سوية مصحوبين بماشيتهم واطفالهم ونساءهم على ضفة حاصلة من جزر البحر في مدة ساعات قليلة ولا نرى آية عظمت الاسفار المقدسة قدرها كآية شق البحر الاحمر واجازة بني اسرائيل فيه . وقد كثر ذكرها في اسفار العهدين القديم والحديث وترنم بها الانبياء في مواضع عديدة من كتبهم. ومثل هذا الزعم في بطلانه زعم بعضهم ان عمود النار والغمام إنْ هو الا اقباس من النار كان موسى يسيرها في مقدمة قومه فتضيئهم ولما اتبعهم المصريون سيرها في اواخر قومه لتحجبهم عن نظر اعدائهم فهذا يُسخر منه ولا يلتفت الى رده فالاقباس لا تنير مليونين من النفوس والكتاب يعزو هذا العمود الى ملاك اذ قال (خروج ف ١٤ ع ١٩) « فانتقل ملاك الله السائر امام عسكر اسرائيل فصار وراءهم وانتقل عمود الغمام من امامهم فوقف وراءهم . ودخل بين عسكر المصريين وعسكر اسرائيل فكان من هنا غمامًا مظلمًا وكان من هناك ينير الليل فلم يقترب احد الفريقين من الآخر طول الليل » وهذا العمود صحب بني اسرائيل مذ سافروا من سكوت على ما قال القديس ايرونيموس في رسالته الى فابيول او مذ سافروا من

رعمسيس على ما قال غيره او مذ سافروا من ايتام الى ممات هرون على ما قال اكثر المفسرين وكان مضئًا في مدة الليل ومظلماً كغمام حالك في مدة النهار فقد توفرت آيات الله في اخراج شعبه من مصر لتكون ذكرى وعبرة لشعبه وغيرهم طول الايام

وقد سبح موسى وبنو اسرائيل بعد نجاتهم التسبيحة التي ذكرها سفر الخروج (في الفصل الخامس عشر منه) والمفتتحة «اسبح الرب فانه قد تعظم بالمجد الفرس وراكبه طرحهما في البحر» الى اخرها واخذت مريم اخت موسى وهرون الدف في يدها وخرجت النساء كلهن وراءها بدفوف ورقص يترنمن بآي هذه التسبيحة ومريم وبعض رفيقاتها يجاوبنَ سبحوا الرب فانه قد تعظم بالمجد

الفصل السادس

(في اخبار بني اسرائيل في برية سيناء)

عد ١٨٨

لمعة في شبه جزيرة سينا

ان سينا شبه جزيرة يحدها خليج السويس غربًا والبحر الاحمر جنوبًا وخليج عقبه شرقًا وتتصل ببلاد العرب شمالاً واعلى جبالها تسمى الآن جبل ام شومر وجبل موسى وجبل سربال وليست برية سينا صحارى تاوية الرمال بل بلاد جبلية متحجرة وليس فيها من الرمل الا ما ندر خلافًا لصحارى مصر وتربتها غير خصبة والنبات فيها قليل الا في بعض الاودية والهضاب حيث تكثر

الاعشاب العطرية وليس على آكامها تراب ولا خضر والماء قليل في اوديتها وسماؤها نقية ولكن شمسها محرقة حتى تزيد فيها الحرارة مدة النهار ثلثين درجة عليها مدة الليل وسماها الكتاب (خروج ف ١٥ع ٢٢) شور وهي كلمة عبرانية معناها السور وفي السريانية ܫܘܪܐ فان العبرانيين رأوا تجاههم عند اقبالهم على هذه البلاد جبالاً شامخة من وراء البرية كانها اسوار طبيعية للبلاد فسموها شور اي سورًا حتى قال هنري بلمر رئيس اللجنة الانكليزية الآتي ذكرها وهو ينظر مع صحبه من عند عيون موسى الى جبلي الراحة والتيه من وراء البرية اعجبوا من تسمية العبرانيين لهذه البلاد سورًا فما اطبق هذه التسمية للحقيقة والوضع

ان اول من زار برية سينا في هذا العصر واستقصى فيها انما هو بوكرد لسنة ١٨١٠ ثم تتبعه كثير من الجوابين والزائرين على مشقة السفر وقلة الامن فيها الى ان ارسل الانكليز سنة ١٨٦٨ لجنة علمية للتنقيب فيها والاستطلاع على مواقعها وكان رئيس هذه اللجنة العالم هنري بلمر فاقامت هذه اللجنة في تلك الانحاء ستة اشهر واخذت نحو ثلث مئة صورة فوتغرافية تمثل اخص مواقع هذه البلاد ورسمت لها عدة خرائط جغرافية ونسخت كل ما عثرت عليه فيها من الخطوط ونشرت خلاصة اعمالها وآراءها سنة ١٨٧٢ ونستشهد مرات اقوال هولاء العلماء في الاعداد التالية

﴿ عد ١٨٩ ﴾

﴿ مراحل بني اسرائيل من جانب البحر الاحمر الى برية سين ﴾

أثبت كثيرون ما جاء في تقليدات اهل تلك الانحاء ان الاسرائيليين بعد ان عبروا البحر الاحمر حلوا في الموضع المسمى الان عيون موسى فهناك صحراء كافية لاحتلالهم فيها بعض عيون ماءٍ صافٍ لكنه ملح وقال فيكورو (الكتاب

والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ٤٤٢) انه عدَّ هناك اثني عشر ينبوعاً عند زيارته هذا المحل في ٨ اذار سنة ١٨٨٨ وهناك بعض النخيل ايضاً . وقال الكتاب (خروج ف ١٥ ع ٢٢) « ثم ارتحل موسى باسرائيل من بحر القلزم وخرجوا الى برية شور فساروا ثلثة ايام في البرية ولم يجدوا ماء فافضوا الى مارة » قال فيكورو (في المحل المذكور) ان بني اسرائيل اجتازوا حينئذٍ في ساحل البحر الاحمر الذي طوله الى مارة ثمانون كيلومتراً وعرضه ثمانيـة عشر كيلومتراً وساروا هذه المسافة في مدة ثلثة ايام فكأنهم ساروا في كل يوم ما يجتازه راكب واحد في مـدة نحو اربع ساعات ونصف . وقد تيقن كل من جابوا هذه الاماكن بصدق كلام الكتاب اذ لم يجدوا هناك الا ارضاً جرداء ذات حصى سوداء ليس فيها من النبات الا بعض اعشاب لانضـارة لها وبعض شجيرات ذابلة ولا شيء من الماء هناك حتى قال هنري بلمر رئيس اللجنـة الانكليزية « ان كل ما هنالك لا يطبع في مخيلة المسافر الا تصور برية لا ماء فيها » وقال فلستد (في كتاب رحلته ببلاد العرب المطبوع في لندرة سنة ١٨٣٨) « يكره العرب الرحل كل البلاد التي من حوارة الى عيون موسى لعدم وجود الماء فيها »

واما مارة التي افضوا اليها فاكثر العلماء على انها الينبوع المسمى اليوم عين حوارة وهي على اكمة صغيرة هناك ويختلف طعم مائها باختلاف الفصول لكنه لا يخلو ابداً من مرارة وقال بوكرد (في كتاب رحلته في سورية سنة ١٨٢٢ صفحة ٤٧٢) ان الناس لا تستطيع شرب هذا الماء لمرارته بل الجمال نفسها تأنف منه الا اذا اضناها الظماء . على ان اللجنـة الانكليزية لم تقطع بموقع مارة كل القطع بل قال رئيسها هنري بلمر انه وجد اثراً لذلك في وادي مريرة في تلك الجهة اذ اكتشف سنة ١٨٦٩ هناك عين ماء مر المذاق

ان كل ما مر مصداق لقول الكتاب « فافضوا الى مارة فلم يطيقوا ان يشربوا من مائها لانه مر ولذلك سميت مارة فتذمر الشعب على موسى وقالوا ماذا نشرب فصرخ الى الرب فاشار له الى شجرة فالقى منها في الماء فصار عذباً » وسمى بعضهم هذه الشجرة كركد وقالوا انها شجرة ذات اشواك يكثر نبتها حذاء الينابيع تثمر في الصيف حبوباً حمرآء عذبة المطعم وان من خواصها جعل الماء اقل مرارة ولكن ابى حكماء اللجنة الانكليزية المصادقة على هذا الزعم وقال بلمر رئيسهم لا يعلم احد اي الشجر استعمل موسى في تحلية ماء مارة فسفر الخروج لم يصرح به واهل تلك البلاد لا يعرفون نباتاً يحلي الماء وقد مر بنو اسرائيل في تلك البلاد ولم تكن ثمار الاشجار ناضجة ولكن قال فرديناند دي لاسبس (في خطبته السالف ذكرها في نانت سنة ١٨٦٦) اخبرني بعض العرب انهم يلقون في المياه المرة نوعاً من الشوك يحمل ثمراً احمر حامضاً فيمتص ما فيها من المواد الملحية والقلوية فتخف مرارتها وتصلح للشرب عند الحاجة ومهما يكن فذلك فضلٌ من الله سواء قيل انه هدى موسى الى شجرة يحلي بطبعه مرارة الماء او انه ازال مرارته بآيةٍ مع توسط الشجر

ثم قدم بنو اسرائيل « الى ايليم وكان هناك اثنتا عشرة عين ماء وسبعون نخلة فنزلوا هناك على الماء » وقد اجمع اكثر العلماء والجوابين على ان موقع ايليم هذه انما هو في وادي غرندل فهناك صحرآء تبعد عن عيون موسى ستة وثمانين كيلومتراً ونجد الى اليوم اشجار النخل وغيرها من اشجار البرية وهناك ايضاً ينبوع ماء يجري دائماً وماءه صافية غزيرة لا سيما في ايام الربيع وقت حلول بني اسرائيل هناك حتى يتفرع منه عدة ينابيع « ثم ارتحلوا من ايليم واقبل كل جماعة بني اسرائيل الى برية سين التي بين ايليم وسيناء » كما في سفر الخروج (فصل ١٦ عد ١) وفي سفر العدد (فصل ٣٣ عد ١٠) وارتحلوا

من ايليم ونزلوا على بحر القلزم وارتحلوا من بحر القلزم ونزلوا ببرية سين ، ففصل موسى في سفر العدد ما اجمله في سفر الخروج ومحلة بني اسرائيل هذه في جانب بحر القلزم الذي هو البحر الاحمر نفسه يتيسر لمن شهد هذه الاماكن تعيينها تعييناً اكيدًا فاقوم طريق لهم من ايليم الى البحر كان ان يجتازوا في سفح الجبل المسمى حمام فرعون وان ينحدروا نحو ساحل البحر في وادي شبيقه ووادي طيبة وعليه فاكثر من تجوّلوا في هذه البلاد قضوا بان محلة بني اسرائيل هذه كانت في اطراف وادي طيبة من جهة البحر وان موسى وعمدة قومه حلوا على الارجح عند ينابيع وادي طيبة ونخيله على بعد الف وخمس مئة متر من الشاطي وبين هذا المحل وبين وادي غرندل الذي ارتحلوا منه مسافة ثلثين كيلومترًا اي مسافة نحو خمس ساعات

وقد كان لهم في مرحلتهم من وادي طيبة الى برية سين طريقان يسمى احدهما طريق البحر يسار به على شاطي البحر مسافة عدة كيلومترات ثم يصعد به نحو الجبل بوادي فيران والثاني يسمى طريق الشمال يصعد به في وادي طيبة ثم يتحول الى الجنوب الشرقي الى طرف المحل المعروف بدبة الرملة من جهة الغرب الى ان يتصل بالطريق الذي على شاطي البحر واجمع اعضاء اللجنة الانكليزية ان بني اسرائيل ارتحلوا في طريق البحر لسهولة مسلكه ووجود الماء فيه وهو ارجح من قول غيرهم انهم سلكوا طريق الشمال لقربه من برية سين . وهذه البرية هي الصحرآء المعروفة الان ببرية المرقى على ما رأى علماء اللجنة الانكليزية وهي واقعة بين الجبال شرقًا والبحر الاحمر غربًا وطولها ٢٢ كيلومترًا وعرضها خمسة كيلومترات وفيها ينبوعان عين ذفاري وينبوعها عذب وعين المرقى وماؤها مر ملح والمسافة من وادي طيبة الى عين ذفاري اثنان وعشرون كيلومترًا وفي هذه البرية بعض المرعى وبلغ اليها بنو

اسرائيل بعد شهر من خروجهم من مصر

عد ١٩٠

في المن

لم يتذمر بنو اسرائيل في برية سين على موسى لحاجتهم الى الماء اذ كان منه ما يكفيهم فيها بل انبأنا سفر الخروج (فصل ١٦ عد ٢ وما يليـه) انهم تذمروا لحاجتهم الى الطعام وقالوا لموسى وهرون • ليتنا متنـا بيد الرب في ارض مصر حيث كنا نجلس عند قدور اللحم ونأكل من الطعام شبعنـا فلمَ اخرجتمانا الى هذه البرية لتقتلا هذا الجمهور كله بالجوع فقال الرب لموسى ها انا ممطر لكم خبزًا من السماء فليخرج القوم ليلتقطوه طعام كل يوم في يومه ... وبالغداة كان يسقط الندى حول المحلة ولما ارتفع سقيط الندى اذا على وجه البرية شيء دقيق مكتّل كالجليد على الارض فلما رآه بنو اسرائيـل قال بعضهم لبعض منهو (اي ما هو ما هذا فسمي لذلك منًا) لانهم لم يعلموا ما هو ... وسماه آل اسرائيل المن وهو كبزر الكزبرة ابيض وطعمه كقطائف بعسل • وكانوا يلتقطون منه كل واحد على قدر اكله عمرًا لكل نفس والعمر كيل وقال بعضهم انه الوعاء الذي كانوا يشربون الماء به • وكانوا يقسمون ما جمعوه بهذا العمر فمن أكثر لم يفضل له ومن اقل لم ينقص له وكانوا يلتقطونه في كل غداة فاذا حميت الشمس كان يذوب وما بقي منه الى اليوم التالي دب فيه الدود وانتن الا في يوم السبت فكانوا يلتقطون منه يوم الجمعة ما يكفي مؤونة يومين فلا يعتريه فساد ولا يجدون يوم السبت شيئاً منه في البرية

زعم بعض الطبيعيين ان المن الذي أكله بنو اسرائيل في برية سينا لم يكن الا شيئاً طبيعياً فهو صمغ شجر الطرفاء . والى اليوم يلتقط العرب ورهبـان دير طورسينا من هذا المن ويأكلونه بالخبز كالعسل . وقد اخذ منه كثير من

الجوابين الى اوربا . فلا تنكر ان شجر الطرفاء كثير في تلك البلاد وانه ينضح صمغًا يتعلق على اغصانه كحباب الندى ويسيل عند اشتداد حرارة الشمس في شهري حزيران وتموز وله طعم العسل ويسميه العرب المنّ لشبهه بالمنّ الذي اقات الله به بني اسرائيل لكن بين منّ الطرفآء وبين المن الذي انزله الله على بني اسرائيل فرقًا كبيرًا من اوجه عديدة منها اولاً ان منّ بني اسرائيل كانوا يلتقطونه كل يوم في السنة كلها وفي مراحلهم كلها من برية سين الى ارض الموعد ومنّ الطرفآء لا تجد له عينًا ولا اثرًا الا في شهري حزيران وتموز . ثانياً ان المنّ الرباني كان يسقط عند الفجر ومن الطرفآء يسقط نحو نصف النهار اذ كان منّ اسرائيل يذوب . ثالثاً ان منّ بني اسرائيل كان يقيت جمهورهم وهو نحو من مليونين ومنّ الطرفآء قليل جدًا حتى حقق ستنلاي (في كتابه منّ سينا وفلسطين صفحة ٢٦) ان ما يلتقط من المنّ في سينا هيهات ان يكفي مؤونة رجل واحد في مدة ستة اشهر . وقال بوكرد (في كتاب رحلته في سورية صفحة ٦٠١) ان ما يلتقط منه في شبه جزيرة سينا كل سنة انما هو خمس مئة الى ست مئة ليبرا وزده ما استطعت فلا يكفي بني اسرائيل مؤونة اسبوع واحد . رابعاً ان منّ بني اسرائيل كان ينتن في اليوم التالي الا يوم السبت ومنّ الطرفآء يمكن حفظه سنين عديدة . خامساً ان منّ بني اسرائيل كان كأنه القوت الوحيد لجمهورهم مدة اربعين سنة ومن الطرفآء لا يكفي لقوت انسان واحد لانه دوآء مسهل قل فيه الجوهر المغذي . سادساً ان منّ بني اسرائيل «كانوا يطحنونه بالرحى او يدقونه في الهاون ويطبخونه في القدور ويصنعونه مليلاً» (سفر العدد فصل ١١ عد ٨) ومن الطرفآء لا يصدق عليه شيء من ذلك . هذا وقد حال العالم بِرتلوت احد القائلين بان المنّ كان طبيعياً المنّ المأخوذ من سينا والمنّ المأخوذ من كردستان فكانت نتيجة تحليله

الكيماوي ان اكبر جزء مما تألف منه هذا المنّ انما هو المادة السكَّرية وبعض المواد المسهلة التي لا تصلح للتغذية فاذًا ما المنّ الذي اقتات به بنو اسرائيل الا الخبز الذي نزل من السماء

زعم بعضهم ان بني اسرائيل كانوا يذوقون بالمنّ اي طعم اراده كل منهم واسندوا ذلك الى قول سفر الحكمة (فصل ١٦ عد ٢٠ و ٢١) « وارسلت لهم من السماء خبزًا معدًّا لا تعب فيه يتضمن كل لذة ويلائم كل ذوق لان جوهرك ابدى عذوبتك لبنيك فكان يخدم شهوة المتناول ويتحول الى ما شاء كل واحد » فهموا الاية بحسب منطوق حروفها على ان القديس اغوسطينوس وغيره من الاباء والعلماء اثبتوا ان المراد بكلام سفر الحكمة ليس هو الا ان المنّ كان يلائم ذوق كل ممن يستعملونه وخاصة لانه جاء في سفر العدد (ف ١١ عد ٦) « والان فنفوسنا يابسة لا شيء امام عيوننا غير المنّ » ولو ذاق كلٌّ به ما شاء من الطعام لما قالوا ان نفوسهم يابسة فالمنّ كان لذيذًا مغذياً يلائم كل ذوق فلا يأنف منه احد ويخدم شهوة المتناول فيميضه عن احسن ما يشتهي

﴿ عد ١٩١ ﴾

في السلوى

جاء في سفر الخروج (ف ١٦ ع ١٣) « ولما كان العشي صعدت السلوى فغطت المحلة » وجاء في سفر العدد (ف ١١ ع ٣١) « وهبت ريح من لدن الرب فساقت سلوى من البحر والقته على المحلة على مسير يوم من هنا ويوم من هناك حوالى المحلة (وكان طيران السلوى) على نحو ذراعين عن وجه الارض فاقام الشعب يومهم كله وليلتهم وغدهم يجمعون السلوى فجمع اقلهم عشرة اعمار فسطحوها لهم مساطح حوالي المحلة » لتجف وتكون لهم مؤونة

والظاهر ان الله ارسل اليهم السلوى مرتين الاولى في برية سين وهي التي ذكرها موسى في سفر الخروج والثانية في محلة قبور الشهوة وهي التي ذكرها في سفر العدد وبين الاولى والثانية سنة وكلتاهما في فصل الربيع وقال علماء الزولوجيا (وهم اهل العلم بالحيوان) ان السلوى لا ترتفع عند طيرانها عن الارض اكثر من ذراعين لا سيما اذا اضناها التعب وحقق الجوابون وغيرهم ان هذا الطائر يكثر مروره في برية سيناء وسائر بلاد العرب في فصلي الربيع والخريف فكانت المعجزة اذًا قائمة بجعل الله الريح تسوقها بكثرتها العجيبة الى محلة بني اسرائيل وتيسيره التقاطها وانبآء موسى بها قبل بلوغها وسوقها عند مسيس الحاجة اليها

واسم هذا الطائر في العبرانية شلوى وفي الكلدانية والسريانية ܣܠܘܝ (سلواي) وفي العربية سلوى وواحدته سلواة وهو معروف في بلادنا بهذا الاسم وكذا فهمه قدماء المترجمين في الترجمات السبعينية واللاتينية والسريانية والعربية وكذا ورد في القرآن ايضًا وان قال بعض مفسريه ان المراد بالسلوى السَمانى على ان العالم لودلف لم يألُ جهدًا ليثبت (في كتابه تاريخ الحبشة ك ١ فصل ١٣ عد ٩٦) ان المراد بكلام موسى ليس طائر السلوى بل الجراد ومن مستنداته ان اسم شلوى في العبرانية مشتق من اصل يدل على الكثرة والغزارة فيصدق على الجراد اكثر من طائر السلوى وان الجراد يكثر في بلاد العرب وتسوقه الريح اليهم ويلتقطونه ويملحونه ويذخرونه مؤنة طيبة المطعم نافعة للصحة لا يأنف منها اكابرهم واعيانهم وان رأيه يؤيده قول موسى انهم سطحوها مساطح حوالى المحلة ولو كان المسطوح طائر السلوى لدب فيه الدود وانتن من تعريضه للشمس • غير ان اجماع نسخ الكتاب ومفسريه القدماء والحدثاء على ان المراد طائر السلوى يبطل ازعام لودلف ويمحقها ان

العبرانيين سألوا موسى لحماً لان نفوسهم سئمت المنّ فلا يغنيهم الجراد عن اللحم

﴿ عد ١٩٢ ﴾

في ارتحال بني اسرائيل من برية سين الى رفيديم

قد جاء في سفر الخروج (ف ١٧ ع ١) «ثم ارتحل كل جماعة بني اسرائيل من برية سين مرحلة مرحلة على حسب امر الرب ونزلوا في رفيديم» ولكن جاء في سفر العدد (فصل ٣٣ عد ١٢) تفصيل المراحل حيث قيل «وارتحلوا من برية سين ونزلوا بدفقة . وارتحلوا من دفقة ونزلوا بألوش وارتحلوا من الوش ونزلوا برفيديم» فالظاهر ان سفر الخروج لم يصرح بذكر منزلتي دفقة وألوش لانه لم يكن فيهما شيء مهم . وللمسافر من برية سين الى وادي فيران حيث موقع رفيديم القديمة ثلث طرق الاولى شمالية يسار بها من عين ذفارى السالف ذكرها ويجتاز في جبل هناك الى رفيديم ولكن هذه الطريق مستحدثة والثانية يمر بها في وادي سدرة ووادي مكتّب في جانب المحل المسمى مغارة حيث كان المصريون يحتفرون المعادن والثالثة وهي الايسر والاطول يسار بها على شاطي البحر في جنوب سهل المرق الى مصب وادي فيران ويصعد في هذا الوادي الى رفيديم والمسافة بين برية سين ورفيديم في هذا الطريق ثمانية وسبعون كيلومتراً . وقد رأى اعضاء اللجنة الانكليزية ان السواد الاعظم من بني اسرائيل سار في هذا الطريق مع ماشيتهم وان بعض المشاة منهم سار في طريق وادي سدرة لانتقاصها سبعة عشر كيلومتراً عن الاولى وزعم بعضهم ان مسير هولاء في هذا الطريق يمنع منه خوفهم من المصريين الذين كانوا يعملون في المعادن او يحرسون العملة ولكن هذا مردود بان بني اسرائيل الذين كان عديدهم حينئذٍ زهاء ست مئة الف رجل لم يبالوا بنفر يحتفرون المعادن او يحرسونها . ولم تتمكن اللجنة الانكليزية من تعيين موقع دفقة على ان العالم

إبر الالماني استدعى الالتفات الى المشابهة الكائنة بين اسم دفقة وبين اسم مفقة الذي يراد به باللغة المصرية المواد الثمينة التي تخرج من معادن سيناء فكأنه يشير الى ان دفقة كان موقعها قريباً من المغارة السالف ذكرها . واما ألوش فلا يعلم في اي المواقع هذه بين دفقة ورفيديم . واما رفيديم فوقعها في الوادي المعروف الان بوادي فيران وتأويل اسمها محل الراحة . والماء الان قليل في المسافة بين برية سين ورفيديم فان كان كذلك في ايام موسى فيكون بنو اسرائيل اسرعوا في مسيرهم متزودين بقربهم ما كان لا بد منه لهم من الماء وكانوا يعللون انفسهم بوجدانهم ماء في رفيديم فخاب ما املوا فعاودوا على عادتهم الشكوى

﴿ عد ١٩٣ ﴾

آية اجراء الماء من الصخرة

قال الكتاب (خروج ف ١٧ ع ٣) « وعطش هناك الشعب الى الماء وتذمروا على موسى وقالوا لِمَ اصعدتنا من مصر لتقتلنا وبنينا وماشيتنا بالعطش فصرخ موسى الى الرب قائلاً ما اصنع بهولاء الشعب انهم عن قليل يرجمونني فقال له الرب مرَّ امام الشعب وخذ معك من شيوخ بني اسرائيل وعصاك التي ضربت بها النهر ... وها انا قائم هناك امامك على الصخرة في حوريب فاضرب الصخرة فانه يخرج منها ماء فيشرب الشعب فصنع موسى كذلك على مشهد شيوخ اسرائيل » فجرى الماء من الصخرة « وسمي ذلك الموضع المحنة والخصومة لسبب مخاصمة بني اسرائيل » وتأويل حوريب الخراب واليبوسة اذ ليس هناك ماء . ورأت اللجنة الانكليزية ان حوريب هذه غير حوريب التي تجلى الرب فيها لموسى في العليقة

واما الصخرة الوارد ذكرها هنا فقد اشغل الجوالين والزائرين البحث

عنها من اقدم العهد وحسبها رهبان دير القديسة كاترينا في جوار ديرهم وكثيرًا ما اروها زائريهم فصدقوا بقولهم وكتبوا فيها ما عنّ لهم واخصهم شاو Shau الانكليزي وبوكوك الاول في كتابه الذي طبعه في اكسفرد لسنة ١٧٧٢ وملخص ما قال « قد شهدنا رفيديم وتهيأ لنا ان نرى صخرة مريبة (وهي التي تسميها النسخة اللاتينية العامية المحنة والخصومة كما روينا آنفًا) فاذا هي محفوظة سالمة من التأثيرات الجوية وكرور الايام وهي صخر من رخام اشبه بالحجر المحبب مكعبه ستة يردات (واليرد اقل من المتر قليلاً) وهو في وسط الوادي منفصماً عما سواه ويظهر انه منقطع اصلاً من جبل سيناء المحيط بهذا السهل والماء الذي جرى منه قد ثقب في احدى زواياه قناة عمقها انشان (الانش جزء من اثني عشر جزءًا من القدم) وعرضها عشرون انشاً وقد عاينا ثقوباً عديدة على طول هذه القناة وتلك ادلة حية ناطقة بان كل ثقب كان يصدر عين ماء والمتأمل يرى ان مثل ذلك لا تأتي به صناعة ولا مصادفة بل كل ما شاهدنا دلنا ان ثمة آية وان هذا المشهد يبدي حركة تقوية في قلب كل ناظر » وقال بوكوك ما خلاصته « ان في الغرب والجنوب من جبل سيناء وادي يسمى وادي يه اي وادي الله ولا غرو ان ما كان منه في الغرب انما هو وادي رفيديم حيث حل بنو اسرائيل بعد ارتحالهم من برية سين فأهل هذا المحل يدلون هناك على الصخرة التي يقولون ان موسى ضربها فجرت المياه وهي صخرة ضخمة من الحجر المحبب الاحمر طولها عشرة اقدام وعرضها كذلك وعلوها اثنتا عشرة قدماً وفي اسفل جانبيها منفجرات لا يظهر انها صنع آلة وعددها من كل جانب نحو اثني عشر منفجرًا والعرب يسمون هذه الصخرة صخرة موسى ويلقون عشبًا في هذه المنفجرات ويطعمونه جمالهم زاعمين انه يبرئها من كل مرض » وقال بهذا المقال لاون دي لابورد وستنلاي وغيرهما

على ان اعضاء اللجنة الانكليزية لم يروا في منفجرات الصخرة المحكى عنها شيئاً من المعجزة واوردوا لعدم تصديقهم بان هذه الصخرة صخرة موسى سببين الاول انها ليست في وادي رفيديم بل في الوادي المسمى وادي اللجة والثاني ان هذه الصخرة لا تنفرد بالعلامات التي استدلوا بها على انها صخرة موسى فان في هذا الوادي نفسه صخرة اخرى تشبه الاولى كل الشبه ولها مُثُل اخرى في انحاء شبه جزيرة سيناء وقد تابع الاب فيكورو اعضاء اللجنة الانكليزية في رأيهم فقال (في الكتاب و الاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ٤٧٦) ما ملخصه « لم تكن آية ضرب الصخرة وجري الماء في المحل الذي يعينه الان رهبان سيناء وصدقهم فيه شاو وبوكوك لان رفيديم حيث جرى الماء من الصخرة ليس موقعها في وادي اللجة بل في وادي فيران كما حقق لنا ذلك تقليد قديم حفظه اوسابيوس والقديس ايرونيموس في القرن الرابع وانطونينوس الشهيد في القرن السابع وأيدته رؤية هذه المحال فالصخرة الحقيقية يلزم ان تكون في وادي فيران وقد ذكر رجال اللجنة الانكليزية تقليداً عند عرب تلك الانحاء يعين محل هذه الصخرة في بقعة تسمى حسي (١) الخطاطين وهم يعدون موسى من الخطاطين لانه خط الشريعة ولهم عادة لا يعرف لها بدء وهي ان كل من مر بهذا المحل رمى حجراً صغيراً دالاً على انه لا ينسى المحل ولا التقليد المشار اليه فترى الحصى ركاماً فوق الصخور الكائنة هناك والعرب يقولون ان بني اسرائيل بعد ان شربوا من الماء الذي انفجر من الصخرة جلسوا يلعبون برمي الحصي على الصخور . ومن يمشون الان على هذه العادة يقصدون تذكر هذه الاية والاستشفاع بموسى صانعها لبرء اقربائهم او اصحابهم

(١) الحَسي والحِسي والحِسى سهل من الارض يستنقع فيه الماء وقيل غِلَظ فوقه رمل يجمع ماء المطر وكلما نزحت دلواً اجتمعت اخرى

من المرض . ولا تنحصر عادة رمي الحصى على هذا المحل بل يعرف لها نظائر في محلات اخرى حيث وجد تقليد دال على امر مهم فالعالم بلمر هو اول من روى هذا التقليد وهو يعين محلاً يرجح انه محل هذه الاية .

قال الرسول « ان اباءنا شربوا شرابًا واحدًا روحيًا لانهم كانوا يشربون من الصخرة الروحانية التي كانت تسير معهم وتلك الصخرة كانت المسيح » (قرنثية ١ ف ١٠ عد ٤) فقال بعض المفسرين والاباء ان الصخرة التي ضربها موسى فجرت المياه كانت تسير مع بني اسرائيل او كانت امواهها تسيل في اقنية تابعة لهم حيث حلوا واتصل بعضهم الى ان يقول ان مياه الصخرة لبثت تصحبهم ثماني وثلاثين سنة على ان هذا التفسير غير صحيح بل الصحيح ما قال غير هولاء من المفسرين والآباء وهو ان كلام الرسول مجازيّ ورمزيّ كما هو ظاهر من وصفه الشراب بالروحي والصخرة بالروحانية ومن تصريحه بان الصخرة كانت المسيح فالصخرة اي مدلول الصخرة وهو المسيح كان يسير معهم بما انه اله اجرى لهم الماء وانزل عليهم المن . وايضًا لو كانت الصخرة تسير معهم بنفسها او بمائها لما خاصموا موسى في قادش ايضًا لحاجتهم الى الماء كما ورد في سفر العدد (ف ٢٠) ولما اغفل موسى ذكر استمرار هذه الآية سنين طوالاً فهو لم يغفل ذكر استمرار المن اربعين سنة

عد ١٩٤

في حرب العمالقة

بينما كان بنو اسرائيل في رفيديم وافاهم العمالقة يقطعون الطريق عليهم فكانت الحرب التي ذكرت في سفر الخروج (ف ١٧ ع ٨ وما يليه) وقد مر في كلامنا على غزوة كدرلاعومر ملك العيلاميين لجنوبي سورية ان كثيرًا من العلماء يرون ان العمالقة هم ذرية عماليق بن اليفاز (من سريته تمنع) بن عيسو

ابن اسحق بن ابرهيم وان العلماء العرب وكثيرين غيرهم يرون ان عماليق جد هولاء انما هو من ذرية حام لا من ذرية سام ويؤيد قولهم ان غزوة كدرلاعومر كانت قبل مولد عيسو واليفاز وذكر انه ضرب العمالقة فارجع الى ما مر هناك عد ١٥٥ فهولاء العمالقة كانوا يسكنون برية فاران وما جاورها وسمعوا اخبار قدوم بني اسرائيل الى ارضهم وظنوا انهم ينوون الاقامة فيها فانتظروا بلوغهم محلاً ييسر لهم فيه الانتصار عليهم وفاجاؤهم في وادي فيران حيث كانوا بلغوا ضنكًا بسفرهم الشاق مسافة ثمانين كيلومترًا من برية سين فقال موسى ليشوع بن نون الذي كان يخدمه مذ كان حدثًا « اختر لنا رجالاً واخرج لمحاربة العمالقة وغدا وانا اقف على راس (الرابية) اليفاع وعصا الله في يدي فصنع يشوع كما قال له موسى في محاربة العمالقة . وموسى وهرون وحور صعدوا الى راس اليفاع فكان اذا رفع موسى يده يغلب بنو اسرائيل واذا حطها تغلب العمالقة ولما كلّت يدا موسى اخذا (اي هرون وحور) حجرًا وجعلاه تحته فجلس عليه واسند هرون وحور يديه احدهما من هنا والاخر من هناك فكانت يداه ثابتتين الى مغرب الشمس فهزم يسوع عماليق وقومه بحد السيف وقال الرب لموسى اكتب هذا ذكرًا في الكتاب » فيظهر ان الحرب دامت النهار بطوله وكانت للعمالقة حروب اخرى مع بني اسرائيل سيأتي ذكرها . واما من هو حور هذا فزعم يوسيفوس انه زوج مريم اخت موسى على ان الاباء ونخص بالذكر منهم غريغوريوس النيصصي وامبروسيوس اثبتوا ان مريم اخت موسى استمرت بتولاً لم تتزوج وان الصحيح ان حور من ذرية يهوذا فهو ابن كالب بن حصرون غير كالب بن يوفنا ، واما اليفاع فهو اسم رابية قال فيكورو (في المحل الانف ذكره) انها تسمى اليوم جبل الطاحونة وان ارتفاعها ٢٢٠ مترًا . وقد عمر المسيحيون الاولون في هذا المحل مدينة فاران ذكرًا

لهذه الاية وكانت مدينة اسقفية وترى هناك الى اليوم اطلال كنائس ومعابد وادبرة ومدافن وقد كشفت اللجنة الانكليزية ثمة عن صفيحة مثلث عليها صورة رجل متشح بحلة وذراعاه مبسوطتان يصلي كما صوّر لنا سفر الخروج موسى في موقعة رفيديم .ووجدوا ايضاً صورة ناتئة على اعلى باب تمثل ثلثة اشخاص في الهيئة الانفة الذكر فلا غرو ان سكان فاران الاولين راموا ان يخلدوا بهذه الصور ذكر موقعة كانت سبباً لشهرة مدينتهم

﴿ عد ١٩٥ ﴾

اتيان يترو حمي موسى اليه في البرية ومشورته عليه في القضاء للشعب

ان يتروحما موسى ويسميه العرب شعيباً كان كاهن مدين كما يسميه الكتاب ويظهر انه كان يعبد الاله الحقيقي او اخذ يعبده حينئذٍ اذ جاء في سفر الخروج (ف ١٨ ع ١١) انه قال لموسى « الان علمت ان الرب عظيم فوق جميع الالهة بنفس الامر الذي بغوا (المصريون) به عليهم (على بني اسرائيل) ثم قرب يترو حمو موسى محرقة وذبائح لله وجاء هرون وجميع شيوخ اسرائيل لياكلوا مع حمي موسى امام الله) والارجح ان المدينيين قوم يترو سكان العدوة الشرقية من البحر الاحمر هم غير المدينيين ذرية مدين بن ابرهيم من قطورة سكان الجهة الشرقية من البحر الميت فالاولون حاميون من ذرية كوش بن حام لتسمية الكتاب صفورة امرأة موسى كوشية (سفر العدد ف ١٢ ع ١) والثانون ساميون من ولد ابرهيم وان قال بعضهم ان اصل القبيلتين واحدًا وقد مر لنا كلام في هذا الشان . فلما سمع يترو بجميع ما صنع الله لموسى وبني اسرائيل اتى اليه ومعه صفورة ابنته امرأة موسى وجرشوم واليعازار ابناه فيظهر ان موسى كان قد ارسلهم الى يترو بعد ان نزل بهم الى مصر كما جاء في الفصل الرابع من سفر الخروج وخرج موسى للقاء حميه وسجد وقبله وسأل كل منهما

عن سلامة صاحبه وقصَّ موسى على حميه جميع ما صنع الرب بفرعون والمصريين وجميع ما نالهم من المشقة في الطريق وكيف خلصهم الرب . ولما رأى يترو موسى يجلس وحده ليقضي للشعب من الغداة الى العشي قال له ليس ما تصنعه بحسن فانك تكل انت وهذا الشعب الذين معك ايضاً فاسمع ما اشير به عليك كن انت للشعب من قبل الله ترفع دعاويهم اليه وتنبئهم بالفرائض والشرائع وتنهج لهم الطريق الذي يسلكونه وانظر من جميع الشعب اناساً اقوياء اتقياء مستقيمين يكرهون الطمع وولِّ منهم عليهم روساء فيئات بين الف ومئة وخمسين وعشرة فيقضون للشعب في كل امر صغير ويرفعون اليك كل امر عظيم فسمع موسى من حميه وصنع جميع ما قاله له ولما ازمع بنو اسرائيل على المسير من برية سيناء نحو ارض الموعد سأل موسى حماه ان يبقى معهم ليهديهم الطرق فاعتذر ولذلك جاء في سفر الخروج (ف ١٨ ع ٢٧) « ثم صرف موسى حماه فمضوا الى ارضه » ولكن يظهر ان حوباب بن يترو استمر معهم اذ جاء في سفر العدد (ف ١٠ ع ٢٩) ان موسى قال لحوباب « تعالَ معنا نحسن اليك ... فقال له وانما امضي الى ارضي وعشيرتي قال له لا تتركنا فانك تعلم مواضع حلولنا في البرية فتكون لنا بمنزلة الابصار وان سرت معنا فما يحسن الرب به من خير نحسن به اليك » وقد صحبهم الى ارض الموعد واخذ نصيبًا مما قسمه يشوع بن نون

﴿ عد ١٩٦ ﴾

في ارتحال بني اسرائيل من رفيديم الى برية سيناء ونزولهم الجبل واي الجبال هو

جاء في سفر الخروج (ف ١٩ ع ١ وما يليه) « وفي الشهر الثالث لخروج بني اسرائيل من مصر في ذلك اليوم ... رحلوا من رفيديم وجاؤوا برية سيناء

فنزلوا في البرية ... تلقاء الجبل » ان للمرتحل من رفيديم اي من وادي فيران الى برية سيناء طريقين الاول يسمى الان طريق الواطية في الطرف الشمالي من وادي فيران والثاني في محل يسمى الان نجب الهواء في شرقي رفيديم وممر الطريقين بين سلسلة جبال ارتفاعها من ست مئة الى تسع مئة متر على ان طريق نجب الهواء عسر المسلك فالاظهر ان العبرانيين سلكوا طريق الواطية الى جبل سيناء . ثم ان المسافة التي اجتازها بنو اسرائيل من عيون موسى الى جبل سيناء هي نحو من مئتين وواحد وستين كيلومترًا فاذا قسمت على احدى عشرة مرحلة (كما كانت مراحلهم هذه) كان الحاصل انهم ساروا في كل مرحلة ٢٤ كيلومترًا الا قليلاً عبارة عن مسافة اربع ساعات بناء على ان الراكب يجتاز في كل ساعة ستة كيلومترات وليس ذلك قليلاً وهم شعب كامل يسير باطفاله وشيوخه ومواشيه واما تلقاء اي الجبال حلوا لان هنالك جبالاً او قممًا لسلسلة جبل سيناء يسمى كل منهما باسم خاص فاعم التقاليدات ان الجبل الذي حلوا تلقاءه انما هو الجبل المسمى الان جبل موسى وقد صحح اعضاء اللجنة الانكليزية هذا التقليد القديم على ان بعض الجوالين في هذا العصر رأوا ان الجبل الذي حلوا تلقاءه هو جبل سربال وهو قمة من جبال سيناء تبعد عن رفيديم ستة كيلومترات او سبعة وسمي سربالاً اي درعًا لهيئة تحدر الماء على صخوره آونة الشتاء فتكون اشبه بزرد درع نشرت عليها وارتفاعه عن ساحل البحر نحو ١٩٨٠ مترًا وبلغ بعض اعاليه الى ٢٠٦٠ مترًا على ان موقع هذا الجبل المحاط بثلاثة اودية ضيقة هي وادي الريم ووادي علامة ووادي عجلة يقضي بانه لم يكن صالحًا لنزول بني اسرائيل تلقاءه ولاسيما انهم اقاموا في برية جبل سيناء مدة طويلة وقد صرّح كثير من المؤلفين القدماء الذين ساحوا او حجوا الى جبل سيناء ان هذا الجبل هو المعروف الان بجبل موسى ومن هولاء

سيلفانوس امون والقديس نيلوس راهب سيناء وانطونينوس الشهيد وغيرهم . ثم ليس في جبل سربال ما نراه في جبـل موسى من الآثار الدالة على اجلال القدماء له لتنزيل السنّة عليه كبناء كنائس ومعابد وانهاج طرق . وقد استمسك القائلون بان سربال هو الجبل الذي نزلت عليه الشريعة بوجود بعض خطوط قديمة في جواره لكن هذه الخطوط في جوار سربال اقل منها كثيرًا في غيره كجبل المناجاة وقد كان العلماء في اواخر القرن السالف ومبادئ هـذا القرن يظنون تلك الخطوط نمّقها العـبرانيون في ايام خروجهم من مصر فظهر الان بعد حلّ رموزها والاطلاع على فحواها انه لم يكن لبني اسرائيل يد فيها بل ان ما كان منها ساميًا قد كتبه النبطيون قبل قليل من التاريخ المسيحي او بعده وبعضها كتب باليونانية وقد قطعت اللجنة الانكليزية بان سربال ليس الجبـل الذي حل بنو اسرائيل تلقاءه وبالنتيجـة ليس الجبل الذي نزلت السنّة فيه على موسى

فالصحيح اذًا ان الجبل الذي ذكره الكتاب انما هو جبل سيناء ويسمى الان جبل موسى وطول هذا الجبل ٣٢٠٠ متر وعرضه ١٦٠٠ متر وهو يمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وارتفاعه الاوسط عن ساحـل البحر ٢٠٠٠ متر وعن الأوداء المجاورة له ٤٥٠ مترًا على ان له قمتين الاولى جنوبية وارتفاعها ٢٢٤٤ مترًا وهذه يسمونها جبل موسى باسم الجبل كله وكانت تسمى قبلاً جبل المناجاة والثانية في الشمال الغربي وتسمى راس الصفصـافة ومعظم ارتفاعها عن سطح البحر ٢١١٤ مترًا . وفي الشمال الغربي من راس الصفصافة سهل فسيح يسمى سهل الراحة مساحة سطحه الف وست مئة اكتار والاكتار عبارة عن عشرة الآف متر مربع فيكون المجموع ستة عشر مليون متر مربع واذا أُلحق به منفرجا وادي الدير ووادي اللاجة تضاعف اتساعه فعلى ايِّ القمتين

تجلى الرب لموسى وانزل عليه الشريعة فرهبان دير القديسة كاترينا يزعمون استنادًا الى تقليد متوغل في القدم ان القمة الجنوبية المسماة جبل موسى او جبل المناجاة هي مهبط السنّة وان راس الصفصافة لا اهمية له على ان معاينة هذه الاماكن تقضي بالمخالفة لزعمهم اذ ليس في سفح القمة الجنوبية ارض يمكن ان يجتمع فيها جمع غفير وسهل الراحة محجوب عنها بقمة راس الصفصافة وقد صرح الكتاب بان بني اسرائيل كانوا يرون قمة الجبل الذي نزّل الله السنّة عليه ولذلك رأى روبنسون اولاً ثم قطعت اللجنة الانكليزية بان راس الصفصافة انما هو مهبط الشريعة الموسوية وهذا لا ينقص من حرمة جبل موسى فانه يرجح انه الجبل الذي تجلى الله لموسى عليه في العليقة والنار تضطرم فيها وفي مناجاته له بعد الشريعة كما تدل على ذلك تسميته القديمة جبل المناجاة • وتقليدات اهل تلك البلاد ان الجبل المسمى الان جبل المناجاة هو جبل منخفض في شرقي جبل موسى ويشرف على سهل الراحة فهنالك اقيم خباء المحضر (قبة العهد) اذ عليه يصدق ما ذكره الكتاب من ان هذا الخباء كان خارجًا عن المحلة وكان كل من بني اسرائيل يمكنه ان يرى من باب خيمته موسى داخلاً في الخباء انتهى (ملخصًا عن الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ من صفحة ٤٨١ الى صفحة ٤٩٩ طبعة ٤)

عد ١٩٧

في تنزيل الله السنّة

لما حل بنو اسرائيل تلقاء جبل سيناء صعد موسى الى الجبل فناداه الرب قائلاً كذا تقول لبني اسرائيل قد رأيتم ما صنعت بالمصريين وكيف حملتكم على اجنحة النسور واتيت بكم اليَّ والان ان امتثلتم اوامري وحفظتم عهدي فانكم تكونون لي خاصة من جميع الشعوب لان جميع الارض لي فعاد موسى

ودعا شيوخ الشعب والقى اليهم جميع الكلام الذي امره الرب به فاجاب الشعب اجمع كل ما تكلم به الرب نعمل بحسبه ولما انهى موسى كلامهم الى الرب قال له امضِ الى الشعب وقدسهم اليوم وغدًا وليغسلوا ثيابهم ويكونوا مستعدين لليوم الثالث فان الرب يهبط امام جميع الشعب على جبل سيناء واجعل حدًّا للشعب من حواليه واحذروا من ان تصعدوا الجبل او تمسوا اطرافه فان كل من يمس الجبل يقتل قتلاً بالرجم واذا نفخ في البوق جاز لهم ان يصعدوا فنزل موسى واعدّ الشعب كما امر الرب . وحدث في اليوم الثالث عند الصباح انها كانت اصوات وبروق وغمام كثيف على الجبل وصوت بوقٍ شديد جدًّا فاخرج موسى الشعب من المحلة فوقفوا اسفل الجبل (في سهل الراحة) وهو مدخن كله كدخان الاتون فارتجف الشعب جدًّا ونادى الرب موسى الى راس الجبل فصعد فقال الرب له انزل ناشد الشعب ان لا يقتحموا الى الرب لينظروا فيسقط منهم كثيرون وليتقدس الكهنة الذين يتقدمون الى الرب كيلا يبطش الرب بهم فامض وانزل ثم اصعد انت وهرون معك ففعل موسى كما امر الرب ثم تكلم الرب على مسمع من الشعب منزلاً شريعته واولها الوصايا العشر وألحق بها السنن والاحكام الواردة في الفصول ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ من سفر الخروج فوعد الشعب ان يعمل بكل ما امر الرب فكتب موسى جميع كلام الرب وبكّر في الغداة وبنى مذبحًا في اسفل الجبل ونصب اثنى عشر نصبًا لاسباط اسرائيل الاثني عشر وبعث فتيان بني اسرائيل فاصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح سلامة من العجول للرب

قد انكر جاحدوا الوحي في القرن السالف ان موسى كتب السنّة وسائر اسفار التوراة المنسوبة اليه متمحلين لانكارهم بانه لم يكن له في البرية ما يكتبها به فقال فولتر ومن حذا حذوه انه لم تكن وسيلة في تلك الايام لكتب

المرء افكاره الا بحفرها على حجر او رصاص او خشب او لبن ولم يكن للكلدان والمصريين حينئذٍ من ذريعة لابلاغ الخلف ما كان لهم الا برسم ما يدل على مجمل احداثهم بايجاز وخطوط هيروكليفيــة لا ان ينمقوا كتباً في البرية وهم كل يوم بواد وقال هرتمان الالماني في هذا القرن ايضاً انه كان نوع من الكتابة في ايام موسى الا انها لم تكن الا سرًّا محفوظاً للكهنة فلم يتهيأ لبني اسرائيل عرفانها على حالتهم الذليلة في مصر وزعم مع غيره من الجاحدين انه لم يكن في امكانهم وجدان المواد اللازمة لكتابة اسفار ضخمة كاسفار موسى الخمسة ولاسيما ان التقليدات المحلية كانت تحظر عليهم استعمال غير الحجر او المعدن او الخشب ولا تبيحهم استعمال الرق واختتم هرتمان كلامه بان العبرانيــين لم يعرفوا الكتابة قبل عصر القضاة

ان هولاء الجاحدين كانوا قبل هذه الايام ولو اوردوا اليوم مثــل هذه الحجج الباطلة لعيبوا بالجهل الفاحش فقد صدقوا بان فنّ الكتابة كان في ذلك العصر نادرًا عند القبائل اليافتية في اوربا لكنه كان في وادي النيل عامًا شاملاً يعرفه المصري والعبراني ايضاً وكنت ترى الكاتب المصري كيف اتجهت وقلمه بيده كما نرى الان صورًا لهم تشذ عن العد نقشت قبل ايام الخروج وفي عصره بل كان للمصريين ولوع او هوس بالكتابة حتى عدَّت من العلامات المميزة لهم ولم تكن المواد اللازمة لها تعوزهم اذ كانوا يكتبون على الحجر والخشب والنسيج والبابير وفي متاحف اوربا ما هو اكثر من ان يعد مكتوباً على المواد المذكورة في عصر الخروج وقبله . وعليه فاذا رأينا موسى حاملاً اللوحين ووصايا الله مكتوبة عليها ورأيناه يأمر بان تكتب هذه الوصايا على عتبات الابواب وعلى عصائب تشدّ بها الجبهة وعلى غيرها علمنا بلا ريب ان الكتابة مطروقة عند المتكلم ومن يكلمهم وكان ذلك برهاناً آخر جليًا لصدق الكتاب

لا للتكذيب به من وجه ان من يتكلم كذلك يلزم ان يكون تربى في مصر وتعلم علومهم ومن يكلمهم يلزم ان يكونوا كذلك يعرفون الكتابة والقرآة وغيرها مما اعتاده المصريون كما كان موسى وبنو اسرائيل وعليه فتكون حجج الجاحدين حججاً عليهم

﴿ عد ١٩٨ ﴾

ابطاء موسى في الجبل وعبادة بني اسرائيل عجل الذهب

انبأنا الكتاب (خروج ف ٢٤) ان موسى بعد ان اذاع شريعة الرب على بني اسرائيل امره ان يصعد هو وهرون وناداب وابيهو ابناه وسبعون من شيوخ اسرائيل ليسجدوا للرب ويشكروه على الآئه عن بعد ويتقدم موسى وحده فكان كذلك وبعد ان صعد موسى الجبل غطاه الغمام واقام موسى في الجبل اربعين يوماً واربعين ليلة وحينئذٍ امره الرب بعمل الخباء وتابوت العهد وبيّن له كيف يلزم عملهما وكيف تكون خدمة الكهنة فيه وعيّن عاملين لصنعه وهما بصلائيل بن اورى بن حور من سبط يهوذا واهلياب بن احيساماك من سبط دان وسلم اليه لوحي الوصايا كما فصل ذلك في سفر الخروج من ف ٢٥ الى ف ٣٢ وسنأتي على ذكر ملخص ما ذكره الكتاب عن هذا الخباء وما حواه اما الشعب فرأوا ان موسى ابطأ في النزول من الجبل فاجتمعوا على هرون وقالوا له قم فاصنع لنا آلهة تسير أمامنا فان موسى لا نعلم ماذا اصابه ويظهر انهم اكثروا من الالحاح على هرون فاراد ان يصرفهم عن عزمهم بما خيل له انهم يأبون صنعه فقال لهم انزعوا شنوف الذهب التي في اذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وآتوني بها فلم يتوقف الشعب عن العمل بقوله فاخذها منهم ودفعها الى صانع وصورها في قالب وصنعها عجلاً مسبوكاً فقالوا هذه آلهتك يا اسرائيل التي اخرجتك من ارض مصر فتناسوا حالاً تعليم الله بوحدانية ذاته ونطقوا

بالشرك ولا جرم انهم ارادوا ان يتابعوا المصريين بعبادتهم للاله ابيس الذي كانوا يرونهم يسجدون له امام عجل او صورة عجل وكانوا يصورون احياناً هذا الاله بهيئة انسان ورأسه رأس عجل . وقد اجهد العالم مونسو نفسه ليبرئ هرون من هذه الجريمة في كتاب افرده لذلك ومن حججه فيه ان العجل الذي تسبب بسبكه كان شبيهاً بالكاروبيم الذي كان الرب جالساً عليه عند تجليه لموسى في جبل سيناء وانه لم يأثم بسبك العجل بل بوضعه وسيلة لتقدمة الشعب عبادة وثنية على ان مونسو لم يصادف نصيرًا له في رأيه هذا وحاول غيره ان يبرئ ساحة هرون بانه انما قصد ان يحمل الشعب يسجد للاله الحقيقي امام صورة عجل كانه لم يكن الا صورة لله واستدلوا على ذلك بانه قال للشعب غدًا عيد للرب واستعمل كلمة يهوه الدالة على الله لا على الهة الامم وان الشعب تجاوز مقصده فسجد لعجل آكل عشب كما قال المرتل (مز ١٠٥ ع ١٩) « صنعوا عجلاً من حوريب وسجدوا للمسبوك وتبدلوا بمجدهم شكل ثور آكل عشب » على انه لا يمكن تبرئة هرون من الاثم وهو لم ينكر ذنبه وقد قال موسى في سفر التثنية (ف ٩ ع ٢) « واما هرون فغضب الرب عليه جدًا حتى همّ ان يبيده فضرعت لاجل هرون ايضاً في ذلك الوقت » وسنأتي على اخجال الجاحدين لتنديدهم بالكتاب لذكره سبك العجل عند ردنا تنديدهم به لما ذكره في عمل الخباء

فقال الرب لموسى في الجبل هلمّ فانزل فقد فسد شعبك الذي اخرجته من ارض مصر ودعني يضطرم غضبي عليهم فافنيهم واجعلك انت امة عظيمة فخشع موسى للرب متضرعًا اليه ان يرجع عن شدة غضبه ويعود عن مساءة شعبه ونزل موسى من الجبل ولوحا الشهادة في يده مكتوباً على جانبيهما من هنا وهناك بامر الله الوصايا العشر ولما دنا من المحلة رأى العجل والرقص

فاتقد غضبه فرمى باللوحين من يديه وكسّرهما في اسفل الجبل . ثم اخذ العجل الذي صنعوه فاحرقه بالنار وسحقه حتى صار ناعماً وذراه على وجه الماء واسقى بني اسرائيل ووبّخ هرون على صنيعه . زعم بعضّ الربيين ان كل من شرب من ذلك الماء وكان مذنباً بالسجود للعجل ضُرب بقروح عرّفت موسى به فقتله بنو لاوى بامره وقال غيرهم من الربيين ان كل من شربوا من هذا الماء وكانوا اكثر عبادة للعجل تغير لون لحاهم الى لون الذهب واتصل ذلك ايضاً باولادهم على ان هذه اقاصيص لا يعتد بها والظاهر انه اسقاهم من الماء الذي ذري على وجهه رماد العجل ليروا بطلان ما عبدوا وانه لا يأتي بنفع ولا ضرّ ولو تناولوا رماده

ثم وقف موسى على باب المحلة وقال من هو للرب فليقبل اليَّ فاجتمع اليه جميع بني لاوي فقال لهم كذا قال الرب اله اسرائيل ليتقلد كل واحد سيفه وليقتل كل واحد اخاه وصاحبه وقريبه فصنع بنو لاوي كما امر موسى فسقط من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة الاف رجل كذا في النص العبراني والترجمات السبعينية والسريانية والسامرية وكذا قرأ كثير من الاباء اليونان واللاتينيين ولكن جاء في النسخة اللاتينية المعروفة بالعامية ثلاثة وعشرون الفاً ثم قال موسى للشعب في الغد قد خطئتم خطيئة عظيمة والان اصعد الى الرب لعلي اكفّر خطيئتكم ورجع موسى الى الرب وقال يارب قد خطئ هؤلاء الشعب خطيئة عظيمة والان اغفر خطيئتهم والا فامحني من كتابك الذي كتبته فقال له الرب الذي خطئ اليَّ اياه امحو من كتابي والان امضِ وقد الشعب الى حيث قلت لك هوذا ملاكي يسير امامك (خر ف ٣٢) ثم قال له انحت لك لوحي حجر كالاولين فاكتب عليهما الكلام الذي كان على اللوحين الاولين اللذين كسرتهما واصعد في الغداة الى جبل سيناء ولا يصعد احد

معك فنحت لوحي حجر كالاولين وبكّر الى جبل سيناء وفي يده لوحا الحجر فهبط الرب في الغمام واقام موسى هناك اربعين يومًا واربعين ليلة لم ياكل خبزًا ولم يشرب ماء. فكتب على اللوحين كلام العهد الكلمات العشر واوصاه وصايا اخرى وعاد موسى ولوحا الشهادة في يده ولم يعلم ان اديم وجهه قد صار مشعًا من مخاطبة الرب له حتى خاف هرون وبنو اسرائيل من الدنو منه فارجعهم موسى وامرهم بجميع ما كلمه الرب به في طور سيناء ولما فرغ من مخاطبتهم جعل على وجهه برقعاً وكان يرفعه عند دخوله بين يدي الرب الى ان يخرج فاذا خاطب بني اسرائيل رد البرقع على وجهه

عد ١٩٩

في خباء المحضر ورد ازعام من جحدوا صحة كلام الكتاب

لما كان عقل الانسان قاصرًا عن ان يسن لنفسه شريعة يقوّم بها اعماله ويقيم بفروضه وعمت الوثنية وطغى الشرك بالله والشرّ استجذب الله شعبه من مصر الى البرية فنزل على موسى شريعته وجعل اسها التوحيد وامر بني اسرائيل العمل بها وبما ان الانسان مركب من نفس وجسد ويلزمه ان يعبد الله خالقه بهما وكان المحسوس اشد تأثيرًا به من المعقول المجرد الهم الناس مذ بدء نشأتهم اقامة المعابد والمساجد بما امكن من العظمة والابهة اجلالاً له وحملاً لهم بالوسائل الخارجة ايضاً الى توقيره وعبادته ولذا امر موسى بعد سن شريعته از يجعل لشعبه النافلة خباء منتقلاً اي مظلة بدلاً من المعبد الراسخ وان يكون له من العظمة ما يشعر بانه بيت الله او خباؤه ويميزه عن اخبيتهم ولذلك امر موسى (الخروج ف ٢٥) قائلاً مر بني اسرائيل ان يأخذوا لي تقدمة عند كل انسان ما تسخو به نفسه وهذه هي التقدمة ذهب وفضة ونحاس وسمنجوني وارجوان وصبغ قرمز وبز وشعر معزى وجلود كباش مصبوغة بالحمرة وجلود سمنجونية

وخشب سنط (وهو الاكاسيا) وهو كثير هناك وزيت للمنارة واطياب لدهن المسح وللبخور العِطر وحجارة جزع وحجارة كريمة لترصيع الأفُود والصدرة من ملابس الاحبار ولما ابلغ موسى ذلك الى الشعب اتى الرجال والنساء باسورة وشنوف وخواتم وقلائد كل متاع من الذهب وكل من وجد عنده سمنجوني وارجوان وصبغ قرمز الى سائر ما ذكره الرب اتى به وكل امرأة حاذقة غزلت بيدها واتت بغزل والاشراف اتوا بحجارة الجزع والحجارة الكريمة تطوعاً للرب فصنع بصلائيل واهلياب وكل من اودع الرب قلوبهم فهماً وحكمةً الخباء بحسب كل ما امر الرب به (خروج ف ٣٥) وكان اهلياب « نجاراً ونساجاً حاذقاً ومطرزاً » (خروج ف ٣٨ ع ٢٣) وقد فصَّل موسى كل ما كان في الخباء في سفر الخروج من الفصل الخامس والعشرين الى الفصل الثاني والثلثين ثم من الفصل السادس والثلثين الى الفصل الاربعين

ومجمل ما هنالك ان هذا الخباء كان مظلة كبرى طولها ثلاثون ذراعاً وعرضها عشر وعلوها كذلك وكان مقسوماً الى قسمين احدهما يسمى القدس وطوله عشرون ذراعاً وعرضه عشر وكان فيه مائدة خبز التقدمة ومنارة الذهب ومذبح الذهب وثانيهما يسمى قدس الاقداس وطوله عشر اذرع وعرضه كذلك وكان فيه تابوت العهد وضمنه لوحا الوصايا وقسط المنّ وعصا هرون وكان يفصل بين القدسين ستار ثمين معاق على اربعة اعمدة من السنط مرصعة بصفائح من ذهب وكان حول الخباء سرادق طولها مئة ذراع وعرضها خمسون ذراعاً وكل ذلك قائم على اعمدة من السنط والواح وكان سقف الخباء مغطى باربعة استار اولها من داخل كان مصنوعاً من الارجوان والثاني من شعر المعز لمنع نفوذ المطر الى الداخل والثالث من جلود كباش والرابع من جلود سمنجونية اللون وكانت الجهة الشرقية من الخباء مفتوحة معلقاً عليها في

خمسة اعمدة ستر ثمين يحجب ما كان في داخله ومن شاء اكثر تفصيل لهيئة الخباء وما حواه وملابس الاحبار فيه فليطالع الفصول المشار اليها آنفاً

كذَّب الجاحدون بكلام الكتاب في الخباء وسخروا منه متهكمين وقالوا ما هو الا حكاية كتبت بعد بناء هيكل سليمان للشبه الكبير بين الهيكل والخباء ومن هولاء الكافران فولتر ورنان في المقالات التي كتبها في اخر حياته واخص ما تمحلوا به لاسناد اوهامهم قولهم من اين المعامل والادوات عند قوم رحل ليعملوا في البرية ما وصفه موسى في الخباء من المنائر والمذابح وصفائح الذهب والترصيع بالحجارة الكريمة والانسجة المصبغة ومن اين العملة الماهرون وهم لم يكن بينهم من يصلح احذيتهم لكنهم طغوا وجهلوا وجأت الاكتشافات الحديثة تخجلهم بكفرهم وتخزيهم بجهلهم والشبه بين الهيكل والخباء لا يقوم عليه نكير مذ كان سليمان صنع الهيكل على مثال الخباء واراد ان يكون بيت الله مبنيًا راسخاً بعد ان كان مظلة متنقلة ولم يرد ذكر الخباء مرة واحدة في الخروج ليسمى حكاية بل كرر ذكره كانه في كل صفحة بعد الخروج اي في باقي اسفار موسى واسفار يشوع بن نون والقضاة والملوك الاول والثاني الى بناء الهيكل ولنأتِ الى شهادة الآثار فهي اعظم مفحم للجاحدين فقد اكتشفت معامل للمصريين في محل يسمى الان وادي المنارة في جانب جبل سيناء وعلى مقربة من محلة العبرانيين كان المصريون يعملون بها ما يستخرجونه من معادن الذهب والنحاس هناك وحققت اللجنة الانكليزية وجود هذه المعامل والمعادن هناك وتبينت اخربتها ومثل ذلك حققتها ابحاث الكونت لابورد ولبسيوس ولوتان دي لافال ونجد ذكر اكتشاف المعادن منذ عهد الدولتين الخامسة والسادسة في مصر فان اماني عامل الملك اوزرتيسان الاول روى في اثرٍ له انه كان يخفر من ينقلون ذهب معادن كبتوس . وقد كشف عن صفيحة في كوبان كتب

عليها للسنة الثالثة من ملك رعمسيس مضطهد اليهود ان ساقي الاول احتفر بئرًا ليشرب منها عملة المعادن ومن يسيرون في البرية اليها راكبين الحمير فعمق ١٢٠ ذراعًا فلم يجد ماء لكن رعمسيس احتفر سبع اذرع اخرى او ثماني فوجد الماء وفي متحف تورين بابير يحوي خريطة هذه المعادن الذهبية للاهتداء الى عروق الذهب فيها وقد وجدت اللجنة الانكليزية في وادي المغارة تمثالاً لفرعون الذي يسمى سنافرو من الدولة الرابعة ونقوشًا تمثل فرعون كاوبس الذي بنى اول اهرام هذه الدولة الرابعة فلم يكن اذًا مستحيلاً ولا عسرًا على موسى ان يصنع عند جبل سيناء ما صنعه في الخباء او في تابوت العهد وملابس الكهنة فقد استخدم بصلائيل معاس وادي المغارة في صنع ما صنعه من ذهب او فضة او نحاس او اشغل العملة المصريين بعمله حسب ما شاء واذا كان بصلائيل عاملاً في المعادن واهلياب نجارًا نساجًا طرازًا واستخدم هذان غيرهما ممن اودع الرب قلوبهم حكمةً وفهمًا كما جاء في الكتاب فاي مستحيل او اي غرابة في عمل الخباء لنكذب بآيات الكتاب

ثم ان بني اسرائيل لم يكونوا كلهم في مصر رعاة ماشية ولم يشغلهم كلهم المصريون في عمل اللبن بل اشغلوا بعضهم في معامل الصنائع ايضًا وكان بينهم كثير من اسرى مصر وشعبها وكان في مصر عملة ماهرون في الذهب والجواهر وترصيعها والحفر بها ولنا على ذلك شهادات تشذّ عن العدّ بما وجد في المدافن القديمة وغيرها من الحلي والتماثيل والصور التي يعجب منها احذق صناع هذا العصر وقد ملئت بها متاحف اوربا ومتحف بولاق . وقد كشف عن خريطة لمعادن الذهب التي كانت في وادي حمامات بين النيل والبحر الاحمر وتلك الخريطة صنعت في ايام رعمسيس الثاني مضطهد اليهود وقد ترجمها واذاعها العالم ليابلان وامر خديوي مصر سنة ١٨٧٤ بالبحث هناك عن آثار المعادن

التي تشير اليها الخريطة فوجد هناك كثيرًا من الانيــة والادوات التي كانت تستعمل في تصفية الذهب والعمل فيه وبعض المادة الحاوية العروق الذهبيــة ايضًا واذا راعينا ان رعمسيس الثاني صانع هذه الخريطة هو الذي كان يسخر اليهود في الاعمال الشاقة لزمنا لزومًا بديهيًا ان نسلم انه سخر بعض اليهود في العمل بمعادن ومعامل وادي حمامات ايضًا ومن كان اهلاً منهم اشتغل بعمــل الحلي وغيره من المصنوعات الذهبية ثم ان كل ما ورد ذكره في عمل الخباء من نسج او طراز او ترصيع جواهر او طلي بالذهب والتصفيح به او عمل الآنية منه او من الفضة فكل ذلك من صنائع المصريين التي لا تعد امثلتها في متاحف اوربا ويستبعد كثيرًا ان لا يكون بعض بني اسرائيل تعلم هذه الصنائع منهم مع اقامتهم بين اظهرهم اربعة قرون ونيفًا واذا لم يعسر على بني اسرائيل عمل ما كان في الخباء فبالاولى ان لا يعسر عليهم سبك عجل الذهب الذي عبدوه عند ابطاء موسى في الجبل ولم يغفل الجاحدون عن انتقاد كلام الكتاب فيه

وبعد ان تمّ عمل الخباء وادواته وما كان فيه امر الرب موسى ان يقيم هذا الخباء في اليوم الاول من الشهر الاول للسنة الثانيــة من الخروج فكرس بالزيت المقدس المركب من زيت الزيتون والميعة وغيرهما ادوات الخباء وآنيته ووضع التابوت والمذابح والمنائر فيه واستدعى هرون وبنيــه والبسهم بحضرة الشعب اثواب التقديس ومسحهم بالدهن المشار اليه آنفًا وقدم ذبائح لله ويظهر ان الخباء اقيم على الجبل المسمى الان جبل المناجاة وهو اكمة مرتفعة قليلاً عن السهل وكائنة في مدخل الوادي المسمى الان وادي الدير في شرقي جبل موسى ومشرفة على سهل الراحة حيث حل بنو اسرائيل فوقعها وموقع هذا السهــل يُضيان باقامة الخباء في اعلاها اذ جاء في سفر الخروج (فصل ٣٣ عد ٧ و ٨) ان كلاً من بني اسرائيل كان يرى الخباء وموسى عند دخوله اليه

الفصل السابع

(في ما بقي من مراحل بني اسرائيل الى صحراء مواب)

﴿ عد ٢٠٠ ﴾

في ارتحال بني اسرائيل من جبل سيناء الى قبور الشهوة

بعد ان اقام بنو اسرائيل تلقاء جبل سيناء نحواً من سنة ونزل الرب عليهم سنته واتاموا الخباء ومسح احبارهم وأتم نظامهم امر الرب موسى ان يعدهم فكان عديدهم من ابن عشرين سنة فصاعداً ست مئة الف وثلاثة الاف وخمس مئة وخمسين رجلاً عدا اللاويين (سفر العدد ف ١ ع ٤٥ وما يليه) ثم انكشف الغمام عن الخباء فحمله اللاويون وارتحل بنو اسرائيل حوله بحسب النظام المذكور في الفصل الثاني من سفر العدد وكان ارتحالهم في العشرين من الشهر الثاني للسنة الثانية بعد الخروج يأمون برية فاران . وقد اقرت اللجنة الانكليزية بعجزها عن تعيين الطريق الذي سار به بنو اسرائيل حينئذٍ لكنها اوردت بعض افتراضات تقرب من الصحة وحيث ان اول محطة احتلها بنو اسرائيل بعد ارتحالهم من برية سيناء انما هي قبور الشهوة فرأى اعضاء هذه اللجنة ان الاظهر ان موقع قبور الشهوة هو في المحل المسمى اليوم رويس الاوبيرج وهو بعيد ٤٢ كيلومترًا عن جبل موسى في طريق خليج عقبه . وذهب بعض العلماء الى ان بني إسرائيل عند ارتحالهم من سفح جبل سيناء ساروا نحو الشمال لكن الاظهر انهم اتجهوا نحو المشرق الى جهة خليج عقبه وعليه فلا يصح ان يكون موقع قبور الشهوة في المحل المسمى الان وادي العين في

الشمال الشرقي من جبل موسى على بعد ٨٨ كيلومترًا منه كما ظنّ بعضهم ولا في السهل الواقع في الشمال الغربي منه المعروف الان بالواطية ويرجح انه في رويس الاوبيرج كما رأى اعضاء اللجنة الانكليزية . وروى الاب فيكورو (الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ٥٥٣) ان عند العرب هنالك تقليدًا منبئًا بانه قد مرّ بهذا المحل منذ احقاب جمهور كبير من الحجاج ماضين الى حيصروت فلبثوا فيه وما يرى فيه من الاثار انما هي اثار عبورهم ثم تاهوا في التيه وانقطعت اخبارهم فيمكن انتاج شيء من هذا التقليد وان غير راهن لان قول العرب في رواية هذا التقليد « تاهوا » مشعرٌ بان المراد بجهور الحجاج الماضين الى حيصروت بنو اسرائيل وعن هذه الكلمة اخذ اسم بادية التيه اي تيه بني اسرائيل وقولهم حجاج يريدون به جمهورًا كحجاج مكة ولكن يمكن اشتقاق الكلمة من حك العبرانية مثل ܚܓܐ (حكو) السريانية ومعناها العيد وقد استعمل هذا اللفظ (في الخروج ف ١٠ ع ٩) للدلالة على العيد الذي سأل موسى وهرون فرعون ان يأذن لبني اسرائيل ان يعملوه في البرية

واما الداعي لتسمية هذا المحل قبور الشهوة فهو ما جاء في سفر العدد (ف ١١ ع ٤ وما يليه) حيث قيل « واشتهى الاخلاط (اي من خرجوا مع بني اسرائيل من مصر ولم يكونوا منهم) الذين فيما بينهم شهوة فتابعهم بنو اسرائيل وبكوا هم ايضًا وقالوا من يعطينا لحمًا فقد ذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجانًا والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم والان فنفوسنا يابسة لا شيء امام عيوننا غير المنّ » فلما سمع موسى الشعب يبكون بعشائرهم وقد اشتد غضب الرب جدًا ساء ذلك موسى . وقال للرب لِمَ ابتليت عبدك حتى وضعت اثقال جميع هؤلاء الشعب عليّ ألعلي انا ولدتهم حتى تقول لي احملهم في حجرك كما تحمل الحاضن الرضيع من اين لي لحم اعطيه لجميعهم لان

كنت فاعلاً بي كذا فاقتلني ان حظيت في عينيك ولا ارى بليتي . فقال له الرب اجمع لي سبعين رجلاً من شيوخ اسرائيل وخذهم الى خباء المحضر فيقفوا ثمة معك فانزل واتكلم معك وآخذ من الروح الذي عليك واحله عليهم فيحملون معك اثقال الشعب وقل للشعب تقدموا للغد فتأكلون لحماً لا يوماً ولا يومين ولا خمسة ايام ولا عشرة ايام ولا عشرين يوماً بل شهراً من الزمان الى ان يخرج من انوفكم ويصير لكم بَشماً فخرج موسى واخبر الشعب وجمع سبعين رجلاً من شيوخ اسرائيل ووقفهم حوالي الخباء وحل روح الرب عليهم فتنبأوا الا انهم لم يستمروا انبياء وبقي منهم الداد وميداد في المحلة فتنبأا فيها . وعند انحيازهم الى المحلة ، هبت ريح من لدن الرب فساقت سلوى من البحر والقته على المحلة على مسيرة يوم من هنا ويوم من هنالك حوالي المحلة على نحو ذراعين عن وجه الارض فاقام الشعب يومهم كله وليلتهم وغدهم يجمعون السلوى فجمع اقلهم عشرة احمار (١) فسطحوها لهم مساطح حوالى المحلة وبينما اللحم بعد بين اسنانهم قبل ان يمضغوه اذا اشتد غضب الرب فضربهم ضربة عظيمة جدًا ، كأنه بلاهم بوباء اثر اكلهم السلوى فمات منهم خلق كثير فقبروهم هنالك ، فسمي ذلك الموضع قبور الشهوة لانهم دفنوا فيه القوم المشتهين ، وقد ذكرنا ما يتعلق بالسلوى عند انزالها المرة الاولى في برية سين فطالع عد ١٩١

(١) كذا في نسخة الآباء اليسوعيين في سفر العدد فصل ١١ عدد ٣٢ وكذلك في سفر الخروج فصل ١٦ عدد ١٦ [illegible] عدد ٣٦ (وكان العمر عشر الايفة) [illegible] مرتين الحروف في المسماة [illegible]

﴿ عد ٢٠١ ﴾

في ارتحال بني اسرائيل من قبور الشهوة الى حصيروت وغيرها حتى قادش وتذمر مريم وهرون على موسى بسبب امرأته

جاء في سفر العدد (ف ١١ ع ٣٥) « ورحل الشعب من قبور الشهوة الى حصيروت فاقاموا هناك » وحصيروت تسمى الآن عين حصيره او حصاره على مسيرة اربعة وعشرين كيلومترًا من رويس الاوبيرج نحو خليج عقبة وهناك اثار محلة من ينابيع ماء جارية ونخيل وكلمة حصيروت عبرانية تأويلها الحظيرة وهي الموضع الذي يحاط عليه لتأوي اليه الماشية ومثل هذه الحظائر كان ولا شك كثيرًا في بلاد العرب ويظهر من سفر العدد (ف ١٢) انه هناك تكلمت مريم وهرون في موسى بسبب المرأة الحبشية التي تزوجها لانه كان قد اتخذ زوجة حبشية (والاولى ان تترجم كوشية) وهي صفورة امرأته فانها من المديانيين وهم على الارجح قبيلتان احداهما من ذرية كوش بن حام ومنها امرأة موسى هذه والثانية من ذرية مدين بن ابرهيم من قطورة كما مر في عد ١٩٥ وعلماء العرب يحسبون المديانيين سكان شرقي البحر الاحمر اجنبيين عنهم وليسوا من قبائل العرب السامية وهذا مؤيد القول بانهم من ولد كوش بن حام واما الذي حمل مريم وهرون الى التقول على موسى بسبب امرأته فالظاهر من امره ان صفورة تسببت في هذا التذمر بتفاخرها بالنعم التي اعطيها زوجها موسى وكان العبرانيون يمقتون ذرية حام والمصريون والكوشيون منها وكان موسى نهاهم عن التزوج بالاجنبيات فرأوا انه كان عليه ان يردها على ابيها لا ان يستبقيها فانتصر الله لموسى وقال له اخرج انت وهرون ومريم الى الخباء فخرجوا وقال الرب لهرون ومريم اسمعا كلامي ان يكن فيكم نبيٌّ للرب فبالرؤيا اتعرف له وفي حلم اخاطبه واما عبدي موسى فاخاطبه فمًا الى

فم فما بالكما لم تهابا ان تتكلما فيه واظهر الرب شدة غضبه عليهما ومضى وزال الغمام عن الخباء فاذا مريم برصاء كالثلج فشفع بها موسى لدى الرب فلم يقبل شفاعته الا ان تحجز سبعة ايام خارج المحله فحجزت كذلك ولم يرتحل الشعب حتى ارجعت

ثم قال الكتاب (سفر العدد ف ١٣) « وبعد ذلك ارتحل الشعب من حصيروت ونزلوا ببرية فاران » فبرية فاران فسيحة الانحاء ولم يبين الكتاب في اي جهاتها حلوا ولكن يؤخذ من كلامه التالي في بعثه رجالاً يجسون ارض كنعان انهم حلوا في قادش لقول الكتاب بعد ذلك (عد ٢٧) ان هولاء الجواسيس عادوا الى موسى في برية فاران في قادش واذا كان الامر كذلك فلا يكون مفهوم كلام الكتاب ان الشعب ارتحل من حصيروت توًّا الى قادش فان ما جاء في الفصل ١٢ من سفر العدد انما هو كلام مجمل موجز ورد تفصيله في الفصل الثالث والثلاثين منه حيث ذكر ثماني عشرة مرحلة بين حصيروت وقادش ولما لم يكن في هذه المراحل ما يهم موسى ذكره اضرب عن تفصيلها وابقى ذكر جميع المراحل من خروجهم من مصر الى بلوغهم صحراء مواب فافرد له الفصل الثالث والثلاثين على ان تلك المراحل قلما كان فيها امر مهم وقد تتبعها كثير من العلماء والمكتشفون ولهم في تعيين مواقعها اقوالٌ قل منها ما يمكن اخراجه من حيّز الاحتمالات فنضرب عن تفصيلها مجانبةً لملل القراء ولكثرها في بادية التيه المعروف بتيه بني اسرائيل . على ان المرحلة الاخيرة قبل قادش وهي عصيون جابر معروفة وموقعها مميّز وهي على خليج عقبة وظنّ بعضهم انها وايلة مدينة واحدة وليس ذلك بمقطوع به اذ جاء في سفر الايام الثاني (ف ٨ ع ١٧) «ثم ذهب سليمان الى عصيون جابر والى ايلة على شاطي البحر في ارض ادوم » فالظاهر منه انهما مدينتان ولعل ايلة سميت

باسم ايلة من ولد عيسو الذي خلف اهليبامة في الولاية على بلاد ادوم كما في التكوين (ف ٣٦ع ٤١) وقد انقضت مدة ارتحال بني اسرائيل من حصيروت الى قادش دون ان يكون فيها حدث مهم ولا اقل من ان الكتاب لا ينبئنا شيئًا من الاحداث المهمة الا ثورة قورح من بني لاوي وداثان وابيرام واون من بني رأوبين ومعهم مئتان وخمسون من روساء الجماعة وتذمرهم على موسى لاختصاص هرون وذريته بالكهنوت وقد صرّح الكتاب بما عاقب الله به روساء الثائرين اي بانشقاق الارض وابتلاعهم مع اولادهم ونساءهم وبخروج نارٍ احرقت مجازيهم المئتين والخمسين ولما شكا الشعب وقالوا ان العقاب شديد الصرامة انتشر فيهم وباء اهلك منهم اربعة عشر الفًا وانكفأت الضربة بتوسل موسى وهرون وقد فصّل الكتاب ذلك في الفصل السادس عشر من سفر العدد ثم ذكر في الفصل السابع عشر ان الرب أمر موسى ان يأخذ عصًا من كل بيتٍ من روسائهم فاخذ اثني عشرة عصًا وكتب اسم كل واحدٍ على عصاه واسم هرون على عصا لاوي فوضع موسى العصي امام الرب في الخباء فافرخت عصا هرون واخرجت براعيم وازهرت وانضجت نورًا فاخرج موسى جميع العصي الى بني اسرائيل ليتحققوا اختيار الرب هرون ونسله للكهنوت وامر الرب موسى ان يردَّ عصا هرون الى امام الشهادة لتحفظ آيةً لذوي التمرد

وارتحل بنو اسرائيل من عصيون جابر الى قادش وهي واقعة على تخوم الادوميين وقال اعضاء اللجنة الانكليزية ان موقعها في عين قادس في جبل مغرة وتسمى قادش برنع وتوجد قادش اخرى في اعلى الجليل وقعت في نصيب سبط نفتاليم وقال بعضهم ان قادش التي حل بها بنو اسرائيل غير قادش برنع وانهما مدينتان ومهما يكن فقد اقام بنو اسرائيل في قادش مدة متطاولة كما يظهر من سفر تثنية الاشتراع (ف ١ ع ٤٦) حيث قال الله لهم « فاقمتم في

قادش ما اقمتم من الايام الكثيرة ٠

﴿ عد ٢٠٢ ﴾

فيما كان لبني اسرائيل في قادش اعني وفاة مريم اخت موسى
واجرآء الماء من الصخرة ثانية وارسال الجواسيس الى ارض الموعد

قد جاء في سفر العدد (ف ٢٠ ع ١) ٠ اقام الشعب بقادش وماتت ثمَّ مريم ودفنت هناك ٠ وهي اخت موسى وبنت عمران وكانت تكبر اخاها موسى بعشر او باثنتي عشرة سنة فهذا ما يقضي به ما جاء في الكتاب عن كلامها مع ابنة فرعون عند انتشال اخيها من النيل والاظهر انها استمرت بتولاً وان قال بعضهم انها كانت زوجة حور (راجع عد ١٩٤) ولم يذكر الكتاب سني عمرها ولا يتأكد في اية سنة بعد الخروج ماتت فان صحَّ قول كلمت انها ماتت في السنة الاربعين للخروج كان عمرها الى موتها مئة وثلاثين او مئة واثنتين وثلاثين سنة بناء على ان موسى اخاها مات تلك السنة وعمره مئة وعشرون سنة (تثنية ف ٣٤ عد ٧) وعمرها قبل مولد اخيها عشرٌ او اثنتا عشرة سنة كما مرَّ وقال يوسيفوس (تاريخ اليهود ك ٤ ف ٤) انها دُفنت باحتفاء وأُنفق على دفنها من مال الجماعة وان بني اسرائيل رثوها شهرًا ٠ وقال اوسابيوس ان سكان قادش كانوا الى زمانه يدلون على قبر مريم في ضواحي مدينتهم

وفي قادش ايضًا خاصم الشعب موسى وهرون لحاجتهم الى الماء فتجلى الرب لهما في باب الخباء وقال لموسى ان يجمع الجماعة ويأخذ عصاه ويضرب الصخرة فتجري المياه فعمل كما امر الرب وقال للجماعة اسمعوا ايها المتمردون أنخرج لكم من هذه الصخرة ماء ورفع يده وضرب الصخرة مرتين بعصاه فخرج ماءٌ كثيرٌ فشرب منه الجماعة وبهائمهم وهناك قضى الرب على موسى وهرون بانهما لا يدخلان أرض الموعد ولم يصرح في سفر العدد بالداعي لهذا القضاء

لان الرب قال لموسى وهرون بما انكما لم تؤمنا بي ولم تقدساني على عيون بني اسرائيل لذلك لا تدخلان انتما هولاء الجماعة الارض التي اعطيتها لهم لكن المرتل اوضح ذلك في المزمور ال ١٠٥ عد ٣٢ اذ قال بموجب النص العبراني . ثم اغضبوه على مياه الخصومة فلحق موسى سؤ من اجلهم لانهم غاظوا روحه ففرطت شفتاه . فكأن قوله أنخرج لكم من هذه الصخرة ماء كان من باب الاستفهام الانكاري مع ان الرب كان قال له ولهرون ان يكلما الصخرة فتعطي مياهها (سفر العدد ف ٢٠)

ومن قادش ارسل موسى بامر الله اثني عشر رجلاً من كل سبط رجلاً من روسائه يجسون ارض كنعان وقال دي لابورد (في تفسيره الجغرافي في سفري الخروج والعدد) انه بعثهم من رثمة اول مرحلة بعد حصيروت فعادوا اليه في قادش وامرهم موسى ان يطوفوا في البلاد ويروا سكانها أشديدون هم ام ضعفاء وقليلون ام كثيرون وما مساكنهم أخيام هي ام حصون فمضوا وجسوا الارض من برية فاران الى رحوب عند مدخل حماه وظن بعضهم ان رحوب يراد بها سهل البقاع وبعلبك مستمسكين بقول الكتاب انها عند مدخل حماه وبان اسمها رحوب اي رحب وفسيح ينطبق خير انطباق على تلك السهول ولكن رأى غيرهم سندًا الى ورود اسمها في سفر يشوع بن نون وفي سفر القضاة دالاً على مدينة في سبط اشير ان رحوب كانت في انحاء دان قريبة من منابع الاردن الا ان يوفق بين القولين ان مملكة رحوب كانت تخومها تمتد الى دان ومنابع الاردن وقد اتم الجواسيس تطوافهم في اربعين يومًا واتوا حبرون وهي الخليل الان وقال الكتاب انها بنيت قبل صوعن مصر (وهي تانيس القديمة وصان الان) بسبع سنين وقطع الجواسيس من ثم زرجونة بعنقود واحد من العنب وحملوه بعتلة بين اثنين مع شيء من الرمان

والتـين فسمي الموضع وادي العنقود وجأوا موسى في برية فاران في قادش وارُوا الجماعة ثمر الارض وقالوا ان الارض تدر بالحقيقة لبنًا وعسلاً وهذا ثمرها غير ان الشعب الساكنين فيها اقوياء والمدن حصينة عظيمة جدًا فهناك العمالقة مقيمون بارض الجنوب والحثيون واليبوسيون والاموريون مقيمون بالجبل والكنعانيون مقيمون عند البحر وعلى عدوة الاردن . وقد رأينا ثم من الجبابرة جبابرة بني عناق فصرنا في عيوننا كالجراد وكذلك كنا في عيونهم . وخالفهم يشوع بن نون وكالب بن يوفنا قائلين نصعد ونرث الارض فاننا قادرون عليها ووقع الرعب في الجماعة ورفعوا اصواتهم في البكاء وتذمروا على موسى وهرون فمزّق يشوع بن نون وكالب بن يوفنا ثيابهما قائلين ان الارض التي مررنا فيها لنتجسسها جيدة جدًا فلا تخافوا سكانها والرب معنا فلا ترهبوهم فقالت الجماعة كلها ليرجما بالحجارة وظهر مجد الرب في الخباء لجميع بني اسرائيل مغضبًا عليهم فاخذ موسى يتوسل اليه كي لا يهلكهم وقضى الرب بان جميع الرجال الذين خرجوا من مصر وعمرهم عشرون سنة فصاعدًا لا يدخل منهم احدٌ ارض الموعد الا يشوع بن نون وكالب بن يوفنا وقال الرب للجماعة ان اطفالكم الذين قلتم انهم يكونون غنيمة لاعدائكم في ارض الموعد فاياهم ادخل الارض التي رذلتموها واما جثثكم فتسقط في البرية اذ تكونون فيها بعدد الايام التي تجسستم الارض فيها وهي اربعون يومًا كل يوم بسنة اي من يوم خروجهم من مصر الى دخولهم ارض الموعد فالرب رآهم غير اهل لمحاربة الكنعانيين وسائر سكان فلسطين فاطال مدة اقامتهم في البرية ثماني وثلاثين سنة وسوف نأتي على ذكر المواضع التي اقاموا فيها هذه المدة الطويلة واما الرجال الذين بعثهم موسى ليجسوا الارض ورجعوا وذمّروا عليه كل الجماعة فضربهم الرب واماتهم وابقى يشوع بن نون وكالب بن يوفنا (العدد فصل ١٣ و ١٤)

﴿ عد ٢٠٣ ﴾

ارتحال بنو اسرائيل من قادش في جانب جبل ادوم الى جبل هور وموت هرون هناك

قد اضرب موسى عن ذكر ما كان في الثماني والثلاثين سنة التي اقاموا فيها بالبرية وعاد بعد ذكره آية الصخرة في قادش ينبئنا (سفر العدد ف ٢٠ عد ١٤) انه انفذ رسلاً من قادش الى ملك ادوم ولا يظن انهم اقاموا كل هذه المدة في قادش بل الاظهر انهم ارتحلوا عنها ثم عاودوا الاقامة فيها واما ملك ادوم هذا فهو من ذرية عيسو بن اسحق بن ابرهيم وسميّت هذه البلاد باسمه ادوم او هو سمّي باسمها على احد القولين اللذين ذكرناهما قبلاً ومن كلام الكتاب الآتي يتضح ان ولاية هذه البلاد استمرت في ولد عيسو اذ قال موسى لملك ادوم . قال اخوك اسرائيل قد علمت بجميع ما نالنا من المشقة وان اباءنا هبطوا مصر فاقمنا بها اياماً كثيرة فاساء المصريون الينا والى ابائنا فصرخنا الى الرب فسمع صوتنا وبعث ملاكاً واخرجنا من مصر وها نحن في مدينة قادش في طرف تخمك دعنا نمرّ في ارضك ونحن لا نميل الى حقل ولا كرم ولا نشرب ماء بئرٍ لكننا نسير في الطريق السلطاني لا نميل يمنةً ولا يسرةً الى ان نجوز تخمك . فابى ملك ادوم الا التهديد لهم ان جازوا بارضه ومنعهم الرب من محاربة الادوميين فتحوّل اسرائيل عنهم واضطرّوا ان يدوروا نحو الجنوب الشرقي حول جبل سعير مسكن الادوميين ليعودوا من جهة الشمال فارتحلوا من قادش واقبلوا الى جبل هور وهو على تخم بلاد ادوم في الجنوب . وروى يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ٤ ف ٤) تقليداً يتبين منه ان هذا الجبل واقع على مقربة من مدينة حجر قصبة بلاد العرب الحجرية وانها كانت تسمى قديماً اركا وتسمى الان حجر فحلّ بنو اسرائيل لا على الجبل بل في سفحه وجاء في

تثنية الاشتراع (فصل ١٠ عد ٦) ان هذه المنزلة تسمى موسير اذ قال « وارتحل بنو اسرائيل من ابار بني يقعان الى موسير هناك مات هرون ودفن » فيظهر ان اسم المحلة موسير واسم الجبل هور وهناك كلم الرب موسى قائلاً لينضم هرون الى قومه لانه لا يدخل الارض التي اعطيتها لبني اسرائيل لانكما عصيتما امري عند ماء الخصومة وامره ان يأخذ هرون واليعازر ابنه ويصعدهما جبل هور وينزع عن هرون ثيابه ويلبسها اليعازر ابنه فصنع موسى كما امره الرب ومات هرون هناك في راس الجبل وعاد موسى واليعازر الى الجماعة فبكى جميع آل اسرائيل هرون ثلاثين يوماً وكان عمره وقتئذٍ مئة وثلثاً وعشرين سنة وقد دفنه موسى واليعازر في مغارة بحيث لا يعرف احد قبره لئلا يعبده بنو اسرائيل جرياً على ما آلفوا من عوائد المصريين ان يعبدوا مشاهيرهم اذا ماتوا او خشية ان ينتهك العرب هناك حرمة مدفنه ومع هذا ففي جبل هور مدفن يسمونه مدفن هرون وقد زاره كثير من الجوالة منهم العالم دي لابورد وقال ان العرب يجلّون الى اليوم مدفن النبي هرون في اعلى جبل هور ويسمى الجبل الان جبل النبي هرون وقد زاره ايضاً إربي ومنكل Yrbi et Mangles سنة ١٨١٨ وكتبا في هذا المدفن كثيراً وخلاصته ان جبل هور عسر المسلك جدًّا وان في قمته مغارة في صخر ومدفن هرون في داخلها وهو قبر صغير اشبه بمدافن الاسلام فيحتمل ان البناء الذي يرى اليوم احدث في عصر قريب وفي جوانبه الخارجة بعض الاعمدة وقطع من الحجر المحبب والرخام وانهما وجدا كتابة عبرانية ترجماها فلم يكن فحواها الا ان رجلاً يهودياً زار مع اسرته هذا المحل وان في زاوية المغارة في الشمال الغربي منحدرًا بسلّم الى مغارة اخرى وكان ثم حاجز من حديد يمنع الدنو من المدفن فاتفق لهما ان هذا الحاجز كان ساقطاً فتيسر لهما ان يمسا المدفن الذي يقال انه مدفن هرون ومن فوقه طنفسة

رثة وذكر ذلك فيكورو ايضاً في معجم الكتاب في كلمة هرون وقال ان كثيرًا من المسلمين ايضاً يحجون الى قبر هرون هناك تبركاً وان البناء الخارج فوق مغارة المدفن قد بُني بانقاض معبد مسيحي كان هناك في مبادي القرن الثالث عشر

﴿ عد ٢٠٤ ﴾

حربهم مع ملك عراد ومراحلهم من جبل هور الى صحراء مواب

قال الكتاب (سفر العدد ف ٢١) « وسمع الكنعاني ملك عراد المقيم في الجنوب ان بني اسرائيل قد جاؤوا على طريق اتاديم فقاتلهم وسبى منهم سبياً » ويظهر من قوله ان بعض عشائر الكنعانيين كانت قد ظعنت الى عراد الواقعة في قرب العربية الحجرية وظن هذا الملك ان بني اسرائيل ينوون اخذ ملكه ففاجأهم بالقتال واستظهر عليهم وسبى بعضهم فخشعوا للرب فدفع الكنعانيين اليهم فابسلوهم هم ومدنهم واكسبهم هذا الظفر جرأة على اعدائهم وثقة بعون الرب لهم • على انهم لم يتموا ان عاودوا تشكيهم لانهم رحلوا من جبل هور على طريق بحر القلزم ليدوروا من حول ارض ادوم فضجرت نفوسهم من طول الطريق فعادوا يتذمرون على الله وعلى موسى فارسل الرب عليهم حيات نارية فلدغتهم ومات منهم قوم كثير فاقبلوا الى موسى يقولون قد خطئنا بكلامنا على الرب وعليك فتضرع موسى الى الرب من اجلهم فقال له الرب اصنع لك حية وارفعها على سارية فكل لديغ ينظر اليها يحيا فصنع كذلك فكان اي انسان لدغته حية ونظر الى الحية النحاسية يحيا فقال الجاحدون لا غرو ان من نظر الى صورة حية آملاً ان يبرأ ارتكب معصية عبادة الاوثان فكيف عرضهم موسى لذلك وقد فاتهم ان مجرد النظر الى حية او غيرها ليس عبادة وقد افصح لهم موسى ان صورة الحية لا قوة لها بنفسها على ان تحيي

اللديغ بل الله هو المحيي بهذه الوسيلة فاية عبادة وثنية في صنع ما امر الله به على انه بعد ان تسكع بنو اسرائيل بعبادة المنحوتات في ايام ملوكهم واظهروا نوعًا من التكريم لهذه الحية خلافًا لامر الله سحقها حزقيا لان بني اسرائيل كانوا يقدمون لها البخور (ملوك ٤ ف ١٨ ع ٤) وقد انبأنا المخلص ان تلك الحية كانت رمزًا واشارة اليه اذ قال « وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي ان يرفع ابن البشر »(يوحنا ف٣ ع ١٤)وقد ارتحل بنو اسرائيل من جبل هور الى صحراء مواب ثماني مراحل اخرى ذكر اكثرها في الفصل الحادي والعشرين من سفر العدد وكلها من الفصل الثالث والثلاثين منه وتملكوا في مدة ارتحالهم في هذه المراحل بعض املاكهم في شرقي الاردن كما سترى في الفصل التالي

ان اللجنة الانكليزية تتبعت اثار بني اسرائيل وبحثت عن مراحلهم مذ عبروا البحر الاحمر الى ان بلغوا جبل موسى غير انها لم تفضل بتتبع اثارهم من جبل موسى الى شرقي الاردن فبقي ذلك لمكتشفين اخرين يتحفونا باكثر تحقيق وتدقيق في مواقع هذه المحال ولا يحسن العدول عن ترجمة ما اختتم به العالم هولاند احد اعضاء اللجنة الانكليزية مقالته في ابحاثها قال « ان طريق بني اسرائيل لم تتعين كل مراحلها بتوكيد مطلق على ان الاكتشافات التي عانينا مشقاتها اكسبت هذه المسألة انوارًا ساطعة وبيانًا جليًا وازيد على ذلك انه ما من عضو من اعضاء اللجنة عاد الى انكلترا دون ان يكون متيقنًا تيقنًا لا يشوبه ريب بصحة التاريخ المقدس وثبوته فالبرية نفسها وجبالها واوداؤها وصخورها العارية والمحترقة تبين صحة كلام الكتاب وتثبتها وتقدم لكل من عاينها بينة مفحمة لا يقام عليها نكير انها هي البرية الكبرى المرعبة التي قاد فيها موسى شعب الله بامره وارشاده »

قد مر ان بني اسرائيل اتاموا في البرية بعد ارسال الجواسيس الى ارض

الموعد ثماني وثلاثين سنة وذلك نص صريح في الفصل الرابع عشر من سفر العدد (عد ٣٣ و ٣٤) كما مر في عد ٢٠٢ واوضح منه قوله في سفر تثنية الاشتراع (ف٢ ع١٤) « وكانت جملة الايام مذ سرنا من قادش برنع الى ان عبرنا وادي زارد (في شرقي الاردن) ثماني وثلاثين سنة الى ان انقرض جميع رجال الحرب من المحلة كما اقسم الرب فيهم » فاين اقام بنو اسرائيل في هذه السنين المتطاولة فهذه مسألة معضلة اعيي المفسرين حلها وذهبوا فيها مذاهب شتى فقال بعضهم ان المراحل التي جاء ذكرها في سفر العدد (ف ٣٣) قبل قادش كانت بعد ارتحالهم منها وقدم الكتاب ذكرها وقضى بنو اسرائيل الثماني والثلاثين سنة في هذه المراحل وقال غيرهم ان قادش اسم لمحلين حل بنو اسرائيل فيهما وقال آخرون انهم حلوا في قادش مرتين الاولى عند ارسال الجواسيس والثانية عند ارتحالهم الى هور حيث مات هرون لسنة الاربعين بعد الخروج . والذي اراه اكثر مطابقة للايات الكريمة وقد اثبته العالم لاون دي لابورد (في كتاب تفسيره الجغرافي لسفري الخروج والعدد) الذي تتبع مراحل بني اسرائيل مرحلة مرحلة وتابعه في رأيه العالم فولارد محشي معجم الكتاب لكامت انما هو ان بني اسرائيل استمروا مدة الثماني والثلاثين سنة في برية قادش وفي وادي عربه الفسيح الارجاء مرتحلين من محل الى آخر في برية قادش نفسها التي يسميها العرب تيه بني اسرائيل على عادة الرحل طلبًا الانتجاع وكما نرى عشائر العرب في هذه الايام في السلط والجولان ويؤيد ذلك قول موسى (تثنية ف ١ ع ٢٦) « فاقمتم في قادش ما اقمتم من الايام الكثيرة » وقد وضع العالم دي لابورد جدولاً للمراحل التي ذكرت في اسفار الخروج والعدد والتثنية مثبتاً الآي الواردة في كل منها في جانب الاخرى فظهر من ذلك ان لا خلاف بينها الا من حيث الايجاز والتفصيل . وقال العلامة فرنسيس لانرمان (مجلد ٢ في

تاريخه الشرقي في تاريخ بني اسرائيل) « استمر بنو اسرائيل ثماني وثلاثين سنة على العيشة الارتحالية طائفين البرية التي يسميها العرب التيه او تيه بني اسرائيل ظاعنين من الشمال الى الجنوب حتى عصيون جابر على خليج عقبه وعائدين من هناك الى الشمال حتى قادش برنع

الفصل الثامن

(في امتلاك بني اسرائيل البلاد التي في شرقي الاردن)

عد ٢٠٥

في نهي الرب بني اسرائيل عن محاربة الآدوميين والموآبيين والعمونيين وفي من سكن بلادهم قبلهم

اجتاز بنو اسرائيل عند ارتحالهم الى شرقي الاردن بلاد الادوميين وهم بنو عيسو والموابيين وهم بنو مواب بن لوط من بنته الكبرى والعمونيين وهم بنو عمون بن لوط من بنته الصغرى فنهاهم الرب عن محاربة اخوتهم هولاء . اما في الادوميين فقال لموسى (تثنية ف ٢ ع ٤) « انكم جائزون في تخم اخوتكم بني عيسو المقيمين بسعير فسيخافونكم فتحرزوا جدًا لا تناصبوهم فاني لست معطيكم من ارضهم شيئًا ولو موطئ قدم لان جبل سعير قد وهبته لعيسو ميراثًا » ولذا لزمهم ان يدوروا حول جبل سعير في طريق الصحراء على ايلة وعصيون جابر الانف ذكرها وان يعودوا في طريق برية مواب واما في الموابيين فقال له (هناك عد ٩) « لا تعادِ الموابيين ولا تناصبهم حربًا فاني لست معطيكم من ارضهم ميراثًا اذ لبني لوط وهبت عاد (اسم بلادهم القديم)

ميراثًا » وقال له في العمونيين (عد١٩) « اذا دانيت جهة بني عمون فلا تعادِهم ولا تناصبهم فاني لست معطيك من ارض بني عمون ميراثًا لاني لبني لوط وهبتها ميراثًا » الا ان هولاء العشائر غمطوا نعمة الله واثاروا غضبه عليهم لانهم اسأوا الى بني اسرائيل وعاملوهم بالقسوة عند اجتيازهم الى ارض كنعان وبعده والموابيون خاصة ارادوا افساد بني اسرائيل بتهتك بناتهم وبالق ملكهم استأجر بلعام بن بعور ليلعن بني اسرائيل عند احتلالهم صحراء مواب ولذلك قال موسى فيهم بعد ذلك (تثنية ف٢٣ ع ٣) « لا يدخل عمونيٌّ ولا موابيٌّ في جماعة الرب ولو في الجيل العاشر لا يدخل احد منهم في جماعة الرب الى الابد لانهم لم يتلقوكم بالخبز والماء في الطريق عند خروجكم من مصر ولانهم استأجروا بلعام بن بعور ... ليلعنكم » ولذا كانت حروب عديدة بعد ذلك بين بني اسرائيل وهذه العشائر كما سترى

لم يكتفِ موسى بذكر نهي الرب عن محاربة هولاء بل افادنا ايضًا في (الفصل السالف ذكره) بمن سكن بلادهم قبلهم فقال (عد ١٢) « اما سعير (بلاد الادوميين) فاقام بها الحوريون (بنو سعير الحورى) قبل بني عيسو فطردوهم وابادوهم من بين ايديهم واقاموا مكانهم » ويظهر ان الحوريين قبيلة قديمة جدًا حتى عدد موسى (تك ف ٣٦) كثيرًا من زعمائهم او حكامهم قبل ان يقرضهم الادوميون وبلادهم في جنوبي بلاد الموآبيين . وقال في بلاد الموابيين (عد ١٠) « ان الايميين قد اقاموا بها قبلاً وهم شعب كثير طوال القامات كالعناقيين وهم يحسبون جبابرة كالعناقيين والموابيون يسمونهم ايميين » وقال في ارض العمونيين (عد ٢٠) « وهي ايضًا تحسب من ارض الجبابرة لان الجبابرة اقاموا بها قبلاً والعمونيون يسمونهم زمزميين وهم شعب عظيم كثير طويل القامات كالعناقيين فاهلكهم الرب من بين ايديهم فطردوهم

واقاموا مكانهم » وارض بني عمون في جنوبي السلط وارض بني مواب في جنوبي ارض بني عمون والاظهر ان الجبابرة الذي اقاموا في هذه البلاد كانوا ساميين اصلاً وقد مرّ لنا كلام في ذلك في عد ١٥٥

﴿ عد ٢٠٦ ﴾

تملك بني اسرائيل بلاد سيحون ملك الاموريين وعوج ملك باشان

جاء في الكتاب (سفر العدد ف ٢٠ والتثنية ف ٢) ان موسى بعث رسلاً من برية قديموت احدى مراحل بني اسرائيل الى سيحون ملك الاموريين قائلاً له « دعني امرّ في طريق ارضك ... ولا اميل يمنة ولا يسرة بفضة تميرني طعاماً فآكل وبفضة تعطيني ماء فاشرب واعبر برجلي فقط » فابى سيحون ان يجيزهم في ارضه وخرج عليهم بجميع قومه للحرب الى محل يسمى ياهص فاستظهر عليه بنو اسرائيل فقتلوه وبنيه وكثيراً من قومه وفتحوا جميع مدنه من عروعير (المسماة اليوم عراعر) الى جلعاد (السلط) لم تبقَ قرية امتنعت عليهم وفتحوا حشبون (المسماة الان حسبان) قصبة ملكه وبحسب آية سفر العدد (ف ٢١ ع ٢٤) « ورثوا ارضه من ارنون الى يبوق » وارنون وادٍ ونهر يصب في بحر الميت ويسمى الان النهر الموجب او المعجب على رواية بعضهم وكان قديماً فاصلاً بين املاك الموابيين في جنوبيه وبين املاك الاموريين في شماليه كما يفصل الان ولاية البلقاء في شماله عن بلاد الكرك في جنوبه (فيكورو في معجم الكتاب) ويبوق وادٍ ونهر يصب في الاردن بين البحر الميت وبحيرة طبرية وهو المسمى الان نهر الزرقاء واودي الزرقاء على ما في كتاب اعلام الاماكن الواردة في الكتاب ومواقعها واسمائها الان (١) وقال يوسيفوس

(١) هذا الكتاب لجرج ارمسترنك وقد اعاد النظر فيه ويلسون والماجور كوندر الشهيرين ونشرته لجنة البحث في فلسطين

(لك ٤ من تاريخ اليهود ف ٥) ان مملكة الاموريين هذه كان يحدها جنوبًا نهر ارنون (المعجب) وشمالاً نهر يبوق (نهر الزرقا) وغربًا الاردن وفسر كلمة يبوق بمعنى تارك وفي السريانية ܫܒܩ (شباق) بمعنى ترك وقد انبأنا الكتاب ان سيحون هذا «كان حارب ملك مواب قبلاً فاخذ من يده جميع ارضه الى ارنون» فالمراد ان سيحون كان عبر الاردن من عدوته الغربية الى عدوته الشرقيــة واخذ املاكًا من بني مواب واقام هنالك هذه المملكة الامورية التي ملكها بنو اسرائيل

قد اكتشف العالم دي سولسي في اخربة تل شيحان في تلك الانحاء تمثالاً لسيحون مطعونًا بحربة احد اعدائه مجنــدلاً على الارض فاخذ هذا التمثال الى افرنسة وهداه الى الدوك دي لوين الشهــير وهو الان في متحف اللوفر ولعل اسم تل شيحان أُخذ عن سيحون فتقارب اللفظين ظاهر

جاء في الكتاب (سفر العدد فصل ٢١ عد ٣٣ تثنية فصل ٣ عد ١) ان بني اسرائيل صعدوا بعد استيلائهم على بلاد سيحون في طريق باشان فخرج عليهم عوج ملكها بجميع قومه للحرب في ادرعي وامرهم الرب ان لا يخافوه واسلمه وقومه الى ايديهم حتى لم يبقَ لهم شريد وفتحوا جميع مدنهم ولم تبقَ لهم قرية لم يأخذوها «ستين مدينة كل بقعة ارجوب مملكة عوج في باشان» وغنموا البهائم وما كان في المدن فكان ما اخذوه من الملكين سيحون وعوج كل الارض التي في عبر الاردن من وادي ارنون (وادي المعجب الان) الى جبل حرمون (جبل الشيخ الان) «وحرمون يسميه الصيــدونيون سريون والاموريون يسمونه سنير ... وعوج هذا هو وحده بقي من الجبابرة وسريره سرير من حديد وهو لم يزل في ربة بني عمون طوله تسع اذرع وعرضه اربع اذرع بذراع الرجل» وقد كان عوج من ذرية الجبابرة المسمــين رافائيم او رافائيين الذين كانوا في فلسطين قبل ان يغشاها الكنعانيون وكان قد الَّب جماعة

من الاموريين وغيرهم من الكنعانيين فغزا مملكة باشان فاستظهر على العمونيين ولاتها قبله وازاحهم منها نحو المشرق فكانت تخوم مملكته جبل جلعاد (السلط) شرقًا والاردن غربًا ولبنان وجبل الشيخ شمالاً ونهر يبوق اي نهر الزرقآء جنوبًا وقال كلمت في معجم الكتاب ان التسع الاذرع عبارة عن خمس عشرة قدمًا واربعة قراريط ونصف والاربع الاذرع عبارة عن ست اقدام وعشرة قراريط وادرعي هي التي يسميها العرب اذرعات وتسمى الان ذرعات وموقعها في جهة اللجاة الغربية وربة بني عمون هي المسماة الان عمان (فيكورو في معجم الكتاب) في الجنوب الغربي من قلعة الزرقآء في ولاية البلقآء وسميت بعد ذلك فيلدلفيا (اعلام الاماكن الكتابية الانف ذكره)

﴿ عد ٢٠٧ ﴾

دعوة بالاق ملك الموآبيين لبلعام ليلعن بني اسرائيل

ارتحل بنو اسرائيل بعد انتصارهم على ملكي الاموريين وباشان فحلوا في صحرآء مواب على عبر الاردن تجاه اريحا فخاف بالاق بن صفور ملك الموابيين وطأة بني اسرائيل بلاده واخذهم ملكه كما فعلوا بسيحون وعوج فحالف شيوخ المدينيين وهم من ولد مدين بن ابرهيم من زوجه قطورة واغراهم بمناصبة بني اسرائيل قائلاً « الان تلحس هذه الجماعة كل ما حوالينا كما يلحس الثور خضر الصحرآء » فاستدعوا رجلاً اشتهر بالعرافة يسمى بلعام بن بعور من فاتور التي على النهر اي نهر الفرات اذ جاء في فصل ٢٣ عد ٤ من سفر التثنية « من فتور في ارام النهرين » ولم يكن القدماء يعرفون فتور مدينته فكشفت لنا الخطوط المسمارية عن موقعها وهي المسماة ربسك الان على عدوة الفرات من جهة سورية كما ظهر من الخطوط المنقوشة على مسلة سلمناصر ومن صفيحة وجدها لا يرد وهي التاسعة والثمانون من الآثار التي ذكرها هذا

العالم وكان بالاق يعتقد ان من لعنه بلعام خذله الله لانه نبي الرب فتردد بلعام في مطاوعة الوفد بان يحضر معهم ويلعن بني اسرائيل ولو قدموا له حلوان العرافة قائلاً ان الرب لم يؤذن له في المضي معهم ولا بلعن شعب اسرائيل لانه مبارك فبعث بالاق اليه روساء كثيرين اجلّ من اولئك واعداً انه سيكرمه جدًا ويصنع له كل ما يقوله فابى المسير اولاً قائلاً لو اعطاني بالاق ملؤ بيته فضة وذهبًا لم استطع ان اتجاوز امر الرب لكنه قال بالغداة ان الرب اذن له في المسير معهم فشد على اتانه وصحبهم فاعترضه ملك الرب في طريقه فجفلت الاتان في الصحرآء ثم زحمت الحائط فضغطت رجل بلعام فزاد في ضربها ثم ربضت الاتان لاعتراض ملك الرب لها في موضع ضيق فكرر ضربها بالعصا فانطقها الله بالتوبيخ له على ضربه اياها وكشف الرب عن بصره فرأى ملك الله واقفًا في الطريق وسيفه مسلول فخر ساجدًا على وجهه فنهاه الملك عن ان يقول غير ما يقوله له وسار بلعام الى ان التقاه بالاق ودخلا المدينة ولما كانت الغداة اخذ بالاق بلعام فصعد به الى مشارف محل يسمى بعل فنظر اقصى الشعب وامر بلعام بالاق ببناء سبعة مذابح وان يعد عليها سبعة عجول وسبعة اكباش فصنع وانفرد بلعام وعاد الى بالاق يبارك الشعب بدلاً من ان يلعنه ثم اخذه بالاق الى موضع ثانٍ وثالث وكان بلعام يعيد بركة الشعب وينبيء بانتصاره وتسلطه . فغضب عليه بالاق وقال انما دعوتك لتلعن اعدائي فاذا انت قد باركتهم ثلث مرات فانصرف الى موضعك لقد كنت عزمت ان اكرمك فحرمك الرب الكرامة وانصرف بلعام الى قومه (العدد فصل ٢٢ و٢٣ و ٢٤) وقد قال لبالاق والمدينيين قبل انصرافه انهم اذا احبوا ان ينتصروا على بني اسرأيل فليغروهم بعبادة غير الههم وبالفحشآء ففعلوا ما اشار عليهم به كما سترى

اما من هو بلعام أنبيٌّ صادق هو ام عراف كاذب ففي هـذا اقوال قال اوريجانوس (خطبة ١٣ في سفر العدد) ان كل ما كان لبلعام من المعرفة والقوة انما كان بوسائل سحرية وكان اللعن دأبه فان ابليس دأبه اللعن وقال توادوريطوس (مبحث ٣٩ و ٤٢ في سفر العدد) ان بلعام لم يكن يستشير الرب في ما يقول بل كان الرب يلهمه ما يقول مجبرًا . وقال القديس كيرلّس الاسكندري (في ك ٤ و ٦ في السجود بالروح) انه كان شريرًا ونبيًا كاذبًا لا ينطق بالحق الا مجبرًا وشبّهه القديس امبروسيوس (في رسالته ٥٠) بقيافا الذي نطق بالحق جاهلاً ما يقول على ان القديس ايرونيموس (في المباحث العبرانيـة في التكوين) يظهر انه تابع رأي العبرانيين بقوله ان بلعام كان ممن يؤمنون بالاله الحق وقد بنى له مذابح وكان نبيًا صادقًا وان سئي السيرة وان موسى صرح بانه استشـاد الرب وانه دعا الرب الهه اذ قال (عد فصل ٢٢ عد ١٨) « لم استطع ان اتجاوز امر الرب الهي فاعمل شيئًا صغيرًا او كبيرًا » وقال القديس اغوسطينوس (في ك ٢ في امور شتى) ان بلعام سيكون في يوم الدين ممن يقولون للديان « يارب أليس باسمك تنبأنا » ويظهر من قوله انه حسبه نبيًا صادقًا وان اثيمًا ومن عداد المرذولين وقال برجيا من المتأخرين (في معجم اللاهوت) « لا يمكن دون مخالفة نص الكتاب ان يُحسب بلعام نبيـًا كاذبًا او كافرًا او وثنيًا وقد اشار القديس بطرس الرسول الى شيء من ذلك اذ قال (رسالته ٢ فصل ٢ عد ١٥) « وقد تركوا الطريق المستقيم واتبعوا طريق بلعـام بن بعور الذي احب اجرة الظلم الا انه قد ناله التوبيخ على معصيته اذ ردع حماقة النبي حمار ابكم نطق له بصوت انسان »

ومثل هذا الخلاف في نطق اتان بلعام أكلام حقيقي هو ام مجرد مجاز يراد به ما قام في مخيلة بلعام فقال القديس اغوسطينوس (مبحث ٤٨ و ٥٠ في

التكوين) ان الاتان نطقت بكلام حقيقي وان آية الكتاب يلزم فهمها بمعناها الحرفي وتابعه على قوله كثير من المفسرين مثبتين ان تلك معجزة حقة كسائر معجزاته تعالى مع العبرانيين وايدوا ذلك بما ذكرناه آنفاً من قول بطرس الرسول في رسالته وقالوا لم يهب الله الاتان عقلاً ناطقاً بل انطقها بكلام توبيخ كما ينطق به انسان . على انه يظهر من كلام القديس غريغوريوس نيصص (في ترجمة موسى) ان الاتان لم تنطق بكلمات مفصلة بل تأول بلعام مجرد نهيقها بالمعنى الذي ذكر . وكان بلعام عرافاً متعودًا التطير باصوات الحيوانات والطيور وذكر موسى ذلك تهكماً بالعرافة كأن الاتان نطقت به . وقال ميمونيد ان هذه المحاورة بين بلعام واتانه الا اختلاق ومجاز نبأنا موسى به ما قام في مخيلة بلعام على سبيل التاريخ وهو تصوري فقط . وقال بعضهم في وجه كلام بلعام مع اتانه كانها ناطقة انه كان يعتقد التناسخ اي تقمص النفس من بدن الى بدن اخر انسانياً كان او غير انساني فحسب اتانه متقمصة بنفس انسان ما (ملخص عن معجم الكتاب لكلمت في كامة بلعام)

عد ٢٠٨

اغواء بنات مواب ومدين لبني اسرائيل والانتقام من المدينيين

دعا الموآبيون والمدنيون بني اسرائيل الى اعياد بعل فغور معبودهم وارسلوا بناتهم عملاً بمشورة بلعام يغرين بني اسرائيل بالفحشاء والسجود لالهتهم فعلق في قلوب كثيرين من الشعب حب الموابيات والمدينيات وسجد بعضهم لبعل فغور فاشتد غضب الرب عليهم فقال موسى لقضاة اسرائيل اقتلوا كل واحد من تعلق من قومه ببعل فغور والاوجه في تأول هذا اللفظ بعل الفجور اي سيده او الهه . وبين كان الشعب يبكي عند باب خباء المحضر فاذا زمري بن سالوا احد روساء سبط شمعون مرّ امام موسى والشعب تصحبه كزبي بنت

صور احد روساء مدين وادخلها خباءه فتتبعهما فنحاس بن اليعازر بن هرون ورمحه بيده فطعنهما كليهما الرجل والمرأة في بطنها فكفت الضربة عن بني اسرائيل اذ ردّت غيرة فنحاس سخط الرب عنهم وقال الرب لموسى انه معطٍ فنحاس عهد سلامة وانه يكون له ولنسله من بعده عهد كهنوت ابدي جزآء غيرته لالهه وتكفيره عن بنى اسرائيل وكان عدد من قتلهم القضاة بحسب امر الرب لموسى او افناهم الوباء الذي عبّر عنه الكتاب بالضربة اربعة وعشرين الفًا وامر الرب موسى ان يضايقوا المدينيين ويضربوهم لانهم ضايقوا بنى اسرائيل بما تسببوا لهم به من الشر وضربة الرب لهم (سفر العدد ف ٢٥)

وانبأنا الكتاب (فصل ٣١ من سفر العدد) ان موسى جرّد اثني عشر الف مقاتل من كل سبط الفًا فسيرهم ومعهم فنحاس بن اليعازر الكاهن يغزون الى مدين وكانت في يد فنحاس امتعة القدس (يرجح ان المراد بها تابوت العهد) وابواق الهتاف فقاتلوا المدينيين ونصرهم الرب عليهم فقتلوا منهم كثيرين وملوكهم اي ولاتهم الخمسة وسماهم الكتاب أوي ورقم وصور وحور ورابع وكان بلعام هنالك فقتلوه بالسيف وسبوا نساء مدين واطفالهم وغنموا بهائمهم ومواشيهم واثاثهم واحرقوا مساكنهم وقصورهم وعادوا الى موسى في صحراء مواب ولم يفقد احد منهم فسخط موسى على وكلاء الجيش وقال هل استبقيتم الاناث كلهنّ ان هولاء هنّ اللاتي حملنَ بني اسرائيل بموامرة بلعام على ان يتمردوا على الرب فحلّت الضربة في جماعة اسرائيل فاقتلوا كل ذكر وكل امرأة واما اناث الاطفال اللاتي لم يبلغنَ سن الزواج فاستبقوهنّ لكم ففعلوا بحسب امره ولو كان ذلك بغير امر الرب لعيب موسى بشدة القسوة . ولم يتملك فنحاس ورجاله بلاد مدين لانها ارض عبرانيين من ذرية ابرهيم وموعدهم ارض الكنعانيين واجتزأ ان ينكل باهلها ويدمر بلادهم جزاء لما جنت ايديهم

وما حتت نساؤهم

وقد فصل موسى ما غنمه المحاربون من المديغيين فكان من الغنم ست مئة الف وخمسة وسبعين الفاً ومن البقر اثنين وسبعين الفاً ومن الحمير واحداً وستين الفاً ومن البنات اللاتي لم يبلغنَ مبلغ النساء اثنين وثلاثين الفاً ويظهر من هذا ان المديغيين كانوا اغنياء كثيراً بالماشية لا سيما الغنم وبالاثاث والحلي كما يتحصل مما سيأتي . وقد تذرع بهذا جاحدوا الوحي فكذبوا بصحته وعدّوه من المبالغات البعيدة عن الصدق وهو لا منافاة فيه لحال بلادٍ عم خصبها وانفسحت ارجاؤها وتوفرت مراعيها فلو حسبنا في بلاد مدين كلها ست مئة وخمسة وسبعين مالك غنم وجعلنا لكل منهم الف رأس منها لوجدنا العدد الذي عينه الكتاب وهذا الحساب معقول لا سيما في بلاد انصرفت عناية اهلها الى تربية المواشي وكان بها مورد ثروتهم . وكذا قل في البقر فلو جعلنا في كل البلاد ستة وثلاثين الف ذراع لكان لهم الاثنان والسبعون الفاً من الفدن عدا البقر التي لا تحرث والامر ظاهر في عدد الحمير ايضاً فقد طاش اذاً هذا السهم للمنددين كسائر سهامهم

وقد قسم موسى الغنيمة من الناس والبهائم نصفين نصفاً للغزاة المحاربين وهم الاثنا عشر الفاً ونصفاً لجماعة اسرائيل واخذ من نصيب المحاربين رأساً واحداً من كل خمس مئة رأس من الناس والغنم والبقر والحمير وضيعة للرب دفعها الى اليعازر الكاهن فاصابه من الغنم ست مئة وخمسة وسبعون رأساً ومن البقر اثنين وسبعين رأساً ومن الحمير واحدٌ وستون رأساً ومن الناس اثنين وثلاثون نفساً واخذ من نصيب الجماعة واحداً من خمسين من الناس والبقر والحمير والغنم وسائر البهائم ودفع ذلك الى اللاويين متولّي حراسة مسكن الرب واذا راعيت نصف عدد البهائم والاناث المذكورة آنفاً وفرضت منه اثنين من المئة او واحداً من الخمسين للاويين علمت كم اصابهم

من هذه الغنائم. وانما امر الرب موسى ان يأخذ من نصيب المحاربين واحدًا من كل خمس مئة ومن نصيب الجماعة واحدًا من خمسين لان المحاربين كافحوا معرضين نفوسهم لخطر القتل واما سائر الجماعة فنالوا غنيمة باردة . واعتبر نوع هذه القسمة بعد ذلك سنة في اسرائيل . ثم تقدم روساء الالوف وروساء المئين الى موسى وقدموا قربانًا للرب ما وجدوه من ادوات الذهب من حجل وسوار وخاتم وقرط وقلادة تكفيرًا عن نفوسهم فكان جملة ذهب التقدمة ستة عشر الفًا وسبع مئة وخمسين مثقالاً ولو كانت ذهبًا مسكوكًا لعادلت احد عشر الفاً من الليرات الافرنسية ولا مبالغة في هذا القدر بالنظر الى بلاد غنية توفرت فيها الثروات ولو ضوعف اضعافاً . وادخل موسى والعازر الكاهن الذهب الى خباء المحضر ذكرًا لبني اسرائيل امام الرب

﴿ عد ٢٠٩ ﴾

تمليك موسى سبطي رآوبين وجاد ونصف سبط منسا الارض التي في شرقي الاردن

جاء في الكتاب (سفر العدد فصل ٣٢) انه كان لبني رآوبين وجاد مواشٍ كثيرة جدًّا ونظروا الارض التي ملكها بنواسرائيل في عبر الارض الشرقي من سيحون ملك الامور يين وعوج ملك باشان صالحة للماشية فتقدموا الى موسى والعازر الكاهن وروساء الجماعة يسالون ان يعطوا هذه الارض ميراثاً لهم ولا يجوزون الاردن فقال لهم موسى أ يخرج اخوتكم الى الحرب وتقعدوا انتم ههنا . ان هذا يفضي الى قلق الشعب ووهنٍ في قوته وذكَّرهم بما صنع اباؤهم في البرية مما اسخط الرب عليهم فقالوا انا نبني حظائر لمواشينا هنا وبيوتاً لاطفالنا ونحن نتجرد مسرعين امام بني اسرائيل حتى ندخلهم مكانهم ولا نرجع الى بيوتنا حتى يستحوذ كل من اخواننا على ميراثه ونحن لا نرث

معهم شيئاً من عبر الاردن الى هناك فحسن كلامهم في عيني موسى والجماعة فاعطى موسى بني جاد وبني رآوبين ونصف سبط منسا بن يوسف مملكة سيحون ملك الاموريين ومملكة عوج ملك باشان فبنى بنو جاد ديبون وهي ديبان الان في شمالي نهر المعجب ونحو الجنوب من جبل عطروش وعطاروت ويرجح انها كانت عند الجبل المسمى الان عطروس الانف ذكره وعراعير المسماة الان عراعر في جنوبي ديبان وشمالي الكرك وعطروت شوفان ولا يعرف موقعها ويعزير ويرجح انها كانت في محل بيت زرعة الان وجعل اوسابيوس والقديس ايرونيموس موقعها على بعد عشرة اميال من عمان نحو الغرب وخمسة عشر ميلاً من حسبان نحو الجنوب . وبنوا ايضاً يجبيهة وتعرف الان بخربة الجبيهة بين السلط شمالاً وعمان جنوباً . ثم بيت نمره المعروفة الان بتل نمرين وبيت هاوان وتسمى اليوم تل رامه في جانب كفرين في شرقي اريحا وبنى بنو رآوبين حشبون وهي حسبان الان في الشمال الشرقي من جبل نبو والعالا او العالة وتسمى اليوم العال وهي في الشرق الشمالي من حسبان قريبة منها ثم قريتائيم ويرجح انها المسماة الان القُرَيّة بين ديبان جنوباً وميدبا شمالاً ونبو ويظهر انه كان موقعها في سفح جبل نبو وبعل معون وتسمى اليوم تل معين او معين في الغرب الجنوبي من ميدبا وفي الجنوب من جبل نبو وسبمه او سبام ويحتمل ان موقعها كان في محل سوميا الان في غربي حسبان وشمالي جبل نبو (١)

ومضى بنو ماكير بن منسى بن يوسف ففتحوا جلعاد وهي السلط وطردوا الاموريين منها فاعطاهم موسى اياها فاقاموا فيها ومضى يائير من سبط منسى

(١) اخذنا اسماء هذه المدن القديمة عن الكتاب واسماءها الان عن كتاب اعلام الاماكن الكتابية الانف ذكره

ايضاً واستولى على مزارعها وسماها حوُّت يائير اي ما احياه يائير ومضى نوبح وفتح قنات وتوابعها وسماها نوبح باسمه ولا يعرف موقعها الى اليوم ولكن في شرقي الاردن موضع يسمى وادي قانه فربما كانت هناك وعليه فكان مقام بني رآوبين في جنوبي تلك الارض ومقام بني جاد في شماليها ونصف سبط منسى في ارض باشان او باسان

وامر موسى ان يعطى اللاويون ثماني واربعين مدينة في انصبة اسباط اسرائيل في عبر الاردن وارض الكنعانيين مع محاجرها لماشيتهم وان تكون ست مدن منها مدن ملجأ يلجأ اليها من قتل نفساً غير متعمد وان تكون ثلث من مدن الملجأ هذه في عبر الاردن وثلث في ارض كنعان وقال (تثنية ف ١٩ ع ٩) اذا وسع الرب تخومكم فزيدوا ثلثاً على هذا الثلث . وعين مدن الملجأ الثلث في عبر الاردن « وهي باصر في البرية في ارض السهل للرآوبينيين وراموت في جلعاد للجاديين وجولان في باشان للمنسيين »(تثنية ف ٤ ع ٤٣) اما باصر فيرجح انها بصر الحريري من قرى اللجاة الجنوبية تبعد خمسة اميال عن اذرعات واما راموت جلعاد فموقعها في بلاد السلط وربما كانت في المحل المسمى الان ريمون واما جولان فكان موقعها في سهل الجولان بل سمي باسمها وقال اوسابيوس انها كانت في ايامه مدينة مهمة ولم يعين موقعها

وتقدمت بنات صلفحاد من عشائر منسى الى موسى واليعازر الكاهن وروساء الجماعة قائلات ان ابانا مات في البرية ولم يكن من جلة القوم الذين اجتمعوا على الرب مع قورح ولم يكن له بنون فلماذا يسقط اسم ابينا من بين عشيرته فاعطنا ميراثاً بين اعمامنا فرفع موسى امرهنَّ الى الرب فقال له انهنَّ نطقنَ بالصواب فانقل ميراث ابيهنَّ اليهنَّ واعلم الرب موسى حينئذٍ كيف يقسم الميراث في بني اسرائيل اذ قال « اي رجل مات وليس له ابن فانقلوا

ميراثه الى ابنته فان لم تكن له بنت فاعطوا ميراثه لاخوته فان لم يكن له اخوة فاعطوه لاعمامه فان لم يكن له اعمام فاعطوه لادنى ذوي قرابته في عشيرته » (عدد فصل ٢٧) ورد بنو منسى سوال بنات صلفحاد بانهنَّ سيصرنَ نساء لاحد رجال اسباط بني اسرائيل فيسقط ميراثهنَّ من ميراث بني منسى ويزاد على ميراث السبط الذي يتزوجنَ منه فامر موسى عن امر الرب ان بنات صلفحاد يتزوجنَ بمن يحسن لديهنَّ لكن يجب ان يكون من عشيرة ابيهنَّ حتى لا يتحول الميراث من سبطٍ الى اخر فتزوجنَ ببني اعمامهنَّ (عدد ف ٣٦)

﴿ عد ٢١٠ ﴾

﴿ احصاء موسى بني اسرائيل وتسليمه قيادتهم الى يشوع بن نون وموته ﴾

قد امر الرب موسى ان يحصي بني اسرائيل الاحصاء الثالث اذ كان الاول عند خروجهم من مصر والثاني في برية سيناء فكان عدد الرجال من ابن عشرين سنة فصاعدًا ست مئة الف ومئة وثلاثة وسبعين رجلاً ولم يكن باقياً ممنْ عدّوا في برية سيناء الا كالب بن يوفنا ويشوع بن نون ذلك بحسب قول الرب انه يموتون في البرية الا هذين الرجلين ومع هذا لم ينقص عدد الشعب عما كان عليه لدن خروجه من مصر وقد احصي اللاويون وحدهم فكان عددهم من ابن شهر فصاعدًا ثلثة وعشرون الفاً (عدد فصل ٢٦)

قد انبأنا موسى (تثنية ف ٣ ع ٢٥) انه سأل الرب قائلاً « دعني اجوز فأرى الارض الصالحة التي في عبر الاردن هذا الجبل الحسن ولبنان » فقال له الرب « حسبك لا تزد في الكلام معي في هذا الشان لكن اصعد الى قمة الفسجة وارفع طرفك غرباً وشمالاً وجنوباً وشرقاً وانظر بعينيك لانك لا تجوز هذا الاردن ومُر يشوع وشدده وشجعه فانه هو يعبر امام هؤلاء الشعب ويورثهم الارض التي تراها » والفسجة قمة في جبل نبو تسمى الان

راس السياغة (على ما في كتاب اعلام الاماكن الانف الذكر) ومن وقف عليها رأى قسماً كبيرًا من ارض فلسطين ومن وقف على شاطي البحر الميت غرباً غير بعيد عن مصب الاردن رأى حسناً جبل نبو وهذه القمة تجاهه نحو الشمال فمن هناك نظر موسى ارض الموعد. ثم سلم قيادة الشعب الى يشوع بن نون وامره ان يستشير دائمًا رئيس الاحبار وان يقسم معه ارض الموعد في عبر الاردن على بني اسرائيل بالقرعة وخطب في بني اسرائيل خطباً عديدة ذكرهم بها باخص مواد السنّة مغيرًا او مزيدًا عليها اشيآء اقتضاها الزمان وحض الشعب على اتقآء الرب والعمل بسننه مبيناً لهم حسن الثواب ان عملوا بها وشرّ العقاب ان خالفوها ودفع كتب الشريعة الى الكهنة آمرًا ان يتلوها على مسامع الشعب مرة في كل سبع سنين في عيد المظال ثم ترنم امام جماعة بني اسرائيل بالنشيد المثبت في الفصل ٣٢ من سفر التثنية مستهلاً بقوله «انصتي ايتها السماوات فاتكلم ولتستمع الارض لاقوال فيَّ» وهذا النشيد يلزم كل عبراني مدى الدهر ان يستظهره حافظاً اياه بلا كتاب. ثم بارك بنو اسرائيل بركات نبوية ذكرت في الفصل ٣٣ من ذاك السفر. وصعد الى جبل نبو ومات على هذا الجبل وعمره مئة وعشرون سنة ولم يكل بصره ولم تذهب نضرته ودفنه الرب في الوادي في ارض مواب تجاه بيت فغور التي يرجح انها المسماة المريجة الان ولم يعرف احد قبره الى يومنا هذا كما جاء في الفصل الاخير من سفر التثنية الذي اضافه يشوع بن نون او غيره من الكتبة الملهمين الى هذا السفر. وقد اخفى الله قبر موسى لئلا يعبده بنو اسرائيل تشبهاً بالمصريين وقد كان بين بني اسرائيل قوم ممن كان عمرهم لدن الخروج اقل من عشرين سنة. وبكى بنو اسرائيل موسى ثلثين يوماً

﴿ عد ٢١١ ﴾

﴿ في الاسفار التي كتبها موسى ﴾

قد كتب موسى الاسفار الخمسة الاولى من العهد القديم وهي اسفار التكوين والخروج والاحبار والعدد وتثنية الاشتراع فذكر في التكوين خلق الله السماء والارض وما فيهما وابداع الانسان الاول والمرأة الاولى ثم انساب الاباء قبل الطوفان وبعده ومواطنهم وتفرق اعقابهم في الافاق بعد بلبلة السنتهم في بابل ودوّن اخبار نوح وابرهيم واسحق ويعقوب ويوسف الى انحدار يعقوب بذريته الى مصر ووفاته ووفاة يوسف فيها ٠ وذكر في سفر الخروج مولد موسى وتبني ابنة فرعون له وهربه الى مدين وارسال الرب له ليخرج شعبه من مصر وعمل الله المعجزات على يده فيها وخروج بني اسرائيل منها واجتيازهم في البحر الاحمر وحلولهم في طور سيناء وتنزيل الله الشريعة عليه وامره بعمل خباء المحضر ويلي هذا السفر سفر الاحبار وقد فصَّل موسى به بامر الله ما يلزم الكهنة والاحبار عمله وطرائق تقدمة الذبائح والمحرقات وتكملة الوصايا الشرعية والطقسية ويليه سفر العدد وقد انطوى على تكملة تاريخ ارتحال بني اسرائيل من جبل سيناء الى صحراء مواب وتفصيل بعض مراحلهم التي كان موسى ذكرها قبلاً مجملة وعلى سنن اضافها الى السنن التي ذكرت في سفري الخروج والاحبار ويلي هذا السفر سفر تثنية الاشتراع وقد وضعه موسى بمنزلة مذكرة للاحداث التي جرت لهم وللسنن التي فرضها بامر الله مكررًا ذكر ما ورد في اسفار الخروج والاحبار والعدد وزائدًا او منقحاً بعض المواد لاقتضاء تقلب الحال زيادة او تنقيحاً . وقد ايدنا في ما مر من كلامنا الى الان صحة كثيرٍ من آي هذه الاسفار بالآثار القديمة والاكتشافات الحديثة المصرية والاشورية والبابلية والسورية كما رأيت وما برحت هذه الاكتشافات تزيد المنددين افحاماً

والجاحدين بكماً والمؤمنين تمكناً وتشبثاً بعرى الدين الكاثوليكي المقدس

وقد رأينا ان نلخص هنا عن الموجز الكتابي للاب فيكورو (مجلد ١ عد ٢٣٩ وما يليه) اخص الحجج المثبتة ان موسى كتب اسفار التوراة الخمسة هذه وانه صادق بما كتب . ان مصادر هذه الحجج اربعة الكتاب المقدس نفسه والتوراة السامرية والآثار المصرية واللغة المكتوبة بها اسفار التوراة ففي الحجة الاولى نقول قد اجمع اليهود والنصارى على ان موسى كتب اسفار التوراة الخمسة وانه لم يكتب الا ما كان حقيقًا وصادقًا واس هذا الاجماع آيات بينات في اسفار التوراة نفسها وفي سائر الاسفار المنزلة فقد جاء في سفر الخروج (ف ١٧ ع ١٤) ان الرب امر موسى ان يكتب في الكتاب تاريخ محاربة بني اسرائيل للعمالقة « وقال الرب لموسى اكتب هذا ذكرًا في الكتاب » بالتعريف كما في النص العبراني لا في كتاب بالتنكير وهذا دال صريح الدلالة على انه كان لموسى كتاب يدون به تاريخ ما يحدث لبني اسرائيل وجاء في هذا السفر (ف ٢٤ ع ٤) « وكتب موسى جميع كلام الرب » وقال بعد ذلك (ع ٧) « واخذ كتاب العهد وتلا على مسامع الشعب » وعليه فلم يكتب موسى السنّة وحدها بل الاحداث التاريخية ايضاً . وقد صرّح موسى بذلك اكثر تصريح بما كتبه في سفر تثنية الاشتراع (فصل ٣١ عد ٩ وما يليه) « وكتب موسى هذه التوراة ودفعها الى الكهنة بني لاوي ... وسائر شيوخ اسرائيل وامرهم موسى قائلاً في نهاية السبع السنين ... حينما يأتي جميع بني اسرائيل ليمتثلوا لدى الرب ... تنادي عليهم بهذه التوراة على مسمع من جميع اسرائيل اجمع الشعب الرجال والنساء والاطفال والغريب الذي في مدنك لكي يسمعوا ويتعلموا ويتقوا الرب الهكم ويتحرّوا العمل بجميع كلام هذه التوراة » ومن ذلك قوله بعيد هذا (عد ٢٤) « ولما فرغ موسى من رقم كلام هذه التوراة

في سفرٍ بتمامها امر موسى اللاويين ... ان خذوا سفر هذه التوراة واجعلوه الى جانب تابوت عهد الرب الهكم فيكون ثم عليكم شاهدًا » وقد مر ان الفصل الاخير من سفر التثنية المنبئ بموت موسى قد علقه يشوع بن نون او كاتب غيره بمنزلة ذيل على هذا السفر

ثم ان سائر اسفار الكتاب التي كتبت بعد التوراة تثبت صحتها وحقيقة نسبتها الى موسى فسفر يشوع بن نون مفعم بالايماز الى اسفار التوراة حتى قال بعض المنددين انها وسفر يشوع من قلم كاتب واحد ونقتصر من ذلك على ذكر اقواله « تشدد وتشجع جدًا لتحفظ جميع الشريعة التي امرك بها موسى عبدي ... لا يبرح سفر هذه التوراة من فيك بل تأمل فيه نهارًا وليلاً » (يشوع ف ١ ع ٧ و ٨) « كما امر موسى عبد الرب بني اسرائيل على ما هو مكتوب في سفر توراة موسى » (يشوع ف ٨ ع ٣١) « فتشددوا جدًا لتحفظوا جميع المكتوب في توراة موسى وتعملوا به ولا تعدلوا عنه يمنة ولا يسرة (يشوع فصل ٢٣ عد ٦) وسفر القضاة مفعم ايضًا بالاشارات الى اسفار التوراة ونراها في سفري الملوك الاول والثاني قاعدة وسنَّة لبني اسرائيل من ايام غالي الى ممات داود وقد كثر في جميع الاسفار الباقية اخبارية او نبوية او حكمية ذكر موسى وما عمله الله على يده من المعجزات وما نزله عليه من السنن كما ذكره موسى في اسفار التوراة وليست الفصول الاولى من سفر اخبار الايام الا خلاصة ما كتبه موسى في الانساب والمواليد وقلما تجد صفحة في الزبور لا تحوي اشارة الى ما كتبه موسى وقد تواتر ذكر المخلص ورسله آيات من اسفار التوراة في اسفار العهد الجديد ويضيق المقام عن استقرآء جميع الايات المثبتة ما نحن مثبتون وعليه فاسفار الكتاب كلها تثبت ان موسى كتب اسفار التوراة الخمس وان صدقها مجمع عليه في اسفار العهدين القديم والجديد

الحجة الثانية من التوراة السامرية ان للسامريين توراة باللغة العبرانية ولكنها مكتوبة بالحروف القديمة على الهيئة الفونيقية وهي غير الترجمة السامرية او الارامية التي كانت ايديهم تتداولها قديمًا وغير الترجمة العربية التي في ايديهم الان وتلك التوراة السامرية القديمة تطابق جوهرًا توراتنا ولا تخالفها الا بامور عرضية او بتعيين بعض السنين وقد اطلع عليها الاباء القدماء واستشهدوا بها ونخص بالذكر منهم اوريجانوس (في سفر العدد فصل ١٣ عد ١) وايرونيموس (في مقدمة سفر الملوك الاول) الا انها توزت عنا بظلمات الجهل الى بدء القرن الثاني عشر . وقد عثر بطرس دلاً فالي على نسخة منها في دمشق سنة ١٦١٦ وهي التي طبعت في الجامعتين (بوليكلوت اي الكتاب المقدس بعدة لغات مجموعة معًا) الباريسية واللندنية سنة ١٦٤٥ وسنة ١٦٥٧ . ولا يعلم حق العلم متى تلقى السامريون التوراة لكن الارجح والظاهر من سفر الملوك الرابع (فصل ١٧ عد ٢٥ وما يليه)انهم تلقوها من الكاهن الاسرائيلي الذي بعثه اليهم ملك اشور عندما ارسل الرب عليهم اسودًا تقتل منهم في مبدأ اقامتهم في السامرة في مكان بني اسرائيل المسبيين الى اشور « واقام الكاهن ببيت ايل واخذ يعلمهم كيف يتقون الرب » ولم يستطع الجاحدون الى الان اقامة حجة ثابتة توجب التسليم لهم بتلقي السامريين التوراة في غير الوقت المشار اليه اعني بعيد خراب السامرة وجلاء بني اسرائيل الى بلاد اشور واقامة السامريين مكانهم وقد كان ذلك لسنة ٧٢١ ق م فاذًا وجود التوراة عند السامريين اعداء اليهود مطابقة لتوراتنا بينة قاطعة على عراقة اسفار موسى الخمسة في القدم ولا اقل من ان تثبت هذه البينة ان هذه الاسفار اقدم من العصر الذي تمحله لها كثير من الجاحدين والمنددين

الحجة الثالثة تؤخذ من الاثار المصرية قد رأيت عند الكلام في اخبار

يوسف واقامة بني اسرائيل في مصر وخروجهم منها الطباق الكائن بين كلام موسى في آيات عديدة وما جاء في الآثار المصرية مصداقاً لكلامه ودلّ ذلك صريح الدلالة على ان كاتب سفري التكوين والخروج كان له العلم التام باحوال مصر لا سيما احوالها على ما كانت عليه في ايام رعمسيس الثاني ومن سلفه فما جاء في الكتاب عن حالة البلاد ومدنها ولا سيما التي على تخومها وتألف جنودها انما هو دال حقيقة على عصر رعمسيس لا على عصر القراء الذين كانوا في ايام سليمان وخلفائه فان كانت التوراة دُوّنت في آخر مدة ملوك يهوذا كما زعم الجاحدون فلِمَ كانت منبئة انباء مدققاً بحال مصر القديمة ولم تنبئ بحالها على عهد اولئك الملوك ولِمَ كانت رواية التوراة اخبار حالة مصر مختلفة عن رواية الانبياء لها ولِمَ كانت الروايتان كلتاهما تطابقان حالة البلاد في العصرين كما شهدت آثارها صريح الشهادة وكيف مثلت لنا التوراة مصر بهيئة مملكة واحدة ولم تُشر الى تقسم هذه المملكة الى امريات صغيرة كما صرّح بذلك اشعيا اذ قال (فصل ١٦ عد ٢) « واسلّح مصر على مصر فيقاتل الانسان اخاه والرجل صديقه مدينةً مدينةً ومملكةٌ مملكةً » ولماذا نرى الاعلام المذكورة في التوراة تطابق ما كشفت عنه الآثار المصرية على عهد رعمسيس ومن سلفه ولا نرى فيها مثالاً واحداً للاعلام السامية التي اعتادت وضعها الدول المصرية المعاصرة لسليمان فلماذا نجد في التوراة اسماء صوعن ورعمسيس وصوعر ولا نجد اسماء مجدل وتحفنحيس وغيرهما مما ذكره الانبياء . ثم ان لنا في علاقات مصر مع البلاد الاجنبية دليلاً آخر على ما نحن مثبتون مثلاً ان الحبشة تولت مصر قبل ايام حزقيا وفي مدة ملكه ولا نجد ذكراً لذلك في التوراة كما لم تذكر دولة الاشوريين الاولى التي نشأت في ايام انحطاط مملكة مصر ولو كتبت التوراة في عهد ملوك يهوذ كما زعم الجاحدون لرأينا فيها ذكر هذه الاحداث المهمة لا ذكر اخبار رعمسيس واسلافه

ان بعض اهل العلم بالآثار المصرية قد عارضوا اخبار التوراة بما كشفت عنه الآثار المصرية واضعين كلاً منها بجانب الاخر فتبين لهم ما بينهما من المطابقة ولا يمكن الجمع بينهما بهذه الدقة دون ان يكون كاتب التوراة مقيماً بمصر عند وقوع تلك الاحداث ولا يمكن التقليد ان يحفظها على سلامتها التامة مدة قرون عديدة

الحجة الرابعة تؤخذ من اللغة العبرانية المكتوبة بها التوراة قد رأى الماهرون باللغة العبرانية ان في اسفار موسى كثيراً من الكلمات واساليب التعبير الدالة على قدم هذه الاسفار ومخالفتها من حيث الفاظ اللغة ونحوها للاسفار التي كتبت بعدها باللغة العبرانية من ذلك استعمال هو ضمير المذكر الغائب بدلاً من هي ضمير المؤنثة الغائبة في مئة وخمس وتسعين آية من التوراة ولم يرد الضمير هي بصيغة التأنيث الا في احدى عشرة آية ويحتمل ان يكون النساخ المتأخرون اصلحوا ذلك في الاحدى عشرة آية وقد استعملت كلمة نعر العبرانية المذكرة ومعناها الشاب في احدى وعشرين آية بدلاً من نعرة المؤنثة بمعنى الشابة ولم ترد الكلمة بصيغة التأنيث الا في آية واحدة ويحتمل ان يكون ناسخ متأخر اصلح الكلمة في هذه الاية فعدم الفرق بين المذكر والمؤنث دليل قاطع على العراقة في القدم وعلى ان اللغة العبرانية لم تكن قد ضبطت في ايام كاتب تلك الاسفار بالاصول النحوية التي ضبطت بها بعد ذلك اذ لا نجد اثراً لمثل ذلك في الاسفار العبرانية التي كتبت بعد موسى . وقد لاحظ الماهرون في اللغة العبرانية ايضاً ان في اسفار التوراة اصولاً خاصة بها لا توجد في الاسفار المتأخرة منها انه اذا اجتمع موصوفان ربط الاول مع الثاني بحرف اليود (الياء) وهو اصطلاح قديم لا تجد له اثراً الا نادراً في اللغة العبرانية بعد موسى وكذا تجد في اسفار موسى فعل الامر منتهياً بحرف النون ولا مثيل

لذلك في الاسفار المتأخرة وللمصدر في اسفار موسى صيغة غير صيغته في غيرها وذكروا القاظاً وعبارات كثيرة في اسفار موسى لا وجود لها في غيرها وقالوا ليس في اسفار موسى كلمات اجنبية الا الكلمات المصرية وقد اطال واجاد الاب فيكورو باثبات هذه الحقيقة في كتابه الاخر الموسوم بالاسفار المقدسة وانتقاد العقليين لها (مجلد ٣ من صفحة ٩ الى صفحة ٢١٣)

وقد نسب كثير من القدماء والحدثاء كتابة سفر ايوب الصديق الى موسى ومنهم القديس افرام السرياني اذ قال في مقدمة كلامه على هذا السفر ܡܘܫܐ ܟܬܒ ܟܬܒܐ ܕܐܝܘܒ اي ان موسى كتب كتاب ايوب ولكن قال غيرهم ان ايوب نفسه كتب سفره بالسريانية او العربية فترجه موسى الى العبرانية وعزاه بعضهم الى اصدقاء ايوب او احدهم وغيرهم الى سليمان واصله شعر فصيح العبارة بليغ الاشارة ولكن ناظمه لم يقيد نفسه بوزنٍ ولا قافية وهذا دالٌّ على قدمه والاظهر ان ايوب كان في زمان موسى واقام بارض عوص المنسوبة الى عوص بن ارام بن سام والارجح انها اللجاة وحوران

الفصل التاسع

(في يشوع بن نون واخبار بني اسرائيل في ايامه)

﴿ عد ٢١٢ ﴾

في يشوع بن نون والسفر المنسوب اليه ومجمل اعماله

ان يشوع بن نون هو من سبط افرائيم بن يوسف وكان خادماً اميناً لموسى بل موازراً له وعهد اليه موسى بقيادة بني اسرائيل بعد وفاته ، وروى

يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ٥ ف ١) انه كان له من العمر خمس وثمانون سنة حين تولى قيادة بني اسرائيل وعليه فكان عمره خمساً واربعين سنة عند خروجهم من مصر ولم يبقَ ممن خرجوا منها وعمرهم فوق العشرين سنة الا يشوع هذا وكالب بن يوفنا كما مر. ان كل ما سنورده في هذا الفصل من اخبار بني اسرائيل مسنده السفر المنسوب اليه وتلك النسبة وان لم تكن يقينية فتؤيدها ادلة راهنة عديدة منها ان تقليد اليهود المصرح به في كتاب التلمود يعزو هذا السفر الى يشوع وقد تابعهم على ذلك كثير من المحققين والمدققين . ومنها انه جاء في هذا السفر (فصل ٢٤ عد ٢٦) « وكتب يشوع هذا الكلام في سفر توراة الله » اي كتب هذا السفر والحقه باسفار موسى . ويستغرب ان يكون يشوع غفل عن ان يدون الاحداث المهمة التي اجراها الله على يده وتقاعد عن اتمام فرض تستلزمه رسالته وتستثني من ذلك الايات الاخيرة من هذا السفر المنبئة بموت يشوع والعازر الحبر فانها من قلم كاتب آخر قديم . ان لنا بينات قاطعة على قدم سفر يشوع منها ان لا ذكر فيه لبيت لحم موطن داود بين مدن يهوذا وذلك دليل قاطع بان هذا السفر كتب قبل ايام داود والا لما اهمل الكاتب ذكرها . ومنها انه جاء فيه (فصل ١٥ عد ٦٣) « اما اليبوسيون سكان اورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فاقام اليبوسيون مع بني اسرائيل في اورشليم الى اليوم » وعليه فكاتب هذا السفر كان قبل السنة الثامنة من ملك داود التي فيها تولى داود صهيون اي اورشليم (كما في ملوك ٢ فصل ٥ عد ٥٧) ومنها ان هذا السفر وصف صيدون بالكبيرة (فصل ١١ عد ٨) مع ان صيدون أخربها الفلسطينيون في زمان القضاة سنة ١٢٠٩ ق م واخذت صور سؤددها فاذاً كان الكاتب قبل ايام ملوك اسرائيل

قد اعدت عناية الله يشوع لامرين كبيرين افتتاح بلاد فلسطين وقسمتها على

اسباط بني اسرائيل فاتم اولهمـا بما قيض الله له من النصر والفوز في مواقع عديدة فتيسر له ثانيهما وكانت بلاد فلسطين يومئذٍ منقسمة الى ممالك عديدة لكن هذه الممالك لم تكن الا اعمالاً او اقطاعاً مستقلاً احدها عن الاخر ويلي كلاً منها حاكم يسمونه ملكاً يتأمَّر على عشيرته وهذه العشائر هي التي سماها الكتاب بالحثيين واليبوسيين والاموريين الخ وقد جاءت الآثار المصرية مصداقاً لما ورد في الكتاب فقد كشف العالم مريات عن وجه مساكن في اخربة هيكل الكرنك على مقربة من تاب (طيبة) القديمة دوَّن عليـه توتمس الثالث احد ملوك الدولة الثامنة عشرة اكثر من ست مئة اسم موضع استحوذ عليها وبين هذه الاسماء مئة وتسعة عشر علَماً لعشائر ومراضع في فلسطين وهي منقسمة الى ست دوائر كأنها ست امارات ويمكن ان تقرأ اسماؤها كما يأتي يابوسي (اليبوسيون) اموري (الاموريون) كركاسي (الجرجسيون) حيوى (الحوويون) عرقي (العرقيون او الحيون) سيني (السينيون او الفرزيون) وقد رقمت هذه الخطوط في مدة اقامة بني اسرائيل في مصر قبل خروجهم منها

﴿ عد ٢١٣ ﴾

عبور يشوع الاردن ببني اسرائيل واختتانهم

قد انبأنا الكتاب (يشوع ف ١) ان الرب امر يشوع بن نون بعد وفاة موسى ان يتشدد ويتشجع وان يقوم فيعبر الاردن هو وجميع الشعب الى الارض التي الرب معطيها لبني اسرائيل من البرية ولبنان الى نهر الفرات جميع ارض الحثيين (طالع عد ٥٦) وافتتح يشوع اعمال قيادته بان ارسل من شطيم حيث كانت محلتهم جاسوسين لينظرا ارض عبر الاردن واريحا فدخلا بيت امرأة بغيّ اسمها راحاب وعرف ملك اريحا بقدومهما وارسل جنداً للقبض عليهما فاخفتهما راحاب وقالت انهما خرجا ولا تدري اين ذهبا واصعدت الرجلين الى السطح

الخوف المستحوذ على قلوب الكنعانيين من مهاجمة بني اسرائيل لهم وسألتهما ان يرأف بنو اسرائيل بها وبأهلها متى تولوا اريحا فواعداها ودلتهما بحبل من الطاق لان بيتها كان في حائط السور ووافقاها على علامة ان تعقد من خيوط القرمز في الطاق التي دلتهما منه فينجو كل من كان في بيتها ابوها وامها واخوتها وجميع بيت ابيها وعادا الى يشوع فحدثاه بجميع ما وقع لهما

فبكر يشوع في الغداة ورحل من شطيم واقبل الى الاردن هو وجميع بني اسرائيل وباتوا هناك قبل ان يعبروا وكلّم يشوع الكهنة قائلاً احملوا تابوت عهد الرب واعبروا امام الشعب فحملوه وساروا امامهم ولما انغمست اقدام الكهنة حاملي التابوت في حاشية المياه والاردن طافح من جميع شطوطه كل ايام الحصاد وقف الماء المنحدر من فوق وقام ندًا واحدًا ممتدًا جدًا وانقطع الماء المنحدر الى بحر الغور (البحر الميت) تمامًا وعبر الشعب قبالة اريحا ووقف الكهنة على اليبس حتى فرغ الشعب كله من عبور الاردن ودعا يشوع بامر الرب اثني عشر رجلاً من كل سبط رجلاً قائلاً ارفعوا من ههنا من وسط الاردن من موقف ارجل الكهنة اثنى عشر حجرًا واعبروا بها وضعوها في المبيت الذي تبيتون به الليلة فرفع كل من الاثني عشر حجرًا على كتفه ووضعوها في مبيتهم لتكون تذكرة لهم ان مياه الاردن انفلقت امام تابوت عهد الرب عند عبورهم الاردن ونصب يشوع اثني عشر حجرًا في وسط الاردن في موقف ارجل الكهنة حاملي التابوت « وهي هناك الى يومنا هذا » ولما صعد الكهنة من وسط الاردن رجعت مياه الاردن الى موضعها وجرت كما كانت تجري قبلاً (يشوع فصل ١ الى ٥)

لا مرآء بان انفلاق مياه الاردن معجزة خارقة نظام الطبيعة كشق البحر الاحمر وغيره من الآيات التي ذكرها الكتاب ولا ينكر امكان صيرورة

المعجزات الا من ينكر ان الله على كل شيء قدير فيخرق نظام الطبيعة او يغيره كلما شاء لانه بادع كل كائن سواه وربه وسنن الطبيعة طوع يده . وقال اوسابيوس (في كتابه في المواضع العبرانية) ان الحجارة التي نصبت تذكرة لهذه الاية استمرت قرونًا في محلها وكان سكان تلك البلاد يدلون الغرباء عليها وجاء في اخبار رحلة السائح الافرنسي من بوردو الذي زار الاماكن المقدسة سنة ٣٣٣ للميلاد « وبقي فوق ذلك الينبوع (وهو الذي حلّى اليشاع ماءه) اثر لبيت راحاب البغي الذي دخله الجاسوسان فاخفتهما ولما سقطت اسوار اريحا استمر هذا البيت سالمًا فهناك كانت اريحا التي دار بنو اسرائيل بتابوت العهد حول اسوارها فتهدمت ولا يظهر من اثارها الا محل تابوت العهد والاثنا عشر حجرًا التي رفعها بنو اسرائيل من الاردن » وجاء ايضًا في كتاب رحلة انطونينوس الشهيد الذي كتب سنة ٥٧٠ او سنة ٦٠٠ ان بيت راحاب بقيت اثاره واقيم معبد للعذراء في محل الغرفة التي اخفت الجاسوسين فيها واما الحجارة التي رفعها بنو اسرائيل من الاردن فهي باقية وراء المذبح في كنيسة كبيرة غير بعيدة عن المدينة

وجاء في الكتاب (يشوع ف ٥) ان الرب قال ليشوع اصنع لك سكاكين من صوان واختن بني اسرائيل لان من خرجوا من مصر كانوا مختونين فيها وماتوا واما جميع الشعب الذين ولدوا في البرية فلم يختتنوا لانهم كانوا رحلاً لا مقر لهم في البرية مدة اربعين سنة فاختتن جميع هولاء . واستعمال السكاكين من صوان مؤذن بقدم الختان وقد مر في كلامنا في ابرهيم ان الله امره ان يختن كل مولود من نسله وابنّا ثمة ان الختان كان عند المصريين قبل ابرهيم فهو منذ العصر الحجري اي مذ كانت الآلات القاطعة تصنع من حجر قبل ان اعتادوا صنعها من حديد وحوفظ على استعمال الآلات الحجرية رعاية وتذكرة

للاصل . وقال بعضهم ان استعمال الصوان اسلم من استعمال الحديد لعدم تهيج محل القطع . وقد وجد الاب ريشار سكاكين من صوان سنة ١٧٧٠ في محلة بني اسرائيل وسنأتي على تفصيل ذلك عند الكلام في مدفن يشوع . وقد صرّح الكتاب بان محلتهم هنالك دعيت الجلجال اذ جاء في سفر يشوع (فصل ٥ عد ٩) « فقال الرب ليشوع اليوم كشفت عار المصريين عنكم فدعي ذلك الموضع الجلجال الى هذا اليوم » ولذلك قال يوسيفوس ان معنى الجلجال الحرية لان بني اسرائيل تحرروا ثمة من عبودية مصر ومشاق البرية . وقال العالم كاران (مجلد ١ في السامرة صفحة ١١٨) ان الجلجال كانت في المحل المسمى الان تل جلجول واستشهد يوسيفوس الذي قال ان الجلجال كانت على بعد خمسين غلوة في غربي الاردن (عبارة عن مسير ساعة ونصف) وعلى بعد عشر غلوات في شرقي اريحا (عبارة عن ١٨٥٠ مترًا) وحقق كاران بالمعاينة ان هذا الموقع هو المسمى الان تل جلجول . وتوجد مواضع اخرى تسمى الجلجال سيأتي ذكرها وهناك صنع بنو اسرائيل الفصح واكلوا من غلة الارض بعد الفصح فطيرًا وفريكاً فانقطع المن منذ اكلوا من غلة الارض

عد ٢١٤

سقوط اسوار اريحا وابسال بني اسرائيل جميع ما كان فيها

كانت اريحا بمنزلة مفتاح لبلاد فلسطين وانبأنا الكتاب (يشوع فصل ٦) انها كانت مغلقة مقفلة من وجه بني اسرائيل لم يكن احد يخرج منها ولا احد يدخلها فامر الرب يشوع ان يطوف رجال الحرب حول المدينة كل يوم مرة وان يحمل سبعة كهنة سبعة ابواق الهتاف امام تابوت العهد وان يطوفوا في اليوم السابع سبع مرات حول المدينة وينفخ الكهنة في الابواق . ففعلوا كذلك وفي اليوم السابع طافوا حول المدينة سبع مرات وفي الاخيرة منها نفخ الكهنة

في الأبواق وهتف الشعب كله هتافًا شديدًا فسقط السور المنيع مكانه فصعد الشعب الى المدينة كل واحد على وجهه واخذوا المدينة وابسلوا كل ما فيها بحد السيف من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير ولم يبقوا الا على راحاب البغي التي آوت الجاسوسين وابيها وامها واخوتها وجميع ما هو لها واقام هولاء بين بني اسرائيل وقتل يشوع ملك اريحا كما صرّح الكتاب في الفصول الاتية كما سترى

واحرق رجال الحرب المدينة وجميع ما فيها بالنار الا الذهب والفضة وانية النحاس والحديد فانهم جعلوها في خزانة بيت الرب . وقد اباحهم الله هـذا القتل والتدمير ليشتد رعبهم على سكان الارض التي جعلهـا لهم ميراثًا فيتيسر لهم امتلاكها عنوة كما فعلوا وقد اشار الكتاب الى ذلك بقوله (يشوع فصل ٦ عد ٢٧) « وكان الرب مع يشوع وذاع خبره في كل الارض » ففر كثير من الكنعانيين من وجه بأسه . وروى بروكوب انه وجد في بلاد المغرب عمودان من حجر ابيض نقش عليهما باللغة الفونيقية ما معناه « انما نحن هم الذين فروا من سطو يشوع بن نون » رواه بوجولا في تاريخ اورشليم (مجلد ١ فصل ٢) وقال حاول بعضهم ان ينكر صحة رواية بروكوب لكنهم لم يقيموا على زعمهم حجةً الا مجرد الانكار لها

قد لعن يشوع اريحا قائلاً « ملعون لدى الرب الرجل الذي ينهض ويبني هذه المدينة اريحا ببكره يؤسسها وباصغر بنيه ينصب ابوابها » (يشوع فصل ٦ عد ٢٦) وقد صدقت نبوته في حيئيل الذي من بيت ايل اريحا فانه شاء تجديد بنائها في ايام احاب ملك اسرائيل ففجع بموت بكره المسمى ابيرام لدى تأسيسها وباصغر بنيه المدعو سجوب لدى اقامة ابوابهـا كما جاء نصًا في سفر الملوك الثالث (فصل ١٦ عد ٣٤) ثم تهدم هـذا البناء . ويظهر ان بعض بني

اسرائيل جددوا بناء هذه المدينة بعد عودهم من الجلاء البابلي لا في محلها القديم بل على مقربة منه نحو الجنوب . وهذه المدينة الحديثة هي التي شرفتها اقدام المخلص مرات . ان كلمة اريحا تحتمل ان تأول بالقمر فان يرحا ܝܪܚܐ السريانية تأويلها القمر والشهر فكأن سكانها الاولين من الكنعانيين كانوا يعبدون القمر وتحتمل ان تأول بالرائحة فان جناتها وورودها كانت شهيرة

﴿ عد ٢١٥ ﴾

محاربة بني اسرائيل اهل العي

ان مدينة العي التي يسميها يوسيفوس عينا وفي الترجمة العربية القديمة غاي كان موقعها في الغربي الشمالي من اريحا وجاء في كتاب اعلام الاماكن الكتابية المطبوع بنفقة اللجنة الانكليزية للبحث في فلسطين انها كانت في المحل المسمى الان تل عيان في الشرقي الجنوبي من بيت اين التي هي بيت ايل القديمة او في الجنوب الشرقي منها على مقربة من دير ديوان . وقال العالم كاران (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ٥٩) ان موقع العي في محل خربة الكـديرة الان وان روبينسون على ما يُظن هو اول من اهتدى الى ذلك وانها في الجنوب الشرقي من بيت اين (بيت ايل) وانه متابع لروبينسون على رأيه . فالى هذه المدينة ارسل يشوع من اريحا قوماً يجسونها فعادوا وقالوا ليشوع لا تكلف كل الشعب الى هنالك فان اهلها قلائل بل يصعد نحو الفي رجل او ثلاثة الاف فصعد نحو ثلاثة الاف رجل فهزمهم رجال العي وقتلوا منهم نحو ستة وثلاثين رجلاً فانذعر الشعب ومزق يشوع ثيابه وسقط على وجهه على الارض قدام تابوت الرب هو وشيوخ اسرائيل يستعطفون الله على شعبه فقال الرب ليشوع قد اجرم اسرائيل باخفائه ما حظر عليه اخذه من غنائم اريحا ورمى القرعة بين الاسباط وعشائر كل سبط وبيوته ورجاله فاخـذ عاكان بن كرمي من

سبط يهوذا فاستنطقه يشوع فقال ، رأيت في الغنيمة رداء بابليا حسنا ومئتي مثقال فضة وسبيكة من ذهب وزنها خمسون مثقالاً فاشتهيتها واخذتها وها هي مدفونة في الارض في وسط خبائي والفضة تحتها ، فارسل يشوع فاخذ ذلك من وسط الخباء وطرحه امام تابوت الرب واخذ عاكان والفضة والرداء والسبيكة وبنيه وبناته وبقره وحميره وغنمه وخباءه واتوا بهم وادي عكور وهو الان وادي كات (كتاب اعلام الاماكن الكتابية) فرجموه بالحجارة واحرقوهم بالنار ورضي الرب عنهم لاقتصاصهم من الجرم الذي اسخطه بمخالفة امره وقد شاء الرب ذلك ليكون عبرة وتذكرة لهم (يشوع ف ٧) ثم سير يشوع ليلاً ثلاثين الف رجل جبابرة بأس ليكمنوا من وراء المدينة وبكر غدوة وصعد هو وشيوخ اسرائيل امام الشعب الى العي فخرج ملكها برجاله لقتالهم فاظهر يشوع وعسكره الانهزام امامهم فتبع اهل العي بني اسرائيل حتى ابعدوا عن المدينة فسدَّد يشوع حربته والعلم عليها فوثب الكامنون على المدينة فدخلوها والقوا النار فيها وخرجوا وراء اهلها فصار القوم في وسط اسرائيل هولاء من هنا واولئك من هنالك فضربوهم حتى لم يبقَ منهم باقٍ ولا شريد وقبضوا على ملك العي حياً وقادوه الى يشوع ورجعوا الى المدينة فقتلوا من بقي فيها فكان جملة من قتلوا من رجل وامرأة اثني عشر الفاً وغنم بنو اسرائيل سلب المدينة بحسب امر الرب وعلّق يشوع ملك العي على خشبة ثم القوا جثته عند مدخل باب المدينة وجعلوا عليه جثوة كبيرة من الحجارة (يشوع فصل ٨) فكان ما عمله يشوع حيلة حربية كثرت امثالها بين المحاربين وارشدهم الله اليها نقمةً من سكان العي الأمرريين وتيسيراً لامتلاك شعبه ارض موعدهم وهو مالك الارقاب الذي يميت ويحيي ويجزي كلاً بما جنت يداه

﴿ عد ٢١٦ ﴾

مسالة بني اسرائيل لسكان جبعون

اما جبعون فهي المسماة الان الجيب او الجب وقال يوسيفوس (تاريخ اليهود ك ٧ فصل ١١) انها بعيدة عن اورشليم نحو خمسين غلوة (الغلوة ثلث مئة الى اربع مئة ذراع) شمالاً وقال كاران (ك ١ في اليهودية صفحة ٣٨٦) ليس من يقيم نكيرًا على ان جبعون هي المسماة الان الجيب وانها بعيـدة عن اورشليم نحو الشمال عشرة كيلومترات اي مسافة نحو ساعتين وان بهآء الدين سماها في ترجمة الملك صلاح الدين في ايام الصليبيين الجيب كما تسمى الان وكذا جاء في كتاب اعلام الاماكن. وقال كامت في معجم الكتاب انها بعيدة عن الجلجال مسافة ثماني ساعات او تسع غربًا . فسكان هذه المدينة سمعوا بما فعله يشوع باريحا وبالعي فاحتالوا بان اخذوا لحميرهم حقائب رثة وزقاق خمر عتيقة مشققة مرقعةً وجعلوا نعالاً مرقعةً في ارجلهم وثيابًا بالية عليهم وجميع خبز زادهم يابسٌ عفنٌ ومضوا الى يشوع في محلة الجلجال وقالوا انـا قادمون من ارض بعيدة على اسم الرب الهكم لاننا سمعنا بخبره وبجميع ما صنع في مصر وبسيحون ملك حشبون وعوج ملك باشان فارسلنا شيوخنا وسكان ارضنا لنقطع لهم عهدًا منكم وهذا خبزنا تزودناه سخنًا من بيوتنا وها هو الان يابس وعفن وهذه زقاق الخمر ملأناها جديدة وها هي مشققة وهذه ثيابنا ونعالنا قد تعتقت ولم تلتمس جماعة اسرائيل مشورة الرب فسالموهم وقطعوا لهم عهدًا وحلفوا لهم انهم يستبقونهم . ولكن سمعوا بعد ثلاثة ايام انهم جيران لهم وساكنون بينهم فاتوا مدنهم وهي جبعون المحكى عنها وكفيرة وهي خربة قفـيرة اليوم على بعد ثمانية اميال في الشمال الغربي من اورشليم على ما في كتاب اعلام الاماكن وعلى ما روى كاران (مجلد ١ في اليهودية صفحـة ٢٨٤) ثم بئروت وهي

البيري الان في شمالي اورشليم وشرقي رام الله كما في كتاب اعلام الاماكن وكما روى كاران (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ٩) وقال انها على بعد نحو ثلث ساعات من اورشليم في الطريق المؤدية منها الى نابلس والناصرة وان التقليد الراجح الصحة يتبين منه ان هذا هو المحل الذي انتبهت فيه العذرآء والقديس يوسف الى تخلف يسوع عنهما ثم قرية يعاريم (اي محل الاشواك) والاظهر انها المسماة الان قرية العنب وقرية ابي غوش على بعد تسعة او عشرة اميال من اورشليم في الطريق المؤدي الى يافا (كما في كتاب اعلام الاماكن وفي كتاب كاران مجلد ١ في اليهودية صفحة ٦٢)

لم يضرب بنو اسرائيل اهل جبعون حرمة للعهد الذي قطعوه لهم ومبرة ليمينهم بالله وجعلهم يشوع والروسآء محتطبي حطب ومستقي مآء لكل الجماعة ولمذبح الرب فاذعنوا لذلك ورعوا الزمام لبني اسرائيل في ما عُينوا له (يشوع فصل ١٠) على ان شاول اهلك جمًا غفيرًا منهم لحسبانه انه يلزمه استئصال بقايا الكنعانيين والجبعونيون من الحويين فانتقم الله لدمهم بمجاعة في ايام داود دامت ثلث سنين وكفَّر داود عنها بتسليمه الى الجبعونيين سبعة من ولد شاول فقتلوهم وقد صرَّح الكتاب بذلك في الفصل الحادي والعشرين من سفر الملوك الثاني . ولم يأتِ الكتاب بعد ذلك بذكرهم بمنزلة فصيلة مستقلة

عد ٢١٧

تألب ملوك الجنوب على يشوع وبني اسرائيل

قال الكتاب (يشوع فصل ١٠) ولما سمع ادونيصادق ملك اورشليم بما فعله يشوع باهل اريحا وملكها واهل العي وملكها وان اهل جبعون سالموا بني اسرائيل واقاموا فيما بينهم فخاف خوفًا شديدًا لان جبعون مدينة عظيمة مثل احدى المدن الملكية وهي اكبر من العي وجميع رجالها جبابرة فارسل ادونيصادق

الى هوهام ملك حبرون وهي الخليل والى فرآم ملـك يرموت وهي المعروفة الان بخربة يرموك على مسافة نحو ثلث ساعات شمالاً من بيت جبرين ويافيع ملك لاكيش « وهي المعروفة الان بخربة ام الاكيس في الغرب الجنوبي من بيت جبرين وفي غربي عجلون الاتي ذكرها » ثم « دبيرملك عجلون » وتعرف الى الان بهذا الاسم وهي في الغربي الصريح من بيت جبرين على مسافة اربع ساعات وتبعد ستة عشر ميلاً عن غزة شمالاً (اعلام الاماكن وكاران في مجلد ٢ في اليهودية) وارسل ملك اورشليم يقول لهولاء الملوك الاربعة هلموا اليَّ وناصروني فنضرب جبعون لانها سالمت يشوع وبني اسرائيل فاجتمعوا ونزلوا على جبعون وحاربوها فاستنجد اهلها بيشوع فزحف عليهم بغتةً سائراً الليل كله من الجلجال فهزم الرب ملوك الاموريين ورجالهم وضربهم ضربة عظيمة في جبعون وتعقبهم يشوع في طريق عقبة بيت حورون (وهي المعروفة اليوم ببيت اور في الغرب الشمالي من الجب (جبعون) وهي محلتان عليا وسفلى واستمر بنو اسرائيل يطاردونهم الى عزيقة لم يتعين الى الان موقعها فهي بين بيت جبرين واورشليم قريبة من خربة الشويكة (١) والى مقيدة وقال اوسابيوس ان هذه المدينة بعيدة ثمانية اميال عن بيت جبرين وفي كتاب اعلام الاماكن

---

(١) ففي كتاب اعلام الاماكن الكتابية ومواقعها ان عزيقة كانت في تل زكريا او في دير العاشق فزكريا هي بين بيت جبرين وبيت الجمال ودير العاشق في وادي سارق وقال كاران (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ٣٣٣) ان عزيقة لابد ان تكون قريبة من سوكو لانهما ذكرتا معاً في ايات عديدة ومنها في سفر الملوك الاول (فصل ٧ عد ١) حيث قيل ان الفلسطيين « نزلوا بين سوكو وعزيقة » حيث صرع داود جليات الجبار ولا مرآء ان سوكو هي خربة الشويكة البعيدة سبعة اميال ونصف عن بيت جبرين الى جهة اورشليم وعزيقة اقرب منها اليها وقد ذكر اوسابيوس والقديس ايرونيموس انها بين بيت جبرين واورشليم وذكر الاب فيكورو (في معجم الكتاب) كل هذه الاقوال وقال ان كلمة عاشق يمكن ان تكون مكسر عزيقة وان كانت بعيدة عن الشويكة

الكتابية انه يحتمل ان كان موقعها في محل قرية المنار الان وقال فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ١٨٦) ويحتمل ان يكون موقعها عند سفح جبل بيت اور قريباً من السهل وبين كان ملوك الاموريين منهزمين من وجه اسرائيل في مهبط بيت حورون (بيت اور) رماهم الرب ببرد كالحجارة فقتل منهم كثيرون وهرب الملوك الخمسة واختبأوا في مغارة بمقيدة فقال لهم يشوع دحرجوا حجارةً كباراً على فم المغارة ووكّلوا عليها قوماً يحفظونها وانتم هلموا على اعقاب اعدائكم واهلكوا ساقتهم ففعلوا كذلك حتى افنوهم ودخل من بقي منهم المدن المحصنة ورجعوا الى يشوع في مقيدة وفتحوا فم المغارة واخرجوا الملوك الخمسة منها وضربهم يشوع وقتلهم وعلقهم على خمس خشبات الى المسآء ثم انزلوهم عن الخشب وطرحوهم في المغارة التي اختبأوا فيها وجعلوا على فم المغارة حجاراً كباراً وفتح يشوع في ذلك اليوم مقيدة وضربها بحد السيف وابسل ملكها وكل الانفس التي فيها

عد ٢١٨

في ايقاف يشوع الشمس والقمر عن مسيرها

جاء في الكتاب انه لما كان بنو اسرائيل يطاردون ملوك الاموريين كلّم يشوع الرب « فقال على مشهد اسرائيل يا شمس قفي على جبعون ويا قمر اثبت على وادي ايالون فوقفت الشمس وثبت القمر الى ان انتقم الشعب من اعدائهم ... فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تمل للمغيب مدة يوم كامل ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده سمع فيه الرب لصوت انسان » (يشوع فصل ١٠ عد ١٢ وما يليه) قال الاب فيكورو (في الموجز الكتابي عد ٤٢٥ وما يليه) ان هنا اربعة مباحث في اي وقت من النهار اوقف يشوع الشمس وكم كانت مدة وقوفها وباية وسيلة صنع الله هذه الاية وكيف يرد ما ورد عليها من الاعتراض وقال

في المبحث الاول ان وقت وقوف الشمس كان عند مغيبها فلا محل لالتماس الاية الا عند مداهمة الليل وكفه بني اسرائيل عن تتبع اعدائهم وقوله في كبد السماء يرادف قوله في السماء ولا يمكن تحقيق مدة وقوف الشمس لان الاية في النص العبراني « ولم تمل (الشمس) للمغيب مدة نحو يوم كامل ولم يكن مثل ذلك اليوم » فهذا النص قيد المدة بنحو يوم كامل ولم يطلقه وليس فيه الكلمات « قبله ولا بعده » فكان ذلك مانعاً من تحقيق المدة ومؤذناً فقط بان الوقت كان طويلاً على ان ميمونيد اليهودي وبعض البروتسطنت وقليلاً من العلماء الكاثوليكيين ايضاً وهموا ان كلام يشوع مجازي وشعري ليس المراد منه الا تمني يشوع طول ذلك النهار ووقوف الشمس لاستئصال بني اسرائيل اعداءهم لا ان النهار طال او الشمس وقفت حقيقة واستمسك اصحاب هذا الراي بقول الكتاب « وذلك مكتوب في سفر المستقيم » قائلين ليس هذا السفر الا نفثات شعرية على ان زعمهم هذا مردود بصراحة آي الكتاب واجماع التقليد على مخالفته

واما باية وسيلة اطال النهار فلا يخلو ان يكون اما بان الله اوقف الكرة الارضية عن دورانها اليومي اما بانه جعل انوار الشمس تضيء بني اسرائيل كلما لزم من الوقت للحاقهم اعداءهم دون ايقاف الارض عن حركتها فيرد على الاول ان وقوف الارض بغتةً عن حركتها ينشأ عنه طبعاً دمار عام في الكائنات الارضية كهدم الابنية ودك الجبال وتشوش كبير في الاجرام السموية وخروج الارض عن نقطة دورانها بتشوش حركة القمر وقد فات المعترضين ان الله الذي هو قادر على ايقاف حركة الارض هو قادر ايضاً على تدارك ما ينتج عنه من النوائل الطبيعية وان حركة الارض السنوية حول الشمس وحركة القمر حول الارض لا علاقة لهما بدوران الارض اليومي على محورها واما

على التفسير الثاني وهو وقوف الشمس ظاهرًا دون ايقاف حركة الارض فلا يعسر على الله وهو على كل شيء قدير ان يتصرف باشعة نور الشمس كما يشآء بانبعاثها او انكسارها لتنير ارض فلسطين فبعد مغيب الشمس نرى انوارها في الافق مدة الشَفَق وقبل بزوغها الى الافق نرى انوارها فيه مدة الفلق فهل يعسر على الله ان يطيل مدة الشفق ساعات عديدة في صقع مخصوص وحينئذٍ يصدق القول ان الشمس واقفة وان النهار طال ولا يتأتى من ذلك دمار في الكائنات الارضية ولا تشوش في الاجرام السموية

فيقول الجاحدون لا اثر في تواريخ القبائل القديمة لوقوف الشمس او لطول نهار اكثر من عادته ولو صدق كلام يشوع لظهر هذا الوقوف في البسيطة كلها فلا يعتد بقولهم اذ لا تاريخ لذلك العصر وليس ما يثبت ان طول النهار عم غير فلسطين فيقولون ايضًا ان حركة الارض او الشمس مخالف لسنن الطبيعة ولكن الا يستطيع باري الطبيعة الذي فرض لها هذه السنن ان يغيرها او يصرف قوتها الى ما شآء وقد تكلم كاتب السفر المقدس في وقوف الشمس بحسب مفهوم القوم في ذلك العصر ولم يكن عليه وهو في معمعة الحرب ان يراعي علم الفلك ويخاطب قومه بما لا يعلمون . فهذا ملخص ما جاء به الاب فيكورو في كتابه المارّ ذكره وقد اطال واجاد بكلامه على هذه الاية في كتابه الاخر الموسوم بالاسفار المقدسة وانتقاد العقليين لها (مجلد ٤ من صفحة ٤٥٩ الى صفحة ٤٨٥) حيث افصح بان نبذ مجمع الفحص المقدس مقالات كليلاي التي اثبت بها دوران الارض حول الشمس لم يكن من العقائد الدينية ولم يثبته احد من الاحبار الاعظمين بمنزلة سنّة في الكنيسة وان القول بان الارض تدور حول الشمس لم يكن حديثًا بل قال به البيتاغوريون لنحو خمسة قرون قبل التاريخ المسيحي وايده نيقولاوس دي كوسا في ايطاليا ولم تنبذه الكنيسة بل

رقّت القائل به الى مقام الكردينالية ثم اثبته نيقولاوس كوبرنيكوس في القرن الخامس عشر قبل كاليلاي وقد فرط من مجمع الفحص نبذ مقالات هذا العالم فالكنيسة الكاثوليكية لا تعتبر كل ما جرى في احدى المجامع الرومانية معصوماً من الضلال بل هذه العصمة لرأسها المنظور متى بت امرًا بمنزلة معلم للكنيسة كلها وامر جميع المؤمنين بتنزيله منزلة عقيدة دينية ولم يأمر احد من الاحبار الاعظمين بشيء من ذلك في شأن مذهب كاليلاي

﴿ عد ٢١٩ ﴾

افتتاح يشوع مدناً اخرى في جنوبي فلسطين

قال الكتاب (يشوع ف ١٠ عد ٢٩) «ثم اجتاز يشوع وجميع اسرائيل معه من مقيدة الى لبنه وحاربها فاسلمها الرب ايضاً الى ايدي اسرائيل هي وملكها ... وقتلوا كل نفس فيها لم يبقوا فيها باقيًا وفعلوا بملكها كما فعلوا بملك اريحا» وموقع لبنه غير معين الى الان ففي اعلام الاماكن الكتابية ان موضعها غير معروف وقد ذكر اسمها بين مقيدة ولاكيش وفي معجم الكتاب لكلمت ان اوسابيوس والقديس ايرونيموس قالا انها كانت في عمل بيت جبرين. واجتاز يشوع من لبنه الى لاكيش (خربة ام الاكيس طالع عد ٢١٧) فافتتحوها في اليوم الثاني وقتلوا كل نفس فيها كما فعلوا بلبنة وصعد هورام ملك جازر لنصرة لاكيش فضربه يشوع هو وقومه حتى لم يبقَ منهم باقيًا. اما جازر ففي اعلام الاماكن الكتابية انها تسمى اليوم تل جازر وهي بعيدة اربعة اميال نحو الغرب من عمواص المسماة قديمًا نيكوبوليس واجتازوا من لاكيش الى عجلون تسمى الان ايضاً بهذا الاسم (طالع عد ٢١٧) وحاربوها وافتتحوها في ذلك اليوم وضربوا اهلها بحد السيف وصعدوا من عجلون الى حبرون (الخليل) وحاربوها وافتتحوها وضربوها بحد السيف هي وملكها ومدنها وكل نفس فيها وعادوا

الى دبير (وسماها الكتاب في محل اخر قرية سفر اي قرية الاسفار او الكتب ورجح كاران انها كانت في المحل المسمى الان خربة سراسير وخربة دويربان في ناحية الخليل وذكر قول العالم وان دي فلد انها كانت في محل خربة الدلبة التي تبعد مسافة ساعتين عن الخليل نحو الجنوب الغربي وضعّف هذا القول) وحاربوها واخذوها هي وملكها وسائر مدنها وضربوهم بحد السيف وضرب يشوع جميع ارض الجبل اي جبل اليهودية والجنوب والسهل والسفوح وقتل ملوكها واستحوذ على جنوب فلسطين كله ولم يبقَ من اهله الا من تحصنوا في الحصون ولم يفتتح اورشليم حينئذٍ وان قتل ملكها

﴿ عد ٢٢٠ ﴾

اعتصاب ملوك شمال فلسطين على بني اسرائيل وتشتيت يشوع شملهم

اخذ الرعب من ملوك الكنعانيين الشماليين كل مأخذ وراعهم ان يسطو يشوع عليهم كما سطا على ملوك الجنوب فعمدوا الى مهاجمة بني اسرائيل قبل دنوهم اليهم واعتصبوا يدًا واحدة وكان مقدام هذه العصبة يابين ملك حاصور فقد جاء في سفر يشوع (فصل ١١ عد ١) ولما سمع يابين ملك حاصور ما فعله يشوع بملوك الجنوب ارسل الى يوباب ملك مادون والى ملك شمرون وملك اكشاف لينا صروه في محاربة بني اسرائيل اما حاصور مدينة رئيس العصبة فالذي في اعلام الاماكن الكتابية انه يرجح انها كانت في جبل حصيره في الجليل قريبة من قادس والذي اعتمده كاران (مجلد ٢ في الجليل صفحة ٣٦٤) مسندًا الى ايات عديدة ذكرت فيها حاصور والى اقوال ليوسيفوس ان هذه المدينة كانت على بحيرة الحولة عند طرفها الشمالي الغربي في المحل المسمى الان تل الحرّاوى وجعلها روبينسون في خربة الخُريبة ودي سولسي في خربة الخان

وكل هذه الاماكن قريبة من بحيرة الحولة . واما مادون فيرجح انها كانت في محل خربة مادين في غربي بحيرة طبرية . وشمرون سمونيه هي الان قرية صغيرة تبعد خمسة اميال عن الناصرة غرباً واكشاف كفر ياسيف الان هي قرية تبعد ستة اميال عن عكاء في الشمال الشرقي منها (عن اعلام الاماكن في اسماء هذه المدن الثلث) ورجح كاران (مجلد ٢ في الجليل صفحة ٢٦٩) ان موقع اكشاف كان في قرية كشاف على بعد كيلومترين من الطيبة في قضاء نابلس

لم يقتصر يابين على دعوة الملوك الانف ذكرهم لمظاهرته لان الكتاب قال (عد ٢) انه ارسل ايضاً « الى الملوك الذين الى الشمال في الجبل وفي الغور جنوبي كنَّروت وفي السهل وفي بقاع غور غرباً والى الكنعانيين شرقاً وغرباً والاموريين والحثيين واليبوسيين في الجبل والحويين تحت حرمون في ارض المصفاة » المتبادر الى الفهم من قوله الى الشمال في الجبل ان المراد الملوك الذين كانوا في لبنان او في اطرافه من جهة مرج عيون وبلاد الشقيف فهي في الشمال من مملكة يابان واما كنَّروت فقال فيها كاران (مجلد ١ في الجليل صفحة ٢١٠) انها كانت في المحل المسمى الان ابوشوشة في جانب بحيرة جناشر التي هي بحيرة طبرية وان اسم كنَّروت في اللاتينية Cenereth جنرات او كنرات على الاصطلاح القديم ليس هو الا اسم كنروت في العبرانية وبهذا الاسم سميت بحيرة جاناشر نسبة الى المدينة القديمة التي كانت في جانب البحيرة وقال القديس ايرونيموس ان هيرودس ملك اليهودية جدَّد هذه المدينة فدعاها طبرية باسم طيباريوس قيصر وقالوا انه اول من سماها به وجاء في التلمود الاورشليمي ان كنَّروت المذكورة في سفر يشوع بن نون هي جاناسر وان اسمها مركب من جنا جنة وسار بمعنى ملك فتأويله جنة الملك او الجنة الملكية لخصب ارضيها

وقد مر في اعلام الحثيين ان سار بمعنى ملك . واما بقاع غور غربًا فيتبادر الى الفهم ان المراد به الجولان فهو في غربي بحيرة طبرية وشماليها . والمراد في الجبل بعد قوله اليابوسيين جبل اليهودية وحرمون جبل الشيخ واما ارض المصفاة فالذي في كتاب الاعلام الكتابية انه يظهر انها البقاع ويؤيده انه جاء بعد ذلك (عد ٨) ان بني اسرائيل ضربوا هولاء الملوك « وتعقبوهم الى صيدون (صيدا) الكبيرة وبقعة المصفاة شرقًا » فخرج هولاء الملوك في خلق كثير وبخيل ومراكب عديدة جدًّا ونزلوا جميعًا على مياه ميروم لمحاربة بني اسرائيل وامر الرب يشوع ان لا يرهبهم فخرج يشوع عليهم بجميع رجال الحرب وانقضوا عليهم بغتة عند مياه ميروم والمراد بها بحيرة الحولة على ما في الاعلام الكتابية وفي كتاب كاران (مجلد ٢ في الجليل صفحة ٤٥٠) ولكن جاء في معجم الكتاب لكلمت ان مياه ميروم هي في ناحية الكرمل قريبة من مجدو (اللجون الان) واسند قوله الى ان الملك يابين وحلفاءه لا يدعون يشوع يتوغل في بلادهم الى بحيرة الحولة فالاوجه ان يقطعوا عليه الطريق عند مضيق مجدو كما فعل ملوك سورية مرارًا بملوك مصر عند غزوهم بلادهم ومهما يكن من امر المكان فقد اسلم الرب يابين وحلفاءه وجيوشهم الى ايدي بني اسرائيل فضربوهم وتعقبوهم غربًا الى صيدا والى مياه سرفوت (وهي صرفند على ما في كتاب الاعلام وقيل انها بحيرة طبرية) وشرقًا الى بقعة المصفاة وهي البقاع كما مر حتى لم يبقَ منها باقٍ وعرقب يشوع خيلهم واحرق مراكبهم بالنار وافتتح حاصور مدينة رئيس العصبة واحرقها وقتل ملكها يابين واستولى على كل تلك المدن وابسل ملوكها بحد السيف وغنم بنو اسرائيل غنائم تلك المدن وقتلوا اهلها وانبسط حكم يشوع من الجبل الاملس الممتد جهة سعير وهو في بلاد الآدوميين الى بعل جاد في بقعة لبنان تحت جبل حرمون وبعل جاد

هي بانياس القريبة من منبع الاردن على ما في كتاب الاعلام الكتابية

﴿ عد ٢٢١ ﴾

﴿ محاربة يشوع بني عناق وتدويخه بلادهم ﴾

عاد يشوع ظافرًا غانمًا من شمالي فلسطين الى جنوبها فحارب بني عناق وقرضهم (يشوع فصل ١١ عد ٢١) وبنو عناق هم ولد عناق بن اربع وبه سميت الخليل في اقدم الاعصر قرية اربع ثم دعيت حبرون في ايام ابرهيم الخليل والان الخليل وجاء في سفر العدد (فصل ١٣ عد ٢٣) وفي سفر يشوع (فصل ١٥ عد ١٤) انه كان لعناق ثلثة بنين وهم شيشاي واحيمان وتلماي فكانوا اباء عشائر دُعيت بني عناق وكانوا جبابرة حتى قال بنو اسرائيل انهم كانوا في اعينهم كالجراد وكانت مواطنهم الخليل وغزة واشدود وغيرها في جنوبي فلسطين وقد قرضهم يشوع من حبرون (الخليل) ودبير (خربة سراسير طالع عد ٢١٩) وعناب هي المسماة الان ايضًا بهذا الاسم تبعد عن دبير ميلين ونصف غربًا على ما في كتاب اعلام الاماكن الكتابية وفي كتاب كاران (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ٣٦٥) وقد سماها خربة عناب الكبيرة . وطردهم يشوع ايضًا من سائر جبل يهوذا ولم يبقَ عناقي في ارض بني اسرائيل الا في غزة الباقية على اسمها وفي جت وهي الان تل الصافي بعيدة خمسة اميال عن بيت جبرين في الطريق المؤدية منها الى اللد على ما في اعلام الاماكن الكتابية او هي ذكرين في الطريق المذكورة واقرب من تل الصافي الى بيت جبرين على ما في كتاب كاران (مجلد ٢ في اليهودية صفحة ١٠٩) ثم في اشدود اسدود الان في ناحية المجدل من متصرفية القدس في شمالي عسقلان . وقد مر في (عد ٢١٩) ان يشوع حارب سكان حبرون ودبير وقتل ملكيهما كما في سفر يشوع (فصل ١٠ عد ٣٦ و ٣٨) ثم ذكر (فصل ١١) ما جاء هنا

فكأنه افتتح حبرون ودبير قبل محاربة يابين كما في الفصل العاشر ثم ذكر قرضه العناقيين منهما ومن باقي مدنهم في الفصل الحادي عشر او ذكر فتحهما استطرادًا مع باقي المدن التي افتتحها مع ان هذا الفتح لم يكن الا بعد انتصاره على يابين وحلفائه في الشمال . وكذا ولي بنو اسرائيل ارض فلسطين في مدة ست سنين او سبع واستفحل امرهم فيها ولكن بقي الكنعانيون في المدن البحرية وفي بعض المدن المحصنة وفي غزة وجت (ذكرين) واشدود وعسقلون وعقرون (عاقر الان) وهي المدن الخمس التي فرَّ اليها بنو عناق وتحصنوا فيها وقد حل فيها بعدًا الفلسطينيون فكانت مراكز اقطابهم واستمر كثير من الكنعانيين في املاك سبط افرائيم وفي الارض التي اعطيها نصف سبط منسا في عبر الاردن وفر كثير منهم الى المدن البحرية وتشتتوا جاليات في الافاق كما مر في مقالة الفونيقيين . وقد عدَّ يشوع (فصل ١٢) الملوك الذين قتلهم بنو اسرائيل فكانوا واحدًا وثلاثين ملكًا منهم سيحون ملك الاموريين وعوج ملك باشان قتلهما موسى وباقيهم وهم تسعة وعشرون ملكًا قتلهم يشوع بن نون وقد مر في عد ٢١٢ ذكر ما كانت عليه حالة هولاء الملوك وان الاثار المصرية اثبتت تقسم فلسطين في تلك الاعصر الى ممالك صغيرة كهذه

عد ٢٢٢

في قسمة ارض فلسطين على بني اسرائيل

قد امر الرب يشوع ان يقسم ما ملكوه من البلاد على بني اسرائيل وان بقي قسم كبير من ارض موعدهم بيد اعدائهم في فلسطين وغيرها وكان موسى قسم في ايامه ما ملكوه في عبر الاردن على بني رأوبين وبني جاد ونصف سبط منسى وكان رجال هولاء تجندوا مع اخوانهم في حروبهم السالف ذكرها بل كانوا في مقدمة جيوشهم كما تعهدوا امام الرب وموسى حين رغبوا اليه

ان يعطيهم ارض عبر الاردن ميراثاً كما مر فاطلقهم يشوع بعد حروبه فعادوا الى ارضهم واهلهم اما نصيب سبط رآوبين فكان في شرقي البحر الميت وكان من مدنهم عروعير (عراعير الان) وميدبا (وتعرف اليوم ايضاً بهذا الاسم) وحشبون (حسبان الان) الى غيرها من المدن والسهول وكانت هذه البلاد مملكة سيحون ملك الاموريين وكانت قبله بلاد الموابيين وهي الان في ولاية البلقاء . وكان نصيب بني جاد في شمالي نصيب رآوبين ومن مدنه جلعاد وهي السلط ويعزير وهي بيت زرعه الان وربة او ربة عمون وهي عمان الان ودعيت في زمان اليونانيين فيلادلفيا ويمتد هذا النصيب على عدوة الاردن الذي هو تخم له الى طرف بحر كنارت وهو بحيرة طبرية وكانت هذه البلاد بلاد العمونيين وكان قد استحوذ سيحون على بعضها وعوج على بعضها الاخر . واما نصيب نصف سبط منسى فكان في شمالي نصيب جاد وهو جميع السهول الواقعة على عدوة الاردن الشرقية بين بحيرة طبرية جنوباً وبحيرة الحولة شمالاً حيث الجولان الان وكان من مدنهم ادرعى اذرعات الان وعشتاروت والراجح انها تل عشترة في الجولان وهذه البلاد كانت مملكة عوج ملك باشان فهذه البلاد هي التي قسمها موسى على سبطي رأوبين وجاد ونصف سبط منسى وكلها في عبر الاردن شرقاً

وبعد ان استراح يشوع من حروبه اجتمع هو والعازر رئيس الاحبار ورؤساء الاسباط وقسموا الارض التي ملكوها في غربي الاردن بالقرعة وبعد ان افرزوا انصبة سبطي يهوذا وافرائيم ونصف سبط منسى وبقي سبعة الاسباط متقاعدين عن امتلاك ارضهم فامرهم يشوع ان ياخذوا من كل سبط ثلاثة رجال يسيرون في الارض ويخططونها ويقسمونها سبعة اقسام وان يعودوا اليه فيلقي القرعة امام الرب فيمتلك كل منهم ما اصابه ففعلوا فكان نصيب كل من

الاسباط بعد هذه القرعة كما يأتي . فكانت تخوم سبط يهودا شرقاً البحر الميت وغرباً نصيب شمعون وجنوباً البرية وتخوم مصر وشمالاً نصيب سبط بنيامين في اورشليم وما جاورها ونصيب سبط دان فكان في هذا السهم ناحية الخليل وما في جوارها . واصاب سبط شمعون ما يتاخمه غرباً البحر المتوسط وشرقاً نصيب بني يهوذا وجنوباً تخوم مصر وشمالاً نصيب بني يهوذا وما كان باقياً في يد بني عناق غزة وما جاورها ومن مدنه بئر سبع رمل الشريعة . واصاب سبط بنيامين اورشليم وما جاورها شرقاً الى نهر الاردن وغرباً الى قرية يعريم (ابي غوش الان) وتخوم سبط دان وجنوباً نصيب سبط يهوذا وشمالاً نصيب سبط افرائيم ومن مدنه اورشليم واريحا وجبعة . واصاب سبط دان ما تخومه غرباً البحر المتوسط وشرقاً املاك سبط بنيامين وشمالاً نصيب بني افرائيم وجنوباً نصيب بني يهوذا فكان نصيبا بنيامين ودان متحاذيين شرقياً وغربياً الاول في الجبل وفيه اورشليم الى الاردن والثاني في غربيه وفيه يافا واللد وصرعة . واصاب سبط افرائيم ما يحده شرقاً نهر الاردن من تخم بنيامين الى تخم منسى وغرباً البحر المتوسط على تخم دان وجنوباً املاك دان وبنيامين وشمالاً املاك نصف سبط منسى وفي هذا النصيب نابلس الان وسبسطة وهي السامرة وكفرسابا الى غيرها . واصاب نصف سبط منسى ما يتاخمه شرقاً نهر الاردن بين تخمي افرائيم ويساكر وغرباً البحر المتوسط الى جبل الكرمل وجنوباً املاك بني افرائيم وشمالاً نصيبا زابلون ويساكر ومن مدنه قيسارية فلسطين وعتلت ودورا وهي الطنطورة الان . واصاب سبط يساكر ما يحده شرقاً نهر الاردن بين تخمي منسى وزابلون وغرباً املاك زابلون ومنسى وشمالاً نصيب منسى وجنوباً نصيب منسى وجنوباً نصيب زابلون وكان في هذا النصيب جانب كبير من مرج بن عامر وناحية جنين وجلبون وهي جلبوع القديمة ونورس ونين وهي

نائين القديمة . واصاب سبط زابلون ما يحده شرقاً نهر الاردن وبحيرة طبرية وغرباً البحر المتوسط في جهة حيفا وشمالاً نصيب سبط نفتالي واشير وجنوباً املاك سبطي يساكر ومنسى . ومن مدن هذا السهم طبرية والناصرة وما بينهما وفي جوارهما من المدن . واصاب سبط اشير ما يحده غرباً البحر المتوسط في جهة صيدا وصور وعكا وشرقاً سهم سبط نفتالي وشمالاً بلاد الشقيف واقليم الشومر وجنوباً سهم زابلون وكان في سهم اشير الجانب الاكبر من بلاد بشاره الان وبعض الشومر والشقيف وبعض سنجق عكا . واصاب سبط نفتالي ما يحاذي سبط اشير شرقاً فكان لاشير البلاد الساحلية ولنفتالي البلاد الجبلية فكانت حدود نصيبه سهم اشير غرباً ونهر الاردن من بحيرة طبرية الى بحيرة الحولة شرقاً وناحية مرج عيون وبعض الشقيف شمالاً وسهم زابلون جنوباً ومن مدنه صفد وقدس وهي قادس القديمة والجش والجرمق وناحية الشاغور وسوف نعلق في آخر هذا الجلد خريطة سورية وفي جانبها خريطة هذه الاسهم ان شاء الله ولم يعطَ بنو لاوي سهماً معيناً بل اعطوا ثمانياً واربعين مدينة او قرية مشتتة في انصبة اسباط اسرائيل ليقيموا بخدمة الرب بينهم ومنها ست مدن الملجأ حتى يهرب اليها كل قاتل نفساً سهواً بغير عمد وكانت هذه المدن الست ثلث في عبر الاردن وهي باصر (بصر الحريري) في سبط رآوبين وراموت جلعاد (السلط) في سبط جاد . وجولان في باشان في سبط منسى (طالع عد ٢٠٩) وثلث في غربي الاردن وهي قادش في الجليل في نصيب نفتالي في غربي بحيرة الحولة على ما في احد الاماكن كما مر آنفاً ثم شكيم في جبل افرايم وهي نابلس الآن ثم حبرون في جبل يهوذا [illegible] وقد تقدم كالب بن يوفنا الى يشوع واذا طلب ان يعطى جبل حبرون كما وعده موسى بعد عوده من تجسس ارض الموعد فاعطيه فطرد بني عناق من هناك وصعد الى دبير

(سراسير) ووعد من يأخذها ان يعطيه ابنته عكسة زوجةً فافتتحها ابن اخيه فانجز وعده له (يشوع فصل ١٥) على ان ما اعطيه كالب انما هو صحراء حبرون وقراها واما المدينة فاعطيها بنو هرون كما هو مصرّح في سفر يشوع (فصل ٢١ عد ١٢) ووقع تخم بني دان الذي كان في جهة يافا ضيقاً عليهم فصعدوا وحاربوا لاشم وضربوا اهلها بحد السيف وسكن بعضهم فيها وسموها لاشم دان باسم دان ابيهم وتسمى لايش ودان وموقعها في محل تل القاضي حيث ينابيع الاردن تبعد ميلين غرباً عن بانياس (كتاب اعلام الاماكن الكتابية وكاران مجلد ٢ في الجليل صفحة ٣٣٨)

وبعد الفراغ من قسمة الارض اعطى بنو اسرائيل يشوع بامر الرب المدينة التي طلبها وهي تمنة سارح في جبل افرائيم فبنى المدينة واقام فيها بين بني افرائيم لانه من سبطهم (يشوع فصل ١٩) وتمنة سارح هي المحل المعروف الان بخربة تبنة في جبال افرائيم تبعد نحو ساعتين ونصف نحو الشمال الغربي من جفنة وسنجيء على ذكر هذا المحل عند الكلام في مدفن يشوع

عد ٢٢٣

في نصب خباء المحضر في شيلو

جاء في سفر يشوع (فصل ١٨ عد ١) «والتأمت كل جماعة بني اسرائيل في شيلو ونصبوا هناك خباء المحضر واخضعت الارض بين ايديهم» وشيلو هذه تسمى الان خربة سيلون وقال اوسابيوس انها بعيدة اثني عشر ميلاً عن نابلس جنوباً وقال القديس ايرونيموس انها تبعد عنها عشرة اميال فقط ورجح كاران قول اوسابيوس . وهي في شمال بيت ايل (بيت اين) وفي شرقي الطريق المؤدي من بيت اين الى نابلس (كاران مجلد ٢ في السامرة صفحة ٢٤) وقال الاب فيكورو (الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة

١٨٩) ان روبينسون الجوالة الامركي هو اول من اهتدى الى موقعها سنة ١٨٣٨ وان تعيين موقعها في سيلون لا مرية فيه . فهناك اقيم خبآء المحضر ووضع فيه تابوت العهد واستمر ثمة الى ان اخذه الفلسطينيون في زمان عالي الكاهن كما سترى . وقال علماء اليهود ان تابوت العهد بقي في شيلو ٣٦٩ سنة فكان هناك المركز الديني لبني اسرائيل كما كانت اورشليم بعدًا ولما بنى بنو رآوبين وجاد ونصف سبط منسى مذبحًا للرب في عبر الاردن قلق منهم بنو اسرائيل وهمّوا بقتالهم ثم اكتفوا بان يرسلوا اليهم فنحاس بن اليعازر الكاهن ومعه عشرة روساء لينذروهم بالانكفاف عن هذه المعصية فاذعنوا واعتذروا بانهم لم يقدموا على ذلك الا ليكون لهم مذبح للرب كاخوانهم في غربي الاردن (يشوع ف ٢٢) وفي سيلون الان اطلال على اكمة يستدل منها انه كان هناك خبآء المحضر حتى حملت رؤية هذه الاطلال اللجنة الانكليزية التي تفحصت عن آثار فلسطين سنة ١٨٧٨ على القطع بانه هناك كان بيت الرب حقبة طويلة اذ بنوا اسافله بالحجارة وظللوا اعاليه بالخبآء (كوندر في كتابه في اعمال هذه اللجنة مجلد ١ صفحة ٨٣) وقال الاب فيكورو (في المحل المذكور انفًا) بعد ان روى ما مر ان كل من زار هذه الاماكن كما زارها هو سنة ١٨٨٨ قطع ولا ريب بانه هناك كان خبآء المحضر لا سيما ان عند سفح هذه الاكمة سهلاً فسيحاً يتساوي الشكل يتيسر للشعب كله ان يرى منه خبآء الرب

﴿ عد ٢٢٤ ﴾

وفاة يشوع بن نون ومدفنه

قد شاخ يشوع وطعن في السن فاستدعى اليه جميع بني اسرائيل وشيوخهم وروساءهم وقضاتهم وعرفاءهم وذكّرهم بما صنع الرب الى ابائهم واليهم وحرصهم ليحفظوا كل ما كتب في توراة موسى ولا يعدلوا عنه يمنة ولا يسرة ويتنكبوا

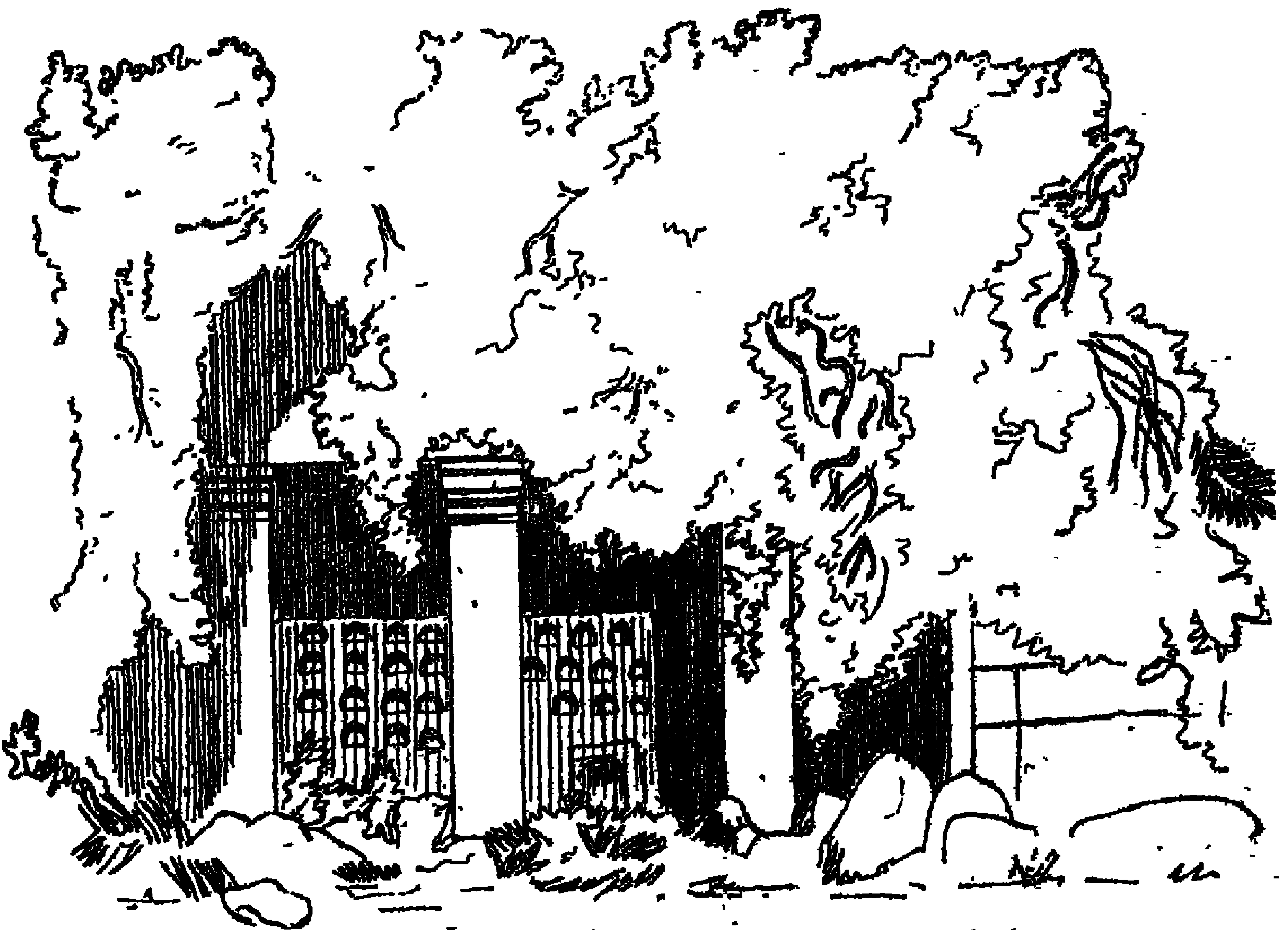
الاختلاط مع الامم ويمتزلوا مصاهرتهم وقال ان عملتم بذلك هزم الواحد منكم الفاً وان اختلطتم ببقية هولاء الامم كانوا لكم وهقاً ومعثرة وسوطاً على جنوبكم وشوكاً في عيونكم فاجاب الشعب وقالوا حاشَ لنا ان نترك الرب ونعبد الهة غريبة واذعنوا لما اوصاهم به فقطع يشوع عهدًا للشعب في ذلك اليوم وكتب هذا الكلام في سفر توراة الله واخذ حجرًا كبيرًا واقامه هنالك تحت البلوطة التي عند مقدس الرب وقال هذا الحجر يكون شاهدًا عليكم لئلا تجحدوا الحكم وصرف الشعب كل واحد الى ملكه . ومات يشوع بعد ذلك وهو ابن مئة وعشر سنين فدفنوه في ارض ميراثه في تمنة سارح التي في جبل افرائيم الى شمال جبل جاعش (يشوع فصل ٢٣ و ٢٤) ولا اشكال في ان الايات الاخيرة من سفر يشوع المنبئة بموته ودفنه هي لكاتب قديم غيره . وان صدق قول يوسيفوس الذي رويناه في عد ٢١٢ ان يشوع كان عمره يوم ولي قيادة اسرائيل خمساً وثمانين سنة وقد مات وعمره مئة وعشر سنين فتكون مدة قيادته خمساً وعشرين سنة وعلى هذا اكثر العلماء . وان ظهر من جداول كامت المعلقة في فاتحة معجم الكتاب ان مدة قيادته لم تكن الا السبع السنين التي افتتح فيها فلسطين

قد مرَّ انفًا ان تمنة سارح كان موقعها في المحل المسمى الآن تبنة او تبنى في جنوبي نابلس وقد كشف فيها العالم كاران عن مدفن يشوع بن نون في ٣١ آب سنة ١٨٦٣ ثم شخص الى هذا المحل ثانية سنة ١٨٧٠ فازداد تيقنًا بذلك وتابعه على رأيه العالم دي سولسي الذي تعهد هذا المحل بعد اشهر من زيارة كاران له سنة ١٨٦٣ ثم الاب ريشار الذي جال في فلسطين في شهري ايار وحزيران سنة ١٨٧٠ والذي حمل هولاء جميعًا على القطع بان قبر يشوع بن نون هنالك انما هو الحجج الآتية . اولاً ان الكتاب صرّح بان يشوع دفن في

ثمنة سارح كما روينا عن سفر يشوع (فصل ٢٤ عد ٣٠) وجاء في سفر القضاة (فصل ٢ عد ٩) انه دفن « في ثمنة حارس في جبل افرائيم الى شمال جبل جاعش » وقد حققت التقليدات القديمة وظروف المحل وقرائن الحال ان ثمنة القديمة كانت في محل تبنة الان ويؤيد ذلك تقارب الحروف في اسمي ثمنة وتبنة وابدال الميم بالباء مستفاض في اعلام كثيرة وقلب الحروف كما في سارح وحارس ليس بنادر ايضاً . ثانياً ان كاران كشف ثمة عن مقبرة فيها ثمانية مدافن يمتاز احدها عن باقيها بزيادة اتقانه وباقامة رواق امامه وكل ما فيه دالٌّ على قدمه وفي الرواق ثقوب معدة لوضع المصابيح فيها وقت حفلة او زيارة حتى يقضي كل ناظر دون تلوم ان هناك مدفن رجل كريم كبير في قومه وان المدافن التي في جانبه انما هي مدافن بعض اسرته وقد انبأنا الكتاب انه هناك اقام يشوع ومات ودفن فاذًا هذا المدفن مدفنه ويؤيده ان في جنوبه جبلاً قضى العلماء المشار اليهم انه الجبل الذي سماه الكتاب جاعش وقال ان يشوع دفن الى شماله . ثالثًا ان الاب ريشار المار ذكره وجد في محلة الجلجال كثيرًا من السكاكين الصوانية التي ختن بها يشوع بني اسرائيل هناك (طالع عد ٢١٤) ثم مضى الى مدفن تبنة بعد ان اعلمه كاران امره نبحث ووجد كثيرًا من هذه السكاكين الصوانية في المدفن وفي ما جاوره وفي النسخة السبعينية كلام خلا عنه النص العبراني والترجمة اللاتينية العامية وهو (بعد قوله فبنى المدينة واقام فيها) « واخذ سكاكين الحجر التي ختن بها بنو اسرائيل الذين كانوا ولدوا في مدة عبورهم البرية ووضعها في ثمنة سارح » وزادت عند كلامها في دفنه « ووضعوا هناك في القبر حيث دفنوه سكاكين الحجر التي ختن بها بني اسرائيل في الجلجال عند ما اقتادهم من مصر واتموا بذلك وصية الرب وهذه السكاكين باقية هناك الى اليوم » وقد كتب الاب ريشار من بيروت في ٢٠

حزيران سنة ١٨٧٠ رسالة الى احد اصدقائه اذاعتها المجلة العلمية المسماة les Mondes (العوالم) افصح فيها بانه وجد بعض هذه السكاكين في الجلجال ثم في مدفن يشوع وجواره وحقق ان هناك قبر يشوع بلا مرية . ثم شخص الاب ريشار في ٥ آب سنة ١٨٧٢ الى اديمبورك فخطب في مجلس المجمع العلمي الذي كان حينئذٍ ملتئماً في هذه المدينة وارى المجتمعين السكاكين الصوانية التي لقيها في الجلجال وفي مدفن يشوع وغيره مثبتاً ان ذلك دليل صرّاح على ان ذلك المدفن انما هو مدفن يشوع بن نون وقال تزيد ذلك بياناً شهادة الترجمة السبعينية بان سكاكين الحجر التي صُنعت في الجلجال وضع قسم منها في مدفن يشوع وقد وجدناه الان وها هو . ثم اتى الاب ريشار في اخر الشهر المذكور الى باريس وعرض هذه السكاكين على منظر جمعية العلوم فيها فكان لذلك احسن وقع في اذهان علمائها . وقد اختتم العالم كاران كلامه في هذا المدفن بقوله (مجلد ٢ في السامرة صفحة ١٠٤) . لا ارى بعد وجدان هذه السكاكين العديدة سبيلاً الى الامتراء في ان هنالك حقاً قبر يشوع بن نون وقد تابع الاب فيكورو العالم كاران على رأيه ذاكرًا جل كلامه (مجلد ٣ في الكتاب والاكتشافات الحديثة صفحة ١٩١) والرسم المعلق هنا يريك هيئة هذا المدفن الان





صورة مدفن يشوع بن نون في تبنة صفحة ٢١٦

الفصل العاشر

(في قضاة بني اسرائيل بعد يشوع)

عد ٢٢٥

في سفر القضاة

لما كان كلامنا في هذا الفصل على ما تضمنه سفر القضاة تحتم علينا ان نبين متى دُوّن هذا السفر ومن كتبه وخلاصة ما حواه . ان الظاهر من اختتامه بموت شمشون انه لم يكتب قبل انتصار صموئيل على اعداء شعب الله كما في سفر الملوك الاول (ف ٧) ثم قد ورد في سفر القضاة مرات هذا القول « ولم يكن في تلك الايام ملك لاسرائيل » وهذا مشعر بان هذا السفر كتب بعد ارتقاء شاول الى منصة الملك في اسرائيل وقد صُرّح فيه (ف ١ ع ٢١) ان اليابوسيين كانوا مقيمين في اورشليم مع بني بنيامين الى هذا اليوم وهذا دال على ان هذا السفر كتب قبل عهد داود اذ جاء في سفر الملوك الثاني (ف ٥ عد ٦ و ٧) ان داود هو الذي طرد اليبوسيين من اورشليم واقام سدّة ملكه فيها فالحاصل من كل ذلك ان هذا السفر كتب بعد موت شمشون وقبل ارتقاء داود منصة الملك وقد عزاه علماء التلمود الى صموئيل وهذا لا يبعد عن الصواب وينطبق خير انطباق على ما ذكرناه انفًا وان لم يمكن القطع به مطلقًا ولم يرتب احد من العلماء القدماء في قدم سفر القضاة ولم يأبَ العقليون انفسهم التسليم بانه عريق في القدم بل اثبتوا انه اول اسفار العهد القديم ونزّلوه منزلة سفر التكوين عندنا وان ندّدوا ببعض ما حواه كما سترى في كلامنا الاتي

واما ما حواه هذا السفر فمقدمة ابان فيها الكاتب حالة بني اسرائيل ...

وفاة يشوع بن نون واهتمام بعضهم بمحاربة من بقي بينهم من الكنعانيين تكملة لامتلاكهم ارض موعدهم وتقاعد بعضهم عن طرد اعدائهم وضربهم الجزية على من دان لهم منهم ثم تقلبهم في امر دينهم فاذا استراحوا بطروا ولووا عن الرب الههم الى الهة الامم وعبدوها واذا ضايقهم اعداؤهم تابوا الى الله فاقام لهم مخلصاً سموه قاضياً او حاكماً فيهم ولم يكن لهم مركز لانضمام كلمتهم بل كانوا كعشائر البدو في ايامنا وهذه المقدمة ينطوي عليها الفصلان الاول والثاني ثم اخذ الكاتب من الفصل الثالث الى الفصل السابع عشر يروي لنا اخبار هؤلاء القضاة وما كان من اعمالهم فذكر منهم اثني عشر او ثلثة عشر قاضياً اذا حسبنا بينهم ابيملك الذي سينجلي لك ما كان من امره وهم عتنيئيل واهود وشمجر ودابورة مع باراق وجدعون وابيملك وتولع وياثر ويفتاح وابصان وايلون وعبدون وشمشون وقص كاتب السفر اخبار بعضهم واجتزأ بذكر اسماء بعضهم ومدة ولايتهم . ثم علّق على سفره في الفصلين السابع عشر والثامن عشر ذيلاً ذكر فيه خبر ميخا الذي صنع صنماً مسبوكاً وسجد له واقام له كاهناً ثم اخذه منه بنو دان عند استيلائهم على لايش (دان وهي الان تل القاضي) ونصبوه هناك وعبدوه وروى في الفصول الثلاثة الاخيرة خبر الرجل اللاوي الذي مر في جبع بنيامين مع امرأته فاماتها اهل هذه المدينة باعمالهم الفاحشة ومحاربة بني اسرائيل لبني بنيامين واهلاك السواد الاعظم منهم فهذه خلاصة هذا السفر وسترى تفصيلها

عد ٢٢٦

في مدة قضاة بني اسرائيل

ان في تعيين مدة هؤلاء القضاة عقبات ومشاكل يعتاص الاهتداء الى وجه حلها لانه اذا حُسبت السنون التي ذكرها الكتاب لكلٍ منهم ومدة

مضايقتهم منذ تعبدهم لكوشان رشعتائيم ملك ارام النهرين الى وفاة شمشون كان مجموع هذه السنين اربع مئة وعشر سنين واذا أُضيف اليها مدة ولاية عالي وهي اربعون سنة على ما في سفر الملوك الاول (فصل ٤ عد ١٨) وأُهمل حسبان مدة صموئيل كان مجموع سني هولاء القضاة اربع مئة وخمسين سنة على اننا نرى في سفر الملوك الثالث (فصل ٦ عد ١) ان سليمان شرع ببناء الهيكل في السنة الاربع مئة والثمانين لخروج بني اسرائيل من مصر ويلزم ان يضاف الى سني القضاة مدة ملك شاول وهي اربعون سنة ومدة ملك داود وهي اربعون سنة ايضًا ومدة اربع سنين من ملك سليمان فيكون مجموع السنين من ولاية القضاة الى بناء الهيكل خمس مئة واربع وثلاثين سنة ويلزم ان يضاف الى هذا العدد مدة اقامة بني اسرائيل في البرية وهي اربعون سنة ومدة ولاية يشوع وهي خمس وعشرون سنة كما مرّ فيكون المجموع خمس مئة وتسع وتسعين سنة وهذا مخالف لما في سفر الملوك ولذلك توفرت الاقوال وتضاربت واصحها ان هولاء القضاة كان احيانًا اثنان او ثلاثة منهم في وقت واحد وقد جاء في سفر القضاة نفسه (فصل ١١ عد ٢٦) التصريح بانه انقضى على بني اسرائيل منذ بلوغهم شرقي الاردن الى زمان يفتاح ثلاث مئة سنة وعليه وضع الاب فيكورو (في الموجز الكتابي عد ٤٤٩) لتوفيق هذا الخلاف الجدول الاتي

سنة	
٤٠	مدة اقامة بني اسرائيل في البرية
٣٠٠	من ولاية يشوع الى يفتاح
٦	يفتاح
٧	ابصان
١٠	ايلون

سنــــة

٨	عبدون
٢٥	من عبدون الى ارتقاء شاول عرش الملك
٤٠	شاول
٤٠	داود
٤	سليمان
٤٨٠	المجموع

والذي اراه بخامد فكرتي على سبيل استخراج العدد غير المعلوم من المعلوم ان نراعي عدد السنين المنصوص عليه ولا يحتمل اللبس لنستخرج منــه مدة سني القضاة الحاصل الاشكال فيها من قبيل ان كان بعضهم مع غيره في وقت واحد او كان احدهم في شرقي الاردن والاخر في غربيه فاليك الجدول الاتي

سنــــة

٤٨٠	المدة من الخروج الى بناء الهيكل (ملوك ٣ ف ٦ ع ١)
٤٠	مدة اقامة بني اسرائيل في البرية كما في آيات عديدة
٢٥	» قيادة يشوع (يوسيفوس كـ ٥ من تاريخ اليهود فصل ١)
٤٠	» ملك شاول (اعمال الرسل فصل ١٣ عد ٢١)
٤٠	» ملك داود (ملوك ٢ فصل ٥ عد ٤)
٤	من مدة ملك سليمان (ملوك ٣ فصل ٦ عد ١)
٣٣١	فتكون مدة القضاة
٤٨٠	

ويرجح ان ابصان وايلون وعبدون كانوا يلون شرقي الاردن في مدة ولاية

عالي وصموئيل وسطو شمشون في غربيه طالع جدولاً اخر سنثبته عد ٣٨١. قال فرنسيس لانرمان في تاريخه القديم للمشرق (مجلد ٦ صفحة ٢٠٨) ما ملخصه لا يطمعنّ احد بانه يستطيع ان يعين بالدقة تاريخ الاحداث وسني كلٍّ من القضاة التي جاء ذكرها في سفر القضاة فمن جدَّ من العلماء في هذا التعيين اضاع تعبه ووقته وحالت مشاكل دون مرامه ففي اسفار الملوك اعداد تخالف اعداد السنين في تعيين مدة القضاة ويوسيفوس المؤرخ اليهودي والراوي الامين لتقليد امته لم يثبت على قول في تعيين مدة القضاة بل قال فيه ثلاثة اقوال يخالف احدها الاخر على ان تقدم علم التاريخ بما ظهر من الاثار المصرية يبيحنا ان نعلل النفس بأمل ان يتهيأ لنا في وقت قريب تعيين زمان مؤكد للخروج بمعارضة تواريخ مصر بما جاء في الكتاب ويضطر كل عالم الان ان يقر بانه يلزم ان يطرح من عداد السنين التي انقضت بين خروج بني اسرائيل من مصر واقامة ملك فيهم اكثر مما جاء في كل التقاويم التي اذيعت حتى الان

﴿ عد ٢٢٧ ﴾

في محاربة بني يهوذا وشمعون وبنيّ يوسف بعض الكنعانيين

جاء في سفر القضاة (ف ١) ان بني اسرائيل سألوا الرب بعد وفاة يشوع قائلين من منا يصعد في مقدمتنا لمحاربة الكنعانيين فقال الرب يهوذا يصعد لاني الى يده قد اسلمت الارض لان الله اراد ان يكون ملوك اسرائيل من هذا السبط وان يكون منه المخلص واتفق بنو يهوذا وبنو شمعون على مقاتلة الكنعانيين الذين في ارض نصيبهم وقصدوا اولاً بازق التي روى لانرمان انه لا يمكن تعيين موقعها ولكن يلزم ان يكون بين اورشليم والاردن على انه جاء في كتاب اعلام الاماكن الكتابية انه يحتمل ان يكون في موضع خربة بزقة على بعد ستة اميال في الجنوب الشرقي من اللد وروى يوسيفوس (في تاريخ اليهود

ك ٥ ف ٢) ان الكنعانيين املوا الانتصار على بني اسرائيل بعد وفاة يشوع فجمعوا عسكرًا عفيرًا في جانب مدينة بازق وامّروا عليه ملكها المسمى ادوناي بازق اي سيد بازق او واليها لان تأويل ادوناي بالعبرانية السيد او المتسلط فاستظهر عليهم بنو اسرائيل وقتلوا منهم عشرة الاف رجل وشتتوا شمل الباقين وادركوا ادوناي بازق وقطعوا اباهيم يديه ورجليه وعلى رواية يوسيفوس انهم قطعوا يديه ورجليه فكان ما جرى عليه نقمةً من الله فقد اعترف انه صنع كذلك مع سبعين ملكًا كانوا يلتقطون الخبز تحت مائدته فعاقبه الله كما جنى واتوا به الى معسكرهم الحال قريبًا من اورشليم فمات هناك

وحارب بنو يهوذا اورشليم وافتتحوها ولكن روى يوسيفوس انهم افتتحوا المدينة السفلى وقتلوا اهاها واحرقوها بالنار وكانت المدينة العليا محصنّة فلم يفتتحوها لكن النص صريح بانهم افتتحوا اورشليم فيطلق على كلها ولذلك قال بعضهم انهم افتتحوها فلم يتمكنوا من حفظها بل عاد اليبوسيون اليها او لم يطردوهم منها فلبثوا فيها مع بني بنيامين كما جاء في عد ٢١ من الفصل الاول نفسه من سفر القضاة ومهما يكن فقد استمر اليبوسيون في اورشليم الى ان افتتحها داود

وحارب بنو يهوذا حبرون ايضًا (الخليل) فاستولوا عليها وضربوا بني عناق فيها وسلموها الى كالب ابن يوفنا كما وعده موسى وكما طلب هو من يشوع وقد مرّ (في عد ٢٢٢) ان كالب بن يوفنا هو الذي افتتح حبرون ودبير ولا بد ان كان مع آله بني يهوذا فذكر سفر القضاة هنا لهذا الفتح اعادة لما جاء ذكره في سفر يشوع كما يتبين من ان قرائن الخبر في السفرين واحدة . ثم انطلق بنو يهوذا مع بني شمعون الى صفات فاخذوها وضربوا اهلها بالسيف وسموها حرمة اي المحرمة ولا يمكن القطع بموقع صفات فكتاب اعلام

الاماكن لم يعين موقعها بل اورد فيه عدة احتمالات وكاران لم يذكرها بالخصوص بل ذكر شيئاً عند كلامه في مريشه في وادي صفاته الذي رأى بعضهم ان صفات كانت على جانبه فقال ما ملخصه ان مريشة هي خربة مراش الان وقد جاء ذكرها مع وادي صفاته في سفر اخبار الايام الثاني (فصل ١٤ عد ٩) حيث قيل « فخرج عليهم اي على بني يهوذا زارح الكوشي ... فخرج آسا عليه وتصافا للحرب في وادي صفاته مريشة » وقال ان مريشة خربة مراش تبعد ميلين عن بيت جبرين نحو الجنوب وان روبنسيون جنح الى جعل موقع صفاته في محل تل الصافي الان التي تبعد مسافة نحو ثلث ساعات عن خربة مراش فان صح ان صفات كانت على جانب وادي صفاته فيكون موقعها في ناحية بيت جبرين ثم افتتح بنو يهوذا غزة وتخومها واشقلون (عسقلان) وتخومها وعقرون (عاقر) وتخومها وسائر مدن الجبل واما مدن الساحل فلم يفتتحوها اذ كان لاهلها مركبات من حديد تحول دون الدنو منها

ثم صعد بنو يوسف اي سبط افرائيم ونصف سبط منسى او سبط افرائيم وحده على ما روى يوسيفوس فحاصروا بيت ايل (بيت اين الان) الى ان دلهم رجل خارج منها على مدخل اليها فافتتحوها وضربوا اهلها بالسيف واستبقوا الرجل وعشيرته وكان اسمها قبلاً لوز فانطلق ذلك الرجل الى ارض الحثيين وبنى مدينة وسماها لوز (طالع ما ذكرناه في عد ٥٦ في اسم هذه المدينة وموقعها) واما باقي الاسباط فلم تهزهم الحمية او لم تساعدهم القوة على طرد الكنعانيين كما اوصاهم موسى ويشوع فاستمروا في المدن الساحلية كعكاء وصيداء وغيرها وفي بعض المدن الجبلية وحيث تقوى بنو اسرائيل ضربوا عليهم جزية وحيث ضعفوا سالموهم وتركوهم يسكنون بين اظهرهم وحققت لنا الآثار المصرية بقاء الكنعانيين في السواحل اذ ذكرت هذه الآثار غزوة

رعميس الثالث ومرور جنوده في هذه السواحل ولم تأتِ بكلمة في بني اسرائيل ولا جاءت في سفر القضاة كامة في مرور عساكر مصريين في بلاد بني اسرائيل او مضايقتها لهم

عد ٢٢٨

تسلط كوشان رشعتائيم ملك ارام على بني اسرائيل وتخليص عتنيئيل لهم

لم يكتفِ بنو اسرائيل بمسالمة بعض الكنعانيين بل اتخذوا بناتهم زوجات لهم واعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا الهتهم البعليم (اي الابعال) والعشتاروت فاشتد غضب الرب عليهم ولما كان الكنعانيون لم تعاودهم القوة للتسلط على بني اسرائيل باعهم الرب الى يد كوشان رشعتائيم ملك ارام النهرين فتعبدوا له ثماني سنين وسمى يوسيفوس (تاريخ اليهود ك ٥ فصل ٣) هذا الملك « كوزرتا ملك الاشوريين » وقال رولينسون انه يحتمل ان يكون اشوريش عليم حفيد اشور ديان وابو تجلت فلاصر الاول الذي قال فيه « انه الملك القدير وغازي البلاد الاجنبية » وتابعه سايس (في كتابه معارضة تاريخ اشور وبابل) ولكن ندد فيكورو بقولهما اذ لم يكن لهما فيه حجة تؤيده فان لم يكن كوشان معلوماً بشخصه فمعلوم انه كان من بلاد ما بين النهرين لتصريح الكتاب بانه ملك ارام النهرين ولا عبرة لزعم كراتس انه ملك ادوم وقد تصحفت ادوم بارام للمقاربة في العبرانية بين صورتي الحرفين المقابلين الدال والراء كما هما في لغتنا ايضاً فكوشان غشي فلسطين بعساكره واخضع بني اسرائيل لسلطته وكانوا يدفعون اليه جزيتهم كل سنة يحملونها الى مقره فيظهر انهم تقاعدوا عن حملها اليه او لاح له ما يدل على عصيانهم فزحف اليهم بجنوده ينوي التنكيل بهم فصرخ بنو اسرائيل الى الرب فاقام لهم مخلصاً وهو عتنيئيل

بن قناز اخي كالب الاصغر وكان مزوجاً بعكسه ابنة عمه كالب وعده بها يوم حصار قرية سفر فكان هو اول من افتتحها كما مر عد ٢٢٢ فتنيئيل حضَّ اخوانه بني اسرائيل على التوبة الى الله مذكّراً لهم باياته يوم كانوا يتقونه واياه وحده يعبدون فاذعنوا لكلامه وامّروه عليهم فجمع عسكراً من بني اسرائيل وخرج لمحاربة كوشان فاسلمه الرب الى يده واستظهر على جنوده وشتت شملهم ولم ينبئنا الكتاب اين كانت تلك الحرب ولم يطرفنا بشيء من التفصيل ولكن ظهر من كلامه ان الضربة كانت قاضية لذكره ان بني اسرائيل استراحوا بعدها اربعين سنة وان سلطة كوشان كانت عمت بلاد فلسطين حتى جنوبها لان عتنيئيل الذي شتت جنوده كان من سبط يهوذا ساكناً في قرية سفر اي دبير (وهي سراسير الان) على مقربة من الخليل (قضاة ف ٣)

عد ٢٢٩

تعبد بنو اسرائيل لعجلون ملك مواب وتنجية اهود لهم

مات عتنيئيل فعاد بنو اسرائيل الى شرهم فلم يجلب الرب عليهم هذه المرة ملكاً من قاصي البلاد ويجعله آلة لنقمته بل اثار عليهم عجلون ملك الموابيين من ذريتهم اي من ذرية مواب بن لوط من بنته الكبرى وكان الرب حظر على الاسرائيليين في ايام موسى ان يحاربوا الموابيين حرمةً للوط وكانت مساكنهم في الجنوب الشرقي من فلسطين وراء البحر الميت ولما كانوا ضعفاء لا يملكون من الارض الا يسيراً استنجدوا بالعمونيين ابناء خالتهم واخوانهم لانهم ابناء لوط من بنته الصغرى وكانت مساكنهم في الشمال الشرقي من ارض الموابيين ولجأوا الى العمالقة وكانوا رحلاً في البرية الواقعة في شرقي تخوم الموابيين وامر هولاء على جيشهم عجلون ملك الموابيين فانتصروا على بني اسرائيل الذين في شرقي الاردن وعبروا هذا النهر ولم يقتصروا

على اجبار بني اسرائيل ليدفعوا لهم الجزية كما فعل كوشان ملك ارام النهرين بل ارادوا انتزاع املاكهم ايضاً لضيق ارض مواب فاخذ عجلون مدينة النخل المراد بها على الارجح اريحا واقام فيها ثماني عشرة سنة مستعبداً بني اسرائيل والظاهر ان هذا الاعتباد لم يكن عاماً ولكن لا اقل من ان يكون شاملاً من اقام من بني اسرائيل في شرقي الاردن وسبط بنيامين الذي اريحا في نصيبه وسبط يهوذا لقربه من العدو

وصرخ بنو اسرائيل الى الرب فاقام لهم مخلصاً اهود بن جيرا من سبط بنيامين وكان رجلاً اعسر يعمل بيده العسرى بدلاً من اليسرى والاظهر انه كان يعمل بكلتا يديه كما كان كثيرٌ من سبطه (قضاة ف ٢٠ عد ١٦) فارسل بنو اسرائيل على يده هدية او جزيتهم الى ملك عجلون وعمل لنفسه سيفاً ذا حدين طوله ذراع اشتمل عليه تحت ثوبه على فخذه اليمنى ليتيسر له انتضاؤه بيده العسرى وليخفي اشتماله عليه فقدم الهدية وشيع حامليها وذهب الى المنحوتات المقامة في الجلجال في جانب اريحا ليظهر انه يستشيرها بامرٍ وعاد يقول للملك لي اليك كلامُ سرٍ ايها الملك فقال صه فخرج من عند الملك جميع الواقفين لديه ولم يخطر على بال ان رجلاً منفرداً اعزل لا سلاح له يفتك بالملك فلما خلا به في غرفة صيفية له في اعلى داره قال اهود لي كلام اليك من عند الله فنهض عن سريره تهيباً وكان غرض اهود من كلامه ان لا تخطئه الضربة اذا كان على سريره فمدَّ يسراه واخذ السيف عن فخذه اليمنى ووجأه في بطنه فغاص القائم ايضاً وراء النصل واطبق الشحم عليهما لانه كان سميناً ولم ينزع اهود السيف وخرج واغلق ابواب الغرفة واقفلها وافلت ودخل عبيد الملك فاذا ابواب الغرفة مقفلة فظنوه يقضي حاجة في مخدع المصيف فلما استبطأوه اخذوا مفاتيح وفتحوا فاذا مولاهم صريعٌ على الارض

ميتاً واما اهود فبلغ الى سعيره (لم يتعين موقعها ويظهر انه في جبل افرائيم على ما قال فيكورو وعلى ما في كتاب اعلام الاماكن) ونفخ في البوق في جبل افرائيم فنزل بنو اسرائيل من الجبل على اثره واستولوا على مخاوض الاردن وضربوا من كان عند الملك ومن فرّ وقع بيدهم في معابر النهر فقتلوا من الموابيين حينئذٍ نحو عشرة الاف رجل كل شجاع وكل ذي بأس فذلّ الموابيون لهم واستراحت الارض ثمانين سنة (قضاة ف ٣)

وليس المراد باستراحة الارض ان الراحة عمَّت جميع ارض بني اسرائيل فقد انبأنا الكتاب بإثر ما مرّ دون فاصل ان شمجر بن عنات يصحبه قومٌ من حارثي الارض ضربوا الفلسطينيين الذين كانوا يعتدون عليهم في الجنوب فقتلوا منهم ست مئة رجل ولم يكن لهم سلاح الاّ منساس البقر فعدّ شمجر من مخلصي بني اسرائيل وهو الثالث من القضاة وسوف نأتيك ببيان اصل الفلسطينيين

ان استعمال حيلة كالتي عمد اليها اهود في قتل عجلون كان مستباحاً مستفاضاً عند جميع القدماء ولا سيما الشرقيين وكانوا يحسبونه نوعاً من الحرب وربما فضلوه عليها لاقلاله عدد القتلى والمصابين وقد ترنم اليونان بتقريظ هرموديوس وارستوجيتون لانهما اتيا مثل ما اتاه اهود وقرظ الرومانيون موشيوس سكافولا (اي الاعسر ايضا) لانه فعل مثل ذلك ببرسينا الذي حاصر رومة. وما احسن ما قاله هردر في تاريخ شعراء العبرانيين (صفحة ٤٣٦) « ليس اخص من التنديد بسفر القضاة وبما رواه عن بعضهم فمن دأب هؤلاء المنددين ان يتناسوا الزمن الذي كتب هذا السفر فيه فالقبايل القديمة كانت تستبيح استعمال اخبث الحيل في حروبها ولم تزل هذه العادة عند بعض الشعوب الذين لم يبلغوا ذروة التمدن فانهم على ما لهم من البسالة والسطوة

يوثرون الحيلة على القوة وكانت الضرورة تقضي بهذا الدهآء على شعب يضطهده جيرانه وهو قلق في داخله ولم تبقَ الحمية الطائفية الا في بعض افراده ولم يكن له رئيس ولا حاكم يهتم بالمصالح العامة وهل لفردٍ ولو عظمت شجاعته ان يدعي مقاومة عسكرٍ برمته ولم تكن في تلك الايام الاختراعات التي جعلت الحرب صناعة وعلماً او ليست هذه الاختراعات نفسها اكبر حيلة ودهاء وهل من حيلة او شجاعة أخسّ مما يقذفه احد المدافع • هذا والكتاب لم يثنِ في محل على ما عمله اهود بل اقتصر على ذكره فقط

عد ٢٣٠

في دابورة وباراق وتخليصهما بني اسرائيل من يد ملك حاصور

مضى على الكنعانيين نحو من خمسين سنة بعد تذليل بني اسرائيل لهم فعاودتهم القوة لينهضوا من سقطتهم خاصة في شمالي فلسطين حيث استمر جمٌّ غفير منهم يتيسر لهم لدى الحاجة ان يستنجدوا بالفونيقيين وسكان جبل لبنان الذي لم يدخله بنو اسرائيل فسولت انفسهم لهم ان يأخذوا بثارهم وعاد بنو اسرائيل يتمرغون بشرهم فباعهم الرب الى يد يابين ملك حاصور التي على جانب بحيرة الحولة (في المحل المسمى الان تل المراوى او في جبل حضيرة) وهو خليفة يابين الاخر الذي حارب يشوع بن نون مؤلبًا عليه ملوك الشمال وكان له رئيس جيش يسمى سيسرا مقيماً بحروشت الامم وهي مدينةٌ اخرى على بحيرة الحولة (في المحل المسمى الان الحراثية اعلام الاماكن) وربما كان سيسرا ملكًا او قيلاً محالفًا ليابين لان دابورا قالت في نشيدها • وفد الملوك وقاتلوا • (قضاة ف ٥ عد ١٩) وعليه فكان من ضايقوا بني اسرائيل ملوكًا لا ملكًا واحدًا ويابين رئيس عصبتهم وضايقوا بني اسرائيل الذين في شمال فلسطين عشرين سنة واثقلوهم بجزيات فاحشة ولم يجسر بنو اسرائيل ان

يخلعوا نيره وكانت مركباتهم المصفحة بالحديد تروع بني اسرائيل وكانت قوات الممالك في تلك الايام تقاس بعدد مركباتها وقد ابقت لنا الآثار المصرية على ذكر هذه المركبات في سورية فالشاعر بنتاور المصري روى انه كان للحثيين عند محاربتهم رعمسيس الثاني الفان وخمس مئة مركبة للحرب وفي آثار رعمسيس الثالث انه كان للكنعانيين عند استظهاره عليهم في موقعة مجدّو (اللجون) تسع مئة واربع وتسعون مركبة . ولم يكن لبني اسرائيل مركباتٌ لاقامتهم في الجبال وكان في معسكر سيسرا تسع مئة مركبة لاقامتهم في السهول فضاق بنو اسرائيل ذرعاً ولم يجدوا لهم ملجاءً ولا مناصاً الا بان يصرخوا الى الله كما كانوا عند ضيقتهم يفعلون فرأف الرب بهم واقام لهم هذه المرة مخلصة وهي امرأة كانت تسكن في جبل افرائيم وتسمى دابورة وتأويل اسمها بالعبرانية نحلة (كما قال يوسيفوس ك ٥ ف ٦ في تاريخ اليهود) وكانت نبية ولها من شهرة الحكمة ما جعلها حكماً يلجاء اليها المتنازعون من كل فج لفصل دعاويهم فاخذتها الغيرة على انقاذ شعبها فارسلت ودعت باراق (وتأويله البرق كما قال يوسيفوس في المحل المذكور) بن ابينوعم من قادش نفتالي وهي المعروفة الان بقدش من اعمال صفد وقالت له من قبل الرب ان يجيش في جبل طابور عشرة الاف رجل من بني نفتالي وزابلون فلم يشاء ان ينطلق الاَّ ان تصحبه دابورة فانطلقت معه الى قادش وعلم سيسرا ان باراق ورجاله صعدوا الى جبل طابور فجمع مركباته ورجاله ومضى لقتالهم ولما كانت المركبات لا تسير في الجبل فخيمٍ بعسكره في مرج بن عامر على نهر قيشون المعروف الان بالنهر المقطع وقالت دابورة لباراق قم فان الرب اليوم يدفع سيسرا الى يديك فنزل من جبل طابور ووراءه عشرة الاف رجل والقى الرب رعباً على سيسرا وجنوده فانهزموا من وجه بني اسرائيل فتتبعوا آثارهم الى حروشت الامم المار ذكرها

وصنعوا بهم مقتلةً وروى يوسيفوس (في الفصل الآنف ذكره) انه لما اقبل بنو اسرائيل على الكنعانيين انزل الرب مطرًا مدرارًا وبردًا وريحاً عاصفة بوجه الكنعانيين حتى لم يقووا على استعمال سلاحهم وكانت العاصفة من جهة اظهر بني اسرائيل والى ذلك اشارةٌ في تسبحة دابورة حيث قالت «من السما نشب القتال الكواكب من حبكها حاربت سيسرا نهر قيشون جرفهم» (قضاة ف ٥ عد ٢٠) اما سيسرا فنزل من مركبته وفرَّ راجلاً وكان حابر القيني احد اقرباء امرأة موسى الذين كانوا اختلطوا ببني اسرائيل ساكناً هناك في خيمــة وكان بينه وبين يابين مسالمة فخرجت ياعيل امرأة حابر لاستقبال سيسرا وقالت له مل ياسيدي لا تخف فدخل خيمتها وسألها ان تسقيه فناولته عوض الماء لبناً فساعد على نعاسه فاسترخى ونام وغطته بالقطيفة فاخذت ياعيل وتد الخيمة من حديد بشمالها والميتدة بيمناها وضربت الوتد في صدغه حتى غرز في الارض واذا باراق جاد في اثره فقالت له ياعيل تعالَ أرِكَ الرجل الذي انت طالبه فدخل فاذا بسيسرا ساقطٌ ميتاً والوتد في صدغه فتقوى بنو اسرائيل على يابين واذلوا قومه وسبحت دابورة تسبحتها الشهيرة المثبتة في الفصـــل الخامس من سفر القضاة وهي شعرٌ بل قال فيها هردر انها احسن اشعار العبرانيين الحماسيـــة واستراحت الارض اربعين سنة ويراد بها ارض الشمال والصريح في الكتاب ان رجال باراق الذين اصلوا نار الحرب كانوا من سبطي نفتالي وزابلون فقط ويتلخص من تسبحة دابورة انه نجدهم بعضٌ من اسباط بنيامين ويساكر وافرائيم واستمر الباقون في الجنوب وعبر الاردن وسبط دان واشير (على قرب هذا السبط الاخير من ساحة الحرب) لاتهزهم الحمية على انجاد اخواتهم بل ا...وا عليه لراحة في املاكهم آمنين وكانت هذه الانقسامات علةً لتواتر المصاب عليهم فان الله يجعل احياناً نقايص الناس انفسهم نقمة منهم

عاب بعض المنددين ياعيل بخيانتها سيسرا وعابوا الكتاب بمدحه ما صنعت وقد فاتهم ان قتل سيسرا كان عادلاً لاشهاره الحرب على بني اسرائيل وياعيل تحسب من عديدهم وكانت شرائع الحرب حينئذٍ تبيح قتل العدو وان فارًّا وكان على سيسرا ان يتحاشى دخول خيمة سكانها من اعدائه واما قولها له ان لا يخاف فمحمول على انها اخذتها الشفقة عليه اولاً فاوته ثم تروت فرأت انه عدو لشعبها وانها مندوبة لقتله حبًّا بشعبها ووطنها ففعلت ولم يثنِ الكتاب عليها لعملها عملاً صالحًا بل اثنى على شجاعتها وحبها وطنها وسنن الحرب في تلك الايام ومعاملة الكنعانيين بني اسرائيل في مثل هذه الاحداث قد صوغت لهذه المرأة عمل ما نراه اليوم خيانة وكان ذلك قبل سنة المخلص الكملى التي ارشدت الى الرفق بالاعداء ايضاً (فيكورو الموجز الكتابي عد ٤٥٤)

عد ٢٣١

في جدعون وتخليص بني اسرائيل من المدنيين

مرَّ ان الارض التي استراحت اربعين سنة بعد اذلال يابين يراد بها ارض من حاربوا مع باراق اي سكان نصيب نفتالي وزابلون ومن جاورهم اذ انباءنا الكتاب (قضاة ف ٦) ان آثام غير هؤلاء من بني اسرائيل اسخطت الرب فدفعهم الى ايدي بني مدين سبع سنين وبنو مدين هؤلاء من ذرية ابرهيم من قطورة امرأته ويؤيده انهم كانوا يتكلمون بلغة العبرانيين كما يظهر من ان جدعون فهم كلام الرجل الذي كان يقص حلمه على صاحبه (قضاة ف ٧ عد ١٣) وهم الذين ضربهم بنو اسرائيل في ايام موسى لمعاونة بناتهم الموابيين على اغواء بني اسرائيل وكانت مساكنهم في شرقي البحر الميت وراء مساكن بني اسرائيل في عبر الاردن والاظهر انهم غير المدينيين الذين كانوا يسكنون في شرقي بحر الاحمر ومنهم يترو حمو موسى فهؤلاء من ذرية كوش (طالع عد ١٩٥ وعد ٢٠١)

فالمديَنيون الذين من ولد ابرهيم كانوا يأتون كل سنة مع العمالقة سكان الشمال في جزيرة العرب ومع بني المشرق المراد بهم العرب الرحل سكان انحاء حوران وينكلون ببني اسرائيل ويفسدون غلة الارض الى مدخل غزه ولا يبقون ميرةً ولا غنماً ولا بقرًا ولا حميرًا ويأتون بماشيتهم وخيامهم في مثل كثرة الجراد حتى اضطر بنو اسرائيل ان يختفوا او يخفوا مالهم في المغاور والكهوف والحصون مدة السنين السبع

فصرخوا الى الرب فارسل اليهم نبياً يذكرهم بانقاذه اياهم من المصريين وسائر ظالميهم وظهر ملاك لجدعون بن يواش الابيعزري في عفرة وهو يدوس الحنطة في المعصرة مكان ان يدرسها بالنورج وفي الأندر هرباً من المدنيين فاعلمه ان الرب مرسله ليخلص اسرائيل فاعتذر بان عشيرته اضعف عشيرة وبانه اصغر اخوته وسأل علامة يعلم بها انه يكلمه بذلك من قبل الرب فحقق الملاك له هذا بانه مد طرف العصا التي بيده ومس اللحم والفطير اللذين كان اعدهما له فصعدت نار من الصخرة التهمت اللحم والفطير وغاب الملاك عن عينيه وابتنى جدعون مذبحاً للرب دعاه سلام الرب قال الكتاب « وهو الى هذا اليوم لا يزال في عفرة » وجاء في كتاب اعلام الاماكن انه يحتمل ان عفرة هذه كان موقعها في القرية المسماة الان فرعاتا تبعد ستة اميال عن نابلس غربًا . واراد جدعون تحقيق رسالته من قبل الرب فضرع اليه قائلاً هآنذا واضع جزاز صوف في البيدر فاذا سقط الندى على الجزاز وحده وعلى سائر الارض جفاف علمت انك مخلص اسرائيل على يدي فكان كذلك وعصر الجزاز في الغد فخرج منه من الماء ملوء سطل ثم قال اجرب هذه المرة ايضًا بالجزاز ليكن على الجزاز وحده جفاف وعلى سائر الارض ندى وصنع كذلك فكان في تلك الليلة على الجزاز وحده جفاف وعلى سائر الارض ندى

فتيقّن ارسال الرب له

وقال الرب لجدعون ان يقوض مذبح البعل الذي لابيه ومنه يستامح ان اباه كان يعبد البعل وان يقطع الغابة التي حوله وان يبتنِ مذبحاً للرب هنـاك ويقدم عليه ثورًا كان لابيه فاخذ عشرة رجال وفعل كما امره الرب ليلاً خوفاً من بيت ابيه واهل مدينته لكنه لم يختفِ وطلب اهل المدينة من ابيه ان يخرجه ليقتَل فقال ابوه ان كان البعل الهاً فلينتقم لنفسه ممن هدم مذبحه وهـذا يمنع من القطع بان اباه كان يعبد البعل ودعا ابنه يدبعل اي ينتقم منه البعـل واما جدعون فنفخ في البوق فتبعه بعض قومه وارسل رسلاً الى بني منسى فاتبعوه والى بني اشير وزابولون ونفتالي فصعدوا لملتقاهم فاجتمع اليه اثنـان وثلاثون الفاً واعتصب جميع المديَنيين والعمالقـة وبنو المشرق فعبروا الاردن ونزلوا وادي يزرعيل حيث زرعين الآن من ناحية جنين (اعلام الاماكن) وتقدموا في السهل الذي هو مرج بن عامر الى محلٍّ غير بعيد عن المحل الذي كسر سيسرا فيه فبكَّر جدعون ونزل بقومه على عين صرود المساة الان عين جلود في الشمال الغربي من جبل جلبوع الى الجنوب من محلة المديَنيين وقال الرب لجدعون ان ينادي على مسامع الشعب ان من كان خائفاً فليرجع فعاد منهم اثنان وعشرون الفاً وبقي معه عشرة الاف فقال له الرب ان الشعب كثيرٌ ايضاً فيفتخر اسرائيل بانه خلص نفسه فأنزلهم الى الماء وكل من ولغ في الماء بلسانه من راحته الى فمه فأقمه ناحيةً ومن جثوا على ركبهم ليشربوا فنـاحيةً اخرى فكان عدد من ولغ الماء من راحته الى فمه ثلاث مئة رجل فقط فابقى جدعون هولاء معه وصرف الباقين الى اماكنهم وقال له الرب ان كنت تخاف فادنُ من محلة العدى ليلاً مع فورة غلامـك واسمع ما يقولون ولما جاء جدعون اذا برجل مديني يقص حلماً على صاحبه قائلاً كأني برغيف خبز يتقلب في عسكر

مدين فانقلب حتى سار الى الخيمة وصدمها فسقطت فاجاب صاحبه وقال انما هذا سيف جدعون بن يواش جبار اسرائيل الذي دفع الله الى يده مدين وكل المحلة فاد جدعون موقناً بالظفر وقسم الثلاث مئة رجل ثلاث فرق وجعل ابواقاً في ايديهم وجراراً فارغة في ضمنها مشاعل وقال لقومه اصنعوا ما ترونني صانعاً واحتاط بمحلة المديانيين من ثلاث جهات ونفخوا في الابواق وهتفوا السيف للرب ولجدعون وكسروا الجرار فظهرت المشاعل فضجّ جيش مدين وجعل كل منهم سيفه في صاحبه فقتل بعضهم بعضاً وفرّ الباقون الى بيت الشطة الى صريده حتى انتهوا الى عدوة آبل محولة التي عند طبات اما بيت الشطة فهي المحل المسمى الان شطة في شرقي عين جالود نحو الاردن وهو اسمها القديم نفسه لان بيت معناها البيت او المحل او القرية وصريده وفي بعض النسخ العبرانية صريرة لم يتعين موقعها ولكن لا بد ان يكون بين شطة وابل محولة شرقاً (اعلام الاماكن وكاران مجلد ١ في السامرة صفحة ٣٠٢) واما ابل محولة فالذي قاله كاران (في المجلد المذكور صفحة ٢٧٧) انها كانت في محل خربة الحمام المالح بعيدة اربعة عشر ميلاً عن بيسان نحو الجنوب والذي في اعلام الاماكن انها كانت في المحل المسمى الان العين الحلوة بعيدة عشرة اميال عن بيسان جنوباً والمحلان قريبان من الاردن واحدهما من الاخر وطبات لا يعلم موقعها معيناً ولكن لا بد ان كانت في جانب ابل محولة والاردن كما قيل في اعلام الاماكن واجتمع رجال اسرائيل من بني نفتالي واشير وجميع سبط منسى وتعقبوا اثر المديانيين وارسل جدعون رسلاً الى جميع جبل افرائيم ليقطعوا عليهم معابر النهر ففعلوا وقبضوا على قائدين من قواد مدين وهما عوريب (اي الغراب) وذيب (اي الذئب) فقتلوهما واتوا برأسيهما الى جدعون في عبر الاردن

فلام رجال افرائيم جدعون لانه لم يدعهم للقتال فتخلص من لومهم بقوله أليس ان خصاصة افرائيم افضل من قطاف ابيعزر فالخصاصة ما يبقى في الكرم بعد قطافه والقطاف جمع قطف اي العناقيد المقطوفة وابيعزر اسم عشيرته فكانه يقول انهم فعلوا اكثر مما فعل لانه هزَّم عوريب وذيبا واما هما فقتلوهما ويظهر منه ان جدعون لم يكن كمّيا شجاعاً فقط بل كان متقلباً في السياسة ايضاً . ثم عبر جدعون الاردن برجاله الثلث مئة مطاردًا زاباح وصلمناع ملكي مدين وقال لاهل سكوت (في كتاب اعلام الاماكن ان الظاهر انها كانت في محل تل درعالا في شرقي الاردن ولاهل فنوئيل (مدينة في شرقي سكوت لم يتعين موقعها) من سبط جاد اعطوا القوم الذين في عقبي ارغفة خبز لانهم قد اعيوا فقالوا له العل اكف زاباح وصلمناع في يدك حتى نعطي عسكرك خبزًا فلم يعطوهم خشية ان يعود المديانيون فينتقموا منهم فهددهم جدعون بما اجراه بعده عليهم كما سترى وظل مطاردًا ملكي مدين الى قرقر قال اوسابيوس والقديس ايرونيموس ان موقع هذه المدينة في شمالي مدينة حجر في بلاد العرب وفي اعلام الاماكن ان اسمها الان غير معين ويحتمل ان يكون المراد بها عمل او مدينة فهناك ادرك جدعون الملكين ومعهما خمسة عشر الف رجل وكان من تجدلوا في ساحة القتال مئة وعشرين الف رجل . ولما اقبل جدعون على الملكين وعسكرهما تسارعوا الى الفرار فجدَّ رجال جدعون في اثر الملكين فادركوهما وقبضوا عليهما ورجعوا بهما من عند عقبة الشمس كذا في الترجمتين السبعينية والسريانية وفي نسخة الاباء اليسوعيين ولكن في اللاتينية المعروفة بالعامية « ورجع قبل مطلع الشمس » ولعله الاصح اذ لم يوجد ثمة محل يسمى عقبة الشمس

وعاد جدعون الى سكوت تقبض على شيوخها وقال لهم هوذا الملكان

اللذان عيرتموني بهما واخذ اشواكاً من البرية ونوارج وعاقبهم بوضعهم على الاشواك تحت النوارج وهدم برج فنوئيل وقتل رجالها وقال لزاباح وصلمناع كيف كان الرجال الذين قتلتماهم بطابور فقالا كانوا مثلك وهيئتهم كهيئة ابناء الملوك فقال انما هم اخوتي وابناء امي ولو ابقيتما عليهم لما كنت اقتلكما وقال لياثر بكره قم فاقتلهما فلم يخترط سيفه خوفاً لانه كان صبياً فقام جدعون وقتلهما واخذ اهلّة الفضة التي كانت في اعناق جمالهما . ومنه يظهر قدم عادة العرب في تزيين اعناق جمالهم باهلّةٍ وغيرها من الحلي الى اليوم وقد كانت ضربة جدعون المديانيين مذللة لهم اعواماً طوالاً اذ قال الكتاب « ذل مدين امام بني اسرائيل ولم يعودوا يرفعون رؤسهم » (قضاة ف ٨ ع ٢٨)

وبعد هذا الظفر قال رجال اسرائيل لجدعون تسلط علينا انت وابنك وابن ابنك فقال لهم جدعون لا انا اتسلط عليكم ولا ابني بل الرب يتسلط عليكم ولكن اقترح عليهم ان يعطيه كل واحد منهم خرصاً من غنيمته فقالوا لك ذلك وبسطوا رداء فالقى عليه كل امرىء منهم خرصان غنيمته فكان وزن خرصان الذهب التي طلبها الفاً وسبع مئة مثقال ذهب ما خلا الاهلة والنطفات اي القروط والثياب الارجوانية التي كانت على ملوك مدين وما خلا القلائد التي كانت في اعناق جمالهم . قد اتفق الكتاب والآثار المصرية والاشورية والسوزية في الدلالة على ان تحلي الرجال والنساء والدواب ايضاً بالحلى كان من اقدم الدهر عامًا في المشرق فصاغ جدعون ذلك الذهب افودًا وهو احد الملابس الكهنوتية كالبطراشيل في ايامنا وجعله في مدينة عفرة (فرعاتا) وكانت الناس تتقاطر من كل فج لتراه وتتبارك به حتى نشأ عن ذلك نوع من العبادة الوثنية لهذا الافود والى هذا اشار الكتاب بقوله ان هذا الافود صار وهقًا لجدعون وبيته على انه في الترجمتين القديمتين السريانية والعربية وفي كتب بعض المفسرين كلمة تمثال

مكان الافود والنص العبراني غير صريح والالف والسبع مئة مثقال ذهب تعادل اربعة وعشرين الف غرام ومئة واربعين غراماً اي نحو ثمانية الاف درهم اذا حسب كل مثقال ١٤٫٢٠ غراماً كما كانوا يحسبون بعد السبي البابلي وعمل الافود لا يستلزم هذا القدر الكبير من الذهب . ومات جدعون وله سبعون ولدًا لانه اتخذ نساء كثيرات ودفن في مدفن يواش ابيه في عفرة واستراحت الارض بعد انتصاره اربعين سنة (قضاة ف ٦ و ٧ و ٨)

عد ٢٣٢

في ابيملك وتولع ويائير

كان لجدعون سرية في شكيم (نابلوس) ولد له منها ابنٌ سماه ابيملك فانطلق بعد وفاة ابيه فكلّم اخواله وعشيرتهم قائلاً ايّ الامرين خيرٌ لكم أ أن يتسلط عليكم اخوتي سبعون رجلاً ام ان يتسلط عليكم رجلٌ واحد واذكروا اني عظمكم ولحمكم فمالت قلوب اهل شكيم اليه وقالوا انه اخونا واعطوه سبعين مثقال من الفضة عبارة عن نحوٍ من الف غرام من بيت بعل بريت الذي كانوا يعبدونه وكانت عادة اهل شكيم ككثيرٍ غيرهم من القدماء ان يضعوا كنوزهم وما كان ثمينًا عندهم في هياكلهم لاعتبارهم الهياكل محلاً حريزًا مباركًا وقد وجد في كثير من الهياكل خزائن يستودعونها ما كان ثمينًا . فاخذ ابيملك الفضة واستأجر بها رجالاً بطالين اشقياء تبعوه فجاء بيت ابيه في عفره وقتل اخوته ولم ينجُ منهم الا يوثام اصغرهم فاجتمع اهل شكيم وبيت ملّو وهي مدينة مصاقبة لشكيم وقال كاران (مجلد ١ في السامرة صفحة ٤٦٤) انها تسمى الان خربة الدوارة ومضوا فاقاموا ابيملك ملكًا عليهم فانطلق يوثام اخوه ووقف على قمة جبل جرزّيم (وهو جبل الطور حيث يجتمع السامريون في اعيادهم كل سنة في جانب نابلس) ورفع صوته وقال اسمعوا لي يا اهل

شكيم سمع الله لكم ذهبت الشجر مرة ليمسحن عليهن ملكاً فقلن لشجرة الزيتون كوني علينا ملكة فقالت أ ادع زيتي الذي لاجله تكرمني الالهة والناس واذهب لاستعلي على الشجر فقلن للتينة كوني انتِ ملكة علينا فقالت أ ادع حلاوتي وثمرتي الطيبة واذهب لاستعلي على الشجر فقلن للجفنة كوني انتِ علينا ملكة فقالت أادع مسطاري الذي يسر الله والناس واذهب لاستعلي على الشجر فقلن للعوسجة تعالي انتِ فكوني علينا ملكة فقالت ان كنتن حقاً تمسحنني ملكة عليكن فتعالين استظللن بظلي والا فلتخرج نار من العوسجة وتحرق ارز لبنان . والان ان كنتم فعلتم بالحق والاستقامة فملكتم ابيملك عليكم وكافأتم جدعون على تخليصكم من اهل مدين بذبحكم سبعين رجلاً من بنيه فافرحوا بابيملك وليفرح هو بكم والا فلتخرج منه نارٌ وتاكل اهل شكيم وبيت ملو ولتخرج نارٌ منهم وتاكل ابيملك وهرب يوثام واختفى من وجه اخيه وملك ابيملك على اسرائيل ثلاث سنين ثم ثار عليه اهل شكيم فحاربهم ونكل بهم اولاً وتيسر له ان يدخل المدينة بعد ان خرج منها وقتل الشعب الذي كان فيها وهدم المدينة وزرع في ارضها ملحاً لانهم كانوا اذا ارادوا ان يجعلوا الارض عاقرًا لا تنبت القوا فيها ملحاً ومن بقي من اهل شكيم فروا الى برج حصين كان فيه هيكل بريت معبودهم فحاصره ابيملك وجمع حطباً حوله واحرقه فاباد من السكان نحو الف نسمة ثم انطلق الى تاباص المسماة الان توباس وهي في الشمال الشرقي من نابلس تبعد عنها ثلاثة عشر ميلاً (ذكره اوسابيوس وحققه كاران مجلد ١ في السامرة سفحة ٣٥٩) فاخذها وكان فيها صرح حصين لجأ اليه جميع الرجال والنساء فحاصره ابيملك وتقدم ليحرقه فالقت امرأة قطعة رحى اصابت راس ابيملك فشدخت جمجمته فاستدعى حامل سلاحه وقال له استل سيفك واقتلني لئلا يقال عني ان امرأةً قتلته فوجأه الغلام فمات وانتقم

الله منه جزاء على ما صنع باخوته (قضاة ف ٩)

وقام بعد ابيمالك لخلاص اسرائيل ترلع بن فواة من سبط يسا كر وكان مقيماً بشامير (لم يعين موقعها كما في كتاب اعلام الاماكن) في جبل افرائيم فتولى قضاء اسرائيل ثلاثاً وعشرين سنة ومات ودفن في قريته شامير وقام بعده يائير الجلعادي فتولى القضاء على اسرائيل اثنتين وعشرين سنة وكان له ثلاثون ابناً يركبون ثلاثين جحشاً وكان لهم ثلاثون مدينة تسمى مزارع يائير وهي في ارض جلعاد (السلط) ولم يطرفنا الكتاب بشيء غير ذلك من اخبارها ويظهر ان ولاية يائير كانت في جلعاد وعبر الاردن الشرقي فقط

﴿ عد ٢٣٣ ﴾

في يفتاح

وعاد بنو اسرائيل فعبدوا الهة الاراميين والصيدونيين وغيرهم فاشتد غضب الرب عليهم واسلمهم الى ايدي الفلسطينيين وبني عمون فضايقوهم ثماني عشرة سنة وبعد ان اذلّ بنو عمون الاسرائيليين الذين في عبر الاردن اتوا ينكلون ببني يهوذا وبنيامين وافرائيم في غربي الاردن فصرخوا الى الرب فذكّرهم بتخليصه لهم مرات عديدة وبعودهم الى عبادة الالهة الغريبة ولذلك صرف وجهه عنهم قائلاً اذهبوا فاستغيثوا بالالهة التي اخترتموها فازالوا الالهة الغريبة من بينهم وخشعوا له فرق قلبه لمشقة اسرائيل واجتمع بنو عمون ونزلوا بجلعاد (السلط) واجتمع بنو اسرائيل ونزلوا بالمصفاة المعروفة الان بسوف في شمالي نهر اليبوق وهو نهر الزرقاء (كتاب اعلام الاماكن) وقالوا اي رجل ابتدأ الحرب مع بني عمون فهو يكون رئيساً على سكان جلعاد كلهم وكان رجل من جلعاد اسمه جلعاد كبلده وله ابنٌ من امرأةٍ بغيٍّ اسمه يفتاح وله بنون آخرون من زوجته الشرعية طردوا يفتاح لئلا يقاسمهم الميراث فهرب من وجه

اخوته واقام في ارض طوب التي لم يعين موقعها الى الان ويرجح انها كانت في شرقي الاردن وقال الاب مرتينوس اليسوعي في ما اذاعه البشير من كتابه تاريخ لبنان ان مملكة طوب كان موقعها في انحاء حرمون (جبل الشيخ) ولعلها كانت في منحدره الشرقي في الجهة المسماة الان بالبلاس فجمع يفتاح اليه في هذه الارض قوماً بطالين كانوا يخرجون معه لشن الغارة ولسلب المارّة فانطلق شيوخ جلعاد اليه وكلفوه ان يأتي فيكون لهم قائدًا فعزّز نفسه اولاً وقال انكم ابغضتموني وطردتموني فكيف اتيتموني الان في شدتكم ويظهر انه كان خبيرًا بضروب السياسة فلم يرضَ ان يأتي معهم الا ان يعاهدوه امام الرب بانه اذا انقضت الحرب استمر رئيساً عليهم فعاهدوه فاتى معهم وارسل رسلاً الى ملك بني عمون يسأله لِمَ حمل عليهم ويرغب اليه ان ينكف عن حربهم فاجابه ملك العمونيين ان بني اسرائيل اخذوا ارضهم عند خروجهم من مصر فليردوها عليهم فارسل له يفتاح رسلاً آخرين يبيّن له ان بني اسرائيل في ايام موسى تحاشوا بامر الله محاربة الموابيين والعمونيين لانهم من نسل لوط وانه قد مضى عليهم وهم مقيمون في هذه الارض ثلاث مئة سنة فلماذا لم يسترجعوا ارضهم في تلك المدة فلم يسمع ملك عمون كلامه وزحف بجيشه الى بني اسرائيل . ونذر يفتاح نذرًا للرب وقال ان دفعت بني عمون الى يدي فكل خارجٍ يخرج من باب بيتي للقائي حين ايابي سالماً ... يكون للرب اصعده محرقة . وهاجم يفتاح بني عمون فسلمهم الرب الى يده فضربهم من عروعير (عراعير الان) الى حد منيت عشرين مدينة والى آبل الكروم ضربة عظيمة جدًّا فذلّ بنو عمون امام بني اسرائيل قال الاب فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ٣٣٣) ان الجوّالة الانكليزي تريسترم طاف بلاد مواب سنة ١٨٧٢ واهتدى الى موقع إبل الكروم وهي بعيدة عشرين دقيقة عن دبان المعروفة

بهذا الاسم ايضاً وذلك الموقع يسمى الان كروم ديبان واما في منّيت فقال ظنَّ بعضهم ان موقعها كان في المحل المسمى الان منجه في شرقي حشبون (حسبان الان) وهو بعيد احدى عشر كيلومترًا عنها لكننا لم نجد هناك اثرًا دالاً على ذلك . ونقل كاحت عن اوسابيوس ان منّيت بعيدة اربعة اميال عن حشبون شرقاً على طريق فيلادلفية وهي عمان الان وفي اعلام الاماكن ان موقعها في المحل المسمى المنية الان في جنوبي جبل نبو على قول بعضهم

وعاد يفتاح الى بيته في المصفاة فاذا ابنته خارجة للقائه بالدفوف والرقص وهي وحيدة لا ولد له سواها فقال لها أوه يا بنية قد صرعتني لاني ابرزت نذري للرب ولا سبيل الى نكثه فقالت يا أبتِ ان كنت قد ابرزت نذرك فاصنع بي بحسب ما خرج من فيك بعد ما انتقم الرب من اعدائك وطلبت ان يمهلها شهرين لتتردد في الجبال وتبكي بتوليتها هي واترابها فسح لها شهرين فانطلقت وبكت على الجبال بتوليتها مع اترابها ثم رجعت الى ابيها فاتمَّ بها النذر الذي نذره وهي لم تعرف رجلاً وكانت بنات اسرائيل يمضينَ كل سنة وينحنَ على ابنة يفتاح اربعة ايام

قد اجمع الاباء القدماء والتقليد اليهودي والمسيحي الى القرن الحادي عشر ان يفتاح قدَّم بنته محرقةً للرب ولكن رأى بعض الحدثاء ان يفتاح لم يضحِّ بابنته بل نذر ان تبقى بتولاً ومن حجج هولاء ان شريعة موسى حظرت صريحًا تقدمة الضحايا البشرية فلا يُظن ان يفتاح اراد ان يبرز نذرًا مخالفاً للسنة ومنها انه لو كان يفتاح نذر حقيقةً ان يقدم بنته ضحية لما جاز له ان يقدمها بنفسه اذ لم يكن كاهناً ومنها ان الكتاب لم يَعِب يفتاح بل نرى الرسول عدَّه مع غيره من الاباء بقوله « ماذا اقول وزماني قصير عن ان اخبر بامر جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل والانبياء » (عبرانية ف ١١

ع ٣٢) وقد ردَّ اصحاب القول الاول الحجج المار ذكرها بقولهم ان حظر السنة تقدمة الضحايا البشرية لا تكون منه حجة بان يفتاح لم يضحِّ بابنته اذ يمكنه مخالفة السنة كما خالفها بنو اسرائيل بتضحيتهم ببنيهم وبناتهم ايضاً وكذا يمكنه ان يخالف السنة بتضحيتها وان لم يكن كاهناً وذكر الرسول يفتاح بين باقي من ذكرهم لا يمكن تنزيله منزلة ثناء على كل اعماله فما من قائلٍ ان الرسول بهذا الذكر اثنى على داود بقتل اوريا ايضاً او على شمشون بكثير من اعماله وقالوا ان آية الكتاب « كل خارج يخرج من بيتي يكون للرب اصعده محرقة » صريحة تأبى كل تأويل ويراد بها شخص فلا يمكن حملها على بتولية بنته وقال القديس توما ان يفتاح ركب الحماقة بنذره والمعصية باتمامه (الخلاصة اللاهوتية قسم ثانٍ مبحث ٨٨) وكذا قال كثيرٌ غيره من الاباء والعلماء ولكن انثنى العلماء الحدثاء قائلين ان كلام الكتاب مجازي فالمحرقة لا يراد بها محرقة دموية بل يراد بها انقطاع ابنة يفتاح عن الزواج وهذا الانقطاع كان في المشرق في ذلك العصر محرقةً كبرى اذ كان عندهم عاراً على المرأة ان لا تلد وهذا واضح من قول اليصابات بعد ولادتها يوحنا « هذا ما صنعه بي الرب لينزع عاري من بين بني البشر » (لوقا ف ١ ع ٢٥) ويفتاح بنذره ان تبقى بنته بتولاً كان يعدم نفسه الامل بان تكون له ذرية وهذا محرقة من قبله اذ لم يكن له ولد غيرها وتذرَّع هولاء لقولهم بباقي آيات الكتاب وهي « لم تعرف رجلاً وابكي بتوليتي وبكت بتوليتها على الجبال » على ان صراحة آية الكتاب بانه نذر ان يصعدها محرقة وقوله انه اتمَّ نذره بها ومراعات عادات البلاد والايام وجهالة نذر العفة في تلك الايام كل ذلك يرجح قول من رأوا ان يفتاح قدم بنته محرقة حقًا (فيكورو الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ٣٣٥ والموجز الكتابي عد ٤٥٧ وما يليه)

واجتمع رجال بني افرائيم وعنّفوا يفتاح لانه لم يدعهم لمحاربة العمونيين فلم يُخمد غضبهم برقة كلامه كما فعل جدعون معهم بل اضطرمت نار الوغى بينهم فضرب يفتاح وقومه بني افرائيم فشتتوا شملهم وامسكوا عليهم مخاوض الاردن وكانوا اذا مرَّ افرائيمي قالوا له أَ افرامي انت فيقول لا فيقولون له اذن قُلْ شبولت (السنبلة) فيقول سبولت بالسين لان بني افرائيم كانوا يلفظون الشين سيناً كما يلفظ بعض اهل وطننا السمس بدلاً من الشمس فمن لم يحسن لفظ الشين قتلوه حتى قتل منهم في ذلك الوقت اثنان واربعون الفاً . وقد جرى مثل ذلك عند محاربة احد ملوك دولة المماليك في مصر للعرب سنة ١٣٠٢ فكانوا يكلفونهم ان يقولوا دقيق وكل من احسن لفظ القاف العربية قتلوه . ومات يفتاح بعد ان وليَ القضاء في اسرائيل ست سنين

وقام بعده قضاةً ابصان من بيت لحم واستمر سبع سنين ومات ودُفن في بيت لحم وتولّى القضاء بعده ايلون الزابلوني وكانت مدة قضائه عشر سنين وولِيَ القضاء بعده عبدون بن هليل وكان له اربعون ابناً وثلاثون حفيدًا وكانوا يركبون سبعين جحشاً فكانت عادة اكابرهم يومئذٍ ان يركبوا الجحشان وكانت مدة قضاء عبدون ثماني سنين ومات ودُفن في فرعتون في ارض افرائيم وكان موقعها في المحل المسمى الان فرعون بعيدًا ستة اميال شرقاً عن نابلس (كتاب اعلام الاماكن) ولم يتحفنا الكتاب بغير ذلك من اخبار هولاء القضاة

﴿ عد ٢٣٤ ﴾

في شمشون والفلسطينيين

كان العمونيون والفلسطينيون معًا يضايقون بني اسرائيل فاخمد يفتاح جذوة ضيق العمونيين في عبر الاردن واستمر الفلسطينيون يضايقون بني اسرائيل الساكنين في جنوب فلسطين فسلط الله شمشون ليثأر بقومه منهم

على انه لم يكن كباقي القضاة يؤلّب الرجال ويعد العدد لمحاربة العدو بل كان ينكّل به بقوته الشديدة ويستنجد الحيوانات احيانًا للمضرة باعداء قومه كما استخدم الثعالب لذلك ويجدر بنا قبل الكلام به ان نبين من هم الفلسطينيون ومن اي اصل هم ومن ايّ قطر اتوا البلاد التي سماها المصريون واليونان فلسطين نسبة اليهم وكانت تسمى بلاد الكنعانيين . ان موسى لم يأتِ في اسفار توراته بذكر الفلسطينيين بين الامم التي ارشد بني اسرائيل الى ازاحتهم عن ارض موعدهم ولم يذكرهم يشوع ايضًا بل تبين من سفره ان بني عناق كانوا يسكنون غزة وعسقلون وعقرون (عاقر) التي سكنها بعد ذلك الفلسطينيون وقد ورد ذكرهم ثمة لاول مرة في سفر القضاة حيث جاء ان شمجر حاربهم بمنساس البقر مع امثاله من الحارثين وقتل منهم ست مئة رجل . وقد كان للعلماء ومفسري الكتاب اقوال متعددة متباينة في اصل الفلسطينيين ولم ينجلِ مبحث اصلهم وذريتهم وارتحالهم الا من امدٍ قريب بعد ان احيي العلماء اللغة الهيروكليفية وانبعث رمم تلك الصور فظهر من ورائها كنوز معارف اثمن من كنوز الذهب ومنها ان الفلسطينيين لم يكونوا من قبائل سورية بل من ذرية البلاسج السكان القدمآء في بلاد اليونان وفي اسمهم نفسه الحروف الاصلية في كلمة بلاسج او فلاسج لان ابدال الباء بالفاء كثير في مثل هذه الاسمآء وانما بُدلت الجيم الاخيرة بالتاء او الطاء تخفيفاً وقد جاء في كثير من آي الكتاب واقوال المؤلفين ان منشأهم جزيرة اكريت او هي اول مرحلةٍ معروفة لهم فقد ورد في سفر الملوك الاول (ف ٣٠ ع ١٤) « وقد غزونا جنوب الكريتيين وما ليهوذا وجنوبي كالب » ولا مرآء في ان المراد بالكريتيين هنا الفلسطينيون وجاء في نبوة حزقيال (ف ٢٥ ع ١٦) « ها انذا امد يدي على الفلسطينيين واقرض الكريتيين وابيد بقية ساحل البحر » وفي

نبوة صفنيا (ف ٢ ع ٥) «ويل لسكان ساحل البحر لامّة الكريتيين ان كلمة الرب عليكم يا كنعان ارض الفلسطينيين فابيدك حتى لا يبقى فيك ساكن» وصرّح تاشيتوس (في تاريخه ق ٢) ان الفلسطينيين اتوا من اكريت

وقد كشفت لنا الآثار المصرية المنبئة بتاريخ رعمسيس الثالث عن ان الفلسطينيين اتوا من اكريت ففي قصر مدينة آبو في تاب (طيبة) صورٌ وخطوط دالة على حصول محالفة بين الكريتيين وغيرهم من عشائر البلاسج في ايام رعمسيس الثالث احد ملوك الدولة العشرين من الدول المصرية فغشوا سورية ومصر بعد افتتاح يشوع بن نون بلاد كنعان واتى بعضهم بحرًا. والسواد الاعظم منهم اكريتيون فحاربهم رعمسيس الثالث وانتصر عليهم وأسر جميعهم وكانوا عشيرة برمتها رجالاً ونساء واطفالاً ولم يرَ من السداد ان يبيد هذه العشيرة جمعاء فعوّل على استبقائهم واعطائهم ارضًا يسكنونها فاقام رعمسيس الفلسطا (كما في الاصل) الفلسطينيين في جانب بلاد كنعان بين يافو (يافا) ونهر مصر فسكنوا غزة واشدود وعسقلان حيث يمكن الحرس المصري ان يرقب حركاتهم روى ذلك الاب فيكورو في الكتاب والاكتشافات الحديثة (مجلد ٣ صفحة ٣٣٨) ولانرمان في تاريخه القديم للمشرق (مجلد ٦ صفحة ٢١٤ طبعة ٩) ومسبرو في تاريخه القديم لشعوب المشرق (صفحة ٣١٣ طبعة ٤)

وكان هولاء الفلسطينيون اولاً ضعفاء يؤيده قتل شمجر كثيرين منهم بمناس البقر ولكن زادهم قوة انحطاط الدولة المصرية ولحوق كثير من ابناء جلدتهم بهم الى فلسطين واستحوذوا على جت وهي ذكرين الان وعلى عقرون وهي عاقر الان فكان لهم خمسة اقطاب او خمسة امراء شديدو التحالف بينهم وسولت لهم انفسهم الاستيلاء على بلاد كنعان واخضاع بني اسرائيل والفونيقيين

لهم فافتتحوا صيدا نحو سنة ١٢٠٠ق م واخربوها كما ذكرنا في مقالة الفونيقيين عد ١١٣ وهل البلاسج الذين منهم الفلسطينيون هم من نسل يافت او من نسل حام فالعلامة لانرمان (في المحل السالف ذكره) يقول انهم يافتيون تبعًا لراي الجمهور لا سيما القدماء على ان الاب دي كارا اكثر من الحجج على ان البلاسج من الحثيين من ولد حام طالع ما دوناه مشبعاً بهذا الشان في مقالة الحثيين عد ٨٦ و ٨٨

﴿ عد ٢٣٥ ﴾

في مولد شمشون وزواجه

قال الكتاب قضاة ف ١٣ ع ٢) كان رجل من صرعة من قبيلة دان وكانت امرأته عاقرًا لا تلد فتراآى ملاك الرب لها وقال انك ستحبلين وتلدين ابنًا لا يعلو راسه موسى لانه يكون ناسكًا او نذيرًا لله ويبدأ بخلاص اسرائيل من ايدي الفلسطينيين وان تحتفظ على نفسها مدة حملها وعلى الصبي مدة حياته من شرب المسكر ومن اكل ما يكون نجسًا واخبرت زوجها بما قال لها الملاك فظهر لهما ثانية واثبت لهما بآية ما بشرهما به وحبلت المرأة فولدت شمشون فكان نذيرًا كما قال الملاك وهو اول نذير ذكره الكتاب ولما شبَّ شمشون كان يتردد بين صرعة واشتاوول اما صرعة فما برحت تسمى بهذا الاسم وقال اوسابيوس وايرونيموس انها بعيدة عشرة اميال عن بيت جبرين شمالاً وقال كاران (مجلد ٢ في اليهودية صفحة ١٧) ان صرعة واقعة حقيقة في الطريق المؤدي من بيت جبرين الى عمواص ولكن بعدها عن بيت جبرين هو خمسة عشر ميلاً واما اشتاوول فقال كاران في المجلد المذكور (صفحة ١٣) انها تسمى الان اشوع ولا تبعد عن صرعة الا اربع كيلومترات والموضعان في جانب السكة الحديدية الموصلة بين يافا واورشليم .

ونزل شمشون الى تمنه المسماة الان تبنة في جوار صرعة غير تمنه سارح مدينة يشوع بن نون فهام في حب امرأةٍ من بنات فلسطين وطلب الى ابيه وامه ان يتخذاها له زوجةً فمانعاه من ذلك لانها اجنبية فأصرَّ على طلبه ونزلا معه الى تمنه ورأى شمشون في كروم تمنه شبل لبوة يزأر فوثب عليه وفسخه بيديه كما يفسخ جديًا صغيرًا ولم يخبر اباه وامه بما فعل . وقد روى سويدا ان بطلاً يونانياً يسمى يوليداماس فعل مثل ذلك اي انه قتل اسدًا في جبل اوليمبوس وهو اعزل لا سلاح بيده وروى الكتاب ان داود ايضاً قتل اسدًا كما سترى وقد توفرت في الآثار الاشورية صور ازدوبار يخنق اسدًا بيده اليسرى وكثيرًا ما قتل المصارعون اسدًا في المحاضر الرومانية وغيرها. وعاد شمشون بعد ايام اي بعد سنة لتزف اليها المرأة التي خطبها اولاً فكانت مدة الخطبة عند العبرانيين سنة فحاد لينظر في جثة الاسد فاذا في جوف الاسد خشرم من النحل وعسل فاشتار منه على كفيه ومضى وهو يأكل واعطى منه اباه وامه فاكلا ولم يخبرهما من اين اشتاره . وقد اكثر المندوون بالكتاب من الطنطنة بتعييب تاريخ شمشون بهذه الاية زاعمين ان النحل يانف من الجثث فكيف يتخذها خلية ويصنع فيها عسله لكنهم قد تعاموا عن ان النحل وان نأى عن الجثث فلا ينأى عن العظام اليابسة وعن ان قول الكتاب بعد ايام كثيرًا ما اراد به مدد طوال . وروى هيرودت (ك ٥ فصل ١١٤) ان النحل عسَّل في جمجمة اوناسيوس حاكم قبرس الذي قطع اعداؤه رأسه واستبقوه معلقاً امامهم والجثث في البلاد الحارة كفلسطين تجف في الصيف وتيبس كالمومياء في وقت وجيز ولا تنتن فلا يفر النحل منها كما حقق كثير من الجوالة في فلسطين واثبتوا ان النحل البري فيها كثير وانه يتخذ خلاياه في الكهوف والمغاور وثقوب الاشجار بحيث يستظل من حر الشمس

وادب شمشون مأدبة العرس مدة سبعة ايام لانه كذلك كانت تصنع الفتيان وصحبه ثلاثون رجلاً وكان عشورًا فقال لهم اني ملقٍ عليكم لغزًا فان حللتموه لي في سبعة ايام الوليمة اعطيتكم ثلاثين قميصًا وثلاثين حلة من الثياب وان لم تحلوه اعطيتموني كذلك ومنه يظهر ان ملابسهم كانت يومئذٍ القميص والحلة اي الرداء الطويل فوق القميص وكذا نرى اليوم اكثر السكان هناك وفي سائر الامم البدوية في المشرق فقالوا له القِ لغزك فقال لهم خرج من الآكل أُكُل ومن الشديد حلاوة فلم يكن لهم الى حل لغزه سبيل وقالوا لعرسه خادعي زوجك ليحل لنا اللغز والا حرقناكِ مع بيت ابيكِ ألتسلبونا ادعوتمونا فاكثرت من التدلل والبكاء عليه وضايقته فاطلعها على اللغز وباحت بسره اليهم فقالوا له لا احلى من العسل ولا اشد من الاسد فقال لهم لولا انكم حرثتم على عجلتي لم تكشفوا لغزي . وروى يوسيفوس انه قال « ولا أدهى من النساء » واشتد غضبه فنزل الى اشقارن (عسقلان الان) وقتل ثلاثين رجلاً واخذ ثيابهم واعطى الحلل لحالّي اللغز . ولا عجب من قتل رجل ثلاثين رجلاً في ايام لم يكن فيها سلاح ايامنا ولم يقل الكتاب انه قتلهم مجتمعين وقد انبأتنا التواريخ ان كثيرين قتل كل منهم اكثر من هذا العدد وشمشون كان قاضيًا ورئيسًا في قومه الذين يضطهدهم الفلسطينيون فجاز له ان ينكل باعداء قومه (قضاة فصل ١٤)

عد ٢٣٦

احراق شمشون زروع الفلسطينيين وقتله كثيرين منهم بلحى الحمار

واتى شمشون في اوان الحصاد يزور امرأته وحمل اليها جديًا من المعز ويظهر من هذه الآية وغيرها ان اهل ذلك الجيل كان يوثرون لحم الجدي على

لحم الغنم في الولائم والهدايا ولما اراد شمشون ان يدخل على امرأته في حجرتها صده ابوها وقال انك ابغضتها فزوجتها من احد اصحابك ولكن هذه اختها الصغرى احسن منها فلتكن لك بدلاً منها فقال شمشون اني برئ الان من الفلسطينيين اذا انزلت بهم شرًّا وانطلق واصطاد ثلث مئة ثعلب واخذ مشاعل فجعل الثعالب ذنبًا الى ذنب وبين كل ذنبين مشعلاً واوقد المشاعل وارسل الثعالب في زرع الفلسطينيين فاحرقت الأكداس والزرع حتى الزيتون ولا يتحتم من كلام الكتاب ان يكون شمشون قد صاد كل هذه الثعالب منفردًا بل يرجح انه اعين على صيدها والكلمة في العبرانية هنا ثعليم وفي السريانية ܬܥܠܐ (تعلى) فتحتمل تفسيرها بالثعالب كما ترجمتها النسخة اللاتينية المعروفة بالعامية او ببنات آوي والجقل وهو لفظ فارسي يراد به نوع من الثعالب واثبت كثير من الجوالة في فلسطين وفرة الثعالب فيها . وقال السيد ميزلن في كتابه الموسوم بالاماكن المقدسة (طبعة سنة ١٨٥٨ مجلد ٢ صفحة ١٥٦) انه بينما كان في محلة قريبة من محل شمشون سمع عواء الثعالب من جميع المغاور والكهوف والغابات وقال « لا اعلم ان كان ثمة ثلث مئة ثعلب لكنني موقن انه لو وجد شمشون اخر واراد ان يحرق زروع بلاد الفلسطينيين لصاد من هذا الوادي وحده ما كفى وناف على عداد الثعالب اللازم لحرقها » وكان احراق زروع العدى من عادات كل جيل وكل مكان فقد وجدت صفيحة مصرية تعرف بصفيحة اوناتقش عليها لنحو من ثمانية وعشرين او ثلثين قرنًا قبل المخلص على ما رأى شباس (في كتابه دروس القدم صفحة ١٢٢) ما ترجمته « ذهب الجنود بسلام فيقوضون الحصون المنيعة ذهب الجنود بسلام فيبيدون زيتون البلاد وكرومها . ذهب الجنود بسلام فيحرقون الزروع » وجاء في اثر لاوزر تاسان الثالث في سمنة على عدوة النيل خط فيه « ان هولاء (اي

سودان بلاد النوبة) ليسوا رجالاً يستحقون الالتفات فقد اخذت نسآءهم وقبضت على شعبهم عند خروجهم لاستقاء الماء من الابار واهلكت مواشيهم واحرقت زروعهم ، ولا حاجة الى ان نذكر مواطنينا بدبيب هذه العادة السيئة الى بلادنا من اقدم الاعصر بل نتمنى نسخها

اما الفلسطينيون فلشدة حنقهم احرقوا المرأة واباها بالنار واما شمشون فضربهم ضربة اخرى عظيمة لم يفصلها الكتاب ثم نزل واقام في كهف صخرة عيطم قال الاب فيكور (الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ٣٥٥) يحتمل ان هذا الكهف كان في اخر سفح جبل يهوذا على مقربة من دير دوبان ولكن في كتاب اعلام الاماكن انه كان في قرية بيت عتاب في غربي بيت لحم فصعد الفلسطينيون وحلوا في ارض يهوذا فقال لهم رجال يهوذا لماذا صعدتم علينا فقالوا لنوثق شمشون ونصنع به كما صنع بنا فاتى ثلاثة الاف رجل من يهوذا الى كهف صخرة عيطم وقالوا لشمشون اما تعلم ان الفلسطينيين متسلطون علينا فجئنا لنوثقك ونسلمك الى ايديهم فقال لهم احلفوا لي انكم لاتقعون انتم بي فقالوا لا نقتلك ولكن نوثقك ونسلمك اليهم فاوثقوه بحبلين جديدين واصعدوه من صخرة عيطم ولما انتهى الى حيث الفلسطينيون صاحوا عند لقائه فقطع الحبلين الموثوق بهما كانهما كتان مشيط بالنار ووجد لحى حمار فتناوله فقتل به الف رجل وقال بلحى حمار كدست كومة كومتين وبفك حمار قتلت الف رجل ورمى اللحى من يده ودعا ذلك المكان رامة لحى . اما قطعه الحبلين فبالقوة غير العادية التي حباه الله اياها . واما ضربه الف رجل كما في النص العبراني او قتلهم كما في الترجمات فنسبته الى شمشون نسبة ظفر الجنود الى القائد فكثيرًا ما يقال ان فلانًا القائد افتتح المدينة او كسر جيش العدو ولا يكون المراد منه انه فعل ذلك بنفسه منفردًا فقد يكون بعض من

بني يهوذا عاونوا شمشون على قتل الفلسطينيين بعد ان رأوه قطع وثاقه وبطش باعدائهم . وهب انه صنع ذلك بنفسه فما على الله امر عسير وقد كان الرعب تولى قلوب الفلسطينيين لما سمعوا ورأوا من اعمال هذا البطل

وقد عطش شمشون بعد هذه الموقعة حتى كاد يهلك عطشاً فصرخ الى الرب « فشق الله مورم الفك فخرجت منه مياه فشرب ورجعت روحه اليه (اي قوته) وعاش ولذلك دعا ذلك الموضع عين الداعي وهي في لحى الى اليوم » كذا في نسخة الآباء اليسوعيين البيروتية ومورم الفك منبت الاضراس فيه . وفي الترجمة العربية التي طبعها الامريكيون في بيروت سنة ١٨٨٤ « وشق الله الكفة التي في لحى فخرج منها ماء فشرب » والكفة كل مستدير ونقرة يجتمع فيها الماء وقال بعض المفسرين تبعاً لظاهر الاية ان الماء خرج من فك الحمار والله على كل شيء قدير ولكن يظهر من الترجمة الكلدانية ان الماء خرج لا من اللحى اي الفك بل من المحل الذي رماه فيه وسمى رامة لحى اي مرمى اللحى فالعرب وغيرهم من اصحاب اللغات يسمون كل صخر مرتفع ومنقطع عن غيره سناً وعليه فيكون المعنى ان الله شق سناً اي صخراً في المحل المسمى لحى فخرجت منه مياه وباقي الاية مشعر بذلك كقوله « ولذلك دعا ذلك الموضع عين الداعي وهو في لحى الى اليوم » والا لقال « واللحى باقٍ الى اليوم » وذكر كلمت ان كليكاس (في قسم ٢ من تاريخه) وانطونينوس الشهيد (في اخبار رحلته) ذكرا عين الداعي هذه وقالا انها كانت في ايامهما ولم يشيرا الى انها خارجة من فك حمار . وقال يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ٥ فصل ١٠) ان العين خرجت من صخر وعليه مشى اكثر المفسرين ولا حاجة الى تكثير المعجزات فيكفي اخراج الماء من صخر اومن الارض . وقال بروكوب (في مقدمات مكتبة الاباء اليونان مجلد ٨٧ جزء ١) « يقال ان الله فتح ثقباً في

الفلك فاخرج منه المياه والامثل انه فتح الارض بالفلك ، واما موقع اللحى او رامة لحى فقال فيه كاران (مجلد ٢ في اليهودية صفحة ٣٩٦) انه كان في المحل المسمى الان خربة عين اللحى قريباً من عتان في غربي بيت لحم وبيت جالا واسند ذلك الى ان الاسم الان وفي سفر القضاة واحد والى قرب هذا المحل من عتان حيث كانت صخرة عيطم التي لجأ شمشون اليها ولا يقدر ان الفلسطينيين اجتمعوا في محل بعيد عن مخبأ شمشون

عد ٢٣٧

اقتلاع شمشون باب غزة وحمله وقبض الفلسطينيين عليه وموته

جاء في سفر القضاة (فصل ١٦) ان شمشون انطلق الى غزة ودخل الى بيت بغي او صاحبة نزل فاحتاط به الفلسطينيون سكان غزة وكمنوا له الليل كله عند باب المدينة واوصدوا الباب وقالوا عند الصبح نقتله فقام شمشون عند نصف الليل فاخذ مصراعي باب المدينة بعضادتيه وقلع الباب ومغلاقه وصعد به الى راس الجبل الذي قبالة حبرون وهو اكمة في الجنوب الغربي من غزة تسمى المنطاد فالتقليد القديم واهل غزة الان ايضاً يقولون ان شمشون على هذه الاكمة وضع باب المدينة (فيكورو الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ٣٥٩)

واحب شمشون بعد ذلك امرأة اسمها دليلة ساكنة في وادي سوريق وهو الوادي الممتد من سفح الجبل المبنية عليه صرعة المار ذكرها نحو الغرب . قال كثير من الاباء القدماء منهم فم الذهب (خطبة ١٧) والقديس افرام(في تفسيره سفر التكوين) ان شمشون اتخذ هذه المرأة زوجة شرعية وقال غيرهم انها كانت سرية تسراها وعلم بذلك اقطاب الفلسطينيين فصعدوا اليها واغروها بمال وقالوا خادعيه وانظري بماذا قوته وبماذا نتمكن منه واخذت تتدلل عليه

وتساله بتلطف بماذا قوته وشعر بمكرها فقال اذا اوثقوني بسبعة اوطار طريئة لم تجف فاضعف واصير كواحد من الناس فدفع اليها الاقطاب هذه الاوتار فشدته بها والكمين رابض عندها وقالت دهمك الفلسطينيون ياشمشون فقطع الاوتار كما يقطع خيط المشاقه اذا شيط بالنار وعادت تتدلل عليه وتعتبه لانه كذبها الحديث فقال لها ان اوثقوني بحبال جديدة لم تستعمل قط فاني اضعف فشدته كذلك وصاحت دهمك الفلسطينيون ياشمشون والكمين رابض فقطع الحبال كما يقطع الخيط . فقالت الى متى تخدعني وتكذبني فاخبرني بما توثق فقال اوثق اذا ضفرتِ سبع خصل راسي مع السدى (ما مد من خيوط النسيج وهو خلاف لحمته) فشدت خصل شعره بالسدى ومكنتها بالوتد وقالت كالاول فاستيقظ من نومه وقلع وتد النسيج والسدى وعادت تضايقه وتضاجره كل يوم فضاقت نفسه وكاشفها بسره قائلاً لم يعلُ موسى راسي لاني نذير للرب من بطن امي فان حلق راسي فارقتني قوتي ورأت انه كاشفها بما في قلبه فدعت اقطاب الفلسطينيين واضجعته على ركبتيها ودعت رجلاً فحلق سبع خصل راسه وصاحت دهمك الفلسطينيون ياشمشون فاستيقظ من نومه وقال اخرج كما كنت اصنع كل مرة وانتفض وهو لا يعلم ان الرب فارقه لاخلافه نذره ووثب الفلسطينيون الكامنون فقبضوا عليه وفقوا عينيه وشدوه بسلستين من نحاس ونزلوا به الى غزة وكان يطحن في السجن . ولا نحتاج الى اخبار قومنا بما اعلم تومسن الانكليزي قومه بالارحاء التي تدار باليد ووضع صورة امرأتين تديران رحى فان هذه الارحاء ما برحت في كثير من قرانا وهي المعروفة بالجاروشة

وقد حان اوان الاخذ بالثار فان شعر شمشون اخذ يطول واجتمع اقطاب الفلسطينيين ليذبحوا ذبيحة لداجون معبودهم واتوا بشمشون ليلعب امامهم

فأتى ولعب واقاموه بين العمد فقال للصبي الآخذ بيده دعني المس العمد القائم عليها البيت حتى اتكئ عليها وكان البيت غاصًا بالرجال والنساء وفوق السطح نحو ثلاثة الاف منهم يتفرجون على شمشون وهو يلعب فصلى الى الله صلوة خاشعة وقبض على العمودين الذين في الوسط القائم عليهما البيت واتكأ عليهما آخذًا احدهما بيمينه والاخر بشماله وقال لتمت نفسي مع الفلسطينيين وانحنى بشدة فسقط البيت على الاقطاب وجميع من فيه فكان الموتى الذين قتلهم في موته اكثر من الذين قتلهم في حياته ونزل اخوته واهله فحملوه ودفنوه بين صرعة واشتاوول في قبر منوح ابيه وكان قد تولى القضاء على اسرائيل عشرين سنة

واصح تفسير للايات المنبئة بسقوط البناء على شمشون والفلسطينيين هو ما ذكره العالم ستارك في مقالته في غزة وشاطي فلسطين حيث قال ما ملخصه ان الملعب لم يكن هيكل داجون نفسه بل اروقة بجانبه قائمة على اعمدة يتخللها عرصة تجتمع الناس فيها وعلى اسطحة الاروقة المستوية فيتيسر للشهَّد روية اللاعبين ويصل بين الاعمدة المتقاربة جذوع من خشب فزعزعة عمودين منها ادت الى انقياض البناء كله فمات من كان تحته ومن كان فوقه . ويظهر ان شمشون صنع ذلك بالقوة غير العادية التي حباه الله بها وكانت عاودته بعد ان طال شعره وقد اراد الله ذلك انتقامًا من الفلسطينيين الذين كانوا يضطهدون شعبه فجعل شمشون ينتقم منهم في حياته وعند مماته ورأى بعض الاباء والعلماء انه يمكن تبرئة شمشون من الاثم فهو كان قاضيًا وحاكمًا ومدافعًا عن بني اسرائيل فكان له ان يتعمد مضرة اعدائهم ونفع قومه ولو بتعريض نفسه للموت كما فعل ويفعل كثير من الملوك وقواد الجيوش باقتحامهم بانفسهم حومة الوغى

وقد وجد العالم كاران مدفن شمشون اذ قال (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ٣٢٤) انه بينما كان في قرية بيت عتاب القريبة من صرعة اخبره بعض سكانها انه يوجد محلٌ على مقربة من صرعه وعرطوف يسمى خربة عسلين وان ثمة معبدًا تسميه العامة ولي شيخ غريب وانهم هم يسمونه قبر شمشون ويعتقدونه كذلك وقال ذكرتني هذه الاخبار ان شمشون بعد ان مات تحت الردم في غزة حمله اخوته ودفنوه في مدفن ابيه منوح بين صرعة واشتاوول وقال لي سكان بيت عتاب ان القرية المسماة الان اشوع كانت تسمى قديما اشوعال او اشتوعال فرأيت ان هذه الا اشتاوول التي ذكرها الكتاب وصرعه معًا والمدفن بينهما وقد شخصت الى خربة عسلين وعاينت مقام ولي شيخ غريب وهو الان معبد للاسلام وقد يكون المعبد بني فوق المدفن ولما كانت خربة عسلين واقعة بين صرعة جنوبًا وبين اشوعال اي اشتاوول في الشرق الشمالي رايت ان المحل المسمى الان ولي شيخ غريب هو مدفن شمشون ويؤيد ذلك ان الربيّ اسحق كالو الذي جال في فلسطين سنة ١٣٣٣ قال في مقالته الموسومة بطرق اورشليم « ومن اورشليم الى صرعة وطن شمشون ... والسكان يدلون هناك على مدفن شمشون وهو اثر قديم مزين بفك الحمار الذي قتل به الفلسطينين » والحاصل ان مواقع هذه المحال المطابقة لنص الكتاب والتقليد الذي حفظه سكان تلك الناحية وما رواه الربيّ اسحق المذكور جعلت كاران يرى ان هناك مدفن شمشون وابيه منوح وتبعه في ذلك الاب فيكورو (الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ٣٧٠) ذاكرًا كلام كاران برمته وجميع هذه الاماكن واقعة بين الرملة واورشليم حيث الخط الحديدي الان

﴿ عد ٢٣٨ ﴾

احداث داخلية في مدة القضاة

قد ذيّل كاتب سفر القضاة سفره بخبر حدَثين ذكرهما في الفصول الاخيرة منه فهما مقدمان حدثًا وان تأخرا وضعًا اولهما ان رجلاً من جبل افرائيم اسمه ميخا اخذ الف ومئة مثقال فضة من امه فردها عليها فاخذت امه مئتي مثقال منها ودفعتها الى الصائغ فعملها صنمًا منقوشًا وكرّس ميخا يد احد بنيه فصار له كاهنًا ثم اخذ لاويًا فكرس يده وجعله كاهنًا له وكان بنو دان ارسلوا رجالاً ليجسوا الارض ويوسعوا ميراثهم فباتوا في بيت ميخا وعرفوا الفتى اللاوي ولما اتوا برجالهم للاستيلاء على لايش التي سموها دان (تل القاضي الان) اخذوا اللاوي والصنم ونصبوه في مدينتهم الجديدة وعبدوه اكتفاء به عن بيت الله في شيلو (سيلون)

والحدث الثاني ان رجلاً لاويًا من جبل افرائيم اتخذ امرأة من بيت لحم يهوذا فتركته وعادت الى اهلها فسار في طلبها وعاد بها الى بيته واغربت الشمس عليهما عند يبوس (اورشليم) ولم يَرد المبيت فيها لان اهلها من الكنعانيين وتقدما الى جبع وهي المعروفة الان بتل الفول على بعد ميلين ونصف شمالاً من اورشليم على ما رجح كاران (مجلد ١ في السامرة صفحة ١٩٢) سندًا الى شهادة يوسيفوس وحجج روبينسون ودخل الرجل وامرأته بيتًا ليبيتا فيه فاختطف قوم اشرار المرأة وفجروا بها حتى ادّى الى موتها فحمّلها رجلها على حماره الى مكانه وقطعها مع عظامها اثنتي عشرة قطعة ووزعها في جميع تخوم اسرائيل فاستفظع بنو اسرائيل هذا الصنيع وأتمروا وخرج اربع مئة الف من كل اسباط اسرائيل بطلب الجانين ليقتصوا منهم بقتلهم ويصرفوا الشر والعار عن بني اسرائيل فأبى بنو بنيامين ان يسمعوا لمقال اخوتهم فحاربهم بنو اسرائيل

فقُتل من بني اسرائيل اثنان وعشرون الف رجل فخشعوا الى الرب وصاموا وعادوا الى الحرب مع آل بنيامين فقتلوا منهم خمسة وعشرين الفًا وارتدوا الى الناس الذين في المدينة فقتلوهم واحرقوا مدنهم بالنـار وحلفوا بان لا يزوج رجل منهم ابنته لاحد من بني بنيامين ثم ندموا على قرضهم سبطاً من اسباط اسرائيل ولم يكن باقياً من سبط بنيامين الا ست مئة رجل فرّوا واختفوا في صخرة الرمّون وهي رومان الان في شرقي بيت اين (اعلام الاماكن) ولما لم يجدوا احدًا من اهل يابيش جلعاد (السلط) عاونهم على بنيامـين سيروا اليها اثني عشر الفاً فقتلوا الرجال والنساء واستبقوا اربع مئة صبيـة اشخصوهنّ الى شيلو واستدعوا البنياميـنيـين فصالحوهم وازوجوهم هولاء البنات وبقي مئتان منهم فارسلوهم عند خروج البنات الى الرقص في عيـد سنوي في شيلو فكمنوا في الكروم وخطفوا مئتي بنت من شيـلو وتزوجوا بهنّ وقالوا لا يكـون اهلهنّ اخلفوا يمينهم لانهم لم يعطوهم اياهنّ طوعاً . فهذا مثالٌ لما كان عليه بنو اسرائيل في تلك الايام من الهمجية

كانت راعوث الموابية في عهد القضاة ايضاً على ان الكتاب افرد لها سفرًا مخصوصاً فنذكر خبرها في العدد التالي

الفصل الحادي عشر

(في راعوت وعالي الحبر وصموئيل النبي)

عد ٢٣٩

في راعوت الموابية

قد انبأنا الكتاب باخبار راعوت في السفر المنسوب اليها متضمنًا اربعة فصول فقط وموضوع هذا السفر بيان نسب داود اصل السلالة الملكية التي ولد منها المخلص وهذا النسب لم يذكر في سفر الملوك بل ذكر في هذا السفر في الفصل الرابع منه من عد ١٨ الى عد ٢٢ قال الاب فيكورو (الموجز الكتابي عد ١٦٠) « ان هذا النسب غير كامل اذ لم يذكر به من فارص بن يهوذا الى داود الأ عشرة آباء وهذا العدد غير كافٍ لمدة ستة او ثمانية قرون على ان الكاتب اراد ان يذكر اخص اجداد داود فقط وان يثبت انه من اصل يهوذا بن يعقوب » وقد جاء في الفصل الاول من بشارة متى ان عدد هولاء الاباء من فارص بن يهوذا الذي نزل مع ابيه الى مصر الى سلمون الذي تزوج براحاب انما هو سبعة كما في سفر راعوت ايضاً وعدد السبعة الاباء في مدة عبودية بني اسرائيل في مصر وهي اربع مئة وثلاثون سنة ومدة اقامتهم في البرية وهي اربعون سنة هو كافٍ لهذه المدة التي مجموعها اربع مئة وسبعون سنة ولكن العدد الذي ذكر في بشارة متى وسفر راعوت وهو ان سلمون ولد بوعز الذي تزوج براعوت وولد منها عوبيد وعوبيد ولد يسى ويسى ولد داود هو غير كافٍ لمدة القضاة ولمدة ملك شاول اربعين سنة فان كان حذفٌ من اسماء هولاء الاباء فيكون في هذه المدة من سلمون الى داود الأ ان يقال ان هولاء الاباء

كانت اعمارهم طويلة او ان يقال مع لانومان ان مدة القضاة كانت اقل مما جاء في كل التقاويم التي أذيعت حتى الان طالع ما ذكرناه في عد ٢٢٦ وقد كانت راعوت في مدة القضاة ولذا حسب بعضهم السفر المنسوب اليها ذيلاً او تتمة لسفر القضاة ولكن لا يمكن ان يعين في مدة اي القضاة كانت الاحداث المحكى عنها في هذا السفر فرجح بعضهم ان الجوع الذي استهل السفر بذكره كان في ايام تسلط المديَنيين على بني اسرائيل اي في مدة جدعون وروى يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ٥ ف ٩) ان بوعز الذي تزوج براعوت كان في ايام عالي الآتي ذكره . وكذا لا علم يقين لنا بمن كتب هذا السفر فنسق عباراته مخالف لنسق سفر القضاة وسفري الملوك الاولين وعزاه كثير من العلماء الى صموئيل وقال غيرهم ان حزقيا كتبه ولا حجة لهم في ما يدعون والظاهر انه دوّن في ايام داود او بعيد موته لاختتام النسب الوارد فيه بذكر هذا الملك

واما الاخبار الواردة في هذا السفر فهي انه كان في ايام حكم القضاة جوع في ارض فلسطين فهاجر رجل من بيت لحم يهوذا اسمه اليملك الى ارض مواب هو وزوجته نعمى وابناه محلون وكليون فتوفي اليملك واتخذ ابناه امرأتين موابيتين اسم الواحدة عرفة واسم الاخرى راعوت واقاما هناك عشر سنين وماتا فعزمت نعمى على العود لوطنها ورافقتها كنتاها فسألتهما ان يبقيا في وطنهما بين اهليهما وألحّت نعمى عليهما فبكتا واذعنت عرفة لسؤالها واما راعوت فاصرّت على مرافقة حماتها حتى الموت وقالت حيثما ذهبتِ اذهب وحيثما بتِّ ابِتْ شعبك شعبي والهك الهي وحيثما تموتي امت وهناك أُدفن وذهبتا كلتاهما حتى دخلتا بيت لحم وكان لاليملك ذو قرابة اسمه بوعز فذهبت راعوت لتلقط سنابل من وراء الحصادين واتفق ان كان قطعة حقل لبوعز وان

راعوث مضت اليها ولما اقبل بوعز سأل غلامه القائم على الحصادين لمن هذه الفتاة فقال هي فتاة موابية رجعت مع نعمى من ارض مواب فقال لها بوعز لا تذهبي تلتقطي من حقل اخر ولا تبرحي من ههنا ولاطفها واثنى عليها بصنيعها مع حماتها واباحها ان تشرب من اوعيتهم وتاكل من خبزهم وتغمس لقمتها بالخل معهم وقدم لها فريكاً فاكلت وشبعت واستبقت ما فضل معها واعطت حماتها عند عودها ما فضل عنها بعد شبعها وقالت لها حماتها ان بوعز هو ذو قرابة لهم وان تلازم حقله وان تغتسل وتتطيب وتلبس ثيابها واذا رقد تعاين مرقده وتكشف جهة رجليه وتضجع فيخبرها بما تصنع ففعلت راعوث ما قالت حماتها وقلق بوعز عند انتصاف الليل فاذا بامرأة مضجعة عند رجليه فسألها من هي فقالت انا راعوث آمتك فابسط ذيل ثوبك لانك وليّ فباركها وقال انها فاضلة ونعم انه ولي لكن لها وليًا اقرب منه وتركها تبيت ليلتها وقامت قبل ان يعرف الانسان صاحبه فكال لها ستة آكيال شعير وحملها عليها فعادت الى حماتها فاخبرتها بما كان ودخل بوعز المدينة وجلس على الباب فاذا الولي الذي تكلم عنه عابر فدعا بعشرة رجال من اشياخ المدينة وقال للولي ان نعمى باعت حصة حقل اليملك اخينا فان كنت تريد ان تفتكّ فافعل والا فاخبرني لانه ليس من يفتك غيرك وانا بعدك فقال انا افتك فقال بوعز انك يوم تشتري الحقل تأخذ راعوث امرأة الميت لتقيم اسمه على ميراثه فقال الولي اشترِ انت لنفسك وخلع نعله وكذا كانت العادة في اسرائيل في امر الفكاك والمبادلة ان يخلع الرجل نعله ويدفعه لصاحبه فاشهد بوعز الشيوخ وجميع الحاضرين انه اشترى جميع ما كان لاليملك وابنيه وانه اخذ راعوث امرأة له فقال جميع القوم فليجعلها الرب كراحيل وليا واتخذ بوعز راعوث فولدت له عوبيد وهو ابو يسى ابي داود وقال كثير من المفسرين ان بوعز وراعوث لم يرتكبا اثمًا عند اضجاعها جهة رجليه

﴿ عد ٢٤٠ ﴾

في عالي الحبر

ان عالي كان من قضاة بني اسرائيل وبينما كان يلي قضاءهم في شيلو مركز الامة حيث بيت الرب كان شمشون ينكل بالفلسطينيين في جنوب البلاد على ان كاتب سفر القضاة اغفل ذكر عالي وكاتب سفري الملوك الاولين المعروفين بسفري صموئيل لم يذكره الا استطرادًا في معرض ذكر اخبار صموئيل ٠ ولم ينبئنا الكتاب انه شهد حربًا او خلص بني اسرائيل من عدو لهم كما فعل باراق وجدعون وغيرهما بل انه كان حبرًا يعني باتمام ما فرض في السنَّة الموسوية ويدعو الى عبادة الله في خباء المحضر المنصوب في شيلو ويفصل الدعاوى بين بني اسرائيل فكان حبرًا وحاكمًا معًا وهو من ذرية هرون لكنه لم يكن من ولد اليعازر الذين لهم حق رئاسة الاحبار بل من ولد ايتامار بن هرون ايضًا ولم يذكر الكتاب لِمَ او متى او كيف انتقلت رئاسة الاحبار من بني اليعازر الى بني ايتامار وقد استمرت فيهم الى ايام سليمان بل تبين منه ان عالي كان فاضلاً غيورًا ورعاً لكنه كان ضعيفًا لا يتمالك كف ابنيه حفني وفنحاس عن المساوي وانتهاك حرمة الهيكل بل كان يعتبهما عتابًا رقيقًا يزيدهما تورطًا

وكان الفلسطينيون ازدادوا جرأة وسطوًا ولم يقتصروا على مضايقة بني اسرائيل في الجنوب بل تطرق اعتداؤهم الى من سكن منهم في وسط فلسطين وشمالها والى الفونيقيين ايضًا فخرج بنو اسرائيل لقتالهم ونزلوا في المحل الذي سمي بعد ذلك حجر النصرة ونزل الفلسطينيون في افيق وقد جاء في معجم الكتاب لفيكورو ذكر قولين في حجر النصرة وافيق اولهما لكوندر وكارمون كانو قالا فيه ان حجر النصرة كان في محل دير ابان الان بعيدًا نحو ثلثة اميال شرقًا عن عين شمس وهي بيت شمس القديمة في شمالي بيت الجمال وعليه

فرجح ان افيق كانت في المحل المسمى الان البلاد الفوقا على بعد نحو ستة كيلومترات في الجنوب الغربي من دير ابان وثانيهما لبيرش وتوما شابلين قال اولهما ان حجر النصرة كان في محل خربة صموئيل الان على بعد الف وست مئة متر جنوباً من المحل المسمى النبي صموئيل في الشمال الغربي من اورشليم وقال ثانيهما ان حجر النصرة كان في محل بيت عكسه الان واتفق اثناهما ان افيق كانت في محل القسطل في غربي اورشليم وشرقي ابي غوش ومهما يكن من امر المكان فقد التحمت الحرب وانهزم بنو اسرائيل من وجه الفلسطينيين وقتل منهم اربعة الاف رجل وعادوا الى محلاتهم جزعين فارسلوا وحملوا تابوت عهد الرب من شيلو الى معسكرهم وسار معه حفني وفنحاس ابنا عالي فاكثر بنو اسرائيل من الهتاف عند حلول التابوت بينهم واملوا النصر به على اعدائهم كما دكت به اسوار اريحا ايام اجدادهم لكنهم لم يشأ كلوهم ايماناً وتكلاناً على الله ولذا خذلهم عند عودهم الى محاربة الفلسطينيين فانهزموا وتشتت شملهم وهرب كل منهم الى خيمته وقتل منهم ثلاثون الف رجل منهم حفني وفنحاس وأخذ تابوت عهد الله وجرى رجل الى شيلو واذاع الخبر فيها فتمالى الضجيج وسمع عالي وكان ابن ثمانٍ وتسعين سنة فسقط عن الكرسي الى خلفه فاندق عظم عنقه ومات وكان قد تولى قضاء اسرائيل اربعين سنة كذا في النص العبراني والترجمة اللاتينية العامية ولكن في السبعينية عشرين سنة . وكانت كنته امرأة فنحاس حبلى وقد دنت ايام ولادتها فلما سمعت ان التابوت أخذ وان حماها وبعلها ماتا سقطت وولدت واشرفت على الموت فقال لها من حولها لا تخافي قد ولدتِ غلاماً فلم تجبهم ولم تمل قلبها وسمت الصبي ايكابور قائلة قد انتقل المجد عن اسرائيل وقال يوسيفوس ان معنى الكلمة عار وذل لكنه رواها يواخاب او يوكاب . (ملوك اول فصل ٤)

﴿ عد ٢٤١ ﴾

ضربات الله الفلسطنيين لامساكهم تابوت العهد واضطرارهم الى رده

لم يحسب الفلسطينيون انتصارهم على بني اسرائيل نصرة شعب على شعب فقط بل وهموا انه انتصار داجون معبودهم على اله بني اسرائيل فاخذوا تابوت العهد واقاموه في هيكل داجون في اشدود (اسدود) كأنه ليسجد له وكانوا يعتقدون داجون مصدر القوة المولدة على نحو ما كان يعتقد الكنعانيون مصدر هذه القوة في بعل . وقد دلتنا الآثار القديمة انهم كانوا يصورون معبودهم هذا نصفه الاعلى بهيئة انسان ونصفه السفلي بهيئة سمكة تذكرة لاسفارهم البحرية وقد اتفقت في هذا اكثر التماثيل التي بلغت الينا وان اختلفت في بعض الاعراض ومن هذه التماثيل صفيحتان من فضة احداهما في منضد بروسبر دوبرا في باريس والثانية في متحف مكتبة الامة هنالك تمثلان الهاً رأسه وذراعاه بشرية وسائر جسمه بهيئة الدُخَس (الدلفين) وبيد كل منهما سمكة وكأنهما عائمان في تيار البحر وقرينة داجون او امرأته المسماة درغات تُصوَّر بهيئة امرأة وسمكة ومن صورها كذلك التمثال الذي في متحف اللوفر في بريس . وقد شاء الله ان يخزي الفلسطينين ومعبودهم فانه لما دخل الكهنة في الغد بيت داجون وجدوا تمثاله ملقى على وجهه على الارض امام تابوت الرب فردوه الى موضعه وبكروا في صباح الغد فاذا بداجون ملقى على الارض امام التابوت ورأسه وكفاه مقطوعة عند اسكفة الباب وجثته وحدها في موضعها . قال الاب فيكورو (الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ٣٩١) ان في متحف اللوفر تمثالاً اشورياً نُقل اليه من قصر سرغون يمثل داجون ساقطاً على وجهه ورأسه مقطوع من عنقه ويداه محطمتان واسفل جسمه الذي هو بهيئة سمكة باقٍ

على سلامته

ولم يكتفِ الله باذلال داجون بل انبأنا الكتاب ان قد « ثقلت يد الرب على الاشدوديين فدمرهم وضربهم بالبواسير في اشدود وتخومها » الكلمة العبرانية افاليم المترجمة هنا بالبواسير تدل وضعاً على شيء مرتفع او اكمة ولذا ذهب بعض المفسرين ان المراد البواسير وذهب غيرهم الى ان المراد نوع من الدمل او الخراج وسمى يوسيفوس (تاريخ اليهود ك ٦ ف ١) هذا المرض دستريا والاظهر انه البواسير . وروى هيرودت (ك ٢ من تاريخه ف ١٠٥) ان التتر لما نهبوا هيكل افروديط في عسقلان أصيبوا بمرض يستحى منه فقال كثير من العلماء ما مصدر هذا التقليد الذي رواه هيرودت الا المرض الذي اصاب الاشدوديين عند امساكهم تابوت العهد وجاء في اكثر نسخ الترجمة السبعينية وفي اللاتينية العامية ذكر ضربة اخرى اذ قيل « وهاجت القرى والصحارى في وسط ارضهم وتولدت الفيران وحدث اضطراب موت شديد في المدينة » فهذه الاية يخلو عنها النص العبراني والترجمتان السريانية والعربية على انه جاء في النص العبراني (فصل ٦ عد ٥) ان الاشدوديين صنعوا « خمسة بواسير من ذهب وخمس فيران من ذهب » فهذا مؤيد لرواية السبعينية واللاتينية ومثبت نزول هذه الضربة بالاشدوديين وقد اضرت الفيران بزروعهم واشجارهم فكان ذلك عقاباً اخر لهم ومدعاةً لردهم تابوت الرب . وكثيراً ما تضر لفيران في زروع فلسطين الى اليوم فحملت هذه الضربات اهل اشدود ان سدعوا اليهم اقطاب الفلسطينيين ويستشيروهم في ما يفرج ضيقهم فقالوا ننقل ... التابوت الى جت (ذكرين) وفعلوا فاصاب اهل جت ما اصاب ... فصرخوا ونقلوه الى عقرون (عاقر) فاصابهم ما اصاب غيرهم ... تقتلنا وشعبنا (ملوك ١ فصل ٥)

ودعا الفلسطينيون الكهان والعرافين ليخبروهم كيف يرسلون تابوت العهد الى موضعه فقالوا لا ترسلوه فارغاً بل ادوا له كفارة على عدد اقطاب الفلسطينيين خمسة بواسير من ذهب وخمس فيران من ذهب فتصوغون مثال بواسيركم ومثال فيرانكم المفسدة لارضكم وتؤدون بذلك مجداً لاله اسرائيل لعله يخفف يده عنكم وعن الهتكم وارضكم واصنعوا عجلة جديدة وخذوا بقرتين مرضعين لم يعلهما نير وشدوا البقرتين الى العجلة وردوا عجليهما الى البيت واجعلوا التابوت على العجلة وادوات الذهب في صندوق بجانبه وانظروا فان صعدت البقرتان به في طريق تخومه جهة بيت شمس يكون هو الذي انزل بنا هذا البلاء العظيم والا علمنا انما كان ذلك اتفاقاً ففعل القوم كذلك فتوجهت البقرتان في سبيلهما على طريق بيت شمس وهما تخوران (تصيحان) في مسيرهما ولم تميلا يمنة ولا يسرة الى ان وقفتا في حقل يشوع الذي من بيت شمس فاتى اهل بيت اهل شمس فرحين برؤية التابوت وانزل اللاويون التابوت عن العجلة والصندوق الذي فيه التماثيل الذهبية وكان هنالك صخر عظيم فشققوا خشب العجلة واصعدوا البقرتين محرقة للرب وقدموا ذبائح اخرى شكراً لله وكانت مدة اقامة التابوت في ارض الفلسطينيين سبعة اشهر (ملوك ١ ف ٦) وقد مر ان بيت شمس هي عين شمس الان في شمالي بيت الجمال وفي الجنوب الغربي من قرية ابي غوش

ان اهل بت شمس انقصوا من الاحترام المفروض لتابوت عهد الرب كان مسه من لم يكونوا كهنة منهم او فتحوه لينظروا ما فيه دون تجلة واكرام فسخط الرب عليهم وامات بعضهم اذ قال الكتاب (ملوك ١ فصل ٦ عد ١٩) « وضرب الرب اهل بيت شمس لانهم نظروا الى تابوت الرب وقتل من الشعب سبعين رجلاً وكانوا خمسين الفاً » كذا في ترجمة الاباء اليسوعيين

المطبوعة في بيروت وعليها فلا اشكال في الاية اذ يكون المعنى انه اجتمع في بيت شمس عند حلول التابوت فيها خمسون الفاً من الانحاء المجاورة ولما لم يبدوا التكريم المفروض له ضرب الرب سبعين رجلاً ممن كانوا منهم اكثر قحة . الا ان النص العبراني « وقتل من الشعب سبعين رجلاً خمسين الف رجل » وفي الترجمة اللاتينية العامية « ضرب الرب بعضاً من رجال بيت شمس لانهم نظروا الى تابوت الرب وضرب من الشعب سبعين رجلاً وخمسين الفاً من السفلة » وفي ترجمة الاميركان البيروتية « وضرب من الشعب خمسين الف رجل وسبعين رجلاً » ولذا اعضلت الاية المفسرين وذهبوا في تفسيرها مذاهب اصحها ان بعض النساخ القدماء اغفلوا كلمة كانوا قبل قوله خمسين الف رجل ليكون صحيح الاية كما جأت في ترجمة اليسوعيين او ان النساخ زادوا سهواً « خمسين الف رجل » ولا اصل لها في النص واحتج القائلون بهذا المذهب ومنهم كايل الشهير بان هذه العبارة ساقطة في كثير من النسخ المخطوطة العبرانية وبان يوسيفوس لم يذكر الا سبعين رجلاً وبانه لم يسمع في العبرانية ذكر عدد العقود قبل عدد الالوف فكان المتحتم ان يقال خمسين الف رجل وسبعين رجلاً وبان حرف العطف ساقط من كلمة خمسين . فناح الشعب لان الرب ضربه هذه الضربة العظيمة وارسل اهل بيت شمس رسلاً الى سكان قرية يعاريم ليأتوا ويصعدوا تابوت عهد الرب الى قريتهم فاتوا وادخلوه بيت ابيناداب في الاكمة وقدسوا اليعازر ابنه لحراسة التابوت واستمر التابوت عشرين سنة في قرية يعاريم التي يرجح كاران انها المسماة الان قرية العنب او قرية ابي غوش على طريق المركبات من يافا الى اورشليم تبعد عشرة اميال عن اورشليم ومعنى يعاريم الاشواك او الغابات ويعرا ܝܥܪܐ السريانية التي تجمع ܝܥܪ̈ܐ (يعرين) معناها الاشواك فكأنه كان هناك قديماً غابات جعل

محلها كروماً فسميت قرية العنب

﴿ عد ٢٤٢ ﴾

﴿ في مولد صموئيل وخدمته في هيكل الرب في شيلو ﴾

افتتح كاتب سفر الملوك الاول كلامه بخبر مولد صموئيل لكن عالي الحبر كان قبله بل كان صموئيل يخدمه في الهيكل فقدمنا خبر عالي وما كان في ايامه على ذكر صموئيل وان أخَّره الكتاب وضعاً . فقد جاء في الفصل الاول من سفر الملوك الاول انه كان رجل من الرامتائيم صوفيم من جبل افرائيم اسمه القانه مزوجاً بامرأتين اسم احداهما حنه واسم الاخرى فننه فرزقت فننه بنين ولم يكن لحنه ولد وكانت ضرتها تغضبها معنتة لها لذلك وكانت حنه مكتئبة النفس وكان زوجها يشخص كل سنة من مدينته الى شيلو ليسجد للرب مع امرأتيه فصلّت حنه الى الرب وبكت ونذرت انها ان رزقها الرب ابناً جعلته نذيرًا لله كل ايام حياته ولا يعلو رأسه موسى فاستجابها الرب وحملت وولدت ابناً دعته صموئيل ومعناه الملتمس او المسئول من الرب او سمع الرب . وبعد فطامه جأت امه به الى هيكل الرب في شيلو فكان يخدم عالي فيه وليس المراد بالفطام كفه عن الرضاع بل المراد به استغناؤه عن امه فان العادة في فلسطين فطام الاولاد في السنة الثالثة بعد مولدهم فنرى ام المكابيين تقول لاصغر ابنائها (مكابيين ٢ فصل ٧ عد ٢٧) « يا بنيَّ ارحمني انا التي حملتك في جوفي تسعة اشهر وارضعتك ثلث سنين » والا لكان صموئيل وقرًا على عالي لا خادماً في بيت الرب وقدمت حنه ذبيحة للرب عند تقدمة ابنها لخدمة بيته وفاهت بتسبحة بليغة اشبه بتسبحة العذراء بعد تجسد المخلص بها وهي مثبتة في الفصل الثاني من سفر الملوك الاول وكانت امه تنسج له كل سنة جبة صغيرة وتأتيه بها عند صعودها الى الهيكل • ودعا الرب ذات ليلة صموئيل فظن عالي يدعوه

فركض اليه وقال لبيك فاجابه عالي لم ادعكَ يا بني ارجع فنم فعاد ونام فدعاه الرب ثانية فهب الى عالي فاجابه كالاول فمضى ونام ثم دعاه الرب ثالثة وانطلق الى عالي ففهم عالي ان الرب هو الذي يدعو الصبي فقال له اذهب فنم وان دعاك ايضاً فقل تكلم يارب فان عبدك يسمع وكان كذلك فاعلمه الرب ما يحل ببني اسرائيل وبعالي الحبر وابنيه حفني وفنحاس كما رأيت ومن الصباح استنطقه عالي عما كلمه الرب به فلم يكتمه شيئاً وذاع خبر صموئيل وعلم كل بني اسرائيل ان الرب ائتمنه نبياً وكانوا يسمعون له واختاروه بعد موت عالي وابنيه قاضياً في اسرائيل فكان اخر القضاة واول الانبياء وكان يقيم في الرامتائيم صوفيم الاتي بيان موقعها

اطال كاران الكلام واجاده (مجلد ١ في اليهودية صفحة ٣٦٣ الى صفحة ٣٨٤) في بيان موقع الرامتائيم صوفيم المسماة احياناً الرامة ومما قاله ان بعض العلماء ظن موقعها في جبل الفريديس في الجنوب الشرقي من بيت لحم على مسافة اربعة اميال وحسبه بعضهم في محل صوبا الان في غربي اورشليم على بعد ستة اميال عنها واسندوه الى تقارب الحروف في اسمي صوبا وصوفيم وقال آخرون ان موقعها كان في رام الله في شمالي اورشليم وغربي البيري ثم حقق ان موقعها كان في المحل المسمى الان النبي صموئيل في الشمال الغربي من اورشليم على الطريق القديم المؤدي من يافا الى اورشليم مثبتاً ذلك بانطباق آيات عديدة من الكتاب على هذا الموقع وبان قرية النبي صموئيل قائمة على اكمتين تصدق عليها تسمية الرامتائيم اي الرامتين والرامة المحل المرتفع وان كلمة صوفيم مشعرة بنسبة هذا المحل الى صموئيل اذ ذكر الكتاب احد جدود صموئيل يسمى صوف بقوله في ابيه القانة انه « ابن يروحام بن اليهو بن توحو بن صوف » فضلاً عن تسمية المحل باسمه منذ زمان لا يعرف بدؤه

﴿ عد ٢٤٣ ﴾

في الاسفار المنسوبة الى صموئيل

ان الاسفار الاربعة التي نسميها اسفار الملوك ليست من قلم كاتب واحد وان كان موضوعها واحدًا بل ان النص العبراني يسمي الاولين منها سفري صموئيل والاخيرين سفري الملوك وكذلك تسميها نسختنا السريانية على ان الترجمتين السبعينية واللاتينية العامية قسمتاها الى اربعة اسفار معزوة الى الملوك فتغلبت تسميتها باسفار الملوك ولم تكن تسمية السفرين الاولين منها سفري صموئيل للقطع بان هذا النبي كتبهما بل لان اخص مدار الكلام فيهما انما هو على ميلاده وقضائه في اسرائيل ومسحه الملكين شاول وداود وسائر اعماله ومع هذا قد اثبت يوسيفوس وكثير من الاباء ان صموئيل كتبهما الا اخبار الاحداث التي جرت بعد موته . وقال كثير من اليهود وعلماء هذا العصران صموئيل دوّن الاربعة والعشرين فصلاً من السفر الاول وان النبيين جاد وناتان دونا الباقي واحتجوا لقولهم بآية من سفر اخبار الايام الاول (ف ٢٩ عد ٢٩) وهي « واخبار داود الملك الاولى والاخيرة مكتوبة في كلام صموئيل الرآئي وناتان النبي وجاد الرآئي » الا ان هذه الاية لاتثبت ان صموئيل كتب السفرين المنسوبين اليه ويمكن تخريجها ان كاتب سفر اخبار الايام اراد بكلام صموئيل سفري الملوك الاولين بحسبما كان يسميهما العبرانيون لا لان صموئيل كتبهما بل لان مدار كلامهما عليه لا سيما لان الاحداث المحكى عنها في السفر الثاني جرت بعد موت صموئيل وفي السفر الاول نفسه آيات لا جرم انها كتبت بعد الاحداث المنبئة بها ولم يكتبها كاتب معاصر لها منها قوله « وتولى صموئيل قضاء اسرائيل كل ايام حياته » (ملوك ١ ف ٧ ع ١٥) وقوله « لان الذي يقال له اليوم نبي كان يقال له من قبل رآء » (ملوك ١ ف ٩ ع ٩)

وقوله « فلذلك صارت صقلاج لملوك يهوذا الى اليوم » (ملوك ١ ف ٢٧ ع ٦) وعزا آخرون هذين السفرين الى داود وغيرهم الى اشعيا وارميا وحزقيال او عزرا وليس لاصحاب كل هذه الاقوال بينة قاطعة عليها والحاصل ان الامثل ان نقول ان كاتبهما نكرة لم تعرف الى الان وكل ما يمكن ترجيحه انما هو ان السفرين كتبا بعيد موت سليمان في ايام راحبعام ابنه وانه لا مرية في ان السفر الثاني لم يكتبه صموئيل لان ما انطوى عليه كان بعد وفاته على ان كاتب السفرين الاولين هو غير كاتب السفرين الاخيرين وان قال كثير من المدققين انهما واحد ويستدل على ذلك باختلاف النفس وطريقة الكتابة فالسفران الاولان غاية في فصاحة اللغة العبرانية ونقاوتها من الالفاظ والاساليب الاعجمية والسفران الاخيران ينحطان لغةً عن الاولين ويمازجهما الفاظ ارامية كلدانية وكاتب الاولين صرف عنايته في تدوين اخبار الاشخاص واطال العبارة وكاتب الاخيرين اوجز العبارة واهمل ذكر قرائن عديدة وصرف من العناية في تدوين اخبار الاحداث اكثر منها في تعريف الاشخاص وانسابهم ثم ترى في السفرين الاخيرين ذكرًا صريحًا لاسفار موسى وترى كاتبهما يستشهدها ولا ترى مثل ذلك في السفرين الاولين الى غير ذلك من الادلة (ملخص عن الموجز الكتابي لفيكورو عد ٤٦٤ وما يليه)

عد ٢٤٤

محاربة بني اسرائيل للفلسطينيين وظفرهم بهم بارشاد صموئيل

قد ضايق الفلسطينيون بني اسرائيل فاجتمع هولاء لدى صموئيل شاكين اليه ضيقهم وذلهم فقال لهم ان كنتم تائبين الى الرب من كل قلوبكم فاذيلوا الالهة الغريبة والعشتاروت من بينكم واعدُّوا قلوبكم للرب واعبدوه وحده فينقذكم فازالوها وعبدوا الرب وحده وقال احشدوا كل اسرائيل الى المصفاة

فاصلي لاجلكم الى الرب فاجتمعوا ثمة واستقوا ماء وصبوه امام الرب وكان هذا طريقة دينية دالة على توبة القلب واليها اشار ارميا في مراثيه بقوله (فصل٢ عد ١٩) « اريقي كالماء قلبك قبالة وجه السيد » وصاموا في ذلك اليوم واخذ صموئيل حملاً رضيعاً واصعده بجملته محرقة للرب وعرف الفلسطينيون انهم مجتمعون فلم يتم صموئيل المحرقة الا واقبل اقطابهم لمحاربة بني اسرائيل فخاف هولاء وقالوا لصموئيل لا تكف عن الصراخ لاجلنا الى الرب فارعد الرب بصوت عظيم على الفلسطينيين وزعجهم فانهزموا من وجه اسرائيل . قال يوسيفوس (ك ٦ من تاريخ اليهود ف ٢) انهم شعروا بالارض تميد تحت ارجلهم وكانها تفتح فاها لتبتلعهم واغشى على ابصارهم برق ورعد قاصف فشلت ايديهم عن حمل سلاحهم فرموه وانهزموا والى ذلك اشار يشوع بن سيراخ بقوله (ف ٤٦ عد ١٦ وما يليه) « صموئيل المحبوب عند الرب نبي الرب سنّ الملك ومسح روساء شعبه قضى للجماعة بحسب شريعة الرب ... دعا الرب القدير عندما كان اعداؤه يضيقون من كل جهة واصعد حملاً رضيعاً فارعد الرب من السماء وبقصيف عظيم اسمع صوته وحطّم روساء الصوريين وجميع اقطاب فلسطين » فضربهم بنو اسرائيل من المصفاة الى ما تحت بيت كار فاخذ صموئيل حجراً ونصبه بين المصفاة والسن وسماه حجر النصرة وقال الى ههنا نصرنا الرب وسيأتي بيان موقع هذه الاماكن وانتهز بنو اسرائيل الفرصة فاستردوا المدن التي اخذها الفلسطينيون منهم من عقرون (عاقر) الى جت (ذكرين) وروى لانرمان في تاريخه القديم للمشرق (مجلد٦ في بني اسرائيل) ان بني اسرائيل اجبروا الفلسطينيين يومئذ على امضاء عهدة صلح اقروا لهم بها باستقلالهم بعد ان ضايقوهم اربعين سنة واختصوا انفسهم بالحق على اقامة مركز لجنودهم في جبعة وان لا يحمل من جاورهم من بني اسرائيل سلاحاً خشية الغدر بهم .

وقال الكتاب ان صموئيل كان يذهب في كل سنة ويطوف في بيت ايل والجلجال والمصفاة ويقضي لاسرائيل في جميع تلك الاماكن ثم يأوب الى بيته في الرامة فلم يكن كباراق وجدعون ينقذ شعبه من اعدائهم فقط بل كان ايضًا حاكمًا فيهم يفصل دعاويهم ويلي امرهم ويضم كلمتهم وبذلك اعدّهم لطريقة الحكم الملكية (ملوك ١ ف ٧)

اما المصفاة الآنف ذكرها فقد حقق كاران (مجلد ١ في اليهودية صفحة ٣٩٥ وما يليها) ان موقعها كان في محل قرية شعفات الان في شمالي اورشليم على مقربة منها وفي الشرق الجنوبي من قرية النبي صموئيل وقال روبينسون ان المصفاة كانت في محل هذه القرية الاخيرة وان الرامة كانت في صوبا (طالع عد ٢٤٢) وذكر الكتاب عدة مدن اخرى باسم المصفاة او مصفاة دون التحلية بال احداها في جلعاد (السلط) والثانية في بلاد مواب في شرقي الاردن ايضًا والثالثة في سفح لبنان في ناحية بانياس والرابعة في نصيب سبط يهوذا . واما بيت كار فالذي في كتاب الاعلام الكتابية انه يحتمل ان كان موقعها في عين كارم واما حجر النصرة فقد ذكرنا موقعه في عد ٢٤٠ فطالعه هناك قال الاب فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ٤٠٣) لا ريب في ان الرامتائيم صوفيم وطن صموئيل والمصفاة وقرية يعريم (قرية ابي غوش) وجبعون لم تكن احداها بعيدة عن الاخرى

عد ٢٤٥

في الحاح بني اسرايل على صموئيل ان يقيم لهم ملكًا

جاء في الكتاب (ملوك ١ ف ٨) ولما شاخ صموئيل قلّد ابنيه يوئيل وابيا قضاء اسرائيل وكانا قاضيين في بئر سبع في طرف فلسطين الجنوبي وروى يوسيفوس (ك ٦ في تاريخ اليهود ف ٣) ان صموئيل أمر ابنيه ان يقيم احدهما

في بيت ايل والثاني في بئر سبع ليقضي كلٌّ منهما لفريق من الشعب وكذلك قال العالم كريتس الالماني في تاريخ اليهود . على ان الابنين لم يسلكا في سبل ابيهما لكنهما مالا الى الحرص وقبلا الرشوة وحابيا في القضاء وذاع صنيعهما فاجتمع شيوخ اسرائيل واتوا الرامة (قرية النبي صموئيل) يشكون امرهم الى ابيهما ويسألونه ان يقيم عليهم ملكاً كجميع الامم فساء هذا الكلام صموئيل فصلى الى الرب فأوحي اليه ان اسمع لكلام الشعب في جميع ما يقولون فانهم لم يسأموك انت وانما سئموني انا في تولّي عليهم ولكن اشهد عليهم واخبرهم بسنن الملك الذي يملك عليهم فبذل صموئيل قصارى جده لكفهم عما يسألون فلم يذعنوا له فذكر لهم كلمات الرب عما يصنعه الملوك الذين يستبدون فيهم قائلاً هذه سنّة الملك الذي يملك عليكم يأخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه ولعجلته وفرسانه فيركضون امام عجلته ويتخذ لنفسه رؤساء الف ورؤساء خمسين واكرةً لحرثه وحصاده وصناعاً لالآت ضربه وادوات عجلاته ويتخذ بناتكم عطارات وطباخات وخبازات ويأخذ حقولكم وكرومكم وافضل زيتونكم ويعطيها لعبيده ويأخذ عشوراً من زرعكم وكرومكم ويعطيها لخصيانه وعبيده ويأخذ عبيدكم واماءكم وشبانكم الحسان وحميركم ويستعملهم في شغله ويعشّر ماشيتكم وانتم تكونون له عبيدًا فتصرخون من ملككم الذين اخترتم لانفسكم فلا يجيبكم الرب فابى الشعب ان يسمعوا لصوت صموئيل وقالوا كلا بل يملك علينا ملك كسائر الشعوب فيقضي بيننا ويخرج امامنا ويحارب حروبنا فتكلم صموئيل بكلام الشعب على مسامع الرب فأوحي اليه ان اسمع لصوتهم وولِّ عليهم ملكاً فقال لهم انصرفوا كل الى مدينته ريثما افكر بمن يكون ملكاً واجتمع بكم ثانية

الفصل الثاني عشر

(في شاول وتتمة اخبار صموئيل)

﴿ عد ٢٤٦ ﴾

في تولية صموئيل شاول ملكاً على اسرائيل

قد انبأنا الكتاب (ملوك ١ ف ٩ و ١٠) انه كان رجلٌ من سبط بنيامين اسمه قيس وكان له ابنٌ يسمى شاول لم يكُ في اسرائيل رجلٌ احسن منه وكان يزيد طولاً على جميع الشعب من كتفه فما فوق واتفق ان ضلّت اتنٌ لقيس فارسل شاول ابنه وواحداً من غلمانه في طلبها فلم يجدها فهمَّ بالعود الى ابيه وكان مع غلامه على مقربةٍ من الرامة موطن صموئيل فقال الغلام هوذا رجل الله في هذه المدينة فهلمَّ بنا اليه لعله يدلنا على طريقنا التي نسلكها فصعدا الى المدينة وفيما هما داخلان في وسطها اذا صموئيل قد صادفهما وهو خارج ليصعد الى المشرف اي الاكمة التي كان بنى فيها مذبحاً وكان الرب قد اوحى اليه قبل ان يأتيه شاول بيوم ان غدا في مثل هذه الساعة ارسل اليك رجلاً من ارض بنيامين فامسحه قائداً على شعبي فيخلصهم ولما رآه صموئيل قال له الرب هوذا الرجل وقال شاول له اخبرني اين بيت الرآئي فاجابه صموئيل انا هو وانبأه ان الاتن التي خرج في طلبها قد وجدت وقال لمن كل نفيسٍ في اسرائيل الا لك ولكل بيت ابيك فقال شاول ألست انا بنيامينياً ممن اصغر اسباط اسرائيل وعشيرتي اصغر جميع عشائر سبطي فكيف تقول لي مثل هذا الكلام ودعاه صموئيل مع غلامه ليأكلا معه في المشرف واجلسهما في صدر المدعوين وعاد معهما الى المدينة وباتا عنده ثم دعاه النبي باكراً وسارا معاً الى طرف المدينة فقال النبي له مُر الغلام ان يتقدم ويمر امامنا وقف انت فاسمعك

كلام الله واخذ صموئيل قارورة الدهن وصب على رأسه وقبله وقال ان الرب قد مسحك قائدًا على ميراثه واطلقه منبأً له بكل ما يلتقيه في طريقه وبما يقال له وانه يحل عليه روح الرب فيتنبأ مع الانبيآء وعندما حول منكبه لينصرف من عند صموئيل ابدل الله قلبه ووقع له كل ما قاله النبي واقبل الى الاكمة التي عينها له فاذا بجماعة من الانبياء قد استقبلوه فحل عليه روح الله فتنبأ بينهم ولما رآه كل من كان يعرفه قالوا أشاول ايضاً من الانبيآء فذهبت مثلاً . ولكلمة النبي في الكتاب معنيان الاول النبي حقيقة وهو من يتجلى الله له ويكشف له عن امورٍ مستقبلة فينطق بها والنبي بهذا المعنى مرادف للرآءي وهو من يكشف الله له بالرؤيا عن امورٍ خفية والمعنى الثاني المعلم والمنذر فان صموئيل اقام جمعيات يتفقه بها الشبان بما يتعلق بسنَّة الله والحض على حفظها لينذروا الشعب بكلمة الله ويحرّضوه على العمل بسنته وكانت هذه الجمعيات تسمى مدارس الانبياء وطلبتها يسمون انبيآء اي معلمين ومنذرين ويُظن انه بهذا المعنى قيل في شاول انه تنبأ اي اخذ ينذر بكلام الله ويحض على العمل بسنته

وكان صموئيل اوصى شاول ان يوافيه في اليوم السابع الى المصفاة (شعفات) ففي ذلك اليوم دعا الشعب اليها وخطب فيهم مذكرًا لهم باحسان الله اليهم مذ كانوا في مصر ورفضهم له والحاحهم ان يقام عليهم ملك وامرهم ان يقفوا امام الرب على حسب اسباطهم وعشايرهم لينتخب منهم ملكاً بالقاء القرعة تنكباً للغيرة والخلاف بينهم فاصابت القرعة سبط بنيامين ثم القى القرعة بين عشائره فوقعت لعشيرة مطري ثم لشاول بن قيس فطلبوه فلم يجدوه وقد كان اختبأ بين الامتعة فهداهم الرب اليه فاسرعوا واخذوه ووقف بين الشعب فاذا هو يزيد طولاً على الشعب كافة من كتفه فما فوق فهتف الشعب كلهم يحيي الملك فكتب صموئيل السنن التي يلزم الملك ان يسير بها

واخصها ان يكون خاضعاً ابداً لشريعة الله عاملاً بمشورة الاحبار ووضع ما كتبه امام الرب كانه في تابوت العهد وصرف الشعب كل امرئ الى منزله وانصرف شاول الى بيته في جبع وهي المسماة قديمًا جبعة شاول ايضاً والان تل الفول على ما حقق كروس الالماني وروبينسون الانكليزي وكاران (مجلد ١ في السامرة صفحة ١٨٨) او هي جبعة الان كما في كتاب اعلام الاماكن وفي قول اخر لكاران وهي في الشمال الشرقي من اورشليم . ووافق من مسّ الله قلبهم شاول واذدراه بعض بني اسرائيل قائلين كيف يخلصنا هذا ولم يهدوا اليه الهدايا فما اقدم في المشرق عادة تقديم الهدايا لمن حاز رتبة او رقي مقامًا بسبيل التهنئة ولم يكترث شاول بمن لم يريدوه بل تعامى عنهم كانه غير عالم بهم

﴿ ٢٤٧ ﴾

محاربة شاول لناحاش ملك العمونيين

لم يمضِ شهرٌ على انتخاب شاول ملكًا الا صعد ناحاش ملك العمونيين الذين كان قد ذللهم يفتاح ونزل على يابيش جلعاد وهي مدينةٌ كانت لنصف سبط منسا في شرقي الاردن ولعلها كانت في المحل المسمى اليوم وادي اليابيس في ناحية السلط وقال اوسابيوس ان موقعها كان في شرقي بحيرة طبرية (كتاب اعلام الاماكن) وضايق ناحاش اهل يابيش فقالوا له اقطع لنا عهدًا نخدمك فاجابهم انه لا يقطع لهم عهدًا الاَّ انه يقلع كل عين يمنى لهم ويجعل ذلك عارًا على جميع اسرائيل فقال له شيوخ يابيش امهلنا سبعة ايام حتى نُنفذ رسلاً الى جميع تخوم اسرائيل فان لم يكن انا مخلصٌ خرجنا اليك لتقلع عيوننا ووافى رسلهم الى جبع مدينة شاول وقصوا ما كان لهم فرفع الشعب اصواتهم بالبكاء واشتد غضب شاول واخذ ثورين فقطعهما وانفذ رسلاً الى جميع تخوم اسرائيل يقولون كل من لم يخرج وراء شاول وصموئيل هكذا يصنع ببقره

فهاج الشعب وخرجوا فكان عديدهم ثلاث مئة الف رجل ورجال يهوذا ثلاثين الفاً وروى يوسيفوس (ك ٦ في تاريخ اليهود ف ٦) انهم كانوا سبع مئة الف ورجال يهوذا سبعين الفاً وتلك مبالغة مخالفة لنص الكتاب وقد خصَّ سبط يهوذا بالذكر لان بني يهوذا كانوا اعتزلوا في مدة القضاة مشاركة سائر بني اسرائيل في حروبهم الا عندما قبضوا على شمشون وسلموه الى الفلسطينيين . وارسل شاول رسل يابيش يقولون لقومهم انه غدًا يكون لهم خلاص عندما تحمى الشمس ففرحوا وارسلوا يقولون لبني عمون غدًا نخرج اليكم فتصنعون بنا ما يحسن في عيونكم ولم يكذبوا في ما قالوا بل اخفوا كيفية خروجهم اليهم كيلا يباغتوهم بالقتال اما شاول فعبر الاردن ليلاً ولما كان الغد رتب عسكره ثلاث فرق ودخلوا في وسط المحلة عند هجيع الصبح فقاتلوا بني عمون حتى حمي النهار فتشتت من بقي منهم وتفرقوا شذر مذر ووجد ناحاش ملكهم مجندلاً بين القتلى وصموئيل كان معهم اذ قال الشعب له من الذي يقول أشاول يملك علينا اخرجوا القوم لنقتلهم فابدى شاول حلمه ودرايته السياسية اذ قال لا يُقتل اليوم احدٌ لان الرب اجرى فيه خلاصاً لاسرائيل فانضم اليه مخالفوه وقال صموئيل هلموا بنا الى الجلجال (المسمى الان جلجول حذآء اريحا) لنجدد هناك الملك فانطلقوا وجددوا تمليك شاول وذبحوا ذبائح سلامة امام الرب وفرح شاول وبنو اسرائيل اجمعون فرحاً عظيماً (ملوك ١ ف ١١)

عد ٢٤٨

محاربة شاول للفلسطينيين

ان شاول في السنة الثانية لملكه انتخب لنفسه ثلاثة الاف رجل من بني اسرائيل ليكونوا جنودًا يقيمون عنده واقام منهم الفين في مكماش المسماة الان مخماس على سبعة اميال من اورشليم شمالاً (كتاب اعلام الاماكن) وجعل

الفاً منهم تحت امرة ابنه يوناثان في جبع بنيامين وهي المسماة الان جبعة في جوار مخماس على ما في كتاب اعلام الاماكن او تل الفول على ما روينا انفاً عن كاران . وقد رأيت قبيله ان الفلسطينيين استبقوا لانفسهم محرساً عسكرياً في جبعة فضرب يوناثان رجال هذا المحرس فهاج الفلسطينيون واجتمعوا لمحاربة بني اسرائيل وكان لهم ثلاثون الف مركبة (وروى اكثر المدققين ثلاثة الاف مركبة) وستة الاف فارس وشعب يشذّ عن العد وصعدوا وعسكروا في مكماش (مخماس) فتولى الرعب بني اسرائيل حتى اختبأ الجبناء منهم في المغاور والغياض والآبار وجاز قوم منهم الاردن ليستأمنوا هناك واجتمع بعض الشجعان مع شاول في الجلجال (جلجول (واقام ثمه شاول سبعة ايام ينتظر صموئيل بحسب موعده ليقدم الذبائح لله التماساً للظفر فلم يأتِ وطفق الشعب يتفرق عن شاول فاقدم على اصعاد المحرقة ولما فرغ من اصعادها اذا صموئيل قد اقبل فخرج شاول للقائه فلامه النبي شديد اللوم على اختلاسه حق الكهنة بتقدمة الذبائح خلافاً للسنة ولما افترضه النبي عليه بامر الرب عند انتخابه قائلاً انك بحماقةٍ فعلت اذ لم تحفظ وصية الرب والان لا يدوم ملكك لان الرب اختار له رجلاً غيرك على وفق قلبه فاعتذر له شاول بانه رأى الشعب يتفرقون عنه وانه هو لم يأتِ في ايام الميعاد والفلسطينيون مجتمعون في مكماش وصعد صموئيل من الجلجال الى جبع بنيامين وتبعه شاول ورجاله ولم يكن باقياً منهم الا ست مئة رجل

وخرجت ثلاث فرق من محلة الفلسطينيين يخرّبون في ارض اسرائيل فاخذت فرقةٌ منها في طريق عفره وهي المعروفة الان بالطيبة في الشمال الصريح من مخماس وفي الشمال الشرقي من بيت اين وعلى خمسة عشر ميلاً من اورشليم شمالاً وهي غير عفره موطن جدعون كما في كتاب اعلام الاماكن الكتابية وكما

حقق كاران (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ٤٧) وفرقة اخذت في طريق بيت حورون وهي بيت اور العليا الان في الشمال الغربي من اورشليم وفي الجنوب الغربي من رام الله . وفرقة اخذت في طريق التخم المشرف على وادي صبوعين ناحية البرية . قال كاران (في المحل المار ذكره) ان وادي صبوعين لم يتحقق تعيينه الى الان على ان الكلمة العبرانية صبوعيم معناها الضبع وفي البرية الكائنة بين مخماس واريحا محل يسمى الان شق الضبع وان هو في العربية الا ترجمة الكلمة العبرانية ولما كانت الفرقة الاولى سارت شمالاً والثانيــة غرباً فيظهر ان الثالثة سارت شرقاً نحو البرية المشار اليها واما في الجنوب فكان شاول ورجاله فلم يتوجه اليه الفلسطينيون . وقال اوسابيوس والقديس ايرونيموس ان صبوعين او صبوعيم كانت على شاطئ بحيرة لوط غرباً . ولم يكن في ارض اسرائيل حدّاد منهم من ذلك الفلسطينيون لئلا يعملوا سيفاً او رمحاً وكان يذهب كل امرئ منهم الى الفلسطينيين ليحدد سكته ومنجله وفأســه ومعوله ولما حان وقت الحرب لم يوجد سيف ولا رمح الا في ايدي شاول ويوناثان ابنه

وخرجت طلائع الفلسطينيين الى معبر مكماش (مخماس) فقال يوناثان ذات يوم لحامل سلاحه هلمّ نعبر الى محرس الفلسطينيين من غير ان يعلم اباه وكان في ذلك المعبر سن صخرة من هذه الجهة وسن صخرة من تلــك السن الواحدة من جهة الشمال مقابل مكماش والاخرى في الجنوب مقــابل جبع (جبعة) وقد كتب العالم كاران عند زيارته هذه الاماكن (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ٦٤) « ان وادي ماسوينيت الفاصل بين جبعة ومخماس هو عميق جدًا وكأنه عمودي في بعض محاله لا سيما نحو الشرق وعلى جانبي الوادي اكمتان صخريتان احداهما شمالية والاخرى جنوبية طبق ما نص الكتاب » فعبر يوناثان بين صخور الاكمة الشمالية مع حامل سلاحه واظهرا انفسهما لمحرس

الفلسطينيين فقالوا هوذا العبرانيون خارجون من الحجرة التي اختبأوا فيها وقالوا ليوناثان وغلامه تعاليا الينا نعلمكما امرًا وكان يوناثان قال للغلام ان قالوا قفا حتى نصل اليكما وقفنا ثابتين وان قالوا اصعدا الينا صعدنا فيكون هذا علامة لنا ان الرب اسلمهم الى ايدينا وصعد يوناثان على يديه ورجليه وحامل سلاحه وراءه ووثبا على المحرس فكانت المقتلة الاولى التي عملاها نحو عشرين رجلاً في نحو نصف تلم فدان ارض اي في قدر نصف ما يحرثه الفدان في نهار فحلّ الرعب في المحلة وارتعد المحرس والمخربون ايضاً قال يوسيفوس (ك ٦ من تاريخ اليهود) ان يوناثان وغلامه انصرفا من وجه الاعداء وصعدا من محل اخر على صخر لم يكن عليه حرس فوجدا الاعداء نائمين فاعملا السيف بهم فاخذوا يطرحون سلاحهم لينجوا بانفسهم وبعضهم يقتل بعضاً يظنهم اعداء لان عسكرهم كان من امم مختلفة وبعضهم كان يدفع بعضاً ويزحمه فارًّا فيقعون من على الصخور . وقال كريتس (في تاريخ اليهود) تولى الرعب الفلسطينيين لمهاجمتهم بغتةً وهم على صخرٍ عالٍ لا يتسنى لاحد الصعود اليه دون ان يجتاز في المحرس فتوهموا ان موجودات غير طبيعية تقاتلهم . ورأت طلائع عسكر شاول تشتت شمل الفلسطينيين وافتقدوا من غاب من عندهم فاذا يوناثان وحامل سلاحه ليسا هناك واسرع شاول ومن معه الى محل المعركة ومعهم تابوت العهد فاذا بسيف كل واحد على صاحبه وانضم الى عسكر شاول العبرانيون الذين كانوا مع الفلسطينيين خوفاً منهم وظاهر من كانوا اختبأوا في جبل افرائيم وانضموا الى شاول حتى صار عسكره نحو عشرة الاف رجل فتتبعوا اثر الفلسطينيين يقتلون منهم وقال شاول ملعون الرجل الذي يذوق طعامًا الى المساء حتى انتقم من اعدائي فامتنع الشعب من الاكل النهار كله ومرّوا في غاب كثر فيه النحل والعسل حتى كان العسل يسيل على الارض ولم يمدد

احدهم اليه يدًا الا يوناثان فانه مدّ طرف عصاه وغمسها في شهد العسل وردها الى فمه ولم يكن عالمًا بما حتم ابوه فقال له رجلٌ ان اباك حلّف الشعب ان لا يذوق اليوم طعامًا فلم يصوّب عمل ابيه واعتذر عن عمله بجهله الامر واستمروا يطاردون الفلسطينيين من مكماش الى ايالون وهي يالو الان على ما روى كاران اسمها بالعربية واظنها يعلو كما في الخريطة الجغرافية العربية وهي في شرقي عمواس وهو المحل الذي اوقف يشوع بن نون فيه الشمس عن المسير . وقد اعيا الشعب من كدّه النهار كله دون قرت فاخذوا بقرًا وغنمًا وذبحوا على الارض واكلوا بالدم فمنعهم شاول عن ذلك فدحرجوا صخرة عظيمة وكانوا يذبحون عليها ويأكلون وبنى شاول مذبحًا فكان اول مذبح بناه للرب واراد شاول ان ينزل وراء الفلسطينيين ليلاً فقال الكاهن لنسأل الله فسأل شاول الله هل انزل وراءهم وهل تدفعهم الى يدي فلم يجبه وشعر بان الشعب اقترف اثمًا وحلف انه لو كان الاثم بابنه يوناثان ليموتنّ موتاً واقترعوا فاصابت القرعة يوناثان فسأله ابوه ماذا عملت فقال انه ذاق العسل برأس العصا واراد ابوه قتله مبرّة ليمينه ولكن ابى الشعب قتله لان الخلاص جرى على يده فلم يقتل

وحارب شاول كل من حوله من الموابيين والعمونيين وملوك صوبا (الراجح انهم كانوا في سهول البقاع وبعلبك) وكان ظافرًا حيث ما توجه ولم يطرفنا الكتاب بشيء من تفصيل اخبار هذه الحروب وكان ابناء شاول يوناثان ويشوي وملكيشوع وله بنتان اسم الكبرى ميراب واسم الصغرى ميكل وكان ابنير بن نير عمّ شاول قائدًا لجيوشه وكان كل ما رأى رجلاً ذا بأس ضمّه اليه (ملوك ١ ف ١٤)

﴿ عد ٢٤٩ ﴾

محاربة شاول للعمالقة

قد انبأَنا الكتاب (ملوك ١ ف ١٥) ان صموئيل اتى الى شاول قائلاً انا الذي ارسلني الرب لامسحك ملكاً على شعبه فاسمع الان ما يقول الرب قد افتقدت ما صنع عماليق ببني اسرائيل وكيف وقفوا لهم في الطريق عند خروجهم من مصر فهلمّ الان واضرب عماليق ولا تعفُ عن احد منهم الرجال والنساء وابسل بهائمهم ايضاً وقد ابنّا عند كلامنا في غزوة كدرلاعومر لسورية من هم العمالقة ومن ذرية مَن هم فطالع عد ١٥٥ وقد مرّ في الكلام على القضاة ان هؤلاء العمالقة شايعوا المديَنيين فضايقوا بني اسرائيل وخلصهم اهود ثم ناصروا المديَنيين فضايقوهم مرّةً اخرى ونجاهم جدعون ويظهر من كلام صموئيل لملكهم اجاج انهم كانوا يسطون في ايامه على بني اسرائيل الساكنين في شرقي الاردن ويقتلون بعضهم فلهذا امر الرب شاول ان يبيدهم على اخرهم فجمع شاول رجالاً من بني اسرائيل واحصاهم فكانوا مئتي الف راجل وعشرة الاف رجل من سبط يهوذا وبالغ يوسيفوس (ك ٦ في تاريخ اليهود ف ٨) على عادته ان يزيد عددهم فقال كانوا اربع مئة الف عدا ثلاثين الفاً من سبط يهوذا وزحف شاول بعسكره الى مدينة عماليق وكمن في الوادي وارسل يقول للقينيين ذوي قرابة يترو حمي موسى (الذين يظهر ان بعضهم توطنوا بين العمالقة) ان يعتزلوا من بين العمالقة لئلا يهلكهم معهم وهم قد صنعوا رحمةً الى بني اسرائيل عند خروجهم من مصر وضرب شاول بني عماليق من حويلة الى اشور التي قبالة مصر والمدينتان في بلاد العرب وقتل كل من وجده بحد السيف واسر اجاج ملكهم وابقاه حياً وعفا ايضاً عن خيار الغنم والبقر وكل سمين وكل ما كان جيدًا ولم يبسلوا الا كل ما كان حقيرًا مهزولاً خلافاً لامر الرب

قال يوسيفوس (في المحل المشار اليه) ان شاول اباد بعضهم بالسلاح وبعضهم بمنعهم عن الزاد او الماء حتى دوَّخ بلادهم كلها وعاد شاول ظافرًا غانمًا واقام نصبًا لانتصاره على جبل الكرمل الذي في املاك سبط يهوذا في المحل المعروف الآن بخربة الكرمل على عشرة اميال من الخليل جنوبًا كما ذكر اوسابيوس وايرونيموس وحققه كاران (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ١٦٦) فهناك اقام شاول نصب انتصاره لا في الكرمل الذي على البحر المتوسط ثم نزل الى الجلجال (جلجول) يقدم محرقة للرب

فاوحى الرب الى صموئيل انه متسخط على شاول لانه مال عن اتباعه ولم يعمل بامره ان يبيد العمالقة وماشيتهم فشق ذلك على صموئيل وصرخ الى الرب ليله كله وبكَّر للقاء شاول فاذا هو يصعد محرقة للرب في الجلجال من خيار الغنيمة التي غنمها من عماليق فالتقاه شاول قائلًا مبارك انت الى الرب اني قد اقمت كلامه فقال صموئيل فما هو اذًا صوت الغنم والبقر الذي انا سامع مع ان الرب امرك بقرض عماليق وماله فاعتذر بان الشعب عفوا عن خيار الغنم والبقر ليذبحوا للرب وجئت باجاج ملك عماليق وابسلت العمالقة فقال له صموئيل كنت حقيرًا في عيني نفسك فمسحك الرب ملكًا على اسرائيل وقال لك انطلق فافنِ العمالقة فملت الى الغنيمة وخالفت امره اترى الرب يسر بالمحرقات كما يسر بالطاعة لكلامه ان الطاعة خير من الذبيحة قد رذلت كلام الرب فرذلك من الملك فقال شاول قد خطئت لخوفي من الشعب فاغفر خطيئتي وارجع معي لاستغفر الرب فاجابه لا ارجع معك وتحوَّل لينصرف فاخذ شاول بطرف ردائه فانشقَّ فقال له صموئيل سيشق الرب مملكة اسرائيل عنك ويدفعها الى صاحبك الذي هو خيرٌ منك فقال شاول قد خطئت فاحفظ كرامتي امام شيوخ الشعب وبني اسرائيل وارجع معي لاسجد للرب فرجع

صموئيل وراء شاول فسجد للرب ثم قال صموئيل هلمّ اليّ باجاج ملك عماليق فشخص امامه مترفًا مرتعدًا فقال له صموئيل كما اثكل سيفك النساء في اسرائيل تُثكل امك بين النساء وآمر بقتله في الجلجال وانصرف صموئيل الى الرامة وصعد شاول الى بيته في جبع (جبعة) ولم يعد صموئيل يعاين شاول الى يوم وفاته وقد جاء في سفر الملوك نفسه (ملوك ١ فصل ١٩ع ٢٤) ان شاول « تنبأ امام صموئيل » وهذا يدل على ان قوله لم يعد صموئيل يعاين شاول الى يوم وفاته معناه انه امتنع من زيارته لا من ان يراه مصادفة كما في الاية الثانية

عد ٢٥٠

مسح صموئيل داود ليكون ملكًا موضع شاول

قد جاء في سفر الملوك الاول (فصل ١٦) ان الرب قال لصموئيل الى متى تنوح على شاول وانا قد رذلته فاملأ قرنك دهنًا واذهب الى يسى من بيت لحم لاني اخترت من بنيه ملكًا فقال صموئيل ان سمع شاول يقتلني فقال له الرب خذ معك عجلة وقل اني جئت لاذبح للرب وادعُ يسى الى الذبيحة وانا اعلمك ماذا تصنع ومن تمسح ففعل صموئيل واتى بيت لحم فاضطرب شيوخها وقالوا أ السلام قدومك فقال اتيت اذبح للرب فقدسوا انفسكم وتعالوا معي الى الذبيحة ويظهر من هذه الآيات وغيرها انهم كانوا يومئذ يقدمون الذبائح مرات في غير خباء المحضر واتى يسى واولاده الى الذبيحة ونظر صموئيل الى الياب اكبر ابناء يسى فقال أ امام الرب مسيحه فقال له الرب لا تنظر الى منظره وطول قامته فان الانسان انما ينظر الى العينين واما انا فانظر الى القلب واجاز يسى ابناءه السبعة وصموئيل يقول عن كل منهم لم يختره الرب ثم سأل يسى أ هولاء جميع الغلمان فاجابه بقي الصغير وهو يرعى الغنم فقال جئنا به

فاتى وكان اشقر حسن العينين وسيم المنظر فقال له الرب هذا هو قم فامسحه فاخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه فحل روح الرب عليه من ذلك اليوم فصاعدًا وامر صموئيل ان يبقى الامر سرًّا مكتومًا

اما شاول فمذ اعلمه النبي بانتزاع الملك منه فارقه روح الرب واعتراه داء المنخوليا (١) وكان اعوانه ينسبون داءه الى روح شرير واشاروا اليه ان يستدعي رجلاً يحسن الضرب بالكنارة حتى اذا اعترته نوبة المرض فرّج كربه بضرب الكنارة فيستريح وينتعش وهداه بعضهم (ربما كان بتلقين صموئيل) الى داود بن يسى فارسل الى ابيه ان يبعث اليه به فاخذ يسى حمارًا حمل عليه خبزًا وزق خمر وجديًا من المعز وارسلها مع داود الى شاول ولما تمثل امامه احبه جدًّا وجعله حامل سلاحه وكان اذا اعترى شاول الداء اخذ داود الكنارة وضرب بيده فيستريح شاول وينتعش هذا ما جاء في الفصل السادس عشر من سفر الملوك الاول ولكن في الفصل السابع عشر منه (عد ٥٥ وما يليه) « واذ رأى شاول داود حين خرج لقاء الفلسطيني قال لابنير رئيس جيشه ابن من هذا الغلام فقال ابنير طب نفسًا ايها الملك اني لا اعرفه فقال الملك سل ابن من هذا الفتى فلما رجع داود من قتله الفلسطيني اخذه ابنير وادخله على شاول ورأس الفلسطيني بيده فقال له شاول ابن من انت يا فتى فقال له داود انا ابن عبدك يسى من بيت لحم » فاكثر جاحدو الوحي من تعظيم هذه المعضلة وقالوا انها مستغلقة لا يهتدى الى وجه حلها وقال احدهم فولتير « كيف جهل شاول من هو داود وكيف خفي عليه ضارب كنارته وحامل سلاحه فنحن لا نرى وجهاً لحل هذه المعضلة » على ان الآباء القدماء والعلماء الحدثاء رأوا

(١) وهو اضطراب ملازم العقل تسببه شدة الغم والكلمة يونانية مركبة من مالان اي اسود وخولي اي مرّة لقولهم انه مسبب عن الخلط المذكور اي المرّة السوداء

المسئلة معضلة لكنهم لم يروها مستغلقة بل اهتدوا الى اوجه عديدة لحلها فقال بعضهم ومنهم كريتس في تاريخ اليهود ان صرع داود جليات كان قبل ان يستقدمه شاول ليفرج كربه بضرب كنارته وقبل ان يجعله حامل سلاحه لكن الكتاب قدم وضعاً ذكر ما تأخر زماناً ولهذا مثال عديدة في الكتاب مر بنا ذكر بعضها واحتجوا لقولهم بتسمية داود غلاماً وفتى عند قتله جليات كما رأيت آنفاً وتسميته « جبار بأس ورجل حرب حصيف الكلام » (ملوك ١ فصل ١٦ عد ١٨) عند استقدام شاول له اليه وايدوه بانه جاء في الكتاب عن داود بعد صرعه جليات « وكان داود يضرب بيده كما كان يفعل كل يوم وكان في يد شاول رمح فاشرع شاول الرمح وقال اخرق داود الحائط فتنحى داود من بين يديه مرتين » (ملوك ١ فصل ١٨ عد ١٠ و ١١) واخبار قتله جليات ذكرت في الفصل السابع عشر وقال هولاء ايضاً ان كتب الاقدمين وان كانوا من الكتاب الملهمين ملأى من الاعادات ومن التقديم والتأخير في الوضع فموسى مثلاً ذكر ابناء نوح اربع مرات في سفر التكوين (اي في فصل ٥ عد ٣٢ وفصل ٦ عد ١٠ وفصل ٩ عد ١٨ وفصل ١٠ عد ١) فان صح قول هولاء امتحقت كل عضالة وزال كل اشكال

واما اذا كان استقدام شاول داود قبل قتله جليات كما هو ظاهر الكتاب وعليه مشى اكثر الاباء والعلماء فلهم في حل المعضلة اوجه عديدة نذكر بعضها قال القديس افرام جهبذ الكنيسة السريانية (في تفسيره سفر الملوك الاول مجلد ١ من كتبه السريانية المطبوعة في رومة صفحة ٣٧٠) « ان شاول الملك كان يعرف راعي الغنم الذي من بيت لحم المعرفة الكافية وكان قد قرّبه اليه وجعله حامل سلاحه وضارب كنارته على ان شجاعة داود قد اذهلته وزادته اعتباراً بعينيه وكان وعد بانه يزوج ابنته بمن قهر جليات فرام الاستقصاء

الجهيد عن نسب من كان مزمعاً ان يصاهره كما يفعل كل اب فطن صالح ولذا كلف ابنير بان يسأل عنه وهذا امر بديهي وعلى غاية من الصواب والسداد ولعله ايضاً فكر انه هو الذي سوف يخلفه كما كان صموئيل قال له » وقال تاودوريطوس (في خطبته ٤٣ في سفر الملوك الاول) « كيف لم يعرف شاول داود فيجاب باحد امرين اما ان الداء الذي كان يعتريه لم يكن يمكنه من عرفان من يضرب له بالكنارة اما ان حسده له جعله يدقق بالاستقصاء عنه من اين هو وابن من هو . » (وقال كامت (في معجم الكتاب في كلمة داود) ان داود كان ترك شاول من مدة فتبدل منظره وصوته وقامته وكان يقوم امامه بملابس ضارب بالكنارة او جندي يحمل سلاح الملك فرآه عند محاربته جليات رجلاً باثواب راعي غنم فخفي عليه هذا وقد خلت اكثر نسخ الترجمة السبعينية عن الايات المنبئة بسؤال شاول عن داود وان وجدت في بعضها وفي النص العبراني وغيره من الترجمات

﴿ عد ٢٥١ ﴾

في قتل داود جليات الجبار

جاء في الفصل السابع عشر من سفر الملوك الاول ان الفلسطينيين جمعوا عساكرهم للحرب ونزلوا بين سوكو وعزيقة واجتمع شاول ورجال اسرائيل ونزلوا وادي البطمة وبين الجيشين الوادي . اما سوكو فهي خربة الشويكة اليوم على بعد سبعة اميال ونصف من بيت جبرين نحو اورشليم واما عزيقة فكان موقعها في دير العاشق او في تل زكريا مصاقبة لخربة الشويكة واقرب منها الى اورشليم (طالع عد ٢١٧) واما وادي البطمة فهو في محل كلوني الان وتسميه السبعينية وادي السنديان قال ميشود (في مراسلات المشرق رسالته ٩٣ مجلد ٤) « قد عبرنا الوادي الذي انتقى منه داود الخمسة الحجارة

الملس ليصرع بها خصمه فكان على جانبنا الجبل الذي كان عليه معسكر اسرائيل وعلى جانبنا الاخر محلة الفلسطينيين وقد بنى الصليبيون ثمة مدينة سموها كلونيا تذكرة لظفر داود واطلالها باقية هناك ، في المحل المسمى كلوني . ولما صاف القوم للقتال خرج مبارز من عسكر الفلسطينيين اسمه جليات من جت (ذكرين) ويروى لانرمان (في تاريخه الشرقي مجلد ٦ في تاريخ العبرانيين) انه من ذرية بني عناق الاقدمين وقال الكتاب كان طوله ست اذرع وشبرًا وقدر كلمت (في تاريخ العهد القديم) انها اثنتا عشرة قدماً ونصف وعلى رأسه بيضة من نحاس وكان لابساً درعاً حرشفية وزنها خمسة الاف مثقال نحاس اي سبعة الاف وخمس مئة درهم بحساب المثقال درهماً ونصفاً عبارة عن ثماني عشرة اقة وثلث مئة درهم وعلى رجليه ساقان من نحاس وبين كتفيه مزراق من نحاس وقناة رمحه كنول النساج اي كالخشبة التي يطوي عليها النسيج المعروفة بالمطوى ووزن سنان رمحه ست مئة مثقال من حديد عبارة عن اقتين ونيف وروى يوسيفوس (ك ٦ في تاريخ اليهود فصل ١٠) ان طوله اربع اذرع وشبر وكان بين يديه رجل يحمل مجنه فوقف هذا ونادى صفوف اسرائيل لم الحرب ووفرة اراقة الدماء فانا فلسطيني وانتم عبيد شاول فاختاروا رجلاً يبارزني فان قتلني صرنا لكم عبيدًا وان قتلته تصيرون انتم لنا عبيدًا ولهذا مثل في التواريخ القديمة واستمر على ذلك اربعين يومًا فارتاع شاول وبنو اسرائيل من هذا الكلام وكان بين عسكر شاول ثلاثة من اخوة داود فقال ابوهم لداود خذ ايفة مكيال من هذا الفريك وهذه العشرة الرغفان وامض افتقد اخوتك في المحلة فبكر داود ووكل الغنم الى من يحفظها وانطلق الى المترسة وبينما هو يكلم اخوته اذا جليات خرج يكرر تعريفه لبني اسرائيل وسمع داود رجالاً يقولون من قتل هذا المبارز اغناه الملك وزوجه ابنته فقال من عسى ان يكون هذا الفلسطيني الاقلف حتى

يقرع صفوف الله الحي وصرّح بعزمه ان ينازله فاستشاط اخوه الياب غضباً عليه وقال له لماذا نزلت الى هنا وعندما خلفت تلك الغنيمات في البرية فانصرف داود الى ناحية اخرى وقال انه ينازل جليات وبلغ شاول كلامه فاستحضره وقال انه يحارب الفلسطيني فقال له شاول لا طاقة لك بقتاله لانك غلام وهو رجل حرب منذ صباه فاجابه داود كان عبدك يرعى غنم ابيه فقتل اسدًا ودبًا طرقا غنمه وسيكون هذا الفلسطيني كاحدهما وينقذني الرب هنا كما انقذني هناك والبس شاول داود سلاحه فلم يحسن الحركة فيه فنزعه عنه واخذ عصاه بيده وانتقى خمسة حجارة ملس من الوادي ووضعها في كنف الرعابه (الجراب) ومقلاعه بيده وبرز للفلسطيني فاستخف به وقال أكاب انا حتى تأتيني بالعصا تعال فاجعل لحمك لطير السماء ووحش القفر ولعن داود بالهته فقال له داود انت تأتيني بالسيف والرمح والمزراق وانا آتيك باسم الرب اله اسرائيل الذي قرعته ومد داود يده الى الكنف واخذ منه حجرًا قذفه بالمقلاع فانغرز الحجر في جبهة الفلسطيني فسقط على الارض واسرع داود فاخترط سيف الفلسطيني من غمده وقطع راسه به فتولى الرعب الفلسطينيين لما رأوا جبارهم صريعاً وولوا الادبار منذعرين متشتتين فتعقبهم بنو اسرائيل يقتلون منهم الى جت (ذكرين) والى ابواب عقرون (عاقر) ثم رجعوا عن مطاردتهم وانتهبوا محلتهم واخذ داود راس الفلسطيني وجاء به الى شاول ثم وضعه في اورشليم ووضع عدته في خيمته ثم وضع السيف في بيت الرب كما يتضح من فصل ٢١ عد ٩ في سفر الملوك الاول

قد ندَّد الطبيعيون بالكتاب لقوله ان داود جاء براس جليات الى اورشليم مع انه لم يفتتح اورشليم الا بعدان قبض على زمام الملك كما في سفر الملوك الثاني (فصل ٥ عد ٩) وقد فاتهم ان اورشليم كان يسكنها يومئذٍ بنو اسرائيل

واليبوسيون معاً والذي افتتحه داود بعد توليه الملك انما هو حصن صهيون الذي سماه مدينة داود كما هو بيّن لكل ذي عينين يطالع ما استشهدوا به نفسه

﴿ عد ٢٥٢ ﴾

حصول النفرة بين شاول وداود

احب شاول داود اولاً وقربه اليه وصافاه يوناثان بن شاول واخلص له في الوداد وقطع معه عهداً ووهبه رداءه وسائر ثيابه وسيفه وقوسه ومنطقته وكان داود يخرج حيثما وجهه شاول ويتصرف بحكمة واحبه جميع الشعب ولا سيما عبيد شاول فداخل شاول الحسد والغيرة وقد بلغه ان النساء كنّ عند رجوعهم من حرب الفلسطينيين يغنينَ قائلات قتل شاول الوفه وداود ربواته وجس ان يكون داود خلفاً له بالملك بعد انتزاعه منه كما هدده صموئيل فنمت شجونه وتولته الكآبة وعاوده مرضه فاستدعى داود ليضرب له بالكنارة واشرع الرمح ليخرق داود به فتنحى داود من بين يديه مرتين واضمر قتله لكن قال لا تكن يدي عليه بل يد الفلسطينيين واسمعه انه يزوجه بميراب ابنته الكبرى بشرط ان يكون ذا بأس ويحارب حروب الرب فقال داود من انا وما عشيرة ابي حتى اكون صهر الملك وفي ميعاد اعطائه اياها ازدفّها ابوها الى غيره وكانت ميكال اختها الصغرى تحب داود فقال شاول اعطيها له فتكون له وهقاً ويقتله الفلسطينيون ولذلك ارسل يقول لداود ان لا رغبة له في المهر لكن يريد مئة قلفة من الفلسطينيين انتقاماً منهم فذهب داود ورجاله وقتل من الفلسطينيين مئتي رجل وجاء بقلفهم فعرضت على الملك بتمامها . وقد استطرق القدماء قطع قلف الاعداء فجاء في كتاب شمبوليون كاشف الكنوز الهيروكليفية انه وجد في قصر مدينة ابو في تاب (طيبة) خطوطاً هيروكليفية مؤداها « ان

روساء العسكر المصري اقاموا الاسرى في حضرة الملك رعمسيس الاول (قبل داود بقرون) فكان عددهم ثلاثة الاف وعدد الايدي المقطوعة ثلثة الاف وعدد القلف المقطوعة ثلثة الاف » وعن خطوط اخرى هناك «وكان رئيس كل فرقة من الجنود يقدم حساب الايدي اليمنى المزلومة من الاعداء في معمعة القتال وعدد قلفهم » فزوجه شاول ميكال ابنته واستمر واجساً منه بل كلم ابنه يوناثان وغيره ان يقتلوه فلم يكتم يوناثان داود خبر سخط ابيه عليه وحرّصه ان يحتفظ لنفسه ويختبيء ثم كلم اباه مذكراً اياه بفضل داود واعماله الحسنة وبفظاعة اثمه اذا اراق دماً ذكياً اعتباطاً فحلف شاول انه لا يقتل داود وادخله يوناثان على ابيه فكان بين يديه كما كان قبلاً وعادت الحرب مع الفلسطينيين فضربهم داود ضربات عظيمة فهربوا من وجهه ولم يأتنا الكتاب بتفصيل اخبار هذه الحرب بل انبأنا ان شاول عاوده مرضه واتى داود يضرب له في الكنارة فاشرع رمحه ثانية على داود ليخرقه فاخطأه الرمح ونشب في الحائط ونجا داود تلك الليلة فوجه شاول رسلاً ليقتلوه في بيته فدلته امرأته ميكال من كوة وهرب ناجياً واتى صموئيل في الرامة واخبره بكل ما صنع به شاول وانطلقا واقاما بنايوت وهي محلة قريبة من الرامة وتابعة لها كما يظهر من قول الكتاب التابع في نايوت في الرامة فانفذ شاول رسلاً ليأخذوا داود فرأوا صموئيل في راس جماعة الانبياء وهم يتنبأون اي ينذرون بحفظ سنة الرب فتنبأ الرسل ايضاً اي جعلوا يتكلمون كاولئك الانبياء اي المعلمين وكذلك كان لمن اوفدهم شاول ثانياً وثالثاً فانطلق شاول بنفسه ولما دنا من مقام صموئيل وداود اصابه ما اصاب وفوده وزيادة فانه انطرح عرياناً نهاره وليله اجمع اذ عاودته نوبة دائه شديدة حتى فقد رشده (ملوك ١ فصل ١٨ و ١٩)

﴿ عد ٢٥٣ ﴾

هرب داود من وجه شاول واتيانه الى احيملك الكاهن

قد هرب داود من نايوت واتى الى يوناثان وقال له ما جرمي عند ابيك حتى يريد قتلي فاجابه يوناثان ان اباه لم يكاشفه بشيءٍ من هذا ولم يعتد ان يكتمه ما يصنع فقال له داود ان اباك يعلم ودادك لي فلم يشأ ان يعلمك لئلا تحزن ولكن ما كان بيني وبين الموت الا خطوة واتفقا ان يكاشف يوناثان اباه في امر داود يوم الاتكاء للطعام في راس الشهر وخرجا الى الصحرآء فعينا محلاً يلتقيان فيه للنبإ بما يكون . وفي اليوم الثاني من الشهر قال شاول ليوناثان لماذا لم يأتِ ابن يسى لا امس ولا اليوم الى الطعام فاجاب يوناثان انه قد استأذنني ليمضي الى بيت لحم لان لعشيرتهم ذبيحة فغضب شاول على يوناثان وعيره بتعصبه له وقال ما دام ابن يسى حياً فلا تثبت انت ولا مملكتك فآتني به لانه مستوجب الموت فقال يوناثان اي سوء صنع فاشرع ابوه الرمح ليطعنه به فقام يوناثان عن المائدة مغضباً وخرج الى الحقل بحسب ميعاده لداود ومعه غلام صغير وسهام وكان قد عاهد داود ان يرميها وان قال لغلامه الاسهم خلفك ها كان خيرًا لداود فيقبل اليه وان قال له الاسهم امامك كان شرًّا لداود فينصرف فرمى يوناثان سهماً وارسل الغلام يلتقطه وناداه السهم امامك اعجل لا تقف والتقط الغلام السهم وعاد الى مولاه وهو لا يعلم شيئاً وصرفه يوناثان بالسهام الى المدينة وقام داود من مخبائه وخرَّ امام يوناثان ثلث مرات لانه ابن الملك وقبل كل منهما صاحبه وبكيا وكان بكاء داود اشد وجددا عهد الموالاة بينهما وبين ذريتهما وعاد يوناثان الى المدينة ومضى داود في طريقه

واتى داود الى نوب وهي اما المسماة الان بيت نوبا على ثمانية اميال شرقًا عن اللد واما المسماة بيت انابه على ما روى كاران واظنها عنابي على ما

في خريطة سورية وهذه البلدة على اربعة اميال شرقاً عن اللد ايضاً (كاران مجلد ١ في اليهودية صفحة ٣١٥) وهي غير نوب او نوبا التي في شرقي الاردن وكان غرض داود من اتيانه اليها ان يرى احيملك الكاهن ويأخذ سيف جليات الذي كان وضعه في مقدس الرب في هذه المدينة الكهنوتيـة فارتعد الكاهن حين رآه وحده فقال له داود ان الملك امره بحاجة خفية وانه واعد غلمـانه الى موضع كذا وسأله ان يعطيه خمسة ارغفة او ما تيسر فاجابه الكاهن ان ليس عنده خبز مباح انما عنده خبز مقدس ولا يباح تناوله الا لمن كان طاهراً فهل الغلمان طاهرون فاوجب داود ذلك فدفع اليه الحبر خبز الوجوه المرفوع من امام الرب ليوضع خبز سخن في موضعه وهذا ما استشهده المخلص لابكام الفريسيين عن تذمرهم لفرك التلاميذ سنبلاً يوم السبت كما روى متى (فصل ١٢ عد ٣) وذكر اياثار في بشارة مرقس (فصل ٢ عد ٢٥) موضع احيملك انما هو سهو من النساخ او لان اياثار هو ابن احيملـك وكان يعاونه في خدمته وسأل داود الحبر اليس عندك ههنا رمح او سيف فقال ان ههنا سيف جليات الذي قتلته فقال داود ومن لي بمثله عليَّ به وكان هناك وقتئذٍ دويج الادومي كبير رعاة شاول فاخبره ماكان بين داود واحيملـك وكذا تسبب قتل الكهنة وخراب نوب كما سترى (ملوك فصل ٢٠ و ٢١)

عد ٢٥٤

هرب داود الى جت ومواب وقتل شاول كهنة نوب

واتى داود آكيش ملك جت وقد مر في مواضع عديدة ان موقع جت كان حيث ذكرين الان على خمسة الى سبعة اميال عن بيت جبرين في الشمال الغربي على ما رجح كاران (مجلد ٢ في اليهودية صفحة ١٠٨) او كان حيث تل الصافي الان على مقربة من ذكرين شمالاً على ما في اعلام الاماكـن

الكتابية . ولما بلغ داود الى جت عرفه بعض اهلها فقالوا لملكها اليس هذا داود الذي كانت الاسرائيليات يغنين له قائلات قتل شاول الوفه وداود ربواته فخاف داود جدًّا وتظاهر بالجنون بين ايديهم فقال اكيش امن قلة المجانين عندي اتيتموني بهذا ليتجننّ بين يديّ . ان داود خاف جدًّا من ان شاول يقتله وصمم على الاختباء من وجهه ورأى ان اختفاءه في ارض الفلسطينيين آمن منه في ارض العبرانيين فلا الفلسطينيون يظنون ان الدّ اعدائهم وقاتل جبارهم يختفي بين اظهرهم ولا احد من بني اسرائيل يخال له ذلك في بال ولما كشف امره لم يكن له منجاة من الخطر الا بتظاهره بالجنون لان قرائن الحال توجبه عليه وتقضي بتصديقه به فلا يقدم على مثل عمله الا من اختلّ عقله هذا ما رأيته احسن اقوال المفسرين واسدّها

قد انصرف داود من جت وهرب الى مغارة عدلام وقال كثيرون ان هذه المغارة هي المعروفة الآن بخربة خريتون نسبة الى القديس خريتون الذي نسك فيها وهي على ثمانية اميال عن بيت لحم جنوبًا بين جبل فريديس وتقوع والظاهر من كلام اوسابيوس انها كانت في ايامه قرية كبيرة على عشرة اميال من بيت جبرين شرقًا وقد ترجم القديس ايرونيموس كلامه ولم يصلح به شيئًا فكأنه تابعه فيه وقال آخرون ان مغارة عدلام كانت في جوار عين جدي . روى كاران (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ١٣٥ وما يليها) هذه الاقوال ولم يصحح او يرجح احدها . ولما سمع اخوة داود وجميع بيت ابيه انه في عدلام نزلوا اليه واجتمع اليه كل من كان في ضيق وعليه دين اومرت نفسه فقام عليهم رئيسًا وكانوا نحو اربع مئة رجل فانطلق بهم داود الى مصفاة مواب حيث كان مالك مواب فقال له داود ليقم ابي وامي عندكم حتى انظر ما يصنع الله لي . وارسل صموئيل جاد النبي الى داود ليعود الى ارض يهوذا فعاد ودخل غيضة حارث وجاء في كتاب

الاعلام الكتابية انها كانت في جبل الخليل على مقربة من القرية المسماة اليوم حلحول في شمالي الخليل وسمع شاول ان داود قد ظهر هو والرجال الذين معه فاخذ يونّب آل بنيامين على ميلهم الى داود وكتمانهم عليه معاهدة ابنه يوناثان له فقص عليه دويج الادومي الذي كان في نوب عند مرور داود من هنالك ما صنعه احيملك لداود وانه دفع اليه سيف جليات الجبار فارسل شاول فدعا احيملك الحبر وجميع الكهنة الذين في نوب وعنفهم على انهم حالفوا داود واعطوه خبزًا وسيفًا فقال احيملك انه لا يعلم هو والكهنة بقليل ولا كثير مما كان بين الملك وداود بل عهدوه صهره ومسرعًا في طاعته وامر الملك السعاة الواقفين بين يديه ان يعطفوا ويقتلوا كهنة الرب فلم يمدد احدهم الى الكهنة يدًا حرمة للرب فامر دويج الادومي ان يقتلهم فقتل منهم في ذلك اليوم خمسة وثمانين رجلاً ثم ضرب نوب مدينتهم بحد السيف فاهلك الرجال والنساء والاطفال والماشية ونجا ابن لاحيملك اسمه اياثار واتى الى داود واخبره بما صنع شاول فامنه داود قائلاً لا تخف لان الذي يطلب نفسي هو الذي يطلب نفسك (ملوك ١ فصل ٢٢)

عد ٢٥٥

مطاردة شاول لداود وعفو داود عن قتله

قد خُبر داود في مفرّه ان الفلسطينيين يحاربون عقيلة وينهبون البيادر وسأل الرب فأوحي اليه ان سر اليها وخلص اهلها فسار اليها برجاله وضرب الفلسطينيين ضربة عظيمة واستاق مواشيهم وخلّص اهل عقيلة التي تسمى الآن كيلا على ستة اميال شرقًا من بيت جبرين (على ما روى كاران مجلد ٣ في اليهودية صفحة ٣٤٢) وعلى ستة اميال غربًا من حلحول (على ما في كتاب الاعلام الكتابية) فهي في وسط الطريق بين بيت جبرين وحلحول وعلم شاول

ان داود في عقيلة فظن انه يظفر به لانه داخل مدينــة ذات ابواب واغلاق وهمّ بالخروج اليه وسأل داود الرب بواسطة ابياثار الكاهن فاعلمه ان شاول يخرج اليه وان اهل عقيلة يسلمونه الى يده فانصرف داود مع نحو من ست مئة رجل نحو البرية واقام في الجبل في برية زيف فخرج شاول في طلبه واتى ابنه يوناثان الى داود خفية وشدَّد يده بالله قائلاً لا تخف لان ابي لا يظفر بك وانت تملك على اسرائيل وانا اكون لك ثانيًا وتعاهدا على ذلك وصعد سكان زيف الى شاول وتعهدوا بان يسلموا داود الى يده وعلم داود فانتقــل الى برية معون فتعقبه شاول ولكن ورد اليه رسول يخبره ان الفلسطينيين انتشروا في الارض فعاد عن لحاق داود الى لقاء الفلسطينيين

اما زيف فكان موقعها في المحل المسمى اليوم تل زيف في الجنوب الشرقي من الخليل وفي الجنوب الغربي من بني نعيم على اربعة اميال من الخليــل (كاران مجلد ٣ في اليهودية صفحة ١٦٠ وكتاب الاعلام الكتابية) واما معون فكانت في المحل المعروف الان بتل معين في جنوبي زيف والخليل (كاران في المجلد المذكور صفحة ١٧١ وكتاب الاعلام) وشخص داود من معون الى حصون عين جدي وهي المعروفة بهذا الاسم حتى اليوم في شرقي بحيرة لوط ولما رجع شاول من وراء الفلسطينيين قيــل له ان داود في عين جدي فاخذ ثلاثة الاف رجل منتخبين وسار في طلبه ودخل مغارة في طريقه لحاجة نفسه وكان داود واصحابه في باطنها فاغرى داود بعض اصحابه بقتل شاول قائلين هذا هو اليوم الذي قال لك الرب هآنذا ادفع فيه عدوك الى يدك فتصنع به ما حسن لك فابى الا المخالفة لهم وزجرهم كيلا يمد احد اليه يدًا لكنــه جاء من ورائه خفية وقطع طرف ردائه ولما خرج سار داود وراءه ونادى ياسيدي الملك فالتفت شاول وخر داود على وجهه ساجدًا وقال لماذا يصــدق مولاي

من يقولون له ان داود يطلب اذاه فاليك بينة قاطعة انه كان في يدي اليوم ان اقتلك في المغارة وقد أُشير عليَّ بذلك لكنني اشفقت وقلت لا ارفع يدي على مسيح الرب فانظر يا ابي انظر طرف ردائك في يدي وكما قطعته كان لي ان اقتلك وانت تتصيد نفسي لتأخذها وراء من خرج ملك اسرائيل ووراء من انت مطارد وراء كلب ميت وبرغوت واحد فليحكم الرب بيني وبينك ولما سمع شاول صوت داود بكى وقال له انت ابرُّ مني لانك جزيتني خيرًا وانا جزيتك شرًّا ولقد علمت الان انك ستصير ملكًا فاحلف لي انك لا تقرض ذريتي من بعدي فحلف له فانصرف شاول الى بيته وصعد داود واصحابه الى محال حصينة (ملوك ١ ف ٢٣ و ٢٤)

﴿ عد ٢٥٦ ﴾

وفاة صموئيل

قد نبأنا الكتاب (ملوك ١ ف ٢٥) ان صموئيل توفى فاجتمع جميع اسرائيل وناحوا عليه . قال يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ٦ ف ١٤) ان مناحة بني اسرائيل على صموئيل شملت جميعهم بل كان اسف كل منهم عليه أسف من فقد اقرب اقربائه فقد تسامى بفضله وفضيلته وغيرته على سنَّة الرب وجدّه في اكساب بني اسرائيل مجدًا وتفرد باستقامة مسلكه ونزاهة امياله ويكفي مؤونة بيان كل ذلك ما قاله للشعب في محضر حافل عند اقامته شاول ملكًا وهو « هانذا فاشهدوا عليَّ قدام الرب وقدام مسيحه ثور من اخذت او حمار من اخذت او من ظلمت او من ضغطت او من يد من ارتشيت لاغضي عينيَّ عنه فارد لكم فقالوا ما ظلمتنا ولا ضغطنا ولا اخذت من يد احدنا شيئًا » (ملوك ١ ف ١٢ ع ٣ و ٤) وقد مرَّ انه يرجح ان يكون كتب سفر القضاة وسفر راعوت ويحتمل ان يكون كتب من سفر الملوك الاول

الى الفصل الخامس والعشرين المنبيء بموته ويحسب اول الانبيآء اي الانبيآء الذين كانوا في عهد ملوك بني اسرائيل الى عودهم من سبي بابل فان موسى كان نبيًا ودابورة نبية وكانا قبله بل كان هو مؤسس مدرسة الانبيآء كما يظهر من سفر الملوك الاول (ف ١٠ ع ٥ و ١٠) وكان لهذه المدرسة رئيس كما يتبين من هذا السفر (ف ١٩ ع ٢٠) وكانوا يسمونه ابًا (ملوك ١ ف ١٠ ع ١٢) ومعلمًا (ملوك ٤ فصل ٢ عد ٣) وكانوا هم يسمون ابنآء الانبيآء (ملوك ٤ فصل ٦ عد ١) وكانوا يعكفون على تسبيح الله (ملوك ١ فصل ١٠ عد ٥ وغيره) وكانت مواد دروسهم سنّة الرب وطرائق الانذار بها والاظهر ان رئيسهم كان كان يُمسح بالدهن المقدس كما مُسح اليشاع (ملوك ٣ فصل ١٩ عد ١٦) ولم يكن جميعهم انبيآء حقيقة ينذرون بالمستقبلات ولكن قد خرج من مدرستهم كثير من الانبيآء وسائرهم علمآء ومنذرون فقط (طالع عد ٢٤٦) وعليه فقد كان صموئيل اول من وضع طريقة التعليم والتهذيب الديني واقام مدرستهم اول الامر في موطنه الرامة وانبأنا الكتاب انه كان مثل هذه المدرسة في بيت ايل واريحا والجلجال وغيرها

روى كلمت (في تاريخ العهد القديم) ان صموئيل عاش نحو ثماني وتسعين سنة صرف منها عشرين سنة في القضاء لبني اسرائيل قبل مسحه شاول وعاش مع شاول ثماني وثلاثين سنة . ولكن روى يوسيفوس (ك ٦ في تاريخ اليهود فصل ١٤) انه ولي القضاء للشعب اثنتي عشرة سنة وعاش مع شاول ثماني عشرة سنة . ودفن في بيته اي في موطنه الرامة وقد مر ان الارجح انها كانت في المحل المسمى اليوم النبي صموئيل في الشمال الغربي من اورشليم . قال لا نرمان (مجلد ٦ من تاريخ المشرق في ملك شاول) ان مقتل الكهنة واهل نوب الانف ذكره كان بعد موت صموئيل فقدم الكتاب وضعًا ما تأخر

زماناً ومن ادلة ذلك ان شاول لم يكن ليقترف جريمة فظيعة كهذه في حياة صموئيل الذي كان يهابه ويخشاه ويؤيده انا لا نرى في الكتاب ان صموئيل فاه بكلمة تونيب على هذا الصنيع الذريع خلافاً لما تعود من اتقاد نار غيرته

﴿ ٢٥٧ ﴾

تتمة اخبار داود في مفره وعفوه ثانية عن قتل شاول

قد مر ان داود لم يركن الى كلام شاول ومضى الى محال حصينة والظاهر من آي الكتاب انه اقام في برية معون (تل معين السالف تعريفها) واحتاج الزاد لرجاله فارسل الى رجل غني في معون اسمه نابال كان يجز غنمه الكثيرة جداً سائلاً اياه ان يعطيهم ما تيسر لقوتهم لانهم احسنوا الى رعاته وذبوا عنهم وكان وقت الجزاز عندهم كوقت قطاف الكروم يكثرون فيه من معدات اللهو والمسرة فابى الرجل الا ان يسمع غلمان داود ما يسوءهم قائلاً من هو داود وقد كثر العبيد الذين ابقوا من عند مواليهم ولما علم داود احتدم صدره غيظاً واخذ اربع مئة رجل من رجاله ينوي التنكيل به وكان لنابال امرأة اسمها ابيجائيل (او ابيغال) ذكية جميلة علمت باحسان داود وفظاظة زوجها فاخذت مئتي رغيف وزقي خمر وخمسة خرفان مطبوخة وخمس كيلات من الفريك ومئتي عنقود من الزبيب ومئتي قرص من التين ومضت الى داود فالتقت به في طريقها فخمدت جذوة غيظه بتذللها ورقة كلامها فتقبل هديتها وعادت الى بيتها وقصت على زوجها ما كان فارتاع جداً حتى عبر الكتاب عن ذلك بقوله « مات قلبه في في جوفه وصار كحجر » وبعد عشرة ايام مات فشكر داود الرب لانه انتقم من نابال على غير يده ثم تزوج داود بابيجائيل امرأته واتخذ امرأة اخرى اسمها احينوعم وكان شاول اعطى ميكال ابنته زوجة داود لرجل آخر بعد فراره (ملوك ١ فصل ٢٥)

وجاء اهل زيف (تل زيف) يخبرون شاول ان داود مختبئ في البرية قريبًا منهم فاخذ شاول ثلاثة الاف رجل من منتخبي اسرائيل ليطلب داود وارسل داود جواسيس فعلم محل اقامته فغشيه ليلاً ومعه ابيشاي بن صروية فوجده نائمًا في المترسة ورمحه مركوز عند رأسه وابنير قائد جيشه والشعب رقود حوله فقال ابيشاي لداود دعني اطعنه بهذا الرمح طعنة واحدة ولا اثني عليه فاجابه داود من الذي يمد يده الى مسيح الرب ويكون بريئًا واخذ داود رمح شاول وكوز الماء من عند رأسه وانصرفا ووقف داود على قمة الجبل من بعد وصاح بالشعب وبابنير بن نير فاجاب ابنير من انت يا من يصيح بالملك فقال له داود كيف لم تحرس سيدك الملك فقد جاء واحد من الشعب ليقتله فانظر اين رمح الملك وكوز الماء اللذان كانا عند رأسه فعرف شاول صوت داود وقال أصوتك هذا يا ابني داود فقال نعم وما بالك يا سيدي تطلب عبدك أخرجت لتطلب برغوثًا واحدًا كما يطلب الحجل في الجبال، فقال شاول قد اخطأت فارجع يا ابني داود فاني لا اعود أذيك فنفسي كانت كريمة في عينيك وانا قد فعلت بحماقة . ونادى داود هذا رمح الملك فليعبر احد الغلمان ويأخذه ويكافي الرب كل واحد بحسب بره وامانته وانصرف داود لسبيله غير آمن ورجع شاول الى مكانه (ملوك ١ فصل ٢٦)

رأى داود ان فراره الى ارض الفلسطينيين خير وسيلة تقي نفسه من القتل وقومه من الضر فعاد ثانية الى اكيش ملك جت (ذكرين) ولم يخشَ هذه المرة غدر الفلسطينيين به اذ كان يصحبه ست مئة رجل من شجعان قومه وكان الفلسطينيون يلقون به نصيرًا على شاول واعوانه ولا اقل من ان يدخلوا بهذه الذريعة الانقسام بين بني اسرائيل فقبله اكيش مشترطاً عليه الامانة له والمناصرة على شاول وكف شاول عن طلب داود فاقام اياماً في جت ثم سأل

اكيش ان يعطيه قرية في الصحرآء فيسكن فيها مع امرأتيه ورجاله فاعطاه صقلاج وهي على ما في كتاب اعلام الاماكن مدينة كانت في نصيب سبط شمعون وهي اليوم اطلال في جنوبي بئر سبع وفي شرقي خلاصة تسمى اسلوج وقد اكتشفها رولاند سنة ١٨٤٢ واقام داود في بلاد الفلسطينيين سنة واربعة اشهر كذا في نسخة الآباء اليسوعيين المطبوعة في بيروت بالعربية وفي كتب كثير من المفسرين ولكن في النص العبراني «اياماً واربعة اشهر» وفي الترجمة السريانية ܝܘܡܬܐ ܘܐܪܒܥܐ ܝܪ̈ܚܐ اي اوقاتاً واربعة اشهر وقال كلمت ان داود اقام اربعة اشهر في جت وستة في صقلاج وكان يخرج هو واصحابه ويغزون الشجوريين والجرزيين وهم (على ما قال كلمت في تاريخ العهد القديم) من عشائر الكنعانيين ساكني جنوبي فلسطين ثم العمالقة وقد مرّ تعريف اصلهم وكان هؤلاء جميعاً اعداء لبني اسرائيل ولذلك قال الكتاب ان داود كان يضرب البلاد فلا يبقى على رجل ولا على امرأة ويأخذ الغنم والبقر والحمير والجمال والثياب ويرجع الى اكيش فيقول له اين غزوتم اليوم فيقول داود في جنوبي يهوذا وجنوبي اليرحميليين من عشائر بني اسرائيل وجنوبي القينيين وهم من ذوي قرابة يترو حمي موسى واعطوا ارضاً في نصيب سبط يهوذا وكان داود يقول لاكيش ذلك ليصدقه بانه جعل نفسه مكروهاً لدى شعبه وبانه مخلص له . قال بعض المفسرين لا يمكن تبرئة ساحة داود من الكذب لمخالفة كلامه الحقيقة وعندهم ان هذا من جملة نقائصه التي استغفر الله عنها وقال غيرهم ليس في كلامه الا اخفاء الحقيقة وتلبيس الجواب على لاكيش فلم يصرح له بمن غزا وقال الحق لان من كان يغزوهم كانوا في جنوبي يهوذا

وجاء في سفر اخبار الايام الاول (فصل ١٢) انه جاء لمناصرة داود في

صقلاج رجال اشداء وكثيرون من سبط بنيامين اقرباء شاول ومن سبط يهوذا وسبط جاد سكان عبر الاردن فقبلهم داود وجعلهم روسآء غزاة وتوفر الحشد عند داود وكان هذا ميسرًا لارتقائه منصة الملك بعد مقتل شاول كما سيجيء

عد ٢٥٨

محاربة الفلسطينيين لشاول وقتله

قد امَّل اكيش الظفر ببني اسرائيل لانقسامهم ولحسبانه ان داود ورجاله يناصرونه على شاول وانصاره فاغري سائر اقطاب الفلسطينيين باستئناف الحرب واستدعى داود وقال له لا بد ان تخرج معي في الجيش انت واصحابك فقال داود ستعلم ما يصنع عبدك فحمل اكيس كلامه على ما يتبادر الفهم اليه فقال اذن اقيمك حافظًا لراسي كل الايام فبات داود مرتبكًا في امره لا يريد ولا يستبيح ان يشايع الفلسطينيين على اخوانه شعب الله ولا ان يغالط اكيش ففرج الله كربه اذ سأل اقطاب الفلسطينيين اكيش بعد مضيهم الى مكان الحرب ان يسرح داود ورجاله خشية ان ينقلبوا عليهم اذا استعرت نار الوغى فانصرف داود ورجاله شاكرًا الله . وتقدمت جيوش الفلسطينيين نحو الشمال الى مرج ابن عامر ونزلوا بشونم وهي سونم الان في شمالي زرعين في ناحية جنين من متصرفية نابلس (كتاب اعلام الاماكن) وجمع شاول رجاله ونزلوا بجلبوع وهو المسمى الان جبل جلبوع او جلبون على ما في كتاب اعلام الاماكن نسبة الى قرية هناك تسمى جلبون او جبل فقوعة على ما روى كاران (مجلد ٢ في السامرة صفحة ٣٢٥) نسبة الى قرية تسمى فقوع وهذا الجبل في شمالي سولم محلة الفلسطينيين

ورأى شاول كثرة جيوش الفلسطينيين فخاف وارتعد قلبه جدًا وسأل الرب فلم يجبه لا بالحلم ولا بالكهنة ولا بالانبياء وقال له بعض رجاله ان في عين

دور (تسمى الى اليوم بهذا الاسم هي على ستة اميال من الناصرة شرقاً) امرأة ذات تابعة (جنيَّة) فتنكر شاول وانطلق ليلاً مع رجلين الى العرافة فابت اولاً ان تكهن له خوفًا من الملك الذي كان نفى العرافين واصحاب التوابع ولما امَّنها قالت من تريد ان اصعد لك قال صموئيل ولما رأته المرأة صرخت وقالت انها ترى رجلاً شيخًا صاعدًا متردياً برداء فعرف شاول انه صموئيل فخر على الارض وسجد فقال صموئيل لشاول لماذا اقلقتني واصعدتني فقال شاول قد ضاق فيَّ الامر جـدًّا والله فارقني ولم يعد يجيبني فدعوتك لتعلمني ماذا اصنع فقال صموئيل لماذا تسألني والرب قد فارقك وصار عدوك وشق المملكة من يدك ودفعها الى صاحبك داود وغدًا تكونون معي انت وبنوك ايضاً في القبور او الحياة الاخرى فسقط شاول في الحال بطوله على الارض وارتاع جدًّا ولم تعد له قوة ليذوق طعاماً كل يومه ثم انصرف الى معسكره (ملوك ١ ف ٢٨)

ان في آيات الكتاب المار ذكرها اشكالاً ادَّى الى اختلاف في اقوال الاباء العلماء فمن قائل ان الشيطان تشبه بملاك النور وظهر لشاول بهيئة صموئيل واعلمه بسماح الله بما يكون له ولبنيه حقيقة على مثال ما نرى في الانجيل ان الشياطين كانوا يشهدون للمسيح انه ابن الله وممن قالوا بهذا القديس يوستينوس الشهيد واوريجانوس وانسطاس الانطاكي والقديس اغوسطينوس في احد اقواله ومن قائل انه لم يكن للشيطان ولا للعرافة ذريعة بظهور صموئيل بل اراد الله وهو على كل شيءٍ قدير ان يترآى صموئيل لشاول فيبرز القضآء عليه بالموت جزاء لجرائمه على مثال ما ظهر موسى وايليا للمخلص عند تجليه وبهذا قال كثير من الاباء والعلماء واستمسكوا لاثباته بقول الكتاب « فلما رأت المرأة صموئيـل صرخت بصوت عظيم » فهذا مشعر بانها رأت غير ما كانت تنتظر وغير ما اعتادت عليه في تكهنها واستشهدوا لرأيهم بقول ابن سيراخ ١ فصل ٤٦ عد ٢٢

وما يليه)" في صموئيل ، ومن بعد رقاده تنبأ واخبر الملك بوفاته ورفع من الارض صوته بالنبوة لمحو اثم الشعب » ورجح هذا القول من الحدثاء كامت في معجم الكتاب وفيكورو في الموجز الكتابي (عد ٤٨٥) وساسي في تفسير الايات المار ذكرها وهو الاظهر والامثل

وتقدم الفلسطينيون الى يزرعيل وهي زرعين الان في جنوبي سولم التي كانت محلتهم فيها وفي شمالي جلبوع حيث كان جيش شاول وتسعرت نار الحرب فانهزم رجال اسرائيل من وجه الفلسطينيين الذين شدوا على اثر شاول وبنيه فقتلوا يوناثان وابيناداب وملكيشوع بني شاول وادرك الرماة بالقسي اباهم واثخنوه بالجراح فقال لحامل سلاحه استل سيفك واوجأني به لئلا يقتلني هولاء القلف ويتشفوا بشنيعهم بي فابى حامل سلاحه ان يمد اليه يدًا فاخذ شاول سيفه وسقط عليه فمات ولما رأى حامل سلاحه انه مات سقط هو ايضًا على سيفه ومات معه ولما رأى رجال اسرائيل الذين في نواحي الاردن ان قد مات شاول وهرب جيشه فخلوا مساكنهم وفرّوا فاتى الفلسطينيون واقاموا فيها وفي الغد وجد الفلسطينيون شاول وبنيه صرعى بين القتلى فقطعوا راسه ونزعوا سلاحه وعلقوه في بيت عشتاروت ربّتهم وعلقوا جسده على سور بيت شان وهي بيسان الان في الشرق الجنوبي من جبل جلبوع وسمع اهل يابيش جلعاد (وادي اليابس في السلط) بما صنع الفلسطينيون بشاول فنهض كل ذي بأس منهم وساروا الليل كله فاخذوا جثث شاول وبنيه عن سور بيسان واتوا بها مدينتهم واحرقوها واخذوا العظام ودفنوها في بلدهم وصاموا سبعة ايام متذكرين احسان شاول اليهم بانقاذهم من ناحاش ملك العمونيين كما مر (ملوك ١ ف ٣١)

﴿ عد ٢٥٩ ﴾

محاربة داود العمالقة ومناحته على شاول وبنيه

قد عاد داود من معسكر الفلسطينيين الى صقلاج مدينته فوجد العمالقة غزوها ابان غيبته واحرقوا بيوتها وسبوا منها النساء والاطفال حتى امرأتي داود فرفع هو ورجاله والشعب اصواتهم بالبكاء حتى لم يبقَ لهم قوة ان يبكوا فاعتصم داود بالله وسار برجاله في اثر العمالقة فصادف في طريقه رجلاً مصريًا كان عبدًا لرجل عماليقي تركه مولاه في الطريق لمرضه فهداهم الى محلة العمالقة وكانوا فيها يأكلون ويشربون ويرقصون فرحين بما نالوه من الغنيمة وكان تخلف من رجال داود مئتان في الطريق فحاربهم برجاله الاربع مئة النهار كله ولم ينجُ منهم الا اربع مئة من الفتيان ركبوا على الجمال وهربوا تاركين غنائمهم واستخلص داود امرأتيه وكل ما اخذ العمالقة ولم يفقد لهم شيء لا صغير ولا كبير ولا بنون ولا بنات بل اخذوا كل ما كان للعمالقة هناك من غنم وبقر واحب رفقاء داود ان لا يقاسموا الغنيمة اصحابهم الذي اعيوا عن لحاقهم فقال داود ان نصيب النازل الى الحرب يكون كنصيب القائم على الامتعة على السواء يقتسمون فكان ذلك سنَّة وحكمًا في بني اسرائيل وبعث داود بعد عوده الى صقلاج من الغنيمة الى كثير من شيوخ المحال التي اقام فيها كان ليعوضهم من الخسائر التي الحقها بهم او ليحببهم اليه

وفي اليوم الثالث بعد رجوع داود الى صقلاج من قتل العمالقة اقبل رجل وثيابه ممزقة وعلى راسه تراب يخبر داود ان قد سقط من الشعب كثيرون ومات شاول وابنه يوناثان وان شاول قال له ان ينهض عليه ويقتله فقتله لانه علم انه لا يحيى بعد واخذ التاج عن راسه وانتزع السوار من ساعده واتى بهما داود قال كل ذلك آملاً ان يمن على داود بما صنع فيجيزه على صنيعه وكانه

كان اول من وجد شاول قتيلاً فاخذ تاجه وسواره فزق داود ثيابه وتابعه بذلك رجاله وناحوا وبكوا على شاول وصاموا الى المساء ثم سأل داود الغلام مخبره من اين انت فقال انا ابن رجل غريب عماليقي فقال له داود كيف لم تهب ان تمد يدك الى مسيح الرب فدمك على هامتك لان فمك شهد عليك بانك قتلت مسيح الرب ودعا واحدًا من الغلمان وقال اوقع به فضربه ومات . ورثى داود شاول ويوناثان المرثية الشهيرة المثبتة في الفصل الاول من سفر الملوك الثاني المفتتحة « الظبي يا اسرائيل مجدَّل على روابيك كيف تصرعت الجبابرة لا تخبروا في جت ولا تبشروا في اسواق شقلون (عسقلان) لئلا تفرح بنات الفلسطينيين وتطرب بنات القلف يا جبال الجلبوع لا يكن فيكنَّ ندى ولا مطر » الى ان يقول « يا بنات اسرائيل ابكينَ على شاول الذي كان يكسوكنَّ القرمز ترفًا ويرصع لباسكنَّ بحلى الذهب ... قد ضاق ذرعي عليك يا اخي يوناثان لقد كنت شهيًا لديَّ جدًا وكان حبك عندي اولى من حب النساء وقد احببتك حب ام لابنها الوحيد »

الفصل الثالث عشر

(في اخبار داود في مدة ملكه)

عد ٢٦٠

اقامة بني يهوذا داود ملكاً وسائر بني اسرائيل اشبوشت بن شاول

وصعد داود بعد مناحته على شاول الى حبرون (الخليل) بوحي الله فاتى رجال يهوذا ومسحوه ملكاً عليهم وكانت باكورة اعماله ان بعث رسلاً الى اهل يابيش جلعاد (وادي اليابس في السلط) يشكر لهم بما صنعوا من الاحسان في دفن شاول ويشددهم وينبئهم ان بني يهوذا مسحوه ملكاً عليهم . فلم يكن من ابنير بن نير عم شاول ورئيس جيشه الا ان اخذ اشبوشت بن شاول وعبر به الاردن وملكه على سائر بني اسرائيل وجعل قصبة ملكه محنائيم المسماة اليوم محنه وفي كتاب اعلام الاماكن انها على اربعة عشر ميلاً في الجنوب الشرقي من بيسان وعلى مقربة من يابيس جلعاد وفسر يوسيفوس (ك ٧ من تاريخ اليهود فصل ١) اسمها بمعنى المحلتين او المحتين فدان لاشبوشت سكان عبر الاردن وكثير من اسباط اسرائيل الا سبط يهوذا وكان عمره يوم ملك اربعين سنة واستتب له الملك على مريديه سنتين وفي السنة الثالثة عبر ابنير بن نير ورجال اشبوشت الاردن واتوا جبعون المعروفة الان بالجب في شمالي اورشليم (اعلام الاماكن) وقد مر ذكرها عند الكلام في احتيال اهلها على بني اسرائيل في عهد يشوع بن نون وعرف داود بخروج جيش اشبوشت فارسل للتقاهم يوآب بن صروية اخت داود (يوسيفوس في المحل الانف ذكره) ورجال داود فالتقى الجيشان على بركة جبعون ولما كان كل من القائدين صديقاً للاخر ولم

تكن شحناء بين الفريقين قال ابنير ليواب ليبرز بعض الغلمان من كل فريق على سبيل اللعب كما قال الكتاب او على سبيل امتحان قوة الرجال في الفريقين كما قال يوسيفوس فبرز اثنا عشر رجلاً من سبط بنيامين من جهة اشبوشت واثنا عشر رجلاً من رجال داود واخذ كل واحد براس صاحبه ووجاه بسيفه في جنبه فسقطوا جميعًا وسمي المكان حقل الصناديد وافضى ذلك الى قتال شديد كانت عاقبته انهزام ابنير ورجال اشبوشت ومطاردة يواب واخويه بيشاي وعسائيل لابنير الى ان قتل ابنير عسائيل وكان عدد القتلى من رجال داود تسعة عشر رجلاً وعسائيل ومن رجال اشبوشت ثلاث مئة وستين رجلاً وعاد ابنير برجاله الى محنائيم عند اشبوشث ويواب برجاله الى حبرون عند داود . قال الكتاب (ملوك ٢ فصل ٣) وطالت الحرب بين بيت شاول وبيت داود ولم يزل داود يتقوى وبيت شاول يضعف وكان ابنير قائد جيش اشبوشت يتردد الى سرية كانت لشاول او كان تزوجها ولم يكن له ان يتخذ ارملة الملك فعتب اشبوشت ابنير لدخوله على سرية ابيه فاستشاط صدر ابنير غيظًا وارسل رسلاً الى داود ليقطع معه عهدًا فيرد اليه جميع اسرائيل فقطع داود معه عهدًا وطلب منه ان يأتيه بميكال امرأته ابنة شاول (التي كان اعطاها لغير داود) عند ما يأتي اليه ووفد ابنير الى داود في حبرون ومعه ميكال فصنع له ولرجاله مأدبة ورحب به واكرم مثواه ثم انطلق ابنير ليجمع شيوخ بني اسرائيل ليبتُّوا عهدًا مع داود ويملكوه فيهم وعاد بعدئذٍ يواب ورجاله من الغزو ومعهم غنيمة عظيمة فأُخبر عما كان لابنير وخشي ان يشاطره وجاهته لدى الملك وتذكر قتله عسائيل اخاه فسعى به انه انما جاء ليخدع الملك ويقف على ما يصنعه ووجه رسلاً فردوا ابنير من طريقه على غير علم من داود . ولما رجع مال به يواب ليفاوضه على دعة وضربه في بطنه فمات بدم عسائيل اخيه . فساءت

فعلته داود جدًّا وقال انا بريءٌ ومملكتي امام الرب من دم ابنير وتسخط على مواب ودعا عليه وعلى بيته وبالغ في مظاهر النوح والاسف على ابنير حتى حسن ذلك في عيون الشعب كله وايقنوا انه لم يكن للملك يد في مقتل ابنير

وسمع اشبوشت بان قد مات ابنير بحبرون فاسترخت يداه وارتاع جميع اسرائيل وكان لاشبوشت رئيسا غزاة اسم احدهما ريكاب واسم الاخر بعنه ابنا رمّون البئيروتي نسبة الى بئيروت المسماة الان البيري على تسعة اميال في الطريق من اورشليم الى نابلس فهذان دخلا بيت اشبوشت بينما كان نائمًا عند قائلة الظهيرة وكانت الحاجبة اغفت وهي تنقي الحنطة فقتلاه وقطعا رأسه واتيا به الى داود وقالا هوذا رأس اشبوشت بن شاول عدوك فقال لهما حي الرب الذي خلصني من كل ضيق ان الذي ظن انه يبشرني بقتل شاول قتلته في صقلاج وكان يستوجب جائزة فما يكون لرجلين بغيين قتلا رجلاً بريئًا في بيته على سريره الا اطلب دمه من ايديكما وابيدكما وامر داود الغلمان فقتلوهما وقطعوا ايديهما وارجلهما وعلقوهما على بركة حبرون واخذوا رأس اشبوشت ودفنوه في قبر ابنير في حبرون (ملوك ٢ فصل ٤)

﴿ ع‍د ٢٦١ ﴾

استقلال داود في ملك اسرائيل وفتحه قلعة صهيون ومحالفته لحيرام

قد جاء في الكتاب (ملوك ٢ فصل ٥) واقبل جميع اسباط اسرائيل الى داود في حبرون واقرُّوا له في الملك فاستقل به وقد فصل في سفر اخبار الايام الاول (فصل ١٢) عدد الرجال الذين اقبلوا الى داود ليبايعوه الملك فكان مجموعهم ٣٥٩٦٠٠ رجلٍ اذا كان عدد رجالٍ يساكر عشرين الفًا كما رواه يوسيفوس (ك ٧ من تاريخ اليهود فصل ٢) اذ لم يتعين في سفر اخبار الايام

عدد الرجال من هذا السبط بل قيل فقط . روساء يساكر مئتان وجميع اخوتهم تحت امرهم . واستمر هولاء جميعًا عند داود ثلاثة ايام يأكلون ويشربون لان رجال جميع الاسباط حتى يساكر وزبلون وتفتالي سكان شمالي فلسطين كانوا يقلون على الحمير والجمال المؤن والذخائر من خبز ودقيق واقراص تين وعناقيد زبيب وخمر وزيت ويسوقون بقرًا وغنمًا وكان الاحتفاء شائقـًا بهجاً وكان لداود من العمر يوم ملك على يهوذا ثلثون سنة واستمر على ذلك سبع سنين وستة اشهر فملك على بني اسرائيل كلهم في السنة الثامنـة والثلاثين من عمره وملك كذلك ثلثاً وثلثين سنة فجملة ملكه اربعون سنة وستـة اشهر . وانتهز داود فرصة ليفتتح حصن صهيون في يبوس (اورشليم) ويأخذه من يد اليبوسيين احدى عشائر كنعان فسار الى هنالك برجاله فتمرد اليبوسيون وقالوا لداود انك لا تدخل الى ههنا حتى لا تبقي منا اعمى ولا مقعدًا فكأنهم يقولون مستخفين به ان العميان والمقعدين يكفون لردك عن متمناك ولا حاجة الى عنـاء رجال حربنا بقتالك فكانوا يحسبون قلعتهم في صهيون حصينة منيعة وروى يوسيفوس في المحل السالف ذكره انه لم يظهر من اليبوسيين عند اول حصار داود قلعتهم الا العميان والمقعدون ووعد داود ان يجيز كل من قتل يبوسيًا وكل من بلغ الى قناة الماء او الى اولئك العرج والعميـان فكان يواب اول من افتتح مع ابطاله قلعة صهيون فملكها داود وسماها مدينة داود واقام في هذا الحصن وبنى ما حوله من ملُّو فداخلاً قال كلمت (في معجم الكتاب) ملُّو وادٍ كان يفصل بين يبوس القديمة وحصن صهيون ويتصل بعين شيلوحه فردم داود هـذا الوادي وسواه واقام ثمة قصرًا له ومساكن لاعوانه ومجتمعًا للشعب وزاد ابنه سليمان شيئًا هنالك كما يظهر من سفر الملوك الثـالث (ف ٩ ع ١٥) وعرف داود ان الرب اقرّه ملكًا على اسرائيل وعظَّم ملكه من اجل شعبه وكان شاول

يعيش مقتصدًا واما داود فكان مترّفاً واكثر من اتخاذ النساء فانه تزوج باحينوعم اليزرعيلية وابيجال امرأة نابال الكرملية كما مر وولد منهما امون وكلاب ثم اتخذ معكة بنت تلماي ملك جشور (١) فولد منها ابيشالوم وجحيت فولد منها ادونيا ثم ابيطال فولدت له شفطيا ثم عجلة فولدت له يترعام وبعد مجيئه من حبرون الى اورشليم تزوج بزوجات وسراري فولدنَ له بنين وبنات وذكر الكتاب له من هولاء احد عشر ابناً منهم ناثان وسليمان . وسمع حيرام ملك صور اخبار عظمة داود ومجده وانه بنى قصرًا لسكناه فتاق الى مصادقته كلفاً براحته ونجاح تجارة امته فوجه رسلاً الى داود يستعطفه الى صداقته وارسل اليه اخشاباً من ارز لبنان ونجارين ونحاتين لتجميل قصره وقد استمرت الصداقة بين داود وسليمان وملوك صور وكانت وبالاً على بني اسرائيل كما سترى طالع عد ٢١٦ و ٢١٧

﴿ عد ٢٦٢ ﴾

حرب وادي الجبابرة بين داود والفلسطينيين

لما كان الخلاف بين شاول وداود كان الفلسطينيون يظهرون الرضى عن داود ويبطنون الحذر منه ولكن لما اجمع بنو اسرائيل على تمليكه واستفحل امره قلبوا مجنّ السياسة وخشوا سطوة داود وشدة بأسه وآثروا الهجوم على الدفاع خشية ان يزداد داود صولة وتمكناً ولذا تألبوا وانتشروا في وادي الجبابرة قال كاران (مجلد ١ في اليهودية صفحة ٢٤٨) ان في تعيين موقع هذا الوادي قولين فقال اوسابيوس انه في شمالي اورشليم وذكر القديس ايرونيموس قوله ولم يغير منه شيئاً وتابعهما عليه بعضهم ولكن رأى جمهور العلماء ان هذا الوادي

---

(١) الاظهر أن مملكة هذا الملك كانت في جنوبي جبل الشيخ وشمالي السلط حيث الجولان والحيدور الان

في جنوبي اورشليم بينها وبين بيت لحم وهو المتحصل من كلام الكتاب ومن قول يوسيفوس ويسمى هذا المحل الان البقعة انتهى كلام كاران وفي كتاب الاعلام الكتابية ان وادي الجبابرة يسمى البقمة وهو في جنوبي اورشليم على طريق بيت لحم . ولما عرف داود اقتراب اعدائه سأل الرب فأوحي اليه ان اصعد اليهم فزحف برجاله فضربهم في الموضع المسمى بعل خراصيم ويلزم ان يكون في وادي الجبابرة وان لم يتعين موقعه الى اليوم فانذعر الفلسطينيون وولوا هاربين تاركين ذخائرهم واصنامهم ايضاً فغنمها داود ورجاله واحرق الاصنام فيظن انها كانت من خشب مموه او مصفح بالذهب او الفضة . وجاء في فصل ٢٣ من سفر الملوك الثاني وفي فصل ١١ من سفر اخبار الايام الاول في معرض ذكر ابطال داود تتمة لاخبار هذه الحرب ان داود كان في حصن وكان محرس الفلسطينيين في بيت لحم فتأوه وقال من يسقيني شربة ماء من بئر بيت لحم فاخترق ثلاثة من ابطاله محلة الفلسطينيين واستقوا من هذه البئر ماء واتوه به فلم يشربه بل قال حاشَ لي يارب ان افعل هذا أ أشرب دم قوم خاطروا بانفسهم

على ان انكسار الفلسطينيين يومئذٍ لم يكن فاصلاً بل انتشروا ثانية في وادي الجبابرة وروى يوسيفوس انهم استنجدوا بغيرهم من ملوك سورية فنجدوهم وسأل داود الرب فقال له لا تصعد بل اعطف من خلفهم وآتهم من حيال اشجار البكاء في العبرانية بوكيم وفي اليونانية كلوتومن وفي اللاتينية محلة الباكين ويحتمل ان يكون المراد بالكامة محلة اشجار التوت وزعم بعضهم ان هذا الموضع في شيلو (سيلون الان) لكن الاظهر انه على مقربة من اورشليم ووادي الجبابرة حيث كان الفلسطينيون وجعل له الرب علامة انه اذا سمع صوت خطوات حاصلاً من حركة اغصان الشجر فليضرب محلة الفلسطينيين

فعمل داود كما امره الرب وشتت شمل اعدائه ويظهر من قول اشعيا (ف ٢٨ عد ٢١) ومن المزمور الـ ١٧ ان الرب ارهب الفلسطينيين حينئذٍ بعاصف شديد اثاره عليهم فتتبع داود آثارهم من جبع الى مدخل جازر . فان قدر ان وادي الجبابرة في شمالي فلسطين تبعاً لقول اوسابيوس لزم ان تكون جبع هذه جبعة شاول التي كانت في المحل المسمى الان تل الفول او ان تكون جبعون المسماة اليوم الجب لانهما في شمالي اورشليم . وان قدر ان وادي الجبابرة في جنوبي اورشليم تبعاً لقول جمهورهم لزم ان تكون جبع هذه في الموضع المسمى الى اليوم جبع في غربي بيت لحم وبيت جالا . واما جازر وفي اللاتينية كادر وكادارا فيظن انها المسماة اليوم قطره على مقربة من خلده والمنصورة في غربي اورشليم قال بذلك كاران (مجلد ٢ في اليهودية صفحة ٣٥) وهي على ساعة من عاقر عقرون القديمة مدينة الفلسطينيين . وقال يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ٧ فصل ٤) ان بني اسرائيل طاردوا الفلسطينيين الى جازر التي هي تخم المملكتين مملكة اسرائيل ومملكة الفلسطينيين وروى كلمت في تاريخ العهد القديم ان جازر قريبة من عقرون

﴿ عد ٢٦٣ ﴾

في نقل داود تابوت عهد الرب الى اورشليم واهتمامه ببناء بيت الله

قد استدعى داود منتخبين من جميع بني اسرائيل ونهض بهم الى قرية يعريم المسماة الان قرية العنب او قرية ابي غوش واخذوا تابوت عهد الرب من بيت ابيناداب حيث وضع بعد ارجاع الفلسطينيين له كما مر وحملوه على عجلة جديدة كان عزة واحيو ابنا ابيناداب يقودانها وكان داود ومنتخبو بني اسرائيل جميعاً يلعبون امام التابوت بالكنارات والعيدان والدفوف والصنوج

وغيرها من الات الطرب ولما افضوا الى بيدر نكون الذي لا يعلم موضعه الا انه في الطريق بين قرية ابي غوش واورشليم رمحت الثيران فمد عزة يده الى التابوت فامسكه لئلا يسقط فاماته الله لجسارته اما لانه مس تابوت الرب وليس هو كاهنًا اما لانه افكر ان الرب غير قدير على وقاية تابوته من السقوط واراد الله في كلتا الحالتين ان يعلمهم الاجلال والنهيب لتابوته وشق على داود كثيرًا ضرب الرب لعزة ولذلك خاف ان ينزل تابوت الرب في قصره وعدل به الى بيت رجل يسمى عوبيداروم الحتي وبقي التابوت هناك ثلاثة اشهر فبارك الرب عوبيد وكل بيته وعرف داود بذلك فزال خوفه واستدعى اللاويين كلهم ليحملوا التابوت وامرهم ان يتقدسوا هم وجميع الشعب وعيّن مرنمين ومغنّين يضربون بالات الطرب وكان كلما خطا اللاويون حاملوا التابوت ست خطوات ذبحوا ثورًا وكبشًا مسمنًا وكان داود يرقص بكل قوته وجميع آل اسرائيل يكثرون الهتاف والتبويق وضرب الات الطرب الى ان وضعوا التابوت في وسط المظلة التي اعدها له داود في قصره واصعد داود محرقات وذبائح سلامة وبارك الشعب باسم رب الجنود ووزع على كل جمهور اسرائيل رجالاً ونساء لكل واحد جردقة خبز وقطعة لحم وقرصًا من الزلابي او الحلوآء ورأت ميكال ابنة شاول داود زوجها يرقص امام التابوت فازدرته في قلبها ولما اتت لملاقاته قالت ما كان امجد ملك اسرائيل اليوم حيث تعرى من ثوبه الملكي كما يتعرى احد السفهاء فقال لها انما صنعت ذلك واصنعه في كل فرصة امام تابوت الرب الذي اصطفاني على ابيكِ وعلى جميع بيته . قال الكتاب ولم تلد ميكال ولدًا الى يوم ماتت فكأنه يعزو ذلك الى ازدرائها بداود لرقصه امام التابوت واقام داود مرنمين يسبحون الله امام التابوت في اوقات معينة ونظم بعض مزاميره لذلك (ملوك ٢ فصل ٦ وسفر اخبار الايام الاول فصل ١٣ وفصل

١٥ وفصـــل ١٦)

وكان داود تبعاً لمشورات صموئيل يعزز جانب الدين وسنـــة الله وكان يحب الانبياء والاحبار ويبالغ في اكرامهم واجلالهم وكان يوناثان وجاد البيان اخلص الاصدقاء له فقال لناثان انظر اني مقيم في بيت فسيح مَتين مزدان باخشاب الارز وتابوت عهد الرب مقام في داخل الشقق وكان كلام الرب في تلك الليلة الى يوناثان ليقول لداود أأنت تبني لي بيتاً لسكناي ولم اسكن بيتاً مذ اخرجت بني اسرائيل من مصر وان يذكّره بنعم الله واختيـــاره له من مربض الغنم ويعده بانه يقيم من صلبه من يبني له بيتاً ويقرّ عرش ملكه ويكون الله له اباً وهو يكون له ابناً . فقص ناثان الرؤيا على داود فدخل امام تابوت الرب يتذلل مبدياً عواطف الشكر على ما اسبغه الله عليه من الآلاء وما وعد به من قرار الملك في ذريته خاشعاً لله بتوسلات حميمة تراها في الفصل السابع من سفر الملوك الثاني والفصل السابع عشر من سفر اخبـــار الايام الاول . ويظهر ان الله لم يحب ان داود يبني له الهيكل لما صرح به داود نفسه في سفر اخبار الايام الاول (فصل ٢٢ عد ٢) حيث جاء « وقال داود لسليمان يا بنيّ انه قدكان في نفسي ان ابني بيتاً لاسم الرب الهي غير انه قد صـار اليَّ كلام الرب قائلاً انك قد سفكت دماء كثيرة وباشرت حروباً عظيمة فلا تبني انت لي بيتاً ... فهوذا يولد لك ابن ... هو يبني بيتاً لاسمي » وكذلـك قال داود للشعب كما ورد في سفر اخبار الايام الاول ايضاً (فصـــل ٢٨ عد ٣) فهذا وما اقترفه داود من الاسم كما سترى منعاه الحظ بان يبني بيت الله وان رحض آثامه بدموع توبته على ان داودكان يذخر كل ما يغنمه من ذهب وفضة ونحاس لينفقه ابنه في بناء الهيكل

﴿ عد ٢٦٤ ﴾

اخضاع داود الفلسطينيين والموابين وملك صوبة وارامي دمشق

ان كلام يوناثان لداود من قبل الرب زاده شجاعة واتكالاً على الله فعزم ان يخضع جميع اعداء شعبه وان يتولى الارض التي وعدهم بها من تخوم مصر الى شاطي الفرات فاستأنف الحرب مع الفلسطينيين واذلهم وافتتح جت (ذكرين) عاصمتهم وما جاورها من مدنهم وقراهم ولما ذل له مجاوروه وأمن سطوتهم عبر الاردن بعسكر جرار فضرب الموابيين وبدد شملهم واسر منهم جمًا غفيرًا وكان يضجعهم على الارض ويقيسهم بحبل فيقتل من كانوا على طول حبلين ويستبقي من كانوا على طول حبل وكانت سنة الحرب في تلك الايام تبيح الظافر قتل الاسرى الذين حملوا السلاح عليه او استبقاءهم قال الكتاب « وصار الموابيون عبيدًا لداود يؤدون الجزية »

ثم ضرب داود هدد عازر بن رحوب ملك صوبة وقد كان ذاهباً ليسترد سلطته على نهر الفرات واخذ منه داود الف وسبع مئة فارس وعشرين الف راجل وعرقل خيل المراكب وابقى منها مئة مركبة والظاهر ان مملكة صوبة كانت في شمالي سورية المجوفة تمتد من شمالي لبنان الشرقي نحو حمص وحماه وحلب وفي شرقي لبنان المذكور حيث يبرود والنبك وصدد والقريتين الى تدمر والفرات وعلى ذلك ادله منها ما سيأتي من ان توعي ملك حماه كانت له حروب مع هدد عازر ملك صوبة وبعث ابنه يهني داود بانتصاره عليه فقد كان مجاورًا له ومنها ايضاً مجاورتها لمملكة دمشق فسيأتي ان ارامي هذه المدينة اتوا لنجدة هدد على داود . ومنها قوله ان هذا الملك كان ذاهباً ليسترد سلطته على نهر الفرات وجاء في سفر اخبار الايام الاول (فصل ١٨ عد ٣) « وضرب داود هدد عازر ملك صوبة في حماه (اي في جوار حماه) وقد كان ذاهباً

ليمد سلطته على نهر الفرات ، فسوآء ذهب ليمد او ليسترد سلطته على نهر الفرات فمجاورة مملكتــه لدمشق من جهة وحماه من اخرى وغزوته نواحي الفرات يدل صريح الدلالة ان مملكته كانت حيث ذكرنا

وجاء اراميو دمشق وهم من ذرية ارام بن سام لنجدة هدد عازر ملك صوبة وتسعرت نار الحرب بينهم وبين عسكر داود فاستظهر داود عليهم وشتت شملهم وقتل منهم اثنين وعشرين الف رجل واقام في ارام دمشق محافظين فكان الاراميون يؤدون الجزية ولم يذكر الكتاب اسم ملك دمشق يومئذٍ ولكن روى يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ٧ فصل ٦) انه كان يسمى هدد وهو اسم معبود السوريين وحقق مكروب ر ك ١ راس ٢٣) انه كان يراد به الشمس وان تأويل هدد الواحد اوالوحيد وعليه فاصله حد بالحآء او حد حد مكررة فان معه في السريانية الارامية معناها الواحد او الاحد . وروى يوسيفوس في المحل المذكور ان نقولا الدمشقي العالم الشهير (ولد في دمشق لسنة ٧٤ ق م) ذكر هذه الحرب في الكتاب الرابع من تاريخه فقال « وبعد سنين طوال كان مالكاً في دمشق وسورية كلها عدا فونيقي ملك اقوى امرآء هذه البلاد يسمى هدد وكانت له حروب مع دارد ملك اليهود فاستظهر داود عليه في موقعة هائلة في قرب الفرات بعد ان ابدى هدد من البسالة والاعمال الخطيرة آيات تشهد له بانه كان قائداً كبيراً وملكاً عظيماً » الى ان يقول العالم المذكور « ومن بعد وفاة هذا الملك خلفه ملوك من نسله سمي جميعهم هدد باسمه كما سمي بتولمايس كل من خلف بتولمايس في مصر وكان عددهم من ذريته اثنى عشر ملكاً وقد عقبوه لا بالملك وحده بل بالمجد والفخار ايضاً وثالثهم الذي فاق شرفاً على جميعهم احب ان يأخذ بثار جده عما انزله بهم اليهود (في ايام داود) من الخسران فضربهم في زمان احاب الملك ودمَّر كل البلاد

المجاورة السامرة »

وسمع توعي ملـك حماه ان داود بدد جيوش هدد عازر وارامي دمشق فارسل ابنه يورام الى داود ليحييه ويهنئه بانتصاره على هدد الذي كان عدوًا لتوعي وكانت بينهما حروب وارسل الى داود مع ابنه آنية من فضة وذهب ونحاس . قال يوسيفوس (في المحل المذكور) ان توعي لم يوفد ابنه على داود تحببًا اليه فقط بل ليعقد معه عهدة خشية ان يصيبه ما اصاب هدد خصمه فاكرم داود مثوى ابن توعي وتقبل هداياه ووقع على عهدة بينهما فاصبح داود يلي سورية كلها من الفرات الى حدود مصر وجمع داود كل ما غنمه من اعدائه وما اهداه اليه توعي من فضة وذهب ونحاس واتى به الى اورشليم وازدخره الى ابنه لينفقه في بناء الهيكل

ان ما اكتُشِف من الآثار الاشورية والمصرية لم يأتنا ببينات قاطعة على ملك داود واستفحال امره في سورية كلها لكنه لا يخلو من ادلة على ذلك لأنه يتبين من آثار الاشوريين ان دولتهم القديرة الزاهرة اعتراها وقتئذ كسوف او انحطاط بعد وفاة سمسي بين الذي كان يلي امرها سنة ١٠٨٠ ق م فأمست واهنة خاملة الذكر حتى لا تعرف اسماء ملوكها مدة مئة وخمسين سنة ولا تجد في خطوطهم القديمة اثرًا الا لانتصار ملك ارام او سورية على جنود اشور في عهد ملكهم اشور بامار حتى اخذ منه ناحية الفرات نسبها واليك ما خط على الصفيحة المعروفة بصفيحة سلمناصر « عبرت انا سلمناصر) نهر ساغورا , الساجور) عند مصبه في الفرات وكانت مدينة مولكينا الواقعة على عدوة الفرات ضمها الى بلادي تجلت فلاصر الاب القدير الذي ملك هذه البلاد قبلي لكن اشور بامار ملك اشور تخلى عنها الى ملك ارام (كذا يعبر سلمناصر عن انخذال سالفه بخروج هذه المدينة من ملكه) فاستمدت انا هذه

المدينة وارجعتها الى حالها القديمة واسكنت فيها ابناء اشور . فانحطاط دولة اشور يسّر امتداد دولة داود الى شاطئ الفرات دون معارض وانبأتنا الآثار المصرية ان قد توفرت في تلك الحقبة التقسمات والحروب الاهلية في مصر فجعلت داود في مأمن من سطو المصريين على جنوبي مملكته وتقسم سورية وما جاورها من بلاد العرب الى ممالك عديدة ضعيفة يسّر له الانتصار على جميعها فدانت لسلطته وكانت تؤدي الجزية صاغرة ومحافظو داود في كل منها فعظمت مملكة داود وضاهت مملكتي مصر واشور في ايام مجدهما لكنها كانت قصيرة العمر لم تحي كذلك الا في ايامه وايام سليمان ابنه ولم تخلف في سورية الى اليوم وكان رجال دولة داود يواب بن صورية اخت داود رئيساً على جيشه ويوشافاط بن احيلود مسجلاً وهو حافظ مهر الملك او مسجل الوقائع وصادوق بن احيطوب واحيملك بن ابياثار كاهنين وسرايا كاتباً وبنايا بن يوياداع رئيساً على الجلادين والسعاة وعن كامت ان هولاء كانوا فرقاً من الجنود اتخذهم الملك من غير بني اسرائيل قال الكتاب «وبنو داود كانوا كهنة» على انهم لم يكونوا كهنة حقيقة لان الكهنوت خص بسبط لاوي بل المراد انهم كانوا كهنة مجازاً اي اشبه بالكهنة سيرة ونزاهة وكرامة لدى الشعب وجاء في سفر اخبار الايام الاول (فصل ١٨ عد ١٧) « وبنو داود كانوا الاولين تحت يد الملك » وكان داود حكيماً عادلاً دأبه النزاهة والاستقامة لا يجور بحكمه على احد ولا يحابي ذكوراً للاحسان والوداد استدعى مفيبوشت بن يوناثان بن شاول الذي كان زمن الرجلين واقامه لديه وكان ياكل على مائدته كاحد ابنائه ورد عليه جميع مزارع ابيه وجعل صيبا خادمه قيماً على املاك مفيبوشت ليحرثها ويستغلها له (ملوك ٢ فصل ٨ و ٩)

﴿ عد ٢٦٥ ﴾

حرب داود مع العمونيين والاراميين

وكان ان توفي ملك بني عمون فملك حنون ابنه مكانه فارسل داود وفدًا يعزيه عن ابيه متذكرًا انه احسن اليه عند فراره من وجه شاول فاوهم روساء بني عمون ملكهم ان وفد داود جواسيس ارسلهم ليجسوا ارضه رغبة ان يلحقها بملكه فقبض حنون على رجال داود وحلق نصف لحاهم وقطع نصف ثيابهم حتى استاههم ثم اطلقهم وخُبر داود فارسل رجالاً للقائهم وكانوا خجلين جدًا فقال امكثوا في اريحا حتى تنبت لحاكم ويظهر منه ان بني اسرائيل كانوا حينئذٍ يطلقون لحاهم واستفاق بنو عمون الى سوء فعلتهم وخافوا بطش داود وتنكيله بهم فاستأجروا اراميّ بيت رحوب واراميّ صوبا عشرين الف راجل ومن مالك معكة الف رجل ومن رجال طوب اثني عشر الف رجل اما بيت رحوب وتسمى رحوب فقط ومعناها الرحب والواسع فالاظهر ان موقعها كان بين بانياس جنوباً الى مملكة حماه شمالاً فتشمل سهول بقاع العزيز وبعلبك وعن بعضهم ان بيت رحوب هي المسماة الان هونين في الشمال الغربي من بحيرة الحولة وان المملكة المنسوبة اليها كانت في جهة بانياس وسهول الحولة. واما صوبا او صوبة فقد مرَّ ذكرها انفاً عد ٢٦٤ ومعكة معناها الضيقة والحرجة وفي كتاب اعلام الاماكن ان موقعها كان في جنوبي صوبة وغربي رحوب وفي غيره انها كانت في شرقي رحوب تمتد قليلاً في سهل الحولة وتتصل بالجبل المسمى اليوم جبل حيش في جنوبي جبل الشيخ ويظهر ان هذه المملكة كانت صغيرة اذ لم يستأجر العمونيون منها الا الف رجل. وطوب ومعناها الصالح يظن ان موقعها كان في منحدر جبل الشيخ من ناحية الشرق في الجهة المعروفة اليوم بالبلاس. وجاء في سفر اخبار الايام الاول (فصل ١٩ عد ٦ و ٧) ان

بني عمون ارسلوا ٫ الف قنطار من الفضة ليستأجروا لهم مراكب وفرساناً من اراميّ النهرين واراميّ معكة ومن صوبا فاستأجروا لهم اثنين وثلاثين الف مركبة ٠ قال كلمت في تاريخ العهد القديم يحتمل ان يكون عدد المركبات هذا قد ادخل النساخ عليه زيادة سهواً

فلما أخبر داود بما يعده بنو عمون ارسل يواب قائد جيشه وجميع الابطال فخرج بنو عمون واصطفوا للقتال عند مدخل المدينة ويظهر من سفر اخبار الايام (في المحل السالف ذكره) انها ميدبا المعروفة الى اليوم بهذا الاسم ولكن روى يوسيفوس انها ربة اي ربة عمون التي سميت في ايام اليونان فيلدلفية وهي عمان الان وانفرد اراميو صوبا ورحوب ورجال طوب ومعكة واقاموا في الصحراء فرأى يواب ان القتال مصوب اليه من الامام والخلف فقسم عسكره الى شطرين رأس احدهما وانطلق به للقاء الاراميين ورأس على باقي الجنود اخاه ابيشاي لقتال بني عمون وقال لاخيه ان قوي عليّ الاراميون اتيت لنجدتي وان قوي عليك بنو عمون اذهب لنجدتك وازدلف يواب ورجاله لقتال الاراميين فانهزموا من وجهه . ورأى بنو عمون ان قد انهزم الاراميون فانهزموا هم ايضاً من وجه ابيشاي ودخلوا المدينة فكف يواب عن قتالهم وعاد الى اورشليم

على ان هذه الموقعة لم تكن الفاصلة وحرّش هددعازر بين القوم ليستأنفوا الحرب واستدعى رجالاً من الاراميين في عبر الفرات وانضم اليهم غيرهم من الاراميين وقلد هدد شوباك رئيس جنده قيادة الجيش وأخبر داود بتألبهم عليه فرأى الامر جللاً يقضي عليه ان يشهد الحرب بنفسه فعبر الاردن وزحف الى الاراميين فانهزموا من وجهه واهلك منهم سبع مئة مركبة واربعين الف فارس وروت بعض النسخ ويوسيفوس اربعين الف رجل وضرب شوباك قائدهم

فمات هناك ولما رأى سائر الملوك ان جيش هددعازر قد انكسر ذُعروا وهربوا ومعهم ثمانية وخمسون الفًا وصالحوا داود ودانوا له وخاف الاراميون ان يعودوا لنجدة بني عمون (ملوك ٢ فصل ١٠) وفي السنة التاليــة ارسل داود يواب ورجال اسرائيــل فدمروا مدن بني عمون وحاصروا ربة عمون عاصمتهم المار تعريفها ولما تيقن يواب فتحها ارسل الى داود ان يأتي فيأخذها كيلا يكون الفتح باسم يواب بل باسم الملك فسـار داود بعسكر من الشعب فافتتح ربة . واخذ تاج ملكام عن رأسه وكان وزنه قنطارًا من الذهب ومرصعًا بالحجارة الكريمة فكان فوق راس داود وأخرج من المدينة غنيمة وفرة جدًّا . وامات من كان فيها شرّ الميتات معذبًا اياهم بالمناشير وبالطرح في اتون الاجرّ وكذلك صنع في سائر مدن بني عمون وكانت سنّة تلك الايام تبيح مثل التعاذيب التي انزلها داود بالعمونيين ولعل ذلك كان بامر الله الذي كان امر شاول ان يبيدهم دون شفقة فلم يفعل فاعلمه صموئيل سخط الله عليه لذلك

قال فولتر في تاج ملكام الذي وضعه داود على راسه . زعموا ان وزنة الذهب (او القنطار كما روينا عن ترجمة الاباء اليسوعيين) تساوي تسعين ليبرا والليبرا ست عشرة انشيا (اوقية في اصطلاح الاطباء) فلا يستطيع انسان ان يحمل على راسه مثل هذا التاج . قال دوكلو (في تفسير سفر الملوك الثاني في طبعة الاب مين) ان الاية معضلة اذا اقتصرنا على الترجمة اللاتينية العامية ولكن قال كثير من العلماء انه اذا روعي النص العبراني في سفر الملوك وفي سفر اخبار الايام الاول (فصل ٢٠ عد ٣) كان المفهوم قيمة التاج او ثمنه لا وزنه لانه كان مرصعًا بجواهر كريمة فيساوي الذهب وهذه الجواهر قيمة وزنة من الذهب فضلاً عن ان الككر العبرانية التي عبرت عنها الترجمات بوزنة لا يعلم قدر وزنها العلم الاكيد انتهى كلام دوكلو ولا يخفى على ذي المام بالتاريخ ان

القدماء كانوا يتعاملون بالمعادن وغيرها موزونة واستمر المتاخرون يعبرون عن القيم والاثمان باسماء الاوزان من ذلك المثقال والدرهم وغيرها فانها وضعت في الاصل للوزن ثم استعملت للتعبير عن قيمة او ثمن بحسب اصطلاحهم هذا والقنطار في العربية اربعون اوقية من ذهب على احد الاقوال فلا يستحيل وضعه على الراس

﴿ عد ٢٦٦ ﴾

في اثمي داود وتوبته

بينما كان داود في اورشليم وعسكر بني اسرائيل يحارب العمونيين اقترف داود ذينك الاثمين الفاضحين مفاجرته بتشابع امرأة اوريا الحثي وتسببه بقتل زوجها فقد رآها عن سطحه تستحم فهام بها وعلقت منه واراد ان يسترحلها فاستدعى اوريا من المعسكر فاستخبره ثم امره ان يذهب فينام في بيته فقال ان تابوت الرب وبني اسرائيل في الخيام على وجه الصحراء وانا ادخل بيتي واكل واشرب وادخل على اهلي لا وحياتك لا افعل هذا وبقي في اورشليم يوماً اخر وحده فدعاه داود واكل بين يديه وشرب واسكره ولم ينزل الى بيته فصرفه الى المعسكر وكتب الى يواب كتاباً ارسله بيده قال فيه وجهوا اوريا الى حيث يكون القتال شديداً وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت . فجعله يواب عند محاصرة ربة عمون في الموضع الذي علم ان فيه رجال البأس وخرج رجال المدينة وضربوا بني اسرائيل فسقط بعضهم وقتل اوريا الحثي ايضاً وارسل يواب فاخبر داود بما كان وبقتل اوريا وبعد ان اتمت امرأته مناحة بعلها ضمها داود الى بيته فكانت زوجة له فهذان الاثمان سودا صفحات تاريخ دارد الى اليوم وقد صرف ما بقي من حياته آسفاً باكياً مستغفراً الله مكفراً عن اقترافه لهما ويشهد لذلك اكثر زبوره ولا سيما مزموره الخمسين المفتتح ، ارحمني يا الله

كعظيم رحمتك » الى باقي تضرعاته الخاشعة ويظن انه الّف هذا المزمور على اثر ما انذره ناثان من قبل الرب بفظاعة اثمه وسوء عاقبته (ملوك ٢ ف ١١)

قد ارسل الرب ناثان الى داود وقال له كان رجلان في مدينة احدهما غني والاخر فقير وكان للغني غنم وبقر كثيرة جدًّا ولم يكن للفقير غير رخلة واحدة صغيرة قد اشتراها ورباها وكانت تاكل من لقمته وتشرب من كأسه وترقد في حضنه فنزل بالغني ضيف فشح ان يأخذ من غنمه وبقره ليقتري ضيفه فاخذ رخلة الفقير وهيأها للوافد عليه فغضب داود وقال حيٌّ الرب ان الرجل الذي صنع هذا يستوجب الموت ويرد عوض الرخلة اربعًا فقال له ناثان انت هو الرجل وذكَّره بما صنع الرب اليه وما اقدم هو عليه من قتل اوريا واخذه زوجته ونبأه ما سيحل به من المصائب جزآء لما جنى اي ان الرب يثير عليه الشر من بيته كما فعل ابشالوم ابنه ويأخذ ازواجه ويدفعهنَّ الى غيره فيفجر بهنّ جهرةً لا كما فعل هو سرًّا مع زوجة اوريا فخشع داود وقال قد خطئت الى الرب فقال له ناثان قد نقل الرب خطيئتك عنك فلا تموت قتيلاً كما قتلت اوريا بل يموت الابن الذي يولد لك من بتشابع وكانت تلك المصائب تباعًا على داود واولها ان الرب ضرب الابن الذي ولدته له بتشابع فاكثر داود من التضرع لله والصوم والاضجاع على الارض في حين مرضه علَّ الرب يعفو عن الصبي فلم يستجب واذعن داود بعد موته لقضآء الله وطابت نفسه واكل وشرب . وولدت له بتشابع بعد ذلك ابناً سماه سليمان وارسل الرب على لسان ناثان النبي وسماه يديديه اي محبوب الرب (ملوك ٢ فصل ١٢)

عد ٢٦٧

خروج ابشالوم على داود ابيه

انبأنا سفر الملوك الثاني في الفصلين الثالث عشر والرابع عشر منه بمصيبة

اخرى حلت بداود لاثمه وهي ان ابنه امنون اوقع العار بتامار اختــه لابيه وشقيقة ابشالوم الذي احتدم صدره غيظاً على اخيه امنون لاذلاله اخته واضمر له السوء ثم دعاه لوليمة حين جزاز غنمه وامر غلمانه ان يقتلوا امنون فقتلوه . وهرب ابشالوم من وجه ابيه والتجأ الى تلماي بن عميهود ملك جشور الواقعة في جنوبي جبل الشيخ في جهة الجولان والجيدور الان واقام ابشالوم ثمة ثلاث سنين عند جده تلماي لانه ابن معكة بنت تلماي (طالع عد ٢٦١) الى ان رضي داود عنه وعاد الى اورشليم ولكن امسك ابوه عنه ان يراه سنتين الى ان صالحه وسمح ان يدخل عليه وسجد بوجهه الى الارض فقبله ابوه

فما عتّم ابشالوم بعد نيل رضى ابيه ان أنزل به مصيبة اخرى فانه اتخذ له مركبة وخيلاً وخمسين خادماً يجرون بين يديه وكان يبكر ويجلس بجانب طريق باب الملك فينم لاصحاب الدعاوي بسياسة ابيه ورجاله ويلاطفهم ويقبلهم ويسترق قلوبهم قال الكتاب (ملوك ٢ فصل ٥ عد ٧) . وكان بعد اربعــين سنة ان ابشالوم قال للملــك دعني انطلق فاقضي نذري الذي نذرته للرب في حبرون . فقد عنّى العلماء والمفسرين ذكر الاربعين سنة وذهبوا في تفسير الاية مذهبين فقال بعضهم منهم كلمت انه وقع تحريف سهواً في النص العبراني فكتب الناسخ اربعين سنة مكان اربع سنين وقد جاء في نسختنا السريانيــة ܘܡܢ ܒܬܪ ܐܪܒܥ ܫܢܝܢ ومن بعد اربع سنين ومثله ورد في كتب كثيرة قديمة مخطوطة في اللاتينية وكذلك في الترجمة العربية وهكذا ترى يوسيفوس وتاوادوريطوس وغيرهما من الاباء والمفسرين رووا اربع سنين لا اربعين سنة وصحح بعضهم النص العبراني واكثروا البحث في بدء هذه الاربعين سنة فقال بعضهم ان بدءها سنة مسح صموئيل داود ملكاً في ايام شاول ورجح هذا فيكورو في معجم الكتاب وقال اخرون ان بدئها سنة فرض شاول سنّة الملــك في

اسرائيل مضافاً اليها عمر ابشالوم الذي كان حينئذٍ ينيف على ثلاثين سنة وللمذهبين محامون ومدافعون ويظهر لنا ان المذهب الاول هو الاوجه والامثل وعليه فبعد ان استمال ابشالوم قلوب كثيرين اليه في مدة اربع سنين مضى الى حبرون وسار معه متا رجل من اورشليم على سلامة نية وارسل جواسيس الى جميع اسرائيل واستدعى احيتوفل الجيلوني مشير داود ليأتي اليه من مدينته جيلو وهي على الراجح بيت جالا الان (كاران مجلد ١ في اليهودية صفحة ١١٨) فتزايد الشعب عند ابشالوم واشتدت المحالفة حتى اضطر داود ان يلجأ الى الفرار فخرج وجميع آل بيته مشاة وترك عشرًا من السراري لحفظ البيت وكان الجميع يبكون فعبروا وادي قدرون المعروف في جانب اورشليم واتى صادوق الكاهن واللاويون بتابوت عهد الرب فارجعهم داود به الى المدينة وانتهى الى جبل الزيتون فصلى لله هناك وارجع حوشاي الاركي صديقه الى اورشليم ليستقصي مقاصد ابشالوم ويخبره فبلغ المدينة وابشالوم داخل فيها وسار داود حتى بلغ بحوريم التي كانت في محل قرية ابي ديس الان الواقعة في جنوبي الطريق المؤدي من اورشليم الى اريحا على خمسة كيلومترات في الشرق الجنوبي من جبل الزيتون (كاران مجلد ١ في السامرة صفحة ١٦١) وخرج من بحوريم رجل من عشيرة شاول اسمه شمعي بن جيرا يلعن داود ويشتمه ويعيره ويرجمه بالحجارة فهمّ ابيشاي بن صروية ان يقطع راسه فنهاه داود صابرًا متجلدًا عالمًا ان الله شاء ذلك تأديبًا له

اما ابشالوم فدخل اورشليم برجاله واحيتوفل معهم ودخل عليه حوشاي الاركي مبديًا له الصداقة واشار احيتوفل على ابشالوم ان يدخل على سراري ابيه اللاتي تركهنّ لحفظ بيته ليعلم بنو اسرائيل انه صار مكروهاً من ابيه فتشتد ايدي محازبيه فعمل بهذه المشورة السيئة على مشهد رجاله اذ نصب

لهنَّ خيمة على السطح ولعله السطح نفسه الذي من فوقه ابتدأ اثم داود بنظره الى بتشباع فتم ما انذر به ناثان النبي داود لدخوله على امرأة اوريا • وقال احيتوفل لابشالوم ان ينتخب اثني عشر الف رجل ويسعى في طلب داود تلك الليلة وخالفه حوشاي واشار ان ينتظر ابشالوم اجتماع جميع بني اسرائيل اليه فآثر ابشالوم مشورته على مشورة احيتوفل وقام داود بعسكره ليلاً وعبر الاردن ووافى الى محنائيم المسماة اليوم محنة في جبل عجلون وقد اقام فيها اشبوشت بن شاول بعد مقتل ابيه (طالع عد ٢٦٠) ولما رأى احيتوفل اعراض ابشالوم عن العمل برأيه ركب حماره وانصرف الى بيته فخنق نفسه واقام ابشالوم عماسا بدل يواب قائدًا لجيشه وزحف بعسكره الى ارض جلعاد (السلط) واحصى داود الشعب الذين معه واقام عليهم روساء الوف ومئين وامرَّ يواب على ثلث جيشه واخاه ابيشاي على ثلثه واتاي الحتي على ثلثه ولم ينبئنا الكتاب كم كانت جنوده ويظهر انهم كانوا كثيرين لقسمتهم الى ثلثة اقسام ولكن روى يوسيفوس انهم لم يكونوا الا اربعة الاف واحب داود ان يخرج للقتال فمانعه الشعب تعزيزًا لشانه ولكي ينجدهم اذا انكسروا في القتال وقال على مسمع الشعب ترفقوا لي بالفتى ابشالوم واصطف الجيشان للقتال في غابة افرائيم التي لم يتعين محلها الى اليوم ولكنها لا بد انها كانت في شرقي الاردن على مقربة من محنائيم (محنة كتاب الاعلام الكتابية) ولم يلبث عسكر ابشالوم ان انكسر من وجه رجال داود وقتل منهم عشرون الفًا وافترست الغابة من الشعب اكثر مما افترس السيف • وهرب ابشالوم مسرعاً وكان راكباً بغلاً فدخل تحت اغصان بلوطة ملتفة فتعلق شعره الطويل بها ومرَّ البغل من تحته فرفع بين السماء والارض ورآه رجل واخبر يواب فلامه لانه لم يقتله واغراه بقتله فلم يشأ ان يفعل حرمة لتوصاة الملك بالترفق به وسعى يواب فانشب ثلث حراب في قلبه واذ كان لم

يزل حياً احاط به عشرة من غلمان يواب فقتلوه ونفخ يواب في البوق فكف الشعب عن القتال واخذوا جثة ابشالوم وطرحوها في جب في الغـابة وجمعوا فوقه جثوة عظيمة من الحجارة وهرب كل امرء من رجاله الى بيته . ولما بلغ داود خبر وفاته ارتعش وكان يبكي ويقول وهو يمشي يا بنيّ ابشـالوم يا بنيّ يا بنيّ ابشالوم ياليتني مت عوضاً منك يا ابشالوم (ملوك ٢ فصل ١٥ الى ١٩)

عد ٢٦٨

مدفن ابشالوم

جاء في سفر الملوك الثاني (فصل ١٨ عد ١٨) « وكان ابشالوم في حياته قد اخذ واقام لنفسه النصب الذي في وادي الملك لانه قال ليس لي ابن يذكر به اسمي ودعا النصب باسمه » فوادي الملك لا ريب انه وادي يوشافاط في شرقي اورشليم حيث مدفن كبير تسميه العامة قبر ابشالوم ولكن في الاية السابقة انهم اخذوا جثة ابشالوم وطرحوها في جب في الغابة وجمعوا فوقه جثوة عظيمة جدًّا من الحجارة فقال بعضهم ان جثة ابشالوم استمرت في جبهـا وليس في وادي يوشافاط الا اثر النصب الذي اقامه ابشالوم وقال غيرهم ان داود نقل جثة ابنه الى النصب الذي كان اقامه لنفسه محتجين لذلك بشدة اسف داود على ابنه فلا يظن انه ترك جثته في غابة وكذلك اختلافهم في الاثر القائم الان من قبل هيئة بنائه فقال بعضهم انه مشبه هيئة ابنية اليونان فلا يمكن ان يكون من عهد داود وقال غيرهم انه مشبه هيئـة ابنية المصريين فيمكن ان يكون من عهد داود وسليمان وقال الاب فيكورو في معجم الكتاب « ان التقليـد الان يحسب قبر ابشالوم والنصب الذي اقامه هو واحدًا ولكن ليس لهذا التقليد بينة راهنة واذا نظرنا الى التقليد في صدر النصرانية وجدنا ما يخـالف تقليد هذه الايام فقد شهد يوسيفوس (ك ٧ في تاريخ اليهود فصـل ٩) ان

النصب الذي اقامه ابشالوم احياء لذكره لم يكن الا عمودًا من رخام ابيض ثم ان النقوش اليونانية والمصرية التي في اسفل ذلك الاثر لا تؤذن بان بناءه كان في عصر ملوك اسرائيل . هذا وقد جاء في سفر الملوك الثاني (فصل ١٤ عد ٢٧) « وولد لابشالوم ثلثة بنين وابنة واحدة سماها تامار » فكيف يوفق هذا مع قوله « ان ليس له ابن يذكر به اسمه » فقال بعضهم انه اقام النصب قبل ان يلد بنين وقال غيرهم انه اقامه بعد موتهم اذ لم يرد ذكر لابن له فيما بعد

﴿ عد ٢٦٩ ﴾

عود داود الى اورشليم وما كان حينئذٍ

اقام داود بعد مقتل ابشالوم في بيته يبكي وينتحب عليه حتى صارت النصرة مناحة فدخل يواب على الملك وقال اخزيت وجوه جميع عبيدك الذين نجوا نفسك وانفس بنيك وبناتك وازواجك وسراريك بحبك لمبغضيك وابغاضك لمحبيك فقم الان وطيب قلوب عبيدك وان لم تخرج فلا يبيت الليلة عندك احد فقام الملك وجلس بالباب فاقبل الشعب كلهم بين يديه وكان في جميع اسباط اسرائيل خصام واسفٌ لثورتهم على الملك الذي خلصهم من اعدائهم واعلى شأنهم وبعث الملك الى صادوق وابياثار الكاهنين ليذكّروا جميع شيوخ اسرائيل انهم من عظمه ولحمه وليقولوا لعماسا قائد جيش ابشالوم انه من ذوي قربى الملك ايضًا وانه سيكون رئيس الجيش امامه بدل يواب لانه قتل ابشالوم خلافًا لنهيه فانضم رجال سبط يهوذا كأنهم رجل واحد والتقوا الملك الى الاردن عند الجلجال (جلجول) وبادر شمعي البنياميني الذي كان قد اهان داود الى لقياه ومعه الف رجل من سبطه وخر ساجدًا للملك مستغفرًا عما اساء به اليه فاراد ابيشاي قتله لانه لعن مسيح الرب فازدجره داود وامّن شمعي واتى صيبا قيم بيت شاول وبنوه الخمسة عشر وعبيده العشرون لملاقاة الملك ونزل مفيبوشت بن شاول

لتمائه وانبأنا الكتاب في هذا السبيل بما كان الحداد في تلك الايام فقال • وكان لم يغسل رجليه ولم يُحفِ شواربه (اي تركت ولم تؤخذ منها) ولم يرحض ثيابه مذ يوم خرج الملك الى اليوم الذي عاد فيه سالمًا • وعتبه الملك لانه لم يمض معه فاعتذر بعرجه وبمكر خادمه به وقد كان صيبا سعى بمولاه عند الملك وقال لداود لدى سؤاله عنه انه مقيم باورشليم لانه قال اليوم يردُّ عليَّ آل اسرائيل ملك ابي فقال الملك لصيبا كل ما هو لمفيبوشت فهو لك (ملوك ٢ فصل ١٦ عد ٣ و ٤)

ولذا رأينا داود يقول لمفيبوشت عند لقياه على تذلله له • حسبك ان تتكلم في امورك فقد قلت ان الحقول تقسم بينك وبين صيبا • بعد ان كان اعطاه كلها وقد حملت هذه الاية كثيرًا من الاباء والمفسرين على العجب كيف عامل داود ابن يوناثان صديقه بهذه القسوة وقضى عليه هذا القضاء الجائر بان يعطي ولو نصف حقوله لقيم بيته والتمس بعضهم معذرة لداود بتيقنه كلام صيبا المار ذكره فعاقبه هذا العقاب وبرأ بعضهم ساحته من الاثم ومن حججهم ان حقول شاول كانت تحق لداود فوهبها لمفيبوشت ثم استرد هبته لما رآه ناكرًا احسانه واوجب بعضهم الاثم عليه حتى قال بعض العلماء اليهود ان هذا القضاء الجائر كان من اسباب شق مملكة اسرائيل بعد سليمان من قبل الله ولكن اجمع الجمهور على انه اذا ثبت اثم داود هذا فيكون قد تاب عنه ورد على مفيبوشت نصف حقوله او عاضه منه بغيره لا سيما لتلطف مفيبوشت لقوله للملك • ليأخذ (صيبا) الجميع ايضًا بعد ما عاد سيدي الملك الى بيته بسلام • وقد خطىء داود في كل حال بشرط تصديقه كلام صيبا قبل ان يسمع حجة مفيبوشت وقد انتبه الى خطئه وعدل عن حكمه الاول بان يعطي مفيبوشت نصف حقوله لكنه رآه لم يزل جائرًا فعاضه على الراجح من حقوله بغيرها والحدث مثال لذوي

المناصب كيلا يفرطوا في التصديق لسعاية من يزدلفون اليهم بغيرهم بل يتلوموا في حكمهم ويترووا . واجتمع جميع رجال اسرائيل عند الملك بعد عبوره الاردن ولاموا رجال يهوذا لانهم ذهبوا خفية الى الملك قبلهم فاجابهم رجال يهوذا لان الملك ذو قرابة لنا ولِمَ غيظكم انتم لعلنا اكلنا من عند الملك او اجازنا بجائزة فقال رجال اسرائيل ان لنا عشرة سهام في الملك ونحن اولى منكم بداود وكان كلام رجال يهوذا اقسى من كلام رجال اسرائيل فقام رجل عاثٍ اسمه شابع بن بكري من سبط بنيامين ونفخ في البوق وقال ليس لنا نصيب مع داود ولا ميراث مع ابن يسى فارجعوا يا بني اسرائيل كل الى محطه فانفضوا متبعين شابع ولازم بني يهوذا ملكهم الى اورشليم فما اخبث هذه العادة التي ما برحت مستطرقة عند سفلة قومنا ان يُعدل عن المصلحة العامة او تُشوش الراحة للتقصير عن شيء من المداراة والمجاملة اوان ينقاد الجمهور لكلام مفسد ذي ارب فاسد فيضحي بشأنه ونفعه من غير روية ولا تبصر بسوء العاقبة

قد اقام داود السراري العشر اللاءي دخل عليهنَّ ابشالوم في بيت حجز ولم يدخل عليهنَّ بل اجرى لهنَّ النفقة الى يوم وفاتهنَّ . واراد ان يتدارك ثورة شابع فقال لعماسا اجمع اليَّ رجال يهوذا في ثلاثة ايام وابطأ عماسا عن الميعاد الذي ضربه له فقال لابيشاي اخي يواب ان شابع يصنع بنا شرًّا مما صنع ابشالوم فخذ جنودي وانطلق في اثره فخرج جميع رجال يواب في طلب شابع فالتقوا بعماسا عند صخرة جبعون (الجب) وكان يواب محتزمًا بثوبه وفوقه منطقة سيفٍ مشدود على حقويه ولما تقدم ليحيي عماسا اندلق السيف او دلقه واخذ بيده اليمنى لحية عماسا ليقبله وضربه بيسراه بالسيف في بطنه فدلق امعاءه الى الارض ومات وسار يواب ورجاله في طلب شابع الذي كان جاوز جميع اسباط اسرائيل وانتهى الى ابل بيت معكة وهي ابل الآن على ستة اميال

ونصف من بانياس غربًا على ما في كتاب اعلام الاماكن وهي في فضآء مرجعيون في جنوبي الخيم والقليعة وتسمى ابل الهوآء وابل القمح وقد ورد اسمها تارة مع العاطف ابل وبيت معكة وطورًا دونه ابل بيت معكة فقال كاران (مجلد ٢ في الجليل صفحة ٣٤٨) انه يظهر ان ابل وبيت معكة محلتان او حيان في مدينة واحدة وهذه غير ابل الواقعة في الجنوب الشرقي من الجديدة فتتبع يواب شابع الى هناك وحاصر المدينة وجد رجاله في هدم سورها فنادت امرأة حكيمة يواب مونبة له على طلبه ان يهلك مدينة بل امًا في اسرائيل فاجابها حاشَ لي ان اتلف واهلك لكنني اطلب شابع الذي عصى داود فسلموه اليَّ وحده وانا انصرف عن مدينتكم واقنعت المرأة بحكمتها شعب المدينة فقطعوا رأس شابع والقوه الى يواب فنفخ في البوق ورجع كل الى محله وعاد يواب الى اورشليم (ملوك ٢٠ فصل ٢٠) وروى يوسيفوس انه اخذ راس شابع فقدمه الى داود

عد ٢٧٠

في المجاعة في ايام داود وقتل ابنآء شاول

كان جوع في ايام داود ثلث سنين سنة بعد سنة فسأل داود الرب فأُوحي اليه ان ذلك لان شاول قتل الجبعونيين سكان جبعون (الجب الان) وقد مر ان قدمآءهم احتالوا على يشوع بن نون بانهم قادمون من محل بعيد يتطلبون الخضوع له ليستأمنوه فأمنهم وحلف لهم وانكشف مكرهم فلم يخلف يمينه بل امر بني اسرائيل ان يبقوا عليهم وان يكونوا محتطبي حطب وستقيّ مآء لكل الجماعة فسطا عليهم شاول مخلفًا عهد الرب وقتل كثيرين منهم لا يعلم لاي الاسباب ولا في اي الاوقات . ويرجح انه اقدم على ذلك في اخر مدة ملكه حين قتل كهنة نوب (بيت نوبا) واهلها كما مر ويتبين من هذا وغيره

ان هذا الجوع كان في بدء ملك داود وقبل حروبه المار ذكرها فهو مقدم عليها زماناً وان اخّر الكتاب ذكره وضعاً لاهمية الحروب ومنه يظهر ايضاً ان العقاب من اجل اثم شاول لم يتأخر كثيرًا عن اقترافه كما هو ظاهر الكتاب . ولما علم داود علة النازلة استدعى من بقي من الجبعونيين وسألهم ما يبغون ترضية لهم فرغبوا في ان يسلم اليهم سبعة من بني شاول فيصلبوهم في جبع شاول (خربة تل الفول) مدينته فامر ان يعطوا ابنين كانت قد ولدتهما رصفه لشاول وخمسة من بني ميراب بنت شاول واشفق على مفيبوشت بن يوناثان ابن شاول من اجل عهد المودة الذي كان بينه وبين يوناثان فصلب الجبعونيون السبعة في الجبل واخذت رصفه ام الاولين مسحاً وفرشته لنفسها على الصخر واقامت اشهرًا لا تدع طير السماء تمر عليهم نهارًا ولا وحش الصحراء ليلاً وأُخبر داود بما صنعت فمدحها وانطلق فاخذ عظام شاول ويوناثان من يابيش جلعاد (السلط) التي كان اهل هذه المدينة سرقوها من ساحة بيت شان (باسان) حيث علقهما الفلسطينيون يوم انكسارهما في جلبوع وضمها الى عظام المصلوبين ودفنها في مقبرة قيس في صيلع بارض بنيامين ولم يعين الى الان موقع صيلع هذه ويترجح انه كان على مقربة من جبعة شاول المسماة الان خربة تل الفول على مذهب كاران (ملوك ٢ فصل ٢١ الى عدد ١٥)

عد ٢٧١

وقائع اخرى لداود مع الفلسطينيين

كانت لبني اسرائيل وقائع اخرى مع الفلسطينيين اوجز الكتاب (ملوك ٢ فصل ٢١ عد ١٥ وما يليه) بذكرها وشهد داود اولاها وكلت يداه ودهمه بيشبنوب احد الجبابرة الذي كان وزن رمحه ثلاث مئة مثقال من نحاس وكاد يقتله فتداركه ابيشاي بن صروية فقتل الفلسطيني فاستحلف داود رجاله ان

لا يخرج معهم الى الحرب لئلا يطفئ سراج اسرائيل ولم يذكر الكتاب محل هذه الوقيعة لكنه ذكر وقعة اخرى في جوب ولا يعلم موقع هذه المدينة ولكن جاء في سفر اخبار الايام الاول (فصل ٢٠ عد ٤) ان هذه الحرب انتشبت في جازر وفي كتاب اعلام الاماكن ان جازر تسمى اليوم تل جازر على اربعة اميال غربًا من عمواص وقتل حينئذٍ سكي الحوشي سفاي من بني الجابرة فذل الفلسطينيون والوقعة الثالثة كانت في جوب ايضاً وقتل فيها الحانان بن ياعير احد قواد داود اخا جليات الجتي المسمى لحمي وكانت قناة رمحه كنول النساج وكانت وقيعة اخرى في جت مدينة الفلسطينيين (ذكرنا الآن او تل الصافي) وقتل فيها يوناثان بن شمعا اخي داود احد ابناء الجبابرة من الفلسطينيين وكان طويل القامة اغنش اليدين والرجلين اي له اربع وعشرون اصبعًا فهولاء الاربعة كانوا من بني الجبابرة في جت فسقطوا بيد داود وايدي رجاله وقتل غيرهم كثيرون ولكن اقتصر الكتاب على ذكر الجبابرة منهم لينبئنا باذلال داود لهم وانبساط ملكه وقد ذكر الكتاب في اثر هذه الوقائع نشيد داود الذي ترنم به شكرًا لله على نجاته من ايدي جميع اعدائه وفاتحته « الرب صخرتي وملجاي ومنقذي » وهو من جملة زبوره وقد اثبته سفر الملوك الثاني في الفصل الثاني والعشرين منه وعدد في الفصل الثالث والعشرين ابطال داود واعمالهم الخطيرة

عد ٢٧٢

احصاء داود بني اسرائيل وغضب الرب لذلك

قد شاء داود احصآء بني اسرائيل فامر يواب ان يطوف في جميع اسباط اسرائيل واحصوا الشعب ولم يكن يواب يصوّب هذا الاحصآء فغلب كلام الملك على رأيه ورأي روسآء الجيش وخرجوا فطافوا في ارض بني اسرائيل كلها

وعادوا الى اورشليم بعد تسعة اشهر وعشرين يوماً فرفع يواب جملة العدد الى الملك فكان عدد بني اسرائيل عدا يهوذا ثماني مئة الف رجل ذي بأس مخترط سيف ورجال يهوذا خمس مئة الف رجل هذا ما جاء في سفر الملوك الثاني (فصل ٢٤ عد ٩) ولكن جاء في سفر اخبار الايام الاول (فصل ٢١ عد ٥) « فكان اسرائيل كلهم الف الف ومئة الف رجل مخترط سيف ويهوذا اربع مئة الف وسبعين الف رجل مخترط سيف. فاما اللاويون والبنيامينيون فلم يحصهما بينهم لان كلام الملك كان مكروهاً لدى يواب » ولا نعلم اي العددين صحيح وايهما حرّفه النساخ على غير عمد وقال كلمت في تاريخ العهد القديم يظن ان التحريف وقع في رواية سفر اخبار الايام الاول فان المذكّرات التي أُخذ عنها هذا السفر استمرت مشتتة اياماً طوالاً ولم يدوّن هذا السفر مأخوذاً عنها الا بعد العود من الجلاء البابلي. ويظهر ان عدد بني اسرائيل كان يومئذٍ نحوًا من خمسة ملايين من النفوس

قد اغضب هذا الاحصاء الرب اما لان مصدره الخيلاء والتكبر واما لان غرض داود منه ان يحدث ضريبة على رأس كل رجل واورد يوسيفوس (ك ٧ في تاريخ اليهود فصل ١٠) وجهاً اخر وهو انه قد جاء في سفر الخروج (فصل ٣٠ عد ١٢) « اذا احصيت جملة بني اسرائيل ... فليعطِ كل رجل فدى نفسه للرب عندما تحصيهم لئلا تحل بهم ضربة بعد تعدادهم. هذا ما يعطيه كل من جاز عليه العدد نصف مثقال بمثقال القدس » وخالف داود هذه الفريضة. فامر الرب جاد النبي ان يمضي الى داود ويذكره بائمه وان يخيره ليختار احدى ثلاث ضربات اما الجوع مدة سبع سنين اما الحرب امام اعدائه ثلاثة اشهر واما الوبء ثلاثة ايام وفي الترجمتين السبعينية والعربية « ثلاث سنين مكان سبع » وفي سفر اخبار الايام الاول (فصل ٢١ عد ١٢ « اما ثلاث سنين جوعاً » في

النص العبراني والترجمات فيظهر ان الرواية الثانية اصح ويرجحها وجود العدد اللاثي في الضربات الثلاث فقال داود خطئت جدًا في ما صنعت ولنقع في يد الرب لان مراحمه كثيرة ولا اقع في يد الناس فارسل الرب وباء في اسرائيل فمات من الشعب سبعون الف رجل وصرخ داود الى الرب قائلاً انا الذي خطئت واما اولئك الخراف فماذا فعلوا فلتكن يدك عليَّ وعلى بيت ابي . ورأى داود ملاك الرب المهلك في الجو فوق بيدر ارونا او ارون اليبوسي مستلاً سيفه ليدمر اورشليم والرب يقول له كفى كف يدك الان . ووفد جاد على داود يقول له اصعد فاقم مذبحًا للرب في بيدر ارونا فصعد داود الى هنالك فخر له ارونا ساجدًا ولما اخبره الملك بما في نيته قال هوذا البقر لمحرقة والنوارج وادوات البقر تكون حطبًا فابى داود الا ان يشتري منه فاشترى البيدر والبقر بخمسين مثقالاً من الفضة وقال فيكورو (الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ٤٤٤) ان الخمسين مثقالاً من الفضة تساوي الان مئة وخمسين فرنكًا ولكن في سفر اخبار الايام الاول في المحل المذكور . وادّى داود الى ارنان عن المكان ست مئة مثقال من الذهب ، والتوفيق بانه شرى منه البيدر والبقر بخمسين مثقالاً من الفضة ثم شرى الارض كلها بست مئة مثقال من الذهب فاعد داود هنالك محل الهيكل الذي اقامه ابنه سليمان وابتنى ثمة مذبحًا واصعد محرقات وذبائح فتعطف الرب وكف الضربة عن اسرائيل (ملوك ٢ ف ٢٤)

﴿ عد٢٧٣ ﴾

شيخوخة داود وتمليكه سليمان قبل وفاته

ان مدار ما يأتي من كلامنا انما هو على ما تضمنه سفر الملوك الثالث فان سفر الملوك او سفر صموئيل الاول اشتمل على اخبار عالي وصموئيل وشاول والثاني تضمن اخبار داود في مدة ملكه واما سفر الملوك الثالث فانطوى على اخبار

ايام داود الاخيرة واخبار سليمان وملوك يهوذا واسرائيل حتى احاب والرابع على اخبار سائر ملوك يهوذا واسرائيل الى الجلاء البابلي وقد مر ان كاتب سفري الملوك الاول والثاني هو غير كاتب الثالث والرابع منها وللعلماء والمفسرين في كاتب السفرين الاخيرين اقوال اقربها الى الصدق واشبهها بالصحيح قول كثير من قدمائهم وحدثائهم ان ارميا النبي انما هو كاتب هذين السفرين واستدلوا على ذلك بالمشابهة التامة لغة وتصورًا بين هذين السفرين وما كتبه ارميا حتى ان خاتمة سفر الملوك الرابع وخاتمة سفر ارميا واحدة بالفاظهما وحروفهما في اربع ايات قد عزاها علماء التلمود الى ارميا (عد ٢٩) فالتقليد القديم ومشابهة اسلوب الكتابة في سفري الملوك الاخيرين وفي سفري نبوة ارميا ومراثيه بينتان وان غير قاطعتين على ان كاتب هذه الاسفار واحد (ملخص عن الموجز الكتابي لفيكورو عد ٤٧٣)

قد جاء في فاتحة سفر الملوك الثالث ان داود شاخ وطعن في السن وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ فالتمس له اعوانه فتاة عذراء تسمى ابيشاج الشونمية نسبة الى شونم وهي شولم الان في مرج ابن عامر تخدمه وتضجع معه فتدفئه ولم يعرفها الملك . وطمع ادونيا احد ابناء داود من امرأته حجيت ام ابشالوم ان يملك مكان ابيه لانه اكبر اخوته بعد ابشالوم فترفع وسلك مسلك اخيه بان اتخذ له مراكب وفرسانًا وخمسين رجلاً يجرون بين يديه وكان جميل الصورة كاخيه وكان يواب قائد الجيش واياتار الحبر يعاونانه ولكن كان صادوق الحبر ونبايا بن يوياداع وناثان النبي وغيرهم من ابطال داود يخالفونه فاولم ودعا الى وليمته جميع اخوته ابناء الملك (خلا سليمان) ومريديه وذبح غنماً وبقرًا ومسمنات وكان اجتماعهم في جانب اورشليم في المحل المسمى قديمًا حجر زُحلَت بجانب عين روجل قال فيكورو (الكتاب والاكتشافات الحديثة

مجلد ٣ صفحة ٤١٩) ان هذه العين كانت حيث بئر ايوب الان ومعنى روجل في العبرانية الدوّاس اي من يدوس الثياب برجليه لرحضها فكأنه كان عند هذه العين مغسل وكان القصارون يضعون الثياب على هذا الحجر لتيسير غسلها على ما قال بعض الربيين وقال غيرهم بل كان هذا الحجر ربيعة تمتحن باشالته القوي

وعلم ناثان النبي ما ينوي ادونيا فكلم بتشابع ام سليمان مشيرًا عليها ان تدخل على الملك فتخبره ما يصنع ادونيا وتذكره بيمينه ان يجلس سليمان ابنها على عرشه ووعدها النبي ان يدخل على الملك في اثرها فقص كلاهما على داود ما اجراه ادونيا فاستدعى صادوق الحبر وناثان النبي وبنايا بن يوياداع وغيرهم من حاشيته وامر ان خذوا معكم عبيدي واركبوا سليمان ابني على بغلتي وانزلوا به الى جيحون وهي عين كانت في محل عين العذراء الان على ما قال فيكورو في المحل المذكور . فاتوا بسليمان الى هناك باحتفاء شائق واخذ صادوق الحبر قرن الدهن من الخباء ومسح سليمان وهتفوا بالبوق ونادى جميع الشعب ليحيَ الملك سليمان وادخلوه المدينة والارض تكاد تتصدع من اصوات تهللهم وسمع ادونيا ومدعووه هذه الجلبة فقالوا ما هذه الاصوات التي تضطرب منها المدينة ووفد عليهم يوناثان بن ابياثار الحبر وقال ملّك سيدنا الملك سليمان ومسحه صادوق وناثان النبي فارتاع ادونيا وجميع مدعويه وذهبوا كل واحد في سبيله . واما ادونيا فخاف وانطلق واخذ بقرون المذبح ونبّئ سليمان فقال ان كان ذا صلاح فلا تسقط شعرة منه على الارض وان وجد به سؤ فانه يموت وارسل فانزله عن المذبح فاتى وسجد للملك فقال له انصرف الى بيتك (ملوك ٣ فصل ١)

﴿ عد ٢٧٤ ﴾

في ما اعده داود لبناء الهيكل والخدمة فيه

اضرب كاتب سفر الملوك الثالث عما اعدّه داود لبناء الهيكل والخدمة فيه ولكن افصح بذكره كاتب سفر اخبار الايام الاول (من الفصل ٢٢ الى الفصل ٢٩) فقال بعد ذكره شرآء داود ارض ارونا اليبوسي وتقدمته الذبائح على بيدره ان داود امر ان يجمع الاجانب الذين في ارض اسرائيل واقام منهم رجالاً لقطع الحجار واخرين لنحتها وتهيئتها للبنآء وجهز مالاً غزيرًا ونحاساً وحديدًا وخشب ارز كان حلفاؤه الصيدونيون والصوريون احضروه اليه كثيرًا لانه قال ان سليمان ابني صبي غض والبيت الذي يبنى للرب يلزم ان يكون عظيماً في كل الارض ودعا سليمان اليه وقال يا بنيَّ انه قد كان في نفسي ان ابني بيتًا للرب غير انه صار اليَّ كلام الرب انك قد سفكت دمآء كثيرة وباشرت حروبًا عظيمة فلا تبني انت بيتًا لاسمي فهوذا يولد لك ابن يكون رجل سلام وانا اريحه فهو يبني بيتًا لاسمي وهو يكون لي ابناً وانا اكون له ابًا واقرُّ عرش ملكه فالان يا بنيَّ ليكن الرب معك فتفلح وتبني بيت الرب كما تكلم عنك فتقوَّ وتشدد وهآنذا قد جهزت لبيت الرب في مذلتي مئة الف قنطار من الذهب والف الف قنطار من الفضة ومن النحاس والحديد ما يفوت الوزن لكثرته . تذرَّع الطبيعيون بفرط عظمة هذه الاموال ليكذبوا بالكتاب وتعاموا عن ان يهتدوا الى وجه لتخريج المسألة على كثرة اوجهها واولها اننا لا نعلم علم اليقين ما المراد بالقنطار او الوزنة المترجمة بهما كلمة ككر العبرانية ولا ما تساوي من نقود ايامنا حتى يمكن القطع باستحالة جمع هذه الاموال الغزيرة . ثانيها ان ليس على الله ولم يشآء ان يصنع المعجزات بجعله كل ناسخ معصومًا من الخطأ على عمد او غير عمد وقد رأينا وسنرى امثلة لتحريف النساخ بعض الكلم

لا سيما في الاعداد منها ما مر من ان الفلسطينيين كان لهم ثلاثون الف مركبة وستة الاف فارس (ملوك ١ فصل ١٣ عد ٥) مع ان اكبر الممالك لم يكن لها مثل هذا العدد من المركبات فاولى ان لا يكون للفلسطينيين على قلة عددهم وضيق بلادهم ولما كان الكتاب يعبر بالفارس غالبًا عمن يحارب بالمركبة وانبأتنا الآثار المصرية ان كل مركبة كانت تقل رجلين ظهر ان الصحيح ان مركبات الفلسطينيين كانت ثلاثة الاف مركبة لا ثلثين الف كما اوصل تحريف انساخ الآية الينا . فاي العجب ان يكونوا حرفوا عدد قناطير داود من الذهب والفضة . ثالثها ان العبرانيين كانوا يعبّرون عن الاعداد بالحروف كما نصنع بحساب الجمَّل اي الحساب بالحروف الهجائية وقد اثبت القديس ايرونيموس وكثير من الربيين انه منذ ايام المكابيين كان يعبَّر عن العدد بالحروف واخذ اليونانيون ذلك عن الفونيقيين او العبرانيين من اقدم الايام لانهم يحسبون بحروفهم كما تلقوها من الفونيقيين لا بحسب نظامها الذي ادخلوه متأخرًا ذلك كما نحسب نحن بحسب الاصل السرياني لا بحسب نظام احرفنا العربية الان والحروف العبرانية متقاربة الشكل والصورة فتتعسر كثيرًا مجانبة الخطا والتحريف او التصحيف فيها (ملخص عن الموجز الكتابي لفيكورو عد ٥٠٧) وازيد وجهاً اخر لم ارَه في ما لديَّ من كتبهم ولكن لا بدع ان يكون بعضهم ذكره وهو ان الكلام في عدد قناطير الذهب والفضة على سبيل المبالغة للتعبير عن قناطير كثيرة على مثال ما ورد متواترًا في الكتاب في وصف الجنود وغيرها بالكثرة انها كرمل البحر وعلى مثال ما في الاية المحكى عنها نفسها « ومن النحاس والحديد ما يفوت الوزن » فاستعمل كاتب السفر اعظم الاعداد اي مئة الف قنطار من الذهب والف الف قنطار من الفضة للتعبير عن كثرتهما الوافرة وفي لغاتنا الشرقية لذلك امثلة ومن هذا الباب قول يوحنا الانجيلي في آيات

المخلص انها لو كتبت واحدة واحدة لم يسعها العالم صحفاً مكتوبة كما اظن

وقد سلم داود الى سليمان رسم هيكل الرب الذي يبنيه وما يكون في داخله وخارجه من رواق وغرف ومخادع وخزائن وقال انه تلقى كل ذلك من لدن الله ليفهم جميع اعمال الرسم . ثم امر باحصاء اللاويين من ابن ثلاثين سنة فما فوق فكان عددهم ثمانية وثلاثين الفاً فجعل منهم اربعة وعشرين الفاً يناظرون مناوبة على بناء الهيكل وستة الاف ولاةً وقضاة يفصلون دعاوي الشعب في كل محل واربعة الاف يحرسون مناوبة ابواب الهيكل واربعة الاف يسبحون للرب على الات التسبيح وكان روسآء المرنمين اساف وهيمان ويدوتون وكان اللاويون يقفون تحت يد الكهنة في خدمة الهيكل وقسم هولاء الى اربع وعشرين فرقة تخدم كل فرقة من نهار السبت الى نهار السبت الذي يليه وجعل الكهنة من بني هرون خاصة وقسمهم بالقرعة الى اربع وعشرين فرقة فكان منها لذرية العازر بن هرون ست عشرة فرقة ولذرية ايثامار ابنه الثاني ثماني فرق ويظهر من بشارة لوقا (فصل ١) ان هذا التقسيم استمر معمولاً به الى ايام المخلص اذ نرى ذكريا بُشر بمولد يوحنا عندما بلغت نوبته في وضع البخور وكان من خصائص الكهنة تقدمة البخور في كل صباح ومسآء ووضع خبز التقدمة على المذبح وتقدمة الذبائح وحفظ الموازين والمكاييل في الهيكل الى غيرها وكانوا يتناوبون هذه الخدمة كاللاويين كل سبت

لم يقتصر داود على فرض نظام لخدمة الرب في الهيكل وعلى تعيين القضاة والولاة بل افترض نظاماً لحرس الملك في بلاطه ليكون له نحو من ثلاث مئة الف رجل من احسن رجال بني اسرائيل يؤدون هذه الخدمة مناوبة في كل شهر اربعة وعشرون الفاً تفادياً من مضرة الخدمة الدائمة باعمال حقولهم والكسب لعيالهم واقام اثني عشر رئيساً من ابطاله يرأس كل منهم الحرس شهراً

ونصب نظارًا لخزائن الملك وخزانة البلاد وقهارمة على حقول الملك وكرومه وماشيته حتى لم يدع شيئًا مهمًا الا وفرض له نظامًا سديدًا يدهش الاهتدآء اليه في تلك الايام (سفر اخبار الايام الاول فصل ٢٢ الى ٢٨)

عد ٢٧٥

في وصايا داود لروسآء الشعب وسليمان وفي وفاته

وجمع داود جميع روسآء اسرائيل روسآء الاسباط وروسآء الفرق الذين يخدمون الملك وروسآء الالوف وروسآء المئين والوكلاء على جميع موجودات الملك وابنآءه والخصيان والجبابرة وجميع ذوي البأس الى اورشليم وقام الملك على قدميه خاطباً فيهم محرضاً لهم ان يتقوا الرب ويحفظوا جميع وصاياه ومعيدًا ما كان قاله لسليمان منفردًا انه كان في نفسه ان يبني للرب بيتاً فأوحي اليه انه رجل حروب وقد سفك الدمآء وانه اصطفى ابنه سليمان ملكاً فهو يبني بيت الرب والتفت الى سليمان وقال وانت يا ابني فاعرف اله ابيك واعبده بقلب سليم ونفس راغبة لانه فاحص القلوب وخواطر الافكار اذا طلبته فانك تجده وان تركته فانه يخذلك الى الابد واعطاه ذهباً وفضة لعمل آنية الخدمة في الهيكل ثم قال للمجتمعين اني لرغبتي في بيت الهي لي مال خاص من الذهب والفضة وهبته لبيت الهي علاوة على ما اعددته له ثلاثة الاف قنطار ذهب من ذهب اوفير وسبعة الاف قنطار فضة مصفاة لتصفيح جدران البيت وحينئذٍ تطوّع روسآء الابآء والاسباط وسائر الروسآء وادّوا لخدمة بيت الله خمسة الاف قنطار وعشرة الاف درهم من الذهب وعشرة الاف قنطار من الفضة وثمانية عشر الف قنطار من النحاس ومئة الف قنطار من الحديد والذين عندهم حجارة كريمة ادوها لخزانة بيت الرب وبارك داود الرب امام كل الجماعة ودعا لهم ولسليمان فخرّ الجماعة وسجدوا للرب وذبحوا ذبائح واصعدوا محرقات

واكلوا وشربوا بفرح عظيم ومسحوا سليمان ثانية ملكاً على اسرائيل وجلس على عرش ابيه (سفر اخبار الايام الاول فصل ٢٨ و ٢٩) راجع ما ذكرناه في العدد السابق عن عدد هذه القناطير . ولما دنا يوم وفاة داود اوصى ابنه سليمان ان يتشدد ويحفظ وصايا الرب ويعمل برسومه وشهاداته على ما هو مكتوب في توراة موسى ليفلح في كل ما يعمل وحيثما توجه ثم قال انك تعلم ما صنع بي يواب ابن صروية بقتل ابشالوم وابنير بن نير وعماسا بن ياتر فاصنع به بمقتضى حكمتك ولا تدع شيبته تنزل الى الجحيم (القبر) بسلام وعندك شمعي بن جيرا الذي لعني يوم انطلقت الى محنائيم ثم نزل الى لقاءي عند الاردن فامنته واما الان فلا تبرئه فانك رجل حكيم وانزل شيبته بالدم الى الجحيم . ان يواب كان قديرًا نفاذ الكلمة في الجيش والبلاد فاغضى داود سياسة على سفكه غدرًا دم قائدين بريئين هما ابنير وعماسا وقتله ابشالوم خلافًا لنهي الملك عنه فكان العدل يوجب عقابه وقرائن الحال لا تمكن داود منه فأجله الى زمان ولما رأى دنوّ المنون اوصى سليمان ان يقتص منه عما جنت يداه ويتمم فرض العدالة بجزائه وكذلك شمعي فانه لم يلعن الملك فقط بل رماه بالحجارة وهو منهزم من وجه ابنه فامنّه عند استغفاره ولم يشأ قتله حينئذٍ لانه كان يوم انتصار من قبل الرب ورعاية لمقتضيات الحال فترك له جريمة الاهانة لشخصه ولم يسقط حق الحكومة على جزائه بل اجلّه الى وقت اكثر ملائمة فلم يتسنَ له في حياته فاوصى به ابنه عند مماته واوصاه ان يصنع الخير والمعروف الى ابناء برزلاي الجلعادي وان يكونوا من الآكلين على مائدته لان اباهم احسن الصنيع الى داود عند هربه الى محنائيم (محنة) من وجه ابشالوم واضاف الملك وحاشيته وقد رافقه ابناؤه عند عوده الى اورشليم . وبعد ان اوصى داود الملك العادل الصالح ابنه ان يعاقب من ساء ويثيب من احسن

اضجع مع ابائه فدفنه ابنه سليمان بعظيم الاحتفاء والاجلال في مدينة داود . وقال بطرس الرسول في خطبته الى اليهود (اعمال الرسل فصل ٢ عد ٢٩) ان قبره كان باقيًا عندهم الى ايامه . وقد ملك داود اربعين سنة سبعًا منها في حبرون (الخليل) وثلاثًا وثلاثين في اورشليم وفي سنة بدء ملكه وتمليك ابنه سليمان خلاف فقال لانرمان ابتدأ ملك داود سنة ١٠١٢ ق م وانتهى سنة ٩٧٣ ق م وقال كلمت ملك سنة ١٠٥٠ ومات سنة ١٠١٠ وقال الاب فيكورو (الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ٤٢٠ و ٤٤٢) ان القول الذي يسلم به جمهور العلماء انما هو ان داود ملك سنة ١٠٥٥ ق م ومات سنة ١٠١٥ فملك سليمان الى سنة ٩٧٥ وسوف نستأنف الكلام في هذا الشان

قد كتب داود كتاب الزبور والاظهر ان ليس كلها له بل كتب بعضها اساف وهيمان ويدوتون بدليل ان بعض الزبور علق عليها اسم كاتبها وبعضها جاء فيه ذكر سبي بابل فلا يمكن ان يكون لداود وللمرنمين المذكورين لانهم كانوا قبل سبي بابل بقرون . وروى يوسيفوس (تاريخ اليهود ك ٧ ف ١٢) ان سليمان دفن مع جثة ابيه اموالاً غزيرة وانه لما حاصر انطيوخوس بن دمتريوس اورشليم فتح هركان عظيم الاحبار مدفن داود فاخذ منه ثلاثة الاف وزنة ذهب دفع بعضها الى هذا الملك فرفع الحصار عن اورشليم وان هيرودس استخرج بعد ذلك مقدارًا من المال من جهة اخرى من مدفن داود فقد يمكن ان يكون يوسيفوس تلقى هذا الخبر عن مذكرات او تقليد شفاهي ولكن لا يمكن القطع بصحته

الفصل الرابع عشر

(في سليمان)

عد ٢٧٦

بواكير اعمال سليمان

معنى سليمان ذو السلم والسلامة سمي به لانه ولد لابيه من بتشابع في مدة السلم والراحة التي عقبت محاربة داود للعمونيين وهو بمعنى فريدريك عند الالمان وايريناوس عند اليونان . وكان عمر سليمان يوم ملك عشرين سنة . وقد حباه الله باحسن الاخلاق الطبيعية والمعنوية وجمع في باكورات اعماله بين الذكاء والسطوة فامال قلوب شعبه وغيرهم الى محبته واهابته . فقد زاحمه اخوه ادونيا على الملك وكانت عادات ملوك اسيا في مثل ذلك تقضي بقتل من غُلب كلفًا باستتباب الراحة في المملكة اما سليمان فقد عفا عن اخيه على شريطة ان لا يصنع سوءًا وان يكف عن مطمعه فعاد يعنن قائلاً ان حق الملك له ويطلب بعد وفاة ابيه ان يتزوج بابيشاج السونمية مدفئته متعمدًا تقوية دعواه واكثار محازبيه بهذه الذريعة ولجأ في مطلبه الى ام الملك حتى اذا اذعن ابنها لها نال ادونيا ما يبتغي وان رد سؤلها اوقع فتورًا بينهما فتدارك سليمان الامر بحكمته فاسترضى امه برقة كلامه اذ قال لها ما بالكِ تطلبين له ابيشاج اطلبي له الملك لانه اخي الذي هو اكبر مني وارسل على يد بنايا بن يوياداع فبطش به كيلا يواصل مساعيه الخبيثة ويقلق الراحة فمات . واذا راعينا عادات ايامهم لقينا معذرة لقتل سليمان اخاه ووجدنا مثلاً لذلك في تلك الايام منها ما انبأتنا به الاثار الاشورية ان اشور بانيبال ملك اشور اهلك اخاه سولموجينا .

ومن الآثار الهندية صورة الملك اوتنك زايب جالساً على عرشه يحدق به رجال دولته واحد اعوانه يطرح بين يديه راس اخيه المسمى دارا شروك مقتولاً بامره

ثم عزل سليمان ابياتار الحبر عن كهانة الرب لانه كان محازباً لادونيا وقد قال له الملك انصرف الى عناتوت الى حقولك فانك رجل مستحق الموت لكنني لست اقتلك اليوم لانك حملت تابوت الرب بين يدَيْ ابي وعانيت كل ما عاناه وعناتوت هي المسماة اليوم عيناتا على ثلاثة اميال في الشمال الشرقي من اورشليم (كتاب اعلام الاماكن الكتابية وكاران نقلاً عن اوسابيوس والقديس ايرونيموس ويوسيفوس) وبقي صادوق وحده عظيم الاحبار كما كان عظيم الاحبار ابدًا واحدًا الا في مدة داود اذ قضت عليه احوال ايامه ان يكون للاحبار رئيسان ابياتار وصادوق . ونمى الخبر الى يواب فخاف لانه كان قد حازب ادونيا وتذكر قتله ابنير وعماسا وهرع الى خباء بيت الرب واخذ بقرون المذبح فارسل الملك اليه بنايا بن يوياداع فقال له امر الملك ان تخرج من هنا فقال كلاً ولكن ههنا اموت فعاد بنايا واخبر الملك بما قال فاجابه سليمان افعل به ما قال وابطش به وادفنه واصرف عني وعن بيت ابي الدم الذكي الذي سفكه دم ابنير وعماسا اللذين قتلهما عامدًا وفي حين سلم وعلى غير علم ابي وليردد الرب دمهما على رأسه ورؤوس ذريته فانطلق بنايا وقتله ودفن في بيته في البرية وعهد الملك بقيادة جيشه الى بنايا . قد عُني بعض مفسري الكتاب بتبرئة سليمان وبنايا من الاثم لقتل يواب في جانب المذبح مستمسكين بان المذابح في تلك الايام كانت تقدم عليها الذبائح الدموية لله خلافاً لمذابحنا في العهد الجديد وقتل الاثيم محرقة لله فلا حرج على سليمان ولا على بنايا بقتله هنالك واوجب غيرهم الاثم عليهما لان السنّة حظرت

ذلك وكان للملك ان يقيم خفرًا ينتظر خروج يواب ليقتله وقالوا لم يكن سليمان أعطي بعد الحكمة من الله فقرط منه الامر بقتــل يواب آخذًا بقرون المذبح كما اقدم بعدًا على ما هو شرّ من هذا الاثم (ملخص عن كسبردوس سنكتيوس في تفسير اسفار الملوك عن طبعة الاب مين) قد استدعى سليمان شمعي الذي كان لعن داود وهو من بحوريم (قرية ابي ديس الان) وامره ان يبني بيتاً في اورشليم ولا يخرج خارج المدينة واستحلفــه على ذلك فحلف على انه اي يوم خرج يموت موتاً واتفق بعد ثلاث سنين ان ابقّ له عبدان الى اكيش ملك جت (ذكرين) فخرج في طلبهما واتى بهما فخبّر سليمــان بخروجه وعوده فاستدعاه وذكّره بيمينه للرب وبما فعل بداود ابيه وامر بنايا بن يوياداع فقتله

﴿ عد ٢٧٧ ﴾

﴿ زواج سليمان بابنة فرعون ﴾

قد استقرّ الملك في يد سليمان ومات مخالفوه واخذ الروع بمحالفيهم كل مأخذ واستتبت الراحة واستفحل امره وكانت المملكة التي اورثه ابوه اياهــا فسيحة الارجاء كثيرة الشعوب تمتد من الفرات الى تخوم مصر وعمت صولته بلاده فشأ ان يكون في مأمن من سطو الخارجين فحالف فرعون ملك مصر وتزوج ابنته واما من كان فرعون هذا ومن اية دولة هو فقال مسبرو (كتاب تاريخه القديم لشعوب المشرق صفحة ٣٢٣ و ٣٥٦ طبعة ٤) انه بسيناكس الثاني احد ملوك الدولة الحادية والعشرين وقد اثبتت الآثار المصرية ان هذه الدولة كثر فيها التنازع على الملك ولذلك كان ملوكها يحتاجون الى محالفات مع الاجانب فسرّ فرعون بزواج ابنته بسليمان كما سرّ العبرانيون بان يصــاهر ملكهم فرعون بعد ان كانوا اسرى لدولته . وبين المفسرين خلاف في ما اذا كان مثل هذا الزواج مخالفًا لسنّة موسى او مباحًا بهــا واكثرهم على ان سنّة

موسى لم تحظر على العبرانيين الأ التزوج بالكنعانيات واباحته بغيرهنَّ من الاجنبيات وقال بعضهم قد تكون الاميرة المصرية تهودت ولا اثر للعبادة المصرية الوثنية في فلسطين منذ تلك الايام على ان دي سولسي قال (في كتاب رحلته حول البحر الميت) انه اكتشف معبدًا مصريًا في القرب من اورشليم كان سليمان قد بناه لامرأته بنت فرعون وقال الاب فيكورو (في المحل المذكور صفحة ٤٢٦) لا نرى حجة تثبت مقال دي سولسي بل نرى هذا المعبد احدث نشأة من ذلك العصر

كان من عادة الملوك ان يعطوا بناتهم عند زواجهنَّ مهرًا وافرًا فلا علم لنا بما اتت به ابنة فرعون الى سليمان صداقًا . وقد كشف في مصر عن اثار منبئة بعقود زواج فاذا هي حاوية غالبًا ذكر املاك عديدة أعطيتها المرأة عند زفافها . على انه جاء في سفر الملوك الثالث (فصل ٩ عد ١٦) استطرادًا ذكر شيء من مهر بنت فرعون اذ قيل ان فرعون صعد الى جازر واخذها واحرقها وقتل الكنعانيين المقيمين فيها ووهبها مهرًا لابنته زوجة سليمان واما موقع جازر هذه فقد مر (عد ٢٧١) نقلاً عن كتاب الاعلام الكتابية انه كان في المحل المسمى اليوم تل جازر على اربعة اميال غربًا من عمواص وقال فيكورو (في المجلد المذكور صفحة ٤٢٨) فيها ان موقعها استمر الى سنة ١٨٧٠ نكرة لا تعرف الى ان كشف عنه كارمون كانو مهتديًا اليه بما جاء في كتاب تاريخ القدس وحبرون لمجير الدين وقد وجد ثمة خطوطًا بالعبرانية واليونانية تصرح باسمها جازر وهي على خمسة كيلومترات عن خلدة قبالة القرية المسماة الان ابوشوشة على يمين المسافر من يافا الى اورشليم وهنالك اطلال دالة على انه كان ثمة مدينة محصنة . وتعريف فيكورو لها لا يخالف وضمًا تعريف كتاب الاعلام الكتابية لموقعها فقد عرفها فيكورو بما في جنوبيها وهو خلدة وفي شماليها وهو ابوشوشة

وعرفت في الكتاب المذكور بما في شرقيها وهو عمواص

﴿ عد ٢٧٨ ﴾

في حكمة سليمان وقضائه بين المرأتين البغيين

قال الكتاب (ملوك ٣ فصل ٣ عد ٣) « واحب سليمان الرب سالكاً على سنن داود ابيه لكنه كان يذبح ويقتّر (اي يقدم البخور) على المشارف » وبين المفسرين خلاف في ما اذا كان سليمان اثم في ذبحه وتقتيره على المشارف او لم يأثم فبرأ بعضهم ساحته من الاثم سنداً الى ان داود واليّا وغيرهما ذبحوا ذبائح لله في غير بيت الرب وانه قبل بناء بيت الرب لم تكن السنّة الآمرة بتقدمة الذبائح فيه ملزمة واوجب بعضهم الاثم عليه لان السنّة صرحت بحظر مثل ذلك اذ قيل (تثنية ف١٢ ع١٣) « احذر ان تصعد محرقاتك في اي موضع رأيته الا في الموضع الذي يختاره الرب » (ملخص عن سنكتيوس في تفسير هذه الايات) وليس الامر كذلك في ما ذكره الكتاب بعد الاية السالفة « وانطلق الملك الى جبعون (الجب) ليذبح هناك لانها هي المشرف الاعظم واصعد سليمان الف محرقة على ذلك المذبح » فقد جاء في سفر اخبار الايام الاول (فصل ٢١ عد ٢٩) « ان مسكن الرب الذي عمله موسى في البرية ومذبح المحرقة كانا في ذلك الوقت في مشرف جبعون » ولا يعلم متى نقل خباء المحضر الى جبعون فقد مر ان داود نقل تابوت العهد من قرية يعريم (ابي غوش) الى اورشليم ويظهر من هذه الاية ان الخباء ومذبح النحاس اللذين صنعا في البرية كانا يومئذٍ في جبعون ولذلك تقبل الرب ذبائح سليمان وتجلى له في الحلم ليلاً وقال له اطلب ما اعطيك فلم يطلب الا حكمة وفهماً ليحكم حكماً مستقيماً بين الشعب الذي القى الرب ازمّته اليه فحسن هذا الطلب في عيني الرب وقال بما انك لم تسأل اياماً طوالاً ولا غنى ولا نفوس اعدائك بل سألت حكمة لتفقه الحكم

فهاءنذا معطيك قلباً حكيماً فهماً حتى انه لم يكن قبلك مثلك ولا يقوم بعدك نظيرك وما لم تسأله اعطيتك اياه الغنى والمجد ايضاً وان حفظت وصاياي كداود ابيك اطيل ايامك . وعاد سليمان الى اورشليم واصعد فيها ايضاً محرقات وذبائح وعمل مأدبة لجميع عبيده

قد ابرز سليمان ذلك القضاء المشتهر بين امرأتين بغيين كانتا تسكنان بيتاً واحدًا وولدت كل منهما ابناً فمات ابن احداهما لانها اضجعت عليه فوضعته في جانب الاخرى واخذت ابنها الحي ولما استيقظت هذه عرفت انه ليس ابنها واخذت كل منهما تدعي الابن الحي امام سليمان فقال عليَّ بسيف فاتوا به فقال اشطروا هذا الولد الحي واعطوا كلاً منهما شطرًا فقالت امه لا ياسيدي اعطوها الصبي حياً ولا تقتلوه وقالت الاخرى بل اشطروه فلا يكون لي ولا لك فقال الملك ادفعوا الولد الاولى لانها امه فسمع جميع اسرائيل هذا القضاء فهابوا وجه الملك لانهم رأوا حكمة الله فيه

ان إحكام سليمان سياسة مملكته زاد في محبة شعبه له ومكّن علاقاته مع محالفيه واراع مخالفيه فرقته حكمته ذرى المجد والمهابة فشاول قل ما صنع لنجاح مملكته فلم يكن له اعوان ولا اتخذ جنودًا مستمرين في الخدمة الا عددًا يسيرًا ولم يجعل لنفسه مركزًا ثابتاً وكان اذا فرغ من مهام مملكته انقطع الى الاهتمام بحقوله ولم يفرض ضريبة ولا جزية على شعبه . وداود اكسب الملك رونقاً ونظاماً واقام الجندية ووضع اصولاً للسياسة ورتب الخدم الدينية وجعل اورشليم عاصمة لملكه فكانت بمنزلة القلب من جسم الامة ويرجح انه لم يفترض ضرائب ولا جزية على الشعب وكانت نفقاته من ريع املاكه وماشيته ومن الغرامات الحربية التي كان يكره عليها من استظهر عليهم واما سليمان ففاق اباه وجميع ملوك امته بحكمته وتدبير مملكته وعظمت سطوته وصولته وغناه وكثرة آثاره وفخامتها

﴿ عد ٢٧٩ ﴾

هيئة حكومة سليمان وموارد دخله ونفقاته

كانت دولة سليمان مؤلفة من موظفين في بلاطه وعمال في جهات البلاد فكان عزريا بن صادوق الحبر رئيساً للموظفين في البلاط واليحورف واحيّا كاتبي اسرار الملك ويوشافاط بن احيلود مسجلاً كما كان في ايام ابيه وبنايا بن يوياداع رئيساً على الجيش وكان اياثار الحبر حالف ادونيا فاضطر ان يعزله من منصبه وبقي له لقب حبر ولكن كان صادوق وحده قائماً في منصب الحبرية ورئاسة الدين وعزريا بن ناثان اخي سليمان رئيس العمال في الجهات واخوه زابور نديم الملك ومستشاره واحيشار قيم بلاطه وادونيرام على الخراج وكان للملك جنود كثيرون وكانت مملكة سليمان منقسمة الى اثنتي عشرة ولاية وله فيها اثنا عشر والياً او عاملاً اخص فروض هولاء الحكام جباية الجزيات واستيفاء الاموال الاميرية وكانت هذه الضرائب تؤخذ عيناً اي يؤخذ قسم من الغلال كما يؤخذ في هذه الايام من غلال الارض السلطانية وقد اكتشفت في هذا العصر آثار كثيرة اشورية يتبين منها ان الضرائب كانت تؤخذ عيناً من الغلات والماشية ونتاجها وكذلك كانت العادة في مصر فقد قال مسبرو (التاريخ القديم لشعوب المشرق صفحة ١٩ طبعة ٤) اعتماداً على آثار مصرية ، ان الاهلين كانوا يعطون الملك وعماله الضرائب عيناً بحسب غناهم وكان توزيع ذلك يستلزم احصاء النفوس ومساحة الارضين بتواتر ، وكان على ولاة الاعمال الاثني عشر ان يقدم كل منهم ميرة (مصروف الطعام) للقصر الملكي شهراً في كل سنة

وكان لسليمان موارد اخرى للدخل منها التقادم التي اعتادوا رفعها الى الملوك عند تبؤهم العرش كما يظهر من سفر الملوك الاول (فصل ١٠ عد ٢٧)

حيث ورد ان مخالفي شاول « ازدروه ولم يقدموا له هدايا » وقد مر معنا ذكر ذلك . ثم في آونة الحرب كما يظهر من السفر المذكور (فصل ١٦ عد ٢٠) ان يسى بعث مع ابنه داود الى شاول عند حربه مع الفلسطينيين « خبزًا وزق خمر وجدياً » ثم لدى المثول امام الملك كما يتبين من سفر الملوك الثالث (فصل ١٠ عد ٢٥) حيث قيل « وكان كل واحد يأتيه (اي يأتي سليمان) بهداياه من آنية فضة وآنية ذهب ولباس وسلاح واطياب وخيل وبغال في كل سنة » وكانت لسليمان ضرائب بطريق المكوس على البضائع والسلع التي يؤتى بها الى بلاده او تمر بها فقد جاء في الفصل المذكور (عد ١٥) « غير الوارد من المكاسين ومن تجارة التجار وجميع ملوك العرب وولاة الارض » هذا خلا الجزيات التي كان يضربها على الولاة الاجانب الخاضعين له وعدا احتكاره بعض صنوف التجارة كالذهب والخيل كما هو بيّن من سفر الملوك الثالث (فصل ٩ عد ٢٧ وفصل ١٠ عد ٢٨)

واما نفقاته فقال فيها الكتاب (فصل ٤ عد ٢٢ وما يليه) وكان طعام سليمان في كل يوم ثلاثين كرًّا من السميذ وهو لباب الدقيق وستين كرًّا من الدقيق وعشرة ثيران مسمنة وعشرين ثورًا من المرعى ومئة من الشآء هذا غير الايائل (جمع ايّل) والظبآء واليحامير (جمع يحمور وهو حمار الوحش او طائر) وسمان الطير . والكر يساوي ٣٣٨ كيلو غرام و ٢٣٠ غرامًا فقال بعضهم ان هذه الميرة تكفي لقوت ثلاثين الف نفس وقال غيرهم انها كافية لثمانية واربعين الفًا او لاربعة وخمسين الفًا من النفوس وقال الاب فيكورو (المجلد المذكور صفحة ٤٣٨) الاظهر انها لا تموّن الا اربعة عشر الف نفس . والراجح ان الجنود كانوا ينفقون على انفسهم لا سيما انهم لم يكونوا يتجندون الا شهرًا في كل سنة بحسب النظام الذي فرضه داود . وليست هذه

النفقات كثيرة على قصر ملكي في المشرق . فقد روى ثقاة ان ملوك الفرس في تلك الايام كانوا ينفقون كل يوم الف ثور . وروى تافرنيا (في مقالتـه الموسومة بداخل قصر السلطان المطبوعة في بريس سنة ١٦٧٥) انه كان ينفق في القصر خمس مئة خروف كل يوم « وكان لسليمان اربعون الف مذود لخيل مراكبه واثنا عشر الف فارس » كذا في سفر الملوك الثالث (فصل ٤ عد ٢٦) ولكن جاء في سفر اخبار الايام الثاني (فصل ٩ عد ٢٥) « وكان لسليمان اربعة الاف مذود لخيل المراكب واثنـا عشر الف فارس فاقامهم في مدن المراكب وفي اورشليم » فكانت آية سفر الملوك هذه وسيلة لتنديد فولتر وتهكمه بالكتاب واخطأ معنى اللفظ اللاتيني Praescpia ففهمه بمعنى مربط لا بمعنى مذود اي معتلف او معلف كما هو في الاصل العبراني وفرض في كل مربط عشرة افراس فكان مجموع خيل سليمان على زعمه اربع مئة الف فرس وجعل الاثني عشر الف فارس اثني عشر الف مربط فكوّن منها مئة وعشرين الف فرس فكان المجموع خمس مئة الف وعشرين الف فرس سخر من الكتاب بذكرهـا قائلاً هذا كثير على ملك لم يحارب على انه اذا فهم كلام الكتـاب بمعناه الصحيح وبحسب النص العبراني اي اربعين الف مذود او معلف فلا يكون لسليمـان الا اربعين الف فرس وهذا ليس بالكثير على مثله ولو اضفنا اليه اثني عشر الف فرس لاثني عشر الف فارس وقد كان عسكره منذ ايام ابيه زهاء ثلاث مئـة الف رجل فيكون لسدسهم فقط افراس لكن المحققين من العلماء والمفسرين اثبتوا ان العدد الوارد في سفر الملوك زلة قلم من النساخ وصوابه اربعة الاف مذود كما في سفر اخبار الايام ويؤيده انه جاء في الكتـاب ان سليمان كان له الف واربع مئة مركبة فالاربعة الاف فرس لا تزيد على ما يلزم لها وقد رأينـا وسنرى امثلة كثيرة لزلات اقلام النساخ طالع ما ذكرناه في عدد ٢٧٤

(ملخص عن دوكلو في تفسير الايات المذكورة في طبعة الاب مين)

عد ٢٨٠

محالفة سليمان لحيرام ملك صور واخشاب الارز

لم يُعنَ سليمان بنظام مملكته في الداخل فقط بل حرص على حفظ علائق الوداد مع اصدقاء ابيه وحلفائه في خارج المملكة فجدد مع حيرام الثاني ملك صور ماكان بينه وبين داود من التحالف والتحاب وقد مر في مقالة الفونيقيين عد ١١٧ ماكان بين سليمان وحيرام من المراسلات . وكان حيرام ارسل الى داود اخشاباً من الارز لم يرَها سليمان كافية لبناء بيت الرب فارسل يقول لحيرام قد علمت ان داود ابي لم يقدر ان يبني بيتاً للرب الهه بسبب الحروب التي احاطت به وقد اراحني الرب من كل الجهات فنويت ان ابني هذا البيت فمُر بان يُقطع لي ارزٌ من لبنان وعبيدي يكونون مع عبيدك واجرة عبيدك أؤديها كما تحب ففرح حيرام بكلام سليمان واجابه انه سيتم كل مرضاته في خشب الارز وخشب السرو وان عبيده ينزلون ذلك من لبنان الى البحر فيجعله اطوافاً في البحر الى الموضع الذي يسميه سليمان له وان ما يرضيه انما هو ان يرسل سليمان اليه بعض المون فكان حيرام ينزل الاخشاب من الجبل الى جبيل ويرسلها اطوافاً الى يافا فينقلها رجال سليمان الى اورشليم وهذا مؤذن بان اشجار الارز كانت في جبال بلاد جبيل ايضاً لا في جبة بشري وحدها كما هي الان والا للزم شحنها من اطرابلس او البترون لا من جبيل وكان سليمان يرسل الى حيرام كل سنة عشرين الف كرّ من الحنطة وعشرين الف كرّ من زيت الرض وقد مر ان الكر يساوي ٣٣٨ كيلو غرام و ٢٣٠ غراماً وزاد في سفر اخبار الايام الثاني (فصل ٢ عد ١٠) عشرين الف كرّ من الشعير وعشرين الف بث من الخمر والبث مكيال او اناء متعارف عندهم وسخّر سليمان من

بني اسرائيل ثلاثين الف رجل لقطع الاخشاب من لبنان مع رجال حيرام وكانوا يتناوبون العمل فيمضي عشرة الاف رجل منهم فيقيمون في لبنان شهرًا وفي بيوتهم شهرين وقد كان لهولاء المسخرين طعامهم كما كان لرجال حيرام

كان لخشب الارز عند الاقدمين منزلة عليا لصلابته ونصاعة لونه وذكاء رائحته وندرة وجوده حتى كان ملوك مصر واشور وغيرهم يتباهون به في قصورهم وقد انبأتنا خطوطهم الهيروكليفية والمسمارية انهم كثيرًا ما استأتوا من هذه الاخشاب من لبنان او جعلوها جزية على اهله بل وجدت في اطلال قصورهم قطع عديدة منها تحملت كرور القرون الكثيرة عليها وهي سالمة لم يعرُها فساد ولم ينخرها سوس . وروى العالم لايرد في كتابه في نينوى وبابل انه بين كان يحفر في اخربة قصر اشور نزيربال في نمرود وكان البرد شديدًا اصلى عملته نارًا ليصطلوا والقوا فيها قطع خشب كانوا وجدوها في تلك الاخربة فدلته رائحتها على انها من خشب الارز فتكون حفظت رائحتها على كرور ثلاثة الاف سنة عليها وقد نقل بعض هذه الاخشاب الى المتحف البريطاني وصقل بعضها فظهرت الوانه زاهية . وروى سميث في تاريخ اشور يانبال انه كتب على اثر لهذا الملك انه اعتمد في بناء قصره على ارز لبنان . وقال شباس (في كتابه الموسوم بدروس القدم صفحة ١٢٧) ان المصريين قبل ايام ابرهيم كانوا ينقلون الاخشاب للبناء من شواطي فونيقي الى مصر . وقد كتب على صفيحة في متحف اللوفر ان امانيسانب كان مأمورًا ان يزين مذابح هيكل ابيدوس بخشب الارز وكانوا يستعملون هذا الخشب في مصر لعمل كثير من الآنية ولعمل توابيت الموتى

وجاء في سفر اخبار الايام الثاني (فصل ٢ عد ١٧ و ١٨) ان سليمان احصى جميع الاجانب الذين في ارض اسرائيل فكانوا مئة وخمسين الفًا وثلاثة

الاف وست مئة رجل فاخذ منهم سبعين الف حمال وثمانين الف قطاع في الجبل وثلاثة الاف وست مئة يناظرون على عمل القوم . واذا نظرنا الى حالة تلك الايام وصعوبة النقل فيها لعدم وجود آلات عصرنا لم نستعظم عدد المئة والثلاثة والخمسين الفًا الذين اعملهم سليمان في قطع اخشابه وحجاره ونقلها من الجبل الى جبيل ومن يافا الى اورشليم ومن محل الحجارة الى موضع الهيكل ولو اضفنا الى هولاء الثلاثين الفًا الذين سخرهم سليمان من بني اسرائيل فقد روى هيرودت ان هرم كابوس في مصر لزم لبنائه عمل مئة الف رجل في مدة عشرين سنة وروى بلين ان رعمسيس لزمه عشرون الف رجل لنصب مسلة وقد زعم بعض المفسرين منهم كلمت ان حجارة الهيكل قُطعت من جبل لبنان ايضًا لقول الكتاب يقطعون في الجبل لكن الاكتشافات الحديثة حققت ان ما بقي من حجارة الاساس الى اليوم مقطوع من المقاطع المسماة الملكية الكائنة في جبل بيت زيتا في ضواحي اورشليم فيلزم ان تكون حجارة سائر البناء كذلك فالمراد بالجبل اذًا جبل بيت زيتا لا جبل لبنان . ولا يعلم كم كان عدد الفونيقيين الذين كانوا يعملون في هيكل سليمان ولكن الظاهر ان كثيرًا من البنائين والنحاتين كانوا من جبيل لذكر الكتاب لهم ذكرًا مخصوصًا اذ قال « نحتها بناؤو سليمان وبناؤو حيرام والجبليون » اي الجبيليون وقد شهد حزقيال (فصل ٢٧ عد ٩) بمهارتهم

عد ٢٨١

في هيكل سليمان واولاً في سنة بنائه

جاء في سفر الملوك الثالث (فصل ٦ عد ١) « وكان في السنة الاربع مئة والثمانين لخروج بني اسرائيل من مصر في السنة الرابعة من ملك سليمان على اسرائيل في شهر زيو وهو الشهر الثاني انه بنى بيت الرب » كذا في النص

العبراني وفي الترجمة اللاتينية المعروفة بالعامية وفي الترجمات الكلدانية والسريانية والعربية واما الترجمة السبعينية ففي نسخها المخطوطة التي في المكتبة الواتيكانية وفي مكتبة كمبريديج « في السنة الاربع مئة والاربعين » وتابعتهـا على ذلك الجامعة (الكتاب المقدس بعدة لغات) التي طبعت في انكلترا ولكن في نسخها التي كانت عند الكردينال كسيمانس وغيرها « السنة الاربع مئة والثمـانين » كما في النص العبراني وتابعها على ذلك من طبعوا جامعتي انفرس وبريس وقال يوسيفوس (في ك ٨ فصل ٢ من تاريخ اليهود) ان تلك السنـة كانت السنة ٥٩٢ للخروج وسنة ١٠٢٠ بعد خروج ابرهيم من اور الـكلدانيين وسنة ١٤٤٠ بعد الطوفان وسنة ٣٢٠٢ لخلق العالم فيوسيفوس ممن قالوا ان سني العبودية في مصر لم تكن الا مئتين وخمس عشرة سنـة كما مر في عد ٩٤ ولم يقرّ على رأي في هذه الاعداد فلا يعتد بها . ان آية سفر الملوك هذه كبيرة الاهميـة ولا سيما لكشفها عن عداد السنين التي مرت من وفاة موسى الى ملك شاول على بني اسرائيل وقد اعتاص حصر هذه السنين على المفسرين والعلماء لعـدم حصر سني القضاة كما مر فاذا جعل عدد الاربع مئة والثمانين سنة اساً لحساب السنين من الخروج الى بنآء الهيكل وحطّ منه ما صرَّح الكتاب به وهو اربعون سنة مدة اقامة بني اسرائيل في البرية وخمسٌ وعشرون سنة مدة قيادة يشوع بن نون لهم واربعون سنة مدة ملك شاول واربعون سنـة مدة ملك داود واربع سنين من ملك سليمان قبل الشروع في بنآء الهيكل كانت مدة القضاة من موت يسوع الى مسح شاول ملكاً ثلث مئة واحدى وثلاثين سنة بحسب الجدول الذي وضعناه في عد ٢٢٦ وقد وضع الاب فيكورو (الموجز الكتابي عد ٤٥٠) جدولاً اخر ابان به هذه السنين وبجانبها السنـين التي بعد الخروج الى بنآء الهيكل فاثرنا تلخيصه تكثيراً للفوائد وتكملة لما ذكرناه في العدد المذكور

ولافتراضه ان الشروع في بنآء الهيكل كان سنة ١٠١٢ ق م كان الخروج عنده سنة ١٤٩٢ بعد حط ٤٨٠ سنة المذكورة

سنة ق م	سنة	قبل بنآء الهيكل
١٤٩٢	٠٠٠	الخروج
١٤٥٢	٤٠	اقامة بني اسرائيل في البرية
١٤٢٧	٢٥	مدة يشوع بن نون
١٤٠٩	١٨	راحة من الحروب
١٤٠١	٠٨	استيلآء كوشان رشعتائيم
١٣٦١	٤٠	قضآء عتنئيل واستراحة
١٣٤٣	١٨	استيلآء الموابين عليهم
١٢٦٣	٨٠	قضآء اهود وسلم في جنوبي فلسطين وكان في شماله استيلآء يابين وقضآء دبورا وباراق
١٢٥٦	٠٧	استيلآء المديانين
١٢١٦	٤٠	قضآء جدعون وسلم
١٢١٣	٠٣	قضآء ابيملك
١١٩٠	٢٣	قضآء تولع
١١٦٨	٢٢	قضآء يائير الجلعادي
١١٠٨	٦٠	وكان في غربي الاردن استيلآء الفلسطينيين في مدة عالي سنة ٤٠ منها ٢٠ سنة كان فيها تنكيل شمشون بهم ثم ٢٠ سنة من قضآء صموئيل مجموعها ٦٠ سنة وكان في شرقي الاردن استيلاء العمونيين ١٨ وقضآء يفتاح ٦ سنين وابصان ٧ وايلون ١٠ وعبدون ٨ ومن قضآء

سنة ق م	سنة	قبل بنآء الهيكل
		صموئيل ١١ مجموعها ٦٠ سنة
١٠٩٥	١٣	تتمة مدة صموئيل الى مسح شاول
١٠٥٥	٤٠	شاول
١٠١٥	٤٠	داود
١٠١١	٠٤	سليمان الى بناء الهيكل

٤٨١ فالمجموع اربع مئة وثمانون سنة بعد الخروج وسنة احدى وثمانين شرع في بنآء الهيكل

ويجدر بنا ان نثبت هنا الجدول الذي وضعه الاب مور البلجيكي في مقالته المعلقة في المجلة الموسومة بالعلم الكاثوليكي مجلة المباحث الدينيـة في عددها الصادر في ٢٥ ايلول سنة ١٨٩٣ في بيان الطباق بين تواريخ الكتـاب والآثار الاشورية والمصرية وقد ذكرنا خلاصة هـذه المقالة في عد ١٥١ من هذا الكتاب ومن رأي المؤلف ان الخروج كان سنة ١٥٠٠ ق م وان بنآء الهيكل اخذ فيه سنة ١٠٢٠ ق م واليك الجدول

سنة ق م

٠٧٢١ خراب السامرة وارتقآء سرغون عرش اشور .

٠٧٢٤ سبي هوشع ملك اسرائيل في السنة ٩ من ملكه وسنة ٦ من ملك حزقيا في يهوذا

١٠٢٠ وقد جعل مدة ملوك اسرائيل الى بنآء الهيكل ٢٩٦ فقال الاخذ في بنآء الهيكل

١٥٠٠ الخروج سنة ٤٨٠ قبل بنآء الهيكل

١٩٣٠ اقامة بني اسرائيل في مصر سنة ٤٣٠

٢٠٦٠ دخول يعقوب الى مصر وعمره ١٣٠ فيكون مولده

سنة ق م

٢١٢٠ اسحق ولد يعقوب وعمره ٦٠ فيكون مولده

٢٢٢٠ ابرهيم ولد اسحق وعمره ١٠٠ فيكون ولد

فاذا اسقطنا خمسًا وسبعين سنة كما كان عمر ابرهيم عندما شخص الى ارض كنعان فيكون بلوغ ابرهيم فلسطين سنة ٢١٤٥ على رأي هذا العالم واذا اسقطنا من هذا العدد ٢١٥ مدة اقامة ابرهيم ونسله في فلسطين و ٤٣٠ سنة مدة العبودية في مصر كان المجموع ٦٤٥ وكان الخروج ١٥٠٠ كما هو رأيه وهو لا يختلف عن رأي فيكورو الا بثماني سنين فان اضفنا الى هذا الجدول سني حياة الاباء من الطوفان الى مولد ابرهيم وهي ٢٩٢ سنة كما في الجدول الذي وضعناه في عد ١٥١ ثم سني الاباء من آدم الى الطوفان وهي ١٦٥٦ سنة كما في الجدول الذي وضعناه في عد ٢٣ بحسب النص العبراني كان مجموع السنين من خلق آدم الى الميلاد ٤١٦٨ ولا تنسَ ما ذكرنا من الاختلاف في ذلك بين النسخ وما للعلماء من الاقوال المتباينة في هذا الشان ومما يستدعي الالتفات خاصة قصر المدة التي من الطوفان الى مولد ابرهيم على ٢٩٢ سنة بحسب النص العبراني فهذه المدة غير كافية لما ظهر بالآثار المصرية والبابلية من التمدن والتقدم وكثرة العدد في انحاء مصر وبابل وغيرهما وقد عنّى العلماء والمفسرين تحقيق هذا المبحث وحل هذه المعضلة فلجأ بعضهم الى تصحيح رواية الترجمة السبعينية اي ان هذه المدة ١٠٧٧ او ١٠١٧ لا ٢٩٢ سنة وحاول غيرهم ايجاد طريقة اخرى لحساب هذه السنين فقال الاب شفاليا ان المراد بالسنة السار وهو كناية عن ثماني عشرة سنة وستة اشهر (طالع عد ٢٣) او جزء من السار وتابعه على بعض مذهبه الاب دومكس النائب الاول في كنيسة سيدة الانتصار في بريس والذي توفاه الله من عهد قريب وكان لنا صديقًا عزيزًا فهذا عرض على

العلماء طريقة يراد بموجبها باسماء ارفخشاد وبنيه الى تارح لا اعلام فردية بل اسرات او دول تحسب سنوها بحسب اعمار اولئك الاباء كاملة لا بحسبها الى ان ولدوا ابنآءهم كما حسبها جمهورهم . وقد نشرت المجلة الموسومة بالمجلة الكتابية فصلاً مطولاً في هذا الشان للاب اكتاف راي في عددها الرابع الصادر في شهر تشرين الاول سنة ١٨٩٣

﴿ عد ٢٨٢ ﴾

﴿ في محل الهيكل وهيئته ﴾

اما محل الهيكل فكان في بيدر اورنا اليبوسي والارض التي شراها داود منه في جانبه والذي عليه الأكثرون ان هناك الجبل الذي امر الله ابرهيم ان يذبح ابنه عليه وسمي في سفر اخبار الايام الثاني (فصل ٣ عد ١) جبل الموريا اي جبل الرب على ان قمة الجبل كانت تضيق عن بناء الهيكل فلزم توسيعها وتسوية الارض واقامة جدار وعضائد متينة ارساخاً للبنآء فبني شرقاً وغرباً حائطان عظيمان متوازيان وردم ما بينهما واما في الشمال فخفضت الارض وترى الى الان صخراً في الجهة الشمالية الغربية قطع جزء منه فتكوّن منه حائط طبيعي لا يقل علوه عن ثمانية امتار . وعكس ذلك في الجنوب فان الارض هناك كانت منخفضة فاحتيج الى رفعها بعمل عقود باقية الى اليوم . ولكن قال دي فكوا (كتابه في هيكل اورشليم) ان العقود التي في جنوبي ساحة الحرم الشريف هي من صنع العرب على مثال ماكان اولاً وربما بقي شيء من بناء سليمان تحت الزاوية الجنوبية الغربية من الحرم وتحت الجامع الاقصى . وقال دي سولسي (في كتابه تاريخ الصناعة اليهودية صفحة ١٧٠) لا ريبة في ان سور الحرم هو سور هيكل سليمان . وقد قاس هذا العالم ساحة الهيكل على ما هي عليه الان فقال ان طولها شرقاً ٣٨٤ متراً وجنوباً ٢٢٥ متراً واما

غربيها فلا يقاس بخط مستقيم لميلة فيه الى جهتها الشرقية حتى كان شماليها اطول من جنوبيها وقاستها لجنة انكليزية فقالت ان طولها شمالاً ٢٠٤٢ قدماً انكليزياً وشرقاً ١٥٣٠ وجنوباً ٩٢٢ وغرباً ١٦٠٠ قدماً على ان هذه الساحة لم تكن في ايام سليمان على سعتها الان قال يوسيفوس (ك ٥ في حرب اليهود فصل ١) ان السور الخارج من جهة الجنوب وسّع في عصر المكابيين وقال ايضاً ان هيرودس وسّع السور وزاده اربع غلوات الى ست

ان الحجارة التي اقامها سليمان في اسوار الهيكل كانت غريبة في ضخامتها وقد قال الكتاب فيها (ملوك ٣ فصل ٥ عد ١٧) « وامر الملك ان يقلعوا حجارة كبيرة حجارة ثمينة لتأسيس البيت » وقال يوسيفوس (ك ١٥ فصل ١١ من تاريخ اليهود و ك ٥ في حربهم) ان هذه الحجارة من اغرب ما يسمع الانسان به وانه كان منها ما طوله اربعون ذراعاً (عشرون متراً) وقد بالغ فان اكبر الحجارة في بناء قلعة بعلبك لا يبلغ هذا الطول مع انها اكبر بلا مراء من الصخور التي في هيكل سليمان . وضخامة الحجارة في البناء من اصطلاحات الفونيقيين وذلك ظاهر في اورشليم وبعلبك واسوار طرطوس وهيكل عشتروت في الباف في قبرس وغيرها . قال العالم واران احد اعضاء اللجنة العلمية الانكليزية للبحث في فلسطين ان احتفاره في اورشليم ادّاه الى التحقيق ان سور الهيكل الجنوبي كان بناؤه في عصرين لان الجهة الشرقية من الباب المضاعف هي منذ عهد سليمان والجهة الغربية من ايام هيرودس واحسن ما حفظ هنالك من بناء سليمان انما هو الحائط الغربي حيث يجتمع اليهود كل يوم جمعة فينوحون على خراب الهيكل . الى ان يقول انه كشف في اسس ساحة الهيكل سنة ١٨٦٨ عن حجارة نقشت عليها حروف لا شك في انها فونيقية الا انه اعتاص عليه وعلى غيره من العلماء حل رموزها والراجح انها علامات وضعت على

هذه الحجارة في مقطعها لتعيين محل وضعها في البناء. والحاصل ان اكتشافات واران وابحاث دي فكوا في كتابه في هيكل اورشليم ودي سولسي في كتابه الموسوم بالصناعة اليهودية وكثير غيرهم من المدققين قد محقت كل ريب في صحة ما رواه الكتاب واتحفتنا ببينات دامغات على بقاء آثار كثيرة هناك من ايام سليمان

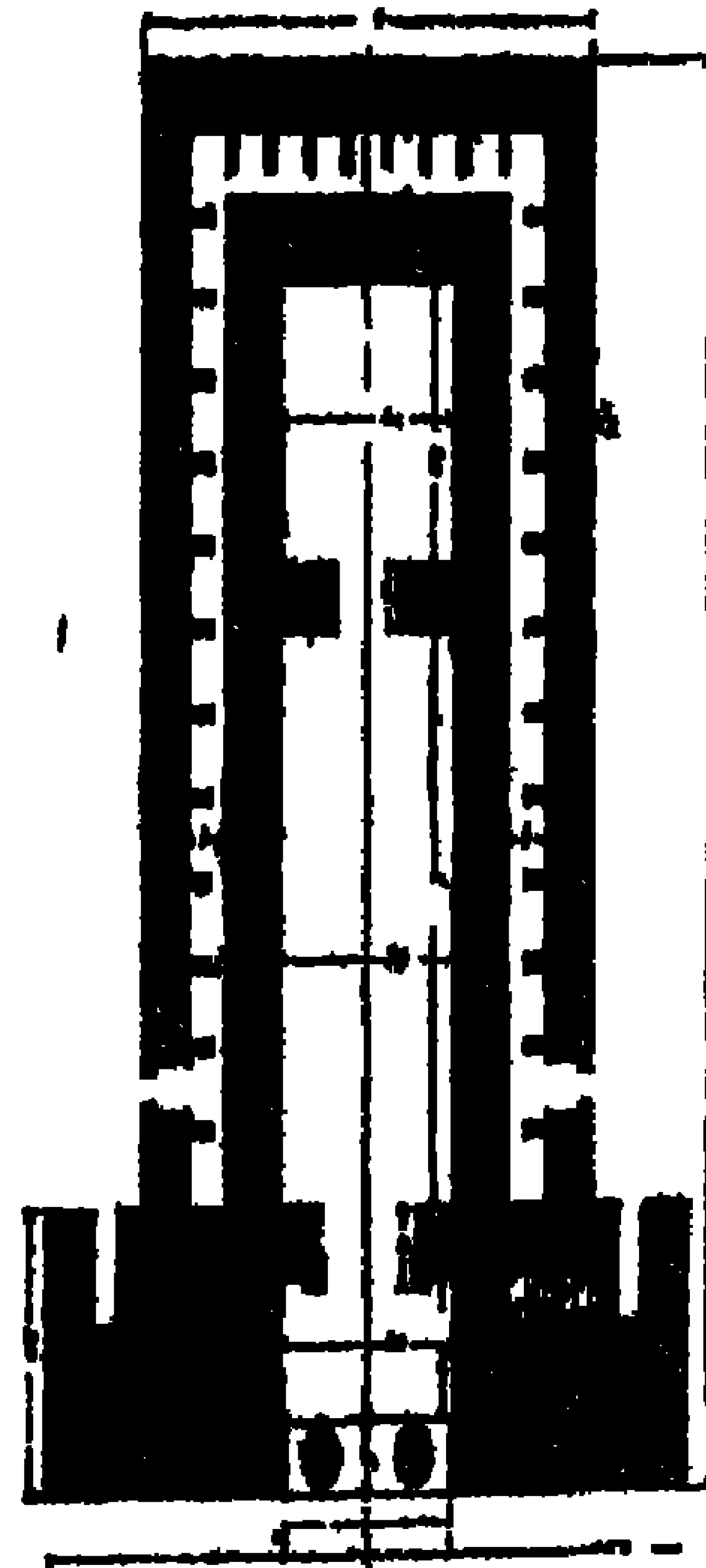
اما هيئة الهيكل فكانت اشبه بهيئة خباء المحضر الذي صنعه موسى في البرية فان عارضنا ما جاء في سفر الخروج عن الخباء بما جاء في سفر الملوك الثالث عن الهيكل الفينا الرسم واحدًا الا ان الهيكل كان ضعفي الخباء طولاً وعرضاً والخباء كان من اخشاب وانسجة وجلود والهيكل من حجارة مرصعة داخلاً باخشاب الارز والسرو ومصفحة او مغشاة بالذهب فلم تكن عظمة الهيكل بكبره واتساعه بل باتقانه وزخرفه ووفرة المواد النفيسة التي وشاها بها وكان طوله ستين ذراعاً (تقرب من ذراع ايامنا) وعرضه عشرين ذراعاً وعلوه عشرين ذراعاً في قدس الاقداس وثلاثين في باقيه وكان مقسوماً الى قسمين قدس الاقداس وكان طوله عشرين ذراعاً وعرضه وعلوه كذلك ولم يكن يدخله الا عظيم الاحبار مرة واحدة في السنة وكان فيه تابوت العهد حاوياً لوحي الوصايا وقسط المن ومظللاً باجنحة كاروبين كبيرين تتصل اجنحتهما بالحائطين ويماس احدها الاخر في الوسط . ثم القدس وهو موقف الشعب للصلاة وموضع تقدمة الذبائح وكان طوله اربعين ذراعاً وعرضه عشرين ذراعاً وعلوه ثلاثين ذراعاً وكان فيه عشر منائر من ذهب في كل منها سبعة مصابيح وعشر موائد من ذهب يوضع عليها خبز التقدمة خمس على اليمين وخمس على اليسار ثم مذبح البخور من خشب الارز مصفح بصفائح من ذهب وكان بين قدس الاقداس والقدس باب من خشب الزيتون وكان امام الهيكل رواق عرضه عشرين ذراعاً وطوله على ما في سفر اخبار الايام الثاني (فصل

٣ عد ٤) مئة وعشرين ذراعاً وبين ابوابه وابواب الهيكل عشرة اذرع وكان حول الهيكل ثلاثون مخدعاً في ثلاث طبقات وساحتان فسيحتان او داران تسمى احداهما دار الكهنة والثانية دار الشعب واما ما كان داخل الهيكل من النقوش والزين والترصيع والتصفيح بالذهب واخشاب الارز والسرو والآنية الذهبية والنحاسية وما كان في جوانبه من الاعمدة وهيئة البحر والمغتسلات كل ذلك يقصر عنه الوصف ويشذ عن العدّ ومن شآء اكثر تفصيل فليطالع الفصلين السادس والسابع من سفر الملوك الثالث والفصلين الثالث والرابع من سفر اخبار الايام الثاني وقد كمل بنآء الهيكل في سبع سنين وكان صانع ما كان في الهيكل من النحاس رجلاً اسمه حيرام ابن ارملة من سبط نفتالي وابوه من صور صانع نحاس ودونك صورة تمثل رسم الهيكل على ما كان عليه بنفسه

عد ٢٨٣

في تدشين سليمان الهيكل

لما اراد سليمان ان يدشن الهيكل وينقل اليه تابوت عهد الرب من حيث اقامه داود في صهيون جمع اليه شيوخ اسرائيل وجميع روسآء الاسباط وعظمآء بني اسرائيل وكبرآء مملكته جماعة عظيمة جدًّا اجتمعت « من مدخل حماه الى وادي مصر » (ملوك ٣ فصل ٨ عد ٦٥ وسفر اخبار الايام الثاني فصل ٧ عد ٨) فيظهر ان الحشد كان من اليهود وغيرهم وكان هذا التدشين في الشهر السابع بين تشرين الاول وتشرين الثاني في السنة الثانية عشرة للملك سليمان فحمل الكهنة تابوت عهد الرب من مدينة داود ووضعوه في المحل المعد له في قدس الاقداس مظللاً باجنحة الكاروبين واصعدوا ايضاً الى الهيكل الجديد خبآء المحضر الذي صنع في البرية مع كل آنية القدس التي كانت فيه وقد مر انه كان باقيًا في جبعون . وقدموا يومئذٍ ذبائح من الغنم والبقر عبَّر الكتاب عن كثرتها



صورة هيكل سليمان صفحة ٣٦٤

بقوله « ما لا يحصى ولا يعدّ » وذكر بعد ذلك انها كانت اثنين وعشرين الفًا من البقر ومئة وعشرين الفًا من الغنم وكان جميع الكهنة واللاويين اذ لم تراعَ وقتئذٍ قسمة الفرق وجميع المرنمين تحت يد اساف وهيمان ويدوتون مع بنيهم واخوتهم اربعة الاف مرنم وبيدهم الصنوج والعيدان والكنارات ومعهم مئة وعشرون كاهنًا يهتفون في الابواق جميعهم كرجل واحد في التسبيح والاعتراف للرب واقبل سليمان بوجهه وبارك كل جماعة اسرائيل الذين كانوا وقوفًا وخطب فيهم مذكرًا لهم باحسان الله اليهم واختياره داود اباه ليملك في شعبه ويملكه بعده وبتوفيق الله إياه ليبني له بيتاً ويخص اورشليم بهذا المجد المؤثّل الابدي ثم جثا سليمان امام مذبح الرب وبسط يديه نحو السماء وطفق يتذلل امام الله بتلك الصلوات الخاشعة والتوسلات الحارة المثبتة في الفصل الثامن من ثالث اسفار الملوك (من عد ٢٣ الى عد ٦٢) ومن جملتها لتكن عيناك مفتوحتين على هذا البيت الليل والنهار واستجب تضرع عبدك وشعبك الذين يصلون نحو هذا الموضع واذا اسآء احد الى صاحبه فاوجب عليه اليمين واتى ليحلف امام مذبحك فاقضِ بين عبيدك بان تحكم على المنافق وتذكي البار . واذا انهزم شعبك امام اعدائهم ثم تابوا وصلّوا اليك في هذا البيت فاسمع واغفر خطيئة شعبك وارأف بهم . واذا احتبست السماء عن المطر وصلوا نحو هذا البيت فاسمع واغفر وانزل المطر على الارض التي وهبتها لشعبك . واذا حدث في الارض جوع او وبآء او لفح غلال او يرقان او جراد او دَبى (وهو اصغر الجراد او هو قبل نبات اجنحته او النمل) فكل من صلى اليك في هذا البيت فاجزه بحسب طرقه وكذلك الاجنبي الذي اتى من ارض بعيدة لاجل اسمك لسماعهم بيدك القديرة فاذا صلى في هذا البيت فاسمع واصنع بحسب جميع ما يدعوك الاجنبي ليعرف الجميع اسمك ويتقوك ويعلموا ان اسمك دُعي على

هذا البيت (هذا تلطف من سليمان بالاجانب الشاهدين الحفلة واغراء لهم بعبادة الله) واذا خرج شعبك الى الحرب وصلوا الى جهة البيت الذي بنيت فاسمع واقضِ قضاءهم . واذا خطئوا اليك وجلاهم جالوهم وعادوا الى انفسهم وتابوا وصلوا اليك جهة ارضهم فاسمع وارجعهم من جلائهم

ولما اتمَّ سليمان هذه الصلوات هبطت النار من السماء واكلت المحرقة والذبائح وملأ الغمام بيت الرب شهادة لتقديسه له وكان الجميع معاينين هبوط النار ومجد الرب فخرُّوا بوجوههم الى الارض وسجدوا للرب ولبثوا معيدين فرحين سبعة ايام وعقبها عيد المظال فاحتفلوا له مدة سبعة ايام اخرى ثم انصرفوا طيبي القلب داعين للملك (ملوك ٣ فصل ٨ وسفر اخبار الايام الثاني فصل ٥ و ٦ و ٧) وتجلى الرب له ثانية وبشَّره بانه سمع صلاته وقدَّس البيت وامره ان يواظب العمل بوصاياه فيقرَّ ملكه وان زاغ هو والشعب عن رسومه فيقرض اسرائيل وينفي البيت الذي قدسه من حضرته فسجد سليمان واعدًا باتمام كل ما امر الرب به

عد ٢٨٤

في باقي ابنية سليمان في اورشليم

قد احدث سليمان ابنية اخرى عديدة في اورشليم وغيرها نذكر هنا ما انشأه في اورشليم وجوارها ونأتي في العدد التالي على ذكر باقي اثاره . بنى سليمان في اورشليم قصورًا اشهرها القصر المسمى غابة لبنان لا لانه كان في لبنان كما وهم بعض القدماء بل لكثرة ما كان فيه من اخشاب ارز لبنان وانبأنا الكتاب (ملوك ٣ فصل ٧) انه كان مئة ذراع طولاً وخمسين ذراعًا عرضًا وثلاثين ذراعًا سمكًا بناه على اربعة صفوف من عمد الارز وكان على العمد جوائز من الارز وسقفه بالارز من فرق . وكان في هذه الدار خمس واربعون

غرفة في ثلاث طبقات كل طبقة خمس عشرة غرفة وصنع رواقاً امام العمد طوله خمسون ذراعاً وعرضه ثلاثون ذراعاً وانشأ رواقاً آخر سمي رواق العرش لانه كان يجلس فيه للقضآء وكان مصفحاً بالارز من الارض الى السقف . وبنى ايضاً داراً اخرى لسكناه بديعة الصناعة لم يبن الكتاب لنا طولها وعرضها وعدد غرفها ولكن لا جرم انها كانت كثيرة لكثرة نسآء الملك وحاشيته بل انبأنا بان جميع ابنية سليمان هذه كانت من حجارة ثمينة على قياس الحجارة المنحوتة منشورة بمناشير من داخل ومن خارج من الاساس الى الشرفات وان الاساس كان من حجارة ثمينة ضخمة طول بعضها عشر اذرع وبعضها ثماني اذرع . وقد اثبتت اكتشافات واران المشار اليه سنة ١٨٦٨ وسنة ١٨٦٩ ان هذه الدار كانت في الزاوية الجنوبية الشرقية من الحرم . وبنى سليمان داراً خصها بامرأته بنت فرعون ورأى كلمت ان سليمان لم يشأ ان تسكن امرأته هذه قريبة من الهيكل لانها وثنية . وبقي سليمان في عمل هذه الدور ثلاث عشرة سنة

قد اجرى سليمان المآء الى اورشليم من المحل المعروف ببرك سليمان في الجنوب الغربي من بيت لحم وبيت جالا . ورأى بعض المفسرين ان سليمان اشار الى هذه البرك بقوله في سفر الجامعة (فصل ٢ عد ٦) « صنعت لي برك مآء لاسقي بها الخمائل النامية الاشجار » وفي سفر نشيد الانشاد (فصل ٤ عد ١٢) « اختي العروس جنة مقفلة وعين مختومة » فقالوا اراد ببرك المآء البرك المنسوبة اليه وبالعين المختومة العين القريبة من هذه البرك على مئة وثلاثين خطوة من البركة العليا منها وتسمى الان راس العين وعين صالح . قال الاب فيكورو (الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ٥٠٦) ان مآء العين المختومة كان يقسم في قناتين احداهما تصب في البرك والثانية يجري المآء فيها الى اورشليم وان العالم واران الانكليزي راى انه كان ثمة ثلاث قنوات متباينة

العلو لكنه لم يجد اثرًا منها الا للعليا والسفلى فالعليا يجري بها ماء العين المختومة والماء الذي يجتمع عن الصخور في وادي بيار فيتصل بالماء المذكور في قرب البركة العليا وما فاض منه انصب في البرك واثار هذه القناة ظاهرة الى بيت لحم وكانت تتصل الى اورشليم وتصب عند باب يافا . واما القناة السفلى فآثارها باقية وكان يجري بها ما فاض في برك سليمان وماء عين عتان وماء وادي عروب ويصب عند الهيكل حيث الحرم الان وموقع العين المختومة يعلو ستين مترًا على موقع الحرم

قال كاران (ك ٣ في اليهودية صفحة ١١١ وما يليها) في العين المختومة انها تحت الارض ويعسر كثيرًا النزول اليها وانه كابد مشقة بنزوله الى اصل الينبوع فوجد ثمة غرفتين معقودتين بحجارة منحوتة محكمة التركيب وقناة توصل الماء الى البركة العليا من برك سليمان . وانه ييسر كثيرًا ختم هذه العين ومنع الاستقاء منها بوضع حجر على بابها تعلوه العلامة الملكية الى ان قال لا اعرف ينبوعًا آخر في فلسطين يصدق عليه اسم العين المختومة كما يصدق على هذه العين وان الاظهر والارجح عنده ان هذه البرك من صنع سليمان واثبت ذلك باجماع المسلمين والنصارى واليهود على حفظ التقليد الذي يعزوها الى سليمان وان هيئة بنائها المتين توجب نسبتها اليه وان طرأ عليه زيادات واصلاحات حديثة واذا كان سليمان صنع تلك البرك هناك ليسقي الخمائل فلأن يكفي عاصمته والهيكل مؤونة الماء هو الاولى اي ان القناة الموصلة الماء الى اورشليم هي من صنع سليمان ايضًا ولم ينفرد كاران بهذا المذهب بل هو مذهب كثير من المدققين ايضاً . على ان يوسيفوس قال (في ك ٢ في حرب اليهود فصل ١٤) ان بيلاطس البنطي احدث اضطراباً بين اليهود لانه اراد ان يأخذ مالاً من تقادم القربان ليجري الماء الى اورشليم من ينبوع

يبعد عنها اربع مئة استادة (اي غلوة والغلوة نحو ثلث مئة ذراع) وقال في تاريخ اليهود (ك ٨ فصل ٧) انه يبعد مئتي غلوة لكن الصحيح ان بيلاطس اصلح القناة التي كانت من عهد سليمان لا انه احدثها وقال دي سولسي (في رحلته الى سورية وحول البحر الميت مجلد ٢ صفحة ٣٥٧) « لا اتوقف دقيقة في ان كل ما يرى من اثار القناة في طريق بيت لحم انما هو من صنع ملوك يهوذا ... ولم يصنع بيلاطس الا مرمّة القناة القديمة » والقناة من برك سليمان الى اورشليم ما برحت محفوظة وان غير صالحة لجلب الماء اليها . وقد عني كامل باشا وثريا باشا عند ولايتهما على القدس سنة ١٨٥٦ وسنة ١٨٦٠ بمرمة هذه القناة وجلب الماء ليصب في بركة في الحرم

قال سليمان في سفر الجامعة (فصل ٢ عد ٤ و ٥) « اتخذت اعمالاً عظيمة وبنيت لي بيوتاً وغرست لي كروماً وانشأت لي جنات وفراديس وغرست فيها اشجاراً من كل ثمر » وروى يوسيفوس (في ك ٨ من تاريخ اليهود فصل ٢) ان سليمان كان يخرج من اورشليم غدوة مصحوباً بجنده ممتطياً مركبة بديعة متشحاً بسربال ابيض ويمضي الى محل في البرية بعيد عن اورشليم ستين غلوة واسمه عثان طلباً لترويح القلب اذ كان له هناك جنات غنّاء وينابيع مفرحة وارض خصبة . وقال الاب فيكورو (في المحل المذكور صفحة ٥٠٧) وكاران (كتاب ٣ في اليهودية صفحة ١٠٥) ان منتزه سليمان هذا وجناته كانت في وادي ارطاس القريب من عثان وانها هي الجنة المقفلة التي شبّه محبوبته بها في آية سفر النشيد المذكورة آنفاً وقد اثبتا قولهما بشهادة يوسيفوس وبالتقليد الذي حفظه المسلمون والنصارى واليهود اذ يسمون محلاً في ارطاس ببستان سليمان ومما قاله كاران (في المحل المذكور) « وعليه فارى ما يراه سكان فلسطين واكثر الجوالة ان وادي ارطاس هو الجنة المقفلة » ولاحظ كوارسميوس

انها وصفت بمقفلة لا لاقفالها بجدار صناعية بل لاحاطتها بتلال واكام طبيعية .
وتسمية هذا الوادي وادي ارطاس يحتمل ان تكون من ايام الرومانيين فان Hortus (أرطوس)معناها في اللاتينية الجنة والبستان وقد عبرت النسخة اللاتينية عن الجنة المقفلة بهذا اللفظ . وفي هذا الوادي الان جنة لرجل يهودي الاصل وقد انحاز الى مذهب البروتسطنت يسمى ما شولام . وقد غرس من بضع سنوات هناك كثيرًا من الاشجار والبقول التي تربى في اوربا فنمت اتم نماء

لم يجتزئ سليمان بما جمّل اورشليم به من بناء الهيكل والقصور واجراء الماء اليها بل حوطها باسوار تتكفل برد العدى عن عاصمة ملكه (ملوك ٣ فصل ٩ عد ١٢) وكان داود حصّن مدينة صهيون باسوار فسوّر ابنه اورشليم كلها بسيران منيعة . وقد حُصّنت اورشليم بعد ذلك مرات ولاسيما في ايام هيرودس واكثر اصحاب البحث يرون ان الحجار الضخمة التي في الجنوب الغربي من الحرم حيث يجتمع اليهود للمناحة كما مر انما هي من بقايا اسوار سليمان ولهم ابحاث طويلة رابكة في اسوار اورشليم وتمييز آثار احدها عن آثار الاخر نضرب عن ذكرها حبًا بالايجاز

﴿ عد ٢٨٥ ﴾

في ابنية سليمان في غير اورشليم

قد حصّن سليمان حاصور ومجدّو (ملوك ٣ فصل ٩ عد ١٥) وجعلهما قلعتين تصدان الاعداء عن الدنو عن عاصمة ملكه من جهة الشمال اما حاصور فموقعها فوق بحيرة الحولة في جنوبي جبل الشيخ . وقال كاران (مجلد ٢ في الجليل صفحة ٣٦٤) انها كانت في المحل المسمى الان تل الهراوي وتابعه على ذلك ويلسون ولكن ذهب روبينسون الى انها كانت في محل خربة الحريبة ودي سولسي الى انها كانت في محل خربة الخان والخربتان على مقربة من تل

المراوي المار ذكره . وحاصور هي مدينة يابان الذي حارب يشوع بن نون (يشوع فصل ١١ عد ١) ويابان الاخر الذي ضايق بني اسرائيل وظفر به باراق ودابورة (قضاة فصل ٤ عد ١) كما مر . واما مجدّو فقال فيها كاران (مجلد ٢ في السامرة صفحة ٢٣٥) انها المسماة الان لجون في الجنوب الغربي من الناصرة على مدخل مرج ابن عامر من جهة الغرب ولا ريب في انها المسماة في ايام الرومانيين Legio (لاجيو وتأويلها فرقة من الجنود) فكأنها كانت مخفرًا يقيم فيه بعض جنودهم . وقد اثبت روبنسون (في كتابه الابحاث الكتابية في فلسطين مجلد ٢) ان مجدّو هي لجون الان ببراهين عديدة منها ان الكتاب ذكر غالبًا مجدّو وتعناك معًا ولا وجه لذلك الا القرب بين المحلين وتعناك هي تعنق الان ولا تبعد عن لجون الا اربعة اميال فاذًا مجدّو هي لجون . وجاء كذلك في كتاب الاعلام الكتابية مع زيادة عليه بان بعضهم رأى ان مجدّو كانت في المحل المسمى اليوم تل المتسلم على مقربة من لجون شمالاً . وقد مرَّ بنا مرات ذكر مجدّو واهميتها عند القدماء وحروب المصريين فيها وقال مسبرو (في تاريخه القديم لشعوب المشرق صفحة ١٩١) كان الفراعنة اذا افتتحوا مجدّو لم يلاقهم من يقاومهم الى قادس في جانب حمص ولذلك جدَّد سليمان بناء مجدّو او حصنها باسوار لتكون قفلاً لعاصمته من جهة الشمال

وحصّن سليمان ايضاً جازر وبيت حورون السفلى (ملوك ٣ فصل ٩ عد ١٧) اما جازر فقد مر في كلامنا على زواج سليمان بابنة فرعون ان ملك مصر كان افتتحها ووهبها مهرًا لابنته امرأة سليمان وانها كانت في محل تل جازر الان . واما بيت حورون السفلى فقد مر في عد ٢١٧ انها المسماة الان بيت اور في الغرب الشمالي من الجب وانها محلتان عليا وسفلى فجاء في المحل

المذكور في سفر الملوك ان سليمان بنى اي حصن بيت حورون السفلى وفي سفر اخبار الايام الثاني (فصل ٨ عد ٥) انه « بنى بيت حورون العليا وبيت حورون السفلى مدينتين محصنتين بالاسوار والابواب والمغاليق » وبيت اور في جانب الطريق المؤدي من يافا الى القدس واول من حقق انها بيت حورون انما هو العلامة كلارك ولم يخالفه احد الى اليوم

وجاء في سفر الملوك الثالث (فصل ٩ عد ١٨) وبنى سليمان « بعلة وتدمر في البرية » وفي سفر اخبار الايام الثاني (فصل ٨ عد ٣) « ومضى سليمان الى حماة صوبة وتغلب عليها وبنى تدمر في البرية وجميع مدن الخزن التي بناها في حماة » اما بعلة فسنفرد لها العدد التالي واما تدمر فقال فيها يوسيفوس (ك ١٣ فصل ٢ من تاريخ اليهود) « ان هذا الملك السعيد بعد ان استحوذ على البرية التي في اعلى سورية بنى هنالك مدينة كبرى على مسافة يومين عن سورية العليا ويوم واحد عن الفرات وستة ايام عن بابل الكبرى وقد رأى بناء هذه المدينة لازمًا على بعده من محال سورية المأهولة اذ لم يكن الا هنالك ينابيع وآبار يستقي المسافرون الماء منها واحاطها باسوار منيعة وسماها تدمر (اي العجيبة) وكذلك سماها السريان واما اليونان فسموها بلميرا اي النخيل » على انه لم يكن الداعي لبناء سليمان تدمر غزارة مائها فقط بل تعمد فيه تأمين طريق الفرات ايضًا من سطو البدو على المارة والتجار . قال الاب فيكورو (الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ٥١١) ان خضوع اهل حماة صوبة قد وطّد ولاية الاسرائيليين على تلك الانحاء فاصبحت القوافل تسير من دمشق وحماة الى تدمر ومن تدمر الى تبسك (على الفرات) آمنة من سطو العرب والاراميين فانشاء سليمان تدمر من اعظم آيات حكمته وكانت محطة كبرى للتجارة فمن عهد سليمان الى عهد الرومانيين كانت اكثر القوافل التي

تيمّم شطوط الفرات او دجلة تسير من هذه المدينة وتأوب اليها ببضائع الفرس والهند الثمينة وقدّر بلينيوس تجارة رومة وحدها في تدمر بما يساوي خمسة وعشرين مليون من الفرنكات في نقود ايامنا على ان الآثار الباقية الان في تدمر ليست اطلال بناء سليمان بل من آثار الرومانيين واقدم اثر فيها لا يجاوز قدمه صدر التاريخ المسيحي وقد كشف دي فكوا هناك عن مئة واربعة وثلاثين اثرًا مكتوبًا ولم يكن معروفًا قبله الا ثلثة عشر اثرًا (كتابه في الخطوط السامية في سورية انتهى كلام فيكورو ملخصًا) وكان للرومانيين في تدمر حرب عوان مع اميرتها زينب المعروفة عند عامتنا بزبيدة ولا محل في هذا الجزء لاستقصاء اخبارها

وقد انبأنا الكتاب (في المحل المذكور) ان سليمان بنى ايضًا مدنًا للخزن ومدنًا للمركبات والفرسان في اورشليم ولبنان وكل ارض سلطانه والمراد انه بنى مخازن كبيرة وعديدة يجمع بها الغلال وحصونًا ومخافر يقيم بها الجنود ومرابط للخيل ومواضع للمركبات في اورشليم وفلسطين ولبنان وسائر البلاد التي ولي امرها ويظهر ان المخافر كانت تمتد من اورشليم الى حماة وتدمر شمالاً والى مصر وايله على شط البحر الاحمر جنوبًا لاستتباب الراحة وتأمين الطرق قال يوسيفوس (ك ٨ من تاريخ اليهود فصل ٢) « ان ما أوتيه سليمان بفضل الله من الحكمة كان يعم كل شيء ولا تغفل عنايته عن شيء فقد اهتم بتمهيد الطرق العامة ورصّف بالحجارة السوداء كل السبل المؤدية الى اورشليم من انحاء فلسطين رغبًا في راحة ابناء السبيل وعنوانًا لمجده » وكان سليمان قد اخضع لسلطانه كل من كان باقيًا من الاموريين والحثيين (في مملكته) والفرزيين والحويين واليبوسيين وخص يوسيفوس بالذكر « الكنعانيين الذين كانوا يسكنون انحاء لبنان الى حماة » وكان يسخّر هولاء في الابنية ورصف

الطرق وغيرها من الخدم الدنيئة ويصطفي من بني اسرائيـل رجالاً للحرب وخداماً في بلاطه وفرساناً ورؤساء للجنود وقادة للمركبات. وكان منهم خمس مئة وخمسون رجلاً يتسلطون على الاجانب العاملين (ملوك ٣ فصل ٩)

عد ٢٨٦

في بعلة التي بناها سليمان وبعلبك

قد عدَّ الكتاب بعلت من جملة المدن التي بناها سليمان وذهب بعض المفسرين والجوّابين والعلماء الى ان المراد بها بعلبك قال احدهم ربيا دي بوكاج « ان بعلت التي بناها سليمان والاولى ان يقال جدَّد بناءها في الوادي الخصب الفاصل بين لبنان الغربي ولبنان الشرقي المسمى الان البقاع انما هي مدينة بعلبك وتأويلها مدينة الشمس وسماها اليونان اليوبولي مترجمين اسمها القديم ترجمة مدققة وفي هذه المدينة التي كانت الشمس معبود اهلها آثار بديعة بقيت اطلالها وهيكل الشمس فيها من اعظم ما يحمل على العجب العجاب » وقال كاران (في احد فصوله في المجلة المعروفة بالارض المقدسة سنة ١٨٨٢) ان هذا القول يمكن الاعتماد عليه وخالفه روبينسون في المباحث الكتابية . وذهب اكثر المحققين ان بعلت هذه لا يراد بها بعلبك بل مدينة اخرى في فلسطين وقد كثرت المدن المسماة ببعلت في هذه البلاد فمنها بعلت في نصيب دان ورد ذكرها في سفر يشوع (فصل ١٩ عد ٤٤ حيث قيل « وجبتون وبعلات وهود » وبعلة في نصيب يهوذا ورد ذكرها هنالك (فصل ١٥ عد ٩) حيث قيل « ويمتد التخم الى بعلة التي هي قربة يساريم » (قرية ابي غوش) وبعلة اخرى في جنوبي نصيب سبط يهوذا ايضاً ذكرت هنالك (فصل ١٥ عد ٢٩) حيث قيل « بعلة وعييم » وقد رجح معجم الكتاب لفيكورو ان بعلة التي بناها سليمان انما هي بعلت الوارد ذكرها في الفصل التاسع عشر من سفر يشوع بين

جبتون ويهود ولما كانت يهود محل اليهودية الان في شرقي يافا على رأي اكثرهم وجبتون في محل قرية كيبية في الجنوب الشرقي من اليهودية يُرجح ان يكون موقع بعلت بين يهودية وكيبية في نواحي يافا وقال بعضهم ان بعلت كان موقعها في دير بلوط في تلك الانحآء وان ليس كلمة بلوط الا تصحيف كلمة بعلة ورجح كاران هذا التصحيف (مجلد ٢ في السامرة صفحة ١٣٠) وفي كتاب الاعلام الكتابية ان بعلت كانت في المحل المسمى اليوم بلعين على مقربة من بيت اور السفلى في الشمال الغربي منها

ومثل هذا الخلاف في ان بعلة يراد بها بعلبك او غيرها الخلاف في اعلام اخرى وردت في الكتاب واثبت بعضهم ان المراد بها بعلبك وانكره غيرهم ومن هذه الاعلام بعل جاد التي ذكرت في سفر يشوع (فصل ١١ عد ١٧) حيث قيل « من الجبل الاملس الممتد جهة سعير الى بعل جاد في جمة لبنان » فقال طمسون وريتر وغيرهما ان المراد بعلبك وخالفهم روبينسون في المحل المذكور ومنها بعل هامون الوارد ذكرها في نشيد الانشاد (فصل ٨ عد ١١) بقوله « كان لسليمان كرم ببعل هامون » فقال ويلسون المراد بذلك بعلبك وخالفه غيره ومنها بقعة اون التي ورد ذكرها في نبوة عاموس (فصل ١ عد ٤ وما يليه) حيث قيل « فارسل نارًا على بيت حزائيل فتاكل قصور بنهدد واكسر مزلاج (مغلاق) دمشق واستأصل الساكن من بقعة اون والقابض على الصولجان من بيت عدن » فقال كثيرون منهم كلمت ايضًا ان بقعة اون يراد بها البقاع اي السهول الفاصلة بين لبنان الغربي ولبنان الشرقي ومدينتها وهي بعلبك . ولذلك مخالفون (ملخص عن معجم الكتاب لفيكورو)

وقد ورد اسم بعلبك في الآثار المصرية قبل سليمان مسماة تيقعات (مسبرو في تاريخه القديم لشعوب المشرق صفحة ١٩١ طبعة ٤) وسماها

اليونان والرومانيون اليوبولي اي مدينة الشمس لعبادة اهلها الشمس كاليوبولي في مصر وعادت تسمى بعلبك في صدر الاسلام والى اليوم وقال بعضهم ان الاسم العربي ترجمة اليوبولي اليونانية لان بك بمعنى مدينة ولا تخفى المقاربة بين بعل وال او اليوس فيكون المعنى مدينة البعل اي اليوس باليونانية وهو الشمس ولكن بكّ لم ترد باللغات السامية بمعني مدينة بل وردت باكي في اللغة المصرية بهذا المعنى ولذلك قال بعضهم ان الكلمة منحوتة من بعل وبك في العربية بمعنى زاحم وتباكّوا على الشيء ازدحموا عليه فيكون اسم المدينة مشيرًا الى كثرة البعول المعبودة فيها او الى ازدحام الناس لعبادة الالهة فيها كما سمي بطن في مكة بكة لازدحام الناس فيه وظن رنان (في كتابه في فونيقي) ان ما اسم بعلبك الا مكسر بعل بقاع مقابلاً لبعل حرمون واذا صح ان سليمان بنى شيئًا في بعلبك كما يقتضيه جعله تدمر محطة للتجارة وبعلبك في وسط الطريق اليها فلا يصح انه اول بانٍ لها لان ابنيتها السفلية قاضية بانها قبل عصر سليمان وتؤيده ضخامة الصخور المنقطعة النظير المبني بها جدارها الغربي وهي اكبر كثيرًا من الحجارة التي في هيكل اورشليم واسوارها ومن يظن ان سليمان اراد ان يولي بعلبك عظمة لم يولها بيت ربه وقصوره في مدينته واسوار عاصمته . ولم يقف اهل البحث الى الان على تاريخ مؤكد لبناء بعلبك والاظهر عندهم انها من صنع الفونيقيين والكنعانيين القدماء استمساكًا بتسميتها ببعل وهو معبود الكنعانيين وضخامة صخور بنائها وهذا من اصطلاحات الفونيقيين وظاهر في كثير من اطلالهم وان عزا رنان (في فونيقي صفحة ٣١٩) وبرو (في تاريخ الصناعة في القدم مجلد ٣ صفحة ١٠٥) تلك الصخور الضخام الى الرومانيين ايضًا سندًا الى ان في اثار الرومانيين ما يشبه هذه الصخور واما زمان بنائها فغير معلوم . وقد تكلم فيها دي لامرتين في كتاب رحلته الى

المشرق (مجلد ٢ صفحة ١٥٧) مبـديًا العجب العجاب من آثارها وعاذرًا العرب بوهمهم انها ليست من عمل البشر بل من صنع الجن وحسب ان صخورها نقلها الجبابرة الاقدمون او الرجال الذين كانوا قبل الطوفان . واما اخربة الهيكل او الهياكل الكائنة في اعلاها فهي من صنع الملوك الرومانيين . فقد ذكر يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ٨ فصل ٣) ان بومبايوس مرَّ بها متوجهاً الى دمشق وكان اهلها خاضعين للرومانيين . ويوليوس قيصر جعلها جالية رومانية وانطونينوس بيوس الذي استوى على عرش الملك من سنة ١٣٣ الى سنة ١٦١ للمخلص انشأ فيها هيكلاً كبيرًا تكرمة لجوبتير (المشتري) ويرى على مسكوكات سبتيموس ساويروس (الذي رقى منصة الملك سنة ١٩٥ وتوفي سنـة ٢١١) صورة هيكل ورواق امامه قائم على عشرة اعمـدة وصورة هيكل آخر قائم على اعمدة عديدة اشبه بما يرى الان في بعلبك فلعل انطونينوس بنى الهيكل الكبير وسبتيموس بنى الرواق والهيكل الصغير وكان من معبودات اهلها الزهرة ربة العشق وما ادراك ما كان هنالك من الفواحش الى ان ادخل قسطنطين الدين المسيحي في مدينة الشمس والعشق وبنى هناك كنيسـة كبرى (ذكره اوسابيوس في ترجمة قسطنطين)

﴿ عد ٢٨٧ ﴾

في تجارة سليمان

ان ابنية سليمان ومهامه الكبيرة ومظاهر عزه الباذخ وشرفه الشـامخ كانت تستلزم نفقات وافرة لا تفي بها المكوس والضرائب والجزيات والهدايا فحذا حذو ملك صور باتجاره غير مراعٍ ما حذر الرب منه من يقوم ملكاً في اسرائيل بقوله « لا يستكثر من الخيـل فلا يرد الشعب الى مصر بسبب كثرة الخيل ... ولا يستكثر من النساء لئلا يزيغ قلبه ولا يبالغ في استكثار

الذهب والفضة . (تثنية فصل ١٧ عد ١٦ و ١٧) فلم يكتفِ سليمان بوضع المكوس على سلع التجارة الواردة الى مملكته بل اخذ يزاحم التجار بنقل السلع اليها من بلاد العرب ومصر وما بين النهرين وكان اتجاره في مصر بشراء المركبات والخيل فكان تجاره يشترون المركبة بست مئة من الفضة وقدرها فيكورو بنحو من الف وسبع مئة فرنك والفرس بمئة وخمسين اي بنحو من اربع مئة وخمسين فرنكاً وكان سليمان يستبقي بعض هذه المركبات والخيل لنفسه ويبيع باقيها من جميع ملوك الحثيين والاراميين (ملوك ٣ فصل ١٠)

قد مرّ في عد ١٥٤ ان الملوك الرعاة جابوا الخيل الى مصر ولم تكن فيها قبلهم وابانت آثار مصر انه كان لملوكها بعد ذلك ولوع شديد بالخيل ولا سيما في عهد الدولتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة اي قبل خروج بني اسرائيل من مصر . وكانوا يحفظون سلسلة خيلهم كما صنع العرب بعدهم فيزداد ثمن الفرس ما ازداد تحقيق اصله بل حفظت الاثار اسماء بعض الافراس التي كانت تجر مركبات الملوك . وقد اكتشف العالم مريات صفيحة في ناباطا في مصر كتب عليها سنة ٧٤٥ ق م ما محصله ان مصر كانت يومئذٍ منقسمة الى امارات عديدة وفي كل منها سلالة من اصل خيل يقدمون اجودها للغازي الحبشي الذي كان يسمى بيانكي مريمان وان سوق التجارة بالخيل كانت رائجة وقتئذٍ رواجها ايام سليمان . ويتبين من هذه الاثار ومن صور الخيل التي ترى عليها ان خيل مصر كانت اكبر واجود من خيل بلاد العرب وسورية . وقد اكسبتنا هذه الاثار فصل الخلاف الذي كان بين مفسري الكتاب في ما اذا كانت مركبات سليمان تُجَرّ باربعة افراس او اقل فقد ظهر الان انها كانت تُجَرّ بفرسين فقط لان صور المركبات المصرية من حربية وغير حربية لا يُرى فيها الا فرسان

على ان تجارة سليمان في مصر لم تكن رابحة كتجارته البحرية فقد كان سليمان يعلم ان غنى اهل فونيقي وثروتهم منبعهما اسفارهم البحرية ولكنه لم يكن له من يصنع السفن ولا من يمارس الملاحة فلجأ الى صديقه حيرام ملك صور ليمده بصانعي سفن وملاحين وكان الفونيقيون استحوذوا على البحر المتوسط ولم يكن لهم مرفأ على البحر الاحمر او خليج العجم ولم تكن لهم وسيلة ليستأتوا سلع بلاد العرب والكلدان والهند الا القوافل فاشتراك المنفعة بين الملكين دعاهما الى عقد شركة بينهما وارسل حيرام عملة يصنعون السفن في عصيون جابر على خليج عقبه وهو ترعة شرقية من البحر الاحمر تقابل ترعة السويس الغربية وقد مر ذكر عصيون جابر في مراحل بني اسرائيل وهي في جانب ايله وقال فيكورو (الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ٥٢١) انها كانت في محل القرية المسماة الان عقبة حيث منزلة الحجاج المصريين. وقد مضى سليمان الى هناك عند صنع هذه السفن وقد صرَّح بذلك سفر اخبار الايام الثاني (فصل ٨ عد ١٨) حيث قيل « ثم ذهب سليمان الى عصيون جابر والى ايله »

قد جاء في سفر الملوك الثالث (فصل ١٠ عد ٢٢) في النسخة اللاتينية العامية ان هذه السفن كانت تذهب الى ترشيش ولكن ترشيش يراد بها اسبانيا التي كانت سفن الفونيقيين تسير اليها طلبًا للفضة والنحاس فاصح من ذلك ما جاء في النص العبراني « لان الملك كانت له في البحر سفن ترشيش مع سفن حيرام فكانت سفن ترشيش تأتي مرَّة في كل ثلث سنين » فالمراد بسفن ترشيش السفن الكبيرة القوية كما يسمي الانكليز اليوم جميع سفنهم الكبيرة القوية هندية وان لم تسِرْ الى الهند بل لمجرد الاشعار بعظمتها ومتانتها ولا يظن ان الفونيقيين ارادوا ان يقاسموا سليمان غنائمهم من اسبانيا . والسفن المصنوعة في عصيون

جابر يستحيل عليها البلوغ الى اسبانيا الاَّ ان تدور حول افريقية كلها . فاذًا لم تكن سفن سليمان تسير الى اسبانيا بل الى اوفير كما هو مصرح في سفر الملوك الثالث فصل ٩ عد ٢٨

عد ٢٨٨

في اوفير محل تجارة سليمان وسلع تجارتها

كتب بعض اهل العلم كتبًا في تحقيق موقع اوفير فقال بعضهم انه ببلاد العرب وغيرهم انه بافريقية الشرقية وآخرون انه بجزيرة سيلان او ملاكا من اعمال الهند وغيرهم غير ذلك . وما كان له وجه معقول من هذه الاقوال ثلثة اولها ان اوفير بافريقية الشرقية لان هنالك محلاً يسمى فورا ويضعفه ان فورا بعيدة عن البحر نحو مئتي ميل فلا يسار اليها بسفن . والثاني انها ببلاد العرب ودليله ان احد ابناء يقطان سمي اوفير وسكن في بلاد العرب فسمي المحل باسمه (طالع عد ٣٩) وهذا مردود بان السفر الى اوفير هذه لا يستلزم صرف ثلث سنين كما نص الكتاب وبان وحدة الاسم لا تقضي بوحدة المسمى . والثالث وهو الاظهر والاشبه بالصواب هو ان اوفير عمل في الهند واثبت هذا القول ذووه بادلة كانها قاطعة منها ان اسماء السلع التي كانت سفن سليمان تقلها من اوفير عدا الذهب وهي القردة والطاووس وخشب الصندل والعاج ليست عبرانية ولدى البحث عن اصلها وجد انها من لغة السنسكريت الهندية فقال العالم لاسان Lassan في كتابه في الهند الذي طبع سنة ١٨٦٦ الى سنة ١٨٧٤ ان كلمة كوف او قوف التي عبر بها الكتاب عن القردة هي في لغة الهنود كابي واصل وضعه للدلالة على الخفيف او السريع وابدل الباء بالفاء مطروق كثيرًا وكوف ليست عبرانية فهي من كابي الهندية . وكلمة تيكيم او تيكي التي عبر بها الكتاب عن الطاووس ليست عبرانية اصلاً واهل الملابار يسمون

الطاووس توكي فان حذفت من تيكيم الواردة بالعبرانية حرفي الجمع اي الياء والميم بقيت الكلمة تيكي او توكي كما هي في الهندية وزد على ذلك ان هذا الطائر هندي اصلاً ولا يرى برّيًا الا فيها . وكذلك كلمة الموك او الكوم التي عبر بها الكتاب عن خشب الصندل ليست عبرانيـة بل ان هذا الخشب يسمى في اللغة السنسكريتية والكو او والكوم ولا يوجد الا في اعمال الهند وكذا قل في العاج الذي كان من سلع تجارة سليمان فانك ترى الكتاب يسميه في الاصل العبراني سان او سان كرنوت اي سنًا او سن القرن الا عند الكلام في تجارة سليمان فيسمى سان هبّيم فالفيل يسمى في اللغة الهندية ايبها كسرت فصارت هبًا فالحق الكاتب العبراني بها علامة الجمع واضاف اليها لفظة سان فصارت سان هبّيم اي سن الفيل او سن الافيال فاخذ هـذه الكلمات عن اللغة الهندية دالّ على ان اوفير التي أُتي منها بهذه السلع هي من اعمال الهند ويؤيد هذا الدليل كثرة معادن الذهب في الهند ولا سيما في جبال حملايا وصرف ثلث سنين في المضي الى اوفير والعود منها كما نص الكتاب ولو كانت اوفير في بلاد العرب او افريقية الشرقية لما لزم صرف كل هذه المدة ويؤيده ايضًا قول يوسيفوس (في ك ٨ فصل ٢ من تاريخ اليهود) . ان حيرام الملك ابدى لسليمان خالص الوداد فانه ارسل اليه ما شاء من الملاحين الماهرين بسفر الابحار ليمضوا مع عبيده لجلب الذهب من عمل من اعمال الهند كان يسمى سوفير واسمـه الان بلاد الذهب . وسمت الترجمة السبعينية اوفير سوفير واللغة القبطية تسمي الهند سوفير وقال القديس ايرونيموس (كتابه في الاماكن العبرانية) ان اوفير عمل في الهند وتابعه على ذلك غيره من الاباء والعلماء فكل ما مرّ يثبت ان اوفير عمل في الهند

ويرجح ان هذا العمل كان عند مصب الهندوس حيث كان يتيسر لسكان

شمالي الهند ان ينقلوا ذهبهم وحجارهم الثمينة وسلع تجارتهم بهذا النهر الى شاطي البحر فيبيعوها من التجار وقال كتاب الجغرافية من الهنود ان في المحل المذكور شعباً يسمى ابهيرا . وقال ابو الفدا في الجغرافية ان في الهند مرفأ يسمى سوبارة تكثر فيه التجارة وهو على مسافة خمسة ايام من سندان فاسما ابهيرا وسوبارة يقربان من اسمي اوفير وسوفير وإبدال الباء بالفاء لا تُعدّ امثاله وعليه فسفن سليمان كانت ترسي عند مصب الهندوس

وقد جاء في الكتاب (ملوك ٣ فصل ٩ عد ٢٨) ان سفن سليمان اتت من اوفير باربع مئة قنطار من الذهب . قال فيكورو (في المحل المذكور) ان هذه القيمة تعادل نحو سبعة عشر الف كيلو غرام ونحو خمسة واربعين مليونًا من الفرنكات . وعمل سليمان من هذا الذهب خمس مئة مجنب وجعل جميع آنية شربه وآنية بيت غابة لبنان من ذهب خالص وعمل عرشاً كبيرًا من عاج يصعد اليه بست درجات وعلى كل درجة اسدان والبس كل ذلك ذهباً ابريزًا ولم تكن الفضة تحسب شيئاً لكثرتها حتى عبّر الكتاب عنها بقوله كانت الفضة في اورشليم مثل الحجارة . واما الصندل فكان يرغب فيه لذكاء رائحته عند انقاده وعمل منه سليمان درابزيناً لبيت الرب وبيت الملك وكنّارات وعيداناً للمغنين . واما العاج فكان استعماله كثيرًا عند القدماء في مصر وبابل واشور ورومة وفي متاحف اوربا آنية كثيرة من العاج . واما القِرَدة فكانت لانبساط سليمان واهل بلاطه بها وربما كان يهدي اصدقاءه من الملوك والامراء منها وربما باع تجاره بعضها فقد كانت القردة في كل عصر ومكان تحمل الناس على التفرج بها فعلى مسلة النمرود صور اربعة قردة تقاد بعقود وقرد صغير راكب على اكتاف رجل . وصوّر المصريون القردة في تمثيل امور مهمة كصورة دينونة الموتى على البابير الذي وجد في مصر ومنه عدة نسخ في متحف اللوفر

في بريس . واما الطاووس فقد حمل جمال ريشه وكثرة الوانه القدماء كاهل عصرنا على ترويح النفس به وكان اول دخوله من اسيا الى اثينا في القرن الخامس قبل الميلاد . وروى انتيفون ان رجلاً من اثينا ربّى هذا الطائر فكانت الناس تتقاطر لرؤيته من مكدونية وتساليا وكان يباع الطائر منه بالف درهم . وروى اليان (كتابه في الحيوانات) ان اسكندر الكبير قضى العجب العجاب عند بلوغه الهند من جمال الطاووس وفرض عقوبة شديدة على من ينزل به ضرًا

﴿ عد ٢٨٩ ﴾

في سليمان وملكة سبا

قد انبأنا الكتاب (ملوك ٣ فصل ١٠) ان سليمان عظم على جميع ملوك الارض في الغنى والحكمة وكان الكبراء من كل صوب يلتمسون مواجهته ليسمعوا الحكمة التي اودعها الله في قلبه وكان كل واحد يأتيه بهدايا من آنية فضة وذهب ولباس وسلاح واطياب وخيل وبغال في كل سنة . وسمعت ملكة سبا بخبر سليمان واسم الرب فقدمت اليه وهي التي سماها الانجيل ملكة التيمن وقال انها اتت من اقاصي الارض لتسمع حكمة سليمان وذهب بعضهم الى انها ملكة سبا في جنوبي العربية على شاطي البحر المحيط وكان القدماء يوهمون ان لا ارض بعده حتى قال تاشيتوس (ك ٥ في تاريخه) « ان الارض تنتهي اطرافها الى المشرق في بلاد العرب » وذهب آخرون ان ملكة سبا هي ملكة الحبشة وقال يوسيفوس (في المحل المار ذكره) انها تسمى نيكوليس وانها كانت ملكة مصر والحبشة وسماها المؤرخون العرب بلقيس والاظهر انها كانت ملكة سبا في جنوبي بلاد العرب وربما امتدت سلطتها الى بعض اعمال الحبشة وكان بعض القدماء يسمون بلاد سبا بالحبشة . والاحباش يسمون هذه

الملكة مكادا وقد اذاع العالم فرنسيس بروتوريوس سنة ١٨٧٠ جزءًا من كتاب بالحبشية موسوم بمجد الملوك مع ترجمته الى اللاتينية والمتحصل من هذا الكتاب ومن اخبار كومبس وتاميزيار (في كتاب رحلتهما الى الحبشة مجلد ٣ الذي طبع في بريس سنة ١٨٤٣) ان هذه الملكة مكادا سمعت باخبار سليمان فوافت اليه وقدمت له هدايا نفيسة واقامت عنده اياماً فعلقت منه وولدت بعد عودها ابناً سمته مينالك كان اصلاً لسلالة ملكية في الحبشة دامت على منصتها قروناً وفي الحبشة الى اليوم قوم من اليهود يسمون فالسكاس اي المهاجرين يدعون انهم في الحبشة من ايام سليمان وروى مرتين فلاد المرسل الالماني والعالم هالافي من اخبارهم انهم يدعون بان مينالك ابن ملكة سبا من سليمان ارسلته امه الى اورشليم يتربى عند ابيه ولما بلغ اشده اكره بنو اسرائيل سليمان ليرده على امه فابى الا ان يبعث كل منهم ابنه البكر رفيقاً لمينالك فعملوا وصار مينالك بعد عوده ملكاً على الحبشة وتزوج رفقاؤه بنسآء حبشيات فكانوا اجداد الفالسكاس وتبعهم اثنا عشر كاهناً من ذرية هرون فلا نعتد هـذا صحيحاً بل اوردناه مفاكهـة ونرى الاقرب الى الصواب ما يقوله بعض هولاء الفالسكاس وهو انهم من ذرية اليهود الذين هربوا الى مصر في ايام ارميا كما هو ظاهر من نبوته (فصل ٤٣ و ٤٤) او انهم من ولد اليهود الذين فروا من فلسطين الى جبال الحبشة عند ما اخرب طيطوس اورشليم. وقد جاءت الآثار المصرية والاشورية مصداقاً لولاية بعض الملكات على بلاد العرب والحبشة وقد مر معنا ذكر بعضهن ونرى في اثار تجلت فلاصر الثاني اسم شمسة ملكة العرب مسماة بملكة سبا ثم اسم ملكة اخرى زبيبة ملكة ارض العريبي (العرب) ادت الى هـذا الملك الجزية فضة وذهباً وحديداً

قال الكتاب ان ملكة سبا قدمت لتختبر سليمان باحاجي فقد كانت عادة

القدماء ان يطارح بعضهم بعضاً احاجي والغازًا ومعميات مفاكهة وترويضاً للعقل وروى يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ٨ فصل ٢) عن ميناندر الذي ترجم تواريخ صور الى اليونانية ان سليمان وحيرام كان يطارح احدهما الاخر الغازًا واحاجي وانه كان عند حيرام شاب اسمه عبد يمون يحل الغاز سليمان وان ديون المؤرخ تكلم في هذين الملكين ومما قاله ان حيرام عجز ذات يوم عن حل الغاز طارحه اياها سليمان فدفع له مبلغاً من المال ثم ارسل اليه عبد يمون فحل تلك الالغاز والقى على سليمان الغازًا تعسَّر عليه حلها فرد عليه سليمان المبلغ الذي كان اخذه وقد مر لنا كلام في ذلك في عدد ١١٧ وتتبع الكتاب كلامه بقوله ان ملكة سبا كلمت سليمان بجميع ما كان في خاطرها من الاحاجي ففسر لها سليمان جميع كلامها ولم يخفَ عليه شيء لم يفسره لها فعجبت بحكمته

ومما قاله الكتاب ان هذه الملكة دخلت اورشليم في موكب عظيم جدًا ومعها جمال موقرة اطياباً وذهباً كثيرة جدًّا وحجارة كريمة ثم بيَّن مقدار الذهب فقال انه مئة وعشرون قنطارًا وهي تعادل على ما مر نحوًا من ثلاثة عشر مليونًا من الفرنكات وقد سخر فولتر من كلام الكتاب هذا وقال ان المئة والعشرين قنطارًا من الذهب تساوي ستة عشر مليونًا وثمان مئة الف من الليرات الافرنسية فقال دوكلو (في حواشي تفسير هذه الايات لسانكتيوس في طبعة الاب مين) واذًا زعم فولتر ان كلامه هذا هذيان او جهل فاحش ولو حسب القنطار حساب الوزن واذا حسب بحسب القيمة كان اقل من ذلك كثيرًا ولا يستغرب هذا القدر على ملكة كثر الذهب في بلادها وتوفرت الثروة والغنى. وقد قضت ملكة سبا العجب العجاب من حكمة سليمان والبيت الذي بناه وطعام موائده وقيام عبيده ولباسهم ومحرقاته التي كان يصعدها في بيت الرب وعبَّر الكتاب عن عجبها بقوله انه لم يبقَ فيها روح وحققت لسليمان

انه زاد عندها الخبر الخبرَ كثيرًا واعطاها سليمان كل بغيتها فوق ما اعطاها من العطايا ثم انصرفت هي وعبيدها الى ارضها

﴿ عد ٢٩٠ ﴾

﴿ في آثام سليمان واثارة الرب القاتنين عليه ﴾

قضى سليمان اكثر سني ملكه راقياً اوج المعالي متسامياً على ملوك الارض بحكمته وغناه راتعاً وشعبه في بحبوحة السلم والرغد والترف لكن ما عتّم ان انحط من ذروة مجده وكسف لألأ مجده لانه احب نسآء غريبات كثيرات مع ابنة فرعون من الموابيين والعمونيين والادوميين والصيدونيين والحثيين وغيرهم من الامم التي نهى الرب بني اسرائيل عن الاختلاط معهم لئلا يميلوا بقلوب شعبه الى اتباع آلهتهم فكان لسليمان سبع مئة زوجة وثلاث مئة سرية فاذاعت نساؤه قلبه وكان كلما تقدم في سنه زاد ضعفه ووهن عزمه في المحافظة على سنة الله حتى حملته نساؤه على عبادة عشتاروت آلهة الصيدونيين وملكوم معبود بني عمون وكاموش معبود بني مواب واقام لملكوم وكاموش معبدين في جبل الزيتون تجاه هيكل الرب في اورشليم وكذلك صنع لجميع نسائه الغريبات اللواتي كنَّ يقترنَ ويذبحنَ لآلهتهنَّ فزرعت اصول الثورة في ملكه وازدراه شعبه مذ رآه عاكفًا على ملاذه مزدريًا سنَّة الهه مجدًا في اغنآء نفسه وآله بتجارته مثقلاً رعاياه بالضرائب والمكوس وضعف روح الدين بشيء مثله . فتجلى له الرب مرتين مؤنبًا له لانه لم يحفظ عهده ورسومه ومهددًا له بانه سيشق الملك عنه ويدفعه الى عبده الا انه لا يفعل ذلك في ايامه من اجل داود ابيه لكنه يفعله في ايام ابنه ويبقي له سبطًا واحدًا من اجل داود عبده واورشليم التي اختارها وتتالت المحن بعد ذلك على سليمان كما سيجيء

فقد اثار الرب عليه هدد الادومي من نسل ملوك ادوم فانه لما كان داود

في ادوم صعد يواب ليدفن القتلى واقام ستة اشهر في ادوم يقرض كل ذكر فيها فهرب هدد هذا ابن ملك ادوم مع رجال من عبيد ابيه وكان صبياً صغيراً واتى اولاً مدين ثم فاران ثم سار الى مصر فاكرم فرعون مثواه واعطاه بيتاً وارضاً وامر له بطعام ولما شبَّ زوجه اخت امرأته تحفنيس الملكة فولد له منها ابن سماه جنوبت فربته خالته تحفنيس في بيت فرعون بين بنيه . قال فيكورو (الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ٤٢٢ طبعة ٥) لا علم لنا بمن كان فرعون هذا وقال مسبرو (في التاريخ القديم لشعوب المشرق صفحة ٣٥٦ طبعة ٤) انه بسيوكانو احد ملوك الدولة الحادية والعشرين وانه هو الذي غزا جازر وزوج بنتيه بسليمان وهدد الادومي لكن هذا يخالف لنص الكتاب ان فرعون زوج هدد باخت امرأته لا ببنته ولم يسند مسبرو زعمه الى نص او اثر . ومهما يكُ من ذلك فلما سمع هدد بخبر وفاة داود وقتل يواب رئيس جيشه سأل فرعون ان يطلقه ليعود الى ارضه . ولم يصرح الكتاب أَ اطلقه حينئذٍ بعد وفاة داود ام تلوم في اطلاقه الى اواخر سني سليمان . قال يوسيفوس (في ك ٨ فصل ٢ من تاريخ اليهود) ان فرعون لم يطلق هدد الى اخر سني سليمان ليقاته جزآء مخالفته لرسوم الله . وقال فيكورو (في المحل المذكور) ان هدد عاد الى ادوم بعد وفاة داود وفي اوائل سني سليمان لكنه لم ينجح بان يملك على ادوم او ملك مدة وجيزة لان سليمان بقي مالكاً ادوم والا لما امكنه التوصل الى خليج عقبه وتسيير سفنه الى اوفير وان الاظهر ان هدد كان يخرق في ملك سليمان كل مدة ملكه فيعتدي على ابناء السبيل ويغزو وينهب لكنه لم ينزل ضرًّا مهمًّا بملك اسرائيل الا في اواخر سنيه . وجاء في الترجمة السبعينية (في ملوك ٣ فصل ١١ عد ٢٢) « وملك هدد في ادوم » ولكن في الاصل العبراني والترجمة اللاتينية العامية (في عد ٢٥ ثمه) « فصار

(رزون) فاتناً في اسرائيل كل ايام سليمان فضلاً عن شرّ هــدد واعنت اسرائيل وملك على ارام » فلا يعلم من الاية حق العلم أهدد اعنت اسرائيل وملك في ارام ام رزون فالظاهر من السبعينيــة انه هدد وآثر فيكورو (في المحل المذكور) رواية السبعينية اي ان هدد ملــك في آخر مدة سليمان في ادوم لا في ارام مستمسكاً بان هذا اكثر مطابقة لباقي النص وبان بعض النسخ العبرانية المخطوطة يقرأ فيها ادوم لا ارام وبان صورتي الدال والرآء في العبرانية متقاربتان لا سيما في الخط المدور فيسهل تصحيف ادوم بارام وعليــه فيظهر ان هدد ملك في ادوم ولكن اما انه لم يملك الا في بعض انحائها اما انه خُلع عن هذا الملك بعدئذٍ لانه جاء في سفر الملوك الثالث (فصل ٢٢ عد ٤٨) انه في ايام يوشافاط « لم يكن ملك في ادوم » وفي سفر الملوك الرابع (فصل ٨ عد ٢٠) « وفي ايامه (اي ايام يورام بن يوشافاط) خرج الآدوميون من تحت ايدي يهوذا واقاموا عليهم ملكاً »

وأثار الرب على سليمان فاتناً آخر هو رزون بن اليــاداع فهذا كان قائدًا في جيش هدد عازر ملك صوبة لدى محاربة داود له واستظهاره عليه فقر وجمع اليه رجالاً وصار رئيس غزاة عنــدما كان داود يدمّرهم فانطلقوا الى دمشق واقاموه ملكاً فيها ولم يصرّح الكتاب بذكر زمان ملكه فلا وسيلة لتعيينه ولكن يستلمح من قوله ان الرب جعــله فاتناً على سليمان جزآء اثمه انه لم يصر ملكاً الا في سني سليمان الاخيرة . وعليه فيلزم ان يكون رزون عاش طويلاً لان محاربة داود لهدد عازر كانت في اوائل ملكــه وبما ان رزون كان قائدًا في جيش هدد عازر فلا بد من ان كان له من العمر حينئــذٍ لا اقل من خمس وعشرين سنة والمدة من اوائل ملك داود الى اواخر ملك سليمان ليست اقل من سبعين او تسع وستين سنة فيلزم منه ان يكون ملك وعمره خمس وتسعون

سنة . الا ان نقول انه ملك في دمشق في عهدي داود وسليمان وكان طائعاً يؤدي الجزية صاغراً ولم يتمرد الا في اواخر مدة سليمان جزآء لاثمه

قد اثار الله على سليمان فاتناً آخر لا من الاجانب بل من بني اسرائيل وهو ياربعام بن نباط من سبط افرائيم فهذا كان سليمان قد رآه جبار بأس واهل شغل فاقامه على الاعمال المفروضة على آل يوسف في ردم الوادي المسمى ملّو الفاصل بين صهيون مدينة داود وبين الهيكل وكان ياربعام يسمع شكوى الشعب من الضرائب التي اثقلهم بها سليمان فدار في خلده ان يثير الناس على سليمان وسوّلت له نفسه الملك وكان سليمان حينئذٍ يبني المعابد للالهة الغريبة استرضآء لنسائه على ما مر او اجابة لسؤال الاجانب الساكنين في اورشليم (على ما روى كراتس في تاريخ اليهود) فجاهر الشعب بالشكوى وكثر عثاره بمثل ملكه فارسل الرب احيا النبي الشيلوني (نسبة الى شيلو وهي الان خربة سيلون وقد مرّ تعريفها) الى سليمان ليرعوي عن اثامه فقلما حفل به وكان ياربعام ذات يوم في الصحرآء فالتقاه احيا النبي ونزع عنه ثوباً جديداً كان مدثراً به وشقه الى اثنتي عشرة قطعة ودفع عشرة منها الى ياربعام قائلاً هذا مثال ما يصنعه الرب ببني اسرائيل فانه سيشق ملكهم ويدفع اليك عشرة اسباط منه ولكن لا يتم ذلك ما دام سليمان حياً اجلالاً لداود الذي اصطفاه الرب ولاورشليم التي اختارها وانت احرص ان تحفظ رسوم الرب فهذا الكلام زاد ياربعام رغباً واملاً في الملك فذهب الى آله يدعوهم لذلك وعرف سليمان فامر بقتله ففر الى مصر ولجأ الى ملكها الذي سماه الكتاب شيشاق وروى كراتس في تاريخ اليهود ان هذا الملك هو ابو الدولة الثانية والعشرين اي مبدئها واصلها وانحلت في ايامه المحالفة التي كانت بين سليمان وفرعون لزواجه ببنته وكان شيشاق يتوق الى الاستيلاء على فلسطين فرحب بياربعام

وعظّم مثواه وامسكه عنده ليستعين به على افتتاح فلسطين فبقي ثمة الى وفاة سليمان (ملوك ٣ فصل ١١)

﴿ عد ٢٩١ ﴾

في وفاة سليمان وما كتبه

قال الكتاب (ملوك ٣ فصل ١١ عد ٣٢) « وكانت ايام ملك سليمان باورشليم على كل اسرائيل اربعين سنة واضجع سليمان مع ابائه ودفن في مدينة داود ابيه وملك راحبعام ابنه مكانه » قال يوسيفوس (ك ٨ فصل ٣ من تاريخ اليهود) ان سليمان عاش اربعًا وتسعين سنة وملك ثمانين منها لكن قوله مخالف للكتاب ورأي الأئمة والجمهور فهو ملك صغيرًا وعمره عشرون سنة ونص الكتاب انه ملك اربعين سنة فيكون مات وعمره ستون سنة وجاء في سفر الملوك الثالث (فصل ٤ عد ٣٢ وما يليه) انه « قال ثلاثة الاف مَثَلْ وكانت اناشيده الفًا وخمس اناشيد وتكلم في الشجر من الارز الذي على لبنان الى الزوف التي تخرج في الحائط وتكلم في البهائم والطير والزحافات والسمك » ولكن لم يبقَ لنا مما كتبه سليمان الا سفر الامثال اي الحكَم وربما كان هو المشار اليه بقوله انه قال ثلاثة الاف مثَل وسفر الجامعة المفتتح بقوله « كلام الجامعة ابن داود ملك اورشليم » وحسب بعضهم ان سليمان كتبه بعد اقترافه الاثم توبةً الى الله . واجمع القدماء على ان سفر نشيد الانشاد يعزى اليه وتردد المتأخرون في متابعتهم على ذلك بناء على ان الكلام العبراني في هذا السفر وردت فيه عبارات كلدانية او عبرانية حديثة فيعزونه الى كاتب كتبه بعد عصر سليمان وهذا السفر بطريقة غزل يعبر به عن عواطف النفس المؤمنة وشوقها الى الحظوة بالله كطريقة المتصوفين . ونسب بعض القدماء سفر الحكمة ايضًا الى سليمان ولا يمكن تحقيق هذه النسبة لانه يظهر ان هذا السفر كتب اصله

باليونانية واقل احتمالاً من هذا نسبة سفر حكمة يشوع بن سيراخ اليه

ولا يعلم ما كان كلام سليمان في الشجر والبهائم والطير والزحافات والسمك أتكلم في خواصها وطبائعها ومنافعها ام ضرب امثالاً بها فلا وسيلة للقطع بذلك لضياع هذه الكتب بكرور الايام وحدثانها . قال بوجولا (في تاريخ اورشليم فصل ٩ مجلد ١ صفحة ١٧٣) « قد يكون سليمان كتب كلاماً مفصلاً في علم التاريخ الطبيعي كما كتب موسى موجزًا في تاريخ ابداع العالم فلو بقي لنا في علم الزولوجية (الكلام في الحيوانات) والبوتانيك (الكلام في النبات) فوائد اورثتنا اياها حكمة سليمان لتقدم بلا مراء العلم باسرار الطبيعة في المعمور »

ان بين الاباء والعلماء مبحثًا كبيرًا غامضًا في ما اذا كان سليمان تاب وخلص او اصرَّ وهلك فقال بعضهم انه تاب وخلص مستدلين على ذلك بقوله تعالى لداود ابيه عنه « انا اكون له ابًا وهو يكون لي ابنًا واذا اثم اؤدبه بقضيب الناس وبضربات بني البشر واما رحمتي فلا تنزع عنه كما نزعتها عن شاول » (ملوك ٢ فصل ٧ عد ١٤ و ١٥) وبقول الكتاب ان رحبعام وشعبه « ساروا في طريق داود وسليمان ثلاث سنين » (اخبار الايام الثاني فصل ١١ عد ١٧) وذهب كثير من مفسري الكتاب الى ان سفر الجامعة أثر دالٌ على توبة سليمان وانه كتبه بعد اثمه . ولكن ذهب غيرهم وهم كثيرون ايضاً الى ان سليمان لم يتب فلم يخلص مستدلين بان الكتاب صرَّح باثمه وعبادته للاوثان ولا نرى فيه كلمة في توبته وقالوا ليس في سفر الجامعة دليل قاطع على توبته ولو تاب توبة صادقة لما ترك على جبل الزيتون المعابد التي اقامها للاوثان لاننا نراها استمرت الى ايام يوشيا اذ جاء في سفر الملوك الرابع (فصل ٢٣ عد ١٣) « والمشارف التي تجاه اورشليم الى يمين جبل الهلاك التي بناها سليمان لعشتاروت

قذر الصيدونيين ولكموش رجس الموآبيين ولملكوم رجس بني عمون نجسها الملك ، والحاصل ان هذا مبحث اعتاص حله الى اليوم فالاولى الاضراب عنه وترك الحكم فيه لله

الفصل الخامس عشر

(في انشقاق مملكة بني اسرائيل وملوك يهوذا واسرائيل الى احاب)

عد ٢٩٢

في ملك راحبعام بن سليمان وياربعام بن نباط

قلّ اولاد سليمان وان كثرت نساؤه وقد ولد له راحبعام من امرأته نعمة العمونية قبل ملكه لان عمر راحبعام كان احدى واربعين سنة حين ملك (ملوك ٣ فصل ١٤ عد ٢١) لكنه لم يشبه اباه بشيء من حكمته فقد كان الشعب لا سيما سكان شمالي فلسطين يأنّون من الاثقال والضرائب التي افترضها عليهم سليمان وكانت عظمته ومهابته وغناه تجعلهم يبطنون كيدهم وضغينتهم ويظهرون طاعتهم وانقيادهم . وقد مرّ ان ياربعام بن نباط كان حاول ان يثير فتنة على سليمان فاراد قتله لكنه فر الى مصر لاجئًا الى ملكها فبعد وفاة سليمان استدعى ياربعام ذووه فاسرع طلق العنان الى شكيم (نابلس) ونصب احبولة لرحبعام بان حمل الشعب على ان يستدعوه الى شكيم ليملكوه باحتفاء فمضى غير عالم بما يكنه خصومه فارسلوا اليه وفدًا رئيسه ياربعام يقولون « ان اباك قد ثقل نيرنا وانت فخفف الآن من عبودية ابيك الشاقة ونيره الثقيل الذي وضعه

علينا فنخدمك فقال لهم امضوا الى ثلاثة ايام ثم عودوا اليَّ » فشاور رحبعام الشيوخ مستشاري ابيه فقالوا ان تنازلت لهولاء الشعب اليوم ووافقتهم كانوا لك عبيدًا كل الايام فترك مشورة الشيوخ وشاور الفتيان الذين نشأوا معه فقالوا قل لهؤلاء ان خنصري اغلظ من متن ابي فان كان ابي حملكم نيرًا ثقيلاً فانا ازيد على نيركم. ابي ادبكم بالسياط وانا اؤدبكم بالعقارب . ولما عاد ياربعام ووكلاء الشعب في اليوم الثالث للوقوف على الجواب اجابهم الملك كما لقنه الفتيان فانفضُّوا من امامه قائلين ما قيل في ايام داود جده « أي نصيب لنا مع داود واي ميراث مع ابن يسى الى خيامكم يا اسرائيل » وبدلاً من ان يرسل اليهم من يحبون او يجلون ليرجعهم اليه بعث اليهم ادورام المولَّى على الخراج الذي كان يثقل عليهم فرجمه جميعهم بالحجارة فمات فاسرع الملك وصعد الى مركبته وهرب الى اورشليم وتمرَّد الاسباط العشرة على بيت داود واقاموا ياربعام ملكًا عليهم في شكيم (نابلس) ولم يبقَ لرحبعام الا سبطه بنو يهوذا وسبط بنيامين فانشقت مملكتهم الى ولايتين او مملكتين مملكة يهوذا وبنيامين وعاصمتها اورشليم ومملكة اسرائيل كما سموها وعاصمتها نابلس . فتم ما قاله الرب بلسان النبي احيا كما مر آنفًا وحصل ما كان سليمان يخشاه اذ قال في سفر الجامعة (فصل ٢ عد ١٨ و ١٩) « وكرهت جميع ما عانيت تحت الشمس من تعبي الذي ساتركه لانسان يخلفني ومن يدري هل يكون حكيمًا او احمق مع انه يتسلط على كل عملي الذي افرغت فيه تعبي وحكمتي تحت الشمس هذا ايضًا باطل » وجمع رحبعام مئة وثمانين الف مقاتل من آل يهوذا وبنيامين ليحاربوا سائر بني اسرائيل ويردوا الملك برمته الى رحبعام بن سليمان . فبعث الرب شميعا رجل الله ينهاهم عن مقاتلة اخوتهم لان هذا جرى بامره ويأمرهم ان يعود كل الى محله فاذعنوا وعاد كل الى محله

اما ياربعام فبنى شكيم والمراد انه حصنها باسوار ترد العدو عنها على ما قال لانرمان (في تاريخ المشرق في كلامه على العبرانيين) او بنى فيها قصراً لاقامته على ما قال يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ٨ فصل ٣) او المراد انه جدَّد بناءها بعد ان اخربها ابيملك بن جدعون كما مر في الكلام عليه . وبنى ياربعام فنوئيل وهي مدينة في عبر الاردن كان جدعون هدم برجها وقتل اهلها لدى عوده من ملاحقة المديَنيين فكأن ياربعام جدد بناءها او حصنها لتكون قلعة في اطراف ملكه . وخشي ان يمضي الشعب في الاعياد ليذبح للرب في اورشليم فيستميل رحبعام قلبهم اليه ويثلّون عرشه او يقتلونه فصنع عجلين من ذهب كما كان رأى المصريين يعبدون ابيس بهيئة عجل واقام احدهما في بيت ايل (بيت اين الان على مقربة من نابلس) ليعبده سكان جنوبي مملكته والثاني في دان (تل القاضي الان حذاء بانياس) ليعبده سكان شمالي مملكته واقام كهنة من لفيف الشعب من غير بني لاوي وقال لبني اسرائيل لا حاجة لكم بعد الى اورشليم هذه آلهتكم يا اسرائيل التي اخرجتكم من مصر . واقام عيداً في الشهر الثامن في الخامس عشر منه كالعيد الذي يقام في اورشليم وقدم الذبائح للعجلين وجعل نفسه رئيس احبار وصعد على المذبح في بيت ايل ليقتّر اي يقدم البخور والذبائح . ولا يظن ان جميع بني اسرائيل عبدوا العجل وقتئذٍ بل استمرّ جمٌّ غفير منهم يحج الى اورشليم او يعبد الله خفيةً وهذا بيّن من آيات في الكتاب منها قوله تعالى لايليا النبي « اني قد ابقيت في اسرائيل سبعة آلاف كل ركبة لم تجثُ للبعل » ومنها ما جاء في سفر اخبار الايام الثاني (ف ١١ ع ١٦) وكان الذين وجهوا قلوبهم لالتماس الرب اله اسرائيل من جميع اسباط اسرائيل يأتون الى اورشليم ليذبحوا للرب اله ابائهم » (ملوك ٣ فصل ١٢)

وارسل الرب نبياً من سبط يهوذا الى بيت ايل ولم يذكر الكتاب اسم

هذا النبي وذكر يوسيفوس (تاريخ اليهود ك ٨ فصل ٣) ان اسمه يدون وقال بعض المفسرين انه عدد الرائي الذي كتب اخبار رحبعام وابيا كما في سفر اخبار الايام الثاني (فصل ١٢ عد ١٥) فدخل النبي هيكل بيت ايل وياربعام واقف على مذبحه يقدم البخور والذبائح وصاح بكلام الرب قائلاً يا مذبح يا مذبح كذا قال الرب هوذا سيولد لبيت داود ابن يسمى يوشيا وهو سيذبح عليك كهنة المشارف الاحياء حينئذٍ ويحرق عليك عظام الموتى منهم وها كم آية تثبت ذلك هوذا المذبح ينشق ويذرى الرماد الذي عليه وسمع ياربعام فاحتدم ومد يده قائلاً امسكوه فيبست يده ولم يستطع ان يردها اليه . وانشق المذبح وذُري الرماد الذي كان عليه فتيقن ياربعام ان ذلك امر الرب فتوسل الى النبي ليستعطف الله لترتد يده ففعل النبي وعادت يده كما كانت اولاً . ورغب الملك الى النبي ان يحضر معه الى البيت ليكرمه فقال لو اعطيتني نصف بيتك لم ادخل معك . ومضى في طريق غير الطريق التي جاء منها . وكان في بيت ايل نبي كاذب وكان ياربعام يكرمه لان يتنبأ له بما يرضيه على ما قال يوسيفوس (في المحل المذكور) فخاف ان يزدريه ياربعام ويستمسك بالنبي الذي رأى معجزاته ولما قص عليه نبوة ما فعل رجل الله مضى في اثره حتى ادركه والح عليه ان يعود معه الى بيته لياكل خبزًا فاجابه ان الرب نهاه عن ذلك فقال النبي الكاذب انا نبي مثلك وقد ناجاني ملاك قائلاً رده الى بيتك فياكل خبزًا ويشرب ماء فاغتر النبي وعاد معه وصار كلام الرب اليه ان لا تدخل جثته قبور ابائه لانه خالف وصية الرب وبعد انصرافه لقيه اسد فقتله ولم يفترس جثته وعرف النبي الكاذب فاتى واخذ جثته ودفنها في قبرٍ اوصى اولاده ان يدفنوه فيه وذلك انه اعتقد ما قاله النبي ان عظام كهنة المشارف ستحرق على مذبح ياربعام فاحب ان تُجهل عظامه فلا تميز عن عظام النبي . وروى يوسيفوس (في المحل المذكور)

ان هذا النبي مضى بعد ذلك الى ياربعام يقول لا تحفل بكلام هذا المهذار فلم تيبس يدك الا لانها كلّت من تقدمة الذبائح ولم ينشق المذبح الا لانه جديد لم يتحمل الذبائح والحطب التي وضعت عليه ولو كان هذا نبي الله لما قتله الاسد فلم يرتد ياربعام عن طريقه الفاسد (ملوك ٣ فصل ١٣).

ومرض ابيا بن ياربعام فقال الملك لامرأته تنكري واذهبي الى النبي احيا الذي تنبأ انني ساكون ملكًا وخذي عشرة رغفان وكعكًا وجرة عسل وهو يعلمك ما يكون من امر الغلام ففعلت وكان احيا كف بصره واوحى الرب اليه ما يقول لها ولما سمع خفق خطواتها في الباب قال ادخلي يا امرأة ياربعام لماذا انتِ متنكرة اذهبي فقولي لياربعام ان الرب يقول له جعلتك رئيسًا على اسرائيل وشققت ملك داود واعطيتك فصنعت لنفسك آلهة اخرى ونبذتني ظهريًا لذلك انا قارض كل ذكر من ذريتك ومن مات منهم في المدينة تاكله الكلاب ومن مات في الصحراء تاكله طير السماء وامضي انتِ الى بيتكِ وعند دخول رجلكِ الى المدينة يموت الولد. وهذا وحده من بيت ياربعام يدخل قبرًا لانه وجد فيه شيءٌ من الصلاح فمضت وعند دخولها على عتبة الباب مات الغلام واصرّ ياربعام على شرّه

واما رحبعام واهل مملكته فاتقوا الله « وساروا في طريق داود وسليمان ثلث سنين » (اخبار الايام الثاني فصل ١١ عد ١٧) ونمت مملكتهم واضيف اليها اللاويون والسواد الاعظم منهم لانهم لم يشأوا ان يكهنوا على مذابح ياربعام وهو استبدلهم بكهنة من لفيف الشعب كما مرّ . وحصّن راحبعام مدنًا من مملكته منها بيت لحم وحبرون (الخليل) وجت (ذكرين الان) وجعل فيها مخافر وخزائن طعام وزيت وخمر ومجانب ورماحًا . وقال الكتاب انه « كانت حرب بين رحبعام وياربعام كل ايام حياته » وسطت الايام على ما كتبه

صورة شيشاق ملك مصر احد ملوك الدولة الثانية والعشرين الذي حمل على
راحبعام ملك يهوذا صفحة ٣٩٧

شمعيا وعدّد في تاريخ هذه الحروب كما اشار الكتاب . وقال كراتس (في تاريخ اليهود) لم تكن هذه الحروب الا مناوشات ومشاحنات كدأب كل جيران طال الخلاف بينهم ولم يكن منها امور ذات بال . ويظهر ان كلاًّ من الملكين اتخذ حلفآء فحالف راحبعام روزون ملك دمشق المار ذكره فانه عزز مملكته التي اقامها في ايام سليمان والحق بها اعمالاً من بلاد الاراميين وكان يارబعام حليفاً لملك مصر مذ اقام عنده وقيل انه زوجه بانو اخت امرأته كما زوج هدد ابن ملك ادوم باخت اخرى لها كما مرّ

عد ٢٩٣

حملة شيشاق ملك مصر على رحبعام ملك يهوذا

ما عتّم اهل مملكة يهوذا ان صنعوا الشر واقاموا لهم مشارف وانصاباً فغضب الرب عليهم ولما كانت السنة الخامسة لملك راحبعام صعد شيشاق ملك مصر على اورشليم وهذه اول مرة عبّر الكتاب فيها عن ملك مصر بغير علَم فرعون وكان جيشه مؤلفاً من الف ومئتي مركبة وستين الف فارس وجم غفير من الرجّالة جاؤا معه من مصر من اللوبيين والسكيين والكوشيين ويراد بهولاء الاحباش ولكن ذهب كلمت الى ان العبرانيين كانوا يسمون سكان جنوب العربية كوشيين فعليه يكون هولاء من العرب . فاخذ المدن المحصنة في طريقه الى اورشليم ثم اقبل عليها وكان رحبعام وروسآء يهوذا اجتمعوا فيها وارسل الرب اليهم شمعيا النبي يبكتهم على تركهم اياه ويهددهم بالنازلة المفاجئة لهم فخشعوا وقالوا عادل هو الرب فاعلمهم النبي ان الرب لا يدمرهم بل يوتيهم بعض الفرج والنجاة لكنهم يكونون عبيداً لملك مصر ليعرفوا عبودية الرب من عبودية ممالك الارض . وزحف شيشاق الى اورشليم فانتهب ما في خزائن بيت الرب وخزائن دار الملك واخذ جميعها ومجانّ الذهب التي عملها سليمان

فاضطر رحبعام ان يصنع مكانها مجانَّ من نحاس (اخبار الايام الثاني فصل ١٢) قال كرانس (في تاريخ اليهود) انه يظهر ان اورشليم استسلمت فاكتفى شيشاق ان ينتهب كل نفيس في بيت الرب ودار الملك ولم ينقض اسوار اورشليم ولم يقرض مملكة يهوذا بل اقرّ رحبعام على عرشه

ان شيشاق هذا هو اول ملوك الدولة الثانية والعشرين من دول مصر وبعد عوده من حملته هذه نقش صورة ما عمله فيها على جدار هيكل الكرنك وقال شمبوليون الافرنسي كاشف الكنوز الهيروكليفية (في رسائله التي كتبها من مصر والنوبة سنة ١٨٢٨ وسنة ١٨٢٩ ونشرت في بريس سنة ١٨٣٣) انه بينما كان في ٢٣ ت ٢ سنة ١٨٢٨ صاعدًا في النيل نزل الى البر يستفحص اطلال الكرنك فعثر في طرف الحائط الجنوبي من هيكلها على صورة ملك رافع يده ليضرب اسرى جاثين امامه ومن ورائهم مئة وخمسون رجلاً ملتحين فعلم انهم ليسوا مصريين لان هؤلاء لم يكونوا يطلقون لحاهم فاخذ شمبوليون يتفرس في كل منهم ولما بلغ التاسع والعشرين منهم وجد مكتوبًا عليه « يهوتا ملك » اي ملك يهوذا فهزّه السرور لعلمه ان الملك المصري صاحب هذا الاثر انما هو شيشاق الذي حمل على رحبعام وتيقن ان الممثل هناك مكتوبًا عليه ملك يهوذا انما هو رحبعام هذا فكان اكتشافه مثبتًا ما جاء في الفصل الرابع عشر من سفر الملوك الثالث وفي الفصل الثاني عشر من سفر اخبار الايام الثاني . وكان هذا الاكتشاف باكورة لاكتشافات اخرى عديدة كما رأيت وسترى وقد تفاخر بعد ذلك الكردينال ويسمن رئيس اساقفة لندرة بذكر هذا الاثر في خطبته الغرآء « في الملائق بين العلم والدين الموحى » التي كان يلقيها في رومة قبل ان يرتقي مقام الكردينالية

لم يجترئ شيشاق بنقش صورة افتتاحه اورشليم بل نقش على جدار

الكرنك جريدة مطولة في اسماء المدن والاعمال التي دانت له وقد اذاع فحوى هـذه الجريدة روزاليني ولبسيوس وبروغش وغيرهم في كلامهم على الآثار المصرية . وقد محا كرور الايام بعض هذه الاسماء وبعضها لم تتحقق مسمّياته ولكن بقي منها اسماء كثيرة مثبتة اثباتًا علميًا قاطعًا ما ورد في الكتاب فقـد جاء في سفر اخبار الايام الثاني (فصل ١١ عد ٦ وما يليه) ان رحبعام حصن « بيت لحم وعيطم وتقوع وبيت صور وسوكو وعدلام وجت ومريشة وزيف وادورائيم ولاكيش وغريقة وصرعه وايالون وحبرون » وفي جريدة شيشاق اسماء كثير من هذه المدن منهـا اسم « عدولما » وان هي الا عدلام الوارد ذكرها في الكتاب والمعروفة الان بخربة خريطون على ثمانية اميال جنوبًا من بيت لحم ثم « ايولون » وهي بلا اشكال ايالون الكتاب المسماة في ايامنا يعلو في شرقي عمواس ثم « سوكة » وليست الا سوكو التي ذكرها الكتاب المعروفة اليوم بخربة الشويكة على ما حقق كاران (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ٢٠٢) ثم « ادورام » وليست الا ادورائيم المذكورة آنفًا وتسمى في الترجمة اللاتينية ادورام وادورا وهي دورا الان في جبل الخليل ثم « صرعاتان » وليست الا صرعة المذكورة آنفاً وهي المسماة اليوم صرعة حيث مدفن شمشون وابيـه ثم « تقوعان » وليست الا تقوع التي ذكرها الكتـاب والمعروفة الان ايضاً بهذا الاسم وموقعها في جنوب اورشليم بين بيت لحم والخليل

﴿ عد ٢٩٤ ﴾

وفاة رحبعام وملك ابنه ابيا وحربه مع ياربعام

ملك رحبعام في اورشليم سبع عشرة سنة وكان قد اتخذ ثماني عشرة زوجة منهنّ معكة بنت ابشالوم كذا في سفر الملوك الـ٣ (ف ١٥ ع ٢) ولكن في سفر اخبار الايام الثاني (ف ١٣ ع ٢) « واسم امه ميكايا بنت اوريئيل من جبع » مع انه

قيل في هذا السفر (ف ١١ عد ٢٠)عن رحبعام انه «تزوج معكة ابنة ابشالوم فولدت له ابيا» ففي توفيق هذه الايات اقوال نرى اصحها واظهرها ما رواه فيكورو في معجم الكتاب في كلمتي ابيا وابشالوم وهو ان اسم ميكايا في سفر الاخبار الايام انما هو خطأ ظاهر من النساخ او تحريف لاسم معكة وحيث ان ابشالوم بن داود لم يكن له الا بنت اسمها تامار (ملو ٢ ف ١٨ عد١٨) فالاظهر ان تكون معكة او ميكايا ام ابيا بنت تامار هذه من زوجها اوريئيل من جبع وحفيدة ابشالوم بنت بنته وسماها الكتاب بنته في بعض آيه توسعاً وامثاله كثيرة فيه . ان ابشالوم المذكور هنا يمكن ان يكون غير ابن داود ويسمى باسمين ابشالوم واوريئيل عبر الكتاب عنه بهما وكان لتامار وجه لتسمية بنتها معكة لان هذا اسم جدتها امرأة داود بنت ملك جشور . واقل اشكالاً من هذا تسمية ام آسا ابن ابيا معكة ايضاً بقوله (ملوك ٣ فصل ١٥ عد ١٣) « وايضاً معكة امه (اي ام آسا) نزع عنها لقب الملك لانها صنعت تمثالاً » اذ يحتمل ان تكون امرأة ابيا مسماة معكة باسم امه او ان يكون المراد باسم ام آسا التي نزع ابنها لقب الملك عنها جدته ام ابيه ابيا خاصة لان الترجمات اليونانية تسمي ام آسا حنه لا معكة

وقد كان لرحبعام ثمانية وعشرون ابناً وستون بنتاً واقام ابناءه في المدن المحصنة في مناصب مهمة دفعاً للنزاع بينهم واقام ابيا احدهم رئيساً ومتسلطاً على اخوته لانه نوى ان يورثه الملك بعده كما صنع قبيل موته ودفنه مع آبائه في مدينة داود وملك ابيا على يهوذا في السنة الثامنة عشرة لملك ياربعام على اسرائيل وانتشبت الحرب بينهما فحشد ابيا اربع مئة الف رجل منتخبين وصافه ياربعام بثماني مئة الف منتخبين ووقف ابيا على جبل صمارائيم ويظهر انه الجبل الذي شراه بعد ذلك عمري ملك اسرائيل من رجل اسمه شامر او سامر وبنى عليه مدينة سماها السامرة باسمه ومن اعلى هذا الجبل خطب ابيا في ياربعام

وقومه خطبة شاهدة له بالفصاحة والبلاغة بيّن فيها ان الرب اعطى داود ملك اسرائيل بعهد مبرم وان ياربعام عبد سليمان بن داود عصا مولاه وجمع اليه رجالاً ائمة بطالين فتغلبوا بعد وفاة سليمان على رحبعام ابنه اذ كان صبياً ضعيف القلب وانهم يعتمدون الان على كثرة عديدهم وعلى العجول الذهبية التي جعلها ياربعام آلهةً لهم وقد نبذوا كهنة الرب من بني هرون واللاويين واتخذوا من تزلف اليهم بتقادمه كهنة لهم وانه هو وبني يهوذا وبنيامين ما برحوا شديدي التشبث بمعتقد آبائهم ولم يتركوا الرب الههم ويقوم بخدمته بنو هرون واللاويون بحسب سنّته وعليه فالله معهم وهو رئيسهم ومقاوم لاعدائهم واختتم كلامه قائلاً يا بني اسرائيل لا تحاربوا الرب اله ابائكم فانكم لا تفلحون. وبين كان ابيا يلقي هذا الخطاب كانت فرق من جنود ياربعام تدور من وراء الجيل لتكمن لبني يهوذا وتكون جحافل ياربعام من امامهم ووراءهم . ودرى ابيا وقواد جيشه بالحيلة فصرخوا الى الرب وهتف الكهنة بالابواق وتعالى هتاف رجال يهوذا فاستولى الرعب على اعدائهم وضرب الله ياربعام وجميع اسرائيل امام ابيا ويهوذا وانهزموا من وجههم واسلمهم الله الى ايديهم فضربوهم ضربة عظيمة وسقط قتلى من اسرائيل خمس مئة الف رجل فذلّ بنو اسرائيل واعتزّ بنو يهوذا لانهم اتكلوا على الرب. ان عدد الاربع مئة الف في معسكر ابيا والثماني مئة الف في معسكر ياربعام وعدد قتلى بني اسرائيل خمس مئة الف كل ذلك استبان لبعض مفسري الكتاب معظماً وغير خالٍ من مبالغة وحسب فيكورو في (معجم الكتاب) ذلك غلطاً منشأه غفلة النساخ او التشابه بين الحروف العبرانية المعبر عن العدد بها وايضاً ان بعض النسخ المخطوطة والمطبوعة روت ان عسكر ابيا كان اربعين الفاً وعسكر ياربعام ثمانين الفاً وعدد القتلى خمسين الفاً على ان النص العبراني والترجمة السبعينية واصح النسخ اللاتينية المخطوطة

والمطبوعة وتاريخ يوسيفوس اثبتت هذه الاعداد كما رويناها اولاً . ومع هذا يطلق لكل ان يستمسك باي الروايتين شآء فمثل هذه الاعداد لا تمس الدين بشيء وتبيح الكنيسة كلاً ان يتبع فيها ما حسن له

لم يكتفِ ابيا بقهر اعدائه بل سعى في اثر ياربعام فلم يدركه واخذ من مملكته بيت ايل (بيت اين الان) وتوابعها ويشانه وفي كتاب اعلام الاماكن الكتابية انها كانت في المحل المسمى الان عين سينيا في شمالي بيت ايل ثم عفرائين وتوابعها وهذه تسمى عفرون وعفرا وافرام ايضاً وموقعها في الشرق الشمالي من بيت ايل وتسمى الان الطيبة وكأن اسمها الجديد تفسير لاسمها القديم لان عفرا في العبرانيــة معناها الطيب والبهج وروبينسون اول من قال بهذا القول وجاراه عليه كاران (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ٤٧) وقال انها افرام التي اعتزل اليها المخلص بعد قيامة العــازر وقبيل آلامه (يوحنا فصل ١١ عد ٥٤)

وجاء في سفر الملوك الثالث (فصل ١٥ عد ٣) في ابيا انه « لم يكن قلبه مخلصاً للرب الهه كقلب داود ابيه » الا ان الله نصره من اجل داود وانتقاماً من ياربعام وتثبيتاً لاورشليم ومما يؤذن بعدم خلوص قلبه لله استبقــاؤه المشارف في بيت ايل وعليه فيكون كلامه في خطبته ضرباً من السياسة يخيف به اعدآءه ويشجع قومه ولا يطابق عمله كلامه فيه وقد تزوج ابيا باربع عشرة امرأة وولد اثنين وعشرين ابناً وست عشرة بنتاً ولم يملك الا ثلث سنين ومات ودفن في مدينة داود وخلفه ابنه آسا . واما ياربعام فعاش بعد انخذاله سنتين مبتئساً ذليلاً ومات في السنة الثانية والعشرين لملكه او في بدء الثالثة والعشرين وخلفه ابنه ناداب (ملوك ٣ فصل ١٥ واخبار الايام الثاني فصل ١٣)

﴿ عد ٢٩٥ ﴾

في آسا ملك يهوذا وناداب وبعشا ملكي اسرائيل

اما ناداب بن ياربعام فصنع الشر سالكاً في طريق ابيه الا ان ملكه لم يدم الا سنتين وحالف عليه بعشا بن احيا من آل يساكر وبينما كان محاصراً هو وجميع اسرائيل مدينة جبتون قتله بعشا غيلة وجاء في اعلام الاماكن الكتابية ان جبتون يحتمل ان تكون كيبا الان في غربي تبنه وفي غيره انها كانت في المحل المعروف اليوم بجباتا في الغرب الجنوبي من الناصرة ويظن ان الحرب فيها كانت مع الفلسطينيين وبعد ان ملك بعشا لم يترك لياربعام ذا نسمة الا اهلكه واكلت الكلاب والطيور جثثهم كما تكلم الرب على لسان النبي احيا الشيلوني كما مر

اما آسا ملك يهوذا فاحسن المسعى ونفى المخنثين من الارض وازال جميع اقذار الاصنام حتى ان امه او جدته (كما مر) معكة كانت صنعت تمثال فحل لعشتاروت فنزع عنها لذلك لقب الملك وكسر تمثالها واحرقه في وادي قدرون وامر شعبه ان يعملوا بسنة الرب وحصن مدناً كثيرة في مملكة يهوذا باسوار وابراج ومغاليق وكان له جند يحملون المجانب والرماح ثلث مئة الف من يهوذا ومئتان وثمانون الفاً من سبط بنيامين وبحكمته رتعت رعيته في رياض الامن والسلم مدة العشر السنين او الخمس عشرة سنة الاولى من ملكه. على ان ضعفه او داعياً سياسياً اغفله عن نقض بعض المشارف التي كان فيها مذابح لله على خلاف السنّة وعن تدمير بعض المشارف الوثنيـة ايضاً كما هو ظاهر من قول الكتاب (ملوك ٣ فصل ١٥ عد ١٤) «واما المشارف فلم تزل الا ان قلب آسا كان مخلصاً للرب كل ايامه» ويؤيده ان المشارف التي كان سليمان بناها لبعض نسائه في جانب اورشليم لم تنقض الا في ايام يوشيا لكن آسا

ازال اكثر هذه المشارف وكسر تماثيل الشمس وعشتاروت وهذا ظاهر من قول الكتاب (اخبار الايام الثاني فصل ١٦ عد ٥) « وازال من جميع مدن يهوذا المشارف وتماثيل الشمس » وعليه فيكون ما مر طريقة التوفيق بين قولي الكتاب

﴿ عد ٢٩٦ ﴾

﴿ في خروج زارح الكوشي على آسا ملك يهوذا ﴾

قال الكتاب (اخبار الايام الثاني فصل ١٤ عد ٩) « خرج عليهم زارح الكوشي بالف الف (مليون) من الجيش وثلث مئة مركبة وزحف الى مريشة » ذهب كلمت وغيره الى ان زارح الكوشي هذا لم يكن ملك كوش التي هي الحبشة بل كان ملك بلاد العرب الجنوبية التي تسمى كوش ايضاً حيث سكن المديانيون الذين منهم امرأة موسى ولذلك دعيت كوشية او حبشية . الا ان هذا المذهب لا يعول عليه لا سيما لان جنوبي العربية لا يمكن ان يؤخذ منه عسكر جرار الف الف رجل كما نبأنا الكتاب بل المعول عليه انما هو احد مذهبين آخرين اولهما قال به لانرمان (في تاريخه القديم للمشرق مجلد ٦ صفحة ٢٦٢ طبعة ٩) وهو ان زارح هذا او ازرح عمان هو ملك الحبشة وكان ألَّب اليه جحافل جرارة من البرابرة في جانبي النيل فانقضَّ بهم على مصر واخربها من الجنوب الى الشمال وعمد ان يصنع كذلك في فلسطين فالتقاه آسا فبدد شمل جيوشه كما سيأتي واسند لانرمان قوله الى ان ازرح عمان الذي يخاله زارح وجد اسمه مكتوباً على كثير من آثار الحبشة وان العلامة بروغش اوجد هذا التصحيح المهم . والمذهب الثاني قال به شمبوليون (في كتابه خلاصة الخط الهيروكليفي صفحة ٢٥٧ وما يليها) وتابعه عليه سميث (في معجم الكتاب في كلمة زارح) ومريات وغيرهما وخلاصة قولهم ان زارح هذا هو

اوزركن الاول ملك مصر والثاني من ملوك الدولة الثانية والعشرين . ومما قاله مريات ان اوزركن هذا لا يظهر انه ابن شيشاق الاول الذي حارب رحبعام مع انه يظهر انه خلفه وجاء بعد تسع وعشرين سنة من اخذ شيشاق اورشليم يحارب آسا حفيد رحبعام وسماه الكتاب زارح . وقد نذد لانرمان بهذا المذهب لانتفاء المقاربة بين اسمي زارح واوزركن والله اعلم

اما مريشة التي زحف اليها زارح فهي المسماة الآن خربة مراش على عشرين دقيقة من بيت جبرين جنوبًا (اعلام الاماكن وكاران مجلد ٢ في اليهودية صفحة ٣٢٣) ولم تحل جحافل زارح هذا المحل الا وخرج آسا عليه بجيشه وعديده خمس مئة وثمانون الفًا « وتصافا للقتال في وادي صفاتة عند مريشة » كذا في النص العبراني ولكن في الترجمة السبعينية « في الوادي الذي في شمال مريشة » وجنح روبينسون الى القول بان وادي صفاتة هو المسمى اليوم تل الصافي على ان هذا التل يبعد نحو ثلث ساعات عن خربة مراش فلا ينطبق هذا على قول الكتاب ان الوقيعة كانت « عند مريشة » الا ان يقال ان وادي صفاتة يمتد من بيت جبرين الى تل الصافي وان الوادي يسمى كله باسم المحل الذي ينتهي فيه وكانت الوقيعة في طرفه عند بيت جبرين . ومهما يكن من امر المحل فان آسا صرخ الى الرب عند افتتاح القتال قائلاً « يارب لا فرق لديك ان تعين الكثيرين او من لا قوة لهم فاعنا ايها الرب الهنا لانا عليك نعتمد » فضرب الرب الكوشيين امام آسا وبني يهوذا فانهزموا ولعبت بهم ايدي سبا وقتل منهم كثيرون وغنم جيش آسا غنيمة عظيمة جدًا وما انفكوا يطاردون الكوشيين الى جرار وهي المسماة الآن ام الجرار في جنوبي غزة على ساعتين منها (كاران مجلد ٢ في اليهودية صفحة ٢٥٧) وضرب آسا وجنوده جميع المدن المحيطة بجرار واخذوا منها غنائم وافرة وضربوا ايضًا حظائر الماشية

التي كانت هناك واخذوا كثيرًا من الغنم والابل وعادوا الى اورشليم (اخبار الايام الثاني فصل ١٤)

فالتقاهم عزريا بن عوبيد النبي وقال اصغوا اليَّ يا آســا وجميع يهوذا وبنيامين ان الرب معكم ما دمتم انتم معه وان تركتموه فانه يترككم وسيكون اسرائيل اياماً كثيرة بلا اله حق وبلا كاهن معلِم وبلا شريعة وتكون اضطرابات كثيرة وتسحق امةٌ امةً ومدينةٌ مدينةً واشار النبي بذلك الى حالة الاسباط العشرة او الى ما سيكون وقت السبي الى بابل ولما سمع آسا نبوة عزريا تشدد بازالة الرجاسات من جميع ارض يهوذا وبنيامين ومن المدن التي اخذهــا من جبل افرائيم وجدد مذبح الرب الذي امام رواق الهيكل وانحاز اليه كثيرون من اسباط افرائيم ومنسى وشمعون لما رأوا ان الرب معه وجمع آسا هولاء وجميع بني يهوذا وبنيامين في اورشليم في السنة الخامسة عشرة لملكه في الشهر الثالث وذبحوا للرب من الغنائم التي جآوا بها من ارض جرار ومعسكر زارح سبع مئــة ثور وسبعة الاف شاة واقسموا على ان كل من ترك الرب منهم وعبــد الاوثان يقتل كبيرًا كان او صغيرًا رجلاً او امرأة (اخبار الأيام الثاني فصل ١٥)

﴿ عد ٢٩٧ ﴾

خروج بعشا ملك اسرائيل على يهوذا وخروج ملك ارام على بعشا

قال الكتاب (اخبار الايام الثاني فصل ١٦ عد ١) « في السنة السادسة والثلاثين من ملك آسا صعد بعشا ملك اسرائيل على يهوذا وبنى الرامة لكي لا يدع احدًا يخرج او يدخل الى آســا ملك يهوذا » قال فيكورو في معجم الكتاب (في كلمة آسا) ان في ذكر السنة السادسة والثلاثين من ملك آســا هنا تحريفاً ظاهرًا لانه جاء في سفر الملوك الثالث (فصل ١٦ عد ٨) ان بعشا مات في السنة السادسة والعشرين من ملك آسا وخلفه ابنه ايلة فالصواب ان

يقال ، في السنة الخامسة عشرة او السادسة عشرة من ملك آسا صعد بعشا على يهوذا وبنى الرامة ، وهي الان في المحل المسمى الرام في شمالي اورشليم على ساعتين منها في الطريق المؤدي من اورشليم الى نابلس وهي غير الرامة مدينة صموئيل المسماة اليوم النبي صموئيل على ما قال كادان (مجلد ١ في السامرة صفحة ١٩٩) وكانت الرامة على تخم المملكتين او بعشا افتتحها وهمّ بتحصينها واقام فيها حامية وحرساً ليمنع اهل مملكته من الدخول الى آسا واورشليم ويصد بني يهوذا وبنيامين عن الدخول الى مملكته خيفة القاء الفساد والشغب فيها فشق ذلك على آسا واخرج ذهباً وفضة من خزائن بيت الرب ودار الملك وارسلها مع وفد الى بنهدد اي ابن هدد ملك ارام الساكن في دمشق مذكرًا له بالعهدة التي كانت بين ابويهما ورغب اليه ان يخرج على املاك بعشا لينكف عن املاكه فلبى ابن هدد دعوته ووجه روساء جيشه الى مدن اسرائيل وضربوا عيون ودان وآبل مائيم وجميع مخازن مدن نفتالي ولما سمع بعشا كف عن تحصين الرامة ليتفرغ الى الذب عن الجهة الشرقية من ملكه واقام بترصة

انه يحدر بنا ان نبين من هو ابن هدد ومواقع المدن التي ضربها . فقد مر ان داود ضرب هدد عازر بن رحوب ملك صوبة فانتصر عليه ونجده اراميو دمشق فظفر بهم ايضاً واقام محافظين في دمشق وان رزون احد قواد هدد عازر فرَّ حينئذٍ وصار رئيس غزاة وملك في دمشق وصار فاتناً على سليمان في آخر مدة ملكه والظاهر من الكتاب ومن الآثار الاشورية التي ذكرها سميث ان رزون هذا كان في عهد سليمان من سنة ٩٩٠ ق م الى سنة ٩٧٠ وملك بعده ابنه طبريمون من سنة ٩٧٠ الى سنة ٩٥٠ وكان في ايام ياربعام الاول وخلفه ابنه المسمى ابن هدد الاول مالكاً من سنة ٩٥٠ الى سنة ٩٣٠

وكان في عهد بعشا ملك اسرائيل وافتتح المدن المار ذكرها . ولما كان ذكر هولاء الملوك متواترًا في كلامنا التالي اثرنا ان نستقري سلسلتهم نقلاً عن فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٤ صفحة ٤٧ طبعة ٥)

ملوك دمشق	ملك من سنة	الى سنة	ملوك بني اسرائيل
خلف ابن هدد الاول	٩٣٠	٩١٠	في عهد عمري ملوك ٣ ف ٢ ع ٣٤
ملك لم يُعثر على اسمه			
ثم خلفه ابن هدد الثاني	٩١٠	٨٨٦	احاب ملوك ٣ فصل ٢
خرائيل الاول	٨٨٦	٨٥٧	ياهو ملوك ٤ فصل ٨ عد ٩
ابن هدد الثالث	٨٥٧	٨٤٤	يوحاز ملو ٤ ف ١٣ ع ٣
خرائيل الثاني	٨٤٤	٨٣٠	يوائش ويواحاز ملو ٤ ف ١٢ ع ١٧
ابن هدد الرابع	٨٣٠	٨٠٠	يواش وياربعام ملو ٤ ف ١٣ ع ٢٤
مريحا	٨٠٠	٧٧٠	ياربعام ٢ صفيحة بينيرار ٣
هدارا	٧٧٠	٧٥٠	منحيم صفيحة تجلت فلاصر
رصين الثاني	٧٥٠	٧٣٢	فاقح ملو ٤ ف ١٥ ع ٣٧ وصفيحة تجلت فلاصر

وقال سميث واضع هذا الجدول ان خرائيل الثاني وابن هدد الرابع يشك في وجودهما وقد يكونا خرائيل الاول وابنُ هدد الثالث وقال الاب فيكورو الذي نقل هذا الجدول عنه انه يلزم محو اسميهما وان مدات الملوك الاولين منهم مقدارها غير محقق لكنها تقرب مما ذكره وروى لانرمان ابن هدر بالراء لا بالدال مستمسكا بان اسمه يروى كذلك في الترجمة السبعينية وفي الخطوط المسمارية

واما المدن التي اخذها ابن هدد الاول من بعشا فهي عيُّون وقد قال

كثير من المحققين ومنهم روبنسون انها كانت في المحل المسمى الان تل دبين في شمالي الجديدة في قضاء مرجعيون وتابعهم على ذلك كاران (مجلد ٢ في الجليل صفحة ٢٨٠) وقال ان اسم عيون ما برح يسمى به الوادي الخصب الذي هناك والظاهر من اخذ الغزاة لها اولاً وهم قادمون من الشمال نحو الجنوب انها كانت التخم الشمالي لنصيب سبط نفتالي وبهذا دليل آخر على ان تل عيون انما هي عيون التي ذكرها الكتاب ولعل قضاء مرج عيون سمي باسمها . واما دان فقد مرّ انها كانت في محل تل القاضي على خمسة كيلومترات من بانياس غربا طبق ما عرفها به اوسابيوس والقديس ايرونيموس واما ابل مائيم اي ابل المياه فقد مر انها تسمى الان ابل ايضاً وهي بين الخيم جنوباً وتل دبين شمالاً واما ترصة التي اقام فيها بعشا وبعض اسلافه وخلفائه فكانت في محل تلوزا اليوم شرقي السامرة وقال كاران (مجلد ١ في السامرة صفحة ٣٦٦) ان جمهور العلماء يسلمون بذلك وان اسمها القديم ترصة واسمها الان تلوزا متقاربان لان ابدال الرآء باللام كثير في كلامهم وان ما لهذه المدينة من الموقع الجميل كان يضرب به المثل حتى قال سليمان في نشيد الانشاد (فصل ٦ عد ٤) « جميلة انتِ يا خليلتي كترصة »

اما آسا فبعد ان اكره بعشا على ترك الرامة (الرام) استدعي رجال يهوذا كلهم ولم يعفُ احداً فاخذوا الحجارة والاخشاب التي كان بعشا وضعها في الرامة وحصنوا بها جبع بنيامين والمصفاة اما جبع بنيامين فهي جبعة الان في الشمال الشرقي من اورشليم بين مخماس شمالاً وعيناتا جنوباً (كاران مجلد ٣ في اليهودية صفحة ٦٩) واما المصفاة هذه فهي شعفات الان في شمالي اورشليم وجنوبي الرام وبينهما بيت حانون وبعض ابنية اورشليم ترى من ارض شعفات (كاران مجلد ١ في اليهودية صفحه ٣٩٨) والشعفة في العربية

اعلى الجبل ومن كل شيء اعلاه وجمعها شعفات ومعنى مصفاة بالعبرانية المرصد او المحل المشرف فلا تخفى المناسبة بين الاسمين . وقد مر ذكر محال اخرى تسمى المصفاة ايضاً (راجع عد ٢٤٤) وقد طالعنا الان في المجلة الكتابية في عددها الثالث الصادر في تموز هذه السنة ١٨٩٤ فصلاً مطولاً كتبه العالم هايدت اجهد نفسه ليثبت به خلافاً للعلماء ستانلاي وبونار وكاران ودالفي ورياس وغيرهم ان المصفاة ليست شعفات كما قال هؤلاء بل هي البيرى الواقعة في جنوب بيت اين وشرقي رام الله وشمالي عطارا وان البيري هذه ليست بئروت الكتاب كما قال كثير من المشاهير حتى الان بل هي المصفاة والحق اقول اني لم ارَ ادلته قاطعة ولا اخاله حسبها كذلك بل اراد عرضها على علماء هذا الفن علَّ بعضهم يتابعه على صحتها وقد ندد بزعمه العالم ربواسون في المجلة الموسومة بالارض المقدسة في عدديها الصادرين في ١٥ ايلول و ١ ت ١ سنة ١٨٩٤ اما بعشا فارسل الرب اليه ياهو النبي ابن حناني يقول له اني رفعتك عن التراب وجعلتك قائدًا لاسرائيل فسلكت طريق ياربعام وجعلت شعبي يغيظونني بخطاياهم فهآنذا مستأصل ذرية بعشا وذرية بنيه ومات بعشا بُعيد ذلك وقد ملك في اسرائيل ثلثاً وعشرين سنة ودفن في ترصة (اخبار الايام الثاني فصل ١٦) وروى يوسيفوس (ك ٨ فصل ٦ من تاريخ اليهود) ان بعشا قتله رجل يسمى كريون

عد ٢٩٨

في ملك ايله وزمري وعمري ملوك اسرائيل وتتمة اخبار آسا ملك يهوذا

بعد موت بعشا ملك ايله ابنه مكانه في السنة السادسة والعشرين لآسا ملك يهوذا ولم يدم ملكه في اسرائيل الا سنتين فحالف عليه عبده زمري

دثيس نصف المركبات وقتله اذكان يشرب ويسكر في بيت احد اعوانه في ترصة وملك مكانه وما عتَّم بعد ان استوى على عرشه ان قرض ذرية بعشا ولم يدع منهم ذكرًا والحق بهم اقلربهم واصدقاءهم كما انذر نبي الله بعشا الا ان زمري لم يملك على اسرائيل الا سبعة ايام لان الشعب كان محاصرًا جبتون (كيبيا او جباتا طالع عد ٢٩٥) ثانيةً على الفلسطيين وبلغهم ما اجراه زمري فاقاموا عمري قائد الجيش ملكاً عليهم ومضوا به من جبتون وحاصروا زمري في ترصة ولما افتتحوها دخل زمري قصر الملك فاحرقه واحترق به . وانقسم شعب اسرائيل فاراد بعضهم تمليك تبني بن جينت ويظهر ان هؤلآء كانوا من سكان ترصة ومن تابعهم واراد الاخرون تمليك عمري ويظهر ان هؤلآء كانوا من الجيش ومن تبعهم فتغلب هؤلآء على اولئك ومات تبني وعن يوسيفوس (في المحل المذكور) انه قُتل فاستبدَّ عمري في الملك في السنة الحادية والثلاثين لآسا ملك يهوذا . واستمر عمري على منصة الملك اثنتي عشرة سنة ستاً منها في ترصة (تلوزا) وستاً في السامرة لانه ابتاع جبلاً من رجل اسمه شامر او سامر بقنطارين من الفضة قدّرهما فيكورو بسبعة عشر الف فرنك وبنى على هذا الجبل مدينة سماها السامرة وهي سبسطية الان فصارت عاصمة ملك اسرائيل الى حين الجلآء الى اشور . ويظهر ان عمري ألجىء الى ان يغادر ترصة لمقاومة اهلها له وتنكيدهم عيشه لانهم كانوا من انصار تبني . وسار عمري في طريق ياربعام واقتدى باثامه . قال كرانس (في تاريخ اليهود عند كلامه في عمري) كان عمري رجل سياسة اكثر من ان كان رجل حرب وازدلف الى ملك يهوذا فلم تكن بينهما حرب. وحالف اتوبعل ملك صور كلفاً بان يزداد قوة ونفعاً بغنى الفونيقيين وقوتهم وكان اتوبعل يخشى سطو ملك دمشق فلم يجد حليفاً اولى من ملك اسرائيل بمنع تسطيه فوقّعا على عهدة بينهما

ختمت بزواج احاب بن عمري بايزابل ابنة ايتوبعل . وروى لانرمان (مجلد ٦ من تاريخ المشرق القديم عند كلامه في عمري) ان عمري حارب السريان اي اهل مملكة دمشق فاستظهروا عليه واخذوا بعض مدن من مملكتـه . ثم مات عمري ودفن في السامرة وخلفه ابنه احاب

اما آسا فبقي حيًا ثلث سنين بعد ان ملك احاب بن عمري وعاب ملكه وكسف مجده ببعض النقائص منها استعانته بملك دمشق ليكبح بعشا عن تطاوله عليه مكان ان يكل امره الى الله فينقذه منه ولذلك ارسل الرب اليه حناني الرائي موبخًا له بقوله من اجل انك اتكلت على ملك ارام ولم تتكل على الرب الهك فلذلك فرغت يدك من جيش ملك ارام ألم يكن الكوشيـون واللوبيون جيشًا كثيرًا فاذ اتكلت على الرب اسلمهم الى يدك فقد فعلت بحماقة فغضب آسا على الرائي وجعله في القيود وسآء ذلك بعض الشعب فاخترم بعضاً منهم اي اماتهم وفي بعض النسخ عاملهم بقسوة . واعتل آسا برجليه في السنة التاسعة والثلاثين لملكه كأنه اصيب بالنقرس او دآء الملوك واشتدت علته فلم يلتمس الرب بل الاطباء ومات في السنة الحادية والاربعين لملكه ودفن في مقبرة حفرها لنفسه فاضجعوه في سرير كان مملوًا اطيابًا واصنافًا عطرية وحرقوه بها على عادة الاقدمين واستبقوا عظامه ورماده وخلفه ابنه يوشافاط (اخبار الايام الثاني فصل ١٦)

عد ٢٩٩

يوشافاط ملك يهوذا

ملك يوشافاط وعمره خمس وثلاثون سنة وسلـك في طرق داود جده فاتقى الله وجانب عبادة الالهة الكاذبة ونكّب شعبه عنها وازال المشـارف والغابات من يهوذا واقام جيشاً يحافظ على مدن مملكته المحصنة . ومنذ السنة الثالثة لملكه ارسل معلمين وتسعة من اللاويين وكاهنين يعلمون شعب يهوذا

وبنيامين وينذرونهم ليتقوا الله ويعملوا بسننه ومعهم سفر توراة الرب يقرأون به ويفسرونه للشعب . وقدم له جميع آل يهوذا التقادم والهدايا على عادتهم اقرارًا بملكه فكان ذا غنى ومجد عظيم واهتاب به الملوك مجاوروه فلم يناصبه احد حربًا (الا حربه في اخر مدته مع الموابيين وحلفائهم) حتى كان من الفلسطينيين من حمل اليه الهدايا وجزية فضة على عداوتهم الشديدة لبني اسرائيل وكذلك العرب ساقت اليه من الشآء سبعة الاف وسبع مئة كبش وسبعة الاف وسبع مئة تيس . وذهب بعضهم الى ان هؤلاء العرب كانوا يسوقون اليه مثل ذلك كل سنة في سبيل الجزية وقال يوسيفوس (ك ٨ من تاريخ اليهود فصل ٩) ان العرب كانوا يقدمون له كل سنة ثلث مئة خروف وثلث مئة تيس . وقد بنى في اورشليم وغيرها ابراجًا وحصونًا . ويظهر من سفر اخبار الايام الثاني (فصل ١٧ عد ١٤ وما يليه) ان عدد جيوشه كان مليونًا ومئة وستين الفًا يرؤسهم خمسة قواد ولم يستعظم بعض المفسرين هذا العدد بناء على ان بني اسرائيل لا سيما في مملكة يهوذا كانوا قد نموا كثيرًا وضاقت ارض المملكة بهم وعلى ان يوشافاط كان يسود غيرهم من الامم كالموابيين والادوميين وبعض العرب وغيرهم واستعظمه بعضهم وخرجوه على وقوع خطيء فيه من غفلة الناس او اشتباه الحروف المعبر بها عن العدد كما حصل في غيره مما مر معنا ذكره وفي اكثر الكتب القديمة وليس على الله ان يعصم كل كاتب آيات تتعدد كتمدادهم وقد وجد العلماء في كل عصر عقبات في توفيق هذه الاعداد ولاسيما عداد سني ملوك يهوذا واسرائيل بمعارضة ما جاء في اسفار الملوك بما جاء في سفري اخبار الايام حتى قال القديس ايرونيموس في ما كتبه الى فيتاليس الكاهن « راجع جميع اسفار العهدين القديم والجديد فتجد اختلافًا كبيرًا في اعداد السنين وتلقي تشوشًا مفرطًا في تعيين سني ملوك يهوذا واسرائيل . ومن

الديّن ان التشبث بمثل هذه المباحث انما هو شأن متبطل متعطل لا شأن مجتهد حكيم •

لم يُعب يوشافاط الا بمصاهرته احاب ملك اسرائيل لانه اتخذ عتليا بنت احاب وايزابل زوجة لابنه يورام وربماكان غرض هذا الملك الصالح من تقربه الى احاب ان يرده الى طريق الرب فكان عكس ما امّل لما تراه من شر عتليا وقد زار يوشافاط احاب في السامرة فعظّم ملتقاه واكرم مثواه واستدعاه الى مرافقته لاخذ راموت جلعاد (السلط) من يد ملك دمشق والاراميين فلبّى يوشافاط دعوته وصحبه في هذه الحرب التي هلك فيها احاب وكاد يوشافاط يهلك ايضاً كما سترى في الكلام على احاب . وقال يوسيفوس (ك ٨ في تاريخ اليهود ف ٩) ان يوشافاط اخذ من اورشليم ايضاً جنودًا لمناصرة ملك اسرائيل • ولدن عود يوشافاط الى اورشليم التقاه ياهو بن حناني الرائي وقال له أتنصر الاثيم وتحب مبغضي الرب فكنت لذلك تستوجب الغضب من قبله لولا انه وجد فيك امورًا صالحة لانك ازلت المشارف والغابات من الارض وهيأت قلبك لالتماس الرب . فاراد يوشافاط ان يكفّر عن اثمه فمضى جائلاً في مملكته من بئر سبع الى جبل افرائيم منذرًا رعيته ان يتقوا الله ويعملوا بسنته واقام قضاة في كل مدن يهوذا المحصنة وحرّصهم ان يقضوا بالعدل قائلاً انكم لا تقضون للناس بل لله فلتكن فيكم مخافته فلا جور عند الله ولا محاباة ولا اخذ رشوة • واقام في اورشليم قضاة للدعاوى الدينية والمدنية من اللاويين والكهنة ومن رؤساء آباء اسرائيل وحرصهم كما حرّص اولئك وامرهم ان ينذروا الشعب بان لا يأثموا فيكون الغضب عليهم وعلى اخوتهم وجعل امريا الكاهن رئيساً في امور الرب وزبديا بن اسمعيل رئيساً في امور الملك

الا ان يوشافاط صادق بعد ذلك احزيا ملك اسرائيل ابن احاب واتفقا على عمل سفن تذهب الى ترشيش اي اوفير لتأتي بالذهب كما فعل سليمان

وحيرام وعملا السفن في عصيون جابر حيث عملها سليمان فاتى النبي العازر يقول ليوشافاط من قبل الرب من اجل انك صادقت احزيا وقد ساء مسماه وعنا في الارض فقد افسد الرب اعمالك فانكسرت السفن ولم يتهيأ ذهابها الى ترشيش

وخرج الموابيون والعمونيون والادوميون على يوشافاط في اخر سني ملكه وحلت عساكرهم في حصون تامر التي هي عين جدي المسماة الى اليوم بهذا الاسم في الجانب الغربي من بحيرة لوط فنادى يوشافاط بصوم في جميع يهوذا واجتمع الرجال والنساء والاطفال في بيت الرب في اورشليم ليبتهلوا اليه فاجهر يوشافاط بصلوة خاشعة مثبتة في سفر اخبار الايام الثاني (ف ٢٠) وكان جميع بني يهوذا واقفين امام الرب فحل روح الرب على يحزيئيل من بني آساف فامَّن الملك والجماعة محققاً لهم من قبل الرب الظفر باعدائهم فخر الملك وجميع القوم ساجدين . ثم بكروا في الصباح وخرجوا الى برية تقوع (وهو اسمها الى اليوم وموقعها بين بيت لحم شمالاً والخليج جنوباً) ووقف يوشافاط وقال لجيشه «آمنوا بالرب الهكم فتأمنوا آمنوا بانبيائه فتفلحوا» واقام مغنين يرنمون اعترفوا للرب لان رحمته الى الابد . واوقع الرب خصاماً بين العمونيين والموابيين وبين الادوميين اولاً ثم بين العمونيين والموابيين فاقتتلوا حتى اباد بعضهم بعضاً ولم يبقَ ليوشافاط وجيشه الا ان يجمعوا الغنائم الكثيرة ثلثة ايام فجمعوا اكثر مما امكنهم حمله وعادوا الى اورشليم فدخلوها بالعيدان والكنارات والابواق الى بيت الرب فسبحوه شاكرين فحل رعب الرب على جيرانهم واستراحت مملكة يهوذا من كل جهة. وقضي اجل يوشافاط بعد ان ملك خمساً وعشرين سنة ولما كان عمره حين ملك خمساً وثلثين سنة فيكون مات وعمره ستون سنة ودفن في مدينة داود وخلفه ابنه يورام (سفر اخبار الايام فصل ١٧ الى فصل ٢١)

الفصل السادس عشر

(في اخبار احاب ويورام ملك يهوذا وابنيه احزيا ويورام ملوك اسرائيل)

عد ٣٠٠

في احاب وايزابل وايليا النبي

قد مر ان احاب خلف اباه عمري في الملك على اسرائيل وقد صنع هذا الملك الشر في عيني الرب اكثر من جميع من تقدموه من ملوك اسرائيل وبين كان يوشافاط لا يألو جهدًا في مملكة يهوذا لبث عبادة الله والعمل بسنته كان احاب يعثو ويفسد في مملكة اسرائيل مغريًا بعبادة عجول الذهب بل بعبادة بعل وعشتاروت معبودي الفونيقيين ايضًا لان ايزابل امرأته بنت ايتوبعل ملك صور كانت تزين له هذه العبادة وتغريه بها. وكانت ايزابل مقلاقًا متكبرة متوقحة تحكمت باحاب وقادته حيث شأت فكانت علة كفره ومصدر بلاياه كلها . وروى يوسيفوس (ك ١ في رده اقوال ابيون فصل ١١) عن ميناندر كاتب تاريخ صور انها لطخت يديها بدم اخيها لترقى مكانه منصة الملك ولما كانت بنت كاهن رقي عرش الملك كانت كثيرة التشيع لعبادة معبودي ابيها بعل وعشتاروت وساقت زوجها الى ان يسجد لهما ويبني لهما هيا كل حتى في السامرة مدينته وان يقام لبعل لا اقل من اربع مئة وخمسين كاهناً او نبياً اي معلماً ولعشاروت اربع مئة كاهن تنفق هذه الملكة الداهية الجائرة على جميعهم وتدهم بشمايلها وأيدها وتضطهد كهنة الرب وانبيآءه حتى قتلت جماً غفيرًا منهم وحملت الشفقة عوبديا قيم احاب ان يأخذ مئة منهم ويخفيهم كل خمسين في مغارة ويعولهم بالخبز والمآء (ملوك ٣ فصل ١٨ عد ٤)

قد اقام الله لمناصبة هولاء جميعًا ايليا النبي فكان رئيساً لمن لم ينفكوا متشبثين بعرى الدين وسنة الله وكان التراخي والفتور وقلة الاكتراث بامور الدين استحوذت على عامة الشعب ولذا كان ايليا يؤنبهم قائلاً « الى متى انتم تعرجون بين الجانبين » وكان احاب من هولاء بل اولهم فتراه تارة يسجد لبعل وعشتاروت ويتمرغ بارجاس الوثنيين وطوراً يخيفه كلام ايليا فيتذلل امام الله ويمزق ثيابه آسفًا ويوماً يدع ايزابل تأمر بذبح كهنة الرب ويوماً اخر يترك ايليا يذبح كهنة البعل وكان ايليا من مدينة تسبة او تشبة وينسبه الكتاب اليها فيسميه التسبي او التشبي وهي على ما روى كلمت (في معجم الكتاب) مدينة في عبر في بلاد جلعاد وذكر تسبة اخرى وهي مدينة طوبيا في سبط نفتالي في جنوبي قادس وشمالي صفد وفي اعلام الاماكن تسبة مدينة في سبط نفتالي لا يعلم موقعها الآن وروى بعضهم ان ايليا ولد في هذه المدينة ولكن سكن في بلاد جلعاد (السلط) اذ جاء في سفر الملوك الثالث (فصل ١٧ عد ١) « ايليا التشبي من سكان جلعاد » وكان ايليا شديد الغيرة عليّ الهمة لا يرهب ملكاً ولا ملكة في امور الله فكان يونب احاب ويهدد ايزابل ويقسو على كهنة الاصنام ويفعل المعجزات اثباتاً لارسال الرب له وانتقاماً من اعدائه كما سترى

عد ٣٠١

آية انحباس المطر بكلمة ايليا وقتله انبياء البعل

قد امر الرب ايليا ان يمضي الى احاب ويبكته على صنيعه فمضى وقال له « حيٌّ الرب اله اسرائيل الذي انا واقف امامه انه لا يكون في هذه السنين ندى ولا مطر الا عند قولي » وتوارى عنه بامر الله واقام عند نهر كريت الذي تجاه الاردن وقال بعضهم ان هذا النهر يسمى الآن وادي الياس او الوادي اليابس وقال

وهو يظنون انه يسمى وادي كلت ومصبه في جوار باشان ولما جف ماء هذا النهر لانحباس المطر انتقل ايليا الى صرفة وهي صرفند الان بين صيدا وصور واقام ثمة في بيت ارملة صنع لها بامر الله آيتين الاولى ان الجرة التي كان فيها الدقيق والقارورة التي كان فيها الزيت لم تفرغا الى يوم ارسل الله المطر على وجه الارض والثانية اقامة ابنها بعد موته . وقد اثبت ميندر كاتب تاريخ صور آية انحباس المطر عند كلامه في اعمال ايتوبعل ملك صور فقال «كان في ايامه (اي ايام ايتوبعل) ان انحبس المطر مدة طويلة اي لم يكن مطر من شهر هيبرباروتوس الى هذا الشهر في السنة التالية فامر هذا الملك شعبه ان يقدموا الصلوات والابتهالات فاعقبها رعود وعواصف . وهو الذي بنى مدينة بتريس (البترون) في فونيقي واوزات في افريقيا» رواه يوسيفوس (ك ٨ في تاريخ اليهود فصل ٧) وعقبه بقوله «لاجرم ان هذا الكلام يراد به انحباس المطر الذي كان في ايام احاب لان ايتوبعل كان وقتئذٍ مالكاً في صور»

واشتد الجوع خاصة في السامرة لانحباس المطر ولم يكن عشب تقتات به الماشية فدعا احاب عوبديا قيم بيته وقال له سر الى جميع عيون الماء وانهاره عسى ان نجد عشباً نحيي به الخيل والبغال ولا نعدم البهائم كلها وسار احاب في طريق اخر يفتش على العشب وكان الرب امر ايليا ان يتراءى لاحاب فالتقى ايليا بعوبديا فعرفه وخر على وجهه ساجدًا له فقال النبي له امضِ فقل لسيدك احاب هوذا ايليا فاجابه ما خطيئتي حتى تلقي عبدك الان في يد احاب ليقتلني فما من امة او مملكة الا بعث سيدي اليها في طلبك فلم يجدك فاذا قلت له هوذا ايليا اخذك روح الرب الى حيث لا اعلم فيأتي احاب فلا يجدك فيقتلني فقال له ايليا اني في هذا النهار اتراءى له فمضى عوبديا واخبر احاب فجاء للقاء النبي وقال له أانت ايليا مقلق اسرائيل فاجابه لم اقلق اسرائيل انا بل انت وبيت

ابيك بترككم وصايا الرب واتباعكم البعليم فاجمع اليّ كل اسرائيل الى جبل الكرمل (المعروف) وانبياء البعل الاربع مئة والخمسين وانبياء عشتاروث الاربع مئة الذين يأكلون على مائدة ايزابل . فجمع احاب الانبياء والشعب الى الكرمل فتقدم ايليا الى الشعب وقال لهم الى متى انتم تعرجون الى الجانبين ان كان الرب هو الاله فاتبعوه وان كان البعل اياه فاياه اتبعوا فانا وحدي بقيت نبياً للرب وهولاء انبياء البعل اربع مئة وخمسون رجلاً فليؤتَ لنا بثورين فيختاروا لهم ثورًا فيقطعوه ويجعلوه على الحطب ولا يضعوا نارًا وانا ايضاً اهيء الثور الاخر ولا اضع نارًا ثم تدعون انتم باسم المتكم وانا ادعو باسم الرب والذي يجيب بنار فهو الاله فقال جميع الشعب الكلام حسن واختار انبياء البعل ثورًا واعدوه ودعوا باسم البعل من الغداة الى الظهر وهم يقولون ايها البعل اجبنا فلم يكن من صوتٍ ولا مجيب وكانوا يرقصون حول المذبح فاخذ ايليا يسخر منهم قائلاً اصرخوا بصوت اعلى لعله في محادثة او في خلوة او في سفر او نائم فيستيقظ وكانوا يصرخون بصوت عظيم ويتخادشون على عادتهم بالسيوف والرماح حتى سالت دماؤهم عليهم وفات الظهر وليس صوت ولا مجيب ولا مصغٍ فقال ايليا لجميع الشعب ادنوا مني ليشاهدوا انه لا يضع نارًا واخذ اثني عشر حجرًا على عدد اسباط اسرائيل وبناها مذبحًا وجعل حول المذبح قناة ثم نضد الحطب وقطع الثور ووضعه على الحطب وقال املأوا اربع جرار ماء وصبوا على المحرقة والحطب وثنّوا وثلثوا ففعلوا حتى جرى الماء حول المذبح دائرًا وامتلأت القناة ايضاً ماء . فتقدم ايليا وقال ايها الرب اله ابرهيم واسحق ويعقوب ليعلم اليوم انك اله اسرائيل واني انا عبدك وبامرك فعلت كل هذه الامور فهبطت نار الرب واكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب حتى لحست الماء الذي في القناة فلما رأى ذلك جميع الشعب خروا على وجوههم وقالوا الرب هو الاله

الرب هو الاله . فقال ايليا اقبضوا على انبيآء البعل ولا يفلت احد منهم فقبضوا عليهم فانزلهم ايليا الى نهر قيشون وذبحهم هناك بامر الرب وقيشون هو النهر المسمى اليوم المقطع الذي يصب في خليج حيفا في شماليها

ثم قال ايليا لاحاب اصعد فكل واشرب فهوذا صوت دويّ مطر فمضى احاب ليأكل وصعد ايليا الى رأس الكرمل وخرّ الى الارض وارسل خادمه يتطلع نحو البحر سبع مرات فعاد في السابعة فقال ها سحابة صغيرة طالعة من البحر فقال له اذهب وقل لاحاب شدّ وانزل لئلا يمنعك المطر واربدّ الجو بالسحب وهبّت الرياح وجاء مطر عظيم فركب احاب وسار الى يزرعيل وشد ايليا متنيه وجرى امام احاب حتى وافى يزرعيل وهي زرعين الان في ناحية جنين حيث مرج ابن عامر بل سمي هذا السهل باسمها لانه يسمى صحرآء يزرعيل وكان احاب قد بنى ثمة قصرًا كما سيجيء وان استمرت السامرة عاصمة ملكه (ملو ٣ ف ١٧ عد ١٨)

عد ٣٠٢

فرار ايليا من وجه ايزابل وامر الرب له ان يمسح حزائيل وياهو واليشاع

قص احاب على ايزابل كل ما صنعه ايليا فاحتدمت غيظًا وارسلت رسولاً الى ايليا قاسمةً بالهتها انها ستجعل نفسه في مثل الساعة من غدٍ كنفس واحد من الانبيآء الذين قتلهم فخاف ومضى على وجهه ووافى بئر سبع المسماة الى اليوم بهذا الاسم على ستة وعشرين ميلاً من الخليل جنوبًا (كاران مجلد ٢ في اليهودية صفحة ٢٨٣) وخلّف غلامه هناك وتقدم في البرية مسيرة يوم فقاته ملاك برغيف مليل وجرة ماء وسار صائمًا اربعين يومًا واربعين ليلة الى جبل حوريب قال كلمت في تفسير هذه الاية ليس المراد ان ايليا سار اربعين

يوماً واربعين ليلة حتى انتهى الى حوريب فان المسير من بئر سبع او من البرية الى حوريب لا يقتضي كل هذه المدة بل تضاف الى الاربعين يوماً المدة التي قضاها النبي في حوريب الى ان اكمل صومه اربعين يوماً كما صام موسى قبل تنزيل السنة عليه وربما كان ايليا في المغارة نفسها التي كان موسى فيها في جبل حوريب والظاهر من كلام الاباء والمفسرين ان ايليا لم ياكل شيئاً في مدة الاربعين يوماً كموسى الذي قال فيه الكتاب (خروج فصل ٣٤ عد ٢٨) انه « اقام هناك عند الرب اربعين يوماً واربعين ليلة لم ياكل خبزاً ولم يشرب ماء » وتلك آية خارقة نظام الطبيعة لا يعجز عنها من هو على كل شيء قدير ولا يأنف من عملها من حبس المطر بكلمة ايليا ثلث سنين ومن انزل بصلاته ناراً فاكلت محرقته . ثم تراءى له الرب والمراد بمثل هذه الآيات ملاك الرب وامره ان يعود في طريقه نحو برية دمشق وان يمسح حزائيل ملكاً على ارام وياهو بن نمشي ملكاً على اسرائيل واليشاع بن شافاط من ابل محولة نبياً مكانه لينتقم هولاء للرب ممن تركوه وعبدوا الاوثان وليكون من افلت من سيف حزائيل يقتله ياهو ومن افلت من سيف ياهو يقتله اليشاع قال بعض المفسرين ان المسح هنا لا يراد به صب الزيت المكرس على راس الممسوح بل يراد به اعداد حزائيل وياهو ليكونا ملكين واليشاع ليكون نبياً ويؤيده ان ايليا لم يمسح احداً من هولاء بل رمى الى اليشاع برداءه وان حزائيل اجنبي فلا يمسح بالزيت المقدس ولم يرد في الكتاب ان ايليا مسح حزائيل او ياهو بل ان اليشاع تلميذه مضى الى حزائيل ومسح ياهو . وقد عاد ايليا من حوريب وانتهى الى عبر الاردن الى ابل محولة مدينة اليشاع وفي كتاب الاعلام الكتابية ان ابل محولة هذه كان موقعها بحسب قول القديس ايرونيموس على عشرة اميال من باسان جنوباً وتسمى الان عين حلوة على تسعة اميال ونصف من باسان ولكن قال كاران

(مجلد ١ في السامرة صفحة ٢٧٨) انه يحتمل ان كانت في المحل المسمى اليوم الحمام المالح على بعد عشرة اميال من باسان جنوبًا على ما قال القديس ايرونيموس مع ان المسافة من باسان الى هذا المحل اربعة عشر ميلاً ويظهر ان العرب قدموا اللام على الحاء في اسمها وسموها ابل ملوحة لوجود ينبوع ملح هنالك ولما انتهى ايليا الى هذا المحل وجد اليشاع يحرث الارض ومعه اثنا عشر حارثاً فرمى ايليا اليه بردائه فترك البقر وجرى وراءه ثم عاد فودع والديه وذبح زوجين من البقر وطبخ لحمهما على ادوات الحراثة وقدم للشعب فاكلوا ومضى مع ايليا وكان يخدمه (ملوك ٣ فصل ١٩)

عد ٣٠٣

خروج ابن هدد على احاب

جمع ابن هدد وهو الثاني بهذا الاسم (راجع عد ٢٩٧) رجال ارام وصعد معه اثنان وثلاثون ملكاً اي حكام اعمال كانوا محالفين له ومعهم خيل ومراكب ليحاربوا ملك اسرائيل ودنوا من السامرة فوجّه ابن هدد رسلاً الى احاب قائلاً له فضتك وذهبك هما لي وازواجك وبنوك الحسان هم لي . فراعت احاب كثرة جيوش اعدائه وكان جباناً واهن القوة فاجاب كما قلت يا سيدي الملك انا وجميع ما هو لي لك وبعد ان بلغ الوفد ابن هدد جواب احاب ارسلهم ثانية يقولون انه في مثل الساعة من غد يرسل عبيده ليفتشوا بيت احاب وبيوت عبيده ويأخذوا كل ما هو شهيّ في عيونهم فدعا احاب شيوخ مملكته واعلمهم بما كان فقالوا لا تسمع ولا ترضَ فقال لرسل ابن هدد ان يبلّغوا سيدهم انه لا طاقة له بما يبتغيه من التفتيش واخذ ما كان شهياً فاستشاط ابن هدد وارسل يقول حالفاً بآلهته ان كان تراب السامرة يكفي لاكفّ القوم الذين يتبعونه فقال ملك اسرائيل قولوا له لا يفتخرنّ من ينطق كمن يحل

منطقته وهو مثل يراد به انه لا يحق للمرء ان يتفاخر بامرٍ قبل الفوز به او بمعنى ما في حكاية الدب لا تسكر على حساب جلد الدب قبل اصطياده . فامر ابن هدد باقامة الحصار على السامرة واذا بنبيٍ تقدم الى احاب يشجعه من قبل الرب بانه سيدفع هذا الجيش الجرار الى يده ليعرف انه الرب الاله وينبذ الاوثان واحصى احاب رجاله فوجد عنده من غلمان روساء الاقاليم مئتين واثنين وثلاثين غلاماً ومن شعب اسرائيل سبعة الاف فخرجوا عند الظهر وكان ابن هدد يشرب ويسكر هو والملوك المناصرون له فقال ابن هدد لروساء جيشه ان كان هولاء خرجوا مسالمين او مقاتلين فاقبضوا عليهم احياء فوثب الغلمان وبنو اسرائيل وراءهم فقتل كل رجل منهم رجلاً من طلائع جيوش ابن هدد فانهزم الاراميون واتبعهم بنو اسرائيل وافلت ابن هدد على فرس بين الفرسان وضرب ملك اسرائيل الاراميين وخيلهم ومراكبهم ضربة عظيمة وتقدم النبي الى احاب قائلاً امضي وتشدد واستعد فانه عند مدار السنة يصعد عليك ملك ارام ثانية

اما رجال ملك ارام فقالوا له ان الهة اسرائيل الهة الجبال ولذلك قووا علينا واذا حاربناهم في السهل فنقوى عليهم واشاروا عليه ان يعزل الملوك كلاً من مكانه ويجعل امكنتهم قواداً ففعل كذلك ولما كان مدار السنة حشد جيشه وصعد الى افيق لمحاربة اسرائيل وافيق هذه غير افيق التي في مرج ابن عامر حيث كانت الحرب بين شاول والفلسطينيين بل هي المسماة اليوم الفيك او الفيق على مسير ساعة او اقل من بحيرة طبرية شرقاً في الطريق المؤدي من دمشق الى فلسطين (فيكورو مجلد ٤ من الكتاب والاكتشافات صفحة ٤٥ وفي معجم الكتاب له وفي كتاب الاعلام الكتابية) فمضى احاب الى افيق هذه للقاء اعدائه وكان عسكره قليلاً جداً لذلك عبّر عنه الكتاب بانه كان كقطيعين

صغيرين من المعز وعبَّر عن كثرة جيش ابن هدد بانه ملأ الارض وبقي الجيشان يناظر احدهما الاخر دون حرب مدة ستة ايام وفي اليوم السابع التحمت الحرب واستظهر بنو اسرائيل على الاراميين وقتلوا منهم مئة الف رجل في يوم واحد ولعبت ايدي سبا بالباقين وهرب منهم سبعة وعشرون الفًا الى افيق فسقط السور عليهم فماتوا تحت الردم وفر ابن هدد ودخل المدينة الى مخدع ضمن مخدع مذعورًا مرتاعًا فقال له اعوانه سمعنا ان ملوك اسرائيل ملوك رحمة فنشد الان مسوحاً على متوننا ونجعل حبالاً على رؤوسنا ونخرج الى ملك اسرائيل عله يستبقي نفسك وفعلوا كذلك فقال لهم احاب او حيٌّ هو بعد انما هو اخي وخرج اليه ابن هدد فرحب به واصعده على المركبة فقال له ابن هدد المدن التي اخذها ابي من ابيك اردها اليك ونجعل لك اسواقاً في دمشق اي نطلق لك التجارة فيها كأنها السامرة فقال احاب وانا اطلقك بهذا العهد وقطع له عهدًا واطلقه . فالتقاه احد الانبياء متنكرًا وقال ان عبدك خرج في وسط الملحمة فاتاني رجل باسير وقال احفظه وان أفلت منك فنفسك مكانه او تزن لي قنطارًا من الفضة وبينما انا مشتغل هنا وهناك أفلت الاسير فقال له الحكم عليك كما شرطت على نفسك فزحزح النبي البرقع عن عينيه فعرف الملك انه نبي وقال كذا قال الرب بما انك اطلقت من يدك رجلاً قد ابسلته فنفسك تكون بدل نفسه وشعبك بدلاً من شعبه فمضى احاب الى السامرة واجماً قلقاً

﴿ عد ٣٠٤ ﴾

احاب والاشوريين

قد ابانت لنا الاثار الاشورية وجهًا لمساهلة احاب ملك اسرائيل لابن هدد ملك دمشق وهو خوف الملكين من ملك اشور ومحالفتهما عليه ولما كان

ذكر ملوك اشور سيرد متواترًا في ما يأتي من كلامنا رأينا ان نلخص عن كتاب فيكورو (الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٤ صفحة ٣٢ طبعة ٥) موجز تاريخ الاشوريين كلفًا بتوفير الفوائد وتيسيرًا لادراك الكلام حق ادراكه .

فلم يُعثر حتى اليوم على اثر للاشوريين يتبين منه تاريخ اصلهم ولكن انبأنا سفر التكوين (فصل ١٠ عد ٢٢) ان اشور هو ثاني ابناء سام وان الاشوريين الاولين جالية بابلية واثار بلادهم مثبتة شهادة موسى وكانت عاصمة ملكهم اولاً مدينة اشور على شاطي دجلة الايمن في جنوبي نينوى بين الزاب الاعلى والزاب السفلي وكانت مركزًا لعبادة اشور اكبر الهتهم وان هو الا اشور ابن سام المموه على عادتهم واول ما تحققه اثار بلادهم انها كانت في القرن التاسع عشر قبل الميلاد يليها ملك يسمونه ايسميداكان وكان قد بني هذه المملكة حاكم اسمه بلكفكابو في عصر غير معروف الى الان وكان من خلفائه ملك يسمى بلباني يعتبرونه غازيًا وتتفاخر دولة السرغونيين احدى دولهم بانتسابها اليه . وكان في سنة ١٤٠٠ ق م ملك من الاشوريين يسمى اشوروبليد حكم من جانب بحيرة وان الى الزاب السفلي وجدد في نينوى هيكل استار الالهة الذي كان بناه اولاً سمسيين بن ايسميداكان المذكور . وفي سنة ١٣٣٠ ق م عظّم ملكهم بينيرار الاول مملكة اشور وصيرها اقوى مملكة في اسيا الغربية وفي سنة ١٣٠٠ انتصر ابنه سلمناصر الاول على الموزري (يحتمل ان المراد المصريون) وجعل نينوى مقرًا لحكومته ووسع خلفاوه تخوم مملكته شمالاً وشرقاً وجنوباً ولم تطمح ابصارهم نحو الغرب اي الى سورية الا في سنة ١١٢٠ اذ رقي منصة الملك وقتئذ تجلت فلاصر الاول وهو اول من جاوز منهم الفرات وغزا سورية الى لبنان والبحر المتوسط (راجع عد ٧٠ وعد ١٢٠) ثم مات سنة ١١٠٠ وترك لخليفته مملكة كثيرة الانحاء شاسعة التخوم لكن ما

عتمت ان كسفت شمس مجدها لان الاراميين بعد وفاة الخليفة الثاني لتجلت فلاصر اذلّوا مملكة اشور وضيقوا تخومها الغربية في مدة مئة وخمسين سنة وتلك عناية ربانية يسرت لداود وسليمان انبساط ملكهما شرقًا حتى الفرات

ومن بعد وفاة سليمان عاد الاشوريون يستردون سؤددهم وصولتهم في عهد اشور دانيل مشيد دولة كبرى من دولهم ثم خلفه ابنه بينيرار الثاني وخلف هذا ابنه تجلت سمدان وبعد وفاته خلفه ابنه اشور نزيربال واكتشف له عن آثار كثيرة مهمة ووجد لا يرد تمثاله في الخربة قصر نمرود وقد مر انه حكم البلاد من عدوة دجلة الى لبنان وفلسطين (راجع عد ٧٢ وعد ١٢٠) وبعد وفاته خلفه ابنه سلمناصر الثاني وغزا سورية ست مرات وكتب وقائعه على مسلة من صخر اسود في مئة وتسعين سطرًا طافحة بالفوائد التاريخية منها انها هدتنا الى ما كان مجهولاً كل الجهل وهو جل الغرض من كلامنا هنا اعني ان احاب كان حليفاً لابن هدد ملك دمشق في حربه للاشوريين ومنها اثبات العهدة التي ذكر الكتاب ابرامها بين ملك اسرائيل وملك دمشق وتبيان الوجه في مساهلة احاب لابن هدد بعد استظهاره عليه فاحاب كان رأى حملة اشور نزيربال على فونيقي وخشي ان يغزو ابنه سلمناصر الثاني مملكة اسرائيل وملك دمشق كان يومئذٍ اقوى ملوك سورية فاحب احاب ان يقوي نفسه بمحالفته وان تكون مملكة دمشق حائلة بين الاشوريين ومملكة اسرائيل وكان من وقعوا على هذه العهدة مع ابن هدد اثني عشر ملكاً منهم احاب ملك اسرائيل

واليك ترجمة ما اصاب غرضنا من خطوط سلمناصر على مسلة نمرود المذكورة وعلى الصفيحة التي وجدها جون تليور عند منبع دجلة قال انه في السنة السادسة لملكه « في الرابع عشر من شهر ايار رحلت عن نينوى وجاوزت

دجلة ... واخذت الجزية من ملوك غربي الفرات فضة وذهباً ونحاساً ورصاصاً من المدن التي يسميها السريان باتور وزحفت من عدوة الفرات الى مدينة هلمان (حلب) فخاف اهلها الحرب وترامو على رجليَّ فاخذت جزية منهم فضةً وذهباً وسرت من هلمان الى ايركوليني ملك حماه واخذت ادينا وبرغا وارغانا حاضرة ملكه واستحوذت على اثاثه واموال قصره واحرقت دوره وزحفت من ارغانا الى كركر فدمرتها واحرقتها وكان في معسكرهم ١٢٠٠ مركبة و ١٢٠٠ فارس ٢٠٠٠٠ الف رجل من قبل ابن هدد ملك دمشق ثم ٧٠٠ مركبة و ٧٠٠ فارس و ١٠٠٠٠ رجل من قبل ايركوليني ملك حماه . ثم ٢٠٠٠ مركبة و ١٠٠٠٠ رجل من قبل احاب ملك سرلاي (اسرائيل) » وكذلك يعد باقي جيش هولاء الملوك المتحدين . ويظهر ان سلمناصر لم يتم في سورية بل اكتفى باذلال اهلها واخذ جزيتهم وعاد الى اشور ومن ادلة ذلك ان ابن هدد نقض عهده مع احاب واستمر مالكاً راموت جلعاد حتى اضطر احاب ان يثير الحرب عليه فيها بعد انجلاء الاشوريين من سورية كما سيجيء

﴿ عد ٣٠٥ ﴾

﴿ في اختلاس احاب كرم نابوت ﴾

قد مرَّ ان احاب بنى له قصرًا في يزرعيل (زرعين) وكان لنابوت اليزرعيلي في جانب القصر كرم ورثه عن ابيه فرغب الملك اليه ان يبيعه كرمه ليكون له بستان بقول فاعتذر له نابوت بان الكرم ميراث ابائه فلا يمكنه ان يبيعه وكان من الشين عندهم ان يتخلى المرء عما ورثه عن آبائه ولم تجز السنَّة ذلك الا لضرورة . فعاد احاب كئيبًا واضجع على سريره ولم يتناول طعامًا لانكاد نابوت عليه مسئوله فقالت له ايزابل امرأته ما بالك كئيب النفس فقص

عليها مما كان له مع نابوت فقالت ما انفذ سلطانك الآن على اسرائيل. قم فتناول طعاماً وطب نفساً وانا اعطيك كرم نابوت ثم انها كتبت كتباً الى الشيوخ والاشراف في مدينة نابوت وختمتها بخاتم الملك ومنه يظهر قدم العادة بختم الرسائل بالخاتم وقالت في تلك الكتب نادوا بصوم لتذكي شهودها الكاذبين واجلسوا نابوت في صدر القوم واقيموا رجلين يشهدان عليه انه جدف على الله وعلى الملك واخرجوه وارجموه فيموت ففعلوا كما انفذت ايزابل اليهم وشهد عليه شاهدا زور كما لقنت ورجموه بالحجارة فمات واخبروا الملكة بموته فقالت لاحاب قم فرث كرم نابوت لانه كان من عاداتهم ان من قضي عليه بجريمة ضد الملك تولى الملك املاكه فنزل احاب الى الكرم فالتقاه بامر الله ايليا النبي وقال له قتلت وورثت ايضاً ففي الموضع الذي لحست فيه الكلاب دم نابوت تلحس دمك انت ايضاً فهوذا الرب جالب عليك الشر ومبيد نسلك وقال له في ايزابل ان الكلاب ستاكل لحمها عند مترسة يزرعيل فلما سمع احاب هذا الكلام مزق ثيابه وجعل على بدنه مسحاً وصام وبات في المسح ومشى ناكساً فقال الرب لايليا أرايت كيف ذلّ احاب امامي فمن اجل ذلك لا اجلب الشر في ايامه بل في ايام ابنه اجلب الشر والعقوبة على بيته (ملوك ٣ فصل ٢١) وسترى تمام هذه النبوة وانفاذ هذا التهديد في احاب وايزابل على ان توبة احاب لم تغير عمق قلبه فلم تكن صادقة ولا ثابتة ولم يرد الكرم على ورثة نابوت وابث مطواعاً لايزابل عابدًا اصنامها فحلت به العقوبة التي هدده ايليا بها

عد ٣٠٦

حرب احاب وملك دمشق وقتل احاب

جاء في الكتاب (ملوك ٣ فصل ٢٢) . ومضت ثلث سنين لم تكن فيها

حرب بين ارام واسرائيل ، اي بين ملك دمشق وملك اسرائيل فالعهدة التي امضاها هذان الملكان والحرب التي اثارها عليهما سلمناصر ملك اشور وقفتا الحرب بينهما مدة السنين الثلاث وانتصار سلمناصر عليهما حل عقد تلك العهدة فلم يقم ابن هدد بما شرط على نفسه ان يتخلى للملك اسرائيل عن المدن التي كانت تخصه ومنها راموت جلعاد (السلط) فقال ملك اسرائيل لاصحاب مشورته علمتم ان راموت جلعاد لنا وكان ملك دمشق شرط على نفسه ان يردها علينا فلم يردها ونحن متقاعدون عن اخذها وكان يوشافاط ملك اسرائيل عنده كما مر فقال له اتمضي معي الى القتال فاجابه نفسي كنفسك وشعبي كشعبك وخيلي كخيلك ولم يشرط يوشافاط الا ان يسأل احاب الرب بواسطة احد انبيائه فجمع احاب نحو اربع مئة رجل لكنهم كذبة او من كهنة بعل او متملقون له فقالوا له اصعد الى القتال فان الرب دافع اعداءك الى يدك فقال يوشافاط اليس هنا نبيٌّ للرب بعد فنسأل به فقال احاب يوجد بعد رجل لكنه لا يتنبأ عليَّ بخير وهو ميخا بن يملة فابى يوشافاط الا ان يستأتوه فاتى فقال له احاب انمضي الى راموت جلعاد للقتال ام نمتنع فقال رأيت جميع اسرائيل مبددين على الجبال كالغنم التي لا راعي لها فقال احاب ليوشافاط ألم اقل لك انه لا يتنبأ عليَّ بخير . فقال ميخا رأيت الرب جالساً على عرشه وجميع جند السماء وقوف لديه وقد اذن لاحد الارواح ان يغوي احاب بقول الكذب في افواه انبيائه فتقدم صدقيا بن كنعنه ولطم ميخا على لحيه وقال من اين عبر روح الرب مني ليكلمك فقال ميخا ستنظر في ذلك اليوم الذي تدخل فيه مخدعاً ضمن مخدع لتختبي فامر احاب بسجن ميخا والتضييق عليه الى حين عوده من الحرب فقال ميخا ان عدت بسلام فلم يتكلم الرب فيَّ واشهد الشعب على كلامه

قد مضى ملك اسرائيل ومعه يوشافاط ملك يهوذا الى الحرب لاسترداد

ياهوت جلعاد من يد ملك دمشق فتنكر احاب وتقدم الى ساحة الحرب واستمر ملك يهوذا لابساً لباسه وكان ملك دمشق قد امر روساء مراكبه ان لا يحاربوا كبيراً ولا صغيراً الا احاب فتوهم روساء المراكب ان يوشافاط هو ملك اسرائيل فالوا عليه فصرخ مستغيثاً بالرب الحالّ في هيكل اورشليم فعرفوا انه ليس احاب ورجعوا عنه وان رجلاً نزع في قوسه غير متعمد فاصاب ملك اسرائيل بين الدرع والورك وعن يوسيفوس (تاريخ اليهود ك ٨ فصل ١٠) ان السهم اصمى رئته فقال لمدير مركبته اخرج بي من الجيش فاني جرحت فاخرجه واشتد القتال واحاب واقف بمركبته مقابل ارام ودمه يسيل في المركبة ومات في المساء ونودي في الجيش للانصراف فعاد كل الى محله وأُخذ احاب الى السامرة وغسلت مركبته وسلاحه من الدم فلحست الكلاب دمه بحسب كلام الرب بفم ايليا النبي (ملوك ٣ فصل ٢٢)

ان بين مفسري الكتاب مبحثاً معضلاً للتوفيق بين قول ايليا (ملوك ٣ فصل ٢١) في الموضع الذي لحست فيه الكلاب دم نابوت تلحس الكلاب دمك ؞ وبين قول الكتاب (ملوك ٣ فصل ٢٢ عد ٣٨) ؞ وغسلت مركبته في بركة السامرة فلحست الكلاب دمه وغسل سلاحه على حسب كلام الرب الذي تكلم به ؞ والسامرة على مسافة سبع ساعات من زرعين حيث قتل نابوت فذهب بعضهم الى ان كلمة الموضع من الاية الاولى لا يراد بها المكان المتحيز بل العمل او الناحية من باب ذكر الجزء وارادة الكل فكأنه يقول ان الناحية او العمل الذي لحست به الكلاب دم نابوت تلحس فيه دم احاب وذكر آخرون ان تذلل احاب امام الرب بعد تهديد ايليا له ووعده تعالى انه لا يجلب الشر في ايامه لكن في ايام ابنه اجلا جلب هذه العقوبة الى ممات يورام بن احاب اذ جاء في سفر الملوك الرابع (فصل ٩ عد ٢٥) ان ياهو بعد ان قتل

يورام قال لاحد قواده « خذه واطرحه في حصة حقل نابوت اليزرعيلي واذكر اذ كنت راكباً انا وانت وراء احاب ابيه كيف جعل الرب عليه هذا الحمل » واستحسن سنكتيوس هذا المذهب (في تفسيره فصل ٢١ عد ٢٣ في سفر الملوك الـ٣) واراه اولى من المتابعة ليوسيفوس في قوله (ك ٨ من تاريخ اليهود ف ١٠) ان جثة احاب نقلت في مركبته نفسها الى السامرة ودفنت هنالك واما مركبته فاخذت الى يزرعيل وغسلت بماء عين هذه المدينة وكانت ملطخة بدم نابوت فتمت بذلك نبوة ايليا النبي . وقد استحسن كاران (مجلد ١ في السامرة صفحة ٣١٦) رواية يوسيفوس هذه وقال انه اخذها عن نسخة مخطوطة كانت في ايامه وهي اصح مما أخذ عن غيرها لانها تزيل الاشكال وظاهر التناقض بين نبوة ايليا ونوع تمامها . على انه لا يخفى ان قول يوسيفوس ان مركبة احاب غسلت بماء ينبوع يزرعيل مخالف لقول الكتاب انها غسلت « في بركة السامرة » ولذا قلت ان المذهب الثاني اولى بالاتباع

﴿ عد ٣٠٧ ﴾

في احزيا بن احاب وارتفاع ايليا نحو السماء

خلف احزيا اباه احاب وكان على شاكلته فقد عبد البعل وسجد له واسخط الرب وكان يوشافاط ملك يهوذا مصافياً له وقد اشتركا في بناء سفن تذهب الى اوفير لكنها انكسرت كما مر (في عد ٢٩٩) وقد تمرد الموابيون على احزيا وابوا اداء الجزية المفروضة عليهم ولم ينبئنا الكتاب انه حاربهم بل انبأنا انه سقط من شباك عليته التي في السامرة ومرض فبعث رسلاً يسأل بعل زبوب اله عقرون هل يبرأ من مرضه وعقرون هي المسماة اليوم عاقر على ثلث ساعات من الرملة جنوباً كما حقق روبنسون وتابعه كاران (مجلد ٢ في اليهودية صفحة ٣٨) وبعل زبوب تأويله اله الذباب اي الاله الذي يُلجأ اليه للتخلص

بين الذباب وهو يكثر في فصل الصيف في تلك الاماكن وكان لليونان اله الذباب ذكره بلينيوس وغيره . فخاطب ملك الرب ايليا ان يلاقي رسل ملك السامرة ويقول لهم العله ليس اله في اسرائيل حتى تذهبوا وتسألوا اله عقرون ولذلك فالسرير الذي علاه ملككم لا ينزل عنه بل يموت موتاً فصنع ايليا كما امره الملاك فعاد رسل الملك واخبروه بما قيل لهم فسألهم ما هيئة الرجل الذي خاطبكم بهذا الكلام قالوا رجل عليه شعر متنطق بمنطقة من جلد فقال هو ايليا ووجه اليه قائد خمسين مع خمسيه فقال له يا رجل الله الملك يقول انزل فاجابه ايليا ان كنت انا رجل الله فلتهبط نار من السماء وتاكلك انت وخمسيك فهبطت النار واكلته وخمسيه واثبتت الآية انه رجل الله فلم يتعظ احزيا وارسل اليه رئيس خمسين ثانياً مع خمسيه فاصابهم ما اصاب الاولين وارسل اليه رئيس خمسين ثالثاً وكان حكيماً فجثا على ركبتيه وتضرع اليه قائلاً ما حيلتي يارجل الله وانا عبد مأمور فلتكرم نفسي في عينيك ولا تبدني كما ابدت قائدي الخمسين وخمسيهما فاوحى الرب لايليا ان انزل معه فنزل وقال للملك ما كان قاله لرسله وتركه فمات احزيا بعد ان ملك سنتين فقط بعضها في حياة ابيه وبعضها بعد موته فكثيرًا ما اشرك ملوك اسرائيل ابناءهم في الملك على عادة ملوك فارس وغيرهم من ملوك المشرق لا سيما اذا مضوا لحرب يخشون الموت فيها وهذا يوفق ما يظهر من التضاد احياناً في تعيين سني ملوك يهوذا واسرائيل بين رواية اسفار الملوك وسفري اخبار الايام ولما لم يكن لاحزيا ابن ملك مكانه اخوه يورام بن احاب (ملوك ٤ فصل ١)

ويظهر انه في نحو هذا الزمان ارتفع ايليا نحو السماء ولم يظهر بعد وترك اليشاع خلفاً له قال كثير من الاباء ومفسري الكتاب ان ايليا ما برح حياً وسيعود الى العالم قبل قيام الساعة . استمساكاً بقول ملاخيا النبي (ف ٤ ع ٥)

« هأنذا ارسل اليكم ايليا النبي قبل ان يجيء يوم الرب العظيم الرهيب فيرد قلوب الآباء الى البنين » وكان الكتبة في ايام المخلص يقولون ان ايليا يلزم ان يأتي قبل مجيء المسيح ولما ذكر الرسل ذلك للمخلص اجابهم « الحق اقول لكم ان ايليا جاء ولكنهم لم يعرفوه بل صنعوا به كل ما ارادوا » (متى ف ١٧ ع ١١) ... الرسل انه عنى بذلك يوحنا المعمدان الذي قيل فيه في بشارة لوقا (... ١) « انه يتقدم امامه بروح ايليا النبي وقوته ويرد قلوب الآباء الى الابناء » ... في كلام ملاخيا ولذلك قال بعضهم ان نبوة ملاخيا لا يتحقق منها مجيء ايليا الى العالم في اخر الزمان وانه ربما كان هذا المذهب معاوناً لليهود في زعمهم ان المسيح لم يأتِ بعد لان ايليا لم يجيء بعد على ان المذهب الاول اي ان ايليا واخنوخ ايضاً ما برحا حيين وسوف يأتيان قبل يوم الدين الى العالم هو الذي عليه اكثر الاباء والمفسرين بل سماه سنكتيوس الراي العام وقالوا ان قول المخلص ان ايليا جاء مجازي يريد به ان مجيء يوحنا للتبشير به قبل ظهوره للعالم اشبه بمجيء ايليا قبل اليوم الاخير لانذار الناس ومقاومة الدجال وايدوه بما جاء في رؤيا يوحنا (فصل ١١ عد ٣) « وساقيم شاهديَّ (اي ايليا واخنوخ) فيتنبآن الفاً ومئتين وستين يوماً وعليهما مسوح » وبان الترجمة السبعينية روت في بعض نسخها قول ملاخيا « هأنذا ارسل اليكم ايليا النبي التشبي » واحتجوا له ايضاً بما جاء في كلام ابن سيراخ (فصل ٤٨ عد ٦) في ايليا « وخطفت في عاصفة من النار في مركبة خيل نارية وقد اكتتبك الرب لاقضية تجري في اوقاتها ولتسكين الغضب قبل حدته ورد قلب الاب الى الابن » ولا ننكر ان قول ابن سيراخ مشير الى نبوة ملاخيا ومحقق ان المراد بها مجيء ايليا قبل اليوم الاخير . ولهم في المباحث المتعلقة بهذا الامر اقوال ... لا ان يقيم اخنوخ وايليا الان أفي الهواء ام في السماء ام في الفردوس

او في جنة وبكلٍ منها قائلٌ واحسن الاقوال واسدّها انهما في محل يعلمه الله ولم يعلمنا به وكذلك أياكلان ويشربان ويلبسان ام تغنيهما عناية الله عن ذلك والاظهر الثاني

وقد خلف اليشاع ايليا واثبت الله رسالته بآيات منها انه ضرب مياه الاردن بردآء ايليا الذي سقط عليه عند صعوده فانفلقت الى هنا وهناك وعبر على اليبس بمرأى من ابنآء الانبيآء ومنها اصلاحه نبع مآء اريحا بوصفه الملح فيه وخروج دبتين من غاب بيت ايل وافتراسهما اثنين واربعين صبيا كانوا يعيرونه قائلين اصعد يا اجلح اصعد يا اجلح ولا ريب انهم كانوا يستوجبون هذه العقوبة هم وآباؤهم ومنها اكثاره الزيت لاحدى الارامل حتى وفت دينها به واقامته ابن الشونمية من الموت وابراؤه نعمان رئيس جيش ارام من البرص وضربه خادمه جحزي بالبرص لانه اخذ من نعمان المذكور قنطارين من الفضة وحلتين من الثياب

عد ٣٠٨

في يورام بن احاب

ملك يورام بن احاب مكان احزيا اخيه لانه لم يكن له ابن وصنع الشر في عيني الرب ولكن لا كابيه وامه لانه ازال تمثال البعل الذي صنعه ابوه الا انه اعاد عبادة العجل التي ادخلها ياربعام بن نباط اقتداءً بالمصريين . فاثار الرب عليه ميشاع ملك مواب فعصاه وابى ادآء الجزية التي كان هو واسلافه يقدمونها لملك اسرائيل وكانت تلك الجزية مئة الف حمل ومئة الف كبش بصوفها ولا عجب بكثرة هذه الاغنام لان منبع ثروة مواب كان تربية الماشية وبلادهم صالحة لها فلو فرضنا فيها الفي مالك للماشية ولكل منهم الف رأس كانت الجزية عشر مالهم ولم يصرّح الكتاب أفي كل سنة كان ملك مواب يقدم هذه

الجزية ام عند قيام الملك فقط ويحتمل ان كان الاخير كما مر آنفاً . فنظم الامر على يورام واحصى رجال مملكته وارسل الى يوشافاط ملك يهوذا سائلاً هل يمضي معه الى مواب للقتال فاجابه كما اجاب اباه احاب انما نفسي كنفسك وشعبي كشعبك وخيلي كخيلك وصعد الملكان في طريق ادوم لان ملك ادوم كان حليفاً ليوشافاط ولانهم خافوا ان يسطو عليهم ملك دمشق ان داروا حول البحر الميت من جهة المشرق فداروا من جنوبيه ولم يجدوا ماء فقال يوشافاط أليس ههنا نبي للرب فنسأل به فقيل له ان ههنا اليشاع فانحدر اليه الملكان وملك ادوم وقال اليشاع لملك اسرائيل ما لي ولك امضِ الى انبياء ابيك وامك ولولا تكريمي لوجه يوشافاط ملك يهوذا لما نظرت اليك ثم قال لهم النبي اجعلوا هذا الوادي حفراً حفراً فيمتلي ماء ولا ترون ريحاً ولا مطراً وسيدفع الرب مواب الى ايديكم وكان في الغداة ان مياهاً جاءت من طريق ادوم فامتلأت الارض ماء واجتمع الموابيون للحرب وبكروا بالغداة وقد شرقت الشمس على المياه فرأوها حمراء كالدم فتوهموا ان الملوك اقتتلوا حتى صبغ دم قتلاهم المياه وتهافتوا دون نظام ولا محاذرة على محلة الملوك فضربهم الملوك وهزموهم ودخلوا بلادهم وهم يعملون السيوف بهم وهدموا مدنهم وردموا عيون مائهم وقطعوا كل شجرة حسنة في ارضهم وحاصروا قير حراست حاضرتهم وهي الكرك الآن . ولما رأى ملك مواب ان قد اشتدت الحرب عليه اخذ معه سبع مئة رجل مخترطين السيوف ليخترقوا الصفوف الى ملك ادوم فلم يقدروا ويئس ملك مواب من النجاة واعتقد ان كاموش معبوده ساخط عليه وانه لا يخمد غضبه عنه الا ان يضحي بابنه ترضية له فاصعد بكره محرقة على اسوار المدينة فلما رأى بنو اسرائيل ذلك حنقوا حنقاً شديداً وانصرفوا عن المدينة ورجعوا الى ارضهم (٤ ملوك ٤ ف ٣)

ويظهر مما مر في كلامنا على يوشافاط ان الادوميين انحازوا بعد هذه الحرب الى ميشاع ملك الموابيين وخرجوا معه على يوشافاط ودمروا مدناً كثيرة في مملكة يهوذا انتقاماً من يوشافاط لانه خرج مع ملك اسرائيل على الموابيين وانتصر عليهم في عين جدي كما مر في الكلام عليه . وقد كُشف من امد قريب عن صفيحة تثبت ما ورد في الكتاب عن هذه الحروب اثباتاً علمياً قاطعاً وهي المعروفة بصفيحة ميشاع

﴿ عد ٣٠٩ ﴾

في صفيحة ميشاع

ان هذه الصفيحة قد كشف عنها سنة ١٨٦٩ كلرمون كانو الافرنسي ترجمان قنصلية افرنسة في اورشليم وقتئذٍ وهي الان في متحف اللوفر في بريس بين الآثار اليهودية بمنزلة كنز ثمين قال فيه دي فوكوه انه ليس بين الآثار العبرانية ما يعادله اعتباراً واهمية وهي من حجر اسود كالصفائح المصرية علوها نحو متر وعرضها نحو ستين سنتيمتراً وقد استمرت مدفونة من نحو تسعة قرون قبل الميلاد الى سنة ١٨٦٩ بعده في سفح اكمة في جانب ديبان شرقي البحر الميت على ثلاثة ايام من اورشليم . وكان سكان البادية قد كسروا هذه الصفيحة وهي الان في اللوفر مركبة من نحو عشرين قطعة ولم تزل بعض قطعها مفقودة ولا امل بوجدانها والخطوط المكتوبة عليها باللغة الموابية وهي فرع من اللغة العبرانية المدونة بها الاسفار المقدسة فكل كلماتها يمكن ردها الى اصل عبراني وهي من اول الامثلة للكتابة بالحروف وقد حوت اربعة وثلاثين سطراً وترجمها برمتها لانرمان في تاريخه القديم للمشرق (مجلد ٦ صفحة ٢٧٤ طبعه ٩) وفيكورو في الكتاب والاكتشافات الحديثة (مجلد ٤ صفحة ٦٠ طبعة ٥) وقد ترجمناها عنهما موثرين ما رأيناه الاحسن لتأدية المعنى من الترجمتين



صحيفة ميشاع ملك مواب صفحة ٤٣٦

• انا ميشاع بن كاموش ملك مواب الديبُوني (نسبة الى ديبون وهي ديبان اليوم) ملك ابي في مواب ثلثين سنة وملكت انا بعد ابي واقمت هـذا الباماه (المحل المشرف والمراد هنا الصفيحة) لكاموش في كوركا (الاظهر ان الكلمة علَم للاكمة حيث وجدت الصفيحة او لمدينة ميشاع الملكية) لانه خلصني من كل من اعتدوا عليَّ وجعلني ان اقهر مناصبيَّ. ان عمري كان ملك اسرائيل وضايق مواب اياماً طوالاً لان كاموش كان ساخطاً على ارضه. وخلفه ابنه احاب فقال انا ايضاً اقهر مواب في ايامي (او في مدة حياتي) واتسلط عليه واذله هو وبيته فباد اسرائيل بيدًا دائماً • وكان عمري استحوذ على ارض ميدبا واحتلها وعاش هو وابنه اربعين سنة فاستردها كاموش في ايامي. انا بنيت (او اقمت) بعل معون (معين الان) واحتفرت هنالك آباراً واقمت قرياتيم (على عشرة اميال من ميدبا غرباً) وكان رجال جاد يسكنون في ارض عطاروت (في جانب جبل عطروس) منذ زمان مديد فحاربت المدينة وافتتحتها وقتلت كل رجالها فكان ذلك مشهدًا لكاموش ومواب واخذت من ثمه مذبح دودو (داود) وطرحته على الارض امام كاموش في قريوت (علها قرياتيم المار ذكرها) واسكنت هنالك رجال ستارون ومقارة (لا يعرف موقعهما) وقال لي كاموش امضِ وافتتح نابو (في جانب جبل نبو) على بني اسرائيل فمضيت ليلاً واقمت الحرب عليها من الفجر الى الظهر فاخذتها وقتلت كل رجالها سبعة الاف رجل ونساءهم واستحييت البنات والعبيد لاني قدمتهم الى عشتاروت كاموش واخذت من هنالك آنية يهوه (اله العبرانيين) وطرحتها على الارض امام كاموش وكان ملك اسرائيل بنى ياسا واحتلها عند ما كان يحاربني فطرده كاموش من امام وجهه لاني اخذت من مواب مئتي رجل من احسن الرجال وارسلتهم على ياسا فاخذتها وضممتها الى ديبون (يظهر منه ان ياسا كانت

حذاء ديبان) انا بنيت كوركا (المار ذكرهــا) واسوار يعرين واوفيل واقمت ابوابها وابراجها وبنيت دار الملك والسجون في وسط المدينة ولم تكن آبار في كوركا فامرت الشعب ان يحتفر كل منهم بئرًا في بيته وحفرت مجاري لجلب الماء الى كوركا واشغلت فيها اسرى اسرائيل . انا بنيت عراعر (عراعير الان) ومهدت طريق ارنون (النهر المعجب) انا بنيت بيت باموت لانها كانت خراباً وبنيت باصور لانها كانت ... ديبون خمسين لان ديبون كلها خاضعة لامري واكملت عدد المئة مع المدن التي الحقتها بارض مواب واقمت ... وبيت ديابلاتيم وبيت بعل معون واتيت الى هناك ... واورونيم كان يسكن فيها ... وكاموش قال لي انزل فحارب اورونيم فانا ... وكاموش في ايامنا وعلى ... صنع ... وانا ... » فهذه ترجمة صفيحة ميشاع ويشار بالنقط المتالية الى القطع المفقودة واليك مثالاً لهذه الصفيحة عن اصلها المحفوظ في متحف اللوفر

لا جرم ان ميشاع صاحب هذه الصفيحــة انما هو ميشاع ملك مواب الذي جاء في الكتاب انه عصى على يورام ابن احاب وان الحرب التي تفـاخر بانه آثارها على اسرائيل انما هي الحرب التي ذكرها الكتاب في سفر اخبار الايام الثاني (فصل ٢٠) وقد مر ذكرها في كلامنا على يوشافاط فانه دمر حينئذٍ هو وحلفاؤه مدن اسرائيل في عبر الاردن وانتهى الى عين جدي . ولا غرو ان ميشاع لم يشأ ان يخلد في صفيحة ذكر انخذاله بل ذكر ظفره كما فعل المصريون والاشوريون في خطوطهم القديمة . ولا يقام نكير على ان الصفيحة مثبتة اثباتاً علمياً آيات كثيرة من الكتاب وتطابقه جوهرًا في رواية عمري واحاب وحرب ملك يواب مع يورام ويوشافاط وتوافقه في تاريخ مدة ملك عمري واحاب ابنه فقد صرَّح الكتاب بان عمري ملك اثنتي عشرة سنة واحاب ابنه اثنتين وعشرين سنة وان زمري نازع عمري الملك فلم يستبد به الا بعد مدة فان جعلنا مدة

النزاع ست سنين كما جعلها بعض المحققين كانت مدة ملك عمري واحاب ابنه اربعين سنة كما في الصفيحة وايضاً تكون المطابقة بين الكتاب والصفيحة ان اضفنا الى سني ملك عمري واحاب التي هي اربع وثلاثون سنة السنتين اللتين ملك فيهما احزيا بن احاب وجعلنا تحرير مواب من سلطة اسرائيل في السنة الرابعة ليورام بن احاب فيكون المجموع اربعين سنة

وجاء في الصفيحة « وكان رجال جاد يسكنون في ارض عطاروت منذ زمان مديد (وفي ترجمة لانومان منــذ زمان لا يذكر بدؤه) ... وقال لي كاموش امضِ وافتتح نابو على بني اسرائيل » وجاء في الكتاب (سفر العدد فصل ٣٢) « جاء بنو جاد وبنو رأوبين وكلموا موسى ... وقالوا ان عطاروت وديبون ويعزير ... ونابو ومعون هي ارض تصلح للماشية ولعبيدك ماشيــة فان اصبنا عندك حظوة فلتعطَ هذه الارض لعبيدك » وقيل بعد ذلك « فبنى بنو جاد ديبون وعطاروت وعروعير ... وبنى بنو رأوبين حشبون وقرياتيم ونابو وبعل معون » فتأمل بهذا الطباق بين اسماء هذه المدن في الكتاب وفي الصفيحة . ولما كان ما ذكره الكتاب مرّ عليه نحو من سبعة قرون قبل ميشاع فحق له ان يقول ان بني جاد كانوا يسكنون هذه الارض منذ زمان مديد او منذ زمان لا يذكر بدؤه . على ان قوله انه بنى هذه المدن يراد به انه رممها او جدد بناءها بعد الخراب الذي اوقعه بها عسكر يورام ويوشافاط كما مر . ولا تسهُ عن الطباق في اسمي كاموش معبود مواب ويهوه اله اسرائيل بين الكتاب والصفيحة . وقد حلّت لنا هذه الصفيحة معضلةً اخرى وهي ان آيات المزمور الـ١١٩ والفصل الـ٣١ من سفر الامثال موزعة على احرف الهجاء اي تبتدي كل آية منهما بحرف من الحروف الاثنين والعشرين . فقال بعض المنددين بالكتاب لم تكن احرف الهجاء حينئذٍ في العبرانية اثنين وعشرين حرفاً لان بعض

هذه الحروف وضع متأخرًا فجأت هذه الصفيحة حاوية الاثنين والعشرين حرفًا فافحمت المنددين

عد ٣١٠

في الحرب بين ملك ارام وملك اسرائيل والمجاعة في السامرة

كان ملك ارام ابن هدد الثاني يحارب يورام ملك اسرائيل وقد تعسر عليه الظفر فلجأ الى الحيلة وفاوض اعوانه في ان يقيم كمينًا لملك اسرائيل فيقتله غيلة فارسل اليشاع وحذَّر يورام من العبور في محل الكمين واستجس فتحقق مقال النبي فاحتفظ بنفسه وعلم ملك ارام وظن ان بين اعوانه من يخونه فقيل له ان اليشاع النبي يخبر يورام بما يسره اعداؤه فارسل خيلاً ومراكب وجيشاً ليقبض على اليشاع ليلاً في دوتان (وهي تل دوتان الان على نحو اثني عشر ميلاً من السامرة شمالاً) ورأى غلام اليشاع الجيش فصرخ الى سيده فقال له لا تخف فان الذين معنا اكثر من الذين معهم ونزل اليهم اليشاع فاعماهم الرب عن عرفانه وقال لهم ليست هذه الطريق ولا هذه هي المدينة تعالوا ورائي فاسير بكم الى الرجل الذي تطلبون فسار بهم الى السامرة وفتح الرب عيونهم فابصروا فاذا هم في وسط السامرة ونهى النبي يورام عن مضرتهم بشيء بل اصلح لهم بامره مأدبة عظيمة فاكلوا وشربوا ثم اطلقهم فمضوا الى سيدهم

فعدل ابن هدد عن الحيل وعزم على ان يجاهر ملك اسرائيل بالمحاربة وجيَّش جيوشه وحاصر السامرة ورأى ملك اسرائيل عجزه عن المهاجمة فاكتفى ان يحصن نفسه ضمن اسوار المدينة فحصل جوع شديد حتى بيع راس الحمار بثمانين من الفضة وقدرها كانت بقيمة مئة وثلاثين فرنكًا وقال بعضهم ان المراد برأس الحمار الحمار برمته . وبيع ربع قبٍ (مكيال) من زبل الحمام بخمسة من

الفضة عبارة عن ثمانية فرنكات ونيف . ولهم في تفسير هذا الزبل اقوال منها ان المراد به السرقين على ظاهر لفظه وقد اضطرهم الجوع الى الاقتيات به وقالوا انه لا يخلو من مادة مغذية بدليل ان بعض الطائر يأكله ويتغذى به ومنها ان المراد بزبل الحمام الحبوب التي تعد لقوته كالزوان وغيره او التي كان الحمام يجمعها في وكره وكان الحمام كثيرًا في السامرة وعن يوسيفوس انهم كانوا يعتاضون بهذا الزبل عن الملح والاظهر ان زبل الحمام كان عندهم اسماً لنبات كالحماض من طائفة الحمص كانوا يقتاتون به حتى غلى ثمنه او اسماً لحبوب تنبت على اصول بعض الاشجار كحب الحمص وكانوا يأكلونه (عن سنكتيوس عن كالمت في تفسير الاية) وقد اشتد الجوع حتى اكلت النساء اولادهنَّ ووافت يورام امرأة تشكو جارتها بانها قالت لها هاتي ابنك نأكله اليوم وغدًا نأكل ابني فطبختا ابنها واكلتاه وفي اليوم الثاني اخفت الاخرى ابنها فاحتدم الملك ومزق ثيابه وجعل على بدنه مسحاً من تحت ثيابه واراد ان يقتل اليشاع لتيقنه انه كان قادرًا على ازالة هذا الضيق بصلاته فلم يُزلهُ وارسل الملك رجلاً يقتله وعرف اليشاع ذلك وكان جالساً في بيته والشيوخ جلوس معه فاخبرهم به وقال اذا دخل الرسول فاغلقوا الباب واضغطوه فيه ثم قال للشيوخ في مثل هذه الساعة من غدٍ يباع مكيال السميذ بمثقال ومكيالا الشعير بمثقال بباب السامرة فقال احد اعوان الملك لو فتح الرب كوى في السماء هل يتم ذلك فاجابه النبي سترى ذلك بعينيك ولكنك لا تأكل منه وكان اربعة رجال برص يقومون عند مدخل السامرة لمنع البرص من مخالطة القوم فضايقهم الجوع وقال احدهم لصاحبه ان دخلنا المدينة متنا وان بقينا هنا متنا جوعاً هلمَّ ننزل الى محلة الاراميين فان ابقوا علينا عشنا والا فلا اكثر من الموت في كل حال فمضوا غلساً الى محلة الاراميين فلم يجدوا احدًا وذلك ان الرب كان اسمع

جيش الاراميين اصوات مراكب وخيل وعسكر جرار فتوهموا ان ملك اسرائيل استأجر عليهم ملوك الحثيين وملوك المصريين فقاموا وهربوا عند الشفق وخلوا خيامهم وخيلهم وكل ما كانوا ثمة يملكون فدخل البرص المحلة واكلوا وشربوا واخذوا بعض الغنائم وبادروا الى المدينة ينادون بما رأوا فلم يصدق الملك الى ان ارسل من حقّقوا الخبر فخرج الشعب وانتهبوا محلة الاراميين وغنموا بما فيها حتى صار مكيال السميذ بمثقال ومكيالا الشعير بمثقال كما قال النبي . ووكل الملك على الباب من كان انكر على النبي صدق نبوته فداسه الشعب ومات وتمت به نبوة النبي ايضاً (ملوك ٤ فصل ٦ و ٧)

ومرض ابن هدد ربما لانخذال جيوشه ووافى اليشاع دمشق فقيل له قد اتى رجل الله الى هنا فقال الملك لحزائيل وزيره حمل اربعين جملاً من اجود ما في دمشق هدية واذهب اليه واسأله هل ابرأ من مرضي فعمل حزائيل وقال له اليشاع امضِ وقل له لن تبرأ . ثم حدّق نظره اليه حتى بكى فقال حزائيل ما بال سيدي يبكي فقال لاني علمت بما ستصنعه ببني اسرائيل من السؤ فانك ستحرق حصونهم وتقتل فتيانهم وتشدخ اطفالهم وتشق حبالاهم فقال من عبدك الكلب حتى يفعل هذا الامر العظيم فقال اراني الرب اياك ملكاً على ارام . فانصرف حزائيل ودخل على سيده فقال له ما قال لك اليشاع فقال بشرني بانك تعيش . واخذ في الغد قطيفة (وهي دثار مخمل يضمه الانسان عليه عند نومه) وغمسها بالمآء وبسطها على وجهه فمات فقال بعضهم ان الملك نفسه بسط هذه القطيفة عليه او امر بسطها تبريدًا لحرارة الحمى التي كانت تعذبه وقال غيرهم ان حزائيل بسطها عليه بهذه الحجة وشدها على وجهه حتى قطع الهوآء عنه فمات وهذا هو الظاهر من كلام يوسيفوس . وبعد موت ابن هدد ملك حزائيل مكانه (ملوك ٤ فصل ٨ الى عد ١٦)

﴿ عد ٣١١ ﴾

في يورام ملك يهوذا

ملك يورام بن يوشافاط على يهوذا في السنة الخامسة للملك يورام بن احاب على اسرائيل وقد ملك مع ابيه سنة كما يتبين من سفر الملوك الرابع (فصل ٨ عد ١٦) حيث قيل وملك يورام ويوشافاط مالك على يهوذا. وانه ملك ثماني سنين في اورشليم ثم قال (في عد ٢٥) ان احزيا بن يورام مالك في السنة الثانية عشرة ليورام بن احاب فيظهر انه ملك نحو سنة في ايام ابيه وسبع سنين بعده . وكان كل من ملكي يهوذا واسرائيل يسميان يورام وكان يورام ملك يهوذا متزوجاً بعثليا بنت احاب وايزابل فسار في طريق بيت احاب وصنع السوء . ومن الاحداث المهمة في ايامه خروج الادوميين من تحت ايدي يهوذا بعد ان كانوا من ايام داود يؤدون الجزية والخراج لملوك يهوذا فقد قتلوا ملكهم الذي كان يخلص الامانة ليوشافاط وجاهروا بالعصاوة على يورام ابنه فعبر الاردن وضرب بعض مدنهم على انه اضطر ان ينكس يئساً من ردهم الى الطاعة فذهبت مهابته وذات سطوته في اعين الادوميين وغيرهم فقد قال الكتاب باثر ما مر « وفي ذلك الوقت تمردت لبنة » عليه . وقد كانت مدينتان تسميان بهذا الاسم احداها في نصيب سبط يهوذا ذكرت في سفر يشوع بن نون (فصل ١٥ عد ٤٢) وجاء في سفر اخبار الايام الاول (فصل ٦ عد ٥٧) انها جعلت مدينة ملجأ لبني هرون وقال اوسابيوس والقديس ايرونيموس ان موقعها كان في ناحية بيت جبرين وعن لانرمان انها المدينة التي تمردت على يورام اذ قال في تاريخه القديم للمشرق (مجلد ٦ عند كلامه في يورام) « في ذلك الوقت ابت لبنة المدينة الكهنوتية الواقعة في سهول يهوذا ان تخضع لهذا الملك الاثيم » ولبنة الثانية جاء ذكرها في سفر العدد (فصل ٣٣ عد ٢٠) بين

مراحل بني اسرائيل اذ قيل « وارتحلوا من رمون فارص ونزلوا بلبنة » وعليه فهي في البرية ويظهر من قول يوسيفوس (ك ٩ في تاريخ اليهود فصل ٢) ان هذه هي المدينة التي تمردت على يورام اذ قال « ان حملة يورام على الادوميين ذهبت بمهابته امام هولاء الشعوب وجرأت غيرهم على الثورة عليه فلم يشأ سكان بلاد لابين (كذا يسمي لبنة) ان يخضعوا لسلطته »

ومن فظائع هذا الملك انه قتل اخوته الستة عن آخرهم مع جماعة من روساء اسرائيل منقادًا الى ذلك بمشورة امرأته عثليا بنت احاب وايزابل وربما كان اولئك الروساء يقاومونه باكراهه الشعب على المضي الى المشارف ليسجدوا للاوثان . وجاء في سفر اخبار الايام الثاني (فصل ٢١ عد ١٢) انه « وردت اليه كتابة من ايليا النبي » وتضاربت الاقوال في مصدر هذه الكتابة لان ايليا كان قد صعد بالنعام . فمن قائل ان ايليا كان عرف بالروح النبوي ما سيكون من يورام فاستودع هذه الكتابة تلميذه اليشاع ليبلغها الى يورام حين الحاجة اليها . ومن قائل ان هذه الكتابة من قلم ياهو النبي ابن حناني فغيَّر النساخ اسم ياهو باسم ايليا . ومن قائل ان ايليا ظهر لاحد الانبياء ولقنه هذه الكتابة وامره ان يمضيها باسمه ويرسلها الى يورام . ومن قائل ان ايليا كتبها من محل اختفائه وفحواها « قال الرب اله داود ابيك لاجل انك لم تسِر في طرق يوشافاط ابيك وفي طرق آسا ملك يهوذا بل سلكت في طريق ملوك اسرائيل وحملت يهوذا وسكان اورشليم على ان يفجروا كما فجر بيت احاب وقتلت ايضًا اخوتك آل ابيك الذين هم خير منك فها هوذا الرب يضرب شعبك ضربة عظيمة مع بنيك وازواجك وجميع مقتناك ويضربك انت بامراض كثيرة بمرض في امعائك حتى تتساقط امعاؤك بسبب المرض يومًا فيومًا »

وقد اثار الرب على يورام الفلسطينيين والعرب الذين بقرب الكوشيين

والمراد بهم العرب سكان جنوبي العربية حيث اليمن ومساكن المدينيين الذين يسمون كوشيين كما مر او الكوشيون حقيقةً وهم سكان الحبشة وزحفت عساكر العرب الى مملكة يهوذا وانجدهم الفلسطينيون فافتتحوا مدنها واتصلوا الى اورشليم عاصمتها وانتهبوا كل ما وجد من المال في بيت الملك وسبوا بنيه ونسآءه فلم يبقَ له الا يواحاز اصغر بنيه ويسمى احزيا ايضاً ولم يلبثوا في اليهودية بل قفلوا الى بلادهم غانمين . واما يورام الملك فضربه الرب بدآء عضال في امعائه حتى خرجت امعاؤه بعد ان قضى سنتين في الامه ومات غير مأسوف عليه ولم يدفن في مقبرة الملوك بل في محل آخر في مدينة داود وكانت مدة حياته اربعين سنة ملك في ثمان منها . وقال يوسيفوس (ك ٩ ف ٣ من تاريخ اليهود) انه ملك ثماني واربعين سنة وهو ولا جرم خطآء من النساخ لان يوسيفوس ذكر بعد ذلك ما يخالفه (سفر اخبار الايام الثاني فصل ٢١)

عد ٣١٢

في احزيا ملك يهوذا وياهو ملك اسرائيل

قد خلف احزيا اباه يورام وكان عمره يوم ملك اثنتين وعشرين سنة وملك سنة واحدة وكانت امه عتليا تدبره فاستسار في طريق بيت احاب جده لامه وكانت في سنة ملكه الحرب بين حزائيل ملك دمشق خليفة ابن هدد الثاني وبين يورام خاله ملك اسرائيل وخرج احزيا مع خاله لقتال حزائيل في راموت جلعاد (السلط) والاظهر والاطبق للنص العبراني ان يورام كان قد استرد راموت جلعاد من ملك دمشق مغتنماً فرصة موت ابن هدد فحاول حزائيل خلفه استردادها من ملك اسرائيل فكانت الحرب بينهما هناك وجرح فيها يورام واضطر ان يعود الى قصره في يزرعيل (زرعين) ليتعالج من الجراح التي اصابته وتبعه احزيا ابن اخته ليعوده وبقي ياهو رئيس الجيش محافظاً على

راموت فابتدعى اليشاع احد تلاميذه وامره ان يأخذ قارورة الدهن ويمسح ياهو بن يوشافاط بن نمشي ملكًا على اسرائيل بدلاً من يورام بن احاب فمسح تلميذ اليشاع ياهو قائلاً قد مسحك الرب ملكًا على اسرائيل فاضرب بيت احاب ولا تبقِ على احد منه وانتقم لدماء عبيد الرب وانبيائه فخرج ياهو واخبر قومه بما كان فنادوا به ملكًا وركب ياهو واخذ معه فريقًا من الجيش ميمماً يزرعيل ولما رآه الرقباء اخبروا الملك فارسل فارسا للكشف فامسكه ياهو عن العود وكذلك فعل بالفارسين الثاني والثالث ولما دنا ياهو من المدينة خرج اليه يورام ملك اسرائيل واحزيا ملك يهوذا فالتقيا به عند حقل نابوت اليزرعيلي فقال يورام أسلامٌ يا ياهو فقال له اي السلام ما دام فجور امك ايزابل وسحرها الكثير فرد يورام يديه وهرب قائلاً لاحزيا خيانة يا احزيا فرماه بالقوس فاصابه بين ذراعيه ونفذ السهم من قلبه فمات في مركبته وقال ياهو لاحد اعوانه خذه واطرحه في حقل نابوت واذكر اذ كنت راكبًا انا وانت معاً وراء احاب ابيه كيف جعل الرب هذا الحمل عليه . واما احزيا فهرب في طريق بيت البستان فجرى ياهو في اثره وقال ارموه فرموه وجرح واستمر هارباً الى مجدُّو (اللجون الان) فمات هناك وحمله عبيده في المركبة الى اورشليم ودفنوه مع ابائه في مدينة داود

ثم دخل ياهو يزرعيل وكحلت ايزابل عينيها وزينت رأسها واشرفت من طاقٍ ولما دخل ياهو من الباب قالت أسلامٌ لزمري قاتل سيده فامر خصيانه ان اطرحوها فطرحوها فترشش من دمها على الحائط وعلى الخيل وداستها ودخل واكل وشرب وقال افتقدوا هذه الملعونة وادفنوها لانها بنت ملك فمضوا فلم يجدوا منها الا جمجمتها ورجليها وكفيها فعادوا واخبروه فقال هذا كلام الرب على لسان ايليا النبي انه في حقل يزرعيل تاكل الكلاب لحم ايزابل . قال كاران

(مجلد ١ في السامرة صفحة ٣٢٠) ان الطاق الذي اشرفت منه ايزابل لم يكن في محل البرج القائم الان في زرعين بل كان عند سور المدينـة الشرقي من حيث دخل ياهو والظاهر من آي الكتاب انهـا اشرفت عليه عند دخوله في بابه المدينة وهناك رجم نابوت اليزرعيلي

وكان لاحاب سبعون ابناً في السامرة فكتب ياهو الى روساء اسرائيـل فيها ان عندكم بني سيدكم وعندكم المراكب والخيل والسلاح انظروا الاصلح من بني سيدكم واجلسوه على عرش ابيه وقاتلوا عنه فخافوا جدًّا وقالوا هوذا ملكان لم يثبتا امامه فكيف نثبت نحن وارسلوا قائلين انما نحن عبيدك وكل ما قلت لنا نفعله لا نقيم احدًا ملكاً وما يحسن في عينيك فافعله . فكتب اليهم كتاباً ثانياً يقول فيه ان كنتم لي ومن المطيعين لامري فخذوا رؤوس ابناء سيدكم وتعالوا اليَّ في مثل هذه الساعة من غدٍ فاخذوا ابناء الملك وذبحوا السبعـين رجلاً وجعلوا رؤوسهم في سلال ووجهوها اليه . فقـال اجعلوا الرؤوس كومتين الى الغداة وخرج في الغداة وقال لجميع الشعب انتم ابرياء هانذا قد قتلت سيدي الملك ولكن من الذي قتل هولاء جميعاً يريد ان الله امر بقتلهم انتقاماً من احاب ونسله لانهم عثوا في اسرائيل وادخلوا فيه عبـادة الاوثان وقال اعلموا انه لا يسقط شيء من كلام الرب الذي قاله ايليا . ثم قتـل ياهو جميع الباقين من بيت احاب في يزرعيل وجميع عظمائه ومعارفه وكهنته حتى لم يبقِ منهم باقياً . وانطلق الى السامرة فالتقى باثنين واربعـين رجلاً من اقرباء احزيا ملك يهوذا كانو اتوا ليسألوا عن سلامة ملكهم فامر بقتلهم فقتلوهم على آخرهم ثم وافى السامرة وقتل كل من بقي لاحاب فيها وتظاهر بانه يريد ان يقدم ذبيحة للبعل واستدعى جميع كهنة البعل وانبيائه فاجتمعوا من كل فجٍّ في هيكل البعل الذي كان احاب بنـاه في السامرة وتحرى ان لا يكون بينهم احد

غير عباد البعل واقام على الابواب ثمانين رجلاً وقال لهم من نجا من هولاء فنفسكم بدل نفسه فضربوهم بحد السيف ولم يفلت احد منهم وكسروا تمثال البعل وهدموا بيته وجعلوه مرحاضاً . وكانت هذه الصرامة ضربة لازب لاصلاح فساد اسرائيل ورده عن عبادة الاوثان وكانت الايام تبيحها والله امر بها . الا ان ياهو ترك عجلي الذهب اللذين اقامهما ياربعام في بيت ايل (بيت اين) وداني (تل القاضي) ووعد الرب ياهو انه سيجلس من بنيه الى الجيل الرابع على عرش اسرائيل جزاء لاعماله القويمة لكنه عاقبه عن تركه عجلي الذهب باثارة حزائيل ملك دمشق الحرب عليهم كما سترى (ملوك ٤ فصل ٩ و ١٠)

جاء في سفر الملوك الرابع (فصل ١٠ عد ٣٢) . في تلك الايام ابتدأ الرب يقتطع من اسرائيل فضربهم حزائيل (ملك دمشق) في جميع تخوم اسرائيل . من باشان (باسان) الى عروعير (عراعر) التي على وادي ارنون (وادي المعجب) واكتفى الكتاب باعلامنا بهذه الحرب بهذه الاية الموجزة على ان الخطوط المسمارية كشفت لنا عما يظهر منه ان ياهو استنجد بسلمناصر ملك اشور على حزائيل ملك دمشق وكان ذلك خطاء سياسياً وخيم العاقبة ولم يفطن ان مداخلة دولة قديرة في تلك الايام تبلغ ما لا يبلغه اعداؤه من المضرة وقد جاء في نبوة هوشع على ياهو ومن اقتدى به . قد رأى افرائيم سقمه ويهوذا ضماره فانطلق افرائيم الى اشور وارسل (الهدايا او الجزية) الى الملك المنتقم لكنه لا يستطيع ان يشفيكم ولا هو يزيل عنكم الضمار . (هوشع فصل ٥ عد ١٣) وقال (فصل ١٢ عد ١) . ان افرائيم يرعى الريح ويتبع السموم ... وهم يبنون عهداً مع اشور . ثم (فصل ١٤) . لا يخلصنا اشور ... يحمل الى اشور هدية للملك المنتقم فينال افرائيم خزياً ويخجل اسرائيل من مشورته . فقبل الاكتشافات الحديثة لم يكن مغزى هذه الايات بيناً لان الكتاب لم

يخبرنا بما كان في عهد سلمناصر فتضاربت اقوال المفسرين في تفسيرها فيسرت لنا الخطوط المسمارية ادراكها اذ ابانت لنا ان سلمناصر حارب حزائيل بعيد جلوسه على منصة الملك في دمشق فقدم له ياهو حينئذٍ الجزية فقد جاء في اثار سلمناصر « في السنة الثامنة عشرة لملكي عبرت الفرات المرة السادسة عشرة وكان حزائيل ملك سورية اعتمد على قوة جيشه وألّب جنوده جمًا غفيرًا وتحصن في سانيرو في قمة الجبل المقابل للبنان (الجبل الشرقي) فحاربته وكسرته كسرًا تامًا وابدت بالسلاح ستة عشر الف من عساكره وغنمت منه بالف ومئة واحدى وعشرين مركبة وباربع مئة وسبعين فارساً مع ذخائرهم وفرَّ هو لينجو من البوار فاتبعته الى دمشق حاضرة ملكه وحاصرتها وقطعت اشجارها وسرت الى جبال حوران ودمرت مدناً تشذ عن العد واحرقتها واخذت منها اسرى لا عداد لهم ... وفي هذه الايام اخذت الجزية من صور وصيدا ومن ياهو بن عمري »

وقد سمي ياهو بن عمري لان عمري هو اصل الدولة الساقطة فهو ابو احاب وجدّ ابنيه احزيا ويورام وهو الذي بنى السامرة وجعلها عاصمة لملكه ولذلك سمى الاشوريون ملوك اسرائيل ابناء عمري ومملكة عمري . وقد نقشت على مسلة نمرود صورة تمثل سلمناصر واقفاً وبجانبيه رجلان من عظماء مملكته يحمل احدهما مظلة ويقدم الاخر اليه سفراء الملوك حاملين التقادم والجزيات وبين هولاء السفراء رجل يقبل الارض خارًا امام الملك ومن ورائه وفد يقدمون تقادمهم للعاهل الاشوري وفي اعلى المسلة صورة ايلو الاله السامي وقد نقشت على اسفلها هذه الكلمات «جزية ياهو بن عمري» وصورت على الوجه الثاني والثالث والرابع من المسلة صور التقادم محمولة على اكتاف اسرائيلين او اكفهم وخط تحتها « جزية ياهو بن عمري فضة وذهب وسبائك ذهب

وآنية ذهبية واثاث ملكي وصولجان ليد الملك وعصا من ذهب هذا ما اخذته .
وقد خُطَّ على هذه المسلة ذكر حملة اخرى غزا بها سلمناصر حزائيل ملك
دمشق في السنة الـ ٢١ لملكه واليك ترجمة هذا الخط . في السنة الحادية والعشرين
لملكي عبرت الفرات المرة الثانية عشرة وزحفت الى مدن حزائيل واخذت
حصونه واستوفيت جزية صور وصيدا وكوبل (جبيل) . ولم يأتِ بذكر ياهو
حينئذٍ مع انه قد يكون اخذ الجزية منه كما اخذ جزية مدن فونيقي . ومسلة
نمرود هذه محفوظة الآن في المتحف البريطاني ولها مثال في متحف اللوفر في
بريس . ثم مات ياهو بعد ان ملك السامرة ثماني وعشرين سنة ودفن في
السامرة وخلفه ابنه يواحاز (ملوك ٤ فصل ١٠)

الفصل السابع عشر

(في باقي ملوك يهوذا واسرائيل الى خراب السامرة)

عد ٣١٣

قتل عتليا ابناء النسل الملكي ونجاة يواش

قال الكتاب (ملوك ٤ فصل ١١) ان عتليا بنت احاب ام احزيا (ملك يهوذا) لما رأت ان ابنها قد مات اهلكت جميع النسل الملكي لتستبد هي في الملك فاخذت يوشابع ابنة الملك يورام اخت احزيا يواش ابن اخيها هو ومرضعاً له واخفته في مخدع الاسرة حيث كان ينام الكهنة في جانب الهيكل فلم يُقتل . وملكت عتليا ست سنين وهي لا تدري ان يواش حي وكانت

يوشابع عمته زوجة ليوياداع رئيس الاحبار ولما كانت السنة السابعة استدعى يوياداع روساء مئات الجنود وادخلهم الى بيت الرب وقطع معهم عهدًا واستحلفهم ان يكتموا السر واراهم ابن الملك وارسل بعض اللاويين يؤهبون الشعب لهذا الانقلاب المهم ويستدعون باقي اللاويين والكهنة وروسآء اسرات اسرائيل ليتجمعوا في اورشليم يوم سبت ولعله كان في ايام احد الاعياد الثلثة السنوية ولما اجتمعوا اقام يوياداع بعضهم لحراسة ابواب الهيكل وبعضهم للاحاطة بالملك واستخرج الاسلحة التي كانت في خزانة الهيكل ودفعها الى المحافظين واتى بيواش ومسحه هو وبنوه ووضع التاج على رأسه فصفّق كل الشعب وهتفوا يحيي الملك واقسموا على طاعته والذب عنه . وسمعت عتليا ضوضآء الشعب ودخلت الهيكل فاذا الملك قائم على المنبر على حسب عادة الملوك والروسآء واصحاب الابواق يحيطون به وجميع الشعب يفرحون فمزقت عتليا ثيابها غيظًا وكمدًا وهتفت خيانة خيانة فامر يوياداع روسآء المئات ان يخرجوها خارج الصفوف وان يقتلوا كل من يتبعها فاخرجوها وقتلوها في طريق مدخل الخيل الى بيت الملك وجعل يوياداع الملك والشعب يعاهدون الرب انهم لا يعبدون سواه ولا يحيدون عن طرق سننه وقطع عهدًا بين الملك والشعب . ودخل الشعب بيت البعل الذي في اورشليم وهدموه وحطموا مذابحه وتماثيله وقتلوا متان كاهن البعل امام المذابح وانزل روساء المئات الملك من بيت الرب الى بيت الملك فجلس على عرش الملك . وكان يوياداع مدبرًا للملك الى ان شبّ يواش (ملوك ٤ فصل ١١ وسفر اخبار الايام الثاني فصل ٢٣)

﴿ عد ٣١٤ ﴾

في يواش ملك يهوذا

ملك يواش وعمره سبع سنين واستمر على منصة الملك اربعين سنة واحسن

المسمى كل الايام التي كان فيها يوياداع يرشده واهتم يواش بمرمّة ما كان تهدم من بيت الرب . وجاء في سفر اخبار الايام الثاني (فصل ٢٤ عد ٧) ، ان عتليا الاثيمة وبنيها قد هدموا بيت الله وبذلوا جميع اقداس بيت الرب للبعليم ، فامر يوياداع ان يوضع صندوق مثقوب طبقه في جانب المذبح وكان الكهنة يضعون فيه جميع الفضة الموردة الى بيت الرب فرمّوا ما كان تهدم من الهيكل وقد زوج يوياداع يواش بامرأتين فولد بنين وبنات . وشاخ يوياداع وبلغ مئة وثلاثين سنة من عمره ومات فتبدلت حال يواش الذي كان رجلاً واهناً ضعيف العزيمة متقلباً فاقبل اليه بعد وفاة يوياداع بعض روساء يهوذا الاشرار المتملقين واغروه بان تركوا الرب وعبدوا المشاروت والاصنام فغضب الرب على يهوذا واورشليم وبعث اليهم انبياء ينذرونهم فتصامّوا عن سماعهم وحل روح الرب زكريا بن يوياداع فوقف امام الشعب وقال كذا قال الله لِمَ تتعدون وصايا الرب انكم لا تفلحون لانكم تركتم الرب فترككم فتحالفوا عليه ورجموه بالحجارة بامر الملك في دار بيت الرب ولم يذكر يواش الرحمة التي صنعها اليه يوياداع اذ كان له كأب وقال ذكريا عند موته ينظر الرب ويطالبه بدمي . ولم تمضِ سنة الا وخرج حزائيل ملك دمشق على مملكة يهوذا فقتل وخرب وافتتح جت (ذكرين) وهمّ ان يفتتح اورشليم فسولت ليواش جبانته ان يجمع كل نفيس في خزائن الهيكل ودار الملك من ايام اجداده وان يرسله جزية الى حزائيل فانصرف عن اورشليم وعاد الى دمشق على انه ارسل في السنة التالية عددًا يسيرًا من جنوده لاخذ الجزية تلك السنة فجيش يواش عسكرًا يفيف اضعافاً على جنود حزائيل فانكسر جيشه امام اولئك القليلين الذين دخلوا البلاد حتى اورشليم وقتلوا بعض اكابر يهوذا واخذوا غنيمة كبيرة ارسلوها الى حزائيل في دمشق واوسعوا يواش اهانات وشتائم وتركوه مصابًا بامراض

عديدة . فلم يحتمل عبيده انفسهم فتكه بزكريا واذلاله لهم امام اعدائهم وتحالفوا عليه وقتلوه ولم يدفنوه في مقابر الملوك وملكوا مكانه ابنه امصيا (ملوك ٤ فصل ١٢ وسفر اخبار الايام الثاني فصل ٢٤)

﴿ عد ٣١٥ ﴾

﴿ يواحاز بن ياهو ملك اسرائيل ويواش ابنه ﴾

قد مر (عد ٣١٢) ان ياهو ملك في السامرة ثماني وعشرين سنة ومات فخلفه ابنه يواحاز في السنة الثالثة والعشرين ليواش ملك يهوذا (ملوك ٤ ف ٢٣) وصنع الشر سالكاً في طريق ياربعام بن نباط الذي آثم اسرائيل فاشتد غضب الرب على اسرائيل واثار عليهم حزائيل ملك الاراميين في دمشق وابنه المسمى ابن هدد الثالث فاذلاهم واضعفا قوتهم حتى لم يبقَ ليواحاز من جنوده الا عشرة الاف راجل وخمسون فارساً وعشرة مراكب . وقد انبأنا عاموس النبي (فصل ١ عد ٣ و ٤) ان ملوك دمشق داسوا سكان جلعاد بنوارج من حديد قائلاً . هكذا قال الرب اني لاجل معاصي دمشق الثلث والاربع لا اردها لانهم داسوا جلعاد بنوارج من حديد فارسل ناراً على بيت حزائيل فتاكل قصور ابن هدد . ويظهر ان حزائيل اخذ من ملك اسرائيل كل ما ملكه في شرقي الاردن . وقد تاب يواحاز الى الرب واستعطف وجهه فاستجابه لانه رأى ضيم اسرائيل ففرج عنهم واتاهم مخلصاً فخرجوا من ضيق الاراميين . ذهب بعض المفسرين ان المراد بهذا المخلص يواش بن يواحاز وذهب غيرهم الى ان المراد ان الرب قيض ليواحاز نفسه بعض الانتصار على الاراميين فاستراح بنو اسرائيل مدة على انهم لم يعدلوا عن عبادة عجول الذهب فعاودتهم المذلة والهوان ومات يواحاز بعد ان ملك في السامرة سبع عشرة سنة وملك يواش ابنه مكانه في السنة السابعة والثلاثين ليواش ملك يهوذا . واذا راعيت

انه قيل في (ملوك ٤ فصل ١٣ عد ١) ان يواحاز مالك في السنة الثالثة والعشرين ليواش ملك يهوذا وانه ملك سبع عشرة سنة وراعيت انه قيل (في عد ١٠ من هذا الفصل) ان يواش بن يواحاز ملك اسرائيل ملك في السنة السابعة والثلاثين ليواش ملك يهوذا علمت ان ثمه غلطاً من غفلة النساخ والصواب اما ان يواحاز ملك في السنة العشرين ليواش واما انه ملك اربع عشرة سنة لا سبع عشرة واما ان يواش ملك اسرائيل ملك في السنة التاسعة والثلاثين او الاربعين ليواش ملك يهوذا

قد ملك يواش بن يواحاز في السامرة ست عشرة سنة وكان حينئذٍ ملك يهوذا وملك اسرائيل يسميان باسم واحد وهو يواش وصنع ملك اسرائيل الشر امام الرب متبعاً طريقة ياربعام بن نباط بعبادة عجول الذهب . وكان حزائيل ملك دمشق قد مات وخلفه ابنه المسمى ابن هدد الثالث بهذا الاسم من ملوك دمشق وكان واهن القوة جباناً فانتصر يواش عليه واسترد اكثر المدن التي كان ابوه حزائيل انتزعها من يد يواحاز . وقد شجع اليشاع النبي يواش على محاربة ابن هدد فان الملك علم ان النبي دنف فمضى اليه عائداً مودعاً باكياً عليه وهو يقول يا ابي يا ابي يامركبة اسرائيل وفرسانه فامره اليشاع ان يأخذ قوساً ويرمي نحو المشرق فرمى ثلاث مرات وامسك فقال له النبي ثلاث مرات تضرب ارام وتنتصر ولو رميت خمس مرات او ستاً لابدت ارام واعظم انتصارات يواش على ملك دمشق كان في وقيعة افيق (وهي افيك الان في الطريق بين دمشق واورشليم) وقد كفه عن حرب الاراميين غزاة اتوا من مواب يعثون في ارضه وينهبون وبينما هم يقبرون رجلاً ابصروا الغزاة فالقوا ميتهم في قبر اليشاع الذي كان الله توفاه فلما مست جثة الرجل عظام اليشاع عاش وقام على قدميه فطاردوا الغزاة وهزموهم . وقد انتشبت حرب بين

يواش وامصيا ملك يهوذا لما ستراه وتلاقى الملكان في بيت شمس (وهي عين شمس الان في غربي اورشليم) فانكسر بنو يهوذا من وجه ملك اسرائيل وفرَّ كلٌّ الى محله وقبض يواش على امصيا واتى الى اورشليم ودك اسوارها من باب افرائيم شرقاً الى باب الزاوية نحو اربع مئة ذراع واخذ كل ما وجده من الذهب والفضة والآنية في بيت الرب وفي خزائن دار الملك واخذ بعض وجوه بني يهوذا رهينة كيلا يعود قومهم لمحاربته وعاد الى السامرة وقد اطلق امصيا ليعود الى ملكه . ثم مات يواش ودفن في السامرة وخلفه ابنه ياربعام الثاني (ملوك ٤ فصل ١٣ وسفر اخبار الايام الثاني فصل ٢٥)

﴿ عد ٣١٦ ﴾

امصيا ملك يهوذا

ملك امصيا في اورشليم وعمره خمس وعشرون سنة واستمر على منصة الملك تسعاً وعشرين سنة وصنع ما هو قويم في عيني الرب على انه لم يُزِل المشارف بل لبث الشعب يقدمون الذبائح والبخور في الاماكن المرتفعة ولما استتب له الامر قتل قاتلي ابيه وعفا عن اولادهم جرياً على ما جاء في التوراة ان لا يُقتل الآباء بالبنين ولا البنون بالآباء بل يُجزى كل امرئٍ بما جنت يداه وقد ازمع على ان يخضع الادوميين لسلطة ملك يهوذا التي كانوا قد نبذوها في عهد يورام فاحصى شعبه بني يهوذا وبنيامين من ابن عشرين سنة فما فوق فكانوا ثلاث مئة الف منتخبين . واستأجر من بني اسرائيل مئة الف مقاتل بمئة قنطار من الفضة قال فيكورو (في معجم الكتاب) انها تساوي ثماني مئة وخمسين الف فرنك وهمَّ ان يزحف الى الادوميين فجاءه نبي لم يسمه الكتاب فقال له ايها الملك لا يذهب رجال اسرائيل معك لان الرب غاضب عليهم وان ذهبوا اسقطك الله في وجه العدو فقال امصيا فما افعل بمئة القنطار من الفضة التي

اعطيتهم فاجابه النبي ان الرب يعطيك اكثر منها كثيرًا فارجع رجال اسرائيل الى تخومهم فوغرت صدورهم عليه غيظاً واخذوا ينهبون ويقتلون في طريقهم حتى بلغ عدد القتلى ثلاثة الاف فاغضى امصيا على صنيعهم الى حين وغشيَ بعسكره بلاد ادوم في العربية وتسعرت نار الوغى بين الفريقين في وادي الملح في جنوبي البحر الميت حيث ضرب داود او يواب قائد جيشه هولاء الادوميين وقتل امصيا منهم عشرة الاف رجل واسر عشرة الاف ثم طرحوهم من اعلى صخرة فتحطموا وافتتح مدينتهم التي سماها الكتاب الصخرة وسماها اليونان بعد ذلك بترا وهي مدينة حجر في بلاد العرب وغيَّر امصيا اسمها ودعاها يقتئيل اي المفتتحة بالله

وعاد امصيا من غزوته ظافرًا متفاخرًا واحضر معه تماثيل الهة الادوميين وسجد لها استرضاء كيلا تضره فغضب الرب عليه وارسل اليه نبيًا يؤنبه على فعلته فازدجر النبي وهدده بالقتل فانذره النبي بهلاكه وانصرف عنه . وارسل امصيا الى يواش ملك اسرائيل يقول له تهكماً هلمَّ نتراءَى مواجهة وكأنه يستدعيه للنزال او الحرب ليقتص من رجاله الذين اعتدوا على بني يهوذا فارسل اليه ملك اسرائيل يقول ان العوسج (او الشوك على ما في العبرانية) الذي في لبنان ارسل يقول لارزه زوج ابنتك لابني فجازت وحش الصحراء ووطئت العوسج وفسر له مثله بقوله انك قد ضربت ادوم فطمح بك قلبك الى من هو اعظم منك فافخر وتلبّث في بيتك ولا تتعرضنَّ للشر فتسقط انت ويهوذا معك فلم ينتصح امصيا وصعد عليه ملك اسرائيل فكانت بينهما الحرب التي مر ذكرها في الكلام على يواش وقد افضت الى مذلة امصيا وشعبه وافتتاح يواش اورشليم ونهبها. ثم مات يواش وعاش امصيا بعده خمس عشرة سنة ذليلاً خاملاً الى ان تحالف عليه بعض رجاله في اورشليم ففر الى لاكيش (وهي ام التيس الان

في الجنوب الغربي من بيت جبرين وفي غربي عجلون) فارسل المتحالفون رجالاً في اثره فقتلوه في لاكيش وحمل على الخيل فدفن مع ابائه في مدينة داود واقام بنو يهوذا عزديا ابنه ملكاً مكانه (ملوك ٤ فصل ١٤ وسفر اخبار الايام الثاني فصل ٢٥)

﴿ عد ٣١٧ ﴾

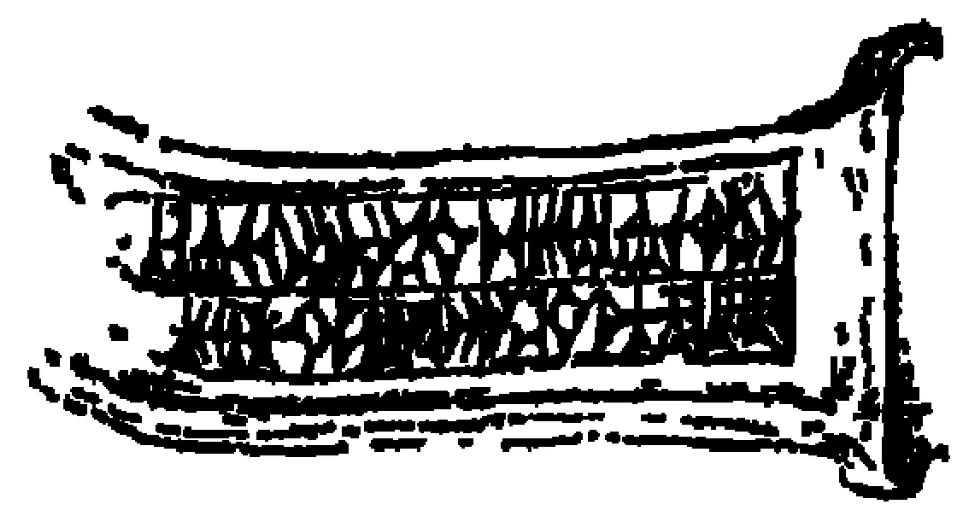
ياربعام الثاني ملك اسرائيل ويونان النبي

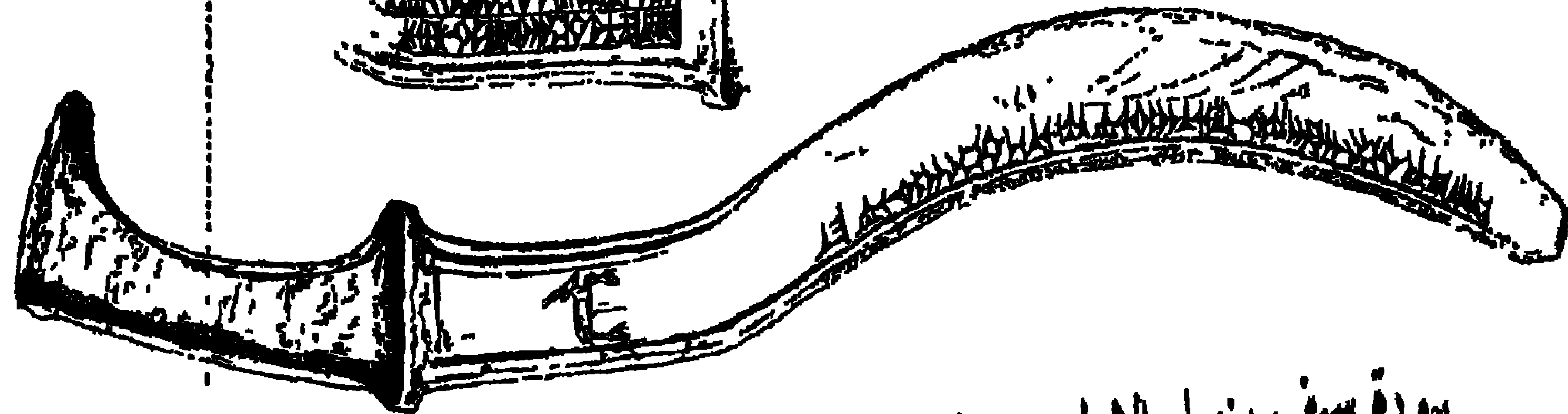
خلف ياربعام يواش اباه في الملك على اسرائيل وقد استوى على عرش الملك في السامرة احدى واربعين سنة وسلك مسلك ياربعام بن نباط على ان الرب قيض له نصرًا وفتحاً على بعض اعدائه شفقةً على بني اسرائيل اذ لم يشأ ان يمحو اسمهم بل ان يؤدبهم ويرأف بهم فحارب الاراميين في مملكة دمشق وظهر عليهم ورد تخوم مملكة اسرائيل لتكون من مدخل حماه الى بحر النور اي البحر الميت واسترد بلاد العمونيين والموابيين الى مملكة اسرائيل وانقذ بني اسرائيل الساكنين في شرقي الاردن من ولاية ملك دمشق ولم يفز ياربعام بهذا النجاح لمجرد قوته بل لتوفيق الله بل لانه تعالى قد قوى حينئذٍ ملك اشور على مملكة الاراميين في دمشق فاذلها واخمد جذوة قوتها وقد كشفت لنا الاثار الاشورية النقاب عن وجه هذه الحقيقة فقد جاء في اثار بنيرار ملك اشور انه غزا سورية واتصل الى شاطي البحر المتوسط في جهة فلسطين واليك ما كتبه على جدار بلاطه « بلاط بنيرار الملك العظيم الملك القدير ملك الشعوب ملك ارض اشور الملك الذي اتخذه اشور ملك الالهة السبعة ابنًا له ... ومن جهة الفرات الاخرى اخضعت ارض الحثي (الحثيين) وارض اهارى (او احاري اي شواطي البحر المتوسط) على اتساعها صور وصيدا وارض عمري (اي مملكة اسرائيل) وبلاد الفلسطينيين حتى البحر الكبير في

مغرب الشمس (البحر المتوسط) وافترضت عليهم جزية . وغشيت ايضاً ارض ايميروسو (سورية دمشق) لمحاربة مريحا ملك ارض ايميروسو وحصرته في دمشق عاصمة ملكه ودوخته مهابة عظمة اشور سيدي فترامى على قدمي وجاهر بتذلله وخضوعه فاخذت منه ٢٣٠٠ وزنة فضة وعشرين وزنة ذهب و ٣٠٠٠ وزنة نحاس و ٥٠٠٠ وزنة نحاس وانسجة صوف وكتان ؟ وسريرًا من عاج ومظلة من عاج واموالاً واثاثًا لا عداد لها فهذا ما اخذته من دمشق مقر ولايته ومن بلاطه ، ولا ذكر في هذه الخطوط لمملكة يهوذا مع انها ذكرت مدن فونيقي ومملكة اسرائيل في شماليها ومدن فلسطين في غربيها وبلاد الادوميين في جنوبيها ويظن ان امصيا كان يلي حينئذٍ مملكة يهوذا وانه سالم التأزي . ولم تؤرخ هذه الخطوط غزوة بنيرار لمريحا ملك دمشق وحسب سميت انها كانت في سنة ٧٩٧ ق م على ان تواريخ الاشوريين تجمل غزوة شواطي البحر المتوسط وبلاد فلسطين لسنة ٨٠٣ ق م

ان هذه الخطوط منبئة بايهان ملك اشور سطوة ملك دمشق وبلة فوز ياربعام الثاني على الاراميين واسترداده ما قد كانوا اخذوه من مملكته . ويظهر ان بنيرار حالف ملك اسرائيل بعد اخذه الجزية منه وعليه فقد يكون ياربعام ناصر جيش بنيرار في افتتاح دمشق ونهبها وربما كان هذا مغزى قول الكتاب (ملوك ٤ فصل ١٤ عد ٢٨) ان ياربعام استرجع لاسرائيل دمشق . وقد جاءت هذه الخطوط ايضاً مصداقًا لنبوة عاموس النبي اذ قال (فصل ١ عد ٣) . هكذا قال الرب اني لاجل معاصي دمشق الثلث او الاربع لا اردها (اي لا ارد قضيتي اوحكمي عليها) لانهم داسوا جلعاد بنوارج من حديد فارسل نارًا على بيت حزائيل فتاكل قصور ابن هدد واكسر مزلاج دمشق واستأصل الساكن من بقعة آون والقابض على الصولجان من بيت عدن (هما محلان في







صورة سيف بنيرار الاول من اركان ملوك اشور وجد هذا السيف وعليه
اسم هذا الملك في ضواحي ديار بكر صفحة ٤٥٨

دمشق او جوارها) ويذهب شعب ارام الى الجلاء الى قير . فقد بدأ بنيرار في اذلال دمشق كما رأيت في اثره واتم تجلت فلاصر النبوة اذ جلى الاراميين الى قير كما سترى

قد كان يونان النبي في ايام يادبعام هذا لانه جاء في سفر الملوك الرابع (فصل ١٤ عد ٢٥) ان يونان هو الذي تنبأ على رد يادبعام تخوم اسرائيل من مدخل حماه الى الغور (البحر الميت) وقد نبأتنا الاثار الاشورية لمَ تردد النبي في الذهاب الى نينوى لانذار اهلها وحاول الهرب الى ترشيش (ترسيس الان) ولمَ حزن واغتم اذ لطف الله بهم ولم يخرب مدينتهم كما كان قد هددهم بلسانه اعني لان ملوك نينوى وجنودها كانوا يضيقون على بني اسرائيل ويثقلونهم بالجزيات كما رأيت وكان النبي يرى اشتداد هذا الضيق على ما هو عليه من الغيرة على شعبه ووطنه . هذا وقد تذرع جاحدوا الوحي بسماع اهل نينوى وملكها انذار يونان ونصائحه للتكذيب بآيات الوحي قائلين كيف يعمل اهل نينوى بنصائح نبي مرسل من غير آلهتهم لكن الاثار القديمة كشفت لنا الستار عن بطلان تنديدهم اذ ابانت لنا آثار كثيرة ان كل مدينة او شعب كان لهم معبود خاص لكنهم كانوا يجلون الهة غيرهم ويرهبون قوتها وكانوا يتحاشون اهانة الالهة وان اجنبية لاعتقادهم قدرتها على الانتقام ممن يعصى امرها او ينبذ انذارها

قد اثبت روبينسون ان بنيراد هو الذي كان مالكاً في نينوى عند انذار يونان اهلها لانه كان معاصراً ليادبعام الذي كان يونان في ايامه وقد استمر ضابطاً صولجان الملك تسعاً وعشرين سنة . وفي نينوى الى اليوم آثار دالة على انذار يونان اهلها فعلى مقربة من نينوى القديمة تل يسمى تل النبي يونس وان هو الا يونان وان بعضهم يسمي هذا التل تل التوبة اشارة الى انذار يونان

بها والتقليد العام والثابت الى اليوم موجب للتصديق بذلك

وخلف سلمناصر الثالث بنيراو المار ذكره والظاهر من بعض الآثار الاشورية ان سلمناصر هذا ملك من سنة ٧٨٣ الى سنة ٧٧٣ ق م وغشي انحاء دمشق سنة ٧٧٥ فدفع اليه ياربعام الجزية . على ان مجد نينوى اخذ في الانحطاط في ايام هذا الملك وزيد انحطاطاً في ايام خلفه اشور دانيل الذي استوى على العرش من سنة ٧٧٣ الى سنة ٧٥٥ ق م وعلى اشتغاله باخماد الثورات عليه في انحاء عديدة غزا سورية غزوتين الاولى في بدئ ملكه ضرب بها دمشق وحدراك وهذه المدينة قد ورد ذكرها في الكتاب مرة واحدة في نبوة زكريا (فصل ٩ عد ١) يتهددها النبي بالخراب مع دمشق ولا يعلم موقعها بعينه ولكن لا بد ان تكون قريبة من دمشق لجمع النبي والآثار الاشورية بينهما في الكلام عليهما . والغزوة الثانية حارب بها حدراك وحدها سنة ٧٦٥ ثم توفي اشور دانيل وخلفه اشور نيرار الثاني ولم يكن في ملكه ما يفخر به ومع ذلك حمل على حدراك سنة ارتقائه عرش الملك وهي سنة ٧٥٥ وغزا في السنة التالية ارفاد او اربد التي لم يكن موقعها معروفاً قبل الاكتشافات الاشورية الا بذكر الكتاب لها في سفر الملوك الرابع (فصل ١٨ عد ٣٤ وفصل ١٩ عد ١٣) وفي نبوتي اشعيا وارميا وكان بعضهم يظن ان المراد بها ارولدوان تسميتها ارفاد او اربد خطأ من النساخ فابانت لنا الآثار المسمارية خطأ ظنهم وصحة رواية الكتاب والاظهر ان ارفاد هذه هي المسماة اليوم تل ارفاد على ساعتين غرباً من حلب في شمالي توقات . وقد حصلت ثورة في نينوى سنة ٧٤٦ افضت الى تل عرش اشور نيرار والدولة المالكة وولي الملك تجلت فلاصر الثاني في ١٣ ايار سنة ٧٤٥ على ما روى سميث عن الآثار الاشورية (فيكورو الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٤ صفحة ٦٧ الى ٨٥ طبعة ٥)

ومات ياربعام بعد ان ملك ٤١ سنة كما مر ودفن في السامرة وملك ذكريا ابنه مكانه (ملوك ٤ فصل ١٤)

عد ٣١٨

عزريا بن امصيا ملك يهوذا

ان عزريا ويسمى عُزّيا اخذه الشعب بعد مقتل ابيه امصيا وملكوه وعمره ست عشرة سنة فاستمر على منصة الملك في اورشليم اثنتين وخمسين سنة وقد طفحت قلوب الشعب سروراً بارتقائه ذروة الملك اذ زالت من بينهم الاحن التي كانت تملكتهم في مدة ولاية ابيه وانكفأت عنهم المحن التي كان الله انزلها بهم وهي زلازل شديدة دمرت بيوتاً عديدة وقحط وانحباس مطر جعلا الناس في اشد الضيق وفاقة قصوى الى القوت والماء وجراد لم يبقِ اخضر كما يتبين من نبوة عاموس النبي . وقد سلك عزريا اولاً طريق الرب محافظاً على سننه الا انه لم يُزل المشارف واستمر بعض الشعب يقدمون الذبائح والبخور في الاماكن المرتفعة . وكان يرشده نبي اسمه زكريا فيصغى لكلامه ويعمل به . وحارب الفلسطينيين واستظهر عليهم وهدم سور جت (ذكرين الان) وسور يبنه وسماها يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ٩ فصل ١١) يمنية وقال كاران (مجلد ٢ في اليهودية صفحة ٥٨) انها تسمى اليوم ايضاً يبنة وان موقعها في الجنوب الغربي من الرملة بين يافا شمالاً واشدود جنوباً . وهدم عزريا ايضاً اسوار اشدود مدينة الفلسطينيين وبنى مدناً في ارض اشدود وفلسطين ونصره الله على العرب المقيمين بجور بعل وفي الترجمة السبعينية على العرب المقيمين فوق مدينة حجر في بلاد العرب وروى يوسيفوس (في المحل المذكور) انه ضرب العرب المجاورين مصر فيظهر ان المراد بجور بعل عمل ممتد جنوباً في العربية وبلاد ادوم الى تخوم مصر . وانتصر عزريا على المعونيين اي سكان

معون وهي اما معون التي كان داود يختبئ في بريتها ايام مطاردة شاول له وهي في اطراف جنوبي فلسطين وتسمى اليوم تل معين واما هي معون اخرى في بلاد العربية على مقربة من فاران على ما ذكر كامت في تاريخ العهد القديم . وذلل عزريا العمونيين وفرض عليهم جزية . وحصن اورشليم وبنى فيها ابراجاً ورمّ ماكان قد تهدم من اسوارها عند انتصار يواش ملك اسرائيل على امصيا ابيه وعمل في اورشليم منجنيقات اخترعها رجال حذّاق ووضعها على الزوايا والابراج لرمي السهام والحجارة الضخمة وكان لديه من روساء آباء يهوذا وبنيامين ذوي البأس الفان وست مئة رجل وتحت ايديهم جيش عديده ثلاث مئة الف وسبعه الاف وخمس مئة وجهز لجميع جيشه مجانّ ورماحاً وخوذاً وذروعاً وقسيّاً وحجارة مقاليع وبنى ابراجاً في البرية على اطراف ملكه وحفر آباراً كثيرة اذ كانت له ماشية كثيرة في الساحل والسهول وحراثون وكرامون في الجبال والكرمل لانه كان محباً الحراثة ويقدرها قدرها . فذاع اسمه عند الملوك مجاوريه الى مصر وعظمت قوته واستفحل امره فتكبر وطمح قلبه وادّعى ان يعمل عمل الكهنة في الهيكل ايضاً فدخله يقدم البخور على مذبح الرب فقاومه عزريا رئيس الكهنة وقتئذٍ وثمانون كاهناً قائلين له اخرج من القدس فليس لك ان تبخّر للرب وانما ذلك للكهنة فحنق عزريا وكانت في يده مجمرة البخور ولمع البرص على جبهته قدام الكهنة فاسرع الكهنة في اخراجه من الهيكل لظهور برصه واضطر ان يخرج لان الرب ضربه بالبرص وبقي ابرص الى يوم وفاته واعتزل في بيتٍ منفرداً وكان ابنه يوتام يدبر الملك ويحكم في الشعب نائباً عنه ومات عزريا وعمره ثماني وستون سنة ودفنوه في حقل مقبرة الملوك لا في مدافنهم لانه ابرص وخلفه ابنه يوتام (ملوك ٤ ف ١٥ وسفر اخبار الايام الثاني فصل ٢٦)

﴿ عد ٣١٩ ﴾

زكريا بن ياربعام وشلوم ومَنحيم ملوك اسرائيل

ان زكريا بن ياربعام الثاني ملك في السامرة بعد موت ابيه للسنة الثامنة والثلاثين لعزريا ملك يهوذا الا ان ملكه لم يدم الا ستة اشهر لانه صنع الشر امام الرب ولم يعدل عن اثم ياربعام بن نباط بعبادة عجول الذهب فحالف عليه رجل اسمه شلوم بن يابيش فقتله امام الشعب وملك مكانه فانقرضت بزكريا سلالة ياهو الذي وعده الرب انه سيجلس على عرش اسرائيل من بنيه الى الجيل الرابع وكان وعده منجزًا . اما شلوم فلم يملك الا شهرًا واحدًا وخرج عليه مَنحيم بن جادي من ترصة (المسماة اليوم تلوزا شرقي السامرة وشمالي نابلس) فقتله في السامرة وملك مكانه وعاد منحيم الى ترصة فاوصد الاهلون ابوابها في وجهه فضربها والمدن المصاقبة لها واجرى فيها من القسوة والجور ما ترتعد له الفرائص حتى شق جميع من بها من الحوامل فقتلهنَّ والاجنة وساس المملكة عشر سنين بمثل هذا العنف عابدًا الاوثان وجارياً في طريق ياربعام بن نباط . وكان اهل مملكة اسرائيل في ايام ياربعام الثاني قد توفرت ثروتهم وغناهم وعظم ترفهم وطما شرهم كما انبأنا عاموس النبي الذي كان في تلك الايام يونب بني اسرائيل على شرهم ومن ذلك قوله (فصل ٦) . ويل للمترفين في صهيون والمطمئنين في جبل السامرة ... انكم تستبعدون يوم السؤ وتدنون مجلس العسف وتضجعون على اسرَّة من عاج وتتبسطون على حجالكم وتاكلون الحملان من الغنم والعجول من وسط المعلف وتغنُّون على صوت العود ... وتشربون الخمر بالجامات وتدهنون بادهان النفيسة ولا تكتئبون لانكسار يوسف لذلك يجلون الان في رأس الجلاء . فلهذا ابتلاهم الله بهذه المظالم ثم بعث ملوك اشور اليهم للانتقام منهم واذلالهم وجلائهم اخيرًا الى

اشور وبابل كما سترى

قال الكتاب (ملوك ٤ فصل ١٥) « وجاء فول ملك اشور على الارض فاعطى منحيم لفول الف قنطار فضة حتى تكون يده معه لاقرار الملك في يده وضرب منحيم الفضة على اسرائيل على جميع المقتدرين بالغنى ان يؤدوا الى ملك اشور كل رجل خمسين مثقال فضة فرجع ملك اشور ولم يقم في الارض » وقد جأت الاثار الاشورية مصداقاً لهذه الآيات الكريمة وهاك البيان ان فول هو اول ملك من الاشوريين سماه الكتاب بعلَمه الشخصي والصحيح الان عند المحققين بعد تدقيقهم في الاثار المسمارية انه تجلت فلاصر الثاني وكان يسمى باسمين فول وتجلت فلاصر والكتاب نفسه سماه بهذين الاسمين(ملو ٤ ف ١٥ عد ١٩ وعد ٢٩) وقد عبر عنه في تاريخ باروز وقانون بتولمايس وتاريخ اوسابيوس بالاسمين . ومما يؤسف عليه ان الاثار المنبئة باعمال تجلت فلاصر لم تبلغ الينا كلها سالمة بل محت الايام بعضها واتلف اسرحدون احد ملوك اشور بعضها وما بقي منها سالمًا يزيدنا اسفًا على فقدان باقيها وقد ورد في ما بقي من اثار هذا الملك ذكر ستة ملوك ممن ذكرهم الكتاب اعني ملكين من ملوك يهوذا وهما عزريا او عزيا المار ذكره واحاز الاتي الكلام فيه وثلاثة من ملوك اسرائيل وهم منحيم وفاقح وهوشع وملك من ملوك دمشق وهو رصين وسيأتي الكلام في هولاء فقد قال هذا الملك في الصفيحة الثالثة من الصفائح الباقية له « واخذت الجزية من كستاسب ملك كوماجان (سورية المجوفة حيث بعلبك وبقاع العزيز) ومن رصين ملك دمشق ومنحيم ملك السامرة وحيرام ملك صور سيبيتي بعل ملك جبيل ... وانيال ملك حماه » وقال الكتاب ان الجزية التي اليه منحيم كانت الف قنطار من الفضة قال فيكورو (في المحل المذكور صفحة ١١١) ان هذه الجزية تساوي من مسكوكات ايامنا نحوًا من ثمانية

ملايين وخمس مئة الف فرنك والخمسين مثقالاً المضروبة على كل رجل تساوي ١٤١ فرنكًا

وقد انبأنا ما بقي من اثار هذا الغازي انه غزا سورية غزوات اولاها سنة ٧٤٣ فعبر الفرات ومر في جبل امانوس (اللكام) ظافرًا وخيم جيشه في جبل قريب من ارفاد (تل ارفاد في انحاء حلب) واستدعى اليه ملوك سورية فاتاه كثيرون منهم حيرام ملك صور ورصين ملك دمشق وكستاسب ملك سورية المجوفة ومنحيم ملك اسرائيل على الارجح لان الصفيحة محطمة لا تظهر فيها كل الاسماء وذكره في صفائح اخرى قاضٍ بانه كان بين عداد من لبوا الدعوة واتى هولاء الملوك اليه بعجلات وجمال تقل تقادمهم صفائح ذهب وفضة ونحاس وحديد ورصاص واطيابًا وقرون ثيران وانسجة من صوف وكتان وكانت تقدمة رصين ملك دمشق ١٨٠ وزنة ذهب و ٢٠٠ وزنة فضة و ٢٠٠ وزنة نحاس و ٢٠ وزنة طيب ، واجتزأ تجلات فلاصر يومئذٍ بهذه التقادم وعاد الى بلاده ولم يقم في سورية طبق ما جاء في الكتاب

وقد ندم ملوك سورية على تذللهم له بعد عوده فحصنوا ارفاد وثاروا عليه فهب راجعًا بجحافله سنة ٧٤٢ وحاصر ارفاد فابدى اهلوها ومحالفوهم آيات البسالة في الدفاع ولم يتهيأ له افتتاحها الا بعد سنتين وافضى فتحها الى استسلام ملوك سورية اليه ثم ألجيء ان يعود الى بلاده فعاد ملوك سورية يأتمرون بخلع نير طاعته فرجع تجلت فلاصر المرة الثالثة الى سورية سنة ٧٣٩ ق م ويظهر من آثاره ان عزريا ملك يهوذا كان من جملة المتحالفين حينئذٍ عليه بل كان رئيس عصبتهم وان الغازي ضرب جيوش المتحالفين فاستظهر عليهم ولم يكتفِ في هذه الحملة بان يذل مخالفيه ويأخذ جزيتهم وتقادمهم بل عمد الى تملك البلاد فاخذ حماه وولّى عليها احد قادته وألحق تسعة عشر عملاً من

هذه البلاد بمملكة اشور وجلا كثيرين من اهلها عن بلادهم الى بلاده فأخذ من حماه ١٢٢٣ نفساً ومن غيرها كثيرين ايضاً واقامهم في انحاء عديدة من بلاده وكان يقيم النسآء في جهة والرجال في اخرى ليبيد فيهم عاطفة جنسيتهم ودانت له مدن واعمال اخرى على شاطي البحر المتوسط وفي جوار لبنان وخضعت له حدراك المار ذكرها وهي على مقربة من دمشق فاخضع لامره اكثر ملوك سورية وزبيبة ملكة العرب ودوّخ بلادهم وقفل عائدًا الى بلاده (طالع ما مر في عد ٧٤ وعد ١٢١)

اما منحيم فبعد ان ولي مملكة اسرائيل عشر سنين في ايام عزريا ملك يهوذا اضجع مع ابائه وخلفه ابنه فقحيا (ملوك ٤ فصل ١٥)

عد ٣٢٠

في فقحيا وفاقح ملكي اسرائيل ويوتام واحاز ملكي يهوذا

قد خلف فقحيا منحيم اباه وملك في السامرة سنتين فقط ولم يعدل عن خطايا ياربعام بن نباط فحالف عليه فاقح بن رمليا احد قادة جيشه ودخل عليه في قصره ومعه خمسون رجلاً فقتله وملك مكانه واستمر على منصة الملك عشرين سنة صانعاً السوء كمن سلفوه وفي السنة الثانية لملكه قضي اجل عزريا ملك يهوذا واستقل بالملك ابنه يوتام ودام ملكه ست عشرة سنة وقد احسن يوتام المسعى واصلح شيئاً في بيت الرب. ومنذ ايامه اتفق رصين ملك دمشق وفاقح ملك اسرائيل على ان يأخذا مملكة يهوذا ويقتسماها بينهما وقبل ان يعملا باتفاقهما مات يوتام ودفن في مدينة داود وخلفه احاز ابنه

ان ملوك اسرائيل ويهوذا ودمشق مكان ان يغتنموا فرصة غياب تجلت فلاصر عن بلادهم للم شعثهم واصلاح شؤونهم وتحصين مدنهم عادوا الى منازعاتهم الوطنية وايهان قوتهم شأن كل قبيلة قضى الله بانحطاطها او انقراضها

وقد امتاز السوريون في كل عصر بهذه الضغائن والاحن الاهلية حتى ندر ان يكون لهم مثيل فيها بين القبائل فقد انبأنا الكتاب (ملوك ٤ فصل ١٦) ان قد اتفق رصين ملك ارام وفاقح ملك اسرائيل على محاربة احاز ملك يهوذا فجيشا الجيش واعدا العدد واتيا فحصرا اورشليم فلم يقدرا ان يقهرا احاز ولا ان يفتتحا اورشليم بل نكلا بشعب يهوذا واخذ رصين جمًّا غفيرًا اسرى الى دمشق وقتل فاقح مئة وعشرين الفًا في يوم واحد من بني يهوذا وسبى بنو اسرائيل من اخوتهم مئتي الف من النساء والبنين والبنات وسلبوا سلبًا كثيرًا ثم اطلقوا الاسرى لتهديد عوديد النبي لهم بغضب الرب (سفر اخبار الايام الثاني فصل ٢٨) وحالف رصين وفاقح الادوميين ورد رصين لهم ايله التي على خليج عقبه وطرد بني اسرائيل منها واقام الادوميين فيها فارسل احاز رسلاً الى تجلت فلاصر ملك اشور قائلاً انا عبدك وابنك فاصعد وخلصني من يد ملك ارام ويد ملك اسرائيل القائمين عليّ واخذ ما وجد من الذهب والفضة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك وارسلها هدية الى ملك اشور ولم يصغ لارشاد اشعيا النبي الذي كان يقول له « لا يضعف قلبك من ذنبي هاتين الشعلتين المدخنتين في اضطرام غضب رصين ملك ارام وابن رمليا فان ارام وافرائيم وابن رمليا قد تآمروا عليك بالسوء قائلين لنصعد على يهوذا ونضغطها ونمزقها بيننا ونملّك عليها ابن طابئيل لكن هكذا قال الرب لا يقوم الامر ولا يكون » (اشعيا فصل ٧ عد ٤ وما يليه) اما تجلت فلاصر فلبى دعوة احاز وغشي بعساكره سورية واخذ بعض مدن فلسطين وصعد الى دمشق فاخذها وسبى اهلها الى قير وقتل رصين

هذا ما جاء في الكتاب وجاءت اثار تجلت فلاصر مصداقًا له باكثر تفصيل فقد كتب على احدى صفائحه وهي محطمة كسائر اثاره ولكن الباقي منها

واف ببيان الغرض قال « اخذت جنوده ... وابدتهم بالسيف ... وسلقة مركباته ... وكسرت اسلحتهم ... واخذت خيولهم ... ورجال حربه حاملي القسي والدروع والحراب ... اما هو فقر ليقي نفسه ودخل في باب مدينته الاكبر وقبضت على قادة جيشه احياء وعلقتهم على صلبان... وحاصرت مدينته دمشق وضايقت عليه كعصفور في قفص ومن اشجار مدينته التي تشذ عن العد لم ابقِ شجرة . » ثم ذكر ما فتحه ودمره من المدن في انحاء دمشق وعدد من جلاهم منها وقال انه خرب ستة عشر عملاً من اعمال سورية واسترسل الى ذكر شمسة ملكة العرب قائلاً انها كانت تعبد الشمس . على انه لم يفتتح يومئذٍ دمشق بل ترك فريقًا من جنده محاصرًا لها وزحف بجيشه لافتتاح غيرها . وكتب على صفيحة اخرى محطمة ايضًا انه اخضع سيميرا (بين ارواد واطرابلس) وعرقا « وتوليت مدن جلعاد ... وابل معكة التي هي تخم ارض بيت عمري (مملكة اسرائيل) ... واخضعتها على اتساعها لمملكة اشور واقمت قادة جنودي حكامًا فيها . وحنون ملك غزة انهزم من وجه جنودي الى مصر فاخذت غزة وغنمت كنوزه والهته ونصبت ثمه تمثالي الملكي ... واخذت الجزية . واخضعت سكان ارض بيت عمري وجلوت اوجه قومهم الى بلاد اشور مع اموالهم وامرت بقتل فاقح ملكهم واقمت هوشع بمنزلة ملك عليهم واخذت منهم عشر وزنات ذهب والف وزنة فضة » فتأمل ما اتم المطابقة في جوهر الخبر بين ما نقش على هذه الصفائح وبين آيات الكتاب ولا سيما قوله (ملوك ٤ عد ٢٩) « وفي ايام فاقح ملك اسرائيل جاء تجلت فلاصر ملك اشور واخذ عيون (تل دبين في شمالي مرج عيون) وابل بيت معكة (ابل) ويانوح (يانوح هناك) وقادس (قادش) وحاصور (جبل حضيرة في قرب قادس) وجلعاد (السلط) وجميع ارض نفتالي وجلاهم الى اشور » (عد ٣٠)

« وحالف هوشع بن ايلة على فاقح بن رمليا وضربه وقتله وملك مكانه » وفي الصفيحة ذكر جلعاد وابل معكة وهي محطمة فيحتمل ان كان في المحل المحطم اسماء باقي المدن التي ذكرها الكتاب وفي الصفيحة ان تجلت فلاصر امر بقتل فاقح وفي الكتاب ان هوشع حالف عليه وقتله فلا بدع ان كان تجلت فلاصر اغراه بقتله او ان هوشع علم بغرض الملك الاشوري فجرأه ذلك على قتله وتفاخر تجلت فلاصر بأنه امر بقتله

اما احاز ملك يهوذا فكان استنجاده بملك اشور على اعدائه وبالاً عليه وامسى الدوآء داء قتالاً لانه اضطر ان يسلم بلاده الى تجلت فلاصر وان يخضع لسلطته ويؤدي اليه الجزية كاعدائه وبعد ان اخضع ملك اشور هولاء الملوك سنة ٧٣٤ وسنة ٧٣٣ ق م عاد الى دمشق التي كان ابقى جنوده على حصارها فافتتحها سنة ٧٣٢ وجلا ثمانية الاف من سكانها الى قير وقتل رصين كما جاء في الكتاب وقد وجد رولينسون صفيحة اشورية مثبتة قتل تجلت فلاصر لرصين لكن الصفيحة بقيت في محلها ثم ضاعت مأسوفاً عليها وقد استدعى تجلت فلاصر الملوك الذين دانوا له ليبلغهم اوامره ووعيده قبل عودته فشخصوا اليه صاغرين واتى احاز ملك يهوذا معهم فقد جاء في الكتاب (ملو ٤ فصل ١٦ عد ١٠) « وانطلق الملك احاز ليستقبل تجلت فلاصر ملك اشور في دمشق » وقد رأينا اسمه في الصفيحة التي دوّن الغازي عليها اسماء من ادّوا له الجزية وهاك اسماء بعضهم نقلاً عنها . « جزية كستاسب ملك كوموحا (سورية المجوفة) سيبيتي بعل ملك جيبل وبيزيريس ملك كركميش وانيال ملك حماه ... وماتا بعل ملك ارواد وسالامانو ملك مواب وميتينتي ملك عسقلون وياهو حازى يهوداي (آحاز ملك يهوذا) وكوموسملك ملك ادوم وحنون ملك غزة وكانت جزيتهم ذهباً وفضة ورصاصاً وحديداً وانسجة بلادهم

وخيولاً وحميراً معتادة حمل النير » ولعل اسم ملك اسرائيل كان في المحال المحطمة من هذه الصفيحة . وكان تجلت فلاصر يسمي نفسه ملك بابل ايضاً كما يظهر مما دونه على بلاطه « بلاط تجلت فلاصر الملك العظيم الملك القدير ملك القبائل ملك اشور ملك بابل ملك سومير واكد ملك الاقاليم الاربعة » واستمر تجلت فلاصر على منصة الملك سبع عشرة او ثماني عشرة سنة اي من سنة ٧٤٥ الى سنة ٧٢٧ او سنة ٧٢٨ ق م ولم ينكف عن الحرب الا في السنين الثلاث الاخيرة من عمره وقد تباهى قبل موته بما كتبه وهو « انا هو الملك الذي هزمت اعدآءي من مشرق الشمس الى مغربها ودوخت البلاد ودانت لي القبائل وحكمت في رجال الجبال والسهول وخلعت الملوك واقمت نوابي مكانهم » والى ملكه يعزى قول حزقيال النبي (فصل ٣١ عد ٣) « هوذا اشور ارزة بلبنان بهيجة الافنان غبيآء الظل شامخة القوام ... ارتفع قوامها فوق جميع اشجار الصحرآء وكثرت اغصانها وامتدت فروعها من كثرة المياه . في اغصانها عششت جميع طيور السمآء وتحت فروعها ولدت جميع وحوش الصحرآء وفي ظلها سكنت جميع الامم الكثيرة »

قد جاء في سفر الملوك الرابع (فصل ١٦) ان احاز ملك يهوذا رأى وهو في دمشق مذبحاً لالهة الاراميين فصنع مثالاً له وارسله الى اوريا الكاهن آمراً ان يصنع مذبحاً مضارعاً لهذا المثال بكل صنعته فصنع اوريا المذبح وعاد احاز من دمشق فقرب عليه الذبائح والمحرقات والبخور ونقل مذبح النحاس الذي كان في الهيكل الى جهة اخرى منه وغيّر بعض بناء الهيكل . وجاء في سفر اخبار الايام الثاني (فصل ٢٨) ان احاز جرى على طرق ملوك اسرائيل وعمل تماثيل مسبوكة للبعاليم وقدّم لها الضحايا والبخور في وادي ابن هنوم في جانب اورشليم وقدّم من بنيه محرقة بالنار على عادة الامم التي طردها الرب من

وجه بني اسرائيل وذبح على المشارف والاكام وتحت كل شجرة خضرآء ولذلك انزل الرب به المحن المار ذكرها . ومات احاز وعمره ست وثلاثون سنة ملك ست عشرة سنة منها . ودفن في مدينة داود ولكن لا في مدافن الملوك وملك حزقيا ابنه مكانه ونرجئ الكلام فيه الى ما بعد الكلام في هوشع ملك اسرائيل الذي ملك في السامرة في السنة الثانية عشرة للملك احاز ابي حزقيا (ملوك ٤ فصل ١٦ وسفر اخبار الايام الثاني فصل ٢٨)

عد ٣٢١

هوشع ملك اسرائيل

قد مر ان هوشع بن ايله حالف على فاقح ملك اسرائيل وقتله باغرآء تجلت فلاصر ملك اشور فملك هوشع في السامرة تسع سنين وعمل الشر امام الرب ولكن على غير طريقة من تقدمه من ملوك اسرائيل ولم يبن الكتاب طريق شره ولكن قال علماء اليهود ان هوشع لم يكن يمنع بني اسرائيل من الحج الى اورشليم خلافاً لما صنعه اسلافه . وقال الكتاب (ملوك ٤ فصل ١٧) « وصعد عليه سلمناصر ملك اشور فكان هوشع عبدًا له وكان يؤدي اليه جزية وعلم ملك اشور ان هوشع محالف عليه وقد وجَّه رسلاً الى سؤ ملك مصر ولم يؤدِ الجزية الى ملك اشور كما كان يفعل كل سنة فقبض عليه ملك اشور وارسله مكتوفاً الى السجن وصعد ملك اشور على الارض كلها وصعد الى السامرة وحاصرها ثلاث سنين . وفي السنة التاسعة لهوشع اخذ ملك اشور السامرة وجلا اسرائيل الى اشور واسكنهم في حلاح وعلى خابور جوزان وفي مدائن مداي » عقاباً لتركهم الرب الذي اخرجهم من ارض مصر وجريهم على سنن الامم خلافاً لنهيه وزجره

اما سلمناسر وتسميه سلمناصر يضا فلم يكن ما يعرّفنا به قبل هذه السنين الاخيرة

الا آيات الكتاب المار ذكرها والا فقرة من تاريخ ميندر كاتب تاريخ صور حفظها لنا يوسيفوس (في ك ٩ فصل ١٤ من تاريخ اليهود) انبأنا بها ان سلمناصر حاصر صور وضيق على اهلها وقد روينا هذه الفقرة برمتها في عد ١٢٢ في تاريخ الفونيقيين على ان الآثار الاشورية المكتشفة في هذه الايام ابانت لنا ان سلمناصر هذا خلف تجلات فلاصر وملك في اشور من سنة ٧٢٧ الى سنة ٧٢٢ ولكن لم تنبئنا بعد أ كان من ذوي قربى تجلات فلاصر ام كان من غير اسرته ولا كيف رقي عرش الملك وقد وصفه لانرمان بالخامس وفيكورو بالرابع . وقد كشف في كوينجك وفي اطلال قصر في الشمال الغربي من نمرود عن صفائح نحاسية نقش عليها اسمه .. وجاء في التاريخ البابلي المحفوظة آثاره في المتحف البريطاني « انه في ٢٥ شهر تيبت استوى سلمناصر على عرش اشور فدك مدينة سابارين ... وفي السنة الخامسة لسلمناصر في شهر تيبت توفي فكانت مدة ملك سلمناصر على اكد واشور خمس سنين » ترجم ذلك العالم اوبر وترجمته مثبتة في مجلة جمعية الكتابات القديمة في شهر نيسان الى حزيران سنة ١٨٨٧

واما سؤ ملك مصر فقد سمته الخطوط المسمارية سابوشلطونو اي سابي السلطان وسمته الخطوط المصرية سبوك او شبـاك وفي تواريخ اليونان سابا كو وفي العبرانية سؤ او سوه وهو اول ملوك الدولة الخامسة والعشرين من الدول المصرية وكان يلي الحبشة اولاً ثم تغلب على مصر لان المصريين بعد وفاة شيشونك انقسموا الى ممالك صغيرة عديدة فتغلب عليها ملوك الحبشة لكن هذه الممالك ثارة عليهم وخلعت نير سلطتهم الى ان اخضعها ثانية بيانكي ملك الحبشة الذي كان مالكاً في نباطا وخلف بيانكي ملك يسمى كشتا لا يُعرف اصله ولكن يظن انه كان متزوجاً بابنة بيانكي على ما روى مسـبرو (في تاريخه القديم للمشرق) وبعد موته خلفه ابنه شباك وكان محباً للحرب ولم

يكن لبيانكي على مصر الا حق السيادة فاستبد شباك بملكه فيها فكان وخلفاؤه دولة حديثة في مصر واستمال المصريين اليه بحلمه وحكمته وحسن سياسته وما اجراه من المنافع العامة فعظم امره في مصر ولجأ اليه هوشع ملك اسرائيل مستجيرًا به من اعنات سلمناصر له واثقاله شعبه بالجزيات وعلم سلمناصر باستجارة هوشع قبل ان يجيره شباك فخفَّ للتنكيل ببني اسرائيل قبل ان يتسنى لملك مصر انجادهم وزحف بجيوشه الى مملكة اسرائيل فكسر جنود هوشع وقبض عليه والقاه في السجن فلمَّ بنو اسرائيل شعثهم وتألبوا في السامرة يدافعون عن انفسهم مدافعة اليأسين ولم يستطع الاشوريون ان يفتتحوا السامرة الا في السنة الثالثة بعد حصارها فدكوها دكاً وجلوا الاغنياء بني اسرائيل ووجهاءهم الى بلاد اشور وماداي وانحاز من بقي منهم الى اخوانهم في مملكة يهوذا او استمروا في مواطنهم يؤدون الجزية صاغرين اذلاء . فانقرضت مملكة اسرائيل عقاباً لتركهم الله وعبادته واتباعهم الاوثان وجريهم على سيئات عابديها وكان الانبياء اكثروا من انذارهم بهذا الخراب والوبال ومن ذلك قول اشعيا النبي (فصل ٧ عد ٨) ، لان دمشق تكون رأس ارام ورصين يكون رأس دمشق وبعد خمس وستين سنة يحطم افرائيم (اي مملكة السامرة) فلا يبقى شعباً ، وقد تبين من الآثار المسمارية ان سقوط السامرة كان سنة ٧٢٢ او سنة ٧٢١) ق م وهذا يطابق ما جاء في الكتاب طباقاً تاماً ويقضي علينا ان نستمسك بصحة التواريخ الواردة في اسفار الملوك وسفري اخبار الايام الا حيث كان خطا النساخ ظاهرًا (فيكورو في الكتاب والاكتشفات الحديثة مجلد ٤ صفحة ١٢٢ وما يليها طبعة ٥)

﴿ عد ٣٢٢ ﴾

في من افتتح السامرة وجلا بني اسرائيل

ان لاهل العلم في تاريخ الاشوريين قولين في من افتتح السامرة وجلا

اعيان مملكتها فمن قائل ان سلمناصر افتتحها وجلاهم ومن قائل ان سلمناصر مات قبل افتتاحها وان الفاتح انما هو سرغون خلفه قال سميت (في تاريخ اشور صفحة ٩١) زعم بعضهم ان الاشوريين سئمت نفوسهم ابطاء الاعمال الحربية في فلسطين وقلة النجاح فيها فثار الجنود في اشور واختاروا ملكاً سرغون الذي كان قائداً للجيش في فلسطين . قال الاب فيكورو (في المحل المذكور صفحة ١٢٧) ظن سميت وكثير غيره من اهل العلم في تاريخ اشور ان سلمناصر مات قبل افتتاح السامرة وان سرغون شدد الحصار عليها وافتتحها وربما حملهم على هذا الظن الخطا في تفسير بعض الآثار الاشورية لان عاصمة اسرائيل افتتحها سلمناصر وقد اجمع على ذلك مفسرو الكتاب الى هذه الايام على انه اذا ظهر من بعض الآثار نسبة هذا الفتح الى سرغون فذلك محمول على ان سرغون كان قائد الجيش فتفاخر بالظفر ناسباً اياه الى نفسه انتهى كلام فيكورو ملخصاً على انه قد وجد لسرغون اثران منبئان باخذ السامرة قال في اولهما « انا حاصرت مدينة ساميرنا (السامرة) وانا اخذتها وجلوت ٢٧٢٨٠ من سكانها واخذت منها خمسين مركبة حربية حفظتها لنفسي وتركت اموالها لجنودي ووليت عليها نواباً عني وافترضت عليها الجزية التي كانت تؤديها الى الملك السالف » عن لانرمان مجلد ٤ صفحة ٢٣٨ في تاريخه القديم للمشرق طبعة ٩) وقال في الأثر الثاني وخطوطه محطمة لكن الباقي منها وافٍ بالغرض « في بدئ ملكي ... حاصرت وفتحت السامرة وجلوت ٢٧٢٨٠ من سكانها وحفظت خمسين مركبة لجانبي الملكي . واتيت الى مكان من جلوتهم بسكان من البلاد التي كنت ملكتها وفرضت عليهم جزية كجزية الاشوريين (عن فيكورو في المحل المذكور صفحة ١٤٩) » فهذان الاثران يرجحان ان سرغون انما هو الذي فتح السامرة بما انه ملك وجلا بني اسرائيل على ان ترجيح هذا

القول لا يضاد الكتاب في شيء لانه وان قال « وصعد عليه شلمناصر ملك اشور » الا انه لم ينسب فتح السامرة والقبض على ملكها وجلاء سكانها الى شلمناسر بل يحتمل نسبتها الى غيره اذ عبّر عنه بملك اشور لا بشلمناسر بل ان في الفصل الثامن عشر من سفر الملوك الرابع اشارة الى ان شملناسر لم يأخذ السامرة بل صعد عليها فقط اذ جاء (عد ٩) « صعد شلمناسر ملك اشور على السامرة وحاصرها (عد ٣) واخذوها (اي الاشوريون) بعد ثلاث سنين » لا اخذها في المفرد (قال بذلك اوبر في كتابه في سلمناصر وسرغون صفحة ٧٠٢)

لم يرد ذكر سرغون في الكتاب الا مرة واحدة في نبوة اشعيا (فصل ٢٠ عد ١) حيث قال « في السنة التي وفد فيها ترتان الى اشدود اذ ارسله سرجون (او سرغون) ملك اشور وحارب اشدود واخذها » ولذلك لم يكن القدماء يعرفونه بل كانوا يظنونه احد الملوك الاشوريين المعروفين سماه اشعيا سرجون فقال بعضهم انه سلمناصر سالفه وظنه غيرهم سنحاريب مع ان هذا هو ابن سرغون ووهم غيرهم انه اسرحدون مع انه حفيد سرغون بل قال بعض علماء هذا العصر ايضاً ان سرغون وسلمناصر واحد بناء على ان الكتاب قال ان سلمناصر فتح السامرة والاثار الاشورية يتبين منها ان سرغون فتحها فسلمناصر وسرغون واحد فقالوا قبل الاكتشافات ان سرغون الذي ذكره اشعيا هو سلمناصر الذي ذكر في سفر الملوك وقالوا بعدها ان سلمناصر الذي ذكره الكتاب انما هو سرغون الذي ورد ذكره في الآثار حتى كان رولينسون نفسه ممن قالوا بهذا القول اولاً الا انه عاد الان وجميع اهل العلم بالآثار الاشورية يثبتون ان سلمناصر وسرغون ملكان خلف احدهما الاخر ولم تدع الاثار الاشورية ذريعة لاقامة نكير على هذه الحقيقة التاريخية وما وجد من

هذه الآثار في خرشباد ابان لنا تاريخ سرغون وفصل لنا اعماله بل وجدت صورته ناتئة على صفيحة يطلق لكل راغب ان يراها في متحف اللوفر في بريس وقد كشف عن تمثال له في شيتسيو (وهي لرنكا في قبرس) وهو الان في متحف برلين . وجاء في التاريخ البابلي المحفوظ في المتحف البريطاني ما نصه « في ١٢ من شهر تيبت (في السنة الخامسة لسلمناصر) استوى سرغون علي عرش اشور » فقطع العلماء بان ذلك من حقائق التاريخ (ملخص عن الكتاب والاكتشافات الحديثة لفيكورو في المحل المذكور صفحة ١٣٧ الى صفحة ١٤٥)

عد ٣٢٣

في محال اقامة بني اسرائيل في اشور

قد مر بك آنفاً قول الكتاب (ملوك ٤ فصل ١٧ عد ٦) « اخذ ملك اشور السامرة وجلا اسرائيل الى اشور واسكنهم في حلاح وعلى خابور نهر جوزان وفي مدائن ماداي » وقد اعاد الكتاب هذا القول بحروفه في الفصل الثامن عشر من السفر المذكور عد ١١ وقد جاءت الخطوط المسمارية مؤيدة قول الكتاب باثباتها ان هذه الاماكن واقعة في بلاد اشور اي في ما بين النهرين فحلاح هي حلا الان وموقعها على مقربة من نهر الخابور الاعلى ومن المحل المسمى راس العين وقد كشف عن جريدة جغرافية اشورية ذكرت فيها حلاح (حلاحو) من جملة مدن ما بين النهرين في جانب راصف وجوزان ونصيبين (رواه سكردر في كتابه صفحة ١٦٧) واما خابور فما برح يسمى بهذا الاسم الى اليوم وهو نهر يصب في الفرات ومخرج مياهه من عدة ينابيع في الجبل الذي سماه بتولمايس واسترابون ماسيوس ويسمى الان كرادجاداغ وقد ورد ذكره في كثير من الاثار المسمارية ولاسيما في خطوط لاشور تزيربال .

وجوزان اسم عمل من اعمال بين النهرين ذكره بتولمايس وهو مصاقب لحلاح وفي جانب حران وجاء ذكره في خطوط لسلمناصر الثاني قال فيها « واخذت الجزية من عاسو ملك بلاد جوزان » وقد مر ذكر اسمها في الجريدة الجغرافية الاشورية المار ذكرها آنفًا وقد انبأتنا الآثار الاشورية انه كان في ما بين النهرين مدينة تسمى جوزان سمي العمل باسمها . وافادتنا الآثار الاشوريه ايضًا ان تجلت فلاصر الثاني اخضع ماداي لمملكة نينوى وان سرغون نفسه اثار الحرب مرات على الماديين فلا بدع ان نقل اليها بعض بني اسرائيل الذين جلاهم . وقد حقق الكتاب في سفر طوبيا (فصل ١ عد ١٦) ان بعض بني اسرائيل كانوا في راجيس مدينة ماداي وانه كان هناك كثيرون من اقرباء طوبيا

﴿ عد ٣٢٤ ﴾

في اصل من جلاهم سرغون الى السامرة

قال الكتاب (ملوك ٤ فصل ١٧ عد ٢٤) « واتى ملك اشور بقوم من بابل وكوت وعوًا وحماه وسفروائيم واسكنهم في مدن السامرة مكان بني اسرائيل فامتلكوا السامرة واستوطنوا مدنها » وقال سرغون في اثره المار ذكره « واتيت الى مكان من جلوتهم بسكان من البلاد التي كنت ملكتها » فالخبران واحد الا في زيادة تفصيل في قول الكتاب على ما جاء في الاثر . على ان اثارًا اخرى مسمارية جاءت مثبتة تفصيل الكتاب ايضًا فقد ظهر من اثار اشورية كثيرة ان سرغون حارب في السنة الاولى لملكه مروداخ بلدان ملك بابل وانتصر عليه وكتب سرغون نفسه في الآثار المنبئة بتاريخه انه جلا بعض البابليين الى فلسطين فقال (على ما ترجم يوتا في كتابه اثار نينوى مجلد ٥ صفحة ٧٠) « قد ظفرت بمروداخ بلدان الذي كان يلي مملكته بابل وجلوت (العدد محطم) من السكان واقتهم في ارض الحثيين (سورية وفلسطين) »

ولا يريد ببابل سكان هذه المدينة وحدها بل سكان غيرها ايضاً من المدن المجاورة لها ومنها كوث فليس من يقيم نكيرًا الان على ان كوت من المدن البابلية فقد ورد اسمها في كثير من الخطوط المسمارية ومنهـا انه نقش على مسلة سلمناصر . قدمت ذبائح نفيسة في بابل وبرسيبا وكوت . وقال هرموزد رسام بعد اكتشافاته سنة ١٨٨٠ وسنة ١٨٨١ ان موقع كوت كان في المحل المسمى اليوم تل ابرهيم على ثلاث ساعات في الشمـال الشرقي من بابل . ويظهر ان الكوتيين كانوا اكثر عددًا من غيرهم في السامرة ولا اقل من ان كانوا اكثر نفوذًا ووجاهةً لان اليهود كانوا يسمون السامريين كوتيين كما في التلمود وقال يوسيفوس (في ك ٩ فصل ١٤ من تاريخ اليهود) . ان من يسميهم العبرانيون كوتيين يسميهم اليونان سامريين . لكن يوسيفوس وهم ان موقع كوث في وسط بلاد فارس كما وهم غيره من مفسري الكتاب انها كانت واقعة في العراق العربي او في اقاليم اخر ولم يبقَ الان لهذا الخلاف من موضع

واما عوّا فلم يظهر الى الان اسمها في الاثار المسمارية وان قال كثيرون انها من مدن بلاد الكلدان وقال بعضهم (على ما في معجم الكتاب لكلمت) انها في بلاد العرب وعليه فيكون ورد ذكرها ضمنًا في الاثار الاشورية اذ وجد اثر في خرشباد يتبين منه ان سرغون جلا قوماً من بلاد العرب الى السامرة واليك ترجمة هذا الاثر نقلاً عن سميث (في قانون مشاهير الاشوريين صفحة ١٧٨) . ان الثموديين والعباديديين والمرسيمانيين والهيابيين قبائل بلاد العرب القاصية كانوا يسكنون ارض بحري ولم يكن الحكماء والجوالون يعلمون شيئاً من امرهم ولم يكونوا ادُّوا الجزية الى احد من ملوكنا فانا انتصرت عليهم بعون اشور سيا ي ونقلت من بقي منهم فاقمتهم في السامرة واخذت الجزية

من فرعون ملك مصر ومن شمسة ملكة العرب وايثامار ملك سبا الذين كانت مساكنهم على شاطي البحر وفي ارض ... حجارة كريمة وعاجا ... واخشاباً واطياباً ... وخيلاً وجمالاً » وفي محل النقط خطوط محطمة . وجاء في اثر اخر موجز ما ذكرناه وانه « اسر كل من بقيوا احياء وجلاهم الى ارض ابن عمري » اي السامرة واما حماة فقد جاء ذكرها متواترًا في الاثار الاشورية كما رأيت في ما مر وجاء في اثار سرغون نفسه انه « في السنة الثانية لملكه حارب ايلوبيد ملك حماه وانه استظهر عليه في رقيعة كركر وانه اخذ منه مئتي مركبة وست مئة فارس » ولم يصرح بانه جلا بعض قومها الى السامرة لكنه لمح الى ذلك في اثر اخر اذ قال انه جلا بعض من انتصر عليهم الى ارض حماة التي كان نقل شعبها منها

وقد تضاربت الاقوال في موقع سفروايم فمن قائل انها كانت في انحاء حماه ومن قائل انها كانت في ولاية دمشق والصحيح الان انها مدينة بابلية وقد ورد ذكر اسمها مكررًا في الخطوط المسمارية مسماة سيبار او سيبًارا وتسمى في بعض هذه الخطوط مدينة الفرات لوقوعها على عدوة هذا النهر وذكرت هذه الخطوط مدينتين تسميان بهذا الاسم تسمى الاولى سيبًارا سا شمش اي سيبارا مدينة الشمس والثانية سيبارا سا انونيت اي سيبارا مدينة انونيت وهو معبود لهم وفي تسمية الكتاب لها سفروايم بعلامة التثنية اشارة الى مدينتين بهذا الاسم وقد عين هرموزد رسام بعد اكتشافاته سنة ١٨٨٠ وسنة ١٨٨١ موقع سيبارا في المحل المسمى الان تل ابي حابا في الجنوب الغربي من بغداد ان كل ما مر هنا يبين لنا ان الاثار الاشورية مثبتة لابات الكتاب اثباتاً علمياً يحمل كل مطالع على العجب والشكر لله (ملخص عن فيكورو في المحل المذكور صفحة ١٥٧ الى ١٦٣)

عد ٣٢٥

في معبودات سكان السامرة المجلوين اليها

لم تنبأنا الاثار الاشورية بما كان لمن جلاهم سرغون الى السامرة وانبأنا الكتاب بما كان لهم وبما عبدوا فايدت الاثار المسمارية إنبآء الكتاب ببيانها ان ما ذكره الكتاب عن عبادة هولاء السامريين الجدد انما كان عبادتهم في مواطنهم فقال الكتاب (ملوك ٤ فصل ١٧ عد ٢٦ وما يليه) « فاخذت كل امة تعمل الهتها وتضعها في بيوت المشارف التي عملها السامريون كل امة في مدينتها التي سكنتها فعمل اهل بابل سكوت بنوت . واهل كوت عملوا نرجال واهل حماه عملوا اشيما والعويون عملوا نجاز وترتاق والسفروايون كانوا يحرقون بنيهم بالنار لادرملك وعنملك إلهيّ سفروائيم » فطالما اعيت هذه الايات مفسري الكتاب وقد زحزحت الان الاثار الاشورية الظلام الدامس الذي كان مسدولاً عليها فقد فسر لانرمان كلمة سكوت بنوت بمظال البنات وقال ان المراد بذلك اعياد كانوا يجتمعون فيها لتكرمة زربانيت الهة الولادة وذكر استرابون (ك ١٦ فصل ٨) كيف كان الفرس يحتفون بهذا العيد واخذ البابليون ذلك عنهم فقال ان رجالهم ونساءهم كانوا يجتمعون معاً فيصرفون ليلهم ونهارهم بالطرب والملاهي معاقرين الخمرة مدمنين الفحشآء . وللالهة زربانيت هي التي ذكرها باروك النبي ومما قاله فيها (فصل ٦ عد ٤٢) « والنسآء يقعدنَ (في بابل تكرمة لهذه الالهة) متحزمات بالحبال يتبخرنَ بالنخالة ، واذا فعلنَ الفحشآء تفاخرنَ بها » وعيرت ، احداهنَّ « صاحبتها بانها لم تحظَ مثلها ولم يقطع حبلها » وربما كسر العبرانيون اسم هذه الالهة زربانيت او زربانوت فجعلوه في لغتهم سكوت بنوت على ما رأى هنري رولينسون ومهما يكن من امر الاسم فعبادة هذه الالهة في بابل حقيقة لاخلاف فيها وفي اثارهم ان بختنصر اقام لهذه الالهة هيكلاً في بابل

واما نرجال الذي عبده الكوتيون فتأويل اسمه الاله الاسد ولا جرم ان هذا الاله كان معبود الكوتيين في بلادهم وقد ثبت ذلك باثار عديدة منها اثر دال على كيفية التلفظ بالكلمات وتفسيرها كتب فيه « إيلو أريُو » وفي السريانية ܐܠܗ ܐܪܝܐ (ايل اريو) « ايلونيزي كوروا » اي اله سكان كوت . وحقق ذلك سكردر وسميث (في كتابه الموسوم بذكر الماضي مجلد ٥ صفحة ١٠٧) وكان على ابواب قصور الاشوريين تمثال اسد وما ذلك الا كناية عن نرجال الاله الاسد الذي كان تمثاله يقام لحراسة هذه القصور . واما اسيما الذي عبده اهل حماة في السامرة فلا اثر لاسمه في الآثار الاشورية ووجهه بيّن لان اشيما من معبودات السوريين لا الاشوريين ولا يبعد ان يكون اشمون احد الهة الفوتيقيين وهو الكبير الثامن عندهم وكان كناية عن كوكب القطب الشمالي (طالع عد ١٤٦) ولا بدع ان كان اشمون معبودًا في حماة ايضًا . واما نجاز وترتاق معبود العويين فقال بعض الربيين فيهما ان نجاز كان يُمثل بهيئة كلب وان اسمه نجاز ربما كان اصله من نباح وفي السريانية ܢܒܚ (نبَح) اي نبح ويظهر انه كان من معبودات سبا وقالوا ان ترتاق كان يمثّل بهيئة حمار ولا اثر في الخطوط المسمارية لهذين المعبودين وهذا مؤذن بان العويين لم يكونوا من الكلدان كما مر

واما ادرملك وعنملك اللذان عبدهما السفرواييون وكانوا يحرقون بنيهم تكرمةً لهما فيراد بهما ادار الملك وعانو الملك وادار وعانو كانا من الهة البابليين والاشوريين وكثيرًا ما وجد اسمهما في الخطوط المسمارية وقال لانرمان ان اسم ادار يحتمل ان كان في الاصل بمعنى النار وقد نعت في هذه الخطوط « بالاله الذي ينير القبائل كالشمس » ويعبر احيانًا عن اسمه بصورة خشب للدلالة على النار . وعانو كان من كبار الالهة في بلاد الكلدان ونعته الخطوط القديمة « بالقديم

نوابي الالهة وسيد العالم السفلي ورب الظلام وولي الكنوز الخفية » وقال رولينسون ان ادرملك كان عندهم كناية عن قوة الذكر في الشمس وعنملك عن قوة الانثى فيها وعلى القولين كان اهل سيبارا او سفروائيم يعبدون الشمس وهذا مشعر باصل عادتهم السيئة بان يضحوا ببنيهم على النار تكرمة لها وقد كشف رسام المار ذكره في ابي حابا سيبارا القديمة عن صفيحة صورت عليها الشمس واحد ملوك بابل ساجدًا لها ومن جملة ما خط على هذه الصفيحة « مثال الاله الشمس الرب العظيم الساكن في هيكل ايبارا الكائن في سيبارا » فاهل هذه المدينة لبثوا في السامرة على عبادتهم الشمس والتضحية ببنيهم اكراماً لها كما قال الكتاب

وجاء في الكتاب (ملوك ٤ فصل ١٧ عد ٢٥ وما يليه) ان المجلوين الى السامرة لم يتقوا الرب فبعث عليهم اسودًا كانت تقتل منهم فكلموا ملك اشور قائلين ان الامم الذين جلوتهم واسكنتهم في مدن السامرة لم يعرفوا حكم اله الارض فارسل عليهم اسودًا فهي تقتلهم فامر ملك اشور ان ابعثوا اليهم واحدًا من الكهنة الذين جلوتهم من هناك فيقيم بينهم ويعلمهم حكم اله الارض فاتى واحد من الكهنة الذين جلاهم واقام ببيت ايل (بيت اين) واخذ يعلمهم كيف يتقون الرب . فكانوا على ذلك يتقون الرب ويعبدون آلهتهم القديمة . وقال كلمت (في تاريخ العهد القديم) ان الكاهن الذي ارسله ملك اشور الى السامرة لم يكن من كهنة الرب الورعين بل كان من كهنة اسرائيل الذين يخدمون في المشارف فتركهم يعبدون آلهتهم الا انه سلمهم توراة موسى مكتوبة بالحروف الكلدانية غير الحروف العبرانية فتسلموها منه وهي باقية عندهم يتفاخرون بها وهي مثبتة صحة التوراة اثباتًا قاطعًا للمطابقة التامة بينها وبين التوراة العبرانية (الا في اختلافات يسيرة) على ما بين الامتين من النفرة والشحناء قال يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ٩ فصل ١٤) « ان هولاء الشعوب

الكوثيين الذين يسميهم اليونان سامريين قد استمروا الى الآن (اي الى ايامه) على مذهبهم الديني لكنهم يتقلبون علينا تقلب الايام فان صلحت حالنا قالوا انا اخوة لهم لانا نحن وهم من ولد يوسف وان جار علينا الدهر قالوا انهم لا يعرفونا ولا يلزمهم ان يجيرونا لانهم اتوا هذه الديار من بلاد قاصية »

﴿ عد ٣٢٦ ﴾

تتمة اخبار سرغون في غزواته لسورية

ان سرغون بعد ان استظهر على ايلوبيد ملك حماه في وقعة كركر سنة ٧١٩ بعد سنتين من خراب السامرة سيَّر جيوشه على شاطي البحر المتوسط ينوي امتلاك سائر البلاد وقد مر ان هوشع ملك اسرائيل كان قد استجار بشباك الحبشي ملك مصر والحبشة وحالفه على ملك اشور فابطأ شباك في انجاده ولم تكسبه هذه المحالفة الا حنق ملك اشور عليه والاسراع في قدومه الى السامرة فانتصار سرغون قضى على ملك مصر ان يخرج لمقاومته تداركاً من ان يأخذ بلاده فزحف بجيوشه الى فلسطين لايقاف جنود سرغون عن غزوة بلاده وصحبه حنون ملك غزة واليك ما خطَّ على جدار خرشباد « ان حنون ملك غزة وسيباحي (كذا يسمي شباك) سلطان مصر اجتمعا في رابي (وهي رافية المسماة الآن بئر رفح على ٢١ او ٢٢ ميلاً من غزة جنوباً كاران مجلد ٢ في اليهودية صفحة ٢٣٣) ليصليا عليَّ حرباً واقبلا عليَّ فهزَّمتهما وانكسرت جيوش سيباحي امام جنودي وهرب هو فلم يُهتدَ له الى اثر وقبضت بيدي على حنون ملك غزة وافترضت جزية على فرعون ملك مصر » وفي خطوط اخرى ان سرغون اخذ حنون اسيرًا الى بلاد اشور وانه ضرب قبائل بلاد العرب وجلا بعضهم الى السامرة (كما مر في عد ٣٢٤)

ان انتصار سرغون على سلطان مصر وملك غزة بعد قرضه مملكة اسرائيل

جعل بلاد فلسطين كلها في قبضة يده ولم يتيسر له لحاق ملك مصر الى وادي النيل واكتفى بفرض الجزية عليه وعاد يسعر نار الحرب في ارمينية وبلاد ماداي من سنة ٧٢٨ الى سنة ٧١٠ ق م التي رجع فيها الى فلسطين وحاصر اشدود (وهي اسدود الان بين يافا شمالاً وعسقلان جنوباً) وقد ذكر اشعيا النبي هذه الغزوة (فصل ٢٠ عد ١) قائلاً كما مر « في السنة التي وفد فيها ترتان الى اشدود اذ ارسله سرجون ملك اشور وحارب اشدود واخذها » وهوذا اخبار هذه الغزوة عن آثار سرغون في خرشباد ولم نكن نعلم منها الا اشارة اشعيا اليها « في السنة التاسعة لغزوتي في البلاد الواقعة على شاطئ البحر الكبير (البحر المتوسط وفي تاريخه ان هذه الغزوة كانت في السنة الحادية عشرة لملكه) مضيت الى فلسطين وخيمت في اشدود لان عازوري (او ازوري) ملك اشدود قسا قلبه ولم يؤدِ الجزية وارسل رسلاً الى الملوك الذين حوله اعداء اشور وصنع القبيح فازلت ولايته عن الشعوب المجاورين له واخذت ... (هنا كلمات محطمة) واقمت اخاه مكانه على ملكه وضربت عليه مكوساً وجزيات واجبة الاداء في اشور وضربت مثلها على الملوك مجاوريه لكن رعاياه الخبثاء قسوا قلبهم ولم يؤدوا المكوس والجزية ... وعصوا ملكهم وطردوه بدلاً عما صنعه اليهم من الخير ... واقاموا يامان ملكاً عليهم واجلسوه على عرش مولاهم مع انه لم يكن وريثاً لمنصة ملكهم وحصنوا مدنهم للحرب ... واحتفروا خليجاً من حولها عمقه عشرون ذراعاً واجروا مياه الينابيع الى امام المدينة وشعب فلسطين ويهوذا وادوم ومواب المقيمون في جانب البحر والذين كانوا يقدمون الجزية والتقادم لاشور سيدي ابدوا الخيانة ونوى الشعب وروساؤه الاشقياء ان يحاربوني وقدموا تقادم الى فرعون ملك مصر وهو قاصر عن ان ينجيهم وابتغوا محالفته فانا سرغون الملك الاشرف اقسمت باشور ومروداخ وجيشت

جيوش حرسي جميعاً فعبروا دجلة والفرات في حين فيضانهما· وسمع يافان ملكهم الذي كان معتمداً على قوته ولم يخضع لسلطتنا بمسير جيشنا فذللته عظمة اشور سيدي فقر الى تخوم مصر ... (وهنا كلمات محطمة لا يتحصل المراد بها) ولم يدرِ احد اين انهزم فحاصرت مدن اشدود وجيزمو واخذتها وغنمت الهته وامرأته وبنيه وبناته واثاثه وماله وكنوز قصره مع شعب بلاده وجددت بناء هذه المدن واقمت بينهم قوماً ممن كنت اخضعتهم في جهات مشرق الشمس واقمتهم هم في وسط شعب اشور ففعلوا حسب مشيئتي »

قد صرح اشعيا في قوله المار ذكره بان سرغون لم يحاصر اشدود بنفسه بل ارسل اليها ترتان قائد جيشه وعليه فقول سرغون « حاصرت اشدود واخذتها » مجازي لا حقيقي الا ان تقول انه ارسل ترتان اولاً ثم شخص بنفسه الى اشدود وقد وجد اسم ترتان في الاثار الاشورية . واخبار هذه الاحداث مهمة لا لعلاقتها بتاريخ العبرانيين فقط بل لتفسيرها باتم بيان كثيراً من نبوات اشعيا النبي لا سيما نبوته التي جعل تاريخها سنة ارسال سرغون ترتان لافتتاح اشدود وهي سنة ٧١٠ ق م وقد كان للمفسرين كبوات في تفسير هذه النبوات قبل اكتشاف الاثار المار ذكرها ويلزم اصلاح تفسيرهم في ما يلاحظ التاريخ فالنوازل التي حلت بمدن فلسطين كما رأيت آنفاً تنبأ عليها اشعيا في الفصل الرابع عشر من نبوته مؤرخة في سنة موت احاز وهي سنة ٧٢٧ كما حققه اهل العلم بالاثار الاشورية اعني قبل حصار السامرة باربع سنين وقبل تملك سرغون بست سنين وقبل انكسار حنون ملك غزة بثماني سنين وقبل افتتاح اشدود بسبع عشرة سنة واليك كلام النبي في نبوته المشار اليها (فصل ١٤) « لا تفرحي يا ارض فلسطين بان قضيب ضاربك انكسر ... انا اميت اصلك بالجوع وبقيتك تقتل ... ولول ايها الباب اصرخي ايتها المدينة قد ذبتِ

بفلسطين باسرائيل لان قتاماً وافد من الشمال وليس من يتفرد عن عصابته » فالقتام الوافد من الشمال كناية عن جحافل سرغون التي اتت من الشمال وانزلت البلاء والوبال في مدن فلسطين ولاشعيا نبوتان أخريان نطق بهما سنة ٧١٠ على الحبشة ومصر وقد جمع بينهما لان شباك الحبشي كان يليهما معاً قال (فصل ٢٠ عد ٤ الى عد ٦) « كذلك يسوق ملك اشور سبي مصر وجلاء كوش الصبيان والشيوخ عراة حفاة مكشوفة استاههم فضيحة لمصر فيفزعون ويخزون بكوش رجائهم وبمصر فخرهم » واكثر صراحة من هذا قوله (فصل ١٩ عد ٤) « وادفع مصر الى سيد قاسٍ . وملك ذو عزة يتسلط عليهم يقول السيد رب الجنود » فهذه النبوة على مصر والحبشة لم تتم في ايام سرغون وليس سرغون الملك القاسي الذي اشار النبي اليه كما وهم كثير من المفسرين قبل الاكتشافات بل هو اسرحدون بن سنحاريب وحفيد سرغون او اشور بانيبال بن اسرحدون فقد حالت بعض المصاعب دون افتتاح سرغون مصر بعد اخرابه السامرة سنة ٧٢١ وبعد افتتاحه اشدود سنة ٧١٠ فانه اضطر سنة ٧٠٩ ان يعود الى الحرب مع مروداخ بلدان ملك بابل ولم يظفر به كل الظفر الا في سنة ٧٠٨ واراد بعدئذٍ ان يستريح ويقيم قصره المعروف الان بقصر خرشباد المكتوب على جداره اكثر تاريخه وقد ذكرنا (في عد ١٢٢) ضم سرغون قبرس الى مملكته نقلاً عن صفيحة وجدت في هذه الجزيرة . وفي سنة ٧٠٤ سطا على سرغون رجل يسمى بلكاسباي فقتله غيلة ربما اخذاً بثأر مروداخ بلادان فقضي من اكثر خراب مملكة اسرائيل بعد ان ملك سبع عشرة سنة .

(ملخص عن فيكورو في المجلد المذكور من صفحة ١٧٤ الى ١٨١)

﴿ عد ٣٢٧ ﴾

في سني ملوك يهوذا وملوك اسرائيل

اذا تتبعنا سني ملوك يهوذا وملوك اسرائيل كما ذكرها الكتاب وجدناها كما ترى في الجدول التالي

ملوك يهوذا	سني ملكهم	آيات الكتاب	ملوك اسرائيل	سني ملكهم	آيات الكتاب
راحبعام	١٧	ملو٣ف١٤ع ٢١	ياربعام ١	٢٢	ملو٣ف١٤ع٢٠
ابيا	٠٣	٠٠ف١٥ع ٠٢	ناداب	٠٢	٠٠ف١٥ع٢٥
آسا	٤١	٠٠ف١٥ع ٢٠	بعشا	٢٤	٠٠ف١٥ع٣٣
يوشافاط	٢٥	٠٠ف٢٢ع ٤٢	ايله	٠٢	٠٠ف١٩ع٨
يورام	٠٨	ملو٤ف٨ع ١٧	زمري {يوم ٧}		٠٠ف١٦ع١٥
اخزيا	٠١	٠٠ف٨ع ٢٥	عمري	١٢	٠٠ف١٦ع٢٣
عتليا	٠٦	٠٠ف١١ع ٠٣	احاب	٢٢	٠٠ف١٦ع٢٩
يواش	٤٠	٠٠ف١٢ع ٠١	احزيا	٠٢	٠٠ف٢٢ع٥٢
امصيا	٢٩	٠٠ف١٤ع ٠٢	يورام	١٠	ملو٤ف٣ع٠١
عزيا	٥٢	٠٠ف١٥ع ٠٢	ياهو	٢٨	٠٠ف١٠ع٣٦
يوتام	١٦	٠٠ف١٥ع ٣٣	يواحاز	١٧	٠٠ف١٣ع ٠١
احاز	١٦	٠٠ف١٦ع ٠٢	يواش	١٦	٠٠ف١٣ع ١٠
من مدة حزقيا	٠٦	٠٠ف١٨ع ١٠	ياربعام ٢	٤١	٠٠ف١٤ع ٢٣
المجموع	٢٦٠		زكريا {شهر ٦}	٠٠	٠٠ف١٥ع ٠٨
			شلوم {شهر ١}	٠٠	٠٠ف١٥ع ١٣
			منحيم	١٠	٠٠ف١٥ع ١٧

ملوك اسرائيل	سني ملكهم	آيات الكتاب
فقحيا	٠٢	ملو ٤ ف ١٥ ع ٢٣
فاقح	٢٠	٠٠ ف ١٥ ع ٢٧
هوشع {شهر ٧}	٠٩	٠٠ ف ١٧ ع ٠١
المجموع	٢٤١	وشهر {٧}

والفينا سني ملوك يهوذا تزيد على سني ملوك اسرائيل ثماني عشرة سنة وخمسة اشهر لان مجموع سني ملوك يهوذا ٢٦٠ سنة ومجموع سني ملوك اسرائيل ٢٤١ وسبعة اشهر وسبعة ايام ايضاً وقد اجهد العلمآء ومفسرو الكتاب نفوسهم في توفيق هذا الخلاف فقال بعضهم ان النساخ زادوا خطآء هذه الثماني عشرة سنة على سني ملوك يهوذا عند ذكر سني ملك بعضهم فيلزم اصلاح هذا الخطأ الذي وقع مثله متواترًا في الاعداد ولكن لا يعلم من سني ايهم يلزم حطها ويستلمح من الاثار الاشورية انه يلزم حطها من سني الملوك المعاصرين لاحاب ملك اسرائيل . وقال بعضهم ان الملك انقطع في مملكة السامرة اي لم يكن ملك في اسرائيل مرتين احداهما بين ملك ياربعام الثاني وملك زكريا مدة نحو من احدى عشرة سنة والثانية بين ملك فاقح وملك هوشع مدة نحو تسع سنين وقد جنح الاب فيكورو الى القول الاول في كتابه الموسوم بالاسفار المقدسة وانتقاد العقليين لها (مجلد ٤ صفحة ٥٠٥ طبعة ٣) والى القول الثاني في كتابه الموسوم بالموجز الكتابي (مجلد ٢ صفحة ٨١ طبعة ٧) ووضع الجدول الآتي لملوك اسرائيل مبينًا سنة بدئ ملك كل منهم قبل التاريخ المسيحي عن علمآء اعلام فنترجمه توفيرًا للفائدة مغتنين بما في الجدول السابق من تعيين آيات الكتاب

اسماء ملوك اسرائيل	سني ملكهم	بدىء ملكهم ق م عن باتو	كليتون	ويتر
ياربعام الاول	٢٢	٩٧٥	٩٧٦	٩٧٥
ناداب	٠٢	٩٥٤	٩٥٥	٩٥٤
بعشا	٢٤	٩٥٣	٩٥٤	٩٥٣
ايله	٠٢	٩٣٠	٩٣٠	٩٣٠
زمري يوم ٧	٠٠	٩٢٩	٩٣٠	٩٢٨
عمري	١٢	٩٢٩	٩٣٠	٩٢٨
احاب	٢٢	٩١٧	٩١٩	٩١٨
احزيا	٠٢	٨٩٨	٨٩٦	٨٩٧
يورام	١٢	٨٩٦	٨٩٥	٨٩٦
ياهو	٢٨	٨٨٤	٨٨٣	٨٨٤
يواحاز	١٧	٨٥٦	٨٥٥	٨٥٦
يواش	١٦	٨٤٠	٨٣٩	٨٤٠
ياربعام الثاني	٤١	٨٢٤	٨٢٣	٨٢٥
لاملك	١١	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠
زكريا شهر ٦	٠٠	٧٧٢	٧٧١	٧٧٢
شلوم شهر ١	٠٠	٧٧٢	٨٧٠	٧٧١
منحيم	١٠	٧٧١	٧٧٠	٧٧١
فقحيا	٠٢	٧٦١	٧٥٩	٧٦٩
فاقح	٢٠	٧٥٩	٧٥٧	٧٥٨

المجموع ٢٤٢

ملوك اسرائيل	سني ملكهم	بدؤها بحسب راي باتو	كلينتون	وينر
لاملك	٩	...	...	...
هوشع	٩	٧٢٩	٧٣٠	٧٢٩
خراب السامرة	...	٧٢١	٧٢١	٧٢١

فجموع سني ملوك اسرائيل ٢٦٠

فيكون مجموع سني ملوك اسرائيل على هذا النحو مئتين وستين سنة كسني ملوك يهوذا وقد قال بعض المتجددين بطرائق اخرى لتوفيق هذا الخلاف فقال أولد ان الصحيح في سني ياربعام الثاني انها ٥٣ سنة لا ٤١ سنة وفي سني فاقح انها ٢٩ سنة لا ٢٠ سنة فيحصل من ذلك زيادة نحو من عشرين سنة وتتفق بذلك سنو المملكتين ووفق غيره بطرائق اخرى ومهما يكن من هذا الخلاف فلا يمس صحة الاسفار المقدسة بشيءٍ لانه من خطأ النساخ وقلنا مرارًا ان ليس على الله ان يعصم كل كاتب من الخطأ وان هذه الاعداد يعبر عنها الكتاب بالحروف وهي متقاربة الهيئة فتكون عرضة للخطأ

الفصل الثامن عشر

(في سائر ملوك يهوذا الى الجلاء البابلي)

عد ٣٢٨

في حزقيا ملك يهوذا

ان حزقيا بن احاز ملك يهوذا خلف اباه راقيًا منصة الملك في السنة الثالثة لهوشع ملك اسرائيل اي سنة ٧٢٧ وكان عمره حينئذٍ خمسًا وعشرين سنة

وملك ٢٩ سنة وفي السنة السادسة لملكه وهي السنة التاسعة لهوشع ملك اسرائيل أُخذت السامرة وجلا ملك اشور بني اسرائيل الى بلاد اشور (ملوك ٤ فصل ١٨ عد ١و٢ وعد١٠و١١) وكان حزقيا مستقيماً وارضى الرب متشبهاً بداود جده وكان اول مهامه واجلها العناية بامر الدين وحض شعبه على التمسك بعروته الوثقى والعمل بسنن الرب ففتح هيكل اورشليم الذي كان مقفلاً في ايام ابيه وازال المشارف وحطَّم الانصاب وقطع الغابات وكسَّر تماثيل الالهة الفونيقية ودمَّر هيا كلها بل اتصل الى ان سحق الحية النحاسية التي كان موسى اقامها في البرية لان بني اسرائيل كانوا حينئذٍ يقدمون لها البخور ويعبدونها عبادة وثنية خلافاً لما امر الرب موسى عند صنعها . وكان الرب مع حزقيا وحيثما توجه كان يتصرف بحكمة واحتفى بعيد اول فصح وقع في ايام ملكه بمزيد التجلة فارسل رسائل ووفودًا الى جميع انحاء مملكته والى بني اسرائيل اجمعين من بئر سبع الى دان ليأتوا الى قضآء فصح الرب في اورشليم اذ حالت عليهم احوال ولم يقضوه حق قضائه . فانطلق الوفود من مدينة الى اخرى يحضون الشعب على العود الى الله وهيكله ليصرف عنهم حدة غضبه فازدرى بعضهم الوفود وسخروا منهم وخشع جماعة من اسباط اشير ومنسى وزابلون وجاؤوا الى اورشليم وكان بنو يهوذا بقلب واحد على العمل بامر الملك والروسآء. وقد تقدس الكهنة واللاويون وقدموا الذبائح والمحرقات واحتفى الشعب بعيد الفطير في اورشليم سبعة ايام بوافر الوقار والبهجة واضافوا الى ايام العيد سبعة ايام اخرى . واذَّب الملك للجماعة ذبائحاً كثيرًا من ثيرانه وشياهه وفعل الروسآء مثل ما فعل الملك . وكان الفرح عظيماً لم يكن مثله منذ ايام سليمان وقد انقضى هذا العيد قبل خراب السامرة ولم يكن هوشع ملك اسرائيل يمنع مسوديه الاتيان الى هيكل اورشليم كثيره من اسلافه وقد مرت الاشارة الى ذلك في الكلام عليه . واعاد حزقيا

الملك نظام خدمة الكهنة واللاويين في الهيكل واجرى عليهم الارزاق ليمكفوا على خدمة الرب والهيكل واعطى حصة من ماله للمحرقات وذاع ذلك فاقتدى به كثير من بني اسرائيل فقدموا من بواكير الحنطة والخمر والزيت والعسل شيئًا كثيرًا وجآءُوا بالعشور وافرة وكان اشعيا النبي يرشد الملك الى كل ذلك

قد مرض حزقيا الملك فوافاه اشعيا النبي يقول له اوصِ لبيتك لانك تموت ولا تعيش فبكى بكاءً شديدًا وصلى الى الرب قائلاً اذكر يارب كيف سلكت امامك بالحق وسلامة القلب وكيف صنعت الخير امامك . فاوحى الرب الى اشعيا ان يعود الى الملك ويقول له انه سمع صلاته ورأى دموعه وانه سيشفى وفي اليوم الثالث يصعد الى الهيكل وانه سيزيده على ايامه خمس عشرة سنة وينقذه واورشليم من شر ملك اشور فعاد اشعيا وبلغه ما قال الرب ووضع قرص تين على قرحه فبرأ ولم يكن هذا القرص على الاظهر شافيًا القرح بنفسه بل كان اشارة الى الاية الربانية كوضع اليشاع الملح في المياه المرة فحلت وكصب ايليا الماء حول المذبح حتى لفحته النار المنحدرة من العلاء وقد التمس حزقيا من النبي آية يحقق بها ان الرب يبرئه فقال اشعيا هذه آية لك من قبل الرب . أيتقدم الظل عشر درجات ام يرجع عشر درجات فقال حزقيا اما تقدم الظل عشر درجات فامر يسير ولكن ليرجع الظل الى الوراء عشر درجات فهتف اشعيا النبي الى الرب فرد الظل في الدرجات التي نزلها في درج احاز عشر درجات الى الوراء . ذهب كثيرون من العلماء الى ان المراد بدرج احاز درج قصر حزقيا الذي كان ابوه احاز بناه وكان في اعلاه ابرة يستدل بظلها على ساعات النهار وقد سخر فولتر من حزقيا ومن قول الكتاب ان تقدم الظل عشر درجات امر يسير مع ان تقدمه ورجوعه سيان في منافاة شرائع الطبيعة فنسلم له بان حزقيا لم يكن فلكيًا بل تكلم كعامة اهل ايامه الذين الفوا

ان يروا الظل يتقدم دائمًا ولم يروه يرجع قط وكذلك نسلم له بان رجوع الظل الى الوراء ينافي سنن الطبيعة لكننا لا ننسبه اليها بل الى قدرة باري الطبيعة وهو على كل شيء قدير ولو كان هذا الرجوع ممكناً بقوة الطبيعة لما اثبت لحزقيا شيئاً ولا كانت الاية آية وجميع المؤمنين بالله يعتقدون انه قدير على صنع الآيات وخرق شرائع الطبيعة وان كل ما شاء الرب صنع ولا تعوزه الوسائل لارجاع الظل عشر درجات ولم يصرح لنا الكتاب بهذه الوسيلة ومن كذب بوجود الله فلا بدع ان يكذب باياته نعوذ به من شر المارقين

وقال الكتاب (ملوك ٤ فصل ٢٠ عد ١١) « في ذلك الزمان ارسل برودك بلادان بن بلادان ملك بابل كتباً وهداياً الى حزقيا لانه سمع ان حزقيا مريض ففرح بهم حزقيا واراهم جميع بيت نفائسه وفضته وذهبه واطيابه ودهنه الطيب وبيت آنيته وجميع ما في خزائنه » فوفد اليه اشعيا يبكته على ذلك وتنبأ له انها ستأتي ايام يؤخذ فيها كل ما في بيته مما ادخره اباؤه الى بابل ويؤخذ من بنيه الذين يلدهم فيكونون خصياناً في قصر ملك بابل . قد نسب الملحدون نبوات انبياء اسرائيل الى حذقهم ومعرفتهم لغوامض السياسة ولكن اي حذق يتصل الى عرفان ما تخالفه الظواهر كلها ولا يرى فيه وجه لاحتمال وقوعه كنبوة اشعيا هذه على جلاء بني يهوذا الى بابل مع ان مملكة بابل كانت حينئذٍ منحطة يهددها في كل فترة ملوك اشور بقوتهم الجبارية وجيوشهم الظافرة بل كان بعضهم اذل بابل ودانت لهم ومع هذا اثبت النبي قبل ١١٤ سنة ان هذه المملكة الذليلة سوف تقوى على مملكة اشور وتظفر بمملكة حزقيا الزاهرة يومئذٍ وتجلي سكانها الى بلادها . وبمثل ذلك تنبأ ميخا النبي الذي كان معاصرًا لاشعيا كما يظهر من نبوته (فصل ٤ عد ١٠)

اما برودك بلادان الذي ذكره الكتاب هنا فهو مروداخ بلادان ملك

بابل الذي مر ذكره مرات وسماه اشعيا (فصل ٣٩ عد ١) مروداك . وقد تكلم فيه العلامة الكردينال ويزمن في السادسة من خطبه في العلاقات بين العلم والدين الموحى فقال « ان مملكة اشور كانت يومئذٍ عزيزة زاهية راقية ذرى مجدها ولم تكن بابل الا خاضعة لسؤددها فان كان بروداك او مروداخ ملك بابل فكيف اجترأ ان يرسل وفدًا لتهنئة ملك يهوذا وهو محارب لملك اشور سيده » الى ان يقول الكردينال العلامة انه وجد فقرة لباروز حفظها اوسابيوس في التاريخ الارمني الذي نشره (مجلد١٩ من مكتبة الآباء اليونان عمود ١١٨ من طبعة الاب مين) قيل فيها « ومن بعد وفاة اخي سنحاريم (سنحاريب) ملك هاجيسانو على البابليين ولكن لم تنقضِ على ملكه ثلاثون يومًا الا وقتله مروداخ بلادان وقبض على صولجان الملك ستة اشهر فتلَّ عرشه رجل اسمه اليبوس وملك مكانه وفي السنة الثالثة لملكه خرج سنحاريب بجحافله على البابليين فاستظهر عليهم وقبض على اليبوس وافراد اسرته وجلاهم الى بلاد اشور وبسط ولايته على البابليين واقام عليهم ملكاً ابنه اسرحدون وعاد ظافرًا الى اشور » على ان الخطوط الاشورية ازالت كل اشكال في امر مروداخ بلادان فقد ذكره تجلات فلاصر في الخطوط التي نقشها على قصره ومما قاله فيها « ان مروداخ بلادان بن ياكين ملك البحر (يريد بلاد الكلدان السفلى لمجاورتها خليج العجم) لم يكن في مدة اسلافي ادَّى اليهم شيئاً من الجزية ولا قبل اقدامهم فراعته عظمة اشور سيدي ومثل امامي في مدينة سيبا وقبل قدميَّ » وعدد ما قدمه له من الجزيات . وكان خضوع مروداخ لتجلات فلاصر سنة ٧٣٠ او سنة ٧٣١ ق م عن سميت (في تاريخ تجلات فلاصر) وجاء في اثار سرغون ذكر مروداخ ملك بابل وقد حاربه سرغون سنة ٧٢٠ ق م ويظهر ان هذه الحرب انقضت بصلح من شرائطه ان يبقى مروداخ بلادان

ملكاً في بابل على ان سرغون اضرم عليه نار الحرب ثانية سنة ٧٠٩ وسنة ٧٠٨ ق م وانتزع الملك منه وجمع بين تاجي اشور وبابل . على انه بعد وفاة سرغون تنازع كثيرون ملك بابل مدة سنتين ويظهر ان مروداخ عاد حينئذٍ الى عرش بابل فتبوأه ستة اشهر كما جاء في فقرة باروز المذكورة آنفاً . وقد كشف في بابل في هذه السنين عن صحيفة كتب عليها ما يثبت هذه الفقرة وهو « ان رجلاً اسمه مروداخ زوكيرسومي ملك في بابل مدة شهر ثم ملك فيها مروداخ هابل ايدينا (مروداخ بلادان) تسعة اشهر » وفي آثار سنحاريب ما يثبت رواية باروز واوسابيوس ويحقق آيات الكتاب تحقيقاً علمياً فقد جاء في اثره المعروف بعمود بلّينو « في بدء ملكي انتصرت تجاه مدينة كيش على مروداخ بلادان ملك كردونياس (بابل) وعلى جيوش عيلام فغادر ساحة الحرب وانهزم منفرداً ... فملكت يدي ما تركه في ساحة الحرب من المركبات والخيل والبغال والحمير والجمال والغنم ودخلت قصره في بابل بملء المسرة وفتحت خزائنه واخذت منها ذهباً وفضة وآنية ذهبية وفضية وحجارة كريمة واشياء ثمينة ... واستعبدت امرأته ونساء قصره والعمال الذين كانوا يخدمون بحضرته وكل ما كان يملكه » والظاهر من كل ما مر ان مروداخ بلادان بعد ان ثل سرغون عرش ملكه في بابل عاد اليه بعد وفاة سرغون وفي تلك الفترة ارسل وفده الى حزقيا ملك يهوذا يهنئه بصحته ويرغب في محالفته له على سنحاريب عدو كليهما وقد يكون وفده اهتم بعقد محالفات مع غير حزقيا من ملوك سورية وفونيقي وربما كان هذا ما حمل سنحاريب على غزوته سورية كما ترى

﴿ عد ٣٢٩ ﴾

في حملة سنحاريب على حزقيا ملك يهوذا

ان حزقيا كان معاصراً سلمناسر وسرغون وسنحاريب ملوك اشور وشهد

حصار السامرة وافتتاحها وجلاء اهل مملكتها وخراب مدن فلسطين ولم يسط سلمناسر ولا سرغون عليه لان اباه احاز كان محالفًا لملك اشور ولكن امست مملكة يهوذا في ايامه يحتاطها الاشوريون كحلقة من حديد . فكان في شماليها من جلاهم ملك اشور الى السامرة وفي غربيها مدن فلسطين التي دمرها سرغون واقام عماله فيها وفي جنوبيهـا العرب الذين دانوا لسرغون وفي شرقيها مملكة سورية التي لم يبقِ منها ملك اشور الا الاسم على ان هــذا الموقف الحرج لم يرُع حزقيا بل ثبت واثقاً بالله مفضلاً الاعتصام به على كل من لجا الى دولة اجنبية عاملاً بارشاد اشعيا النبي وانبأنا الكتاب (ملوك ٤ فصــل ١ عدد ٧) انه « تمرد على ملك اشور ولم يتعبد له » ولا نعلم متى كان هذا التمرد والاظهر انه اغتنم فرصة موت سرغون سنة ٧٠٥ ق م كما اغتنمها غيره ممن كانوا يودون الجزية الى ملك اشور فابى اداء الجزية لسنحاريب وزاد على ذلك قبوله بالاحتفاء رسل مروداخ ملك بابل فاحتدم سنحاريب غيظاً على حزقيا وزحف بجيوشه الى سورية . وذكر الكتاب حملة سنحاريب هذه قبل مرض حزقيــا ولذلك زعم بعض مفسري الكتاب والعلماء ان غزوة سنحاريب كانت قبــل مرض حزقيا وقبل وفادة ملك بابل اليه ولكن الاظهر والامثل ان مرض حزقيــا والوفادة اليه كانا قبل الغزوة ويويده ان خزائن حزقيــا كانت عند وفود رسل ملك بابل اليه مملوة من الذهب والفضــة والآنية الثمينة فلم يكن اذاً استفرغها بتقدمة ما كان فيها لسنحاريب قبل الحرب والآثار الاشورية والبابلية قاضية بان وفادة ملك بابل الى حزقيا كانت قبل حملة سنحاريب على سورية ولذا قدمنا ذكر مرض حزقيا على ذكر غزوة سنحاريب خلافاً لوضع الكتاب لهما

اما سنحاريب فهو ابن سرغون وقد خلف اباه في ١٢ آب لسنة ٧٠٥ وفي آثاره كلام مشبع في بني اسرائيل اكثر مما ورد في آثار اسلافه فقد كشف سنة

١٨٣٠ عن صفيحة من خزف ذات ستة اوجه في نينوى عند رجل اسمه تيلور ولذلك تسمى هذه الصفيحة صفيحة تيلور وهي الآن في المتحف البريطاني قد دون عليها سنحاريب اخبار حروبه من سنة ٧٠٤ الى سنة ٦٨٤ في اربع مئة وثمانين سطرًا تفاخر فيها بانتصاره في وقائع كثيرة وبكم عن ذكر انخذاله ومما انطوت عليه اخبار حربه في اليهودية وسيأتي ذكرها . وفي عمود بلّينو المار ذكره اخبار السنتين الاوليين لسنحاريب . وقد كشف عن تمثاله في نينوى وهو اليوم في لندره يمثل جالساً في فلسطين عند مدينة لاكيش (ام لقيس الان) على عرش ثمين محمول بين اربعة من اكابر رجاله ومتشحاً بافخر الملابس ودقنه مرسلة وشعره طويل محكم الجدل وفي اذنيه حلقتان بهيئة صليب وفي يده سوار ثمين ويمناه مرفوعة الى فوق وقد قبض بها على حربة وفي يسراه قوس يسندها الى مقدم عرشه وهيئة وجهه ناطقة بانه غازٍ قاسٍ جبار لا رحمة في قلبه. فمن رأى تمثاله دري ما كان اعظم حنقه عند سماعه ان ملكاً صغيرًا في سورية ابى ان يؤدي اليه الجزية التي فرضها ابوه عليه واجترأ ان يحتفي بوفد ملك بابل اليه وان يتحالفا على مناصبته . على انه لم يشأ ان يحمل على ملك يهوذا قبل ان يذلل مروداخ بلادان لئلا يترك عدوًا من ورائه فحارب ملك بابل وهزمه وشتت شمل قومه كما رأيت آنفاً واوغر حروباً في شرقي مملكته وجنوبيها لا يهمنا الكلام فيها وبعد ان امَّن تخوم مملكته شرقاً وجنوباً امَّ سورية ينوي اخضاع ملوكها والتوصل الى مصر وكانت غزوته هذه سنة ٧٠١ ق م خلافاً لما رأته عامة المفسرين والمؤرخين قبل الاكتشافات من ان هذه الغزوة كانت بين سنة ٧١٤ ق م وسنة ٧١٠ لان عمود بلينو المار ذكره كتب عليه سنة ٧٠٢ ولا ذكر فيه لها فاذًا كانت بعده اعني سنة ٧٠١ وقد . انبأتنا الآثار المسمارية باسباب اخرى لهذه الحملة (خلا الاسباب التي ذكرها الكتاب) وهي ان ملك صيدا وعسقلان

وغيرهما لم يكتفوا بخلع نير الطاعة لملك اشور بل حالفوا ملك مصر عليه ويظهر ان هذه المحالفة كانت بعد وفاة سرغون وان المتحالفين لم يتسنّ لهم ان يضموا اليهم سائر ملوك سورية بل اثر ملوك عمون ومواب وادوم الحيدودة ومالاء ملوك ارواد وجبيل واشدود الاشوريين وجاهر ملك عقرون بمحازبته لملك اشور خلافاً لرأي قومه فثاروا عليه واسلموه الى حزقيا ملك يهوذا ليسجنه في اورشليم

واليك ما قاله الكتاب (ملوك ٤ فصل ١٨) في حملة سنحاريب هذه « صعد سنحاريب ملك اشور على مدن يهوذا المحصنة واخذها . فبعث حزقيا ملك يهوذا الى ملك اشور في لاكيش (ام القيس الان في الطريق المؤدي من اورشليم الى غزة) وقال له قد خطئت فانصرف عني ومهما تضربُ عليَّ انفذه اليك فضرب ملك اشور على حزقيا ملك يهوذا ثلاث مئة قنطار فضة وثلاثين قنطار ذهب فأدّى اليه حزقيا جميع الفضة التي وجدت في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك ونزع حزقيا الذهب عن ابواب الهيكل وعن الدعائم التي كان قد غشاها حزقيا ملك يهوذا ودفعه الى ملك اشور » فلم يرضَ سنحاريب بذلك وحده بل طلب ان يدخل الى اورشليم ولذلك « ارسل ملك اشور ترتان وربساريس وربشاقا من لاكيش الى الملك حزقيا بجيش عظيم » والاظهر ان الاسماء الثلاثة المذكورة ليست اعلاماً شخصية بل اسماء مقامات في الجندية فترتان يراد به القائد العام في الجيش وقد ورد مرات في اثارهم بهذا المعنى . وربساريس يراد به رئيس الخصيان او رئيس الحرم . وربشاقا معناه رئيس كبير في الجيش وقال سكردر ان الكلمة منحوتة من لفظة راب ها [illegible] الكبير ولفظة شاق او ساك ومعناها الرأس والرئيس . ولما [illegible] رشليم ارسل حزقيا اليهم ثلاثة رجال من حاشيته « فقال

لهم ربشاقا قولوا لحزقيا هكذا يقول الملك الكبير ملك اشور ما هذا الاتكال الذي اتكلت قد قلت لكن ليس الا كلام شفتين لي مشورة واقتدار على الحرب والان فعلى من اتكلت حتى تمردت عليَّ انك انما اتكلت على عكاز هذه القصبة المرضوضة على مصر التي من اتكأ عليها نشبت في كفه وثقبتها هكذا فرعون ملك مصر لجميع الذين يتكلون عليه ... والان الحم القتال مع سيدي ملك اشور وانا اقدم لك الفي فرس ان استطعت ان تجد لها فرساناً . وانَّى لك ان تردَّ وجه قائد واحد من عبيد سيدي الصغار وتتكل على مصر لاجل مراكب وفرسان . والان اتراني بمعزل عن الرب صعدت الى هـذا المكان لادمره . الرب قال لي اصعد على هذه الارض واخربها . فقال له رجال حزقيا الملك كلم عبيدك باللغة الارامية فاننا نفهمها ولا تكلمنا باليهودية (العبرانية) على مسامع الشعب القائمين على السور . فقال لهم ربشاقا ألعله الى سيدك واليك بعثني سيدي لاقول هذا الكلام أليس الى الرجال القائمين على السور . ليدركوا شر العاقبة ويظهر من ذلك ان عمال الدول كانوا في تلك الايام يتعلمون لغات غيرهم كما في ايامنا واللغتان الارامية والعبرانية اختان من اصل واحد او اشتقت احداهما من الاخرى. ثم وقف ربشاقا ونادى بصوت عظيم باليهودية محذراً الشعب من ان يسمعوا لحزقيا بان يتكلوا على الرب لان الرب لا ينجيهم وقال . العل الهة الامم انقذوا كل واحدٍ ارضه من يد ملك اشور اين اله حماه وارفاد اين اله سفروايم وهيناع وعوة (مر الكلام في مواقع هذه المدن) العلهما نجيا السامرة من يدي . وطلب اليهم ان يعقدوا صلحاً مع ملك اشور فيأخذهم الى ارض مثل ارضهم ارض حنطة وخمر وكروم وزيت وعسل . فسكت الشعب ولم يجب ربشاقا بكلمة وسمع الملك فمزق ثيابه ولبس مسحاً ودخل بيت الرب وارسل يخبر اشعيا النبي بما كان من الضيق والزجر والتجديف على الرب فاجابه

اشعيا مشجعاً اياه ان لا يخاف تهـديد ملك اشور ولا يبالي بتجديف قواده على الرب

اما قواد سنحاريب فلما يئسوا من استسلام حزقيا واهل اورشليم اليهم عادوا الى ملكهم ليسألوه عما يشآء فوجدوه قد رحل من لاكيش ويقاتل اهل لبنه ولم يتعين موقع هذه المدينة الى اليوم والراجح انه كان في الشمال الغربي من بيت جبرين وفي الشمال الشرقي من لاكيش في المحل المسمى الان تل الصافي (فيكورو مجلد ٤ صفحة ٢٣٤ من الكتاب والاكتشافات) ثم قيل لسنحاريب ان ترهاقة ملك كوش (اي ملك الحبشة) قد خرج ليقاتله فئـلا يتقوى حزقيا اذا بلغته هذه الاخبار ارسل اليه رسلاً ورسالة يعيد فيها تهديده وتذكيره بما صنع هو واسلافه بالقبائل التي ابت الخضوع لهم ولم تنجهم الهتهم فأخذ حزقيا الرسالة وقرأها وصعد الى بيت الرب وبسطها قدامه مصلياً خاشعاً اليه ليخلصه وشعبه من يد سنحاريب فارسل اشعيا النبي يقول للملك من قبل الرب انه سمع صلاته وانه سينتقم من سنحاريب الذي ترفع وجدف على الرب قائلاً انه بكثرة مركباته صعد الى قمم الجبال واواخر لبنان قاطعاً ارفع ارزه وخيار سروه وداخلاً المنزل في أقصاه وغابة كرمله وانه سيجعل خزامة في انفه وشكيمة في شفتيه ويرده في الطريق التي جآء منها وجعل النبي للملك علامة انهم في تلك السنة يأكلون زريعة لان عساكر سنحاريب كانت اخربت البلاد وقطعت اشجارها وفي السنة الثانية يأكلون خلفة لانها كانت سنة سبتية لا يباحون ان يزرعوا فيها وفي السنة الثالثـة يزرعون ويحصدون ويغرسون كروماً ويأكلون ثمارها لاستتباب الراحة . وحقق له من قبل الرب ان سنحاريب لا يدخل اورشليم ولا يرمي اليها سهماً ولا ينصب عليها مترسة وكان في تلك الليلة ان خرج ملك الرب وقتل من جيش اشور مئة الف وخمسة وثمانين الفاً

فاضطر سنحاريب ان يقفل راجعاً الى نينوى ويقيم فيها . وفيما هو ساجد في بيت نصروك الهه قتله ادرملك وشرآصر ابناه بالسيف وهربا الى ارض اراراط (اي ارمينية) وملك آسرحدون ابنه مكانه . فهذه خلاصة ما جاء في الكتاب (ملوك ٤ فصل ١٨ و ١٩ وفي سفر اخبار الايام الثاني فصل ٣٢) قال بعض مفسري الكتاب ان قتل جنود سنحاريب كان بوبآء ارسله الله عليهم وقال اخرون ان الرب اوهمهم ان الاعدآء ادركوهم فاقتتلوا وقتل بعضهم بعضاً

ودونك ما جاء في آثار سنحاريب مصداقاً لقول الكتاب فقد كتب سنحاريب اخبار حملته هذه في صفيحته ذات الاعمدة او السطوح الستة المعروفة بصفيحة تيلور وذكر في العمود الثاني منها اخبار ما صنعه في صور وصيدا وعكا وغيرها من مدن فونيقي وبلاد العمونيين والموابيين والادوميين وقد ترجمنا كلامه فيها في عد١٢٣ عند كلامنا في الفونيقيين ونتم هنا ترجمة باقي كلامه . واما زدقا ملك عسقلون فلم يخضع عنقه لنيري فاخذت الهة بيت ابيه وقبضت عليه وجلوته وامرأته وبنيه وبناته واخوته واسرة بيت ابيه الى اشور واقمت سرلوداري بن روكبتي ملكهم القديم والياً على شعب عسقلون وفرضت عليه جزية بياناً لخضوعه لعظمتي واخلص في الطاعة لي . وتتبعت غزوتي فمشيت على بيت داغون (المعروفة الان ببيت دجن او دجان بين اللد وبينه اعلام الاماكن وكاران مجلد ١ في اليهودية صفحة ٣١) ويوبا (يافا) وبني برق (مدينة في نصيب سبط دان ورد ذكرها في سفر يشوع فصل ١٩ عد ٤٥) وحازور (المعروفة اليوم بيازور او ياسور في انحاء عسقلان) (كاران مجلد ٢ في اليهودية صفحة ٦٧) واما مدن زدقا (ملك عسقلان) الذي ابى الطاعة لي فافتتحتها واخذت سكانها اسرى واما روساء امكرونا (الصحيح انها عقرون وهي المسماة في ايامنا عاقر وقد مر الكلام فيها) ووجهاؤها وشعبها الذين كانوا قد كبلوا ملكهم

بادي بالحديد لانه اخلص في الطاعة والامانة لاشور واسلموه الى حزقياهو يهوداي (اي الى حزقيا ملك يهوذا) فالقاه في السجن اولئك تولى الرعب قلوبهم واتى لانجادهم ملوك مصر وعساكر ملوك ملوحي (بلاد الحبشة او مصر السفلى) ومركباتهم وخيولهم وقد حشدوا جيوشاً لا عداد لها وصفوا صفوفهم لايقاد نار الحرب عليَّ تجاه مدينة التاقو (١) وهيجوا جنودهم للقتال اما انا فاتكلت على اشور سيدي وحاربتهم وظهرت عليهم وقبضت يدي نفسها على رئيس مركبات مصر وعلى بنيه وعلى رئيس مركبات ملوك ملوحي واخذتهم احياء في معمعة الحرب وضربت مدينة التاقو وتمنه (وهي تبنة الان) وفتحتهما وغنمت ما كان فيهما ٠

وقال في العمود الثاني ٠ زحفت الى مدينة امكرونا (عقرون) فقبضت على الروساء والوجهاء الذين تسببوا في الثورة وفتكت بهم ووضعت جثثهم بعضها فوق بعض على اسوار المدينة . واخذت من ظلم او اعتدى من سكان المدينة اسرى وامرت باستبقاء باقي السكان الذين لم يشتركوا في المصاوة ولم يقدموا على شيء يؤاخذون به ٠ واما بادي ملكهم فاخرجته من وسط اورشاليمو (اورشليم) واجلسته على عرشه وفرضت عليه شيئاً من الجزية بياناً لسيادتي ٠ واما حزقيا ملك يهوذا الذي ابى الخضوع لي فاخذت ستاً واربعين من مدنه المحصنة عدا القرى والمزارع التي لا تعد بعد ان حاربتها بالبتبوس (اداة للحرب غير معروفة) ... واخذت منهم مئتي الف ومئة وخمسين نفساً رجالاً ونساء كباراً وصغاراً وغنمت خيلاً وبغالاً وحميراً وجمالاً وبقراً وغنماً لا عداد لها

(١) يظهر ان هذه المدينة هي التقية التي ورد ذكرها في سفر يشوع (فصل ١٩ عد ٤٤) بين مدن سبط دان وقال فيكورو (مجلد ٤ صفحة ٣٠٨ من الكتاب والاكتشافات) انه لم يعين احد الجغرافيين موقعها ويظهر من هذا الاثر الاشوري انها كانت في ناحية عاقر الان في الطريق على شاطئ البحر

وهو نفسه (اي حزقيا) امسى محبوساً كعصفور في قفص في اورشلم عاصمة ملكه واقام ابراجًا حولها ومنع خروج الناس من بابها الكبير فاخذت من وسط مملكته المدن التي جلوت سكانها وسلمت هذه المدن الى ميتنتي ملك اشدود وبادي ملك امكرونا (عقرون) واسمبيل ملك غزة فانقصت مملكته وزدت على جزيتهم القديمة ان يؤخذ قسم من حاصلاتهم كل سنة بيانًا لخضوعهم لسلطتي. وهو حزقيا اخذ فيه الرعب كل مأخذ من شدة سطوتي كما تولى الجزع العرب وجنوده والشعب الذين كان حشدهم للمدافعة عن اورشليم عاصمة ملكه، فادّى اليَّ جزية ثلاثين قنطار من الذهب وثماني مئة قنطار من الفضة والمعادن الثمينة ... ومن العاج لعمل عرش ومن جلود البقر وقرون الثيران ومن خشب الكال (لا يعرف ما هو) والابنوس فتلك كنوز ثمينة . وقد ارسل اليَّ الى نينوى عاصمة سلطتي بناته ونساء قصره ومغنيه ومغنياته وبعث اليَّ وفده لاداء جزيته وابداء خضوعه ، وفي اثر آخر لسنحاريب معروف بصفيحة القسطنطينية خلاصة اخبار هذه الاحداث باوجز عبارة «اما لولى ملك صيدون فاخذت ملكه واقمت توبعل على عرشه وفرضت عليه جزية ورغمت على الخضوع لسلطتي الاقليم الفسيح ارض يهوذا وملكها حزقيا ، وفي المتحف البريطاني اثر اخر منبئ بهذه الاحداث قل ما يختلف عما رويناه وفيه صفيحة نقش عليها سنحاريب صورة حصاره لمدينة في فلسطين تمثل وضمه جثث القتلى بعضها فوق بعض على الاسوار وسوقه اهلها اسرى طبق كلامه الذي رويناه

فمن تبصر في ما كتبه سنحاريب وما ورد في الكتاب الفى الروايتين اتفقتا في امور عديدة حتى في اسماء نحوٍ من ثلاثين مدينة بل لا يكاد يظهر فرق في الاخبار المختصة ببني اسرائيل الا في امرين احدهما انخذال سنحاريب بقتل جنوده بامر الرب وهذا لم يكن لسنحاريب ان يذكره لئلا يخلد ذكر

اتخذاله وحذا في ذلك حذو غيره من الغزاة المصريين والاشوريين وثانيهما جمله قناطير الفضة التي قدمها له حزقيا ثماني مئة قنطار وقال الكتاب انها ثلاث مئة قنطار ولهذا الاختلاف وجه وهو ان قنطار الفضة عند العبرانيين كان يساوي قنطارين وثلثي القنطار عند البابليين فالثلاث مئة قنطار التي ذكرها الكتاب كانت تساوي عند الاشوريين ثماني مئة قنطار فلا خلاف. وقد صدق في ما قال انه ضيّق على حزقيا وجعله كعصفور في قفص والكتاب اشار الى ذلك لكنه لم يقل انه كسر هذا القفص واخذ حزقيا منه بل قال ان هذا القفص اصبح حصناً حصيناً بوجهه وان حزقيا بنى حوله ابراجاً اخرى وكلامه قاضٍ عليه انه لم يتعمد مضايقة حزقيا واخذ الجزية منه فقط بل ان ينتزع ملكه منه ويولي اخر عليه كما فعل في صيدا وعسقلون وغيرهما وجل ما قاله انه اخذ بعض مدنه واكرهه على تخلية سبيل بذي ملك عقرون فغازٍ جبار مثله وجنود مظفرة كجنوده اخذوا كل البلاد المحيطة باورشليم من كل صوب واوقعوا الرعب في قلوب سكان سورية اجمعين لم يكونوا ليعفوا كرماً عن فتح اورشليم وهي جل الغرض من حملتهم ولم يكن لحزقيا ومن حشد في اورشليم من القوة البشرية ما يكفي لرد غارة مثل هذه الجحافل الظافرة فلا بد اذًا من ان كان انتكاصهم عن اورشليم بقوة غير بشرية وبالغ سنحاريب او كذب بقوله ان حزقيا ارسل له الجزية مع وفدٍ الى نينوى بعد الحرب والصحيح ان حزقيا ارسل له ذلك وهو حالٌ في لاكيش وقبل ان يرسل قواد جيشه لتهديد حزقيا في اورشليم . وهذا ظاهر لا من الكتاب وحده بل مما كتب تحت تمثاله المذكور انفاً وهو « سنحاريب ملك قبائل اشور جالس على عرش رفيع وتقدم امامه التقادم في لاكيش » وسمات الجاثين امامه يقدمون التقادم وهيئاتهم تبين انهم يهود حقًا



صورة سنحاريب يتقبل تقادم اليهود عند لاكيش منقولة عن الأصل المحفوظ في المتحف

ولنا في آثار اشورية اخرى ما يستلمح منه انخذال سنحاريب ودعره بعد حملته على حزقيا تصديقًا لقول الكتاب فقد تبين من تلك الآثار ان العيلاميين سطوا كثيرًا في تلك المدة على تخوم اشور الجنوبية وانّى كان لهم ان يتجاسروا على مثل ذلك لولا عود سنحاريب مدحورًا من اليهودية . وقد حقق اوبر في مذكرات قدمها لجمعية الخطوط القديمة في لندرا سنة ١٨٦٩ نقلاً عن آثار اشورية ان سنحاريب لم يعد الى سورية بعد انخذاله مع بقائه في الملك بعد ذلك الانخذال ثماني عشرة سنة مع ان شرفه وشراسة خلقه كانا يحملانه على ذلك فلم يكفه عنه الا ذعره من اله اورشليم . وقد وجد في حطام المؤرخين القدماء ما يثبت قول الكتاب في قتل جنود سنحاريب فروى يوسيفوس (في ك ١٠ فصل ٢ من تاريخ اليهود) فقرة من كلام باروز الذي كتب تاريخ الكلدان قال فيها « ان سنحاريب وجد بعد عوده من مصر ان عسكره باد منه مئة وخمسة وثمانون الفًا بوباء انزله الله بهم في الليلة الاولى بعد اخذهم في حصار اورشليم بقيادة ربشاقا فتولاه الرعب من ان يباد باقي جنوده فعاد مسرعًا الى نينوى عاصمة ملكه وبعد مدة قتله ابناه ادرملك وسلنار في هيكل اراك الهه فساء الشعب عملهما وطردوهما فهربا الى ارمينيا وخلفه ابنه الاصغر اسرحدون » ولا حاجة الى القول بان هذه الفقرة ناطقة بمطابقتها لنص الكتاب . وروى هيرودت ابو التاريخ (في كتابه الثاني صفحة ١٤١ من طبعة سنة ١٨٠٢) « ان سنحاريب ملك العرب والاشوريين عزم ان يحارب مصر بعسكر جرار فلم يشأ رجال الحرب ان يتجندوا لوطنهم وارتبك شاتوس الحبر (حاكم مصر حينئذٍ) واعتزل في الهيكل باكيًا امام تمثال الاله من جرى الحال التعيسة المقبلة عليه وفيما هو ينتحب نام واعتقد انه يرى الاله ظهر له مشجعًا ومحققاً انه اذا مشى لمناصبة العرب فلا يحل به سوء وان الاله نفسه يكون له

منجداً فأكسبته الرؤيا ثقة وثقى فاخذ شاتوس من قومه كل من اراد خيراً ومضى بهم فحل في بالوز (فرما الان طالع عد ١٠٠) التي هي مفتاح مصر ولم يكن جنوده الا من التجار والعملة والسوقة ولم يصحبه احد من المحنكين بالحرب وعند وصوله بعسكره هذا الى بالوس ظهرت فيران بكثرة عجيبة في معسكر الاعدآء فقرضت اوتار الات حربهم فاصبح العرب اعازل لا سلاح لهم فانهزموا واباد المصريون اكثرهم ويشاهد اليوم في هيكل فلكان (في مصر) تمثال من حجر يمثل هذا الملك وعلى يده فارة كتب عليها « تعلم اياً كنت عند نظرك اليّ ان تحترم الالهة » انتهى ما كتبه هيرودت نقلاً عن كهنة مصر بعد نحو من ثلاثة قرون من ايام الواقعة وهو على مخالفته لنص الكتاب في بعض احواله لا ينكران مستنده ما رواه الكتاب عما اصاب عسكر سنحاريب انتحله المصريون وعزوه الى قوة الهتهم فكانت الرواية مشوشة والحدث واحد

وقد روى الكتاب ان سنحاريب « وفيما هو ساجد في بيت نصروك الهه قتله ادرملك وسرآصر ابناه » وقد جاءت الاثار الاشورية محققة ان نصروك كان معبود سنحاريب فقد جآء في احد خطوطه المسمارية « بالآذان المفتوحة التي وهبها لي نصروك » وهذا يبين لنا لِمَ اضاف الكتاب نصروك الى ضمير عائد لسنحاريب بقوله « نصروك الهه » وقد فسر سكردر نصروك بمعنى موزع النعم او الوهاب وفسر اوبر الكلمة بمعنى من يشدد عقود الزواج . ولم تصرح الخطوط المسمارية بمقتل سنحاريب ولعله لفظاعة قتل الابنين اباهما . على ان في موجز تاريخ باروز وفي التاريخ البابلي رواية مقتله كما رواها الكتاب فقد جاء في التاريخ البابلي « في ٢٠ من شهر تيبت قتل سنحاريب ملك اشور ابنه في ثورة وكان سنحاريب ملك في اشور اربعاً وعشرين سنة » (رواه اوبر عن التاريخ البابلي الكائن في المتحف البريطاني) وفي موجز تاريخ باروز اسم

القائلين وان بابدال بعض الحروف في اسم احدهما كما رأيت آنفاً في فقرته . زعم بعضهم ان سنحاريب لم يعش الا قليلاً بعد عوده من فلسطين الى نينوى واحتجوا له بما جاء في سفر طوبيا (فصل ١ عد ٢١ وما يليه) « ولما قفل الملك سنحاريب من ارض يهوذا هارباً من الضربة التي حاقه الله بها بسبب تجديفه وطفق لحنقه يقتل كثيرين من بني اسرائيل كان طوبيا يدفن اجسادهم فنمي ذلك الى الملك فامر بقتله وضبط جميع ما له فهرب طوبيا بولده وزوجته هارباً واختبأ لان كثيرين كانوا يحبونه وكان بعد خمسة واربعين يوماً ان قتل الملك ابناه فعاد طوبيا الى منزله ورد عليه كل ماله » على انه قد تبين من الخطوط المسمارية ان سنحاريب عاش بعد عوده من فلسطين الى نينوى ثماني عشرة او تسع عشرة سنة كما مر وعليه فالخمسة والاربعون يوماً التي ورد ذكرها في سفر طوبيا يحسب بدؤها من يوم امر سنحاريب بقتل طوبيا لا من يوم مآبه من فلسطين

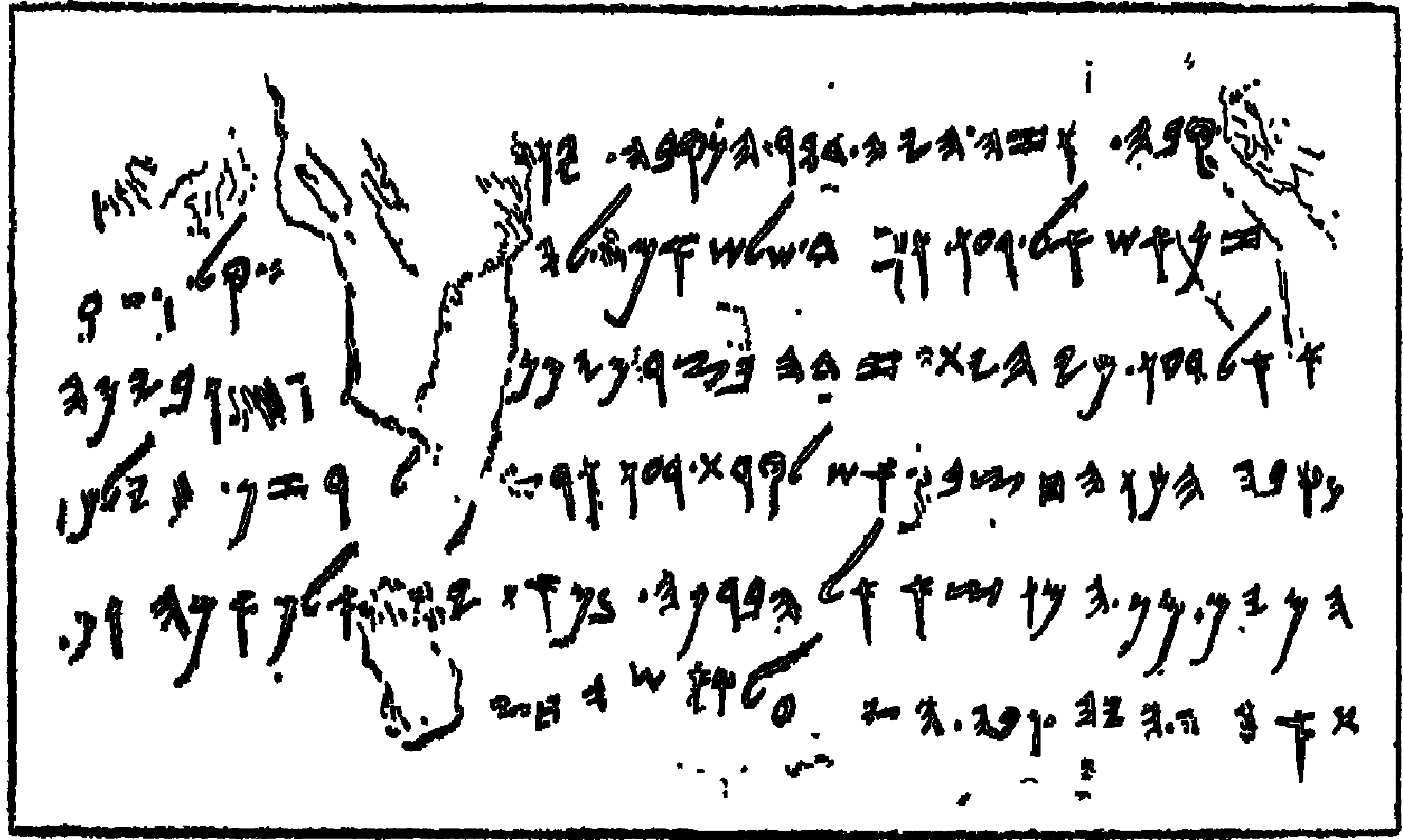
وبقي ان نقول شيئاً في ترهاقة الذي سماه الكتاب ملك كوش اي الحبشة فهو الثالث من الدولة الحبشية التي تولت مصر ولم يكن في بدئ امره ملكاً على مصر بل على الحبشة لانه عد مصر بين البلاد التي افتتحها في خطوطه الذي نقشها على جدار هيكل تاب (طيبة) وقال روجه (في كلامه على آثار هذا الملك صفحة ١٦) انه قد كتبت تحت تمثاله الكائن الان في متحف القاهرة اسماء الشعوب الذين استظهر عليهم وهم الساسو اي العرب والخاتا اي الحثيون والارواد اي الارواديون والكالتي اي الفونيقيون واشور عدوه خاصة وقال انه يظهر ان حرب ترهاقة مع سنحاريب كانت قبل تبؤه عرش مصر لانه لم يلِ مصر الا سنة ٦٩٢ ق م كما يظهر من الآثار المصرية ويلزم بمقتضاها ان تكون حملته على سنحاريب سنة ٧٠١ طبق ما جاء في الآثار

الاشورية عن حملة سنحاريب على سورية وذلك مصداق لتسمية الكتاب ترهاقة ملك كوش وعدم تسميته بفرعون

﴿ عد ٣٣٠ ﴾

اجرآء حزقيا المآء الى اورشليم ووفاته

جاء في سفر الملوك الرابع (فصل ٢٠ عد ٢٠) « وبقية اخبار حزقيا وكل بأسه وانشاؤه البركة والقناة وادخاله الماء الى المدينة مكتوبة في سفر اخبار الايام » وجاء في سفر اخبار الايام الثاني (فصل ٣٢ عد ٢ وما يليه) « فلما رأى حزقيا ان سنحاريب قد وفد قاصدًا محاربة اورشليم عقد مشورة مع روسائه وجبابرته في سد مياه العيون التي في خارج المدينة فوافقوه فاجتمع شعب كثير وسدوا جميع العيون والنهر الفائض في وسط الارض قائلين لِمَ يأتي ملوك اشور ويجدون مياهًا غزيرة » الى ان قال (في عد ٣٠) « وحزقيا هو الذي سد مجرى الماء الاعلى في جيحون واجراه اسفل الى غربي مدينة داود » واليك الاكتشاف المهم الذي قيضه الله في هذا العصر . ان شبانًا كانوا في صيف سنة ١٨٨٠ يلعبون في بركة شيلوحا خائضين الماء في القناة الموصلة الماء اليها فسقط احدهم في الماء وشعر بعلامات كحروف منقوشة في الجانب الجنوبي من القناة الصخرية وكان الشاب تلميذًا لمهندس جرماني مقيم في اورشليم اسمه شيك فقص على استاذه ما رآه فمضى شيك الى هناك واجهد نفسه في اخذ مثال لتلك الحروف وعرضه على اهل العلم بالآثار القديمة ثم زار سايس وكندر وغيرهما من العلمآء الجوّالين محل الاكتشاف فظهر لهم ان الماء جارٍ من الينبوع المعروف اليوم بعين العذرآء في خارج اورشليم وفتحت له قناة في الصخر الصلد لاجرائه الى داخل المدينة التي كانت وقتئذٍ ممتدة الى بركة شيلوحا والقناة تزيد ٥٢٠ مترًا على ما كان يلزم ان تكون لو وجد يومئذٍ مهندسو



صورة الكتابة العبرانية المخطوطة على عين شيلوحا في اورشليم صفحة ٥٠٩

عصرنا اذ فيها تعاريج كثيرة لم تكن لازمة . اما الكتابة فهي باللغة العبرانية لكنها كتبت بالحروف الفونيقية وقد ترجمها كثيرون ونحن نثبتها هنا اخذًا عن ترجمة فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٤ صفحة ٢٢٧ طبعة ٥)« النقر. هوذا تاريخ النقر لما كان العملة ينقر احدهم بالمنقار قبالة رفيقه وقد بقيت ثلاث اذرع (لم تنقر) سمع صوت رجل ينادي رفيقه لانه حصل غلط في نقر الصخر من الجانب الايمن . وفي يوم الفتح كان العملة يضربون منقارًا (بيك) الى منقار الواحد قبالة صاحبه. فجرت المياه من الينبوع الى البركة في طول الف ومئتي ذراع وكان ارتفاع الصخر ذراعًا واحدة فوق رؤوس العملة » انتهى ومما يؤسف عليه ان هذه الخطوط لم تؤرخ ولكن يترجح كثيرًا انها كانت في ايام حزقيا وعليه فتكون مصداقًا لآي الكتاب التي ذكرناها واليك في جانبه مثالاً لهذه الخطوط عن اصلها

ثم توفي حزقيا وعظّم شعبه الاحتفاء بدفنه وقبر في مقبرة ملوك يهوذا سنة ٦٩٦ ق م على ما روى فيكورو في المحل المذكور (صفحة ٢٤٩) لانه ملك تسعًا وعشرين سنة وفي السنة السادسة لملكه خربت السامرة (ملوك ٤ فصل ١٨ عد ١٠) وقد خربت سنة ٧٢١ او سنة ٧٢٠ فتكون وفاته سنة ٦٩٦ كما مر

﴿ عد ٣٣١ ﴾

منسى بن حزقيا ملك يهوذا

خلف منسى اباه حزقيا على منصة الملك وعمره اثنتا عشرة سنة وملك خمساً وخمسين سنة في اورشليم وقد صنع الشر وعبد اصنام الكنعانيين وغيرهم واعاد بناء المشارف التي كان ابوه قد محقها واقام مذابح للبعل ونصب غابة كما فعل احاب وسجد لجميع جند السماء اي للكواكب والنجوم وعبدها وبنى لها

مذابح في دار بيت الرب واقام تمثالاً لعشتاروت واجاز ابنه في النـار تكرمة لملوك معبود الموابيين ورصد الاوقات وتفاءل واستخدم اصحاب جانٍ وعرافين الى غير ذلك من المعاصي. قال لانرمان (مجلد ٦ من تاريخه القديم للمشرق صفحة ٢٩٩ طبعة ٩) ان العصبة المناصبة للدين كان حزقيا كبحها لكنه لم يستأصلها فاستحوذت على ابنه الملك الشاب وحملته على هذه المعاصي وعلى الانتقام من الانبياء ورجال الله فلم يصغَ لنصائح اشعيا وغيره من الانبياء وازدرى تهديدهم ووعيدهم بان الرب جالب على اورشليم ويهوذا شرًّا كل من سمع به تطنّ اذناه وانه سينزل باورشليم وملكها ما انزله بالسامرة واحاب ولم يكن تهديد الانبياء الا ليزيد منسى حنقًا فسفك دمًا ذكيًا كثيرًا جدًا ولقد عبر الكتاب عن كثرته بانه ملأ اورشليم من الجانب الى الجانب (ملوك ٤ فصل ٢١) وقد اتفق تقليد اليهود واقوال كثير من الآباء والعلماء على ان منسى امات اشعيـا منشورًا بمنشار من خشب لزيادة التبريح به وجاء في سفر اخبار الايام الثاني (فصل ٣٣ عد ١٠) «فكلم الرب منسى وشعبـه فلم يسمعوا . فجلب الرب عليهم قواد جيش ملك اشور فاخذوا منسى في الاصفاد واوثقوه بسلسلتـين من نحاس واخذوه الى بابل . ولما كان في الضيق التمس وجـه الرب الهه ... وسمع لتضرعه ورده الى اورشليم الى ملكه فعلم منسى ان الرب هو الاله» ويظهر من الآيات التالية ان منسى بعد عوده الى ملكه احسن مسعاه وازال التماثيل التي كان نصبها لآلهة الامم وهدم المذابح التي كان عملها في بيت الرب ورمم مذبح الرب وذبح عليه ذبائح سلامة وشكر وامر يهوذا ان يعبدوا الرب اله اسرائيل الا ان الشعب ما زالوا يذبحون على المشـارف ولكن للرب الههم فلم تكن ثم عبادة وثنية لكن ذلك مخالف لوصيـة الرب ان يذبحوا في هيكل اورشليم . وروى يوسيفوس ان منسى استمر على مسعاه الحسن الى مماته

قال الاب فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٤ صفحة ٢٦٥) لا نص في الكتاب اقيم النكير على صحته في هذه الايات مثل ايات سفر اخبار الايام التي انبأتنا باسر منسى ملك يهوذا الى بابل وقد حسبها الملحدون محض تخيلٍ ووهم محتجين بان ليس في اسفار الملوك خطة تنبئ بهذا الاسر وبان التاريخ مثبت انه لم يكن لملوك اشور في سورية شيء من السؤدد او السطوة في الحقبة التي بين سنة ٧٠٠ وسنة ٦٥٠ ق م والتي كان فيها منسى وقالوا انَّى يصدق ان ملك اشور يجلو منسى الى بابل لا الى نينوى مدينته وبابل كانت متحفزة في كل فرصة للثورة على نينوى وملكها كان عقد محالفة مع حزقيا ابي منسى على ملك اشور . على ان ما لا يريد الملحدون تصديقه تفحمهم بصحته الآثار الاشورية نفسها قاضية عليهم بالجهل او المكر فقد روينا في كلامنا في الفونيقيين (عد ١٢٤) ما كتبه اسر حدون على احدى صفائحه من انه ضرب صيدا واهلك سكانها ودمَّر اسوارها ومنازلها وقبض على ملكها وجلا جمًا غفيرًا من سكانها الى اشور . وقد عدَّ في صفيحة اخرى الملوك الخاضعين له في سورية فقال « بعل ملك صور منسى ملك يهوذا قدموه ملك ادوم » الى غيرهم وكتب ابنه اشور بانيبال في حملته الاولى على مصر (اسطوانة اولى عمود اول على ما ترجم سميث في تاريخ هذا الملك صفحة ١٧) « سرت الى مصر والحبشة فالتقاني في طريق غزوتي اثنان وعشرون ملكا يملكون على شاطي البحر وفي وسطه (كقبرس) وجميعهم يؤدون الجزية اليَّ ومثلوا بحضرتي وقبلوا قدميَّ » وعدَّد (في الاسطوانة الثالثة) اسماء هؤلاء الملوك فكان منهم « بعل ملك صور ومنسى ملك يهوذا » وقال ان سما سوموقين قيل بابل كان ثار عليه وحازبه ملوك فونيقي وفلسطين وحوزان وبلاد العرب ومنهم منسى ملك يهوذا وكان سما سوموقين اخاً لاشور بانيبال وكان نصبه قيلاً في بابل فسولت له

نفسه ان ينتزع الملك من يد اخيه الاكبر ويستبد به فهب اشور بانيبال لمناصبة اعدائه وكبتهم ودونك ما كتب (في الاسطوانة الاولى عمود ٢ كما روى سميث في تاريخه صفحة ١٥٤ و ١٥٥) « وسماسوموقين اخي الصغير لم يخلص لي في الطاعة واثار عليَّ رجال آكّد (بابل) وبلاد الكلدان وارام وشاطي البحر (يريد البحر المتوسط اي فونيقي وفلسطين مع مملكة يهوذا) من اكابا (عله خليج عقبه المعلوم) الى بابساليمتو (لعل المراد اطراف مصر او اطراف مملكة اشور) وكان هولاء جميعاً يؤدون اليَّ الجزية ويذلون لي واومانيكاس الآبق الذي دان عنقه لنير سؤددي وكنت ملكته في عيلام وملوك الكوتي ر الحثيين) وسورية والحبشة (يريد مصر والحبشة معًا) الذين كانوا في قبضة يدي بامر اشور وبتليس (الالهين) فهولاء جميعًا ثاروا وأتمروا معه (اي مع اخيه) عليَّ » وقال في اثر آخر (ذكره سميث صفحة ١٦٩) « ثاروا عليَّ (اي من ذكرهم آنفاً) فاخضعتهم كما امر اشور وبتليس وسائر الالهة الذين عليهم اتكلت وكدنت اعناقهم بنير اشور الذي كانوا خلعوه ونصبت عليهم نواباً ... طوع يدي ... وفرضت عليهم جزية على ارضهم قدرًا معيناً لا ينقص منه شي واجب الاداء لسلطنتي » ولا غرو ان كان منسى من هولاء الملوك الذين اذلهم اشور بانيبال وقد اخذه قواد جيشه مكبلاً بالحديد الى بابل والوجه في اخذه الى بابل لا الى نينوى ظاهر مما مر ولا يخفى الا على اعين الملحدين فاشور بانيبال كان حينئذٍ في بابل مخمدًا ثورة اخيه واراد ان يظهر للثائرين كيف يجزي من يهوون خلع نيره • ولا حجة للملحدين بخلو سفر الملوك الرابع عن خبر اسر منسى مع اثباته في سفر اخبار الايام الثاني فان كثيرًا من الاحداث ذكرت في اسفار الملوك او في سفري اخبار الايام ولم تذكر في كليهما معاً .

وقد استشكل الملحدون ان يأخذ اشور بانيبال منسى مكبلاً بالحديد ثم يعيده

الى عرشه ولا اشكال فان اشور بانيبال نفسه صنع كذلك مع نكو او نخو ملك سايس في مصر وذكر التكبيل بالحديد مستفاض في تواريخهم فقد كتب اشور بانيبال في احدى اسطواناته (ذكره سميث في تاريخه صفحة ٤٣) « سرلوداري ملك زيهينو (لعلهما فرما في مصر) ونخو ملك منف قبضوا عليهما واوثقوهما بسلاسل من حديد وكبلوا ايديهم وارجلهم بقيود من حديد » وقال (في اسطوانته الاولى عمود ٣) دومان وسمكون ملكا كبول عدوا سلطنتي غللت ايديهما وارجلهما بسلاسل متينة من حديد » فكل ما مر يبين ما ابطل مزاعم الملحدين وما يأتي يزيد في اثبات آي الكتاب وتتوفر به الفوائد التاريخية

﴿ عد ٣٣٢ ﴾

في حملات اسرحدون واشور بانيبال على سورية ومصر في عهد منسى ملك يهوذا

لما كان منسى ملك يهوذا قد استمر على منصة الملك خمساً وخمسين سنة كانت حملات اسرحدون واشور بانيبال على سورية ومصر في ايامه واثرنا ان نثبت اخبار هذه الحملات لما فيها من الفوائد في تاريخ سورية ومن البيان لآيات الكتاب . فقد جاء في الفصل التاسع عشر من سفر الملوك الرابع (عد ٣٧) ان سنحاريب قتله ابناه ادرملك وشرآصر وملك اسرحدون ابنه مكانه . وقد كشف عن فلذة من اجرّ في نينوى كتب عليها اشور اح ايدين (هو اصل اسم اسرحدون وتأويله اشور اعطى اخاً) ملك بلاد اشور ابن سنحاريب ملك اشور » وعن الآثار الاشورية انه خلف اباه سنة ٦٨١ ق م وبقي على منصة الملك الى سنة ٦٦٨ اي انه ملك ثلاث عشرة سنة ويظهر انه لم يكن في نينوى عند ما قتل اخواه اباهما فنازعهما الملك وكانت بينهم حرب عوان على ضفة الفرات العليا فاستظهر عليهما واستبد بالملك وصرف عزيمته اولاً في استتباب

الراحة في ما بين النهرين وفي استرداد الاقاليم التي خسرها ابوه بعد انكاصه مدحورًا من فلسطين . وكان احد ابناء مروداخ بلادان ادَّعى الاستقلال في بابل وشاطي الخليج العجمي فزحف اليه اسرحدون بجيوشه ففر مذعورًا ولجأ الى ملك عيلام فقتله تحرزًا من حنق اسرحدون عليه وكان له اخ يئس من النجاح فوفد طائعًا الى نينوى فعفا عنه اسرحدون وامَّره على البلاد الواقعة على خليج العجم (لانرمان مجلد ٤ من تاريخه القديم صفحة ٣٢٤) وبعد ان امَّن اسرحدون ما بين النهرين حمل بجيوشه على سورية لانه بلغه ان ملك صيدا وغيره عصوا عليه فدمَّر صيدا واستحوذ على غيرها من مدن سورية كما ذكرنا في تاريخ الفونيقيين (عد ١٢٤) نقلاً عن اثاره وجلا قومًا من السوريين الى اشور وقومًا من انحاء آخر الى فلسطين وهولاء هم الذين نراهم قالوا لزربابل ورؤساء الآباء بعد العود من الجلاء . نحن نبني معكم (الهيكل الجديد) لاننا نطلب الهكم مثلكم ونحن نذبح له من ايام اسرحدون الذي صيرنا الى هنا . (عزرا فصل ٤ عد ٢)

وكان ترهاقة ملك الحبشة الذي حارب سنحاريب قد تغلب على مصر وانبسط حكمه فيها وسمى نفسه ملك الحبشة ومصر فزحف اسرحدون بجحافله اليه يبغي انتزاعه من ملكه والولاية على مصر وعرف ترهاقة بمسيره اليه فاسرع بارسال جيشه الى فلسطين تداركًا للنازلة قبل حلولها فالتقى الجيشان في ضواحي عسقلان على ما يظهر من احد اثار اسرحدون فاستظهر ملك اشور على ترهاقة وشتت جنوده واستدرك ملك مصر النجاة بالفرار فدخل الغازي مصر في طريق دمياط واستحوذ على منف وتاب (طيبة) واخذ تماثيل الالهة والآلهات وملابس الكهنة الثمينة وحلي نسائهم وارسلها الى هياكل اشور . وقسم مصر الى اثنتين وعشرين ولاية وافترض على كل منها جزية مقدرة وجعل

نكو او نخو الاول ملك سانس رئيساً على هذه الولايات فكان اول ملك من الاشوريين سمى نفسه ملك مصر والحبشة وكانت هذه الاحداث في سنة ٦٧٢ ق م . واليك ما كتبه اشور بانيبال بن اسرحدون في غزوة ابيه هذه « ترهاقة ملك مصر الذي خذله ابي الذي ولدني اسرحدون ملك اشور وولي بلاده لم يحترم سطوة اشور وإستار وكبار الالهة اربابنا واعتمد على قوته وثار على الملوك والحكام الذين كان ابي الذي ولدني اقامهم في مصر ليفتك بهم وينهب اموالهم ويستحوذ على مصر ودخل منف واقام فيها بمدان كان ابي الذي ولدني اخذها واضافها الى تخوم بلاد اشور » . وقد كان نخو رئيس حكام مصر سليل اسرة لها حق الملك في مصر فازدلف الى اسرحدون آملاً ان يكسبه ذلك قوة على ترهاقة الملك الحبشي فتعود ولاية مصر يوماً اليه وكان بينه وبين ترهاقة وقائع حققت لنا نبوة اشعيا حيث قال (فصل ١٩ عد ٢ وما يليه) « واسلح مصر على مصر فيقاتل الانسان اخاه والرجل صديقه مدينة مدينة ومملكة مملكة ... وادفع مصر الى يد سيد قاسٍ . وملك ذو عزة يتسلط عليهم يقول السيد رب الجنود ... قد سفهَ روساء صوعن (تانيس عند قدماء المصريين وسان الان) وغوى روساء نوف (منف) واضل مصر وجوه اسباطها ... في ذلك اليوم يكون طريق من مصر الى اشور فتأتي اشور الى مصر ومصر الى اشور » فتمت نبوات اشعيا بما مر وبما سيأتي عن غزوات اشور بانيبال وعند عودة اسرحدون من غزوته في مصر مرَّ بسورية فالتقاه ملوكها ومنهم منسى ملك يهوذا مبدين ادلة خضوعهم لسلطته ونقش مثاله على معبر نهر الكلب بين تماثيل غزاة بلادنا كما مر في عد ١٢٤ وقد كتب على صفيحة من اجر « انا اسرحدون الملك العظيم الملك القدير ملك القبائل ملك بلاد اشور وسيد بابل ملك سومير واكّد ملك ملوك مصر وثيبانس (الصعيد) والحبشة

انا بنيت قصر تربيس لسكنى اشور بانيبال ابن الملك العظيم ٠

اما اشور بانيبال فكان ابوه اسرحدون اشركه في الملك ثم استبد به بعد وفاته سنة ٦٦٨ وكان محبًّا للعلم والعلمآء حبه للحرب ورجاله وقد ترك آثارًا عديدة مهمة وهو الذي جعل العلمآء يضعون الاصول النحوية للغتهم والنشرات التاريخية والمراقبات الفلكية واكثر الكتب الخزفية التي وجدت في المكتبة التي كشف عنها لا يرد وغيره في نينوى وقدمنا الاشارة اليها في صدر هذا الكتاب ومنذ استبداده بالملك اضطر الى ايقاد نار الحرب على مصر فان ترهاقة عاد بعسكر جرار الى مصر واستحوذ ثانية على تاب ومنف فجيش اشور بانيبال جيوشه وهب مسرعًا الى مصر ومر بسورية فالتقاه ملوكها وملوك قبرس وكانوا اثنين وعشرين ملكًا منهم منسى ملك يهوذا كما مر وقدموا له الجزى والهدايا فسار لا ياوي الى ان التقى بجيوش ترهاقة عند كربانيت فضربهم وتفرقوا شذر مذر وفرّ ترهاقة فوطد اشور بانيبال سلطته في مصر وزاد على حاميته فيها وعاد الى نينوى فتحالف حكام مصر الوطنيون ونخو رئيسهم على خلع ولاية اشور عنهم واستدعوا ترهاقة لانجادهم فلبى دعوتهم على انهم كانوا من الخاسرين لان الحامية الاشوريين تقووا عليهم وقبضوا على نخو وحاكمين اخرين وارسلوهم مكبلين بالحديد الى نينوى ولم ينكف ترهاقة عن القتال وافتتح مرة اخرى تاب ومنف لكنه على ما يقال حلم حلمًا وقفّه عن مسيره وعاد الى الحبشة ومات . واما اشور بانيبال فافرط في الحلم ورد نخو الى ولايته في مصر مكرمًا معززًا واتحفه بمنح وهدايا نفيسة فكان ذلك وبالاً لان المصريين ما عتموا ان عادوا ثائرين على الاشوريين فان رجلاً اسمه أردمان ابن امرأة ترهاقة او ابنه على رواية اخرى وثب على تاب فاستحوذ عليها وظفر بالاشوريين على اسوار منف وقبض على نخو فقتله فاستشاط اشور بانيبال غيظاً وآلى ان يقرض ملوك الحبشة

والمصريين ويقطع دابرهم كيلا يبقى منهم من يجترئ على العود الى مطامعهم وزحف بجيوشه الجرارة الى مصر ماراً بسورية فلم يلقَ فيها الا التجلة والخضوع واليك ما كتبه في حملته هذه الثانية الى مصر (اسطوانة ١ عمود ٢ نقلاً عن سميث في الاكتشافات الاشورية صفحة ٣٢٨) . في حملتي الثانية سيرت جوشي الى مصر والحبشة ولما علم أردمان بدنوّ غزاتي واني عبرت تخوم مصر غادر منف وانهزم الى تاب لينجو بنفسه فمثل امامي الملوك والروسآء والحكام الذين كنت نصبتهم في مصر وقبلوا قدميَّ فتتبعت الطريق الذي سلكه أردمان وانتهيت الى تاب المدينة الحصينة ولما رأى دنو جيوشي الظافر من تاب فر منها الى كيكيب (في اطراف الصعيد) فملكت يدي هذه المدينة (تاب) بكل ما فيها خدمة لاشور وإستار واخذت منها ذهباً وفضة وحجارة ثمينة واثاث قصره وكل ما حواه من ملابس كتان وصوف وخيولاً عظاماً وعبيداً ذكوراً واناثاً وكانت هناك مسلتان منشأتان بنقوش بديعة ووزنهما خمسة وعشرون الف وزنة (او قنطار) وقد اقيمتا امام باب هيكل فانتزعتهما من محلهما ونقلتهما الى اشور فحرزت من تاب غنيمة كبرى لا يعادلها ثمن . وكان افتتاح تاب هذا لسنة ٦٦٤ او سنة ٦٦٣ ق م (على ما روى اوبر في مذكرته المار ذكرها)

وقد حمل اشور بانيبال حملة ثالثة على صور وحاصرها سنين الى ان ظفر بها وادّى ملوك سورية الجزية اليه صاغرين كما مر في عد ١٢٥ وله حملات اخرى على غير مصر وسورية لا نحفل بذكرها لانها خارجة عن غرضنا على اننا لا نشآء ان يفوت قرآء كتابنا ان الاثار المسمارية المنبئة بحملة اشور بانيبال الثانية على مصر قد اكسبتنا حل معضلة في الكتاب توفرت وتضاربت بها اقوال مفسريه وهي ان نحوم النبي تنبأ على خراب نينوى بكلام فصيح بليغ ولم يؤرخ نبوته وذكر مدينة سماها نوآمون قائلاً انه يصيب نينوى ما اصابها

فاختلف المفسرون في تاريخ نبوة نحوم وفي اي عصر كان هو واين هي نوآمون فذهب نيكوفوروس الى ان نحوم كان في ايام فاقح ملك اسرائيل وذهب يوسيفوس الى انه كان في اخر مدة يواتام . وفي سدر علام ربا (من كتب اليهود) انه كان في ايام منسى ملك يهوذا الى غير ذلك من الاقوال ولم يتفق المتأخرون على ما اختلف فيه المتقدمون الى ان قضت اثار اشور بانيبال في هذا المبحث وحلت المعضلة ودونك ما قاله نحوم النبي (فصل ٣ عد ٧ وما يليه) مخاطباً نينوى « فكل من يراكِ يعرض عنكِ ويقول قد دُمّرت نينوى فمن يرثي لها ومن اين اطلب لكِ معزين . هل انتِ خير من نوآمون الساكنة بين الانهار (في النص العبراني « في وسط النهر وهو النيل) » التي حولها المياه ومترستها البحر واسوارها المياه . كوش ومصر قوتها ولا نهاية لها وفوط ولوبيم في نصرتك . فهي ايضاً ذهبت الى الجلاء مسبية واطفالها ايضاً حُطموا في راس كل شارع وعلى كرامها القوا القرع وجميع عظمائها اوثقوا بالقيود » فالقديس ايرونيموس ترجم نوآمون باسكندرية في الترجمة اللاتينية العامية وهو لا يجهل ان هذه المدينة سميت اسكندرية نسبة الى اسكندر بعد نحوم بقرون لكنه كان يظن ان نوآمون كانت في المحل الذي بنيت فيه اسكندرية بعد ذلك الى ان جاءت اثار اشور بانيبال مصرحة بان نوآمون انما هي تاب عاصمة مصر العليا لانها سمتها نوا وتلفظ نو او نا ونحوم النبي زاد على اسمها اسم معبود اهلها وهو امون فصارت نوآمون والمعنى نو مدينة الاله امون وليس من يقيم نكيراً على عبادة امون في تاب والاوصاف التي وصف النبي نوآمون بها تنطبق خير انطباق على تاب فانها كانت يومئذٍ المدينة الوحيدة القائمة في وسط المياه لبنائها على ضفتي النيل وهي التي كان بنصرتها كوش اي الاحباش واردمان الملك الحبشي وكان فوط اي المصريون ولوبيم اي الليبون في جيوش اردمان المذكور

الذي انتصر عليه اشو بانيبال كما رأيت في كلامه وذكر اوبر اثرًا اخر لهذا الملك ومما قاله فيه ان جنوده « تولوا هذه المدينة برمتها ودمروها تدمير طوفانٍ مقتلع » وكل ذلك مصداق لكلام نحوم وقد مر ان حملة اشور بانيبال هذه على تاب كانت سنة ٦٦٤ او سنة ٦٦٣ ق م وعليه فنحوم كتب نبوته بعيد ذلك وهو كان في ايام منسى ملك يهوذا (ملخص عن الكتاب والاكتشافات الحديثة لفيكورو مجلد ٤ صفحة ٢٥٩)

عد ٣٣٣

في قتل يهوديت اليفانا في ايام منسى الملك

ان ما ذكره الكتاب في سفر يهوديت برمته انما كان في ايام منسى ملك يهوذا و اشور بانيبال ملك اشور ويظهر ان الاحداث المحكي عنها في هذا السفر جرت بينما كان منسى مجلوًا الى بابل وهي احداث تاريخية لا تخيلية كما وهم بعض الملحدين ولا رمزية او نبوية كما زعم بعض العلماء فنلخص في هذا العدد ما ورد في السفر المذكور ونلحقه في العدد التالي بما جاء في الآثار مؤيدًا له واليك خلاصة هذا السفر « كان ارفكشاد ملك الماديين اخضع امما كثيرة لسلطانه وان نبوكدنصر ملك اشور الذي كان مالكًا على نينوى المدينة العظيمة حارب ارفكشاد فظفر به فعظم ملك نبوكدنصر وسمت نفسه فراسل جميع سكان قيليقية ودمشق ولبنان والامم التي في الكرمل وقيدار وسكان الجليل في صحراء يزرعيل (مرج ابن عامر) الواسعة وجميع من في السامرة وعبر الاردن الى اورشليم وفي جميع ارض يسى الى حدود الحبشة فابى جميعهم (طاعته) اتفاقًا وردوا الرسل خائبين وطردوهم بلا كرامة فاستشاط نبوكدنصر غضبًا وحلف لينتقمنّ من سكان تلك البلاد (فصل ١) فاستدعى اليفانا قائد جيشه وامره ان يخرج على جميع ممالك الغرب ولا يشفق على من استهانوا باوامره

فاخذ اليفانا مئة وعشرين الف راجل واثني عشر الف فارس ولما جاوز تخوم اشور انتهى الى جبال انجة العظيمة التي الى يسار قيليقيـة وزحف الى جميع قلاعهم وتسلم كل الحصون وفتح مدينة بلوطلة ونهب جميع بني ترشيش (ترسيس) وبني اسمعيل الذين حيال البرية (ثم حمل اليفانا حملة اخرى على سكان شرقي الفرات اشار الكتاب اليها بقوله) ثم عبر الفرات واتى الى ما بين النهرين وقهر جميع ما هنالك من المدن المشيدة من وادي ممرا (وهو خطا من النساخ صوابه نهر خابور كما في بعض الترجمات) الى البحر (خليج العجم) (ثم ارسله ملكه لحملة اخرى على العرب قال الكتاب فيها) واستولى على حدودها من قيليقية الى تخوم يافث التي الى الجنوب (من بلاد العرب) واسر جميع بني مدين (المراد بهم العرب الرحل لانه جاء في النص اليوناني « واحرق خيامهم ») وغنم كل ثروتهم وبعد ذلك انحدر (من بلاد العرب) الى صحارى دمشق في ايام الحصاد واحرق جميع حقولهم وقطع كل اشجارهم وكرومهم فوقع رعبه على جميع سكان الارض (فصل ٢) فارسل اليه ملوك سورية ولوبية وقيليقية مستسلمين اليه واستقبلوه بالاكاليل والمصابيح راقصين بالطبول والنـايات فلم يمكنهم ان يلينوا قساوة قلبه فانه دمَّر مدنهم وقطع غاباتهم واتى الادوميين واخذ مدائنهم واقام هنالك ثلاثين يوماً ليجمع كل قوة جيشه (فصل ٣)

وسمع بنو اسرائيل فخافوا جدًّا من وجهه وارسلوا يعلمون اخوانهم في كل جهة وكتب الياقيم الحبر (هذا مشعر بان ملكهم لم يكن حينئذٍ بينهم بل في بابل) الى جميع السـاكنين قبالة يزرعيل (مرج ابن عامر) والى جميع الذين يمكن الغازي ان يجوز في اراضيهم ان يضبطوا مراقي الجبال ويحفظوا المضايق التي بينها وصرخوا الى الرب خاشعين بالصوم والصلاة ولبس الكهنـة المسوح وطرحوا الاطفال امام هيكل الرب (فصل ٤) وعرف اليفانا باستعـدادهم

للقتال فاستشاط غضباً واستعلم من روسآء بني مواب وعمون عن حال بني اسرائيل ومدنهم فقص عليه احيور قائد بني عمون اخبار بني اسرائيل منذ نشأتهم في ما بين النهرين الى ايامه واختتم كلامه بقوله ان لم يكن الان لهذا الشعب اثم امام الههم فلا طاقة لنا بهم لان الههم يدافع عنهم فغضب عليه اليفانا وهمَّ روسآء جيشه بقتله وامر اليفانا ان يقبضوا عليه ويسلموه الى ايدي بني اسرائيل حتى اذا كان ما قاله صحيحاً نجا والا اعمل سيفه به فاخذه جنود اليفانا وربطوه على شجرة في قرب معسكر بني اسرائيل الذين حلوه من وثاقه وقص عليهم ما كان له فعزوه واكرموه واقام بينهم وواظبوا هم على الصلاة والخشوع لله (فصل ٥ و ٦)

وزحف اليفانا بعسكره ومن استصحبهم من الاقاليم والمدن وجأوا من جانب الجبل الى القمة المترقة الى دوتان (المعروفة الان بتل دوتان في الشمال الغربي من سانور والجنوب الغربي من جنين كاران مجلد ٢ في السامرة صفحة ٢٢٠ وكتاب الاعلام) ومن الموضع المسمى بلما (رجع كاران مجلد ١ في السامرة صفحة ٣٤٧ انها تسمى اليوم خربة بلعمه على مقربة من دوتان وكذا في كتاب الاعلام الكتابية) الى قليمون التي قبالة يزدعيل (وتعرف الان بتل كايمون في طرف مرج ابن عامر على طريق عكا كاران مجلد ٢ في السامرة صفحة ٢٤٣) واقام ارصادًا على الينابيع التي كان اهل مدينة بيت فلوى يستقون منها (وقد اثبت كاران ببراهين عديدة في مجلد ١ في السامرة صفحة ٣٤٦ ان بيت فلوى هي المسماة الان سانور (١)) آملاً ان يُكره بهذه الوسيلة بني

(١) ان العالم رواسون يذيع في هده الايام في المجلة الموسومة بمجلة الارض المقدسة فصولاً في تحقيق صحة سفر يهوديت بالاثار الاشورية وقد تكلم في هده المدن في شرتها الصادرة في ١٠ حزيران سنة ١٨٩٤ فقال ان بيت فلوى كانت في المحل المسمى اليوم المدينة الطوياة على مقربة من حطين او قرن حطين في عربي بحيرة طبرية وان دوتان لم تكن في

اسرائيل على الاستسلام اليه فجفت مياه الابار والحياض باسرها فصرخ الشعب الى الله خاشعين وهموا بان يستسلموا الى اليفانا (فصل ٧) وسمعت بهذا امرأة ارملة اسمها يهوديت من سبط رأوبين كانت بديعة الجمال متقية الله ولم يكن احد يقول عليها كلمة سوء فاستدعت اليها شيوخ قومها وذكرتهم بآيات الله مع ابائهم وحرضتهم على الاعتصام بالله وكشفت لهم عن عزمها ان تفعل شيئاً بامر الله لنجاة شعبه وسألتهم ان يصلوا لله ليؤيد ما عزمت عليه ولا يفحصوا عما قصدت (فصل ٨) ودخلت يهوديت مخدعها ولبست مسحاً والقت رماداً على رأسها وخرت امام الله خاشعة تستميحه الايد والعون على خلاص شعبه (فصل ٩) ثم خرجت ودعت وصيفتها ونزعت عنها ثياب ارمالها واستحمت وادهنت باطياب نفيسة ولبست افخر ملابسها وتحلت بحلاها وحملت جاريتها زق خمر واناء زيت ودقيقاً وتيناً يابساً وخبزاً وجبناً وخرجت من باب المدينة منطلقة نحو معسكر العدو وعند تبلج النهار لقيتها طلائع الاشوريين وسألوها عن امرها فقالت انا بنت للعبرانيين هربت من بينهم لاني ايقنت انهم سيكونون غنيمة لكم وقلت اني انطلق الى الامير اليفانا لاخبره باسرارهم وادله على مداخل المدينة ليظفر بهم ولا يُقتل رجل من جيشه فاخذوها الى خيمة اليفانا واخبروه بامرها . ولما دخلت عليه اصطيد لساعته بعينيها (فصل ١٠) ولاطفها واكرمها وسألها لِمَ آثرت المجيء اليه فاجابته ليحيَ نبوكدنصر ملك الارض ولتحيَ قوته التي فيك لتأديب جميع النفوس الغاوية لان ذكاء عقلك قد شاع في جميع الامم

المحل المعروف في ايامنا بتل دوتان بل في محل حطين الان وان بلما انما هي التي سماها الكتاب ابل بيت معكة وان هذه لم تكن في نواحي بانياس بل في نواحي بحيرة طبرية وان قليمون كان موقعها في المحل المعروف اليوم بكفر كاما فقد ذهب الى ان عسكر اليفانا عبر الاردن في المحل المعروف بجسر بنات يعقوب فجعل مواقع هذه المدن في تلك الجهة بين صفد شمالاً وبحيرة طبرية جنوباً واقام على كلامه ادلة يضيق هذا المقام عن استقرائها وبيان قدرها

وحسن سياستك ذائع في جميع الاقاليم واخذت تقص عليه اخبار الضيق المكتنف قومها من حاجتهم الى المآء والقوت وانهم يعلمون انهم اسخطوا الههم فحل رعبهم فيهم وانها هربت لذلك من عندهم وقد بعثها الرب اليه لتخبره بهذا وقالت انا آمتك اعبد الله حتى الان عندك ايضاً واخرج واصلي الى الله فيقول لي متى يرد عليهم خطيئتهم فاجي واخبرك بذلك حتى آخذك الى وسط اورشليم ولا ينبح عليك كلب فحسن هذا الكلام عند اليفانا وعبيده وكانوا يتعجبون من كلامها وجمالها (فصل ١١)

فامر اليفانا ان يدخلوها موضع خزائنه وان تعطى مأكلاً من مائدته فقالت لا استطيع ان آكل مما امرت فقال اذا فرغ ما اتيتِ به فماذا نصنع بكِ قالت تحيا نفسك يا سيدي لا يفرغ ما اتيت به حتى يصنع الله بيدي ما في خاطري . فادخلها عبيده الخيمة التي امر بها وسألت ان يرخص لها تخرج قبل الصباح لتصلي الى الرب وتعود فاوصى اصحاب مخدعه ان يأذنوا لها وكانت تخرج ليلاً الى وادي بيت فلوى وتغتسل في عين الماء وتصلي الى الله ان يرشد طريقها لتخلص شعبه ثم تعود الى خيمتها طاهرة . وكان في اليوم الرابع ان صنع اليفانا عشاء لعبيده وقال لخصيه انطلق واقنع تلك العبرانية ان ترضى بالاقامة معي طوعاً فقالت يهوديت من انا حتى اخالف سيدي وتزينت بملابسها ودخلت فوقفت امامه فاضطرب قلبه وبالغ في اكرامها فاخذت واكلت وشربت مما كانت آمتها هيئته لها ففرح اليفانا وشرب من الخمر اكثر مما شرب في حياته (فصل ١٢) واضجع اليفانا على سريره نائماً لشدة سكره واغلق الخصي باب المخدع وجميعهم ثقلوا من الخمر فامرت يهوديت جاريتها ان تقف خارجاً امام المخدع وهي وقفت تصلي امام السرير ليمن الله عليها بالقوة ثم استلت خنجره واخذت بشعر رأسه وضربت عنقه مرتين فقطعت رأسه ووضعته جاريتها في

مزود وخرجتا على عادتهما كانهما خارجتان للصلاة واجتازتا المسكر وانتهتا الى باب المدينة ونادت يهوديت الحراس ففتحوا ابواب المدينة ودعوا شيوخها فاجتمع الناس حولها من اصغرهم الى اكبرهم وصعدت الى اعلى موضع تخطب فيهم مبينة قوة الله وتخليصه من يتكل عليه واخرجت رأس اليفانا من المزود وارتهم اياه فسجدوا باجمعهم للرب واستمدوا لها بركته (فصل ١٣) وقالت لهم علقوا هذا الرأس على اسوارنا ومتى طلعت الشمس فليأخذ كل واحد سلاحه واظهروا كانكم تقصدون المهاجمة فينبه الحرس رئيسهم فيجدونه قتيلاً ويقع عليهم الذعر ويهربون فاسعوا على اعقابهم آمنين فيسحقهم الرب تحت ارجلكم وهكذا كان فان الاشوريين لما رأوا قائدهم مقطوع الرأس مخضباً بدمه تولاهم الذعر فولوا هاربين وقتل بنو اسرائيل كل من ادركوه منهم وغنموا ما تركوه . واحيور لما رأى ما كان آمن بالله واختتن وانضم مع ذويه الى بني اسرائيل . واتى يواقيم الحبر من اورشليم مع جميع شيوخها الى بيت فلوى وباركوا يهوديت قائلين انتِ مجد اورشليم وفرح اسرائيل وفخر شعبنا (فصل ١٤ و ١٥) وهي انشدت النشيد المثبت في الفصل السادس عشر من هذا السفر

فهذه خلاصة سفر يهوديت وقد توفرت الاقوال في كاتبه فعزاه القديس ايرونيموس الى يهوديت نفسها وفولف الى احيور العموني وبعضهم الى يوياقيم او الياقيم الحبر وكلمت الى يشوع بن يوصادق رفيق زربابل عند العود من سبي بابل وغيرهم الى غير هولاء والاظهر انه كتب في امد قريب من وقوع هذه الاحداث لما فيه من التفصيل الذي كان لا يستطاع لو كرت عليه السنون

﴿ عد ٣٣٤ ﴾

في ما جآء من الآثار الاشورية مؤيدًا اخبار سفر يهوديت

ان الاحداث المروية في سفر يهوديت كانت بعد خراب السامرة ودليله ان لا ذكر لملك فيه وبيت فلوى كانت من مملكة السامرة بل نرى مرجع الامر فيها الى اورشليم والياقيم الحبر يأمر بضبط اعالي الجبال والاحتفاظ على المضايق وقد مرَّ ان من بقي من اليهود في مملكة السامرة انضموا الى اخوانهم في مملكة يهوذا ثم ان هذه الاحداث جرت في حين لم يكن فيه ملك في اورشليم ولا نعلم خلوها من ملك في تلك الحقبة الا في مدة جلاء منسى الى بابل ويلزم ايضًا ان تكون جرت قبل السبي البابلي وقبل سقوط نينوى لانه جاء في هذا السفر (فصل ٤ عد ٢) ان اليهود خافوا ان يفعل اليفانا . باورشليم وبهيكل الرب كما فعل بسائر المدن وهياكلها ، ويلزم منه ان يكون الهيكل حينئذٍ قائمًا واورشليم في منعتها فيتعين على كل ما مرَّ ان هـذه الاحداث جرت في ايام منسى ملك يهوذا واشور بانيبال ملك اشور واذا رأينا سفر يهوديت سماه نبوكدنصر فذلك محمول اما على ان اشور بانيبال اتخذ لنفسه هذا الاسم بعد استيلائه على بابل اقتفاء بملوكها واما على ان النساخ غيروا اسمه خطأً لان هذا السفر وصفه . بملك اشور الذي كان مالكًا على نينوى العظيمة ، ثم ان آثار اشور بانيبال المسمارية انبأتنا بكثير مما ورد في سفر يهوديت واثبته . فقد رأيت في آثاره انه اخضع مصر وصور وادَّى الجزية اليه اثنان وعشرون ملكًا في سورية وقبرس وان اخاه سماسوموقين قيل بابل قد عصاه واثار عليه القبائل الخاضعة له فقهرهم بنفسه وبقواد جيوشه وكل هذا ينطبق خير انطباق على ما جآء في سفر يهوديت عن عظمته وعن رد رسله خائبين من قيليقية ودمشق ولبنان وفلسطين فيظهر ان هذا كان عند ما تمردوا عليه بامداد اخيه

وهو الراجح او عندما رأوه متشاغلاً بمحاربة الماديين التي ذكرها في اسطوانته الاولى عمود ٣ و ٤ وقال انه حمل حملته الرابعة على ملك الميتيين احسادي من العيلاميين وعلى رئيس الماديين بيرزهدري وانه ظفر بهما ودمّر مدنهما واخذ غنائم كبيرة من بلادهما وهذا يطابق ما جآء في سفر يهوديت عن ظفره بارفكشاد في ارض عيلام وان اختلف الاسم

وقد ورد في سفر يهوديت ان سكان قيليقية كانوا من جملة من ردوا رسله خائبين وثاروا عليه وهذا يفهم منه انهم كانوا خاضعين له فاليك ما كتبه اشور بانيبال (في اسطوانته الاولى عمود ٢ كما رواه سميت في تاريخه) « سودازرمي ملك قيليقية الذي لم يكن دان للملوك ابائي ولم يطعهم احضر ابنته التي ولدها مع كثير من التقادم اليَّ في نينوى لتكون زوجة وقبل قدميَّ » وجآء في سفر يهوديت في الترجمة اليونانية ذكر ليديا ايضاً وكانت في محل ولاية ازمير الان ودونك ما كتبه اشور بانيبال (في الاسطوانة المذكورة عمود ٣) ملخصاً « ان جيجس ملك ليديا الذي لم يسمع اباءي باسمه ساقه صيت قدرتي العظيمة الى ان يرسل اليَّ وفدًا ويبتغي مصادقتي وكان يرسل اوفده كل وقت الى ان انقطع عني بغتة واحتقر ارادة اشور واعتمد على قوته وارسل جنوده لانجاد بساميتيك ملك مصر الذي كان خلع نير ولايتي فسمعت بذلك وتضرعت الى اشور وإستار ان يُجندل امام اعدائه السيميريين وان يأخذوا جثته فاستجابني اشور وطرحت جثته امام اعدائه واخذوا عبيده اسرى » ومن هذا يظهر ايضاً اعتصاب اهل ليديا مع المصريين وسكان اسيا الغربية على اشور بانيبال كما جاء في سفر يهوديت

وقد جآء في سفر يهوديت على ما في النسخة اليونانية « واستولى (اليفانا) على تخوم قيليقية وقتل بحد السيف كل من قاومه حتى بلغ ارض يافت التي في

الجنوب قبالة بلاد العرب واسر جميع بني مدين (العرب الرحل) واحرق خيمهم وغنم كل ما كان في حظائر ماشيتهم . وهاك ما كتبه اشور بانيبال في تاريخه (اسطوانة ١ عمود ٦) ملخصاً . في حملتي التاسعة سيرت جنودي على فيتح ملك العرب لانه بعد ان كان يؤدي الجزية اليَّ انكف عن ذلك وحالف غيره من الملوك وسيروا عساكرهم لانجاد سماسوموقين اخي الثائر عليَّ وثار معه رجال بلاد العرب فبامر اشور ادخلت جيوشي الى بلاد عزران وحيرة تكازا (في بلاد العرب) والى ادوم وجوار يبرود وبيت عمون وعمل حوران ومواب والصحاري وعمل صوبة . وكتب في العمود الـ ٧ . قتلت ما لا اعداد له من محاربيه واكلت كسر جنوده واهلكت بحد السيف رجال العرب وكل من صحبوه واما هو فانهزم من وجوه جنود اشور متوغلاً في البلاد الى ارض النبطيين واحرقت خيامهم ومنازلهم ومقتناهم . وكتب في العمود الـ ٨ . فاكل جنودي قهر رجال العرب وابادوا كل من ناصرهم بحد السيف واحرقوا خيامهم ومنازلهم واخذوا من البقر والغنم والحمير والجمال والرجال ما لا اعداد له ونهبوا ودمّروا كل ما في البلاد على اتساعها .

وجاء في سفر يهوديت بعد ما مر ان اليفانا . انحدر الى صحارى دمشق في ايام الحصاد واحرق جميع حقولهم وقطع كل اشجارهم وكرومهم . وفي احدى اسطوانات اشور بانيبال (على ما روى سميت في تاريخه صفحة ٢٧١) بعد كلامه في ما غنمه من العرب قال . جعلته يأخذ طريق دمشقا . اي دمشق وذكر في الاسطوانة الاولى في العمود الـ ٥ القبائل التي ردها خاضعة لسلطانه فقال انها . رجال اكّد والكلدان والاراميون والسوريون . والحاصل ان سفر يهوديت والآثار الاشورية متطابقة في ذكر القبائل التي غزاها اشور بانيبال بقائد جيشه وفي نوع المعاملة التي عاملها بها من قتل واحراق خيام ونهب

مواشٍ وقطع اشجار والبلاد التي ذكرتها الاثار والكتاب واحدة والعصر الذي كانت فيه هذه الاحداث واحد فانّى يباح انكار صحة هذا السفر واين السبيل الى التكذيب باياته . ولا نطمع ان نرى في اثار اشور بانيبال ذكر فتك يهوديت بقائد جيشه فلم يعتد احد من الغزاة القدماء ان يخلد ذكر خزيه وحطته ومع هذا بقي لنا ما نستلمح منه فشل اشوربانيبال فبساميتيك ملك مصر كان الدّ اعدائه وقد عاقب من تشيع له من الملوك ولا نرى في اثاره خطة مؤذنة بانه قهره او رده الى طاعته ولا وجه لذلك الا ان اشو بانيبال كانت حمية الشبيبة خمدت فيه ووهنت عزيمته عن ان يجدد حملاته على مصر فوكل فيها الى اليفانا قائد جيشه فقطعت امرأة عبرانية رأسه وتشتت جنوده فلم ينل ما ابتغى من تذليل ملك مصر بل استقلّت اذ ذاك مصر عن ولاية اشور . على انه لم يوجد الى اليوم اسم اليفانا في الاثار الاشورية لكن صحة الرواية لا تتوقف على الاسم والاعلام عرضة للتغير والنص العبراني في سفر يهوديت مفقود وبين ترجماته تباين واختلاف لا سيما في الاعلام والنسخة اللاتينية العامية تسمي اليفانا هولوفرن فلا عبرة بالاسماء عند تطابق الحوادث . انتهى ملخصاً عن الكتاب والاكتشافات الحديثة لفيكورو (مجلد ٤ من صفحة ٢٧٥ الى ٣٠٥ طبعة ٥)

لم نفرغ من كتابة ما مرّ الا وطالعنا في المجلة الموسومة بمجلة الارض المقدسة الفصول التي يذيعها فيها الاب العالم ربواسون في تحقيق صحة سفر يهوديت فالفيناه يثبت في نشرتها الصادرة في ١٥ ايلول سنة ١٨٩٤ ترجمة الصفائح التي وجدت في كوينجك على مقربة من المحل المسمى النبي يونس حيث كانت نينوى القديمة على مذهبه . وهذه الصفائح او الاسطوانات انطوت على اخبار محاربة اشور بانيبال للعرب وفي احداها يقول اشور بانيبال ما ملخصه • انه سير جيشه على فاتح (او فينخ) ملك العرب الذي كان قاومه مع

جيش النبطيين فساروا متجشمين اعظم المشاق في ارض العطش والموت الى ان بلغوا بلاد ماس البعيدة مئة كسبو ككارو عن نينوى وان هـذه البلاد في جوار دمشقا ، اي دمشق فيقول ربواسون ان بلاد ماس ان هي الا بلاد باسان بابدال الباء من الميم وهذا كثير في اثارهم واستدل على ذلك من ان هذه البلاد مجاورة لدمشق لانها تمتد الى جبل حرمون وهو جبـل الشيخ القريب من دمشق ومن انها كانت من مساكن النبطيـين حلفاء ملك العرب كما في الاثار ومن ان كسبو ككارو يراد به مقياس للارض وان كل كسبو كناية عن ستة كيلومترات فيكون مجموع المئة كسبو ست مئة كيلومتر والمسافة بين نينوى في الطريق الذي سار فيه الاشوريون وبين اطراف بلاد باسـان انما هي نحو ٦٦٠ كيلومتراً وهو قريب مما ذكر في الاثر وفي نشرة هذه المجلة الصادرة في ١ ت ١ سنة ١٨٩٤ ذكر ربواسون عن هذا الاثر ان جيش الاشوريين حل في كوراسيتي وكيدراي وقال ما كوراسيتي الا كرسا او جرجسا القديمة و قعها على ضفة بحيرة طبرية شرقاً (وبها سميت هذه البحيرة بحيرة الجرجسيين ا بيرة جناشر) وما كدراي الا كدارا وهي المسماة الان ام قيس لا تبعد عن طرف بحيرة طبرية من جهة الجنوب ومن ذلك يستفاد ان جيوش اشور بانيبال حلت في جانب بحيرة طبرية عند مهاجمتهم وتضيقهم على بني اسرائيل طبق ما جاء في سفر يهوديت

عد ٣٣٥

في وفاة منسى وخلافة آمون ابنه له

توفي منسى للسنة الخامسة والخمسين من ملكه ودفن في بستان بيتـه وملك آمون ابنه مكانه وكان عمره حين ملك اثنتين وعشرين سـنة ... على شاكلة ابيه قبل توبته فانه عبد الاصنام التي عبدها ابوه وسجد لها وترك لرب

الهه صانعاً الشر فتحالف عليه عبيده وقتلوه في بيته بعد ان ملك سنتين ودُفن حيث دُفن ابوه فثار الشعب على قاتليه وفتكوا بهم واقاموا ابنه يوشيا ملكاً مكانه فكان تمليك امون سنة ٦٤١ ومقتله سنة ٦٣٩ ق م على اصح الروايات ولا يظهر انه كان مدة ملكه احداث مهمة لان اشور بانيبال بعد تشتيت جنوده في فلسطين خمدت جمرة سطوته في سورية وطفقت في مصر كما روى مسبرو في تاريخه القديم لشعوب المشرق (صفحة ٤٣٨ طبعة ٢) قائلاً « ان مصر عادت مستقلة ولا غرو ان ذلك كان في مدة ثورة سماسوموقين على اشور بانيبال اخيه ... وكانت حروب اشور بانيبال مع العيلاميين اوهنت قواه فتخلى عن حق سيادته على مصر » وقد قضي اجل اشور بانيبال سنة ٦٢٦ كما روى فيكورو عن سميت (في تاريخ اشور صفحة ١٧٧)

عد ٢٣٦

يوشيا بن امون ملك يهوذا

ملك يوشيا في اورشليم وعمره ثماني سنين وكان ملكاً صالحاً ومضى على كل طرق داود جده ولم يعدل عنها يمنة ولا يسرة ويظهر ان احتفاف الكهنة والانبياء حوله اكسبه الفضيلة والمحبة للدين والغيرة عليه . فقد اخذ مذ شب يطهّر اورشليم وسائر مملكته من المشارف والغابات والمنحوتات والمسبوكات فقوضوا امامه مذابح الالهة الكاذبة وحطموا تماثيلها وسحقوها وذروا رمادها على وجه قبور من كانوا يذبحون لها وفي السنة الثامنة عشرة لملكه عني بترميم ما تهدم في بيت الرب وبعث الى حلقيا عظيم الكهنة ان يحسب الفضة التي أُوردت الى بيت الرب مما جمعه حفظة اعتاب الهيكل من الشعب وان يسلمها الى متولي العمل ليدفعوها الى النجارين والبنائين وصناع الحديد والنحاس ولشراء اخشاب وحجارة منحوتة وكان كذلك . وبينما كان حلقيا يبحث عن

الفضة في بيت الرب وجد سفر توراة الرب بخط موسى (ملوك ٤ فصل ٢٢ عد ٨ وسفر اخبار الايام الثاني فصل ٣٤ عد ١٤) فدفعه الى شافان الكاتب الذي كان الملك اوفده اليه ولما تلاه الكاتب على مسمع الملك مزق ثيابه لفرط ما خالف آباؤه ما كتب في هذا السفر ولما يستوجبه شعبه من العقاب لتقاعدهم عن العمل به

قال فلتار « ان كتاب السنة كان امسى عند اليهود نادرًا جدًّا حتى لم يتجد منه في ايام يوشيا الا نسخة واحدة » وقال ايضًا « قد حقق الكتاب نفسه ان اول نسخة معروفة من هذا الكتاب وجدت في ايام يوشيا وان هذه النسخة الوحيدة اتى بها شافان الكاتب الى الملك » فهو ملحد طياش يطيش اسهمه على غير روية فاسفار موسى كانت دستورًا للعمل في ايام داود وسليمان وآسا ويوشافاط ويواش وامصيا وحزقيا حتى ايام يوشيا نفسه قبل وجدان هذا السفر وقد رأينا الكهنة وعظماء المملكة في ايام يوشافاط يطوفون في المدن والقرى وكتاب السنة في ايديهم يحضون الشعب على العمل بموجبه ونراه في ايدي الحكام في اورشليم وغيرها دستورًا يقضون بحسبما دوّن فيه بل رأينا احاب الاثيم نفسه لم يتمكن من اختلاس كرم نابوت الا باتهامه بمعصية يقضي الكتاب بالجزاء عليها بالموت رجمًا وهي التجديف على الله ونرى الانبياء يذكرون الشعب والملوك ايضاً بما جاء في هذا الكتاب الم يكن لهولاء الانبياء غيرة على حفظه او استشهدوه ولا وجود له اخرس الله الملحدين . واما ما هو السفر الذي وجده حلقيا وارسله الى يوشيا الملك فقال فيه كلمت في تاريخ العهد القديم يظهر جلياً ان احد الكهنة اخفى هذا السفر القديم المخطوط بيد موسى حيث وجده حلقيا لئلا تعبث به ايدي الملوك الاشرار الذين رفعوا من الهيكل تابوت العهد وكان بجانبه السفر الذي قال فيه موسى (تثنية فصل ٣١ عد ٢٦)

٢٦خذوا سفر هذه التوراة واجعلوه الى جانب تابوت عهد الرب الهكم فيكون ثم عليكم شاهدًا . وكل القرائن التي وردت في الكتاب في شان وجدان هذا السفر تثبت ان ما وجد حينئذٍ انما هو الفصول ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ من سفر التثنية لان هذه الفصول الاربعة انما هي التي امر موسى ان توضع في جانب تابوت العهد وهي تشتمل على تهديد الله ولعنه كل من يخالف سنته وبركاته ووعوده لكل من يعمل بها وكل من قرأها وتدبرها بها لا جرم ان تنشئ فيه التأثر الذي شعر به يوشيا لا انه كان يجهل سنة الله التي لا بد ان يكون الكهنة والانبيآء المحتفون حوله اطلعوه عليها وزاد تأثره انها كانت مخطوطة بيد موسى نفسه كما اذا عثرنا على الانجيل الذي خطته يد متى او يد يوحنا . ويؤيد ذلك قول الكتاب بعد ذلك ان يوشيا جمع اليه جميع يهوذا واورشليم وصعد بهم الى بيت الرب فتلا على مسامعهم جميع كلام سفر الميثاق الذي وجد في بيت الرب فاذًا لم يكن ما وجد اسفار موسى كلها ولا سفر كامل ايضًا اذ لا يمكن تلاوة ذلك في وقت واحد

ان يوشيا بعد تلاوة هذه الفصول عاهد الرب انه وشعبه لا يخلفون وصاياه ويعملون بسنته واعاد الشعب هذا العهد . وامر الملك ان يخرجوا من الهيكل كل ما أُدخل فيه تكرمة لبعل وعشتاروت واجناد السمآء واحرقه في خارج اورشليم واستأصل كهنة الاصنام الذين اقامهم ملوك يهوذا ليقتروا على المشارف ونجس هذه المشارف والمعبد الذي كان في جانب اورشليم لملوك معبود بني عمون حيث كان الرجل يجيز ابنه او بنته في النار اكراماً لهذا المعبود . وازال المعابد التي كان سليمان اقامها لالهة الصيدونيين والموابيين والعمونيين ومضى الى بيت ايل فقوض المذبح والمعبد اللذين كان ياربعام بن نباط اقامهما واحرق كل ما كان هناك . وابصر قبورًا في الجبل فبعث واخذ العظام منها واحرقها

على المذبح ونجسه . وتمت بذلك نبوة رجل الله الذي كان اتى من اليهودية الى بيت ايل قبل نحو من ثلاث مئة سنة لينذر ياربعام بن نباط وقال « يا مذبح يا مذبح كذا قال الرب هوذا سيولد لبيت داود ابن يسمى يوشيا وهو سيذبح عليك كهنة المشارف الذين يقترون عليك وتحرق عليك عظام البشر » (ملو ٣ فصل ١٣ عد ٢) ورأى الملك جثوة وقيل له انها قبر الرجل الذي جاء من يهوذا وتنبأ على ما انت الان فاعل فقال دعوه لا يحركنّ احد عظامه . وازال ايضاً جميع المشارف التي كانت في مدن السامرة وذبح كهنتها على مذابحها واحرق عظام الناس عليها . فالكفر والخلاعة والفظائع التي اقدم عليها بنو اسرائيل في ذلك الحين كانت تستلزم هذه الوسائل الهائلة للارعواء عنها . ثم عاد يوشيا الى اورشليم وامر جميع الشعب بعمل فصح قال الكتاب فيه (ملوك ٤ فصل ٢٣ عد ٢٢) « لم يعمل فصح منذ ايام القضاة ... ولا في ايام جميع ملوك اسرائيل وملوك يهوذا مثل هذا الفصح الذي عُمل للرب في السنة الثامنة عشرة لملك يوشيا في اورشليم » وقال الكتاب (هنالك ا في مدبح يوشيا « لم يكن قبله ملك مثله لانه اقبل الى الرب بكل قلبه وكل نفسه وكل قدرته بحسب كل توراة موسى ولا قام بعده مثله »

واستراح بنو اسرائيل في ملك يوشيا زهاء ثلاثين سنة لان اشور بانيبال كان اعيي بالحروب التي اثارها عليه الماديون والكلدان . وابنه اشور دليلي الذي خلفه بعد موته (او بعد موت ملك اخر على رواية) كان واهن القوة خامد العزم ولم يوجد من آثاره الا فلذات من خزف كشف عنها في قصر صغير بناه في كالح (نمرود الان) يقول فيها عن نفسه انه « ملك الشعوب ملك بلاد اشو ابن اشور بانيبال بن اسرحدون وانه بنى هذا القصر لنفسه » وفي ايامه لم يكتفِ المصريون بخلع نير الطاعة للاشوريين بل عمدوا الى افتتاح بلادهم

وهذا ما اشار اليه الكتاب بقوله « وفي ايامه (اي ايام يوشيا) صعد فرعون نكو ملك مصر على ملك اشور الى نهر الفرات فذهب الملك يوشيا والتقاه فقتله في مجدُّو (لجون) عند ما تراءيا » (ملوك ٤ فصل ٢٣ عد ٢٩) وجاء في سفر اخبار الايام الثاني (فصل ٣٥ عد ٢٠ وما يليه) « صعد نكو ملك مصر لقتال الكركميش (مدينة الحثيين المعروفة) عند الفرات فخرج عليه يوشيا فوجه اليه رسلاً يقول ما لي ولك ياملك يهوذا انا لست عليك اليوم بل على بيت حربي لان الله امرني ان ابادر فدع مقاومة الله الذي معي لئلا يهلكك فلم يحول يوشيا وجهه عنه بل تشدد لمحاربته ... وجآء للقتال في وادي مجدُّو فرمت الرماة نحو الملك يوشيا فقال الملك لعبيده انقلوني فاني قد أثخنت بالجراح فنقله عبيده من المركبة ووضعوه في مركبة اخرى كانت له وجآءوا به الى اورشليم فمات ودُفن في مقابر آبائه فناح جميع يهوذا واورشليم على يوشيا ورثى ارميا يوشيا » وقد ملك احدى وثلاثين سنة في اورشليم

ان نكو الذي ذكره الكتاب هنا هو غير نكو الذي جآء ذكره كما رأيت في اثار اشور بانيبال وكان ملك منف وسايس لان نكو هذا انقضى ملكه سنة ٦٦٤ ق م فلا يمكن ان يكون في ايام يوشيا الذي رقي منصة الملك سنة ٦٣٩ الى سنة ٦٠٨ ونكو الثاني ابن بساميتيك ملك في مصر من سنة ٦١١ الى سنة ٦٠٥ ولكن على من حمل نكو الثاني أعلى ملك نينوى الاشوري ام على ملك بابل فحل هذه المسأله مناط بتحقيق تاريخ السنة التي سقطت نينوى فيها فقال ايدان وسنشلوس المؤرخان القديمان ان دمار نينوى كان سنة ٦٢٥ وعليه فحملة نكو الثاني كانت على نابوبلاصر ملك بابل وهو ابو بختنصر ولكن الظاهر مما اورده اوسابيوس والقديس ايرونيموس ان خراب نينوى كان لسنة ٦٠٦ او سنة ٦٠٥ ق م وعليه فحملة نكو سنة ٦٠٨ كانت على ملك اشور والى

اليوم لم يُكشف على اثر يبين ما كان في ايام نينوى الاخيرة والظاهر ان حالة مملكة اشور لدن موت اشور بانيبال كانت على جرفٍ هارٍ فكان بساميتيك ملك مصر ابو نكو محاصرًا اشدود في فلسطين وكان اهل بابل عصوا ملك اشور والماديون يعدون المعدات لحربه فمن خلف اشور بانيبال سار بجيشه على الماديين وامرَّ بنو بلاصر على جيش سيَّره لاخضاع بابل فنجح امير هذا الجيش نجاحًا اكسبه ان يسمى قيل بابل فساس هذه البلاد بحكمة خمس عشرة سنة حتى اذا رأى من نفسه القوة حاول ان يخلع سيادة نينوى عليه وتذرع لذلك بذريعة ان طلب ما لا يمكن ان يُعطاه ولما ردَّ سؤاله حالف نكو ملك مصر وشيا كسر ملك الماديين واثار حربًا عوانًا على نينوى نحو سنة ٦١٠ وزحف نكو في ربيع سنة ٦٠٨ الى اسيا في الطريق الذي استطرقه اسلافه وكان يؤمل ان يجتاز فلسطين دون مقاوم ولكن لم ينفسح له مرج ابن عامر الا التقاه يوشيا ملك يهوذا ليقطع الطريق عليه عند مضيق مجدُّو (اللاجون) حفظًا للامانة لملك اشور الذي كان تحت سيادته او طمعًا بتعظيم اسمه اذا انتصر على ملك مصر فاضطرمت نار الوغى فقتل يوشيا كما رأيت وتشتت جيش بني اسرائيل ولم يحفل نكو بما سيكون منهم بل سار مسرعًا وانتهى الى قادس في جانب بحيرة حمص ثم الى كركميش (قد ذكرنا تاريخها وابنا موقعها في عد ٧١) فاستحوذ نكو عليها وعلى كل ما كان في غربي الفرات وافتتح الماديون والبابليون نينوى ودمروها ولم نظفر الى اليوم بأثر منبئ بما كان عند افتتاحها ولكن جاء في كتب المؤرخين القدماء ان حصارها استمر سنتين ويسَّر فتحها طغيان ماء دجلة حتى اسقط جانباً من اسوارها فيئس ملكها واحرق نفسه ونساءه وكنوزه في قصره وقسمت املاكها فكان الحظ الاكبر منها لملك بابل وصح في نينوى ما نبأ عليها بها نحوم النبي (في الفصلين الثاني والثالث من نبوته ومما قاله ذيهما)

ويل لمدينة الدماء المملئة باسرها كذباً وخطفاً قد انفتحت ابواب الانهار وانحل القصر فكل من يراكِ يعرض عنك ويقول قد دمرت نينوى »

عد ٢٣٧

في يواحاز والياقيم ابني يوشيا ويوخانيا ملوك يهوذا

بعد ان دفن الشعب يوشيا ملكوا يواحاز ابنه مكانه وكان عمره حين ملك ثلاثاً وعشرين سنة وصنع الشر في اعين الرب لكنه لم يملك الا ثلاثة اشهر فالظاهر ان نكو غضب لتمليك يواحاز وهو الاصغر وايثاره على الياقيم اخيه الاكبر لانه كان ناصحاً لابيه والشعب كيلا يعترضوا ملك مصر في طريقه فارسل فريقاً من جنوده فكنف يواحاز واخذه اليه وهو في ربله من ارض حماه (وتسمى اليوم ايضاً بهذا الاسم) اما قبل ان يصل الى كركميش واما بعد عوده منها وهو الاظهر واخذه معه اسيراً الى مصر حيث مات وغرّم بني اسرائيل مئة قنطار فضة وقنطار ذهب واقام الياقيم اخاه الاكبر ملكاً في اورشليم وغيّر اسمه مسمياً اياه يوياقيم (ملوك ٤ فصل ٢٣) وكان ذلك لسنة ٦٠٧ ق م . وقد تكلم حزقيال في يواحاز فقال (فصل ١٩ عد ٢ وما يليه) « قل كيف امك اللبوة ربضت بين الاسود وبثّت جراءها في وسط الاشبال وأعلت واحداً من جرائها فصار شبلاً وتعلم افتراس الفريسة واكل الناس . فسمعت به الامم فأخذ في هوتهم فقادوه بزمة الى ارض مصر » وقال فيه ارميا (فصل ٢٢ عد ١٠) « لا تبكوا على الميت (يوشيا) ولا ترثوه بل ابكوا بكاء على الذاهب الذي لا يرجع من بعد ولا يرى ارض ميلاده ... بل في الموضع الذي أجلي اليه هناك يموت »

وكان يوياقيم ابن خمس وعشرين سنة حين ملك وملك احدى عشرة سنة في اورشليم وصنع الشر وكانت باكورة اعماله انه ضرب ضريبة على الشعب

ليفي نكوًا الغرامة التي فرضها على مملكة يهوذا . ولم يقتصر على ذلك بل اثقل شعبه بضرائب اخرى وادخل عليهم نظام التسخير ليقيم ابنية يتفاخر بها وشعبه في اسوأ الاحوال وهذا مستفاد من قول ارميا فيه (فصل ٢٢ عد ١٣) « ويل لمن يبني بيته بغير عدل وغرفه بغير حق ويستخدم قريبه بلا اجرة ولا يوفيه عن عمله ويقول ابني لي بيتاً وغرفاً فسيحة فتح له كوى وسقَّف بالارز ودهن بالمغرة أيكون ملكك بان تفاخر بالارز » . وقد اضطهد الانبياء فان اوريا بن شمعيا من قرية يعريم (قرية ابي غوش) تنبأ على خراب اورشليم فطلب يوياقيم ان يقتله ففر الى مصر فارسل الملك نفرًا في طلبه واتوه به فقتله بالسيف وطرح جثته في قبور عامة الشعب (ارميا فصل ٢٦ عد ٢٠) ولم ينجُ ارميا النبي من اضطهاده لانه بعد ان كتب نبواته اراد اذاعتها على الكهنة والروساء ولما سمع الملك بها القاها بيده في كانون النار وعزم ان يقتل ارميا وباروك تلميذه ففرّا واختبأا وعاود النبي كتابة نبواته باكثر تفصيل (ارميا فصل ٣٦)

وفي السنة الرابعة للملك يوياقيم همَّ نبوبلاصر ملك بابل ان يسترد اعمال سورية التي كان نكو ملك مصر تولاها وقال بعضهم ان نكو كان باقيًا في كركميش وقال غيرهم وقولهم اوجه انه كان عاد الى مصر وترك حامية في كركميش . ولما كان نبو بلاصر امسى شيخًا لا طاقة له على تجشم مشاق هذه الحلة او كان متشاغلاً بحروب اخرى عهد الى ابنه نبوكدنصر (الذي يسميه العرب بختنصر) بقيادة جيشه في سورية . فكانت بين الجيشين المصري والبابلي وقيعة كبرى في كركميش انكسر بها المصريون وولّوا مدبرين وتركوا كل ما ملكوا في سورية فتتبع الكلدان آثارهم ولم يجترئ احد من ملوك سورية ان يقاومهم بل اقرُّوا بسيادة بختنصر وادُّوا الجزية اليه صاغرين وكان منهم يويقيم ملك يهوذا (على ما روى سميث في كلامه في بابل صفحة ١٥٦) ولم يتعرض بختنصر

لهؤلاء الملوك في ملكهم بل استمر حينئذٍ سائرًا الى مصر قاسماً جيشه الى قسمين سيَّر احدهما في الطريق البحري والثاني في عبر الاردن وبلاد العمونيين والموابيين وقال الكتاب (ملوك ٤ فصل ٢٤ عد ٧) في ذلك « ولم يعد ملك مصر يخرج من ارضه لان ملك بابل اخذ من نهر مصر (المراد وادي العريش الفاصل بين فلسطين ومصر) الى نهر الفرات جميع ما كان للملك مصر » وبين كان بختنصر معاصرًا تخوم مصر اتاه نعي ابيه فخاف ان يدخل دعيٌّ على عرشه فعقد عهدة مع ملك مصر وعاد مسرعًا الى بابل فضبط الصولجان سنة ٦٠٤ ق م واستمر متسنماً منصة الملك ثلاثاً واربعين سنة اي الى سنة ٥٦١ ق م وهو اشهر ملوك بابل التي جعلها من غرائب العالم وقد كشف عن خطوط كثيرة له يتفاخر بها باقامته الدور والقصور وبتصييره بابل اجمل العواصم وندر ما وجد له من الخطوط المنبئة بحملاته وحروبه

ان بختنصر عاد للسنة الثانية من ملكه الى سورية ليطفئ جذوات الثورة التي كان المصريون ينفخون فيها على ما يظهر فدخل حينئذٍ مملكة يهوذا وفتح اورشليم واخذ بعض آنية الهيكل وكان ازمع ان يأخذ يوياقيم الملك اسيرًا الى بابل فبدا له ان يبقيه في اورشليم خاضعاً له يؤدي اليه الجزية لكنه جلا يومئذ الى بابل شبان شرفاء مملكته وكان منهم دانيال وحنانيا وميشائيل وعزريا ليكونوا رهائن على اخلاص يوياقيم في الطاعة له وكان ذلك سنة ٦٠٢ ق م ولم تنقضِ ثلاث سنين الا عاد يوياقيم يحاول التملص من الخضوع لبختنصر بامداد ملك مصر وايتوبعل ملك صور فهب اليه بختنصر سنة ٥٩٩ ق م واطلق شراذم من فرسانه تسطو على الناس وتخرب في البلاد ولكن لم يبلغ الغازي الى اورشليم قبل ان تدرك المنية يوياقيم ولا يُعلم كيف مات بل انبأنا ارميا النبي انه مات غير مأسوف عليه ودُفن مهانًا فقال (فصل ٢٢ عد ١٨) « هكذا قال الرب

ليوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا انه لا يُلطَم عليه آهًا يا اخي او آهًا يا اختي ولا يُلطَم عليه آهًا واسيّداه او آهاً واجليلاه . بل يُطمر طمر الحمار وهو ممزَّق مطروح بعيدًا عن اورشليم » وقال ر في فصل ٣٦ عد ٣٠) « وتكون جثته مطروحة للحر في النهار والقرس في الليل » وقال يوسيفوس (ك ١٠ فصل ٨ من تاريخ اليهود) ان بختنصر « قتله ومعه زهور شبان المدينة وامر ان تطرح جثته خارجاً عن اورشليم لا يأويها احد الى التراب » ورأى بعض المحققين ان دون تصديق مقال يوسيفوس مشكلات ولكن حققته المجلة الموسومة بالتمدن الكاثوليكي (في احدى نشراتها الصادرة في تشرين الاخر سنة ١٨٨٢) في مقالة موسومة « بمهام بختنصر وحروبه الاولى » وقد خلف يوياقيم ابنه يوخانيا ويسمى يوياكين ايضاً ولم يقوَ الملك الجديد على الدفاع عن اورشليم زماناً طويلاً بل ارغم ان يسلم نفسه واسرته وامواله الى ملك بابل ولم يملك الا ثلاثة اشهر وعشرة ايام فاخذه بختنصر اسيرًا الى بابل وجلا معه عشرة الاف من روساء اورشليم وكبرائها ولم يبقِ من سكانها الاَّ الفقرآء واخذ جميع كنوز بيت الرب وبيت الملك وكسر جميع آنية الذهب واقام متنيا عم يوياكين ملكاً مكانه وسماه صدقيا وكان ذلك سنة ٥٩٨ ومنها يبتدي تاريخ الجلاء البابلي الذي استمر سبعين سنة . واقام يوياكين في بابل مسجونًا سبعاً وثلاثين سنة الى ان توفي بختنصر وخلفه ابنه اويل مروداك فاطلقه من السجن واكرم مثواه وكان يتناول الطعام على مائدته . (ملوك ٤ فصل ٢٥ عد ٢٧)

﴿ عد ٣٣٨ ﴾

في صدقيا ملك يهوذا

ان صدقيا الذي اقامه بختنصر ملكاً في اورشليم كان عمره اذ ذاك احدى وعشرين سنة وملك احدى عشرة سنة وصنع الشر امام الرب ولما كان شاباً

تلاعبت فيه اهوآء الاغراض فعجلت سقوطه عن عرشه وانقراض مملكة اورشليم فان بختنصر أُلجئ حينئذٍ الى محاربة الماديين لان شيا كسر ملكهم الذي كان حا بختنصر مات فخلفه ابنه استياج وكان يريد سوءًا بمملكة بابل فاغتنم ملوك يهوذا ومواب وعمون وادوم وصور فرصة هذا الخصام وحاولوا العود الى استقلالهم فاصلح بختنصر شؤونه مع الماديين وهبَّ للانتقام من ملوك سورية وكبت مطامعهم فعاد الى سورية مرة اخرى سنة ٥٩٠ وقسم جحافله قسمين سير احدهما الى صور (كما مر في عد ١٢٧) والثاني الى اورشليم ولما رأى صدقيا ان لا قدرة له على مصافتهم في خارج الاسوار دخل المدينة فحاصرها البابليون شديد الحصار وكان حفرع ملك مصر قد وعد ملوك سورية وصدقيا ان ينجدهم اذا اتتهم جنود بختنصر فارسل جيشًا مصريًا الى جنوبي فلسطين فترك الكلدانيون فريقًا من جيشهم على اورشليم ومضى فريق آخر منهم لقتال المصريين قال لانرمان (مجلد٢من تاريخه القديم صفحة ٤٠٢ طبعة٩) لانعلم ما كان بين الجيشين المصري والبابلي فمن قائل ان المصريين عادوا دون قتال ومن قائلٍ ان البابليين هزموهم . ثم تألبوا على اورشليم فدافع اهلها دفاع الابطال ثمانية عشر شهرًا الى ان برَّح بهم الجوع اذ لم يبقَ في المدينة ما يقتاتون به فثغروا احد اسوار المدينة وهرب صدقيا وجميع رجال الحرب ليلاً في طريق الغور الى جهة الاردن فتتبع جيش الكلدان اثرهم فادركوا صدقيا في صحرآء اريحا وقد ارفضَّ الجمع عنه فاخذوه واولاده وبعض الروسآء الى ملك بابل في ربلة (المعروفة اليوم ايضاً بهذا الاسم) فذبح بني صدقيا امام عيني ابيهم وقتل غيرهم من الروسآء وفقأ عيني صدقيا كما فعل كثير من ملوك اشور وغيرهم باعدائهم وقد وجدت اثار تمثل ملوكاً يفقأون بايديهم عيون اسراهم . ثم اوثق بختنصر صدقيا بسلسلتين من نحاس واخذه الى بابل وجعله في بيت الحرس الى مماته

وقد عاد نبوزرادان امير جيش بختنصر فاحرق في اورشليم بيت الرب وبيت الملك وبيوت كبرائها وهدم اسوارها وانتهب كل آنية الهيكل وكل النحاس الذي كان في الاعمدة وبحر النحاس كسره الكلدانيون وحملوا نحاسه الى بابل وكل ما كان ثمة من ذهب او فضة اخذه رئيس الشرط ومن نجا من الاهلين من السيف اسره وارسله الى الملك في ربله ولم يترك من سكان مملكة يهوذا الأ كرامين وفلاحين ولم يشأ بختنصر ان تبقى اليهودية مملكة بل جعلها ولاية من ولاياته وولّى رجلاً اسمه جدليا بن احيقام عليها واقام جدليا في المصفاة (شعفات على الاظهر في شمالي اورشليم) وفي الشهر السابع لملكه فاجأه اسميل بن نتنيا من النسل الملكي وعشرة رجال معه فقتلوه وضربوا اليهود والكلدانيين الذين كانوا معه في المصفاة . ويظهر من كلام ارميا النبي (فصل ٤٠ عد ١٤) ان بعليس ملك بني عمون حمل اسميل على قتل جدليا وان بعضهم حذره من ذلك وطلب اليه ان يأذن له في قتل اسميل فلم يصدق ولم يأذن . وخاف اليهود من وجه الكلدانيين فارتحل جمٌ غفير ممن لبثوا في اليهودية الى مصر (ملوك ٤ فصل ٢٥) واخذوا ارميا النبي معهم مكرهاً (ارميا فصل ٤٣ عد ٦) وهكذا امسى السواد الاعظم من بني اسرائيل في بلاد الكلدانيين وجماعة منهم في مصر والاذلاء منهم في فلسطين فتكلم الان في من ارتحلوا الى مصر ثم في من أجلوا الى بلاد الكلدانيين

عد ٣٣٩

في من ارتحلوا من بني اسرائيل الى مصر وحملات بختنصر عليها

اجتمع بنو اسرائيل بعد مقتل جدليا الى ارميا النبي الذي كان أخذ بين المجلوين فاوصى بختنصر قائد جيشه ان لا ينزل به شرًّا بل يصنع اليه كل ما شاء فاطلقه القائد ولاطفه وارسله ليقيم مع جدليا (ارميا فصل ٣٩ و ٤٠)

فرغب اليه بنو اسرائيل ان يصلي الى الرب ليلهمهم ما يصنعون فصلى ارميا وعاد قائلاً لهم . هكذا قال الرب لا تخافوا من ملك بابل الذي انتم منــه خائفون ... فاني معكم لاخلصكم وانقذكم منه ... وان ثبتّم وجوهكم لتذهبوا الى مصر وذهبتم لتتغربوا الى هناك فالسيف الذي تخافون منه يدرككم هناك في ارض مصر والجوع الذي تخشون منه يتعقبكم هناك في مصر وهناك تموتون ، (ارميا فصل ٤٢ عد ١١ وما يليه) فلم يستمعوا كلامه بل اخذوا بقية يهوذا من الرجال والنساء والاطفال وبنات صدقيا الملك اللواتي كنَّ بقينَ في اليهودية مختبيات واكرهوا ارميا وباروك تلميذه الى المســير معهم ولما انتهوا الى تحفنيس قال الرب لارميا . خذ بيدك حجارة كبيرة واطمرها في الملاط في موضع التلبين (المرصوف باللبن) الذي عنــد مدخل بيت فرعون في تحفنيس على عيون رجال من اليهود وقل لهم هكذا قال رب الجنود اله اسرائيــل هآنذا ارسل وآخذ نبوكدرصر (بختنصر) ملك بابل عبدي واجعــل عرشه فوق هذه الحجارة التي طمرتها ويبسط ديباجه من فوقها فيقتــل ويضرب ارض مصر ، (ارميا فصل ٤٣ عد ٩ وما يليه) وكان ارميا يوبخ بني اسرائيل ويهــددهم لتركهم في مصر عبادة الرب وتعبدهم لملكة السماء التي يعبدها المصريون وينذر بما سيحل بالمصريين وبهم من الرزايا وقد قال (في فصل ٢٤ عد ٣٠) . هكذا قال الرب هآنذا اجعل فرعون حفرع ملك مصر في ايدي اعدائه وطالبي نفســه كما جعلت صدقيا ملك يهوذا في يد نبوكدرصر ملك بابل عدوه وطالب نفسه ، فهذه النبوات قد تمت لان بختنصر حمل على مصر ونكل باهلها وبني اسرائيل الذين ارتحلوا اليها اشد التنكيل وامات كثيرين بحدّ السيف وقهر حفرع ملك مصر وجلا منها جمًا غفيرًا الى بابل وقد يكون منهم بعض اليهود الذين فرّوا من الى مصر

ودونك ما جاءت به الآثار مصداقاً لاقوال الكتاب ان العالم فلاندرز بتري الانكليزي قد عني سنة ١٨٨٦ باكتشافات في تحفنيس القديمة المعروفة اليوم بتل دفنه في مصر السفلى فوجد هناك ثلاث خرابات تقرب احداهنّ من الاخرى وبينها بقايا أسس مؤذنة بانه كان هناك مدينة مهمة جدًّا وظهر له ان احدى هذه الخرابات كانت قصرًا فسيحاً مشرفاً على السهول الواقعة هناك وقد طرب وعجب عند ما اخبره سكان تلك الناحية انهم يسمون ذلك المحل «قصر بنت اليهودي» فكأن حفرع ملك مصر انزل في هذا القصر بنات صدقيا الملك صديقه عند ارتحالهنّ مع قومهنّ الى مصر كما مرّ فحُفظ هذا الاسم بالتقليد وقد حققت الآثار التي كشف عنها باتري هناك ان هذا القصر بناه بساميتيك الاول ملك مصر سنة ٦٦٥ او سنة ٦٦٦ ق م ووجد في احد المخادع خاتماً منقوشاً عليه اسم حفرع ملك مصر وقد عثر في خارج القصر على عرصة طولها نحو ثلاثين مترًا وعرضها ثمانية عشر مرصوفة بالاجرّ وليس هناك اثر لمخدع او سقف بل هي كالمصاطب التي يقيمها عامة الناس امام بيوتهم ويطلونها بالملاط وقد عبر عن هذه العرصة بالعبرانية «عِلِط مالبن» فصاحب الترجمة اللاتينية العامية لم يجد كلمة واحدة تؤدي المعنى المقصود فعبر عنه بكلمات فقال في كلام ارميا «خذ بيدك حجارة كبيرة واطمرها في المغارة التي تحت حائط اللبن عند باب بيت فرعون في تحفنيس» وفي ترجمة الآباء اليسوعيين العربية الملاط وموضع التلبين كما رأيت وعلى كل قرآة فهذا المحل الذي كان اللبن فيه كان عند باب بيت فرعون وهناك يكون بختنصر قد بسط ديباجه كما قال النبي. وقد بحث باتري عن الحجارة التي طمرها ارميا فوجد هناك حجارة غير منحوتة ولكن لا وسيلة للحكم بانها الحجارة التي طمرها النبي اذ لم تكن لها سمة تميزها. ومهما يكن من امرها فليس من يقيم نكيرًا على ان اكتشاف هذا القصر في

تل دفنه التي هي تحفنيس وما عثر عليه فيه من الآثار موذن بصحة ما جاء في الكتاب ولذلك قالت جريدة التيمس في نشرتها الصادرة في ١٨ حزيران سنة ١٨٨٦ « لا يخلو من فائدة كبرى ان يعلم الجمهور ولا سيما الانكليز الذين يكبون على مطالعة الكتاب المقدس ان عالماً انكليزياً كشف عن خربات قصر في مصر حيث وقف ارميا النبي وتنبأ وحيث وجدت بنات الملك صدقيا ملجأ عند فرعون حفرع وحيث نصب بختنصر عرشه وبسط ديباجه الملكي لما غشي مصر »

وقد تنبأ حزقيال ايضاً على حملة بختنصر على مصر فقال (فصل ٢٩ عد ١ وما يليه) « وكانت اليَّ كلمة الرب قائلاً يا ابن البشر اجعل وجهك نحو فرعون ملك مصر وتنبأ عليه وعلى مصر كلها ... هآنذا عليك يافرعون ملك مصر التنين العظيم الرابض في وسط انهاره الذي قال ان نهري هو لي وانا صنعت نفسي اني سأجعل حلقة في فكك ... فيعلم جميع سكان مصر اني انا الرب ذلك بما انهم كانوا عصا من قصب لآل اسرائيل فاذا امسكوك بالكف تشققت فزقت منهم الكتف كلها واذا اعتمدوا عليك انكسرت فزعزعتَ منهم الحقوين كليهما . ولذلك هكذا قال السيد الرب هآنذا اجلب عليك السيف فاقرض منك البشر والبهائم ... فاجعل ارض مصر قفاراً خربة مستوحشة من مجدول الى اسوان والى تخم كوش ... يا ابن البشر ان نبوكدرصر ملك بابل قد استخدم جيشه خدمة عظيمة على صور ... ولم تكن له اجرة ولا لجيشه من جهة صور لذلك هآنذا اعطي نبوكدرصر ملك بابل ارض مصر فيأخذ جمهورها ويسلب سلبها وينهب نهبها فيكون ذلك اجرة لجيشه » فقد انكر قبلاً بعض الملحدين صحة ما جاء في هذه النبوات مستمسكين بان هيرودوت وديودر الصقلي لم يأتيا بذكر حملة بختنصر على مصر واما الآن فلم يبقَ من سبيل الى هذا

الانبكار والآثار المصرية والكلدانية ناطقة بتكذيب الملحدين فقد كُشف في مصر عن تمثال لرجل شريف مصري اسمه نسهور وعليه خطوط موذنة بان هذا الرجل كان والياً في جنوبي مصر وقد عهد اليه ان يدرأ المجاورين له عن السطو على هذه الناحية وقد اتم ما عهد اليه به وكان مقيماً في الالفنتين (جزيرة في النيل تجاه اسوان) بمنزلة ملك الى ان يقول عن نفسه « اقمت تمثالي تخليداً لذكري فلا يزول من الهيكل لاني عُنيت بمعبد الالهة عندما اراد جنود الاجانب ان يدمروه وهم جنود العمو (الساميين) شعوب الشمال شعوب اسيا التعساء ... الذين ارادوا السوء بنا وعزموا ان ينشوا الارض العليا (مصر العليا) ويدمروا البلاد ولم يخافوا جلالة الملك حتى مخالفته واتموا ما عقدوا عليه. نيتهم لكنني لم ادعهم يتصلون الى تاكان (عمل في جوار الشلال الاول) بل جعلتهم يقتربون من المحل الذي كانت جلالته حلت فيه فدبرت عظمته على انكسارهم » والحاصل من هذه الخطوط ان جنود الاسياويين الساميين (كما هم الكلدان) حملوا على مصر في ايام ملكها حفرع وتوغلوا فيها الى مصر العليا حيث كان نسهور فلم يدعهم يجتازون الشلال الاول حيث كان الملك فرّ فردهم على اعقابهم على انهم اتموا نبوة حزقيال بأن بلغوا الى الحد الذي وضعه النبي بقوله ان بختنصر ينهب ويسلب في مصر ويجعلها خراباً الى اسوان والى تخم كوش

وقد وجد في بابل صفيحتان مشعرتان بحملة بختنصر على حفرع ملك مصر وعليهما خطوط مصرية فالاولى تمثل رجلاً يبارك اسداً وبجانبه رجل يسجد لصورة الملك مكتوباً عليها حفرع يحميه فتاح (احد الهة المصريين) والثانية تمثل رجلاً ساجداً ومن ورائه قرد وعليها اسم حفرع ايضاً ويظن ان الصورتين نقلهما بعض الاسرى في بابل ابان الحرب بين بابل ومصر ولا اقل من انهما مشعرتان بما كان بين البلادين في ايام بختنصر وحفرع وقد كُشف عن صفيحة اخرى

لبختنصر كتب عليها اخبار احدى غزواته الى مصر وهي الآن في المتحف البريطاني محطمة ولكن يمكن ان يُقرأ فيها ما يأتي فبختنصر بعد ان يشكر الالهة على ما قيضت له من النصر يقول . في سنة ٣٧ لنبوكدنصر ملك الارض ذهبت الى مصر للحرب فجمع اماسو (اماسيس) ملك مصر جيوشه وسير عساكره ... جزية في وسط ارض مصر ... ١٥٠٠٠ جندي وخيول ومركبات . فسنة ٣٧ لبختنصر توافق سنة ٥٦٨ ق م وكان ملك مصر حينئذٍ اماسيس الذي رقي منصة الملك بعد سقوط حفرع عنها وعليه فحملة بختنصر هذه على مصر غير حملته السابقة على حفرع لكن الحملتين تؤيدان صحة نبوات ارميا وحزقيال فالظاهر ان بختنصر بعد رفعه الحصار عن صور دخل مصر ظافراً وتتبع اثر حفرع الى اسوان ولكن بعد ان انتهى الى الشلال الاول اضطر ان يعود الى الوراء وبعد مضي ثلاث سنين او اربع عاد الى مصر فقهر اماسيس وفرض جزية على بلاده. وقد ذكرنا في تاريخ الفونيقيين حملته على صور وتحملها مضض الحصار ثلث عشرة سنة (طالع عد ١٢٧) وقد نقش بختنصر صورته على احد الصخور في معبر نهر الكلب كغيره من غزاة بلادنا . واما ارميا الذي أُخذ الى مصر فقال بعض الآباء ان اليهود الذين انحدروا الى مصر رجموه لانه لم يكن ينكفّ عن توبيخهم على تركهم الرب وعبادة الهة المصريين وقال بعض الربيين انه عاد الى اليهودية ومات فيها وذهب آخرون الى انه مضى الى بابل ومات هناك

﴿ عد ٣٤٠ ﴾

في سني ملوك يهوذا من خراب السامرة الى الجلاء البابلي

اننا نختتم هذا الفصل بوضع جدول يبين سني ملوك يهوذا من خراب السامرة الذي كان سنة ٧٢١ ق م الى انقراض مملكة يهوذا وجلاء علية شعبها الى بابل تكملة للجدول الذي وضعناه لملوك يهوذا واسرائيل الى انقراض

مملكة اسرائيل في عد ٣٢٧ فخراب السامرة كان في السنة السادسة لحزقيا وهو قد ملك في اورشليم تسعاً وعشرين سنة فيكون ملك بعد خرابها ثلثاً وعشرين سنة كما ترى في هذا الجدول

اسماء ملوك يهوذا	سنو ملكهم	سنة بدء كل منهم			
		باتو	كليتون	فنر	آيات الكتاب
حزقيا	٢٣	٧٢١	٧٢١	٧٢١	ملو ٤ ف ١٨ ع ٢
منسى	٥٥	٦٩٨	٦٩٧	٦٩٦	٠٠ ٤ ف ٢١ ع ١
امون	٠٢	٦٤٣	٦٤٢	٦٤١	٠٠ ٤ ف ٢١ ع ١٩
يوشيا	٣١	٦٤١	٦٤٠	٦٣٩	٠٠ ٤ ف ٢٢ ع ١
يواحاز	شهر ٣ ٠٠	٦١٠	٦٠٩	٦٠٩	٠٠ ٤ ف ٢٣ ع ٣١
يوياقيم	١١	٦١٠	٦٠٩	٦٠٩	٠٠ ٤ ف ٢٣ ع ٣٦
يوخانيا	شهر ٣ ٠٠	٥٩٩	٥٩٨	٥٩٨	اخبار الايام ٢ ف ٣٦ ع ٩
صدقيا	١١	٥٩٩	٥٩٨	٥٩٨	ملو ٤ ف ٢٤ ع ١٨
خراب اورشليم	شهر ٦ ٠٠	٥٨٩	٥٨٧	٥٨٦	٠٠ ٤ ف ٢٥ ع ٨
المجموع	١٣٣				

فمجموع سني هولاء الملوك بعد خراب السامرة مئة وثلاث وثلاثون سنة ومن بعد انقسام مملكة اسرائيل الى خرابها مئتين واحدى وستين سنة ومدة شاول وداود وسليمان مئة وعشرون سنة فجملة مدة الملوك في اسرائيل من شاول الى صدقيا خمس مئة واربع عشرة سنة

الفصل التاسع عشر

(في اخبار بني اسرائيل في بلاد الكلدان)

﴿ عد ٣٤١ ﴾

﴿ في حال بني اسرائيل في بابل وانذار الانبياء لهم ﴾

ان اقامة اليهود في بابل مع ما طبعوا عليه من التقاب والملل كانت لهم معثرة كبرى في أمر دينهم فقد كانوا اضاعوا استقلالهم وقرضت مملكتهم ودمرت مدينتهم وهيكلهم فحدثتهم عقولهم الضخمة ان آلهة الكلدانيين استظهرت على الههم فلم يقوَ ان ينجي شعبه من التشتت وهيكله من الدمار وآنيته من السلب ورأوا عظمة بابل حينئذٍ وقصورها الشامخة وجناتها الفناء الزاهرة ورغد اهليها وعز ملوكها وترف كبرائها وعظمة هياكلها على هيكلهم . وقد حققت الآثار ان مساحة اسوار بابل وقتئذٍ كانت ٥١٣ كيلومترًا مربعًا تنيف سبعة اضعاف على اسوار بريس سنة ١٨٦٠ ومساحة سورها الثاني ٢٩٠ كيلومترًا اكبر كثيرًا من مدينة لندرة (على ما روى اوبر في كتاب رحلته الى ما بين النهرين مجلد ١ صفحة ٢٣٤) فكان كل ذلك باعثًا لبني اسرائيل على تركهم الرب الههم وعبادتهم ما يعبد الكلدان ودينهم بما يدينون . أجل قد بقي بينهم من كان يقول « على انهار بابل هناك جلسنا فبكينا عندما تذكرنا صهيون على الصفصاف في وسطها علقنا كنانيرنا . هناك سألنا الذين سبونا نشيدًا والذين عذبونا تطريبًا ان رنموا لنا من ترانيم صهيون . كيف ترنم ترنيم الرب في ارض غربة . ان نسيتكِ يا اورشليم فلتنسني يميني . ليلتصق لساني بحنكي ان لم اذكركِ ان لم أعلِ اورشليم على ذروة فرحي » (مزمور ١٣٦) لكن هذا ترنيم بعض المتورعين

مقصودٌ به احياء ذكر الرب واورشليم والهيكل في اذهان الشعب وهو مؤذن بالخطر الهائل المحيق باخوانهم على ان الله تدارك شعبه ببعثه يومئذٍ اكبر انبيائه فالانبياء الكبار اربعة اشعيا وارميا وحزقيال ودانيال فاشعيا كان قبيل جلائهم لكنه تنبأ عليه وحذر من معاثره واكثر الحث لبني اسرائيل على التشبث بعروة ايمانهم الوثقى وافاض بالتعزية لهم بانهم سيعودون الى الارض ميراث آبائهم . والجزء الثاني من نبواته من الفصل الاربعين فصاعدًا هو افصح واسمى من باقيها وجل مدار كلامه فيه انما هو في الجلاء وتعزية المجلوين وتبشيرهم بقورش منقذهم وكان حزقيال ودانيال بين اظهر المسبيين في بابل وسيأتي الكلام فيهما . واما ارميا فبقي في اليهودية حين سبيهم وقيض الله له ان يصحب المرتحلين الى مصر كما رأيت . على انه لم يتقاعد عن ان يحذّر من سيقوا الى بابل من الكفر ويحضهم على الاحتفاظ بدينهم كما يظهر من رسالته اليهم التي ذكرها باروك تلميذه وهي حرية بان تدون بحروف من ذهب فقد قال فيها (باروك فصل ٦) « انه لاجل الخطايا التي خطئتم امام الله يسوقكم نبوكدنصر ملك بابل الى الجلاء في بابل فاذا دخلتم بابل فستكونون هناك سنين كثيرة ... وسترون في بابل الهة من الفضة والذهب والخشب تحمل على المناكب وتلقي الرهبة على الامم فاحترزوا ان تتشبهوا بالغرباء وتأخذكم منهم رهبة واذا رأيتم الجموع امامها وورائها يسجدون لها فقولوا في قلوبكم لك يارب ينبغي السجود ... اما تلك فان لها السنة قد نحتها النجار وهي مغشاة بالذهب والفضة لكنها الهة زور لا تستطيع نطقًا يأخذ الناس لها ذهبًا كما يؤخذ لعذراء تحب الزينة ويصوغون اكاليل يجعلونها على رؤوس الهتهم وربما سرق الكهنة من الهتهم الذهب والفضة لمنفعة انفسهم ... يزينون الالهة بالملابس كالبشر ... وهي لا تسلم من الصدا والسوس وان كانت تلبس الارجوان ويمسحون وجوهها من غبار البيت المتراكم

عليها وفي يد كل منها صولجان كالحاكم على بلد لكنه لا يقتل من يجرم اليه وفي يمينه سيف وفاس لكنه لا ينجي نفسه من الحرب واللصوص... اذا نصبت في البيوت فعيونها تمتلئ غباراً من اقدام الداخلين ، ويختم كلامه قائلاً « ان الرجل الصديق الذي لا صنم له افضل لانه بمعزل عن العار »

ان الآثار التي وجدت في اشور وبابل جاءت مصداقاً لما قاله ارميا في تماثيل الآلهة الذهبية والفضية وفي حملها على المناكب وسجود الناس لها وفي قبضها على الصولجان والسيف والفأس ومن تاح له ان يرى المتحف البريطاني او متحف اللوفر في بريس وغيرها من متاحف اوربا لم يعترِ البتة في صحة مقال النبي لانه يرى ما يشذ عن العد من تماثيل هذه البلاد وصورها ونقوشها مطابقة وصف ارميا لها ونخص بالذكر منها صورة عثر عليها لايرد في نمرود تمثل اربعة الهة وآلهات محمول كل منها على مناكب اربعة من الكهنة او القواد الاشوريين (لايرد في آثار نينوى صفحة ٦٥)

﴿ عد ٣٤٢ ﴾

في طوبيا البار

كان طوبيا من سبط نفتالي ممن جلاهم ملك اشور الى بلاده قبل جلاء بني يهوذا الى بابل وقد افرد له الكتاب سفراً معنوناً باسمه اجمعت شواهد التقليد على ان طوبيا وابنه كتباه وقال القديس ايرونيموس انهما دوناه بالكلدانية لغة البلاد حيث كانا وقال بعض المدققين انهما كتباه بالعبرانية لغة موطنهما (فيكورو الموجز الكتابي عد ٥٢٢ و ٥٢٦) واليك خلاصة هذا السفر « كان طوبيا مذ صبوته يتقي الله ويسجد له في هيكل اورشليم واتخذ له امرأة من سبطه اسمها حنة وولدت له ابناً سماه طوبيا باسمه ولما جُلي مع امرأته وولده الى نينوى كان يصون نفسه من مآكل اهلها . ونال حظوة لدى الملك شلمناصر

فاطلق له ان يذهب حيث شآء ويفعل ما يريد فكان يطوف على من كانوا في الجلاء ويرشدهم بنصائح الخلاص واتى راجيس مدينة ماداي فرأى رجلاً من سبطه اسمه غابيلوس في فاقة فدفع اليه عشر وزنات من فضة كانت معه واخذ صكاً بها وبعد ان مات شلماناصر وملك سنحاريب ابنــه (كذا) مكانه وعاد مدحورًا من ارض يهوذا لتجديفه على الله وطفق يقتل كثيرين من بني اسرائيل كان طوبيا يدفن اجسادهم ونمى ذلك الى الملك فامر بقتله وضبط ماله فهرب طوبيا بولده وزوجته وبعد ان قتل سنحاريب ابناه عاد طوبيا الى منزله وردّ عليه كل ماله (فصل ١)

واستمرّ طوبيــا على عادته يدفن الموتى حتى في ايام افراحه وتعب من ذلك ذات يوم فرمى بنفسه الى جانب الحائط فوقع زرق من عش خطاف في عينيه وهو سخن فعمي وتحمل مصابه بالصبر الجميل مرشدًا امرأته وابنــه الى الاذعان لقضآء الله (فصل ٢) وضاقت نفس طوبيا يوماً فتوسل الى الله قائلاً مُرْ أن تقبض روحي بسلام لان الموت خير لي من الحياة وكان له ذو قرابة في راجيس اسمه رعوئيل وله بنت اسمها سارة تزوجها سبعة رجال فقتلهم الشيطان لتفرغهم لشهواتهم فعيرتها احدى جواري ابيها بقتل ازواجها فانفردت تصلي لله في ذلك اليوم نفسه ان يحلها من وثاق العار او يأخذها عن الارض فاستجيبت صلاتها وصلاة طوبيا لرفعهما في يوم واحد (فصل ٣) وقال طوبيا ان الرب استجاب صلاته وان اجله قريب فاستدعى ابنه واوصاه ان يتقي الله ويجانب كل اثم واعلمه انه اعطى غابيلوس في راجيس عشر وزنات من فضــة واخذ صكاً بها فلينظر كيف يتوصل اليه فيقبض منه المال ويرد اليه صكه (فصل ٤) وامره ان يلتمس رجلاً ثقة يصحبه باجرته ليستوفي ماله فاعدّ الله له ملاكه رافائيل بزي فتى بهيٍّ مشمّر كأنه متأهب للمسير وقال انه يعرف راجيس وغابيلوس

وتعهد لطوبيا انه يأخذ ابنه ويرده سالماً ودعا طوبيا لهما وسافرا (فصل ٥) فباتا اول منزلة في جانب نهر دجلة واراد طوبيا غسل رجليه فاقتحمه حوت وارتاع وصرخ فقال له الملاك خذ بخرشومه وشق جوفه واحتفظ بقلبه ومرارته فدخان القلب يطرد الشياطين والمرارة تبرئ العيون التي عليها الغشآء واتزله الملاك بعد بلوغهما واجاس على رعوئيل ابي سارة المشار اليها واعلمه انه من ذوي قرباه وانه غني وليس له الا سارة فلا بد لك أن تتخذها زوجة وامنَّه بانه اذا تزوجها وتفرغ معها للصلوات واحرق كبد الحوت فلا يمسه ضرّ كما اصاب من تزوجوها متفرغين لشهوتهم فكان للشيطان سلطان عليهم . (فصل ٦) وقد استقبلهما رعوئيل بالمسرة ولما عرف ان الشاب ابن طوبيا قبله بدموع وبكى على عنقه وطلب طوبيا اليه ان يزوجه سارة فتردد اولاً فامنّه الملاك فاخذ بيمين ابنته وسلمهما الى يمين طوبيا وباركهما وكتبوا عقد الزواج (فصل ٧) ولما دخل عليها فعل كما امره الملاك فاحرق فلذة من كبد الحوت وتفرغ مع عروسه للصلوات وظن رعوئيل انه يموت كباقي ازواج بنته فاعد القبر ليلاً وانفذ احدى الجواري فوجدت العروسين سالمين فشكر الله وطمر القبر واعطى طوبيا نصف ماله وكتب لابيه صكاً بالنصف الثاني يستولي عليه بعد وفاته ووفاة امرأته (ف ٨)

وسأل طوبيا رافائيل ان يذهب الى غابيلوس ويقتضي منه وزنات الفضة ويرد اليه صكه ويدعوه الى عرسه ففعل رافائيل واتى غابيلوس الى طوبيا ففرح به ودعا له (ف ٩) وقلق طوبيا الكبير وامرأته لابطآء ابنهما والحّ طوبيا الصغير على حميه لينصرف الى ابيه فاعطاه سارة ونصف امواله من غلمان وجوارٍ ومواشٍ وابل وبقر وفضة كثيرة وصرفه من عنده واوصى ابنته ان تكرم حمويها وتحب بعلها وتحفظ نفسها غير ملومة (ف ١٠) وعاد طوبيا ورافائيل

يصحبه ففرح ابوه وامه به وبرسه حتى بكيا من فرحهما واخذ من مرارة الحوت وطلى عيني ابيه ومكث مقدار نصف ساعة فبدأ يخرج من عينيه غشاوة كقرقئ البيض فامسكها طوبيا وسحبها من عينيه وللوقت عاد اليه بصره فمجد الله هو وذووه (ف ١١) وارادا ان يهبا رافائيل نصف ما جاء به طوبيا الصغير من عند حميه فاجابهما ان الصلاة مع الصوم صالحة وان الصدقة خير من ادّخار كنوز الذهب وكشف لهما انه رافائيل الملاك وانه كان يرفع الى الله صلاة طوبيا ومبراته بدفن الموتى وان الرب ارسله ليشفيه ويخلص سارة من الشيطان فارتاعا وسقطا على اوجههما على الارض فشجعهما الملاك وامنهما وارتفع عن ابصارهما فباركوا الله وحدثوا بآياته (ف ١٢) وسبح طوبيا تسبحته المثبتة في الفصل الثالث عشر من سفره وعاش بعد ان عاد بصيرًا اثنتين واربعين سنة ورأى بني حفدته فتمت سنوه مئة واثنتين ودُفن في نينوى وكان عمره حين ذهب بصره ستًا وخمسين سنة وعاد يبصر وعمره ستون سنة . ولما حضرته الوفاة دعا ابنه طوبيا وابناءه السبعة وقال لهم قد دنا دمار نينوى لان كلام الرب لا يذهب باطلاً واخوتنا الذين تفرقوا من ارض اسرائيل يرجعون اليها وبيت الله الذي أُحرق فيها سيستأنف بناؤه وانتم لا تقيموا هنا بل اي يوم دفنتم والدتكم معي في قبر واحد اخرجوا من هذا الموضع وقضي اجله واستمر طوبيا الصغير في نينوى الى ممات امه وارتحل عنها بزوجته وبنيه وبني بنيه ورجع الى حمويه فوجدهما سالمين وبعد موتهما احرز كل ميراث بيت رعوئيل ورأى بني بنيه الى الجيل الخامس واستوفي تسعًا وتسعين سنة من عمره بمخافة الرب ودفن بفرح (ف ١٤)

فهذا ملخص سفر طوبيا ولا يرى المطالع اشكالاً في ادراكه كما لخصناه مع ان فيه مشكلين رابكين مصدر احدهما اختلاف الروايات في نسخ هذا السفر

لا سيما في تعيين السنين ومصدر الثاني توفيق هذه السنين مع ما كشفت عنه الآثار الاشورية وقد طالعنا في المجلة الموسومة بالتمدن الكاثوليكي (في نشرتيها المؤرختين في ٤ تموز و ١ آب سنة ١٨٩١) فصلين مشبعين في هذا المبحث فنلخصهما كما يأتي

قد اختلفت النسخ في تعيين السنة التي فقد طوبيا بصره ففي الترجمة الايطالية القديمة ان عمره كان يومئذٍ ٥٤ سنة وفي الترجمة اللاتينية العامية ٥٦ سنة وفي اليونانية الواتيكانية ٥٨ سنة وفي الكتاب القديم المأتى به من سينا ٦٢ سنة وفي الكتاب المأتى به من الاسكندرية والترجمة السريانية التي اذاعها فابيانوس ٨٨ سنة . وجاء في الترجمتين العامية والسريانية التي في الجامعة (الكتاب بلغات عديدة) ان جملة سني حياته مئة وستان كما ذكرنا ولكن في الترجمة العربية والكتاب المأتى به من سينا والترجمة الايطالية ١١٢ سنة وفي السريانية التي اذاعها فابيانوس ١٣٢ وفي الترجمة الارمنية ١٥٠ سنة وفي الكتابين الواتيكاني والاسكندري ١٥٨ سنة ومثل هذا التباين في تعيين عمر طوبيا الصغير ففي اللاتينية العامية ٩٩ سنة كما روينا وفي النسخة السريانية ١٠٧ سنين وفي الايطالية والكتاب السيناوي ١١٧ سنة وفي الكتابين الواتيكاني والاسكندري والترجمة الارمنية ١٢٧ سنة حتى جعل هذا التباين كلمت يصرح بيأسه من تحقيق مدة عمر طوبيا واكتفى جافيوس ان يعتمد على اللاتينية وحدها

والمعضلة الكبرى انما هي في توفيق هذه السنين مع ما كشف عنه بالآثار الاشورية فقبل هذه الاكتشافات قل ما لقي بعض المفسرين اشكالاً في تفسير هذا السفر الا في الآية الـ ٧ من الفصل الـ ١٤ حيث قيل « وبيت الله الذي احرق فيها سيستأنف بناؤه » والهيكل لم يكن احرق عند موت طوبيا فتأول الحجري أحرق الفصل الماضي بمعنى سيحرق في المستقبل كما جاء في بعض النسخ

اليونانية وكانوا يظنون وقتئذٍ ان خراب السامرة وجلاء بني اسرائيل الى نينوى كان في آخر مدة سلمناصر وان سنحاريب خلف سلمناصر دون متوسط بينهما فيتهيأ لهم توفيق هذه السنين ولكن جاءَت الآثار تبين ان سلمناصر ابتدأ حصار السامرة لكن سرغون هو الذي فتحها وان سرغون ملك سبع عشرة سنة بعد سلمناصر ثم خلفه ابنه سنحاريب واستمر على منصة الملك اربعاً وعشرين سنة وهو الذي امر بقتل طوبيا وضبط ماله فاختبأ ولم يظهر الا بعد ان قتل سنحاريب اباه فاذا اضفنا سني سرغون السبع عشرة الى سني سنحاريب الاربع والعشرين كان المجموع احدى واربعين سنة ولزم منه ان يكون طوبيا أُجلي وعمره خمس عشرة سنة لانه عمي وعمره ست وخمسون سنة والكتاب يقول انه كان متزوجاً وله ولد وكان يمضي الى اورشليم ويقدم بواكيره واعشاره في كل ثلث سنين واني يصدق هذا على حدث عمره خمس عشرة سنة

فكاتب الفصلين في المجلة التمدن الكاثوليكي عني بالتوفيق بين روايات ترجمات هذا السفر على اختلافها وبين ما جاءَت به الآثار مثبتاً ان طوبيا أُجلي وعمره نحو من عشرين سنة وان اقامته بعد الجلاء لم تكن في مدينة نينوى نفسها بل في موضع آخر من بلاد اشور وان سفر الملوك الرابع ناطق بان المجلوين من بني اسرائيل اقاموا في انحاء عديدة وانه لم يكن عند جلائه متزوجاً بل تزوج في بلاد اشور وولد طوبيا قبل ان ينتقل الى نينوى وان هذا ظاهر من بعض الروايات ولا يخالف الترجمة اللاتينية العامية اذ جاء فيها (ف ١ ع ١٤) « ولما جلا مع امرأته وولده الى مدينة نينوى (لا الى بلاد اشور) حيث كانت كل عشيرته » وعليه فقال في طريقة توفيقه ان طوبيا ولد سنة ٧٤٣ ق م وأُجلي سنة ٧٢٢ عند دمار السامرة وله من العمر عشرون او احدى وعشرون سنة في السنة الاولى لسرغون فاتح السامرة واقام في موضع خارج عن نينوى اثنتي عشرة

سنة وتزوج سنة ٧١١ وولد له طوبيا سنة ٧١٠ ق م وهي السنة الثالثة عشرة لسرغون وحينئذٍ جُلي الى نينوى ونال حظوة عند سرغون فاطلق له ان يذهب حيث يشآء فمضى وقتئذٍ الى راجيس واقرض غابيلوس الفضة وبقي على ذلك اربع سنين او خمساً من مدة سرغون واربعاً وعشرين سنة مدة ملك سنحاريب وعمي للسنة الاولى من ملك ابنه اشرحدون وهي سنة ٦٨١ ق م اذ كان له من العمر اثنتان وستون سنة ورُدَّ عليه بصره سنة ٦٧٧ ق م اي بعد اربع سنين وعمره ست وستون سنة وعاش مئة واثنتي عشرة سنة كما في الترجمة العربية والايطالية وفي الكتاب المأتي به من سينا مخطوطاً في منتصف القرن الرابع للميلاد فيكون قد عاش بعد زواج ابنه ستاً واربعين سنة وهي كافية ليرى بني حفدته كما قال الكتاب ويكون مات سنة ٦٣١ قبل خراب نينوى بست سنين على القول انها خربت سنة ٦٢٥ او بخمس وعشرين سنة على القول انها خربت سنة ٦٠٦ وعلى كلا القولين يصدق مقال طوبيا لابنه ان قد دنا دمار نينوى كما جآء في الكتاب ولما كان طوبيا الصغير ولد سنة ٧١٠ كما مرَّ ومرَّت عليه خمس سنين من ملك سرغون واربع وعشرون سنة مدة ملك سنحاريب واربع سنين مدة عمي ابيه كان زواجه بسارة وعمره ثلاث وثلاثون او اربع وثلاثون سنة اي سنة ٦٧٧ ق م . وجآء في الترجمة اليونانية انه شهد خراب نينوى سنة ٦٢٥ او سنة ٦٠٦ فيكون عمره حينئذٍ ستاً وثمانين او مئة وخمس سنين ومات سنة ٥٩٤ ق م فيكون جملة عمره مئة وسبع عشرة سنة كما في الترجمة الايطالية والكتاب المأتي به من سينا ويكون عاش بعد زواجه ثلاثاً وثمانين سنة وهي كافية ليرى بنيه الى الجيل الخامس كما قال الكتاب

فكاتب الفصلين في المجلة المذكورة اعتمد في هذا التوفيق على بعض الترجمات والكتاب المأتي به من سينا مخالفاً الترجمة اللاتينية العامية كما رأيت .

وقد ابان وابنا نحن ان مثل هذه الاعداد ليست من المتقد بشيء وانه كثيرًا ما عُثر على اغلاط فيها . وانه وقع مثل هذا الخطأ في تسمية الملك الذي جلا طوبيا سلمناصر وهو سرغون ومثله تسمية ملك الميلاميين في سفر يهوديت ارفخشاد وهو فرادرتي وتسمية اشور بانيبال فيه بختنصر . وتسمية شيا كسر بن استياج في سفر دانيال بداريوس المادي وهلمَّ جرًا

﴿ عد ٣٤٣ ﴾

في دانيال النبي

كان من جملة من جلاهم بختنصر في غزوته الاولى في فلسطين اربعة شبان وهم دانيال وحنانيا وميشائيل وعزريا وقد اعتاد ملوك اشور وبابل ان يختاروا ممن جلوهم شبانًا من ذوي الحسب ويقيموهم مع شبان كبراء مملكتهم لتلقي العلوم وتعلم لغة بلادهم ويجروا لهم رزق كل يوم في مدة تعلمهم في مدارس القصر الملكي . وهذا لم يكن لنا عليه قبلاً دليل الا بما جاء في نبوة دانيال (ف ١) الا انه بعد اكتشاف مكتبة اشور نبيال الخزفية توفرت البينات عليه فان قسمًا كبيرًا من هذه الكتب المكتوبة على الآجرّ كان معدًا لطلبة مدرسة القصر الملكي واساتذتها فبينها كثير من كتب نحو اللغة ومعجماتها وعلوم التاريخ والمراقبات الفلكية وصفائح لتمرين الطلبة ولوح لتعليم اميرة شابة حروف اللغة الاشورية وقرأتها وهذا اللوح محفوظ الان في المتحف البريطاني والواح اخرى كالتي نستعملها الان في مدارسنا . وقد انبأتنا صفيحة لسنحاريب (هي المعروفة بصفيحة بلبنيو على ما روى سميت في تاريخ سنحاريب صفحة ٢٧) ان مدرسة القصر الملكي كانت تنظم في سلك تلامذتها طلبة من غير المملكة فقد قال سنحاريب ثمه « ان بليبني ابن رجل حكيم من جوار سوانا (بابل) الذي كان تلقى العلوم وهو شاب في مدرسة قصري اقمته ملكًا على

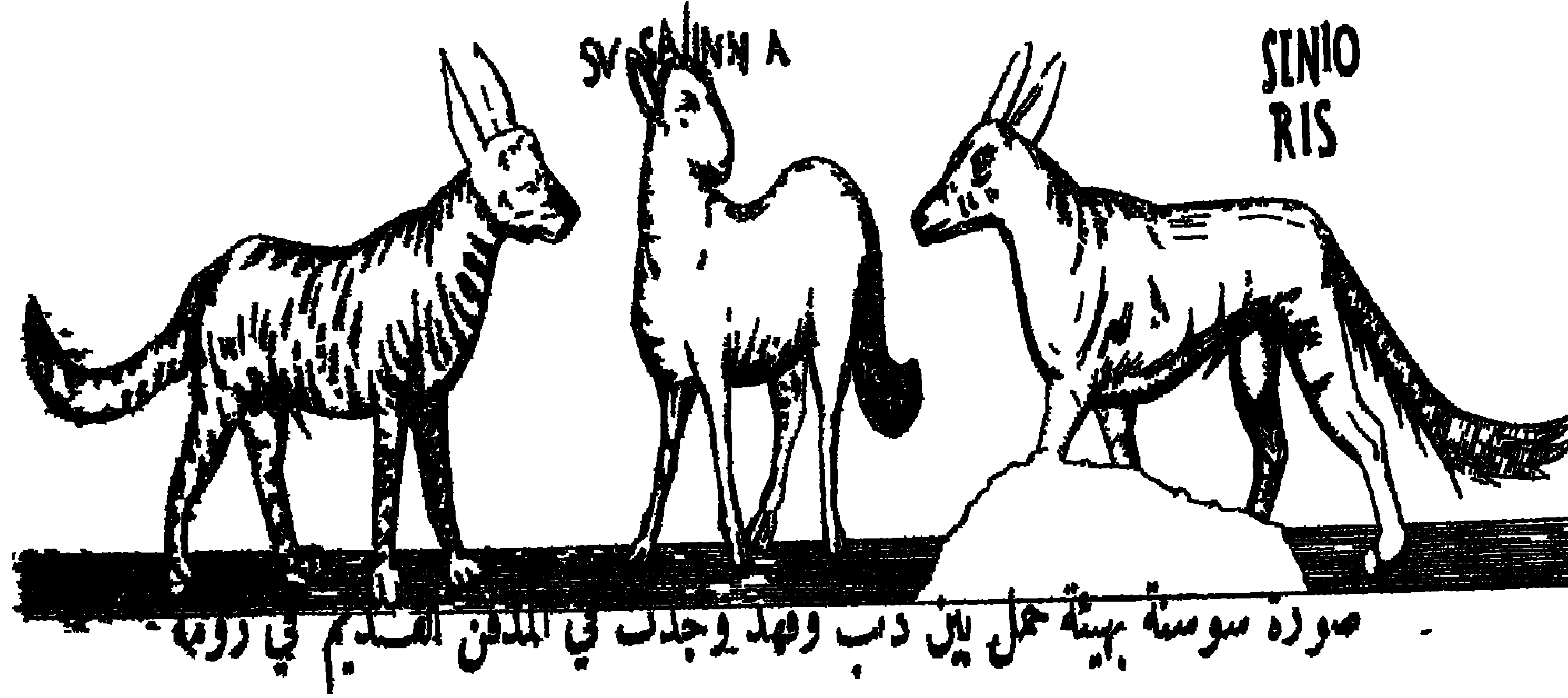
سوميرو واكّد ، فكذلك أختير دانيال ورفقاؤه الثلاثة ليتعلموا علوم الكلدانيين مع ابناء اشرافهم في مدرسة القصر الملكي وغيّر رئيس الخصيان اسماءهم فسمى دانيال بلشصر وحنانيا شدرك وميشائيل ميشك وعزريا عبد نجو (او الاحق عبدنبو احد كبار الهة الكلدان) وكان تغيير الاسم مألوفاً عندهم فقد رأينا ملك مصر سمى الياقيم يوياقيم وبختنصر غيّر اسم متنيا ودعاه صدقيا واشوربانيبال غيّر اسم بساميتيك ودعاه نبوسيزباني

ان الشبان اليهود الاربعة ابوا ان ياكلوا من طعام الملك وان يشربوا من خمر شرابه تمسكاً بسنة موسى واسترضوا رئيس الخصيان المقام على المدرسة ليتركهم وشأنهم وكانوا يقتاتون بالقطاني ونبغوا في علومهم وفاقوا اترابهم حتى لم يجد الملك عند امتحانه الطلبة من مثيل لهم في صفوفهم وحاز دانيال قصبات السبق على جميعهم (نبوة دانيال ف ١)

عد ٣٤٤

في دانيال وسوسنة

قد ذاع اسم دانيال اولاً بفصله الحادثة التي ذكرت في ذيل سفر دانيال وحقها من حيث الزمان ان تذكر بعد الفصل الاول من هذا السفر وهي ان امرأة اسمها سوسنة زوجة يهودي يسكن في بابل اسمه يوياقيم كانت بديعة بجمالها متفردة بتقواها وكان ملوك بابل يبيحون من جلوهم ان يتخذوا قضاة يفصلون دعاويهم المذهبية وكان بنو اسرائيل اقاموا وقتئذٍ للقضاء شيخين اثنين فكانا يترددان الى بيت يوياقيم فيأتيهما كل ذي دعوى وكانت سوسنة تدخل عند الظهر حديقة لزوجها تتمشى بها والشيخان يريانها وقد كلفا بجمالها فدخلت يوماً على عادتها الحديقة وكان الشيخان اختبآ فيها وكان الحر شديداً فارادت سوسنة ان تغتسل وارسلت جاريتيها لتأتياها بدهن وغسول وامرتهما



صورة سوسنة بهيئة حمل بين ذئب وفهد وجدت في المدفن القديم في رومية المعروف بمدفن القديس سيستوس صفحة ٥٥٩

باغلاق باب الحديقة فوثب الشيخان عليها وصرحا بما في نفسهما وتهدداها بانها اذا لم تطاوعهما شهدا عليها بانها كانت مع شاب غيرهما ولذلك ابعدت الجاريتين فتنهدت سوسنة وقالت خير لي ان اتحمل ما يكون من تهتكما ولا اخطأ امام الرب وصرخت بصوت جهير فصاح الشيخان عليها واسرع احدهما ففتح ابواب الحديقة فتراكض اهل البيت ليروا ما وقع لها . وفي الغد اجتمع الشعب في بيت رجلها فطلب الشيخان ان تشخص سوسنة امامهما وقاما في وسط الشعب ووضعا ايديهما على رأسها وشهدا عليها بانهما رأياها وشاباً متعانقين فبكى اهلها وجميع معارفها ورفعت هي طرفها الى السماء باكية متوكلة على الرب فصدق المجمع الشيخين القاضيين وحكموا عليها بالموت . وبين كانت تساق الى الموت التقاهم دانيال فصرخ بصوت عظيم قائلاً انا بريء من دم هذه فالتفت الشعب كله اليه فقال أهكذا انتم اغبياء يا بني اسرائيل حتى تقضوا على بنت اسرائيل بغير تحقيق ارجعوا الى القضاء فرجعوا وقال فرّقوا بين الشيخين ودعا احدهما وسأله تحت اية شجرة رأيت هذه المرأة والشاب يتحدثان فقال تحت الضروة ثم استدعى الاخر وسأله تحت اية شجرة رأيتهما فقال تحت السنديانة فافتضح كذبهما فقام عليهما المجمع وصنعوا بهما كما نويا ان يصنعا بالمرأة عملاً بما في سنّة موسى فقتلوهما وخلص الدم الذكي وكان في هذا الامر الفخر لدانيال كما كان لسليمان في قضائه بين المرأتين المتداعيتين على ابن في ايامه

قد وجدت سنة ١٨٤٩ في رومة في المقبرة المحاذية كنيسة القديس سيستوس صورة قديمة تمثل سوسنة بهيئة نعجة صغيرة قائمة بين ذئب ونمر يراد بهما الشيخان وقد كتب فوق رأس النعجة سوسنة وفوق رأس الذئب الشيخ واليك مثالاً لهذه الصورة . وقد ذهب كثيرون الى ان تاريخ سوسنة

كتبه دانيال والحقه بسفر نبوته ولكن ليس لهذا المذهب دليل راهن ولا حجة قاطعة بل يؤخذ من هذا التاريخ ما يخالف زعم القائلين به واولى منه بالصحة ما ذهب اليه كرنيلوس الحجري وهو ان كاتب هذا التاريخ يهودي نجهل اسمه وقد كتبه في آخر مدة الجلاء البابلي او بعد صدور امر قورش بعود بني اسرائيل الى اوطانهم وكتب اصله في الارامية او العبرانية على الارجح لا في اليونانية كما وهم بعضهم وان كانت اقدم ترجماته ترجمتان يونانيتان احداهما لثاوادوسيون الذي كان في القرن الثاني للميلاد وعنها ما في الترجمة اللاتينية العامية والثانية في الترجمة السبعينية وقد وجدت نسخة قديمة منها في رومة في مكتبة الامير كيجي خطت في القرن الحادي عشر للميلاد وطبعت في رومة سنة ١٧٧٢ ثم وجدت نسخة اخرى منها في المكتبة الامبروسية في ميلان في كتاب قديم سرياني استرنكالي خطّ في القرن الثامن او التاسع وقد طبع بوكاتوس هذه النسخة في ميلان سنة ١٧٨٨ مع ترجمتها الى اللاتينية وقد اثبت كثير من العلماء الكاثوليكيين ان النسختين السبعينية والثاوادسيونية ليستا الا ترجمتين عن الاصل العبراني او الكلداني الى اليونانية واعتقدت الكنيسة الكاثوليكية وآباؤها وعلماؤها ان تاريخ سوسنة جزء من اسفار الكتاب المقدس القانونية خلافاً ليوليوس الافريقي وبرفير والبروتسطنت ومن رام الاطلاع على الحجج المثبتة قانونية تاريخ سوسنة على مزيد اسهاب في ما قدمناه فليطالع كتاب الاب فيكورو الموسوم بمسائل شتى كتابية (Melañges Bibliques) من صفحة ٤٦٦ الى ٤٨٨ طبعة ٢

عد ٣٤٥

في حلم بختنصر وتعبير دانيال له

لما كان دانيال نلقى العلوم في مدرسة بختنصر وذاع صيت حكمته كان

مقربًا الى حاشية الملك وكان ان بختنصر حلم احلامًا انزعجت نفسه بها وهي انه رأى في حلمه تمثالاً عظيمًا رأسه من ذهب خالص وصدره وذراعاه من فضة وبطنه وفخذاه من نحاس وساقاه من حديد وقدماه بعضهما من حديد وبعضهما من خزف ورأى ان قد انقطع حجر لا باليدين فضرب التمثال على قدميه وسحقهما فانسحق التمثال كله من حديد وخزف ونحاس وفضة وذهب وصارت كعفي البيدر في الصيف وذهبت بها الريح حتى لم يوجد لها مكان اما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلاً كبيرًا وملأ الارض . ولما اصبح الملك ذهب عنه منامه ولم يتذكره فاستدعى السحرة والمجوس والعرافين والكلدانيين ليعرفوا حلمه ويأتوه بتعبيره فاعتذروا بانهم لا يعرفون ما حلم الملك فانّى لهم الاتيان بتعبيره فقال الملك انه امر امرًا لا يُرد اما بان يبينوا له حلمه وتعبيره ولهم منه الهدايا والجوائز واما انه يقطعهم قطعًا ويجعل بيوتهم مزابل . فقالوا ليس انسان على الارض يستطيع ان يعلم ما حلم الملك ما خلا الآلهة الذين لا سكنى لهم مع البشر فغضب الملك وحنق جدًا وامر باستئصال جميع حكماء بابل وبوشر في تنفيذ امر الملك وطلب دانيال واصحابه ليقتلوا فسأل دانيال اريوك الذي سلطه الملك على تنفيذ القضاء لِمَ هذه القسوة من قبل الملك فاعلمه بالامر فدخل دانيال على الملك وسأله ان يمهله زمانًا فيعبر له حلمه فامهله فاعلم دانيال اصحابه حننيا وميشائيل وعزريا وعكفوا على الابتهال لله ليكشف لهم عن حلم الملك وتعبيره فكُشفَ السر لدانيال في رؤيا ليل فبارك الله ومضى الى اريوك فادخله على الملك فقال دانيال ان السر الذي يسأل عنه الملك لا يستطيع الحكماء بيانه لكن في السماء الهًا يكشف الاسرار وقد شاء ان يعلم بختنصر بما سوف يكون في اخر الايام وقص على الملك حلمه كما رآه وكما رويناه وقال اما رأس التمثال الذي من ذهب فيعبّر عنك انت ايها الملك ملك الملوك الذي

آتاك اله السماء الملك والقدرة والسلطان والمجد . واما كون صدره وذراعيه من فضة فعبارة عن مملكة اخرى تكون بعدك اصغر منك وكون بطنه وفخذيه من نحاس عبارة عن مملكة ثالثة من نحاس تتسلط على الارض وكون ساقيه من حديد عبارة عن مملكة رابعة تكون صلبة كالحديد لان الحديد يسحق ويطحن كل شيء واما كون قدميه واصابعه بعضها من حديد وبعضها من خزف فاشارة الى ان هذه المملكة يكون بعضها صلبًا كالحديد وبعضها قصفًا كالخزف واما الحجر الذي انقطع من الجبل وسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب فعبارة عن ان اله السماء سيقيم في آخر ايام هذه الدول مملكة لا تزول الى الابد والمراد بهذه الممالك دولة بختنصر وخلفائه ثم دولة ملوك مادي وفارس ثم دولة اليونان اي اسكندر الكبير وخلفائه ثم دولة الرومانيين وتليها مملكة المسيح الابدية . ولما سمع بختنصر كلام دانيال خرّ على وجهه ساجدًا له واعطاه هدايا عظيمة كثيرة وسلطه على جميع اقليم بابل وجعله رئيس الولاة على جميع حكماء بابل وولى شدرك وميشك وعبد نبو اصحاب دانيال على اعمال بابل وكان دانيال في باب الملك (دانيال ف ٢)

جاءت آثار الكلدانيين وما عُلم من عاداتهم مصداقًا لما جاء في سفر دانيال فكان للاحلام عندهم وعند الاشوريين اهمية لا اقل من اهميتها عند المصريين كما رأيت في احلام فرعون ورئيس السقاة ورئيس الخبازين التي عبرها يوسف والبينات على صحة ذلك عند الكلدان اكثر من ان تورد فنجتزئ منها بما يأتي قال ديودور الصقلي (ك ٢ ف ٢٩) « ان الكلدانيين كانوا يعتبرون الاحلام كالمعجزات ويعبرونها كالنبوات وكان لهذا التعبير عندهم اصول وضوابط كان العلم بها معدودًا من جملة علومهم » وقد وجد في مكتبة اشور بانيبال التي كشف عنها في نينوى كتاب في تعبير الاحلام انطوت صفحاته على كثير منها وعلى

احداث عديدة دلت عليها وقد نشر بعضهم ترجمة صفيحة منها فكان معناها « اذا رأى انسان في الحلم ذكراً ... او رأى كأن جسم كلب ... او رأى كأن جسم دب وله ارجل حيوان آخر او جسم كلب وله ارجل حيوان آخر او رأى كأن الاله نكستو يطلب ميتاً ويؤسف على ان الصفيحة الخزفية محطمة لا يعلم منها كيف يكون تعبير هذه الروءيات . وكانت النساء في بابل ينمنَ في هيكل زربانيت احدى معبودات الكلدان ليحلمنَ احلاماً يقصصنها على المنجمين فينبئونهنَّ بما سيكون لهنَّ . وجاء في تاريخ اشور بانيبال عن آثاره المسمارية ان تيومان ملك عيلام سأله ان يسلم اليه بعض امراء اسرته الذين كانوا تحالفوا عليه وفرّوا الى مملكة اشور فابى اشوربانيبال تسليمهم فاثار تيومان الحرب عليه ولم يتشاءم بكسوف الشمس الذي حصل وقتئذٍ ولجأ اشور بانيبال الى استار آلهة اشور يستمدُّ اسعافها فتقبلت صلاته واعلمته ان لا يخشى سوءاً وافاضت السرور على قلبه وحلم تلك الليلة احد العرافين حلماً كأن استار تبدت له وبيدها حربة وقد ركبت مركبة بهية وكأنها تقول لاشور بانيبال هلمَّ الى ما قدام فالمجال فسيح فحارب تيومان وقهره (رواه لانرمان في كتابه العرافة عند الكلدان صفحة ١٣٧) وكل هذا مؤيد لاهمية الاحلام عند الكلدان كما روى دانيال

ثم ان دانيال ذكر رتب الحكماء عند الكلدان وسماهم سحرة ومجوساً وعرافين والكتب السحرية التي كشف عنها في مكتبة اشور بانيبال جاءت مبينة رتب كل من هؤلاء ووسائل عرافته (رواه لانرمان في كتابه المذكور صفحة ١٣) وذكر دانيال ايضاً رئيس الشرط وهو في الاصل « رب توبع حيا » وتأويله كبير المنتقمين او منفذي القضاء بالقتل . وقد اكتشف سميث في نمرود صفيحة خزفية يمثل فيها احد هولاء المنفذين وفي يمناه خنجر ويسراه على وتر

قوس معلق على ظهره . وقد سمى دانيال هذا الرئيس اريوك فكأنه في الكلدانية ܐܪܝܟܐ (اريخا) ومعناه الطويل وقد ورد هذا الاسم كثيرًا في اثار بابل فهو عَلَم منقول عن الصفة . وقد ابانت هذه الاثار ايضًا ان بختنصر كان مولعًا بالتماثيل وهذا يظهر من اقامته التمثال الاتي ذكره ومن اقوال المؤرخين القدمآء ايضاً وكان لجيران الكلدانيين مثل هذا الولوع في التماثيل فقد روى اشور بانيبال في احدى اسطواناته انه اخذ من جملة غنيمته من بلاد عيلام ، اثنين وثلاثين تمثالاً ، وان بعضها كان من ذهب فكل هذه القرائن مؤيدة لما جآء في كلام دانيال

عد ٣٤٦

تمثال بختنصر وطرح حننيا وميشائيل وعزريا في الاتون

جآء في سفر دانيال (فصل ٣) ان بختنصر الملك صنع تمثالاً من ذهب طوله ستون ذراعًا وعرضه ست اذرع ونصبه في بقعة دورا باقليم بابل ودعا الاقطاب (سادة القوم الذين يدور عليهم امرهم) والولاة والحكام والقضاة والخزان والفقهاء والمفتين وسائر امرآء الاقاليم فاتوا لتدشين التمثال وهتف منادٍ بصوت شديد قد أُمرتم ايها الشعوب والامم والالسنة بانكم اذا سمعتم صوت القرن والانبوب والقيثار والونج والسنطير والمزمار وسائر انواع المعازف لزمكم ان تخرُّوا ساجدين لتمثال الذهب الذي نصبه الملك ومن لا يخرّ ساجدًا فمن ساعته يلقى في اتون نار متقدة فكان كذلك ولم يخرّ حننيا وميشائيل وعزريا للتمثال فوشي بهم قوم من الكلدانيين قائلين للملك ان رجالاً من اليهود وليتهم على اعمال بابل وهم شدرك وميشك وعبدنجو لم يعبأوا بامرك ولم يسجدوا للتمثال الذي نصبته فحنق الملك وامر باشخاصهم لديه وهددهم بانه يلقيهم في اتون النار المتقدة ان لم يسجدوا للتمثال فاجابوه لا نقدر ان نجاريك

على هذا والهنا الذي نعبده قادر على انقاذنا من الاتون ومن يدك وهبه لا ينقذنا فلا نسجد لتمثال الذهب فامتلأ بختنصر حنقاً وامر ان يحمى الاتون سبعة اضعاف واوثقوا شدرك وميشك وعبدنجو في سراويلاتهم واقمصتهم وارديتهم والقوهم في وسط اتون النار المتقدة فقتل لهيب النار من القوهم وكان عبيد الله يتمشون في وسط اللهيب مسبحين ومصلين له ولم يزل عبيد الملك يوقدون الاتون بالنفط والزفت والمشاقة والزرجون حتى ارتفع لهيبه تسعاً واربعين ذراعاً وانتشر واحرق من كان من الكلدانيين حوله ونزل ملاك الرب وطرد لهيب النار عمن كانوا فيه وجعل في وسط اللهيب ريحاً فلم تمسهم النار ولم تزعجهم فسبحوا الرب تسبحتهم المثبتة في الفصل الثالث من سفر دانيال واندهش بختنصر وقال لعظمائه ألم نكن نلقي ثلثة رجال في الاتون وهم موثوقون فكيف اراهم اربعة يتمشون في وسط النار ومنظر الرابع يشبه ابن اله واقترب من باب الاتون ما امكن وناداهم ان اخرجوا وهلموا فخرجوا ورأى الملك وعظماؤه انهم لم تمسهم مضرة من النار ولم تحترق شعرة من رؤوسهم ولا تغيرت سراويلاتهم فقال بختنصر تبارك الرب الذي ارسل ملاكه وانقذ من توكلوا عليه وغايروا كلمة الملك آمنين وامر ان كل شعب او امة او لسان تفوه بتجديف على اله شدرك وميشك وعبد نجو يقطعون قطعاً ونجعل بيوتهم مزابل فانه ليس اله آخر يستطيع ان ينجي هكذا واثبت شدرك وميشك وعبد نجو على اعمال بابل

فهذا ما جاء في الكتاب ولا ذكر فيه لدانيال في هذه الحادثة فيظهر انه لم يشهد تدشين التمثال تعمداً او لعذر ولننظر بما تؤيده الآثار الكلدانية والاشورية فقد مرَّ انفاً ذكر ولوع الكلدان والاشوريين بالتماثيل وقد كشف لايرد في نمرود عن تمثال اشور بانيبال ووجد هناك ايضاً تمثال للاله نبو وتمثال سلمناصر

الثاني وكل هذه التماثيل في المتحف البريطاني هذا في بلاد اشور واما في بلاد الكلدان فقد كشف سريك في اطلال تل لوح من سنة ١٨٧٦ الى سنة ١٨٨١ عن عشرة تماثيل وهي الان في متحف اللوفر في بريس وكانت هذه التماثيل تدشن باحتفآء في بلاد الكلدان فتحمل على مناكب الكهنة يحدق بهم الوف مؤلفة من الشعب وكانوا يدشنونها في ايام الاعياد فقد وجدت صفيحة لبختنصر كتب عليها . انا اخذت كثيرًا من كنوز البلاد وجعلتها حول المدينة كزينة لها يوم رفع هناك الامير الالهي اله السمآء والارض الرب الاله في عيد ليلموكو في رأس السنة في اليوم الثامن والحادي عشر ويحمل بصنوف التبجيل تمثال ايلو (او عليو العلي) جمال العالم وتطرح الكنوز امامه . وقد اعتاد الكلدان عمل تماثيل ثمينة وكبيرة فروى ديودو الصقلي (ك ٢ ف ٩) انه كان في احد اهرام بابل ثلاثة تماثيل من ذهب مع مذابحها وتوابعها وكان فيها من الذهب ٥٨٥٠ وزنة وهي عبارة عن مئة وثلاثة واربعين الف وخمس مئة وتسعة وخمسين كيلوغرام قيمتها من نقود ايامنا اربع مئة وثلاثون مليوناً وست مئة الف وسبعة وسبعون الف فرنك . وقد وجد في مكتبة اشور بانيبال لوح هو الان في المتحف البريطاني كتبت عليه شكاية للملك بسرقة مقدارٍ من الذهب المعد لصنع تمثال واليك ترجمة هذه الشكوى . الى مولاي الملك من عبده عبدنبو السلام للملك مولاي وليمنح اشور وشمش وبعل وزربانيت ونبو وتسميت وإستار نينوى وإستار اربل الالهة العظام المقتدرون مئة عام من العمر لمولاي الملك ويزيدوا في ارتقائه ورفاهه ورفاه بنيه ان الذهب الذي دفعه اليَّ المستشار المقرب ورئيس القصر في شهر تشرين وقدره ثلث وزنات ذهب خالص واربع وزنات ذهب خالص قد وقع في يد رَب دانينو (لقب لاحد العمال) وهو معد لعمل لتمثال الملك وامه ولم يدفع الى العملة فليصدر امر مولاي الملك الى المستشار

المقرب ورئيس القصر ان يستردا الذهب ويدفعاه من الان الى شهر الى الجند وان يدققا في الامر » (رواه لانرمان في كتابه الموسوم بالعرافة عند الكلدان صفحة ١٩٢) فسبع وزنات من ذهب قيمتهـا ٦٣٦٣٠٠ فرنك . وكشف عن لوح اخر كتب عليه ان اشوربانيبال صرف اربع وزنات ذهب لصنع صورتي مروداخ وزربانيت مع ملابس ذهبية لهما ورصعها بحجارة ثمينة وقيمة السبع الوزنات من ذهب ٣٦٣٦٠٠ فرنك فبختنصر اخذ من مصر وسورية من الذهب ما لا يعده عادٌّ وشهد باروز (فقرة ٤ من تاريخ اليونان) انه بذل اكثره في تجميل المعابد . فلا عجب اذًا من صنعـه تمثالاً من ذهب طوله ستون ذراعًا وعرضه ست اذرع هذا ولا يلزم منه ان يكون التمثـال برمته من ذهب بل يحتمل ان كان من خزف مغشى بصفائح من ذهب وعليه فلا وجه للتكذيب بآيات الكتاب

واما دورا حيث اقيم التمثال فتسمى الى اليوم بهـذا الاسم وهي على ثمانية كيلومترات في الجنوب الشرقي من بابل فهنالك اكات تسمى تلول دورا ومنها تل يعرف بالتل المخطط وهو مشرف على الجهات الاربع وفي اعـلاه اطلال من الاجرّ وكل من زاره حمل على الظن انه هنالك اقام بختنصر التمثال الذي ذكره دانيال هذا ما قاله اوبر واختتم كلامه (في كتابه الموسوم بالبعث الى ما بين النهرين مجلد ١ صفحة ٢٣٩) قائلاً « ان المبعوثين من افرنسة الى ما بين النهرين ان لم يكونوا وجدوا تمثال بختنصر الذهبي (وقد شاع بين اهل تلك البلاد انهم وجدوه) فلا اقل من ان يكون قد تيسر لهم تعيين محـل نصبه »

ان الاثار الكلدانية تؤيد ما جاء في سفر دانيال من وجه آخر وهو ان آلات الطرب والموسيقي التي ذكرها دانيال نجد صورها او ذكرهـا في الاثار

البابلية وقد عدَّ النبي ستاً منها وهي « القرن والانبوب والقيثار والونج والسنطير والمزمار » فالقرن (Trompette) ترى صورته على احدى صور سنحاريب ذكرها لايرد (في آثار نينوى صفحة ١٥) وهي في المتحف البريطاني وهو مستقيم واشبه بالقرن الروماني المصور على عمود ترايانوس في رومة والانبوب (Flûte) نجد صورته في كثير من الآثار الكلدانية ولا سيما في الصورة التي ذكرها لايرد (في كتابه في بابل ونينوى صفحة ٤٥٥) وكان مضاعفاً عند الكلدان كما كان عند اليونان والرومانيين . ثم القيثار (Cithare ou Harpe) نرى صورته في آثار اشور القديمة وكانت اوتاره ثمانية الى عشرة ونراه في الصور المتأخرة ذا سبعة عشر وتراً . ومن صوره الصورة التي وجدها سرسك في تل نوح تمثل موسيقياً يضرب بيمناه قيثاراً ذا احد عشر وتراً يحمله بيسراه والونج (Sambuca) نوع اخر من القيثار على الارجح ولم يكن فيه الا اربعة اوتار ولا يؤدي الا الاصوات المدودة وتجد هيئته في الآثار الكلدانية . والسنطير (Psalterion) آلة ذات عشرة اوتار وكان يُبسط على صندوق مجوف مثقوب ثقوباً عديدة وترى هيئته في صورة لاشور بانيبال ذكرها لايرد (في كتابه في نينوى وبابل صفحة ٤٥٤) واما المزمار (Symphonie) فيختلف في هيئته وقال بعضهم انه نوع من الارغن والآثار الكلدانية ترى فيها صور آلات طرب اخرى فقد تكون احداها المزمار ومنها الدفوف والطبول والطنبور وهي المشار اليها في قول النبي « وسائر انواع المعازف » وما احسن ما قاله لانورمان (في كتابه في العرافة عند الكلدان صفحة ١٩٠) ان يهودياً عائشاً في فلسطين لم يكن يمكنه ان يعرف بعد اربع مئة سنة (كما يزعم الجاحدون ناسبين سفر دانيال الى رجل يهودي كتبه بعد اربع مئة سنة من ايام دانيال) عادات البابليين وعوائد حالهم وآلات طربهم كما ذكرها دانيال

ان الآثار الكلدانية تؤيد مقال دانيال بقرائن اخرى منها ان اجلال الكلدانيين لا سيما بختنصر لآلهتهم وتماثيلها كان بالغاً حد الغلو ونرى خطوط بختنصر مفعمة بعبارات التجلة لتماثيلها ومعابدها ومؤذنة بانه كان يقدم لها نفائس مقتناه واثمن غنائمه وما رأيك فيه وقد اقل جهاراً رجال عبرانيون رقاهم هو مناصب رفيعة من اكرام التمثال الذي صنعه ووشى بهم علانية على مسامع اراكنة دولته واقطابها ولدى استجوابهم صرحوا دون هيبة ولا حياء انهم لا يكرمون تمثاله ولو لقوا امرّ العذاب فلا جرم ان كل ذلك كان حاملاً له على ان يميتهم شر الميتات . ومنها ان عذاب الطرح في النار كان مستفاضاً عندهم واتت آثار كثيرة باثباته فقد روى سميت في تاريخ اشور بانيبال انه كتب على الاسطوانة الثانية في العمود الـ ٦ ما ترجمته ، ان دونان ونبيوزالي والي كبول فاها بشتائم فظيعة لآلهتي فقطعت لسانيهما في اربل ... ودونان طرح في اتون في نينوى واحرق برمته ، وقد عامل بمثل هذا العقاب اخاه سماسوموقين اذ القاه في اتون النار في بابل لثورته عليه فكانت المصاوة على الملوك تعاقب عقاب المصاوة على الآلهة فقد كتب في الاسطوانة الاولى العمود الـ ٤ ، ان سماسوموقين اخي الذي عصاني وحاربني القوه في اجيج النار المتقدة وانتزعوا حياته ، وقد وجدت صورة ناتئة على احد ابواب قصر في بلوات (في ما بين النهرين) تمثل هيئة هذه الاتاتين وكانت مقسومة الى طبقتين لكل منهما ثلث نوافذ ينبعث اللهيب منها ويرى من اعلى الاتون وجوانبه نحو اثني عشر راساً من المقضي عليهم بهذا التبريح . وقد استمرت في بلاد فارس عادة احراق المجرمين في الاتون الى عصر غير بعيد فقد شهد سردان في رحلته في بلاد فارس سنة ١٦٦٢ (طبع كتاب هذه الرحلة في امستردام سنة ١٧٣٥) انه حصلت مجاعة في بلاد فارس فاضرم والي اصفهان اتونين فيها مدة شهر متهدداً تجار

الحنطة بانه يلقي فيهما من يغتنم فرصة المجاعة لبيع القوت بثمن فاحش لكنه لم يلق احداً فيهما لان هذا العقاب ارعب تجار الحبوب وعليه فطرح المجرمين في النار كان مستطرقاً عند الكلدان ولم يكن منه شي في فلسطين الى ايام المكابيين فاننا نرى العازر الشيخ والاخوة السبعة المكابيين لم يلقوا في النار بل عذبوا بعذابات اخرى (مكابيين ٢ فصل ٦ و ٧) وهذا يفند زعم من قالوا ان سفر دانيال كتب في ايام المكابيين ولم يكتبه دانيال في بابل

﴿ عد ٣٤٧ ﴾

في الحلم الثاني لبختنصر وجنونه وتعبير دانيال لحلمه

انبأنا دانيال ان بختنصر بعد نجاة الشبان العبرانيين من لهيب الاتون كتب منشوراً الى جميع شعوب مملكته افتتحه باعلان الايات التي صنعها اليه الاله العلي قائلاً ان ملكوته ملكوت ابدي وسلطانه الى جيل فجيل واخذ يقص حلماً احتلمه فقال انه بينما كان مطمئناً في بيته خصيباً في قصره رأى حلماً افزعه واقلقه فدعا حكمآء بابل وسحرتها ومجوسها ودخل عليه دانيال اخيراً فقص عليه حلمه قائلاً رأيت كأن شجرة في وسط الارض مرتفعة جدًّا بلغ ارتفاعها الى السمآء ومنظرها الى اقصى الارض واوراقها بهية وثمرها كثير شهي وفيها غذآء للجميع وتحتها تستظل وحوش الصحرآء وفي اغصانها تسكن طيور السمآء واذا بساهر (١) قديس نزل من السمآء وهتف بصوت شديد ان اقطعوا الشجرة واقضبوا اغصانها وانفضوا اوراقها وانثروا ثمارها لتشرد الوحوش من تحتها والطيور من اغصانها واتركوا اصل عروقها في الارض وليوثق بالحديد والنحاس في خضر الصحرآء وليتبل بندى السمآء وليكن

---

(١) كان الكلمة في السريانية ܥܝܪܐ (عيرو) ومعناها الساهر والملاك لانه يسهر على تسبيح الله

نصيبه مع وحوش الارض وليتحول قلبه عن البشرية ويعطَ قلب وحش ولتمر عليه سبعة ازمنة . هــذا هو الحلم الذي رآه وقال عبّره لي يا بلشصر فان جميع حكمآء مملكتي لا يستطيعون تعبيره وانت قادر عليه لان فيك روح الالهــة القديسين . فبهت دانيال الذي سماه بلشصر ساعةً مخافةَ ان يحتــدم عليه الملك غيظاً لانذاره بما سيحل به والحَّ الملك عليه فقال ان الشجرة التي رأيتها ايها الملك انما هي عبارة عنك اذ تناهت قوتك وعظمتك وامتد سلطــانك الى اقصى الارض والساهر الذي نزل من السمآء يراد به القضآء العلوي الذي صدر عليك بان يكون سكناك مع وحوش الصحرآء وتغتذي بالعشب كالثيران وتبتل بندى السمآء وتستمر على هذه الحال سبعة ازمنة الى ان تعلم ان العلي يتسلط على ملك البشر ويجعل له من يشآء واما الامر بترك اصــل الشجرة فعبارة عن ان ملكك يبقى لك بعد ان تعلم ان السلطــان للسموات ولتحسن مشورتي لديك بان تفتدي خطاياك بالصدقة وآثامك بالرحمة للبائسين . وبعد انقضآء سنة كان بختنصر يتمشى على قصر مملكته فقال متكبرًا أليست هذه بابل العظمى التي بنيتها انا بقوة عزتي وبهآء مجدي فاذا بصوت من السمآء يقول له ان قد زال الملك عنك ويعيد عليه ما رآه في حلمه فاضاع رشده وفارق الناس واكل العشب كالثيران وابتل جسمه بالندى وطال شعره كريش النــور واظفاره كمخالب الطيور وبعد انقضآء الايام قال انا بختنصر رفعت عيني الى السمــآء فتاب اليَّ عقلي وباركت العلي وسبحت وعظمت الحي الى الابد وطلبني مشيري وعظمآءي وتقررت في ملكي وازددت عظمة فاسبح واعظم ملك السمآء الذي جميع اعماله حق وسبله عدل ومن سلك بالكبريآء فهو قادر على خفضه

فهذا ما جآء في الكتاب واما السبعة الازمنة فقال يوسيفوس ان المراد بها سبع سنين وتابعه على قوله كثير من المفسرين ولكن قال لانرمان (مجلد ٦

من تاريخه الشرقي) انها سبعة اشهر وهذا اطبق لما جآء في الآثار البابلية التي تؤخذ منها قرائن عديدة مؤيدة ما جآء في كلام دانيال . منها ان اعتبارهم للاحلام كان مزيدًا وقد مرَّ ذكره وانه كان من عادتهم ان يصدروا مناشير لشعبهم بذكر الاله العلي وتدل على ذلك آثار كثيرة وكلام بختنصر في منشوره الذي ذكره دانيال في تعظيمه الاله العلي اشبه بكثير من خطوطه التي يعظم فيها مروداخ وغيره من الهته ففي اثره المعروف بالكتابة الكبرى سمى مروداخ « الرب العظيم الرب الجواد رئيس الالهة العلي بل الاعلى الذي يمنح الملك ويعني بنجاحه » الى ان يقول في بابل « ولم ارفع مدينة في كل البلاد كما رفعت مدينتك بابل امام جميع الناس اجلالاً للاهوتك » فما ذكره دانيال ينطبق خير انطباق على عاداتهم . والذي يوقف عنده انما هو ان ينشر الملك على شعبه امرًا مذلاً له لكن بختنصر كان على كبريائه يعظم فضل الالهة واحسانهم اليه وكان له فخر بعناية الالهة بصحته اكثر من سائر الناس وقد كتب هذا المنشور بعد ابلاله من مرضه ولا غرو ان شعبه علم بمصابه فكان له ان يذيعه متفاخرًا بشفآء الالهة له والعبارات التي يظهر منها ذله وجنونه واقتياته بالعشب ليست من كلامه بل من كلام دانيال معترضة بين كلام الملك بدليل انها وردت بضمير الغيبة لا بضمير المتكلم وهي من عد ٢٥ الى ٣١ من الفصل الرابع ثم يعود كلام الملك حيث يقول « وبعد انقضآء الايام انا نبوكدنصر رفعت عيني الى السمآء » الخ

ان لنا في الآثار البابلية قرينة تؤيد مقال دانيال في جنون بختنصر وتيسر حل معضلة في تاريخ بابل فقد جآء في احد هذه الآثار ان نركليسور صهر بختنصر وثاني خلف له يسمي اباه بلسوم إسكون في خطوطه الرسمية ملك بابل وليس في جريدة ملوك بابل هذا الاسم ولا يمكن تعيين وقت لملكه ولا يُقدَّر انه زاحم بختنصر مع سطوته وعزه فلا يمكن اذًا ان يكون ملكاً على

بابل الا في مدة جنون بختنصر اي انه كان رئيس اللجنة المدبرة الملك في تلك المدة فسماه ابنه ملكاً . وقد جآء في احد خطوط بختنصر « ان حالة مملكتي ... لم تسر قلبي ففي كل ممالكي لم ابنِ محلاً حصيناً ورفيعاً ولم احشد كنوز مملكتي الثمينة ولم انشئ في بابل ابنية لنفسي وكرامة اسمي . ولم اقدم ضحايا لمروداخ سيدي ومسرة قلبي ولم انظف القنوات والترع » ولم يذكر ما منعه من ذلك كله ولا يظهر له وجه الا من قبل الدآء الذي اعتراه . وقد كشف من امد قريب عن عتبة باب من نحاس يتلخص مما كتب عليها ان بختنصر قدمها نذرًا لهيكل بورسيبا العظيم لانه أُصيب بمرض وعادت اليه عافيته

ان الدآء الذي اصاب بختنصر هو الذي يسميه الاطبآء ليكانتروبي (Lycanthropie) فهذا المرض يخيل لمن أُصيب به انه استحال ذئباً او حيواناً آخر فينكف عن الكلام ويمتنع عن القوت المعتاد ويقتات بالعشب كالبهيم ويأنف احياناً ان ينتصب فيمشي على يديه ورجليه ويحب ان يختفي نهارًا ويخرج ليلاً وقد حقق مشاهير من الاطبآء منهم بريار دي بواسمون (Brierre de Boismont) « ان هذا الدآء معروف من اقدم ايام الوثنية وكان المصابون به يخيل لهم انهم استحالوا الى ذئاب ويظهر من كتب هيرودت ان هذا الدآء كان فاشياً يصاب به كثيرون وروى القديس اغوسطينوس ان بعض النسآء في ايطاليا كنَّ يتوهمنَ انهنَّ استحلنَ الى افراس وقد فشا هذا الدآء في اوربا في القرنين الرابع عشر والخامس عشر فكان من اعتراهم يغادرون منازلهم ويتوغلون في الغابات فتنمو اظافرهم ويطول شعرهم وتتصل الوحشية فيهم الى ان يفترسوا اطفالاً » فبختنصر اصابه هذا المرض مع اعراضه المار ذكرها ثم شفي منه وقد حقق الاطبآء انه لا يستحيل البرء من هذا الدآء فكتب منشوره المذكور اقرارًا بفضل الله دانيال وتبجيلاً له ولكن لا يفهم منه انه ترك الوثنية واعتقد بوحدانية الله ولم يعش بعد برئه

طويلاً لانه توفي في بابل سنة ٥٦١ ق م بعد ان ملك اربعاً واربعين سنة واتم من العمر نحوًا من ثمانين سنة

عد ٣٤٨

في بلشصر ملك بابل وتعبير دانيال روٌياه

لما كان غرض دانيال ان يدون اخبار عناية الله وآياته لم يتعرض لذكر وفاة بختنصر واخبار خلفائه بل انتقل الى ذكر الوليمة التي صنعها بلشصر ملك بابل لالفٍ من عظمائه وانه اتى بالآنية الذهبية والفضيـة التي أُخذت من هيكل اورشليم ليشربوا الخمر بها ويسبحوا الهة الذهب والفضـة والنحاس والحديد والخشب التي يعبدونها وانه رأى اصابع يد انسان كتبت تجاه المصبـاح على حائط قصره كلمات لم يعلم المراد بها فتغيرت سحنته وقلقت افكاره واستدعى المجوس والكلدانيين والمنجمين وقال لهم من قرأ هذه الكتابة وعبرها البسته الارجوان وقلدت عنقه بطوق من ذهب وجعلته الثالث في المملكة فلم يستطع حكمآء بابل ان يقرأوا الكتابة او يعبروها ودخلت الملكة والاظهر انها ام الملك غرفة الشراب واشارت ان يستدعى دانيال لان فيه روح الالهة القدوسـين وقصت على الملك ما كان لبختنصر (وسمته اباه) وتعبير دانيال حلمه فادخلوا دانيال الى امام الملك ووعده بما وعد به مجوسه ان انبأه بالكتابة وتعبيرها فقال دانيال للملك لتكن عطاياك لك وجوائزك لغيري واخذ يخبره بعظمة بختنصر مسميًا اياه اباه وبما اصابه لتجبره وقال وانت ايها الملك مع علمك بكل ذلك ترفعت على رب السمآء واتيت بآنية بيته وشربت بها خمرًا انت وعظماؤك ونساؤك وسرايرك ولذلك ارسلت من لدنه كفٌ تلك اليد فكتبت « مَنا مَنا ثقِل وفرسين » وهذا معناها مَنا اي احصى الله ملكك وانهاه . ثقِل اي وزنت بالميزان فوجدت ناقصاً . فرس (او فرش) وفرسين اي قُسمت مملكتك ودُفعت الى

ماداي وفارس . فامر الملك حينئذٍ فالبسوا دانيال الارجوان وقلدوا عنقه بطوق من ذهب ونودي بانه الثالث في سلطان المملكة وفي تلك الليلة قتل بلشصر (دانيال فصل ٥)

لم يذكر المؤرخون القدماء بلشصر بين ملوك الكلدان ودانيال سماه ملكاً وابن بختنصر فتذرع الملحدون بذلك للتكذيب بمقال دانيال والتنديد به فجأت الاكتشافات الحديثة تفند زعمهم وتفضح كذبهم فقد كشف في سنة ١٨٧٩ في بابل عن صفيحة من خزف هي الان في المتحف البريطاني كتبت عليها اخبار مهمة سنأتي على ذكرها ومنها ما جآء في عمودها الثاني وهو « في السنة السابعة كان الملك (نابونيد) في مدينة تافا وابن الملك بلشوروصر (بلشصر) مع القادة والجنود في اكد (بابل) والملك لم يذهب الى بابل » فاذًا كان بلشصر ملكًا ولا اقل من ان يكون نائبًا عن الملك ابيه فحق لدانيال ان يسميه ملكًا كما سمى بختنصر ملكاً في حياة ابيه (دانيال فصل ١ عد ١) وذكر لانرمان في تاريخه القديم للمشرق (مجلد ٤ صفحة ٤٣١ طبعة ٩) صفيحة اخرى كتب نابونيد عليها انه « يسأل الالهة حنونيت العون لنفسه ولابنه البكر بلشوروصر (بلشصر) » وفي الكتاب اشارة الى ان الملك وابنه كانا شريكين في الملك فانه قال لدانيال انه يكون الثالث في المملكة لان الملك هو الاول وابنه هو الثاني ويكون دانيال الثالث . وروى فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٤ صفحة ٥١٣) انه كُشف عن اربع صفائح في مغاور مدينة اور وهي الان في المتحف البريطاني كتب نابونيد على احداها متوسلاً الى الاله سين اي القمر « انا نابونيد ملك بابل احفظني بمخافة لاهوتك العظيم واطل ايامي وايام بلشوروصر (بلشصر) ابني البكر الذي ولدته وسمّر في قلبي خوف لاهوتك العظيم كيلا يأثم ولكي يدوم مجده » وايضاً قد وجدت سنة

١٨٧٦ في ضواحي بابل الواح كتبت عليها صكوك عقود لاسرة شريفة تسمى اجيبي يتحصل منها فوائد عديدة في تواريخ بابل في مدة مئة وست وتسعين سنة وفي المتحف البريطاني الان منها نحو من الفين وخمس مئة صك ومنها صك مؤرخ في ٢٣ كيسلاو في السنة الثالثة لمروداخ شوردوصر مبين مبيع قطعة ارض معدة لزرع الحبوب واسم البائع احي ايتابسي بن نبو ملك واسم الشاري ايدينامروداخ شريك بيت اجيبي . فالملك مروداخ شوردوصر ليس هو الا بلشوردوصر (بلشصر) لان معنى الاول مروداخ يحفظ الملك ومعنى الثاني بال يحفظ الملك فلا فرق بينهما الا باسم الاله ومروداخ وبال كانا واحدًا عندهم حتى ان هيكل مروداخ في بابل كان يسمى ايضًا هيكل بال وقد رأينا الكثير من ملوك اشور اسمين لاختلاف اسم الاله فاشور بانيبال يسمى ايضًا سين بانيبال لان اشور وسين (القمر) الهان . فلا امتراء اذًا في ان بلشصر من ملوك بابل وهو الاخير منهم كما سيجيء وقد سماه دانيال ابن بختنصر لانه ابن بنته او على سبيل تسمية الخلف باسم مشاهير السلف كما سمى الكتاب كثيرًا من ملوك يهوذا بابن داود وكما سمت الآثار المسمارية ياهو بابن عمري وليس هو ابنه كما مر

عد ٣٤٩

في باقي ملوك بابل الى انقراض دولتهم

قد مرَّ ان دانيال اوجز كلامه في اخبار ملوك بابل بعد بختنصر ولم يتعرض الا لذكر بلشصر الاخير منهم لينبيء بما كان له من قبل الله كما رأيت في العدد السابق فنورد هنا ما ابانته الاثار المسمارية وما رواه المؤرخون القدماء من اخبارهم توفيرًا للفوائد ولادراك ما يأتي حق ادراكه . فقد خلف بختنصر ابنه اويل مروداك الذي جاء ذكره في سفر الملوك الرابع (فصل ٢٥) وانه

اطلق يوياكين ملك يهوذا من السجن واكرم مثواه كما مر . وهذا لم يملك الا سنتين على ما جاء في قانون بتولمايس وعلى ما روى باروز (فقرة ١٤ من فقرات تواريخ اليونان) وبين صكوك اسرة اجيبي المار ذكرها صكوك دالة على سني بختنصر كلها الى الثالثة والاربعين منها واخر صك اشتمل على اسم بختنصر كتب في شهر نيسان سنة ٤٣ لبختنصر ويليه صك ارخ في تشرين الشهر السابع جاء فيه اسم اويل مروداك (او مروداخ) ويتبين من باقي الصكوك ان اويل مروداك استمر على منصة الملك الى الشهر الخامس وهو آب في السنة التالية وهي سنة ٥٦٠ او سنة ٥٥٩ ق م وتل عرشه نركليسور واول صك من الصكوك المذكورة كتب اسمه فيه مؤرخ في الثامن من تشرين الثاني من السنة المار ذكرها وحروف اسمه في الخطوط المسمارية « نركال سار او سور » وتأويله نركال (الاله) يحفظ الملك وهو ابن بلسوم اسكون الذي كان مدبرًا مملكة بابل في مدة جنون بختنصر كما مر . وكان هذا الملك متزوجًا بابنة لبختنصر واستمر ضابطًا صولجان الملك ثلث سنين من سنة ٥٥٩ الى سنة ٥٥٦ ق م وبنى قصرًا حديثًا في غربي بابل وقد كشف عن صفائح خزفية كتب عليه بيان ما جمل به بابل من الابنية . ويظهر من كتب المؤرخين اليونان انه قتل في وقيعة حرب مع قورش والفرس وخلفه ابنه لابوسوراكوس وكان حدث السن ولم يتسنم منصة الملك الا شهرًا وثار عليه روساء العصبة الكلدانية فثلُّوا عرشه واقاموا احدهم ملكًا وهو نابونيد ولم يكن من سلالة بختنصر على انه بعد ارتقائه منصة الملك تزوج بابنة لبختنصر وهي اما ارملة سالفه او اخت لها ليكون له حق في الملك وتحازبه العصبة الملكية . وكانت حينئذ شؤون ذي بال في جوار بلاد الكلدان فان قورش ملك الفرس انتصر على حميه استياج ملك الماديين وضبط البلاد المحدقة بمملكة الكلدان شمالاً وشرقًا وانتقل الملك فيها

من الماديين الى الفرس . وسولت لقوروش نفسه ان يملك على اسيا الصغرى فارسل ملك ليديا (محل ولاية ازمير الان) وفدًا الى نابونيد ملك بابل طالبًا عقد عهدة دفاع وهجوم بينهما تفاديًا من اضاعة استقلالهما . فلبى نابونيد دعوته ووقعا على العهدة واخذ نابونيد في تحصين بابل واقام سدًّا منيعًا للفرات ليحول مياهه عن المدينة كيلا يعبر به اليها المحاصرون . هذا ما رواه باروز في تاريخ الكلدان وهيرودت ابو التاريخ . وقل ما كنا نعلم غير ذلك من تاريخ نابونيد الى انه في سنة ١٨٧٩ عُثر على صفيحة خزفية هي الان في المتحف البريطاني دُونت فيها اخبار مهمة في تاريخ تلك الايام على ان بعضها محطم واليك ملخص الباقي منها « ان عصبة الشرفاء في بابل كانت تمقت نابونيد لعنايته بتجديد العبادات والمعابد القديمة خلافًا لما كانت العصبة تؤثره من العبادات الحديثة وعظم الشقاق حتى اضطر الملك ان يغادر عرشه ويعتزل في مدينة تسمى يافا غير مبالٍ بما يكون من الاحداث فهُجرت المعابد وكان يتراءى لاهل بابل ان الالهة تركت هذه المدينة المقدسة فكانوا يقدمون لها الضحايا استرضاء لها وهي صماء عن صراخ الكهنة . وفي لسنة التاسعة للملك نابونيد دنت عساكر قورش من بابل واستمر نابونيد مصرًّا على عزلته ... واضطر ابن الملك المسمى بلشوروصر (بلشصر) بما انه نائب الملك ان يحشد عسكرًا ويقوده للمحافظة على تخوم البلاد واخيرًا عزم الملك ان يغادر عزلته وجيش جنوده فانكسرت فزاد مقت الجنود والشعب للملك فيسر ذلك للعدو ان يفتتح مدينة سيبارا التي كان الملك فيها فانهزم من وجه اعدائه فقبض عليه احد قادة جيش قورش واخذه اسيرًا وانكسر الجيش الذي كان يقوده ابن الملك والذي كان يدافع عن بابل فزحف قورش بجحافله اليها ودخلها دون حرب »

ولم تنبئنا هذه الصفيحة كيف دخل قورش بابل دون حرب ولا متى

دخلها ولكن اتحفنا هيرودت (ك ١ ف ١٩٠) بهذه الاخبار فقال ان قورش استمر زماناً طويلاً محاصراً بابل فلم يتسنَّ له فتحها لمناعة اسوارها وكاد ييأس من فتحها عنوة فعمد الى الحيلة وصعد على مجرى الفرات الى محل بعيد تاركاً وراءه فصائل من جنده تحمي طريقه واحتفر قنوات حوَّل اليها مياه النهر عن الجري في المدينة ليتمكن جنوده من العبور به واوقع نهاية الحفر في يوم عيد كان يعلم ان اهل بابل يعكفون فيه على السكر والطرب والملاذ وامر عسكره بالهجوم على المدينة ليلاً فدخلوها آمنين وقتلوا كثيرين من اهلها وبلشصر ملكها كما قال دانيال وتمت بذلك نبوة ارميا (فصل ١٥ عد ٣٩) الذي قال في بابل ان الرب « يجفف بحرها » وانه « عند توهجهم اجعل لهم شراباً واسكرهم كي يمرحوا ثم يناموا نوماً ابدياً فلا يستيقظون يقول الرب وانزلهم كالحملان الى الذبح وكالكباش مع التيوس »

﴿ عد ٣٥٠ ﴾

طرح دانيال في جب الاسد

قال دانيال بعد اخباره بمقتل بلشصر « فاخذ الملك داريوس المادي وهو ابن اثنتين وستين سنة » (فصل ٥ عد ٣١) وقد توفرت الاقوال في من هو داريوس المادي والمعلوم ان قورش هو الذي اخذ ملك بابل وقال بعضهم منهم لانرمان (في تاريخه القديم للمشرق مجلد ٤ صفحة ٤٣٨ طبعة ٩) ما ملخصه « ان النص الذي بقي لنا من سفر دانيال كان مكتوباً بالسريانية الكلدانية وقد خطه في نحو القرن الثالث قبل الميلاد كاتب يجهل التاريخ فاسقط منه بعض آيات وشوَّش اعلام بعض ملوك بابل تشويشاً ظاهراً وكتب القدماء طافحة بمثل هذا التشويش وروى يوسيفوس (ك ١٠ من تاريخ اليهود فصل ١١) ان اليونان كانوا يسمون داريوس هذا اسماً آخر ولا مرآء في انه كان مادياً

اذ لا محل لخطأ الكاتب في اسم قبيلة يعلمها الجميع كما يخطأ في العلم الشخصي »
وقال اوبر (في كتابه الموسوم بشعب الماديين ولغتهم صفحة ١٦٧) ان
داريوس هذا كان قائدًا في جيش قورش فولاه على بابل بعد افتتاحها . وجآء
في المجلة الموسومة بالتمدن الكاثوليكي (في نشرتيها المؤرختين في ١٦ شباط
و ١٥ اذار سنة ١٨٨٤) ان داريوس هذا هو شيا كسر بن استياج ملك مادي .
وقال بعضهم انه اوغبارو الذي قيل في الصفيحة المار ذكرها « ان قورش نصبه
حاكمًا في بابل » وكان له السلطان الملكي فيها ورجح ذلك لانرمان (في كتابه
العرافة عند الكلدان صفحة ١٨١) بقوله ان قورش لم يكن يصف نفسه في
الخطوط المسمارية بملك بابل الا بعد ثلاث سنين من فتح هذه المدينة وكان
قبلها يسمي نفسه ملك القبائل

واياً كان داريوس هذا فقد انبأنا دانيال (فصل ٦) انه نوّله مزيد الاعزاز
ورفع مكانته حتى جعله احد ثلاثة وزرآء اقامهم على مئة وعشرين قطباً عهد
اليهم بتدبير المملكة وكان في عزم الملك ان يقيمه على المملكة كلها فحسده
الوزرآء والاقطاب والتمسوا عليه علة ليخفض الملك مقامه ولم يجدوا فزينوا
للملك ان يقطع امرًا مبرماً بان كل من سأل سؤالاً من اله او انسان غير الملك
مدة ثلاثين يوماً يلقى في جب الاسد فاذاع الملك هذا الامر وكان دانيال
معتادًا ان يصلي لله جاثياً على ركبتيه ثلثاً في النهار تجاه كوة في غرفته مفتوحة
الى اورشليم واستمر على عادته فوشي به حساده الى الملك بانه لم يعبأ بامره
والحوا بتنفيذ الامر بطرحه في جب الاسد فاغتمّ الملك وهمّ بانقاذ دانيال
النهار كله فلم يتيسر له تخليصه فاذعن مكرهاً والقوا دانيال في الجب ووضعوا
على فمه حجرًا ختموه بخاتم الملك وبات الملك صائماً قلقاً وشرد النوم عنه
وبكر في الغداة الى الجب ونادى بصوت حزين ؛ يا دانيال عبد الله الحي لعل

الهك الذي انت مواظب على عبادته انقذك من الاسود فاجابه دانيال حييت ايها الملك الى الابد ان الهي ارسل ملاكه فسد افواه الاسود فلم توذني ففرح الملك به فرحاً عظيماً وامر ان يخرجوه من الجب وان يلقوا فيه من وشوا به وبنيهم ونسآءهم فلم يبلغوا ارض الجب حتى بطشت الاسود بهم وسحقت عظامهم واذاع داريوس منشوراً في كل مملكته ان يهابوا ويرهبوا وجه اله دانيال لانه الاله الحي القيوم الى الابد الصانع الايات في السماوات والارض « وكان دانيال ناجحاً في ملك داريوس وفي ملك قورش الفارسي »

ولنا في الاثار الكلدانية قرائن تؤيد ما كتبه دانيال فان القآء المجرمين للاسود كان عند الاشوريين والبابليين مستطرقاً كالالقآء في الاتون فقد روى سميث في تاريخ اشور بانيبال (صفحة ١٦٨) عن خطوط مسمارية قال فيها هذا الملك « كما ان سنحاريب جدّي كان يلقي الرجال احيآء بين الثيران والاسود فانا القيت اقتفآء لاثاره هولاء الرجال في وسط هذه الحيوانات » وقال لانرمان (في كتابه العرافة عند الكلدان صفحة ١٩٢) « ان جب الاسود يشخصه امام عيوننا نظرنا الى الصور الناتئة التي أُتي بها الى لندرة وهي تمثل صيد اشوربانيبال فترى الاسود محبوسة في اقفاص لترويح قلب الملك برؤيتها » هذا وقد أُتي بصورة اخرى من كوينجك الى المتحف البريطاني تمثل غرفة مقفلة بقضبان من حديد متينة وفيها اسد وفي اعلاها حارس يرفع حاجزاً فيخرج الاسد رأسه من عرينه متحفزاً لالتهام فريسته . وكانت الاسود كثيرة في جوار بابل وبلاد الكلدان كلها حتى تفاخر تجلت فلاصر الاول في احد خطوطه بانه قتل ثماني مئة اسد رواه مينان (في تاريخ ملوك اشور صفحة ٤٥) ولم ينقطع الى اليوم وجود الاسود في جانب الفرات ووادي خابور كما روى لايرد (في تاريخ نينوى مجلد ٢ صفحة ٤٨) وكان ملوك اشور يطلبون أُسداً من جملة جزيتهم ممن

استطاع ان يأتيهم بها . وقد كشف لايرد في قصر سنحاريب في كوينجك عن صورة اسد مغال يقدمه لهذا الغازي بعض من انتصر عليهم

عد ٣٥١

كشف دانيال خديعة كهنة بال

بقي مما حواه سفر دانيال من التاريخ ما ذكره هذا النبي في الفصل الرابع عشر منه وهو كشفه خديعة كهنة صنم بال وقتله التنين فقال في الاول ما ملخصه انه كان لاهل بابل صنم اسمه بال (او بعل) وكانوا ينفقون له كل يوم اثنى عشر اردباً من السميذ (تساوي ٦٢٠ لترًا وهي نحو من ٤٨٥ اقة) واربعين شاة وستة امتار من الخمر (تساوي ٣٥٠ لترًا ونحوًا من ٢٧٣ اقة) وكان الملك يعبده ويذهب كل يوم فيسجد له وقال الملك لدانيال لِمَ لا تسجد لبال فقال لاني لا اعبد اصناماً صنعة الايدي بل الاله الحي خالق السماوات والارض فقال الملك اتحسب ان بالاً ليس باله حي او لا ترى كم يأكل ويشرب كل يوم فضحك دانيال وقال لا تضل ايها الملك فان هذا باطنه طين وظاهره نحاس فلم يأكل قط فاستدعى الملك الكهنة وقال ان لم تقولوا لي من يأكل هذه النفقة تموتون وان بينتم ان بالاً يأكلها يموت دانيال فقال الكهنة ضع انت ايها الملك الاطعمة والخمر واغلق الباب واختم عليه بخاتمك وفي غدٍ ارجع ترَ صدق مقالنا واستخفوا بالامر لانهم كانوا صنعوا تحت المائدة مدخلاً خفياً يدخلون منه فيلتهمون الاطعمة . ولما خرجوا وضع الملك الاطعمة وامر دانيال غلمانه فذروا رمادًا في الهيكل بحضرة الملك وحده واغلق الملك الباب وختم عليه فدخل الكهنة واولادهم ونسآءهم ليلاً من المدخل الخفي على عادتهم والتهموا الاطعمة وبكرّ الملك ودانيال فوجدا الخواتيم سالمة وفتحت الابواب فلم يُرَ شيءٌ على المائدة فهتف الملك عظيم انت يابال ولا مكر عندك فضحك

دانيال وامسك الملك عن الدخول قائلاً انظر البلاط واعرف ما هذه الآثار فقال ارى آثار رجال ونسآء واولاد وغضب الملك وقبض على الكهنة ونسآءهم واولادهم فاروه الابواب الخفية التي يدخلون منها ويأكلون ما على المائدة فامر الملك بقتلهم واسلم بالاً الى يد دانيال فحطّمه ودمَّر هيكله

ان في الآثار البابلية ما يؤيد كلام دانيال . فقد وجدت آثار عديدة تصرح بعبادة بال في بابل ومنها الصورة التي تمثله محمولاً على مناكب الكهنة وقد كشف عنها لايرد في نمرود وذكرها في كتابه آثار نينوى (صفحة ٦٥) ووجدت آثار اخرى كثيرة ناطقة بتقديم الاطعمة والاشربة للاصنام ومنها خطوط لبختنصر قيل فيها ما ملخصه « انه كان يقدم على مائدة الآلهة الاعزآء ثورًا كاملاً وسمكاً وطيورًا واطعمة وخمرًا من سبعة مواضع او ثمانية منها خمر حلب وكان ذلك فائضاً كمياه النهر » وقد وجد ما يدل على مثل ذلك من انواع الخمر في خطوط بختنصر في جانب تمثاله المنقوش على احد الصخور في معبر نهر الكلب كما يتبين من خطب المجمع العلمي (الاكادمي) الافرنسي في ١٣ ايار سنة ١٨٨٢ ومن ذلك يظهر ان من كتب الفصل الرابع عشر من نبوة دانيال كان خبيرًا بعادات اهل بابل وعائشاً بينهم وقد كتب امرًا واقعاً لا وهمياً

﴿ عد ٣٥٢ ﴾

قتل دانيال التنين

وكان في بابل تنين عظيم يعبده اهلها فقال الملك لدانيال اتقول عن هذا ايضاً انه نحاس ها انه حي يأكل ويشرب فاسجد له فقال دانيال اني اسجد للرب الهي لانه هو الاله الحي وان سلطتني قتلت هذا التنين بلا سيف ولا عصا قال الملك قد جعلت لك ذلك فاخذ دانيال زفتاً وشحماً وشعرًا وطبخها معًا وصنع

اقراصاً القاها للتنين فاكلها وانشق فقال انظروا ما تعبــدون فغضب اهل بابل واجتمعوا على الملك وقالوا انه صار يهوديًا فحطَّم بالاً وقتل التنين وذبح الكهنة وقالوا للملك اسلم الينا دانيال والاَّ قتلناك وآلك . فلما رآهم الملــك ثائرين اضطر ان يسلم دانيال اليهم فالقوه في جب الاسود وبقي هناك ستة ايام وكان في الجب سبعة اسود يلقى لها كل يوم جثتان ونعجتان فلم يأتِ اليها حينئذٍ شيءٌ لتفترس دانيال وحمل ملاك الرب حبقوق من فلسطين الى بابل ومعه طعام اقات دانيال به واتى الملك في اليوم السابع ليبكي دانيال فاذا هو جالس فيتف بصوت عالٍ قائلاً عظيم انت ايها الرب اله دانيال لا اله سواك واخرج دانيــال من الجب والقى فيه من سعوا بهلاكه فافترستهم الاسود امامه وقال الملــك ليتقِ جميع سكان الارض اله دانيال فانه المخلص الصانع الآيات في الارض

المراد بالتنين هنا الافعى او الحية الكبيرة القديمة الايام والكلمة مأخوذة عن الاصل الكلداني ܬܢܝܢܐ (تنينو) او عن تنيم السبرانية وكان من عادات البابليين وغيرهم من عبدة الاصنام ان يربوا حيات في الهياكل وينسبوا اليهـا شيئًا من الالوهية ويعبدوها وعلى ذلك ادلة نكتفي منها بما ذكره لانرمان في كتابه الموسوم بالعرافة عند الكلدان (صفحة ٨٨) فقد قال « ان اسم الحية او الافعى والفعل الدال على العرافة والسحر عند الساميين مصدرهما واحد وهو ܢܚܫ (نحش) استعمل السحر او العرافة و ܢܚܫܐ (نحشو) الحية والافعى وقد عثر على اثر مسماري يتبين منه انهم كانوا يستدلون على مستقبل الامور بواسطة قلب الافعى ... وكانت الحية عند الكــلدان والاشوريين تلامذتهم رمزًا الى الاله ايا اي الفهم السامي او اله كل علم وقد جاء في رسالة ارميا المعلقه في ذيل نبوة باروك عن تماثيل الالهة ما نصه » وقد ذكر ان حشرات الارض تنهش قلبها فتؤكل هي وثيابها ولا تشعر » فيظهر من هذه الاية انهم

كانوا يربون افاعي في بعض هياكل بابل ويعتبرونها بمنزلة تراجمة للالهة ويستخدمونها في الاستشارة لها »

﴿ عد ٣٥٣ ﴾

في رؤى دانيال

ان سفر دانيال قسمان قسم تاريخي وهو ما لخصناه في كلامنا السالف وقد اشتملت عليه الفصول الستة الاولى والفصلان الثالث عشر والرابع عشر وقسم نبوي اشتملت عليه الفصول الستة من السابع الى ختام الثاني عشر وقد كتب دانيال في هذه الفصول الرؤى التي منّ الله عليه بها وهي اربع فقال في الاولى انه رأى اربع حيوانات عظيمة خرجت من البحر اولها مثل الاسد وله جناحا نسر وثانيها مثل دب وثالثها يشبه نمرًا وله اربعة اجنحة واربعة اروس ورابعها يشبه حيوانًا هائلاً وله اسنان من حديد وكان يأكل ويسحق ويدوس الباقي برجليه وله عشرة قرون وانه بينما كان يرى ذلك نصبت عروش فجلس عليها قديم الايام وكان لباسه ابيض كالثلج وعرشه لهيب نار وعجلاته نارًا مضطرمة . وازال سلطان باقي الحيوانات واتى مثل ابن البشر على سحاب السماء واوتي سلطانًا ومجدًا فجميع الشعوب والامم والالسنة يعبدونه وان دانيال سأل احد الواقفين امامه فاعلمه بتعبير الروءيا فكانت الحيوانات الاربعة عبارة عن اربع ممالك تقوم على الارض فيراد بالاسد مملكة الكلدان وبالدب مملكة ماداي وفارس وبالنمر مملكة اليونان وارؤسها الاربعة كناية عن انقسامها بعد اسكندر الكبير الى اربع ممالك في سورية ومصر ومكدونية وتراسة . ويراد بالحيوان الرابع الهائل مملكة الرومانيين التي سحقت الممالك الاربع المذكورة وبقديم الايام وابن البشر ملك المسيح الروحي الذي لا يزول وهذه الروءيا كحلم بختنصر الاول المار ذكره فمدلولهما واحد

والرؤيا الثانية ذكرها النبي في الفصل الثامن وهي انه رأى كبشاً قائماً عند نهر اولاي وله قرنان ينطح بهما نحو الغرب والشمال والجنوب ثم رأى تيس معز اقبل من الغرب وله قرن عجيب وهجم على الكبش فكسر قرنيه ولم يستطع الكبش ان يقف امامه فتعاظم تيس المعز جدًا فانكسر قرنه العظيم وطلع من تحته اربعة قرون ثم خرج من واحد منها قرن صغير ثم تعاظم جدًا وبامره نزعت المحرقة الدائمة وهدم موضع مقدسه وقد عبر ملاكٌ لدانيال هذه الرؤيا فكان المراد منها تفصيل بعض ما جآء في الرؤيا الاولى لان المراد بالكبش ملوك ماداي وفارس وبتيس المعز ملك اليونان وبالقرن العظيم اسكندر الكبير وبانكساره وخروج اربعة قرون ممالك خلفائه لاربع وبالقرن الصغير الذي تعاظم مملكة الرومانيين

والرؤيا الثالثة ذكرها النبي في الفصل التاسع مؤرخاً لها في السنة الاولى لداريوس بن احشورش المادي وهي انه بينما كان يصلي متأملاً قول ارميا ان عدة السنين التي تتم على خراب اورشليم سبعون سنة رأى جبرائيل الملاك انحدر من السمآء ليبشره بان الرب حدد على شعبه لافنآء المعصية وازالة الخطيئة والاتيان بالبر الابدي ومسح قدوس القديسين سبعين اسبوعاً بدوها صدور الامر باعادة بنآء اورشليم ونهايتها في مجيء المسيح الرئيس وبعد هذه الاسابيع يقتل المسيح وشعب رئيس اتٍ يدمر المدينة والقدس وتبطل الذبيحة والتقدمة فهذه هي الرؤيا وكان الاسبوع عند العبرانيين اولاً عبارة عن سبعة ايام من السبت الى السبت ثانياً عن سبعة سنين واخرها السنة السبتية ثالثاً عن سنة الغفران وهي سبع سنين مضروبة في سبع وحاصلها تسع واربعون سنة والمراد بكلام دانيال الاسبوع السبتي اي ان كل اسبوع سبع سنين فيحصل من السبعين اسبوعاً اربع مئة وتسعون سنة والاظهر والاصح ان بدء هذه الاسابيع السنة

الثانية لملك ارتحشستا التي ارسل فيها نحميا الى اليهودية مأذوناً له في تجديد اسوار اورشليم (نحميا فصل ٢ عد ٥) وختامها بموت المخلص فهذه الحقبة اكثر مطابقة للسبعين اسبوعاً التي هي اربع مئة وتسعون سنة

والروءيا الرابعة ذكرها النبي في الفصول العاشر والحادي عشر والثاني عشر وهي انه ظهر له الملاك جبرائيل فكشف له عما يكون في بلاد فارس بعد قورش وعن مجي اسكندر الكبير وحملاته وانقراض مملكة الفرس وتغلب اليونان عليها ووفاة اسكندر بلا عقب وانقسام ملكه الى اربع ممالك وان مملكة سورية الشمالية ومملكة مصر الجنوبية تكون بينهما حرب ازمنة طوالاً ثم ينبئه باضطهاد انتيوخوس ايفان للقديسين وبهلاك هذا الملك المضطهد وانتصار القديسين ثم يلخص له شيئاً عن انقضآء العالم

قد تذرع الملحدون بوضوح هذه النبوات وتمامها في اوقاتها ليزعموا ان سفر دانيال كتب بعد وقوع الاحداث المذكورة فيه اعني بعد موت انطيوخوس ايفان في ايام المكابيين لكن زعمهم مردود ببينات قاطعة منها ان قسمي هذا السفر التاريخي والنبوي ملتحمان كل الالتحام احدهما بالآخر من قبل النفس والنسق واللغة والاحداث التي جرت على كاتبه ومنها ما مر من بيان المطابقة بين كل ما جآء في هذا السفر وبين الآثار الاشورية والبابلية بل ان هذه الروءى نفسها ناطقة بانها روءيت وكتبت اخبارها في بلاد الكلدان لا في غيرها لان صورة الاسد المجنح بجناحي نسر هي من احب الصور الى المصورين الكلدان لانك ترى مثل هذه الصور على ابواب القصور والهياكل وسائر الابنية بل على الآنية ايضاً المصنوعة في بلاد اشور وبابل وكذلك ترى صور الثور المجنح والدب والنمر والكبش وتيس المعز على كثير من اثارهم وكانت القرون عندهم عبارة عن القوة ولذلك ترى صور الالهة والابطال والمشاهير عندهم

وعلى رأسها قرنان او اربعة او ستة قرون ولا نرى شبهاً لقديم الايام الذي لباسه ابيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقي وعرشه لهيب نار وعجلاته نار مضطرمة الا في صور الاشوريين والبابليين وقد حوى متحف اللوفر في بريس كثيرًا منها وقد ذكر كثيرًا منها العالم لونبريا (LongPrier في كتابه في الآثار الاشورية التي في متحف اللوفر صفحة ٢٨ وما يليها) وعليه فكلام دانيال وتصوراته وتمثيله ومطابقتها التامة لآثار الاشوريين وعاداتهم تقضي علينا بان نحكم ان هذا السفر كتبه دانيال في بابل في ايام سؤددها وعلى عهد بختنصر ومن خلفه لا في فلسطين وعلى عهد المكابيين بعد اربعة قرون كما زعم الملحدون

﴿ عد ٣٠٤ ﴾

في وفاة دانيال وصحة تنزيل سفره

يظهر ان دانيال ادركته المنية في بلاد الكلدان فان المناصب التي وليها فيها امسكته ثمه الى وفاته وقال بعضهم انه توفي في بابل وقال غيرهم انه قضي اجله في شوشن (وهي سيس الان او تموز استان) حيث قضى بعض سني حياته وحيث رأى اكثر رؤاه . وقال يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ١٠ في الفصل الاخير) انه كان في عاصمة ماداي الى ايامه برج عجيب البناء يقال ان دانيال اقامه وان هناك مدافن ملوك الفرس وماداي وانه كان يعهد بحراسة هذا المحل الى ايامه الى رجل يهودي . وقال بعض الجوالة ان هذا المقام تحج الناس اليه حتى هذا العصر

والاظهر ان سفر دانيال كتب بعضه بالارامية الكلدانية وبعضه بالعبرانية فكل ما كان من كلامه مع ملوك بابل وماداي وفارس ومنشور بختنصر كتب بالكلدانية وباقي كلامه بالعبرانية على ان الفصلين الثالث عشر والرابع عشر الحاويين خبر سوسنة وخبر بال والتنين ثم تسبحة الفتيان في الاتون المثبتة في الفصل الثالث

(من عد ٢٤ الى عد ٩١) لم توجد الا باليونانية فكل ما كتب من هذا السفر بالكلدانية والعبرانية اجمع النصارى واليهود على انه من الاسفار المنزلة . واما ما لم يوجد الا باليونانية فكان بعض اليهود والنصارى ايضًا ينكرون تنزيله الى ان حكم المجمع التريدنتيني بلزوم احصائه بين الاسفار المنزلة وانكر الملحدون كون السفر برمته منزلاً وتمحلوا لانكاره وجهين الاول وضوح نبواته وتمامها بدقائقها في اوقاتها فوهموا انه كتب بعض الاحداث المنبيء بها وهذا فندناه في العدد السابق . والثاني انه حوى ذكر آيات ومعجزات وهم ينكرون كل ما كان فوق الطبيعة او مخالفًا لها على ان المسيحيين وغيرهم يعتقدون الآيات وقدرة الله على صنعها وقل ما خلا عنها كتاب من الكتب المنزلة ويقولون ان الله اكثر من آياته في مدة جلاء بني اسرائيل تيسيرًا لعودهم الى اوطانهم كما اكثر من الآيات في مصر تيسيرًا لخروجهم منها

ان لنا بينات قاطعة على ان سفر دانيال منزل منها اولاً ان متى الانجيلي استشهد به بقوله (فصل ٢٤ عد ١٥) « اذا رأيتم علامة رجاسة الخراب الذي قيل عنه في دانيال » واستشهده بولس الرسول بقوله (في رسالته الى العبرانيين فصل ١١ عد ٣٣) عن جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل والانبياء انهم « نالوا الموعد وسدوا افواه الاسد » كما جرى لدانيال . ثانيًا قد شهد يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ١١ فصل ٨) ان اليهود اروا اسكندر الكبير نبوات دانيال عليه عند زيارته اورشليم . ثالثًا جاء في سفر المكابيين الاول (فصل ٢ عد ٥٩ و ٦٠) « وحننيا وعزريا وميشائيل بايمانهم خلصوا من اللهيب ودانيال باستقامته أنقذ من افواه الاسد » وهذا يقتضي ان يكون سفر دانيال بين ايديهم . رابعاً ان وضع اليهود سفر دانيال بين الاسفار المنزلة هو بينة دامغة على تنزيله ولاسيما لانهم لا يحصون بين هذه الاسفار الا ما كان

قبل المكابيين . خامساً ان اللغة التي كتب بها سفر دانيال يلزم ان تكون لغة رجل عاش في ايام جلاء بابل ويحسن الكلام بالعبرانية والكلدانية وفي زمان المكابيين لم تكن لغة اليهود الا الارامية اي الكلدانية (ملخص عن الموجز الكتابي لفيكورو عد ١٠٥٥) وقد ابنا آنفاً في الكلام على سوسنة ان هذا السفر وجد كاملاً في نسختين قديمتين من الترجمة السبعينية عُثر على احداهما في مكتبة كيجي في رومة وعلى الثانية في المكتبة الامبروسيسة في ميلان فطالع ما ذكرناه هناك

عد ٣٥٥

في روى حزقيال وموته ومدفنه

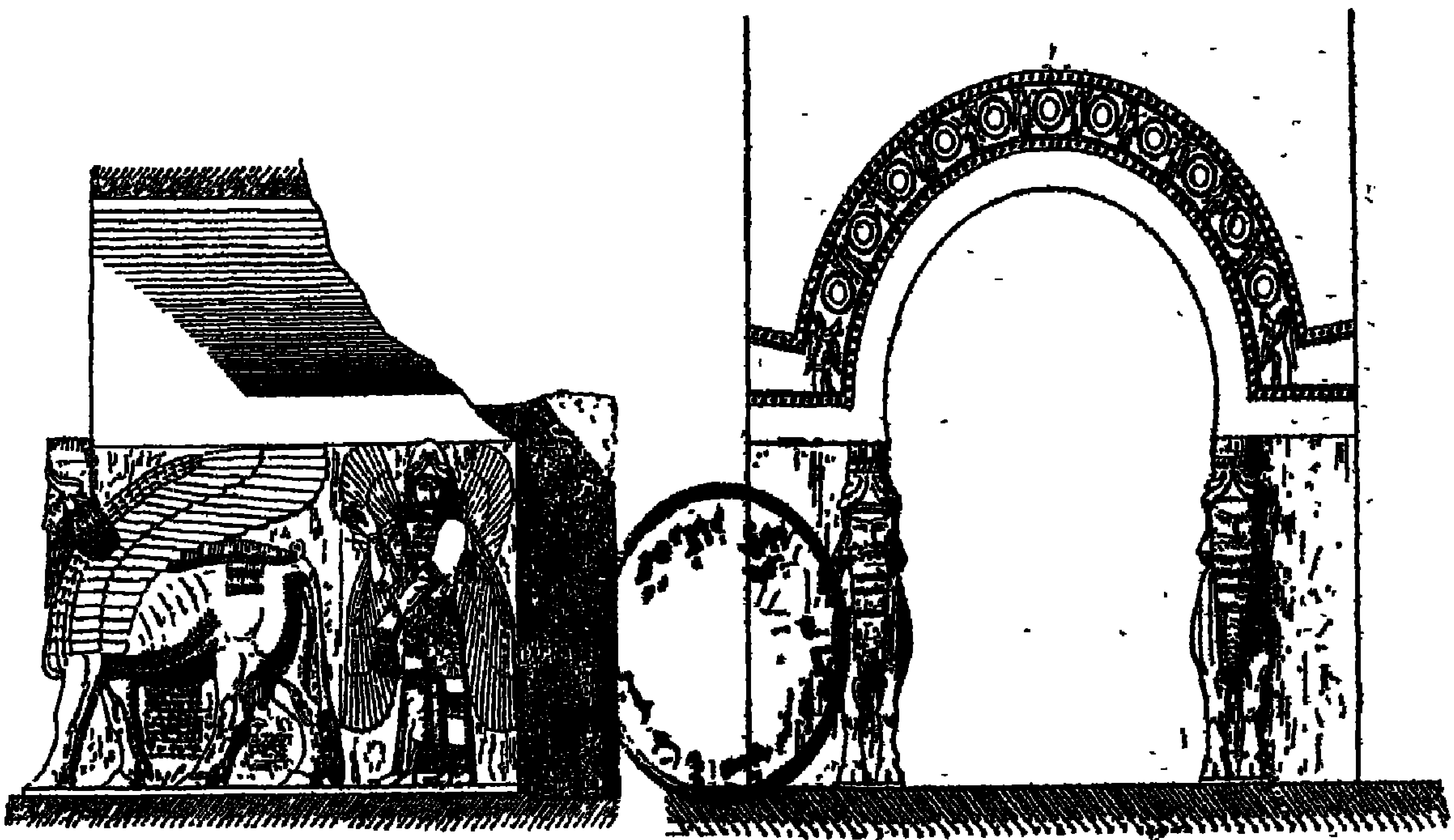
ان حزقيال هو ابن بوزي من السبط الكهنوتي جُلي الى بابل مع يوياكين ملك يهوذا قبل خراب اورشليم بنحو عشر سنين ولم يتنبأ حزقيال قبل جلائه بل احلّ الله عليه روح النبوة في بلاد الكلدان ليكون رقيباً ونذيراً لاخوانه المجلويين . وقد افتتح نبواته بانه بينما كان بين الجلاء على نهر كبار انفتحت السماوات فرأى روى الله فقال رأيت فاذا بريح عاصف مقبلة من الشمال وغمام عظيم ونار متواصلة وفي وسطها شبه اربع حيوانات ولكل منها اربعة اوجه واربعة اجنحة وجه بشر ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر واجنحتها منبسطة من فوق لكل منها جناحان يتصل احدهما بالآخر وجناحان يستران اجسامها وارجلها مستقيمة واقدامها كقدم رجل العجل تبرق كمنظر النحاس الصقيل ومن تحت اجنحتها ايدي بشر على جوانبها الاربعة . وكانت تسير كل واحد منها امام وجهه حيث يوجهه الروح واذا بدولاب واحد على الارض بجانب الحيوانات باربعة اوجه ومرأى الدواليب وصنعتها كمنظر الزبرجد وللاربعتها شبه واحد كانما كان الدولاب في وسط الدولاب اما أطرها فعالية وهائلة

وملأى عيوناً وكان على اروس الحيوانات جلد كمنظر البلور وسمعت صوت اجنحتها كصوت مياهٍ غزيرة وفوق الجلد الذي على اروسها شبه عرش كمرأى حجر اللاذورد وعلى شبه العرش شبه كمرأى بشر ورأيت كمنظر النحاس اللامع في داخله عند محيطه وهو كمرأى نار من مرأى حقويه الى فوق ورأيت من مرأى حقويه الى تحت مثل نار ايضاً والضياء محيطاً به. هذا مرأى شبه مجد الرب وسمعت صوت متكلم يقول يا ابن البشر انا مرسلك الى بني اسرائيل الى امم متمردين قد عصوني الى اليوم هم وآباؤهم (حزقيال فصل ١ و ٢)

لا يتهيأ ادراك روءيا حزقيال هذه الا لمن عاش في بلاد الكلدان في تلك الايام ورأى صورها ونقاوشها وتماثيلها التي ارى الله نبيه مجده على اكمل هيئة منها واما من عاشوا في غير هذه البلاد وغير تلك الايام فكان ادراكهم روءيا النبي من اعضل المعضلات حتي يئس المفسرون من الاتيان بتفسير واضح لها وقال القديس ايرونيموس (في تفسير هذه النبوة) « ان مجامع اليهود كلها بكمت عن تفسير نبوة حزقيال وقالت ان تفسير روءيا الكاروبين فوق طاقة الانسان ومداركه » ومما رواه بعض الربيين انهم بحثوا ذات يوم في مجمعهم لينفوا نبوة حزقيال من عداد الاسفار المنزلة لشدة غموضها واستحالة ادراك روءيا المركبة السرية والكاروبين ورأى اكثرهم نفيها على ان احدهم الربي حنانياس جسر ان يعدهم بانه يأتيهم بتفسير وافٍ لهذا السفر فقالوا له افعل وقدموا له ثلاث مئة زق زيت قائلين ان مصابيحك تنفقها قبل ان تدرك شأوك الشاق . الا انه بعد ان احيا بوتّا ولايرد وغيرهما رمم الاشوريين والبابليين وكشفوا آثارهم واستنطقوها تيسر لنا ادراك كلام نبي عاش بين اظهرهم واتضح لنا ما كان معمى في كلامه ورأينا بالصور ما كنا نقرأه وتكفي الان زيارة واحدة لغرف متحف اللوفر في بريس او المتحف البريطاني في لندرة حيث آثار بلاد اشور وبابل

فيستغنى بها عن مطالعة المقالات المطولة في تفسير رؤيا حزقيال فترى هناك الاسود والثيران ذات اجنحة ووجه بشري وتلفي الانسان مجنحاً كالنسور . وقال لونبريا المار ذكره (في كتابه الدليل على التحف الاشورية في اللوفر) « مما يعجب الزائر منه رؤيته هذه الحيوانات العظيمة قائمة اثنين فاثنين على مدخلي الردهة الكبرى الحاوية الآثار الاشورية كانها ما برحت مقيمة على حراسة قصر الملك سرغون الذي نصبها هناك وبينها فسحة اشبه بالفسحة التي ذكرها حزقيال (فصل ١٠ عد ٣) بين كاروب وكاروب فيسائل من يفسر الكتاب نفسه قائلاً اما هذه الحيوانات اشبه بما اراه الله منها نبيه حزقيال على نهر كبار » وقال دي سولسي (في كتابه تاريخ الصناعة عند اليهود الذي طبع في بريس سنة ١٨٥٨) « لا يمكن الانسان الا ان يتعجب عند ما يرى المشابهة المدهشة بين الحيونات الرمزية التي ذكرها الكتاب وبين الثيران ذات الاجنحة والوجه البشري التي ارتنا اياها اطلال نينوى اما انا فلا امتري البتة في ان الكاروبين عند العبرانيين اشبه بالثيران الرمزية عند الاشوريين » ولا جرم ان هذه الحيوانات كانت رمزية فلم يخطر لاحدٍ في بال ان السعداء او الملائكة لهم مثل هذه الهيئات بل هي رموز الى القوة والشدة والسرعة والذكاء وهي دالة بعظمتها وعظمة المركبات التي تجرها والعرش الحالّ الله فيه والنار المنبعثة منه والجواهر المزدان بها على مجد الله وسؤدده على كل ما يراه العبرانيون في بلاد الكلدان فيقص النبي على بني اسرائيل ما رآه من مجد الله الذي يفوق كثيرًا على ما يرونه من عظمة هياكل الهة الكلدان ويذكرهم باثامهم ليرعووا عنها ولا يغتروا بعبادة الالهة الباطلة تاركين عبادة الله الحي القيوم

وقد طالعنا في المجلة الكتابية (Revue Biblique) في نشرتها الصادرة في تشرين الاول سنة ١٨٩٤ فصلاً مشبعًا نشره فيها الاب هبرنس اليسوعي



صورة ثور وانسان مجنحين منقوشة على باب في خرشباد صفحة ٩٢ ه

عندهم اي سيد الالهة فظهر من هذه الخطوط انه كان يعبد بال ونبو ومردوخ الهة الكلدانيين ويبني لها المعابد او يردها الى معابدها ويخشع لها ولا اقل من انه كان يتظاهر سياسةً باجلال الهة مسوديه استرضاءً لهم وهذا يؤيد صحة امره بتجديد هيكل الرب في اورشليم جرياً على ما صنعه الى غيره من آلهة شعبه . وقد كان العلماء يظنونه مبيدًا للاصنام وكان بعض مفسري الكتاب يحسبونه كذلك سندًا الى آيات من نبوة اشعيا في كلامه على كورش كقوله (فصل ٤٦ عد ١ و ٢) « قد جثا بال وجثم نبو وصارت اصنامهم على الوحوش والبهائم ان محمولاتكم ثقيلة هي حمل شاق جثمت وجثت جميعاً هي انفسها ذهبت الى السبي » والى آيات من نبوة ارميا كقوله (فصل ٥٠ عد ٢) « خبروا في الامم واسمعوا وارفعوا الراية اسمعوا لا تكتموا قولوا قد أخذت بابل وأخزي بال وانحطم مروداك قد أخزيت اصنامها وانحطمت اوثانها » وكقوله (فصل ٥١ عد ٥٢) « لذلك ها انها تأتي ايام يقول الرب افتقد منحوتاتها وفي كل ارضها يئن الجرحى » فكان المفسرون يفسرون هذه الآيات بمعنى ان كورش يحتقر الهة الكلدانيين او يحطم اصنامها فظهر الان من هذه الخطوط ان المراد بتلك الآيات ان الهة بابل تخزى لانها لم تقدر ان تنجي المتوكلين عليها ولا ان تقي بابل مدينتها من تنكيل الغازي لان الشرقيين كلهم الا اليهود كانوا يعزون انتصارهم وانكسارهم الى قوة آلهتهم او ضعفها فاذا ظفروا حسبوا آلهتهم اقوى من الهة اعدائهم واذا ذلوا حسبوا الهة اعدائهم اقوى من آلهتهم وكان الظافرون يأخذون اصنام من استظهروا عليهم فيقيمونها كاسرى او حبسى في بيوت آلهتهم في حالة تشعر بذلها كما اخذ الفلسطينيون تابوت عهد الرب ووضعوه في هيكل داغون وعليه فكان مفاد آيات اشعيا وارميا ان بال ونبو ومروداك تجثو وتجثم لالهة كورش الظافر وتخزى لانها لم تستطع ان تقي

مابديها وتذل وكأنها تسبي مع المسبيين وتحمل على البهائم كما تحمل غنائم الحرب وقد يحتمل ان يكون جنود كورش فعلوا عند دخولهم بابل باصنامها ما ذكره النبيان ثم عاد كورش يكرمها ملافاة لشعبه الجديد وطلباً لحسن السياسة . او ان قول النبيين يصدق على اصنام بابل ومعابدها لما افتتحها داريوس ثانية ودمر ابنيتها ودك هياكلها كما سيجيء

عد ٣٥٨

في تجديد بناء هيكل اورشليم

لما وفد روساء الجلاء الى اورشليم صرفوا باكورة اهتمامهم لاقامة الهيكل في مكانه الاول وتطوع كل منهم بدفع ما كان في وسعه فكان مجموع ما حشدوا ستين الف درهم من الذهب وخمسة آلاف من من الفضة ومئة قميص للكهنة ولما كان الشهر السابع اقام يشوع بن يوصادق رئيس الكهنة وزربابل بن بن شلتائيل واخوته المذبح على ما كانوا عليه من الذعر من شعب البلاد واصعدوا عليه الذبائح وعملوا عيد المظال كما كتب موسى ودفعوا فضة للنحاتين والنجارين وطعاماً وشراباً وزيتاً للصيدونيين والصوريين ليأتوهم بخشب الارز من لبنان الى مرفأ يافا . وفي السنة الثانية من بلوغهم الى اورشليم اقاموا اللاويين على مناظرة بناء بيت الرب ولما وضع البناؤون اسس الهيكل قام الكنة واللاويون بملابسهم والابواق والصنوج بايديهم يسبحون للرب ويشكرون له بحسب النظام الذي وضعه داود الملك وكان بعضهم يبكون لفرحهم او لان الهيكل الجديد لايساوي هيكل سليمان اتساعاً واتقاناً (على ما روى كرتس) وكثيرون يهتفون بالمسرة حتى لم يعد يتميز صوت البكاء من صوت الفرح (عزرا فصل ٣)

وسمع اعداؤهم المقيمون في السامرة انهم يبنون بيت الرب فاقبلوا على

زربابل وروساء الاباء قائلين نحن نبني معكم لاننا نطلب الهكم مثلكم ونذبح له من ايام اسرحدون الذي صيرنا الى هنا . وقد مرَّ عند كلامنا على خراب السامرة بيان اصل هولاء الامم وما عبدوا وخلطهم عبادة الله بعبادة الهتهم فابى زربابل وروساء يهوذا ان يشتركوا معهم في بناء بيت الرب فطفقوا يقلقونهم ويرخون ايديهم في البناء جميع ايام كورش ولما مات سنة ٥٢٩ وخلفه ابنه كمبيس الذي سمي في سفر عزرا احشورش وارتحششتا كتب رجال حكومة السامرة وغيرها اليه رسالة مثبتة في الفصل الرابع من سفر عزرا ملخصها « ان اليهود الذين خرجوا من عندك وفدوا الى اورشليم المدينة المتمردة الشقية واخذوا يبنون اسوارًا ويرممون اسوارًا واذا بنيت هذه المدينة وتمت اسوارها لا يؤدون الخراج ولا الجزية المفروضة وحيث اننا اكلنا خبز القصر لم يكن لائقاً بنا ان لا نعلم الملك ليبحث في اسفار آبائه فيعلم ان هذه المدينة متمردة مسيئة الى الملوك والاقاليم فقد أثاروا شغباً في قديم الدهر ولذلك خربت هذه المدينة » وكان كمبيس سيّئ الظن فابرز امرًا لوالي السامرة وسائر ولاة عبر الفرات ان يكفوا اليهود عن البناء الى نفوذ امر اخر منه فبادر هولاء الاعداء الى اورشليم وكفوا اليهود عن بناء الهيكل كل مدة ملك كمبيس التي كانت سبع سنين اي من سنة ٥٢٩ الى سنة ٥٢٢ ق م وبقي البناء منقطعًا الى السنة الثانية من ملك داريوس ملك فارس (عزرا فصل ٤)

﴿ عد ٣٥٩ ﴾

في ملوك فارس الى داريوس

نقول رغبةً في بيان ما مر من قول الكتاب وتوفيرًا للفوائد ان كورش قُتل في حرب في بلاد التتر واوصى بان يكون كمبيس ابنه البكر خلفًا له ملقبًا بملك الملوك وان يكون ابنه الاصغر الذي تسميه الآثار البابلية برديا وسماه

هيرودت سمرديس واليًا على الاقاليم الشمالية والشرقية معترفاً بملك اخيه كمبيس . وهام كمبيس بالاستيلاء على مصر طمعاً بغناها الذي حمل اكثر الغزاة اليها فارسل قوماً قتلوا اخاه لئلا يستبد بالملك مدة غيابه واذاع انه محجور عليه في قصره في بلاد ماداي وكانت مصر في اسوإ حال لوهن قوتها بالانقسام الداخلي وكان ملوك سورية طوع يديه والعبرانيون لم ينسوا فضل ابيه بردهم الى مواطنهم فمرت جنوده في سورية لا تلقي معارضًا بل قُبل بالترحاب وانجده الفونيقيون باسطول كان يوفق حركته في البحر على حركة جنوده في البر فضرب بالوس وهي المعروفة الان بفرما او مدينة في جوارها فافتتحها وزحف ظافرًا الى منف فلم نقوَ على مقاومته الا اياماً . وكان احمس او اماسيس كما يسميه هيرودت قد مات في اثناء الحرب وخلفه ابنه بسامتيك فاخذه كمبيس اسيرًا فانتحر متسمماً . واخرج كمبيس جثة احمس المحنطة من مدفنها وانزل بها كل اهانة واحرقها بالنار مخالفًا سنَّة الفرس الذين كانت النار عندهم مقدسة فلا يحل طرح جثة فيها وسنَّة المصريين القاضية باحترام جثث الموتى . وتتبع كمبيس بعد ذلك آثار سياسة ابيه بمجاراته المصريين على عاداتهم وتزيي بزيهم وكتب اسمه بالحروف الهيروكليفية بل ادَّعى انه من سلالة ملوكهم القدماء وامر بردّ عبادة سانس الى ما كانت عليه وكان يمارس فروض الدين والتعبد كملوك مصر واتخذ كاهناً من كهنتها يلقنه ما يترتب عليه عمله . وفي المتحف الواتيكاني تمثال لهذا الكاهن كتب عليه ما يشعر بما ذكرناه . وجعل مصر ولاية من ولايات فارس اقام فيها والياً اجنبياً . على ان توفر نجاحه اضاعه الصواب فعزم ان يحمل على قرطاجنة وكاف الفونيقيين انجاده بهذه الحملة ايضاً فابوا محاربة اخوانهم واخلاف ايمانهم ودينهم ونقض حق الدم بينهم فاضطر ان يضرب عن عزمه . وعنَّ له ان يغزوا الحبشة ولم يُهلهما دون ذلك من العقبات

والاهوال وتوغل في الصحرآء حيث لا مآء ولا قوت فاقتات جنوده بالعشب اياماً والجأهم الجوع اخيرًا (على ما روى هيرودت) ان يقترعوا على واحد من كل عشرة منهم ومن اصابته القرعة اقتاتوا بلحمانه فاضطر كمبيس ان يعود الى مصر وقد فقد السواد الاعظم من جيشه وهبل واختلّ شعوره وكان يتصرف تصرف الممسوس باحكامه ودم مسوديه ومما رووا من اخبار جنونه انه اراد ان يتزوج بشقيقة صغيرة له خلافاً لسنّة الفرس واستفتى قضاة قومه هل ليس من مسوّغ شرعي لذلك فاجابوه لذعرهم منه انهم لا يرون مسوغاً لكنهم يعلمون ان ملوك الفرس لا سنّة عليهم بل لهم ان يصنعوا ما شآؤا فقتل الظالم اخته مكان ان يتزوج بها

وبين كان كمبيس يفعم مصر بمظالمه نشأت ثورة في بابل فهمّ بالمسارعة اليها واذ كان يمتطي فرسه متلهوجاً سقط جريحاً بسيفه وسار لا يبالي فاثخن جرحه ومات في قرية في سورية سماها علمآء اليونان آكتبان وقال بعضهم انه قضى في الكرمل او حماه وكان ذلك لسنة ٥٢٢ ق م اما داعي الثورة فهو ان كمبيس كان وكل تدبير املاكه الى رجل مجوسي اسمه بانيزاتيس وكان له اخ اسمه غوماتوس يشبه كل الشبه سمرديس بن كورش الذي كان اخوه كمبيس قتله واذاع انه محجور عليه في قصره وبينما كان الملك في مصر والشعب يئن من جوره ادّعى غوماتوس انه سمرديس اخو الملك واتصل بمساعدة اخيه والمجوس ان ينادى به ملكاً مظنوناً انه اخو كمبيس واعفى الفرس من الجزية والخدمة الجندية ليحازبوه توطيدًا لملكه . على انه لم يختفِ امره فتحالف عليه سبعة من حكام الاعمال منهم داريوس وباغتوه في قصره وقتلوه ولم يملك الا شهرًا واجلسوا احدهم داريوس (ويسميه العرب دارا) على منصة الملك .

ومما رووه في تمليك دارا ان هؤلاء العمال اجتمعوا بعد مقتل غوماتوس

يتفاوضون في نوع حكومتهم أملكية تكون ام فوضوية وآثروا الملكية واتفقوا على ان يخرجوا في الغداة الى مكان معين ومن صهل جواده اولاً عند مطلع الشمس كان الملك واخذ سائس خيل دارا جواده مسآء الى ذلك المكان وكان ربط فيه فرساً فاكثر الجواد من الصهيل ولما عاد بكرة اليوم التالي الى المكان اخذ يصهل كما فعل في الامس فنزل المتحالفون عن خيولهم واقرُّوا بالملك لدارا. وقد روى هيرودت هذه الاخبار وجآءت الآثار تؤيد روايته. فان في الطريق المؤدية من بغداد الى همذان صخرًا نقشت عليه صورة تمثل صورة هورامزدا معبودهم في دائرة ذات اجنحة خارجة منها ودارا وقوسه بيده ورجله على صدر رجل رافع يديه يستغيث وعيناه الى تسعة اشخاص قيام امامه موثوقي الاعناق مكتفي الايدي . وقد كتب تحت هذه الصورة ما ملخصه « لما قتل كمبيس سمرديس اخاه وكان الشعب يجهل موته مضى كمبيس الى مصر وعصاه شعبه وكان المكر والكذب متفاقين في هذه البلاد وكان رجل اسمه غوماتوس ثار في ٢٤ من شهر فيهنا (شباط ٥٢٢) وخدع الشعب بقوله انه سمرديس بن كورش واستمال الناس اليه ومات كمبيس جريحًا فالملك الذي اخذه غوماتوس المجوسي انما هو ملكنا وخاص بذريتنا ولم يجسر الشعب ان ينتزعه من الملك لقسوته . فخشعت حينئذٍ الى هورامزدا فاستجابني وقتلت غوماتوس وشركاءه في الـ ١٠ من شهر باكايريس (نيسان سنة ٥٢١) واخذت الملك منه وصرت ملكاً بحسب مشيئة هورامزدا فاصلحت حال المملكة واعدت المذابح التي كان غاماتوس دمرها ورددت العبادة القديمة ووطدت النظام في فارس وماداي وسائر الاقاليم » ولا مرية في ان هذه الخطوط لدارا الذي ضبط صولجان الملك من سنة ٥٢١ الى سنة ٤٨٥

﴿ عد ٣٦٠ ﴾

في استئناف بنآء الهيكل واتمامه

قد مرَّ ان البنآء في الهيكل بقي منقطعاً الى السنة الثانية من ملك داريوس فاوهى هذا الانقطاع جلَد اصحاب الغيرة واخمد جذوة حميتهم فعكف كل على مشاغله وبنآء بيت له وبيت الله خرب ويظهر ان زربابل حاكم اليهود في اورشليم عاد وقتئذٍ الى بابل لاغتنام رضىٰ دارا عنه واستعطافه ليأمر باستئناف بنآء الهيكل واستدعآء بعض من لبثوا في بلاد الكلدان للعود الى اورشليم فعاد منهم معه نحو من خمسين الف جميعهم من سبطي يهوذا وبنيامين ومعهم مئات من الكهنة واللاويين وبلغوا اورشليم في الشهر الرابع بعد مسيرهم وكان ذلك للسنة الثانية من ملك دارا اي سنة ٥٢٠ ق م . وكان حينئذٍ حجاي النبي يونب اليهود في اورشليم على قولهم ان زمان بنآء الهيكل لم يأتِ بعد قائلاً (فصل ١) « أفحان لكم ان تسكنوا في بيوتكم المسقفة وهذا البيت خرب » ومبيناً لهم ان القحط الذي حلَّ بهم تلك السنين وقلة البركة في بيوتهم وعمل ايديهم سببهما تقاعدهم عن بنآء بيت الرب . وبمثل ذلك كان يحضهم زكريا بن براكيا (او براشيا) النبي على الاخذ في اتمام بنآء الهيكل . فتلوم زربابل مدة في استئناف البنآء خشية ان يقاومهم اعداؤهم الى ان اخذ سنة ٥١٨ في العمل باقدام وجدٍ فوافاهم تتناي والى عبر الفرات (المراد والي سورية وفونيقي وفلسطين) وشتربوزناي (لعله والي السامرة) واصحابهما يقولون من امركم ببنآء هذا البيت وترميم هذه الاسوار فقال زربابل ويشوع عظيم الكهنة ان كورش الملك امر ببنآئه وردَّ الآنية التي كان بختنصر سلبها منه اليه وكان هولآء ارفق واعدل من الاولين فلم يكفوهم عن العمل بل رأوا ان يرفعوا الامر الى دارا فكتبوا اليه رسالة مثبتة في الفصل الخامس من سفر عزرا تضمنت حكاية الواقع وجواب

اليهود لهم واستلفتات الملك الى البحث عن امر كورش واصدار امره بما يشآء فبحث دارا في سجلات ملكه فوجد امر كورش كما مر بنصه فايّده بجوابه الى عماله المثبت في الفصل السادس من السفر المذكور وملخصه ان لا يعارضوا اليهود ببناء هيكلهم ولا يزعجوهم بشيء بل ان يُعطوا النفقة من خراج عبر النهر معجلة وما يحتاجونه اليه من العجول والكباش والحملان لمحرقات اله السمآء وان لا يضن عليهم بالحنطة والملح والخمر والزيت بحسب قول الكهنة الذين في اورشليم وان من خالف امره يقلع الخشب من بيته ويصلب عليه ويكون بيته مرحاضاً واختتم امره بقوله . والله الذي احلَّ اسمه هناك يدمر كل ملك وشعب يمد يده لتغيير وهدم بيت الله هذا الذي في اورشليم . انا داريوس قد امرت فلينفذ عاجلاً . ففعل الولاة بحسب امر الملك وكمل بناء الهيكل في اليوم الثالث من اذار للسنة السادسة لدارا وهي سنة ٥١٦ ق م . واتى الشعب من كل فجٍ فدشنوا الهيكل الجديد بمزيد المسرة والابتهاج وقربوا حينئذٍ مئة ثور ومئتي كبش واربع مئة حمَلٍ واثنى عشر تيساً للاستغفار عن بني اسرائيل على عدد اسباطهم واقاموا الكهنة واللاويين على خدمة الهيكل بحسب سنَّة موسى ثم عملوا الفصح سبعة ايام بالفرح (عزرا فصل ٥ و ٦)

ولا نعلم حق العلم مقدار اتساع الهيكل وبمقتضى امر كورش كان يلزم ان يكون طوله ستين ذراعاً وعرضه كذلك وعليه فيكون اكثر اتساعاً من هيكل سليمان الا ان الحال لم تسعفهم على بنآئه كبيراً بهذا المقدار فكان اصغر من هيكل سليمان واقل اتقاناً وعظمة . وروى يوسيفوس انه كان اقل ارتفاعاً من هيكل سليمان . وقال بعض علمآء اليهود انهم نقشوا حينئذٍ فوق باب السور الخارج من جهة المشرق صورة مدينة شوشن ذكراً لفضل ملوك فارس ولم يكن تابوت عهد الرب في قدس الاقداس من هذا الهيكل الجديد لانه جآء في سفر

المكابيين الثاني (فصل ٢) ان ارميا اخذ هذا التابوت ووضعه في مغارة في جبل نبو ولم يعد احد يهتدي الى محل وضعه

﴿ عد ٣٦١ ﴾

﴿ تتمة اخبار دارا ﴾

قد عاش بنو اسرائيل في ايام دارا ناعمي البال مرعيي الجانب وقد قسم مملكته الى تسع عشرة ولاية على ما روى هيرودت (ك ٣ من تاريخه) وفرض على كل ولاية جزية مقدرة سنوية ويهمنا منها ان نبين ان الجزية المضروبة على سورية مع فونيقي وفلسطين وجزيرة قبرس كانت ٣٥٠ وزنة او قنطاراً من الفضة وكانت قبائل العرب في برية سورية والى تخوم مصر خاضعة لوالي هذه الولاية لكنها كانت تعفى من الجزية وكانت الجزية المضروبة على ولاية قيليقيا (حيث ولاية اطنه الآن) ٥٠٠ وزنة ينفق منها ١٤٠ وزنة على الفرسان المقيمين في هذه الولاية ويرسل الباقي وهو ٣٦٠ وزنة الى خزينة الملك . وكان المفروض على مصر ٧٠٠ قنطار من الفضة ثم الميرة اللازمة لمئة وعشرين الف جندي تخفر هذه البلاد . وكانت جملة الدخل على ما قدَّره هيرودت ١٤٥٦٠ وزنة بحسب اصطلاح اهل اثينا وهي تساوي وزناً ٨٢٧٩٩٨٦٦ فرنكاً وتساوي قيمة (لندوة الفضة وقتئذٍ ولكثرتها الآن) ٦٦٢٣٨٢٩٢٨ فرنكاً وذهب بعض العلماء منهم كلمت في تاريخ العهد القديم وفي معجم الكتاب ان دارا تزوج باستير وقد سمي في سفر استير احشورش او ارتحششتا والاظهر ان استير كانت امرأة ارتحششتا الملقب بذي اليد الطولى كما سيجيء

ان دارا بعد ان خمد نار الثورات التي توقدت في بلاد فارس وفي بابل وقتل ثلاثة الاف رجل من وجهاء هذه المدينة واخضع بلاد ماداي وارمينية زحف الى تراسة بجحافله فافتتحها وتوغل في بلاد التتر وانتهى الى بعض اعمال الهند

لكنه خسر اكثر جنوده ومع هذا عزم ان يحارب اليونان وسيّر الى بلادهم عسكرًا جرارًا عهد بقيادته الى دانيس واوتعرن فانتصر ملسياد قائد اليونان عليهما في ماداتون واهلك من جيشهما نحوًا من مئتي الف رجل وكان ذلك لسنة ٤٩٠ ق م . وبينما كان يجيش جيوشًا اخرى ليثأر من اليونان ويكبت المصريين الذين ثاروا عليه دهمته المنية سنة ٤٨٥ ق م بعد ان ملك ستًا وثلاثين سنة وخلفه ابنه كسركس وهو على ما اظن من يسميه المؤرخون العرب كيخسرو ومعنى خسرو بالفارسية الوسيع الملك على ما في تاج العروس وعنه سمى العرب ملوك فارس في طبقتهم الثالثة كسرى وجمعوها اكاسرة فيكخسرو اثخن بالمصريين وخمد جذوة ثورتهم واقام اخاه اخمنيس واليا على اقاليم افريقيا وذلل اهل بابل الذين عاودوا الثورة عليه . وبعد ان صفا له جو السياسة حاول اتمام نوايا ابيه في تذليل اليونان فجيش الجيش وسيره الى ما ورآء البسفر وعبرت جنوده الدردنل على جسر من سفائن واتصل الى ان احرق آثينا وفتح غيرها من مدن اليونان فكانت بين الفريقين الحرب المعروفة بحرب سلمينا وبلاتيس واكتسب فيها تميستكل واريستيد مجدهما المخلد سنة ٤٨٠ وسنة ٤٧٩ ق م واضطرت جيوش الفرس ان تتقهقر الى ما ورآء الدردنل . واخذت اساطيل اليونان طريق الهجوم فنكلت بقبرس وشواطي اسيا الصغرى . ويظهر ان كيخسرو قضى باقي مدة ملكه عاكفاً على ملاذه متسامحاً مع اعدائه الى ان اغتاله رجلان من اعوانه سنة ٤٦٥ فانتشبت الحرب بين ابنيه هستاسب وارتحشثتا واستظهر فيها الثاني على الاول وملك من سنة ٤٦٥ الى سنة ٤٢٥ وكان في ايامه عزرا ونحميا واستير وسيأتي الكلام فيهم

﴿ عد ٣٦٢ ﴾

﴿ في عزرا الكاهن ﴾

ان عزرا هو ابن سرايا بن عزريا بن حلقيا الذي وجد في الهيكل نسخة قديمة من سفر تثنية الاشتراع او بعض فصول من هذا السفر كما مرّ في كلامنا على يوشيا الملك ويتصل نسبه بالعازر بن هرون وعزرا هو كاتب السفر المعنون باسمه وقد اجمع على ذلك علماء اليهود والنصارى خلافاً لبعض اهل الانتقاد وكان عزرا ماهرًا في سنَّة موسى عاملاً بها واصاب بعضهم بقولهم انه كان يعظ قومه في بابل بالمحافظة على هذه السنة بتعليمه وعمله ويظهر ان اليهود الذين كانوا في بابل كانوا اشد تمسكاً بسنة موسى من اخوانهم الذين مكثوا في فلسطين . وكان زربابل اقام الهيكل في اورشليم فرأى عزرا في بابل انه لا يجتزأ باقامة حجارة الهيكل بل لا بد من تجديد المحافظة على سنة الرب فعزم ان يعود الى اورشليم وذهب بعضهم انه كان شخص الى اورشليم مع زربابل في ايام كورش ثم عاد الى بابل في ايام ارتحششتا الذي كان مقربًا اليه على ما يظهر من رسالة الملك الآتي ذكرها فسار من بابل في السنة السابعة لارتحششتا وهي سنة ٤٥٨ ق م يصحبه قوم من الكهنة واللاويين والمغنين والبوابين وعامة الشعب وكان بدؤ سفره في اليوم الاول من الشهر الاول وبلغ اورشليم في اليوم الاول من الشهر الخامس فكانت مدة سفره اربعة اشهر تخللها بلا بد بعض ايام للاستراحة وقد دفع الملك اليه رسالته المثبتة في الفصل السابع من سفره وملخصها ، من ارتحششتا ملك الملوك الى عزرا الكاهن كاتب شريعة اله السماء الكامل سلام . اني امرت بان كل من شاء من مملكتي من شعب اسرائيل ان يرجع معك الى اورشليم فليرجع لانك ارسلت من عند الملك ومشيريه السبعة لتبحث عن يهوذا واورشليم على حسب سنة الهك وتأخذ الفضة والذهب اللذين تطوع بهما الملك

ومشيروه لاله اسرائيل الذي مسكنه في اورشليم . وكل ما تجده من الفضة والذهب في بلاد بابل من تطوعات الشعب والكهنة تشتري به عاجلاً ثيراناً وكباشاً وحملاناً وتقربها على مذبح بيت الهكم . وكل ما حسن عندك وعند اخوانك ان تعملوه بما فضل من الفضة والذهب فاعملوه على مشيئة الهكم والآنية التي أعطيتها لخدمة بيت الهك ردها الى امام اله اورشليم (كأنه كان باقياً شيء من سلب الهيكل) وسائر ما تحتاج اليه من النفقة في بيت الهك خذه من خزائن بيت الملك وقد امرت جميع الخزان الذين في عبر نهر الفرات ان كل ما يطلبه منكم عزرا الكاهن فليقضَ عاجلاً الى مئة قنطار فضة ومئة كرّ قمح ومئة بث خمر ومئة بث زيت والملح دون تقييد . وكل ما يأمر به اله السماوات فليقضَ باهتمام لبيته لكي لا يكون غضبه على مملكة الملك وبنيه . ونعلمكم ان جميع الكهنة واللاويين والمغنين والبوابين وسائر خدام بيت الله لا يضرب عليهم خراج ولا جزية ولا ضريبة وانت يا عزرا اقم بحسب حكمة الهك قضاة وحكاماً يقضون بين جميع الشعب الذين في عبر النهر (الفرات) من كل من يعلم شريعة الهك ومن لا يعلم فعلموه وكل من لا يعمل بشريعة الهك وشريعة الملك فليقضَ عليه عاجلاً اما بالموت او بالنفي او بغرامة مال او بالحبس » واعقب عزرا هذه الرسالة بقوله « تبارك الرب اله ابائنا الذي القى مثل هذا في قلب الملك لتكريم بيت الرب . وقدم بنو الجلاء القادمون حينئذٍ الى اورشليم محرقات للرب وبلّغ عزرا امر الملك الى اقطابه وحكام سورية فاعانوا الشعب وكرموا بيت الله (عزرا فصل ٧ و ٨)

عد ٣٦٣

حظر عزرا على بني اسرائيل الزواج بالاجنبيات

قد اقبل روساء الشعب الى عزرا ينبئونه بان الشعب بل بعض الكهنة

واللاويين ايضاً لم ينفرزوا عن شعوب الارض لانهم تزوجوا ببنات من الكنعانيين والموابيين والعمونيين والمصريين وزوجوهم ببناتهم فاغتاظ عزرا ومزق ثوبه ونتف شعر رأسه ولحيته واخذ يصلي لله خاشعاً ويستميحه ان لا يغضب على شعبه لذلك واجتمع اليه حشد كبير وبكوا معه . وتحالف عزرا ورؤساء الكهنة واللاويين والحشد المذكور على اخراج النساء الاجنبيات واولادهن فاستدعوا جميع بني الجلاء ليشخصوا الى اورشليم في مدة ثلاثة ايام وكل من ابى ان يأتي تبسل كل امواله ويفرز عن جماعة اهل الجلاء فاجتمع جميع رجال يهوذا وبنيامين في ساحة بيت الله فقال لهم عزرا قد تعديتم سنة الله واتخذتم نساء من الامم لتزيدوا في اثم اسرائيل فاعتزلوا امم الارض والنساء الغريبات فقالت الجماعة حسن كما قلت نفعل الا ان الشعب كثير والوقت وقت امطار فلا طاقة لنا ان نقف في الخارج وليس العمل عمل يوم او يومين فليقم رؤساؤنا ويأتِ من اتخذوا نساء غريبات في اوقات مسماة ومعهم شيوخ كل مدينة وقضاتها حتى يُصرف عنا غضب الهنا واقاموا مفوضين للبحث عن هولاء وتنفيذ الامر عليهم فوجدوا كثيرين ارتكبوا هذه المعصية وبعضهم من الكهنة واللاويين فاذعنوا للامر وحلفوا ان يخرجوا نساءهم الغريبات وقدموا لله ذبائح تكفيراً عن اثمهم على انه يظهر انهم لم يتركوا جميعهم نساءهم لاننا نرى نحميا اضطر ان يستأنف الامر بطرد النساء الغريبات (عزرا فصل ٩ و ١٠)

﴿ عد ٣٦٤ ﴾

تتمة اخبار عزرا ووفاته واسفاره

قد بقيت لعزرا السلطة النافذة في اورشليم الى وفود نحميا اليها حاكماً فيها من لدن ارتحششتا كما سيجيء وفي السنة الثانية بعد اقامة اسوار اورشليم اجتمع الشعب في الهيكل للاحتفاء بعيد المظال وسألوا عزرا ان يقرأ لهم التوراة

فقرأ لهم من الصباح الى نصف النهار وكان في جانبه بعض من الكهنة واللاويين ليفهموا الشعب المعنى فان اقامتهم في الجلاء سبعين سنة انست اكثرهم اللغة العبرانية المكتوبة التوراة بها وظل يقرأ لهم سنة الله ثمانية ايام وفي الختام جدد جميعهم العهد واليمين على طاعة الله والعمل بناموسه (نحميا فصل ٨)

روى يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ١١ فصل ٥) ان عزرا توفي في اورشليم وعظم الشعب الاحتفاء بدفنه ولكن ذهب بعض علماء اليهود انه قضي في بلاد فارس لدن عوده مرة اخرى اليها وان سكان تلك البلاد يدلون على مدفنه في مدينة ساموز ويقال انه عاش مئة وعشرين سنة

قد مر ان السفر الذي كان مدار كلامنا عليه في هذا الفصل انما هو لعزرا باجماع اليهود والنصارى على ذلك لكن الترجمة اللاتينية العامية تعزو اليه السفر الثاني ايضًا الآتي الكلام فيه المعروف في النص العبراني بسفر نحميا وهو لنحميا حقيقةً ومن المجمع عليه انه هو كاتب الفصول الستة الاولى منه ولكن عزا المقليون ما تضمنه هذا السفر من الفصل السابع عد ٦٩ الى الفصل الثاني عشر عد ٢٦ الى كاتب اخر كان بعد قرنٍ من ايام الكاتب الاول واحتجوا لذلك بادلة تضعف قول الجمهور بان نحميا كتب هذا السفر الا آيتين او ثلاثًا في الفصل الثاني عشر منه (عد ١١ و ٢٢) الحقتها يد اخرى بكلامه تلاحظ نسب بعض كهنة لم يكونوا في ايام نحميا واما نسبة هذا السفر الى عزرا في الترجمة اللاتينية المذكورة فمصدرها جعل اليهود السفرين واحدًا كيلا يتجاوز عدد الاسفار المنزلة عندهم عدد حروف هجائهم الاثنين والعشرين . ثم ان الكنيسة اليونانية عزت الى عزرا سفرًا ثالثًا وحسبته منزلاً وخالفتها في ذلك الكنيسة الكاثوليكية وهذا السفر اشبه بسفر عزرا الاول ولكن تخللته حواش وزيادات منها انه كان لداريوس ثلاثة حراس احدهم زربابل وانه طارحهم سؤالاً في ما

هو اقوى كل شيء في العالم فقال الاول انه الخمر واقام عليه ما عنّ له من الحجج وقال الثاني هو الملوك واورد له ما خطر في باله من البراهين وقال الثالث وهو زربابل ان اقوى شيء النساء واقوى من الخمر والملوك والنساء الحق واثبت ذلك بادلة دامغة فجمع الملك اعوانه وعماله وقص عليهم ما كان فصوبوا جميعاً قول زربابل وجزاه الملك بالسماح له ان يعود الى اورشليم ويجدد بناء الهيكل . وذكر يوسيفوس هذه القصة (في تاريخ اليهود ك ١١ فصل ٤) ولا يحسب بذلك انه قطع بكونها من جملة الكلام المنزل في امته . وايضاً يعزى الى عزرا سفر رابع ليس على صحة تنزيله من دليل وقد بذل كاتبه جده ليحذو به حذو عزرا في الفاظه واساليب كلامه ومما كتب فيه ان يوم الدين قريب وان نفوس الصالحين والاشرار اجمع تنجو بعده من الجحيم وان عزرا اصلح الاسفار المقدسة كلها وكانت قد بادت برمتها ويتكلم في المسيح ورسله كلاماً اوضح مما ورد في الانجيل الى غير ذلك مما حمل اليهود والنصارى على نفي هذا السفر من عداد الاسفار المنزلة . وينسب الى عزرا ايضا انه كتب سفري الملوك الثالث والرابع وسفري اخبار الايام الاول والثاني ولعله اعاد النظر فيها او عارض نسخها واصلح فيها شيئاً ويقال انه واضع نظام الاسفار المقدسة الى ايامه كما نراه الان . وانه اول من وضع النقط والحركات على كلم الكتاب والاصح ان وضعها كان بعده بقرون وبعد مجيء المخلص

﴿ عد ٣٦٥ ﴾

في نحميا وبنائه اسوار اورشليم

ذهب بعضهم الى ان نحميا كان من السبط الكهنوتي والاظهر انه كان من سبط يهوذا من ذرية الملوك وقد ولد في بابل في مدة الجلاء فلم يكن يعرف اورشليم بل كان يحنّ اليها لانها موطن ابائه وحوث بيت الله وكان من

المقربين الى ارتحشتا الملك بل كان ساقيه وقد وفد يوماً احد اخوته ورجال من يهوذا من اورشليم الى شوشن عاصمة الفرس فاستخبرهم عن حالة امته فقالوا هم في ضنك واسوار اورشليم ما برحت متهدمة وابوابها محترقة فبكى وصام وصلى الى الله ليمده بعونه امام الملك ووقف امامه في شهر نيسان في السنة العشرين لملكه وهي سنة ٤٤٥ ق م وناوله الخمر مكتئباً فسأله الملك عن علة اكتئابه فقال حييت مولاي الى الابد كيف لا اكتئب والمدينة حيث مدافن اباءي خربة وابوابها محترقة فقال الملك ما تبغي فقال بعد ان خشع لله ان كان لعبدك حظوة امامك فمر بان امضي الى هناك فاجاب الملك متمناه بحضرة الملكة وفي هذا اشارة الى انها استير بنت قبيلته ودفع اليه رسائل توصاة الى الولاة الذين في عبر الفرات ورسالة الى اساف حارس غاب الملك ليعطيه ما يلزمه من الاخشاب واصحبه بقواد وفرسان وولاه على قومه وشرط عليه ان يعود اليه بعد الفراغ من مهامه فوفد الى اورشليم ومكث ثلاثة ايام لا يقول شيئاً ثم خرج ليلاً ودار حول المدينة متبصراً كيف يقيم اسوارها ودعا روساء قومه واعلمهم بما اتاحه الله له وحضهم على بناء اسوار اورشليم فلبوا دعوته مجدين واخذ كلٌ في بناء ما يواجه بيته وسمع سنبلط الحوروني والي السامرة وطوبيا العبد لعموني (لعله كان والياً على العمونيين) وحاشم الدري والي العرب فسخروا من اليهود قائلين ماذا يصنع هولاء اليهود الضعفاء أيتمردون على الملك ام يحيون الحجارة من كوم التراب وهي محترقة فلو وثب ثعلب لهدم سور حجارتهم . فلم يحفل نحميا بكلامهم وجد في بناء السور واتم نصفه فاستشاط اعداء اليهود حنقاً فعدلوا عن السخرية منهم وتقرنوا لقتالهم . واخبر اليهود المقيمون بين الامم نحميا بما ينوون فاقام الحراس ليلاً ونهاراً على قمم الجبال وقسم شعبه الى نصف يعمل العمل ونصف يحمل السلاح متأهباً للقتال

وكان البناؤون يبنون وسلاحهم معهم وكذلك فعل العملة واقام نحميا مبوقين حتى اذا اقبل الاعدآء من جهة عرف كل واحد باقبالهم واتموا هذه الاسوار في مدة اثنين وخمسين يوماً والمراد انهم اتموا النصف الذي كان باقياً عند استعداد اعدائهم لقتالهم

ولم يتهيأ لاعدآء اليهود ان يحاربوهم فعولوا على ان يحتالوا على نحميا ليهلكوه غيلة فاستدعوه لمفاوضتهم في البرية لتسوية الخلاف دون حرب فاعتذر لهم بانه آخذ في عمل كبير فلا يتسنى له تركه مخافة ان يُعطَّل وراودوه في ذلك اربع مرات وهو يجيبهم جواباً واحدًا فارسل اليه سنبلط رسالة مع غلامه مفتوحة وقد كتب فيها « قد سمع في الامم وجاشم (والي العرب) يقول انك انت واليهود مضمرون التمرد ولذلك انت تبني السور لتكون ملكاً عليهم وقد اقمت لك انبياء ليتنبأوا لك في اورشليم قائلين ان في يهوذا ملكاً والان يسمع هذا الكلام عند الملك فهلمَّ الان لنأتمر معاً » فاجابه نحميا ليس الامر كما تزعم وانما هو كلام انت تختلقه من قلبك . واستمال اعداؤه اليهم نبياً كاذباً اسمه شمعيا اخذ يخوفه قائلاً لنجتمع في بيت الرب ونوصد الابواب لانهم آتون ليقتلوك ليلاً . فاجابه نحميا مثلي لا يهرب ولا يدخل الهيكل ليحيي وعلم ان اعداءه استأجروه ليقول هذا الكلام وان كثيرين من اورشليم يراسلون طوبيا العموني ويراسلهم لانه كان تزوج هو وابنه بامرأتين عبرانيتين فلم يعبأ بشيء من ذلك

واراد نحميا ان يدشن السور والابراج والابواب فدعا الكهنة واللاويين والمغنين ورؤساء الشعب من كل انحاء اليهودية وسير فريقاً منهم عن جنوبي الاسوار وفريقاً عن شماله يسبحون الله بالغناء والصنوج والميدان والكنارات الى ان التقى الفريقان في الهيكل وتلوا بعض فصول التوراة وقدموا الذبائح

والقرابين وعيدوا عيد المظال بالبهجة والسرور . ووجد نحميا اسوار المدينة فسيحة لا تملئها المساكن فالقى قرعة على ان يأتي واحد من عشرة من الشعب ليسكن في اورشليم والتسعة يسكنون المدن والقرى (نحميا من الفصل الاول الى الفصل السابع)

عد ٣٦٦

تتمة اخبار نحميا

ان بنآء الاسوار وتفرغ الشعب للحراسة والعمل كما مر انهكا الفقرآء منهم واضطر بعضهم ان يبيع عقاره وبعضهم ان يرهنه وغيرهم ان يقترض مالاً بربا فاحش وآخرون الى ان يعبّدوا بنيهم وبناتهم ليكسبوا ما يعيشون به فجمع نحميا الكبرآء والاغنيآء وعنفهم على ظلمهم الفقرآء وحملهم ان يحطوا لهم من دينهم ويردوا عليهم حقولهم وكرومهم ويقرضوهم دون ربا وقال مذ أُمرت، ان اكون قائدًا لم آكل خبز القائد (اي لم يأخذ شيئاً من جعله) ولم اثقل على احد بل كان على مائدتي كل يوم مئة وخمسون رجلاً من اليهود والولاة ما خلا من كانوا يقدمون الينا من الامم . فاذعنوا لكلامه وردوا على الفقرآء بعض ما كانوا اخذوه

وعكف نحميا على استئصال ما تداخل عند اليهود من العادات السيئة ومنه الزواج بنسآء غريبات من غير امتهم وقد مرَّ ان عزرا عني بذلك فيظهر ان بعضهم لم ينبذوا نسآءهم الغريبات فاحتاج الامر عناية نحميا ايضاً وكان اكثر نجاحاً . وعين جعل الكهنة والمغنين . وشدد بحفظ وصية السبت ونهى الصوريين وغيرهم من بيع السمك وغيره في اورشليم يوم السبت وامر باقفال ابواب المدينة في ذلك النهار . وحمل كبرآء الشعب على تجديد ميناق الطاعة لوصايا الرب . ووقع على هذا الميناق هو وكبرآء الشعب ووصف نفسه بكلمة

ترشاتا وهي فارسية معناها على الاصح حاكم او والٍ . وجاء في سفر المكابيين الثاني (فصل ٢ عد ١٣) ان نحميا « انشأ مكتبة جمع فيها اخبار الملوك والانبياء وكتابات داود ورسائل الملوك في التقادم » واقامها في الهيكل . وبعد ان فرغ من هذه المهام عاد الى ارتحشستا الملك كما وعده ثم قفل بامره الى اورشليم حيث توفي نحو سنة ٤١٥ ق م على الراجح سنداً الى ان ارتحشستا ملك سنة ٤٦٥ ونحميا اتى اورشليم في السنة العشرين لملكه وهي سنة ٤٤٥ ق م وانه حكم في شعب يهوذا نحواً من ثلاثين سنة

عد ٣٦٧

في سفر استير ومن كانت هي زوجة له

ان مدار كلامنا في اخبار استير انما هو على ما تضمنه السفر المنزل المعروف بسفر استير وقد انكر الملحدون تنزيله وسموه مثلاً او حكاية مع ان حسبانه من الاسفار المنزلة ثابت بادلة قاطعة منها ان العيد المعروف بيومي فوريم (اي القرعة) الذي ذكر في سفر استير (فصل ٩ عد ٢٨) قد جاء ذكره في سفر المكابيين الثاني ايضاً (فصل ١٥ عد ٣٧) مأموراً ان يعيد فيه ذكراً للاحداث الآتي ايرادها وان اليهود كانوا يحتفون به في ايام نكانور في نحو سنة ١٦٠ ق م ومنها ان يوسيفوس الذي كان في القرن الاول للميلاد ذكر هذا العيد (في تاريخ اليهود ك ١١ فصل ٦) واليهود يحتفون به الى الان في الثالث عشر من اذار ويصومون اليوم السابق له ويقرأون في مسائه سفر استير برمته ومنها مطابقة كل ما جاء في هذا السفر لعادات الفرس في تلك الايام وآدابهم ولذلك قضت الكنيسة باحصائه بين الاسفار المنزلة مع الحواشي المذيل بها وان خلا النص العبراني عنها مع وجودها في الترجمة السبعينية اما كاتب هذا السفر فغير معروف وعزاه التلمود الى مجمع اليهود الكبير في تلك الايام والقديس

اكايمنضوس الاسكندري وغيره الى مردكاي عم استير او ابن عمها وفي الفصل التاسع من هذا السفر (عد ٢٠) ما يؤيد هذا القول لانه جآء هناك ٠ وكتب مردكاي هذه الامور وبعث برسائل الى جميع اليهود الذين في جميع اقاليم الملك احشورش من دانٍ وقاصٍ ٠ وعلى كل قول يلزم ان يكون الكاتب قد عاش في ايام ملوك الفرس لما يظهر من معرفته بعاداتهم وقرائن احوالهم ودقائق امورهم ومن اساليب كلامه المطابقة لاساليب كلامهم في تلك الايام

وقد جآء في هذا السفر ان استير كانت بنت ابيحائيل من سبط بنيامين وتوفي والداها فرباها عمها او ابن عمها مردكاي بن يائير وقيض الله لها ان تكون زوجة لاحشورش ملك الفرس وذهب بعضهم منهم كامت في تاريخ العهد القديم وفي معجم الكتاب الى ان احشورش هذا هو دارا بن هيستاسب وذهب اخرون وهم كثيرون الى انه ارتحشستا الملقب بذي اليد الطولى واقاموا على ذلك ادلة وحججًا منها ان يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ١١ فصل ٦) صرح بان الملك الذي تزوج باستير انما هو ارتحشستا ذو اليد الطولى ومنها ان الترجمة السبعينية وحواشي سفر استير اليونانية سمت احشورش ارتحشستا وتوجد قرائن عديدة تثبت ان احشورش هذا لا يمكن ان يكون ارتحشستا الملقب بيامون الذي ملك في الفرس بعدًا فتعين ان المراد ارتحشستا ذو اليد الطولى ومن هذه الادلة تعطفات ارتحشستا على اليهود بتوليته نحميا عليهم ومعاونته على بنآء اسوار اورشليم الى غير ذلك مما يشعر بان امرأته كانت يهودية وقد قال بهذا اكثر العلمآء حتى قال كامت نفسه في اخر كلامه على احشورش في معجم الكتاب ٠ يظهر لي ان حجج هذا القول اقوى من حجج القول الاخر ولذلك اعتمد عليه ٠

﴿ عد ٣٦٨ ﴾

ملخص خبر استير عن سفرها

قد جآء في هذا السفر ان احشورش صنع وليمة لعظمآء مملكته في السنة الثالثة لملكه استمرت مئة وثمانين يوماً ثم صنع وليمة اخرى لشعبه في شوشن عاصمة ملكه مدة سبعة ايام في دار حديقة قصره وادبت الملكة للنسآء في قصره وامر في اليوم السابع ان تأتي وشتي الملكة الى امامه بتاج الملك ليرى الشعب والزعمآء جمالها فأبت الملكة ان تأتي فحنق الملك وقال للحكمآء العارفين بالسنة ما تفعل بوشتي الملكة وما جزآؤها فقال احدهم انها لم تسئ الى الملك وحده بل الى جميع الزعمآء والشعب لان خبرها سينتهي الى جميع النسآء فيحتقرنَ بعولهنَّ فان حسن عند الملك ان يُعطى ملكها لمن هي خير منها . وصوب الملك مشورته واذاع امرًا بان يكون كل امرء ربًا على بيته (فصل ١) وطلب غلمان الملك ان يؤتى ببنات ابكار حسان ومن حسنت منهنَّ في عيني الملك كانت بدلاً من وشتي الملكة فادخل مردكاي استير بيت الملك واوصاها بان لا تخبر احدًا بشعبها واقربائها ونالت حظوة عند هيجاي حارس النسآء ونقلها والجواري التي اعطيتها من بيت الملك الى احسن محل في دار النسآء وكان مردكاي يتمشى كل يوم امام دار النسآء متفقدًا سلامة استير ثم قدمت الى الملك فاحبها على جميع النسآء ووضع التاج على رأسها وجعلها ملكة بدلاً من وشتي . وكان بعد ايام ان مردكاي عرف بخيانة على الملك اضمرها رجلان من حراس اعتابه ليقتلاه غيلة فاخبر استير وهي اخبرت الملك بذلك وتحقق صحته فعلق كليهما على خشبة ودوّن ذلك في سفر اخباره (فصل ٢)

وكان ارتحششتا عظّم رجلاً اسمه هامان ورفع مجلسه فوق جميع الزعمآء الذين عنده وكان جميع الواقفين في باب الملك يسجدون له الا مردكاي فلم

يكن يجثو ويسجد له فحنق عليه هامان وصغر في عينيه ان يلقي يده عليه وعمل على اهلاك اليهود جميعاً فنمَّ الى الملك ان في اقاليم مملكته شعباً منتشرًا تخالف سنته سنن الشعوب وسنة الملك فلا يجدر تركهم على ما هم عليــه فيشون في المملكة فليكتب الملك في تدميرهم وانا أزن عشرة الاف قنطار من الفضة لمن يتولون العمل فقال له الملك الفضة موهوبة لك ونزع خاتمه من يده ودفعه الى هامان ليوقع على الامر الذي يحسن له فاستدعى كتاب الملك في اليوم الثــالث عشر من الشهر الاول وكتب الى الاقطاب وولاة الاقاليم ليستأصلوا اليهود رجالاً ونسآء واطفالاً فخرج السعاة معجلين بامر الملك وصــدر الحكم في شوشن العاصمة (فصل ٣) ولما علم مردكاي بما كان مزق ثيابه والقى عليــه مسحاً ورمادًا وخرج الى وسط المدينة وصرخ صراخاً مرًّا وجآء الى امام باب الملك وأخبرت استير جواريها فارسلت احد الخصيان الى عمها فاخبره مردكاي بما كان وارسل اليها نسخة امر الملك الذي أذيع في شوشن واوصاها ان تدخل على الملك وتشفع في امتها ولا تخال انها تنجي في بيت الملك دون اليهود فارسلت تقول له ان يجمع اليهود ويصوموا ثلاثة ايام لاجلها وهي تصوم كذلــك مع جواريها فمضى مردكاي وفعل كما امرت (فصل ٤)

وفي اليوم الثالث لبست استير ثياب الملك ووقفت في ساحة دار الملك فرآها ونالت حظوة في عينيه ومدَّ لها صولجان الذهب فتقدمت ولمستــه وقال لها الملك مالك يا استير وما بغيتك ولو كان نصف المملكة فتعطى لكِ فقالت ان حسن عندك آتيت انت وهامان الى مأدبة اعددتها في الغد فقال الملك بلغوا هامان ليفعل كما قالت استير وخرج هامان ذلك المسآء من القصر فرحاً طيب القلب لكنه لما رأى مردكاي لم يجثو له احتدم غيظاً وجآء الى بيته يخبر امرأته واصدقاءه بمجده وبدعوة استير له وحده الى مأدبة الملك وقال كل هذا كلا شي

عندي ما دمت ارى مردكاي جالساً في باب الملك ولا يسجد لي فقالت زوجته واصدقاؤه لتصنع خشبة طولها خمسون ذراعاً وغداً كلم الملك فيعلق مردكاي عليها فحسن الامر عنده وصنع الخشبة (فصل ٥) وفي تلك الليلة ارق الملك فامر ان يؤتى بسفر اخبار ايامه فوجد مكتوباً فيه ان مردكاي كشف للملك عن خيانة حارسيه اللذين ارادا قتله فسأل ما صُنع من الكرامة والتعظيم لهذا الرجل فقال الغلمان لم يصنع له شيءٌ فقال من في الساحة قالوا هامان فقد كان جاء ليكلم الملك في تعليق مردكاي على الخشبة فامر ان يدخل عليه وقال الملك له ماذا يُصنع لرجل يرغب الملك في تكريمه وفكر هامان من يرغب الملك في تكريمه اكثر منه فقال يأتونه بثياب الملك التي يلبسها وبالفرس الذي يركبه ويوضع تاج الملك على رأسه ويطاف به في ساحة المدينة وينادى امامه هكذا يُصنع للرجل الذي يرغب الملك في ان يكرمه فقال له الملك اسرع اذاً وخذ الثياب والفرس والتاج واصنع كما قلت لمردكاي ولا تدع كلمة تسقط من كل ما قلت فارغم هامان ان يصنع كذلك واكباده تقطر كمداً وحنقاً ورجع مردكاي الى باب الملك وهامان الى بيته حزيناً مغطى الرأس واخبر زوجته واصدقاءه بما جرى له فقالوا له ان كان مردكاي من نسل اليهود فلن تقوى عليه وفيما هم يتكلمون جاء خصيان الملك يدعونه لمأدبة استير (فصل ٦)

وعند شرب الخمر قال الملك لاستير ما بغيتك ولو نصف المملكة فتعطينه فقالت ان حسن عندك فلتوهب لي نفسي وشعبي لاننا مبيعون جميعاً للقتال والاستئصال ولو بعنا عبيداً واماء لسكتُّ عن اضطهاد مضطهدنا فقال الملك متعجباً من هو واين ذاك الذي يفكر في هذا قالت ها هو هامان العدو المضطهد فقام الملك مغضباً عن شرب الخمر ومضى يتمشى في حديقة القصر وجثا هامان يتوسل الى الملكة عن نفسه ثم عاد الملك فوجده وقد خرَّ على عرش الملكة

فقال أ يغضب الملكة ايضاً في داري ولم تخرج الكلمة من فم الملك الاَّ وغطى الغلمان وجه هامان وسحبوه الى الخارج . وعلم الملك انه كان اعدَّ خشبة ليعلق مردكاي عليها فقال علقوه عليها فعلقوه وسكن غضب الملك (فصل ٧)

ووهب الملك بيت هامان لاستير واخبرته ان مردكاي من ذوي قرابتها فاستدعاه ونزع الخاتم الذي كان اخذه من هامان فاعطاه لمردكاي واقامته استير على بيت هامان وعادت فخرت عند قدمي الملك وبكت وتضرعت اليه في ازالة شر هامان عن امتّها فقال الملك لها ولمردكاي اكتبا انتما الى اليهود وغيرهم ما يحسن لكما واختما بخاتم الملك . فكتب كل ما امر به مردكاي الى اليهود والاعوان والولاة من الهند الى كوش (بلاد الحبشة) ووجه مردكاي الرسائل مع السعاة على الخيل فخرجوا مسرعين بامر الملك وأذيع الحكم في شوشن العاصمة . وخرج مردكاي من حضرة الملك بثوب الملك السمنجوني والابيض وبتاج نفيس من ذهب وثياب بزوارجوان وكان لليهود بهجة وسرور وكرامة اينما كانوا او حلوا وصار كثير من امم الارض يهوداً لان خوف اليهود حل عليهم (فصل ٨) وعظمت مكانتهم واشتدت صولتهم وكان جميع الاقطاب والاعوان والولاة يساعدون اليهود خوفاً من مردكاي وقتل اليهود في شوشن وحدها يوم انفاذ امر الملك خمس مئة رجل من اعدائهم وفي اليوم الثاني ثلاث مئة وكان عدد القتلى جميعاً من اعدائهم في سائر انحاء المملكة خمسة وسبعين الفاً منهم ابناء هامان العشرة واستباحت الملكة ان يعلقوهم على خشبات فعلقوهم ولم يمد احد اليهود الى غنيمة يداً بل جعلوا الرابع عشر والخامس عشر من اذار عيداً لنجاتهم يحتفلون به كل سنة الى اليوم وسموه فوريم اي القرعة لان هامان كان القى قرعاً على ابادتهم (فصل ٩)

وقد علمت في الفصل السادس عشر من سفر استير نسخة الرسالة التي

اذاعها ارتحششتا الملك تقضا لامره باستئصال اليهود وقد خلا عنهما النص العبراني واليك ملخصها ، من ارتحششتا العظيم المالك كل ما كان من الهند الى الحبشة الى القواد والروسآء في المئة والسبعة والعشرين اقليماً التي في طاعتنا سلام . ان كثيرين يسيئون اتخاذ المجد الممنوح لهم فيتكبرون ويظلمون رعايا الملك بل يتآمرون على الذين منحوهم المجد ايضاً ويتوهمون انهم يستطيعون ان يفروا من قضآء الله المطلع على كل شيءٍ وهذا امر انبأتنا به التواريخ ومما يحدث كل يوم ان دسائس البعض تفسد خواطر الملوك الصالحة ويلزم الملك ان ينظر في جميع الاقاليم وعليه فلا ينبغي ان يظن انا نأمر بامور متباينة عن خفة عقل بل ذلك ناشيٌ عن اختلاف الازمنة وضروراتها ولكي تفهموا كلامنا باوضح بيان فاعلموا ان هامان المكدوني جنساً ومشرباً والغريب عن دم الفرس قد فضح رحمتنا بقساوته وبعد ان اويناه غريباً واحسنا اليه حتى كان يدعى اباً لنا والجميع يسجدون له بلغ من شدة عتوه ان يسلبنا الملك والحياة وسعى بدسائس لاهلاك مردكاي الذي انما نحن في الحيوة من امانته وباهلاك قرينة ملكنا استير وسائر شعبها وكان في نفسه ان يترصد لنا ويحول مملكة الفرس الى المكدونيين ولم نجد نحن ذنباً في اليهود المقضي عليهم بالموت بل هم بنو الله العلي العظيم الذي باحسانه سلّم الملك الى آبائنا والينا وما برح محفوظاً وعليه فليكن معلوماً ان الرسائل التي وجهها باسمنا هي باطلة وبسبب تلك الجريمة علق هو وجميع انسبائه على خشبات فنال بذلك جزآء ما استحق من قبل الله لا من قبلنا وليعلن هذا الامر الذي نحن منفذوه الان في جميع المدن ليباح لليهود ان يعملوا بسننهم وتحصل المعاضدة لهم على اعدائهم وان يعيدوا يوم نجاتهم وليعلم في ما بعد ان كل من يطيع الفرس بامانة يثب على امانته ثواباً وافياً ومن يرصد لملكهم يهلك بجنايته ،

﴿ عد ٣٦٩ ﴾

تتمة اخبار ارتحششتا وخلفائه الى ايام اسكندر الكبير

ان الملك ارتحششتا اوقد نار الحرب على مصر لعودها الى ثورتها فحازبها اليونان وارسلوا اسطولاً يخرب في شواطي البحر المتوسط انجاداً للمصريين وكانت وقائع عديدة انتصر فيها مكابيس والي سورية من قبل ارتحششتا على قائد الاسطول اليوناني ولكن انتصر اليونان عليه مرات في قبرس فاضطر ملك الفرس ان يطلب الصلح مع اليونان فوقع على عهدته سنة ٤٤٩ وكان من شرائطه تخلي ارتحششتا عن جميع المدن اليونانية التي على شاطي بحر اليونان ثم عصى عليه مكابيس والي سورية وانتصر على جيوشه واستقل ملك ليديا عنه واستبد بملكها وكان ذلك مقدمة لتجزئ مملكة الفرس . ولم يشترك اليهود في شيء من هذه الحروب

وقد توفي ارتحششتا سنة ٤٢٥ وخلفه ابنه كيخسرو الثاني لكنه لم يملك الا خمسة واربعين يوماً وقتله اخوه سوغيدان ولم يملك هذا ايضاً الا ستة اشهر وقتله اخ آخر له وملك مكانه وسمي دارا الثاني وكثرت الثورات والحروب في ايامه فاستظهر ابنه كورش وقادة جيشه على اعدائه ومات دارا الثاني الملقب بنوتوس سنة ٤٠٥ فتأججت نار الحرب بين ابنيه كورش المار ذكره وارتحششتا الثاني فقتل كورش سنة ٤٠١ واستتب الملك لارتحششتا الثاني الملقب بمامون وقد ثارت عليه مصر يحازبها عليه جيسلاس ملك سبرتا واستحوذ فاغوراس ملك سلمينا في قبرس على هذه الجزيرة كلها ونكات سفائنه بمدن سورية وكيليكية التي على شاطي البحر وكان ارتحششتا هذا متقلباً في فنون السياسة فالقى الفتنة بين اليونان فاستراح وعاد يحارب فاغوراس في قبرس وحاصرها ست سنين حتى ارغم فاغوراس ان يعترف بسيادته على الجزيرة

وفرض عليه جزية يؤديها كل سنة وكان ذلك لسنة ٣٨٠ ق م واستعد ارتحشتا لمحاربة مصر وحصن ملكها نكتانبو قلعها التي على تخوم اسيا وزحفت عساكر الفرس اليها سنة ٣٧٣ وكان عديدها مئتي الف رجل عدا المستأجرين والسفائن البحرية فكسرت عساكر الفرس عند اسوار دمياط وخلعت مصر نير الفرس زماناً طويلاً . وعاش ارتحشتا باقي عمره مسالماً اليونان ولكن هاجمه المصريون وانجدهم اجيسلاس ملك سبرتا وكبرياس القائد اليوناني ولكن اشتد النزاع بين هولاء الاعداء حتى اضطر تاهو ملك مصر ان يلجأ الى ارتحشتا تاركاً عرش مصر الى نكتانبو الثاني ثم حاول تاهو ان يسترد ملكه بانجاد الفرس له فكسرت عساكره وقتل هو عند اسوار تانيس سنة ٣٦٠ ق م ومات بعده ارتحشتا الثاني بعد ان ثار عليه ابناه

وخلف ارتحشتا الثاني ابنه ارتحشتا الثالث الملقب باوكوس واستمر على منصة الملك من سنة ٣٥٩ الى سنة ٣٣٨ وقد اهلك كل ذكر في اسرته ليأمن على نفسه ومن احداث ايامه انه ثار عليه ملوك قبرس وارتاباس والي اسيا الصغرى وتانيس والي فونيقي فاستظهر جيشه في قبرس ورد اهلها الى طاعته ولكن انكسرت جنوده في فونيقي وفي اسيا الصغرى فلم يروعه انخذال جنوده بل حشد من كل اقاليمه ثلاث مئة الف مقاتل وعززها بعشرة الاف استأجرهم من اليونان وحاصر صيدا اولاً حيث كان تانيس والي فونيقي فطلب اهل صيدا الامان فانكره ملك الفرس عليهم وقد مر في تاريخ الفونيقيين ان اربعين الفاً من هولاء آثروا الاحتراق في بيوتهم على ذبح الفرس لهم فدخلوا بيوتهم واضرموا النار فيها فبادوا . واستتب حكم الفرس في سورية زمناً . وفر ارتاباس والي اسيا الصغرى الى مكدونية . واعد نكتانبو ملك مصر العدد للمدافعة فلم تجده نفعاً لان جيوش الفرس افتتحت دمياط ومنف واكره

نكتانبو ان يفر الى الحبشة فعادت تخوم مملكة الفرس ممتدة الى الحبشة وصحارى افريقيا وحق لارتحششتا الثالث ان يتفاخر بانه خير خليفة لكورش ودارا لاول على ان اتساع هذه المملكة وانفساح تخومها كانا داعياً لسقوطها ولو عظمت سطوتها اذ لا يمكن ضبط سكانها من الهند الى الحبشة مع تقدم العصر واختلاف سكانها جنسيةً وغرضاً ونزعة . ومات ارتحششتا الثالث مسمماً سنة ٣٣٨ بدسائس باغواس كبير وزرائه واقام ابنه ارسيس خلفاً له وحاول ارسيس ان يخلع وزيره فعامل الوزير عليه وقتله ولم يجسر باغواس ان يتخذ الملك لنفسه فاقام فيه احد شركائه في جرائمه وهو دارا الثالث الملقب بكودومان وهو من احفاد دارا الثاني وكان ذلك لسنة ٣٣٦ التي تبوأ فيها اسكندر الكبير منصة الملك على اليونان . فعبر اسكندر الدردنل بجيوشه وشتت عساكر دارا الثالث واستحوذ على اسيا الصغرى كلها وتقابلت جحافل اليونان والفرس عند ايسوس في خليج اسكندرونه سنة ٣٣٣ فاستظهر اسكندر الكبير وقبض على اسرة ملك الفرس وعاملهم بلطف ورقة ثم مضى بجحافله فخضعت له صور واليهودية وغزة ومصر وعاد ميمماً الفرس في بلادهم فكانت وقعة اربيليس (المعروفة باربيل الان في شرقي نينوى) هي القاضية ومات دارا الثالث قتيلاً فانقرضت به دولة الفرس سنة ٣٣١ وملك اسكندر مصر وسورية وسائر اعمال اسيا الى الهند . وسنبسط الكلام على ذلك في الجزء الثالث ان وفق الله

﴿ عد ٣٧٠ ﴾

في حالة اليهود بعد ايام نحميا الى ايام اسكندر الكبير

ان الاسفار المنزلة لم تنبئنا بشيء من اخبار اليهود في الحقبة التي من يوم موت نحميا الى حين ولاية اسكندر على اليهودية وهذه الحقبة هي زهاء مئة

سنة والمعلوم من اخبار اليهود فيها انهم كانوا خاضعين لملك الفرس يدبر شؤونهم عظمآء كهنتهم . وكان في هذه المدة ان سنبلّط والي السامرة حمل السامريين على بنآء هيكلهم في جبل غرزيم اذ لم يشأ اليهود ان يشاركوهم في بنآء هيكل اورشليم وانكر هولاء انهم ذرية من جلاهم ملك اشور الى السامرة وزعموا انهم من ذرية يوسف وافرائيم وقد يكون اختلط بعضهم ببني اسرائيل الذين استمروا في فلسطين بعد الجلاء وكان كلما ارتكب يهودي جريمة وخاف العقاب لجأ اليهم فقبلوه واعزوه.وكانوا يجلون اسفار التوراة التي اتاهم بها بعض الكهنة الذين ارسلهم اليهم ملك اشور اجلال اليهود لها فكان ذلك بينة لصحة هذه الاسفار عند اليهود مأخوذة من اعدائهم

ويظهر انه كان عند اليهود بعد نحميا ندوة شيوخ مؤلفة من سبعين شيخاً كما كان في ايام موسى ومنهم قضاة يجلسون في اورشليم وغيرها يومي الاثنين والخميس في كل اسبوع فيقضون للشعب وكانت هذه الندوة تحافظ على السنَّة وتفسر ما أشكل منها وكانوا يسمون رئيس هذا المجلس ابتدين اى ابا المحكمة او رئيسها وكان من فروضهم المحافظة على السبوت والاعياد والاصوام . ويظهر ايضاً ان اليهود لم يشتركوا في شيء من حروب ملوك الفرس مع مصر او مع سورية وفونيقي ولم يستجدهم المصريون في حروبهم مع ملوك فارس بل كان اليهود ينظرون في ذلك نظر المتفرج الملتزم الحيدودة روى كل هذا كرتس في تاريخ اليهود

وروى يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ١١ فصل ٧) وكرتس في المحل المذكور ان باغواس وزير ارتحشتا الثالث المار ذكره كان قائدًا لجيش الفرس في سورية وفونيقي وكان وقتئذٍ ان مات يوياداع عظيم الكهنة وله ابنان يوحنان البكر ويشوع الاصغر فدفع يشوع مالاً الى باغواس ليجعله عظيم الكهنة بدلاً

من اخيه البكر فوعده بذلك فتنازعا الرياسة في الهيكل فقتل يوحانان يشوع اخاه فشخص باغواس الى اورشليم لا لاجرآء العدل بل لكسب الدرهم ففرض على اليهود جزآء على هذه الجريمة ان يدفعوا على كل خروف يقدمونه ذبيحة في الهيكل خمسين درهماً واضطر الشعب ان يدفع هذه الضريبة سبع سنين

كان الفراغ من تدوين هذا الجزء من تاريخ سورية في اليوم الخامس من شهر كانون الثاني سنة ١٨٩٥ تقبل الله العنآء به ووفق الى الحاقه بالاجزاء الاخرى



فهرس المجلد الثاني من تاريخ سوريا

عـد صفحة

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في اسحق وابنيه يعقوب وعيسو)

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في يوسف)

﴿ الفصل الرابع ﴾

(في اخبار بني اسرائيل في مصر)

﴿ الفصل التاسع ﴾

(في يشوع بن نون واخبار بني اسرائيل في ايامه)

﴿ الفصل العاشر ﴾

(في قضاة بني اسرائيل)

﴿ الفصل الحادي عشر ﴾

(في راعوت وعالي الحبر وصموئيل النبي)

﴿ الفصل الثالث عشر ﴾

(في اخبار داود في مدة ملكه)

﴿ الفصل الرابع عشر ﴾

(في سليمان)

الفصل السادس عشر

(في اخبار احاب ملك اسرائيل وخلفائه حتى ياهو ويورام واحزيا ملكي يهوذا)

الفصل السابع عشر

(في باقي ملوك يهوذا واسرائيل الى خراب السامرة)

﴿ الفصل الثامن عشر ﴾

(في سائر ملوك يهوذا الى الجلاء البابلي)

﴿ الفصل التاسع عشر ﴾

(في اخبار بني اسرائيل في بلاد الكلدان)

﴿ الفصل العشرون ﴾

(في اخبار بني اسرائيل عند عودهم من الجلاء وبعده الى ملك اسكندر الكبير)

فهرس هجاءي

(ا)

﴿ الارقام يراد بها الاعداد المقسم هذا الكتاب اليها ﴾

(ح)

(د)

(س)

(ط)

(غ)

(ك)

(ل)

(م)

(ي)





اصلاح خطا

صفحة	سطر	خطأ	
٥	٢٠	بها	
٥١	٤	دنية	دينه
٦٥	١٤	من	لغو
٩٢	١	نعصري	بعصري
١٥١	١٧	الخفر	الحفر
١٧٨	١٨	جسبان	حسبان
٢٢١	١	٣٨١	٢٨١
٢٢٧	١٩	اخص	اخس
٢٤٨	٨	ادعوتمونا	دعوتمونا
٣٠٩	٢	مواب	يواب
٣١٥	١٩	الاسم	الاثم
٣١٨	٥	فامنت	فامست
٣٢٩	١٥	ليذكروا	ليذكرا
٣٣٥	٨	بمثال بمثال	مثقال بمثقال
٣٦٢	١١	عشرون	ثلاثون
٤١٦	٢	احاب ويورام ملك يهوذا رابنيه احزيا ويورام ملوك اسرائيل	احاب ملك اسرائيل وخلفائه حتى ياهو ويورام واحزيا ملكي يهوذا

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥٦١	١٩	اربوك	اريوك
٥٩١	٩	نقاوشها	نقوشها
٦٠١	١٢	ثاني	تاني

تنبيه

طريق عربات
طريق اعتيادية
مدينة
قرية
خان
خربة
حدود

شمال
جنوب
شرق
غرب